الملاحم
AL-MALAHEM MEDIA

شذرات من تاريخ القاعدة

رواية الشيخ
إبراهيم أحمد محمود القوصي
"خبيب السوداني"





بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



شَذَرَاتُ

مِنْ تَاريخِ القَاعدةِ

رواية الشيخ

إبراهيم أحمد محمود القوصي

(خبيب السوداني)

الطبعة الثانية

1444هـ / 2023م







بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء:

إلى أمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله ..

إلى الذي أعاد كتابة التاريخ، فأحيا به الله مجد هذه الأمّة وعزّها وكرامتها من جديد ..

إلى الذي لقّن فقهاء الانبطاح، وأئمة الضلال، ودعاة التنازلات وأنصاف الحلول دروساً في فنون الصمود والعزّةِ والإباء ..

إلى الذي ضرب أروع الأمثلة في الوفاء والتضحية، والولاء والبراء، وتحدى بمواقفه جيوش الكفر المجتمعين، وجبابرته المتغطرسين، وعلّمهم كيف يكون الرجال في ميادين النزال ..

إلى من قال لهبل العصر أمريكا لا وألف لا.

إلى أمراء الجهاد وقادته وعلى رأسهم الإمام المجدّد الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله ..

إلى الذي سعّر هذه الحرب، ونكّس رأس الأمريكيين المتغطرسين، وغزاهم في عقر دارهم بعد أن كانوا من الغزو في حصنٍ مكين، وجرّعهم حتوف الردى، وأذاقهم مرارة العذاب، ودوّن في التاريخ خزيهم وعارهم إلى أبد الآبدين ..[1]

إلى الذي أعطى كل ما يملك، وفارق كل ما يحب، وبذل كل جهدٍ، واستنفد كل وسعٍ في سبيل نصرة دينه وأمته.

إلى طليعة الأمة المجاهدة، الذين يفترشون الأرض ويلتحفون السماء ..

إلى أُولئك الرجال الذين هبّوا لنصرة الدِّين يوم قلّ الواقفون ..

إلى الذين بتصدّيهم لمخططات الصليبيين وعملائهم اليوم يقفون على أعظم ثغور الإسلام ..

إلى كل من يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا الكتاب.

الفقير إلى عفو ربه/

إبراهيم أحمد محمود القوصي (خبيب السوداني)

تمّ بفضل الله وحده يوم الأربعاء ١٠ محرّم ١٤٤٣هـ

الموافق ١٨ أغسطس ٢٠٢١م

---

١) هذا النص مقتبسٌ من مقال الشيخ أبي المنذر الشنقيطي -حفظه الله- في رثاء الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله.

تقريظ لفضيلة الشيخ أبي محمد المقدسي (عاصم البرقاوي) حفظه الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله ولي المتقين، والصلاة والسلام على إمام الموحدين وقدوة المجاهدين القائل: ﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلاَ أَنَّ رِجَالاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لاَ تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَلاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ، مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوَدِدتُّ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ﴾.

فالجهاد في سبيل الله شرف هذه الأمة، والمجاهدون في سبيل الله هم أشرافها وساداتها.

فهم الصادقون الذين أثبتوا صدقهم بالتضحية بالنفس والنفيس في مرضاة الله ونصرة دينه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

وهُم في زمن الغربة، وقبل الفتح، خيرة هذه الأمة، وطائفتها المنصورة. قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾. وقال النبي ﷺ: ﴿لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، لاَ يَضُرُّهُم مَّنْ خَالَفَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَذَلَهُمْ ؛ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ﴾.

أما بعد:

فقد اطلعت على كتاب أخينا الحبيب الشيخ المجاهد (خبيب) إبراهيم أحمد محمود القوصي (شذرات من تاريخ القاعدة).

فأثارت صفحاته فيّ ذكريات جميلة عشتها في أماكن كثيرة ذكرها الشيخ خبيب في كتابه هذا وأرّخ لها، وتذكرت فيها إخوة أحبة، ومجاهدين أشاوس، وطلبة علم صادقين، ودعاة مخلصين لقيتهم وعايشتهم في ربوع أفغانستان، وجبهاتها وخنادقها وأنفاقها ومعسكراتها .. وفي بيشاور ومضافاتها ومعاهدها .. أكثرهم قد قضى نحبه، وقليلٌ منهم من لازال ينتظر.

وكلما قرأت ومررت بأسماء لامعة ومعروفة من القيادات والمدربين والمجاهدين تذكرت لقائي بهم، ومشاركتي في معسكراتهم، ومروري في جبهاتهم، وعملي مع بعضهم.

وكلما مررت بأسماء المعسكرات كصدى والفاروق وجاور وجهاد وال التي تدربت ودَرّست فيها وزرتها ..ازددت حنيناً وشوقاً لتلك الأيام الجميلة التي لا تنسى.

تذكرت ثلوج جاجي والعرين والمأسدة.

وتذكرت صيف أفغانستان وجداولها وجبالها وغاباتها.

وتذكرت إخوة لنا دفناهم بين تلك الجبال، وغطت قبورهم الثلوج؛ عاشوا غرباء، وقضوا غرباء..

تذكرت وتذكرت وتذكرت، وسعدت واستمتعت بمطالعة الكتاب بقدر ما أثار شجوني حول تلك التجارب التي يجب أن تدْرس وتدَرّس، ليؤخذ منها العبر، وتتجنب الأخطاء، ويتعلم منها،

ولا يكتفى بالتأريخ، فالسرد التاريخي يثريه ويزيد في قيمته استقاء العبر، والفوائد والتجارب، وأخذ الخبرات، وتحليل المواقف والاختيارات، وقطف الثمرات مِن أحداثه، ومِن اختيارات القادة والمجاهدين والعلماء.

وقد كنت كتبت في مثل هذه الثمرات[1] التي أراها زبدة التجارب وعصارتها، والتي توسع أفق المجاهد، وتجعله يفيد ويستفيد، ولا يكرر الأخطاء، ويعزز النجاحات، ويطورها ويوَسّع آفاقها.

وبدهي أننا سنتوافق في كثير من التعليقات والاستنتاجات والتحليلات التي تتخلل هذا السرد التاريخي، فمشكاتنا واحدة، وإن اختلفنا في بعضها اليسير، فهذه هي حقيقة الفقه والاجتهاد فيه، وفقه التجارب، وفقه التأريخ وأحداثه، مِن أنفع العلوم التي يحتاجها الداعية والمجاهد.

فيبقى مَن يستقي التجارب، ويقطف الثمرات، هو المتقدِّم والمُقَدّم في التأريخ للأحداث، والمُتميِّز عن القُصّاص والحكواتيين.

وهذا الكتاب الذي خطه بنان الشيخ الحبيب أبو خبيب حفظه الله تعالى ونفع به يتضمن إضافة للتأريخ تجارباً ودروساً وعبر وفوائد وخبرات، نسأل الله تعالى أن ينفع بها، ويجعلها في رصيد العمل الجهادي، ونبراساً للمجاهدين، ويجزي الشيخ الحبيب خير الجزاء على ما كتب، ويتقبله منه، ويجعله في ميزان أعماله .

وصلى الله وسلم على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتب/أبو محمد المقدسي.



الشيخ أبو محمد المقدسي – حفظه الله

---

[1] الإشارة هنا لكتابي (وقفات مع ثمرات الجهاد بين الجهل في الشرع والجهل في الواقع).

مقدّمة الطبعة الثانية:

ما أجمل ما قاله القاضي عبد الرحيم بن علي البيساني رحمه الله:

"إنّي رأيت أن لا يكتب إنسانٌ كتاباً في يومه، إلّا قال في غده: لو غُيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يُستحسن، ولو قدُّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أجمل العبر، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر".

وكما قال الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي في مقدمة "القواعد الفقهية":

"ويأبى الله العصمة لكتابٍ غير كتابه، والمُنْصِفُ من اغتفر قليل خطأ المرء في كثيرٍ من صوابه".

فهذه بحمد الله الطبعة الثانية لكتاب "شذراتٌ من تاريخِ القاعدة"، وقد زدت فيها بعض الزيادات المهمة تجاوزت بفضل الله ستّون صفحة من أقوالٍ وملاحظاتٍ لبعض الإخوة الأفاضل، إضافة إلى ذكرياتٍ ومواقف كنت قد نسيتها لم ترد في الطبعة الأولى. كما اعتنيت بتـــرتيب الكتاب فقدمت وأخرت بعض الفقرات والنصوص حسب التسلسل التاريخي للأحداث، إضافة إلى تصحيح ما لابدّ من تصحيحه من خطأ أو نحوه.

ولا يفوتني هنا أن أدبّج هذا الكتاب بذكر اسم من كان صاحب فكرته، وحثّني على كتابته، وكان متابعاً لكل مراحل تطوره، وعندما نُشرت الطبعة الأولى من الكتاب كان بعيداً، لذلك كان حريصاً على أن تخرج هذه الطبعة في أجمل حُلة، ورسمياً باسم مؤسسة الملاحم، وحتى آخر نفسٍ له في حياته -عندما جدعت شظية من طائرة أمريكية بدون طيار جزءاً من أعلى رأسه- كان يقف على آخر مراحل تنسيق وتصميم الكتاب، وإخراجه بالصورة التي بين أيديكم. ذلكم هو مسؤول اللجنة الإعلامية لتنظيم قاعدة الجهاد في جزيرة العرب؛ الشيخ الجليل، صاحب الهمّة العالية، والخُلق الطيب، والتواضع والأدب الجم، العالم العابد الزاهد التقي الخفي الورع -نحسبه كذلك والله حسيبه- حمد بن حمود التميمي، المكنّى بأبي عبد العزيز العدناني، نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتقبله في الفردوس الأعلى، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، آمين.



الشيخ أبو عبد العزيز العدناني(حمد حمود التميمي)

تقبله الله

وكم كنت آمل –بناءً على توجيهات الشيخ الحكيم الدكتور أيمن الظواهري –رحمة الله عليه حياً كان أم ميتاً– بأن لا يُنشر الكتاب قبل أن تتم مراجعته النهائية من قبل المشايخ الكرام ....و.... و....، لكن لأسبابٍ خارجة عن الإرادة تعذّر هذا الأمر، مما اضطررت معه لنشر الكتاب بطبعتيه الأولى والثانية هذه، معتمداً على إشادة الشيخ الدكتور أيمن الظواهري، وإشادة أحد المشايخ –المعنيين بمراجعته– للنسخة الأوليّة للكتاب قبل أكثر من خمس سنوات، وهذه هي:

"بوركت يمينك يا زول .. لقد سكبتُ الكثير من الدموع على كلّ ذكرى طيبة، وكلّ اسمٍ فارقنا بجسده .. فعلى مثلهم فلتبك البواكي .. الكتاب نقلني إلى عالمٍ آخر كنت فيه يوماً ما .. فأثرتَ أشجاناً وهيجتَ مقل .. وإني لأفخر أنني عشت وشاركت في زمن الجهاد بأفغانستان، وجاهدت تحت راية المولوي يونس خالص، والمولوي جلال الدين حقاني، والمهندس محمود، والملا عمر، رحمهم الله .. وعايشت إخواناً قل وجود أمثالهم كالشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، ورفاق دربه الميامين .. فهنيئاً لمن عاش معهم وشاركهم .. أسأل الله أن يتقبل منك هذا المجهود .. وأثابك عن كل حرف نثرته نثر الورود .. وما نثرته سيبقى دوماً رواية الشيخ خبيب السوداني حفظه الله كما عاشها وعايش أهلها عن زمان القاعدة .. رحم الله الجميع" ا.ه

اللهم هذا هو جهد المُقِل، لا أدّعي فيه عصمة، ولا أزعم فيه براءة من خطأ، وإني لأرجوه سبحانه وتعالى قبول ما وُفقت إليه من صواب، والعفو عما زلّ به القلم، إنه خير مأمولٍ وأكرم مسؤول، والله المستعان وعليه التكلان، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الفقير إلى عفو ربه/

خبيب السوداني (إبراهيم أحمد محمود القوصي)

الاثنين ١ ذو الحجّة ١٤٤٤هـ

مقدّمة الطبعة الأولى:

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله وصفوته من خلقه، وأمينه على وحيه، الذي بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله، ودعا بدعوته، ونصر سنّته، واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

يقول الشيخ أبو مصعب السوري -فرّج الله كربته- متحدّثاً عن اندثار أهم التجارب الجهادية المسلحة في النصف الثاني من القرن العشرين:

"ولذلك فقد اندثرت معظم التجارب الجهادية الهامّة للتيار الجهادي، بل ولعموم التجارب الظاهرة الجهادية دون أن يكتب عنها أصحابها، وأقصد من قاموا بها أو شهدوها بأنفسهم، أو كانوا على احتكاك حقيقي وعضوي بهم ومعهم. وفي حدود علمي فإن من بين عشرات التجارب الطويلة الأمد أو المحدودة، لم يكتب أحد من أصحاب تلك التجارب شيئاً يذكر، أو لم يصل على الأقل للانتشار، وقد فات على الأمة وأجيالها القادمة بذلك دروساً بالغة الأهمية، وقصصاً وتفاصيل أحداث بالغة الروعة والدلالة من تلك الملاحم التي قام بها الجيل الأول والثاني من هذا التيار الجهادي، منذ انطلق وإلى نهايات القرن العشرين ومطلع الحادي والعشرين، في حين تطفل على الكتابة نيابة عن أصحاب التجارب بعض الخصوم، أو بعض التجار من الصحفيين، أو بعض القاعدين من (دونكيشوتات) الصحوة الإسلامية من أصحاب الكروش التي تربت تحت برد المكيفات" [١] **ا.هـ**

بناءً على هذه المقدمة القيّمة من كلام الشيخ أبي مصعب السوري، أُشهد الله أنّه كان قد حدثّني في مجمّع نجم الجهاد بجلال أباد في أواخر عام ١٩٩٦م -بعد رجوعي من الشيشان- على أن أوثّق تلك الأحداث التي شهدّتها هناك. ورغم قناعتي بأهميّة حديث الشيخ أبي مصعب، إلّا أنني لم أُعره أيّ اهتمام، ولم يحرّك فيّ ساكناً، لأني بطبيعة الحال لم أجد نفسي أهلاً لهذا الأمر.

ولما مرّت السنون بعد ذلك، وتوالت الأحداث، واستحرّ القتل في ركب السابقين الأولين من أفراد هذه المسيرة الجهادية المباركة؛ القاعدة، بدأت أستشعر أهمية حديث الشيخ أبي مصعب بضرورة التوثيق لذلك التاريخ المجيد، خوفاً عليه من الضياع والتزييف والتشويه بواسطة قطّاع الطريق، المتخصصين في ذبح الحقيقة، وتزوير التاريخ وما أكثرهم.

ومنذ الأيام الأولى التي وطئت فيها أقدامي أرض اليمن في ديسمبر ٢٠١٤م، كنت أناشد أمير تنظيم قاعدة الجهاد في جزيرة العرب؛ الشيخ أبا بصير (ناصر عبد الكريم الوِحيشي)، بأن يوثّق تلك الأيام والسنون التي قضاها قريباً من الشيخ أسامة -رحمهما الله جميعاً- كأميناً لسرّه، غير أن الرجل كان زاهداً في خوض غمار هذا الأمر بحجة أنه لا يُفتى ومالكٌ في المدينة، فقد كان رحمه الله يخشى أن يقدّم أو يؤخر بين يدي إخوة كبار، أقدم منه هجرةً وسابقةً، وعلماً وتجربةً ما زالوا على قيد الحياة، هم أولى

١) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

-كما كان يقول- بتولّي هذا الأمر منه، وعلى رأس هؤلاء، الشيخ الدكتور أيمن الظواهري، والشيخ سيف العدل حفظهم الله، والشيخ أبا محمد المصري[١] رحمه الله.

ورغم أنه كان من فضل الله عليّ مرافقة الشيخ أسامة -رحمه الله- عن قرب لعدّة سنين، إلّا أنه لم يدر بخلدي يوماً من الأيام قط أن أدلي بدلوي في هذا الأمر، حتّى وصلتني رسالة[٢] من الشيخ الدكتور أيمن الظواهري -حفظه الله- مؤرّخة في ٣ ذي القعدة ١٤٣٧هـ، جاء في ثناياها ما يلي:

"أتمنّى عليكم أن تشاركوا في سلسلة (أيام مع الإمام)، وذلك بإصدار سلسلة فرعية بعنوان (أيام مع الإمام (ذكريات الشيخ خبيب السوداني مع الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله)، حتى لا تختلط الحلقات مع الحلقات التي يصدرها السحاب. والله يوفقكم لكل خير" ا.هـ

كذلك كان الإخوة في مؤسسة الملاحم قد طلبوا منّي وألحّوا عليّ كتابة شهادتي وذكرياتي مع جماعة القاعدة بصفة عامة، ومع الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- بصفة خاصة. ويعلم الله كم كانت تلك المطالبات والمناشدات -رغم قناعتي بأهميّتها- ثقيلة على نفسي، لأني ببساطة لست من فرسان ذلك الميدان، ورحم الله امرءً عرف قدر نفسه، فما أنا من الذين يخوضون بحار القراءة في بطون الكتب، ناهيك عن الكتابة عن أحداث ووقائع وشخصيات في غاية الأهميّة والخطورة، غيّرت بفضل الله وحده مجرى التاريخ.

لكن مع ضغوط الأخوة، وإلحاحهم على هذا الأمر، وخوفاً كما قال الشيخ أبو مصعب السوري من أن يتطفل على الكتابة نيابة عن أصحاب التجارب بعض الخصوم أو بعض التجّار من الصحفيين والقاعدين، استعنت بالله وحده وأمسكت القلم، وبدأت أعصر ذكرياتي عن تلكم الأيام، وخرجت الصورة الأولى لتلك الذكريات في سبتمبر ٢٠١٦م في صفحات صحيفة المسرى في سبع حلقات بعنوان "أيام من مذكراتي". ويعلم الله كم آلمني وأحرجني ذلك العنوان الكبير الذي اختاره محررو الصحيفة دون مراجعتي، والذي عكس غير المقصود من كتابة تلك المقالات، فأظهرني كأني من أولئك الجهابذة الأعلام الذين يحبّون أن يُشار إليهم بالبنان، وما أنا كذلك. ووالله لو يعلم الناس حالي لقالوا كما قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: **"آن لأبي حنيفة أن يمدّ رجليه"**[٣].

ثم تطور الأمر إلى مشروع كتابٍ عن تاريخ تنظيم القاعدة، بذلت فيه وُسعي وقصارى جهدي، فجمعت ونقلت معظم محتواه ممن كَتب في الموضوع مع بعض التصرَف، وأضفت إلى تلك النُّقول عصارة

---

١) قبل الفراغ من هذا الكتاب، تلقينا بأسىً بالغٍ نبأ اغتيال الشيخ أبي محمّد المصري، مع ابنته الكبرى (زوجة حمزة بن الشيخ أسامة بن لادن) في إيران على أيدي الموساد اليهودي بطلبٍ من أمريكا. جدير بالذكر أن اغتيال الشيخ أبي محمد -رحمه الله- تم في يوم ٧ أغسطس ٢٠٢٠م، وهو ذات اليوم -بعد اثنين وعشرين عاماً- الذي تم فيه استهداف سفارتي أمريكا في نيروبي ودار السلام عام ١٩٩٨م. ولعل أمريكا أرادت أن ترسل لنا بذلك رسالة تقول فيها أنها لا تنسى ثأرها مهما طال الزمن، وأنها خلف غرمائها حيثما كانوا، لكنا نقول لها، كما قال ربّنا جلّ في علاه: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾، فشتّان شتّان بين التاريخين، فأصحابنا قد عجّلوا بأصحابكم إلى جهنّم وبئس المصير، وأنتم -بإذن الله- قد عجّلتم بصاحبنا إلى جنّة عرضها السماوات والأرض، نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يتقبّل شهداءنا في الفردوس الأعلى، آمين.

٢) جديرٌ بالذكر أن الشيخ أيمن الظواهري -حفظه الله- كان قد خاطب أيضاً أمير قاعدة الجهاد في جزيرة العرب الشيخ قاسم الريمي -رحمه الله- طالباً منه توثيق التجربة الجهادية في جزيرة العرب، وأحسب كذلك أن الشيخ أيمن قد خاطب كل أمراء أفرع القاعدة بنفس الخطاب، حتى لا تفوت على الأمة وأجيالها تلك الدروس، والقصص وتفاصيل الأحداث البالغة الأهمية والدلالة من تلك الملاحم.

٣) قصّة هذه المقولة التي صارت مثلاً هي أن الإمام أبا حنيفة -رحمه الله- كان جالساً، فقدم رجلٌ عليه الوقار والهيبة، يوحي مظهره أنه من كبار العلماء، وكان أبو حنيفة مادّاً رجله فضمها احتراماً للرجل، واستقبله وأجلسه بجانبه، ثم بدأ الرجل يسأل، فقال: **"يا إمام! متى يفطر الصائم؟ قال: أبو حنيفة إذا غربت الشمس، قال: فإذا لم تغرب إلا نصف الليل؟"** فما كان من أبي حنيفة إلّا أن مدّد رجليه الاثنتين وقال: **"آن لأبي حنيفة أن يمد رجليه".**

ذكرياتي مع شيء من التحليل والمقارنة المتواضعة لبعض الأحداث الهامة، وقسّمت فصول الكتاب إلى خمسة فصول تناولت خمس مراحل، تبدأ من حضور الشيخ أسامة لباكستان -بعد سماعه لغزو الاتحاد السوفيتي لأفغانستان- حتّى أحداث الحادي عشر من سبتمبر، مع تغطية طفيفة لبعض العمليات بعد الأحداث. وبفضل لله وحده خرج الكتاب بالصورة التي بين أيديكم، وأسميته **"شذراتٌ من تاريخِ القاعدة"**.

ولا تغطّي صفحات هذا الكتاب مرحلتين من أهم المراحل التاريخية في تاريخ القاعدة، وهي الملاحم البطولية الخالدة التي خاضها رجال القاعدة في أفغانستان -بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر- جنباً إلى جنبٍ مع إخوانهم الطالبان في مواجهة هبل العصر أمريكا، إلى جانب المواجهات العنيفة، والحرب الاستخباراتية القذرة التي واجهتها القاعدة في وزيرستان مع وكيل أمريكا في المنطقة؛ الجيش الباكستاني. كذلك لم تغطّ صفحات هذا الكتاب مرحلة تمدد القاعدة، وانضمام كمٌ مهم من الحركات الجهادية ومبايعتها للعمل تحت لوائها، في العراق والشام والصومال ومغرب الإسلام، مروراً بمالي وشبه القارة الهندية.

ومع كلّ ذلك، لا أزعم أن الجزئية المحدودة من المعلومات التي تناولَتْها صفحات هذا الكتاب تحوي بين دفتيها عشر معشار ذلك التاريخ المجيد، فما هي إلا شذرات، وغيضٌ من فيضٍ لأحداثٍ عظام، وقصصٍ لرجالٍ كرام، هبّوا لنصرة دين الله، يستلذون ويستعذبون التضحية في سبيله يوم قلّ الواقفون، فغيّروا بفضل الله وحده مجرى التاريخ.

اللهم هذا الجهد وعليك التكلان، وإن صفحات هذا الكتاب، كغيرها من جهد البشر فيها الصوابُ والخطأ، والزيادةُ والنقصانُ، فما كان فيها من صوابٍ فمن الله وحده، وما كان فيها من خطأ فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه بريئان، أسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن ينفع بها، وأن يجعلها في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، آمين.

الفقير إلى عفو ربه /

خبيب السوداني (إبراهيم أحمد محمود القوصي)

تهنئـة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. فها هي الإمبراطورية الثالثة أمريكا -وجمعُها- تخرج من أفغانستان ذليلةً صاغرةً كما خرج أسلافها من قبل، وها هو رئيسها يعترف بعظمة لسانه بهزيمته، ويقول: "**الأحداث التي نراها الآن هي إثبات بأنه ما من قوّة عسكرية من شأنها أن تبني الاستقرار في أفغانستان، فهي معروفة بأنها مقبرة الامبراطوريّات**". وها هو الأمين العام لحلف الناتو يعترف بأن انسحابهم من أفغانستان هو أكبر هزيمة في تاريخ الحلف منذ نشأته. فهنيئاً للمسلمين عامّة، ولشعب أفغانستان ولحركة طالبان وعلى رأسهم أمير المؤمنين الشيخ هبة الله أخند زاده وقادته وجنوده الميامين بصفةٍ خاصّة. هنيئاً لكم يا شامة العز في جبين هذه الأمة بهذا النصر العظيم، والفتح المبين، الذي أذهل العالم وكل أرباب السياسة والمراقبين، والذي لم يتحقق بكثرة عدد، ولا بقوّة عدة أو عتاد، لكنّه تحقق بفضل الله وحده، ثمّ بإيمان خالط بشاشة القلوب، وعزيمةٍ وإصرارٍ وهمّةِ رجالٍ تصاغرت أمامها قمم الجبال. رجالٌ عرفوا طبيعة هذا الدين، وطبيعة هذا الصراع، فلم يُعطوا الدنيّة في دينهم قيد أنملة، وضحّوا في سبيل ذلك تضحيات فاقت كلّ خيال، لذلك حُقّ لكم أيها الأفغان أن تفخروا بأبنائكم في حركة طالبان، فعلى أيديهم بفضل الله وحده قُبرت الإمبراطورية الثالثة في تراب أفغانستان، وعلى أيديهم عادت الإمارة الإسلامية لتحكم بشرع الله ولو كرهت أمريكا وحلفاؤها، وعلى أيديهم تحققت كلمات أمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله عندما قال:

"لقد وعدنا الله بالنصر، ووعدتنا أمريكا بالهزيمة، وسوف نرى أي الوعدين أصدق".

فهنيئاً لكم يا شعب أفغانستان بالطالبان، وهنيئاً للطالبان بكم.



وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ

أمّا أنتم يا من تتطاولون على طالبان وأنصارهم بأقذع الأوصاف والألفاظ، لا يسعنا إلّا أن نهديكم هاتين الصورتين، ونقول لكم: الحقّ ما شهدت به الأعداء، فموتوا بغيظكم، ستكتب شهادتكم ثم تسألون، وأمام ربّ العالمين بإذن الله تلتقي الخصوم، وحينها سيعلم الذين ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون.



الرئيس الأمريكي جو بايدن يعترف بأن أفغانستان مقبرة الغزاة



إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ. فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً، ثُمَّ يُغْلَبُونَ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ

تمهيـد:

يقول الشيخ أبو مصعب السوري -فكّ الله أسره- في كتابه دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، بتصرف:

"مما لا شك فيه أن في دراسة تاريخ التيار الجهادي، والوقوف على تجارب السابقين من أبنائه في هذا الطريق الجهادي المعاصر، دروساً عظيمة وتجارب رائعة -بصرف النظر عن صوابها وخطئها- لا بد للجيل الجهادي القادم أن يقف عليها ويدرسها، وأن يهضم خلاصة تجارب أسلافه، والسير على أنوار ما قدّموا فكراً وتجربةً وقدوةً، ليطور نظريات عمله بالاستفادة وأخذ العظات والعبر منها، والبناء عليها، ومتابعة حمل راية الجهاد في هذه الظروف البالغة الصعوبة، وفي هذه المعركة البالغة الاختلال في موازين القوى، حتى لا يخسر ذلك الجيل دروساً عظيمة من مسار مجيد، مخضبٍ بدماء آلاف الشهداء، ومعاناة جيلٍ كابد في صراعه مع الطواغيت ومن وراءهم أشد المعاناة، وحتى يكون ذلك الجيل حلقةً طبيعية في هذه السلسلة، التي ترسم مسار القافلة المجيدة نحو حلم الإسلام المنشود في إعادة حكم الله لهذه الأرض، وإقامة خلافته الراشدة على منهاج النبوة إن شاء الله" ا.هـ

فالقاعدة مرت بعدة مراحل تاريخية، تخللتها أحداث ووقائع كانت بمثابة نقطة تحولٍ كبيرةٍ في تاريخ الصراع في المنطقة وفي كل العالم، وكذلك في تحوّل المسار الفكري والمنهجي للمجاهدين، بما فيهم الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- من الممكن إجمالها كالتالي:

١- **مرحلة أفغانستان الأولى وفيها:** دخول الروس أفغانستان، وحضور الشيخ أسامة إلى باكستان بعد أيامٍ قليلة من الغزو، ونشاطه حتى تأسيس القاعدة في أغسطس ١٩٨٨م (تسليم التبرّعات، تأسيس مكتب الخدمات وبيت الأنصار، وإنشاء المأسدة، ومعارك جاجي والدروس المستفادة منها؛ برنامج التدريب).

٢- **مرحلة تأسيس القاعدة حتى انتقال الجماعة إلى السودان مطلع عام ١٩٩٢م وفيها:** معارك جلال أباد، وهزيمة الاتحاد السوفيتي، والمكر الدولي لمحاربة الجهاد الأفغاني، وبرنامج ما يسمى بمكافحة الإرهاب.

٣- **مرحلة السودان وما تخللتها من أحداث وفيها:** أعمال الشيخ أسامة الاستثمارية في السودان، وأحداث الصومال، واليمن، وعملية محاولة اغتيال الطاغوت المصري السابق الهالك حسني مبارك في أديس أبابا، وغيرها من الأحداث حتى خروج الشيخ من السودان في مايو ١٩٩٦م.

٤- **مرحلة أفغانستان الثانية وما تخللتها من أحداث،** وتبدأ من وصول الشيخ أسامة -بعد إبعاده من السودان- جلال أباد في أفغانستان، وفيها: إصدار بيان "**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**"، وانتقال الجماعة إلى قندهار، ومشاركة الجماعة القتال مع طالبان، وتأسيس الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين، وعمليات نيروبي ودار السلام وعملية كول...الخ.

٥- **مرحلة أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما بعدها** من عمليات خارجية، وتداعيات الأحداث على طالبان والتجمع الجهادي في أفغانستان، وما صاحب العمليات من شبهات، وأحداث تورا بورا والانسحابات إلى باكستان، وغيرها من الأحداث التي تعجز الكتب والمجلدات عن حصرها، ناهيك عن هذه الصفحات.

المرحلة الأولى: حضور الشيخ أسامة -رحمه الله- إلى باكستان، ونشاطه قبل تأسيس القاعدة:

يا خيل الله اركبي:

استيقظ العالم في صبيحة الرابع والعشرين من ديسمبر عام ١٩٧٩م على نبأ غزو الاتحاد السوفيتي لأفغانستان، فقامت الدنيا ولم تقعد، واشتعلت خطب الجمعة في كل بلاد المسلمين، وأُقيمت المحاضرات والمؤتمرات والمهرجانات، ووزعت المنشورات والمؤلفات والصحف وكل وسائل التعبير والدعاية في أوساط العالم الإسلامي والصحوة، تندد وتشجب وتروج للجهاد الأفغاني، وتنادي أن حيّ على الجهاد ويا خيل الله اركبي[١].

فبعد أن علم الشيخ أسامة بن لادن بالغزو السوفيتي لأفغانستان، سافر -رحمه الله- بعد أيامٍ قليلة -قبل نهاية عام ١٩٧٩م[٢]- في رحلة استطلاعية إلى باكستان بعد التنسيق مع الجماعة الإسلامية هناك، فسافر إلى لاهور، وذهب إلى أمير الجماعة الإسلامية، وسلمه مبلغاً من المال تبرعاً، وطلب منه أن يقوم بإيصاله لقادة المجاهدين، ووعده أمير الجماعة بذلك.

وكان أبرز قادة الجهاد الأفغاني في الساحة آنذاك هم حكمت يار وسيّاف ورباني، الذين لم تكن أسماؤهم غريبة على الشيخ أسامة، حيث أن بعضهم كان ممن يحضر إلى مضافة والده في الحج والمواسم. وحرص الشيخ أسامة أن يبقى أمر تلك الرحلة في البداية طي الكتمان، لأنه لم يكن يعلم توجه النظام السعودي آنذاك تجاه الحدث[٣].

يقول الشيخ أسامة بن لادن، رحمه الله:

"فمن باب الحديث بالنعمة التي منَّ الله سبحانه وتعالى علينا، وتحريضاً للمؤمنين على هذا الأمر العظيم، فمن فضله سبحانه وتعالى أنه في عام ١٣٩٩هـ، سمعنا أن الروس قد دخلوا إلى بلاد المسلمين في أفغانستان، وذهبت في تلك الفترة إلى باكستان من أجل نصرة إخواننا المسلمين في أفغانستان، واستمر ذهابي إلى باكستان إلى أن منَّ الله عليّ ودخلت أفغانستان"[٤] ا. هـ

وفي السنوات الأولى لغزو الروس حتى عام ١٩٨٤م، كان العرب الذين توجهوا إلى باكستان لدعم المجاهدين الأفغان آحاداً ربما لم يصل عددهم إلى عشرة أو عشرين، دخل قليلٌ منهم أفغانستان فعلياً للمشاركة في الجهاد، كما وصلها بعض آحاد المحسنين من المسلمين لتقديم بعض العون المادي للمجاهدين الأفغان خلال تلك الفترة[٥].

---

١) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

٢) هناك رواية أخرى للصحفي عصام دراز في كتابه "مأسدة الأنصار العرب" تقول أن الشيخ أسامة حضر إلى أفغانستان بعد سبعة عشر يوماً من الغزو.

٣) أســـد الإســـلام مجدد الزمان وقاهر الأمريكان لفارس الزهراني. بتصرّف

٤) مأسدة الأنصار لعصام دراز.

٥) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

وكان أول العرب -على سبيل المثال- الذين كان لهم شرف السبق في الجهاد في أفغانستان، هم: الشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد) حفظه الله -وكان أولهم حيث كان قدومه في بداية شهر يونيو عام ١٩٧٩م قبل الغزو السوفيتي بسبعة أشهرٍ بصحبة اثنين من أصدقائه هم أحمد المنياوي وإسماعيل- والشيخ أسامة بن لادن، والشيخ كمال السنانيري (زوج أمينة قطب أُخت سيد قطب).

وفي صيف عام ١٩٨٠م كان الشيخ أيمن الظواهري -حفظه الله- ضمن أول ثلاثة أطباء وصلوا بيشاور للعمل الإغاثي لمساعدة المجاهدين والمهاجرين الأفغان، وبقي هناك أربعة أشهر ثم عاد مرة أخرى في مارس عام ١٩٨١م، ومكث قرابة شهرين اضطر بعدها إلى العودة لمصر لترتيب أوضاعه، لكنه أعتقل فور وصوله، ولم يتمكن بعدها من العودة إلى ساحة الجهاد الأفغاني إلا في منتصف عام ١٩٨٦م.

كذلك كان من السابقين لساحة الجهاد في أفغانستان الشيخ عبد الله عزام، والشيخ الدكتور فضل (سيد إمام)، والشيخ أبو سياف الأردني (فتحي محمد حبيب)، والشيخ تميم العدناني، والشيخ أبو عبيدة البنشيري (علي أمين الرشيدي)، والشيخ أبو حفص الكمندان (صبحي عبد العزيز أبي ستة الجوهري)، والشيخ أبو معاذ المصري (المشهور بتأويل الرؤى)، والشيخ أحمد حسن أبي الخير المصري (عبد الله رجب)، وعبد الله جعفر الأردني، ووديع الحاج[1] (أبو عبد الله اللبناني)، وعصام الليبي، والشيخ أبو إبراهيم العراقي، والشيخ أبو أيوب العراقي وآخرون، رحم الله منهم الأموات، وحفظ من كان منهم على قيد الحياة.



الشيخ أبو الوليد المصري على اليمين، مع سياف أثناء جولته الأولى كرئيس للاتحاد الإسلامي عام ١٩٨٠م.



الشيخ كمال السنانيري – رحمه الله

وكان المجاهدون العرب -الذين أتوا للجهاد في أفغانستان في السنين الأولى قبل عام ١٩٨٤م- ينزلون ضيوفاً في مضافات أحزاب المجاهدين الأفغان المختلفة، ثم يلتحقون بمعسكرات التدريب التابعة لهم، ومن بعدها بجبهاتهم المنتشرة داخل أفغانستان، حيث لم تكن هناك أي بنية تحتية من معسكراتٍ أو مضافاتٍ أو جبهاتٍ خاصة بالعرب.

١) حالياً سجين في أمريكا منذ أكثر من عشرين سنة، حيث حُوكم بتهمة الانتماء لتنظيم القاعدة، وتفجير السفارات في نيروبي ودار السلام. نسأل الله الكريم أن يعجّل بفكاك أسره.

الجهاد الأفغاني؛ الفرصة الذهبية:

كانت قضية الجهاد الأفغاني آنذاك فرصةً ذهبية، ومنطقة تقاطع مصالح عالمية وإقليمية ندر أن يتكرر مثلها، فاجتمع الجميع على الاتحاد السوفيتي، وكان لكلٍ نيته وأهدافه، فاعتبرت الأنظمة العربية والإسلامية الاحتلال الروسي لأفغانستان فرصة مناسبة للتخلص من الجماعات الجهادية التي بدأت تهدد أنظمتها وشرعيتها، وأرادت أمريكا هزيمة الاتحاد السوفيتي والانتصار في الحرب الباردة بعد أن كال لها الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو ضرباتٍ موجعة في أكثر من مجال، فأوعزت إلى وكلائهم في البلاد العربية والإسلامية بأن يسمحوا للشباب المجاهدين بأن يتوجهوا إلى أفغانستان. كذلك سمحوا لأجهزة إعلام تلك البلاد في الترويج للجهاد الأفغاني، وفي أن تُفتي مؤسساتها الدينية بأن الجهاد فرض عينٍ في أفغانستان، وفي أن تترك المجال للدعاة والصالحين والأئمة أن يحرضوا ويشجعوا الشباب على الذهاب إلى هناك، حتى بلغ الأمر أن خفّضت شركة الطيران السعودية ثمن تذكرة الطائرة من بلاد الحرمين إلى باكستان بنسبة ٧٥% ليصبح أقل من تكلفة رحلة داخلية[١] لمن يريد الذهاب للجهاد في أفغانستان. كذلك أوعزت أمريكا لباكستان بأن تفتح سفاراتها لإعطاء إجازات الدخول (الفيزا) للشباب العربي والمسلم من كل مكان للذهاب عبر أراضيها إلى أفغانستان، وأن تسمح للعرب بحرية الحركة التي بلغت حد فتح المعسكرات على الأراضي الباكستانية قرب أفغانستان للتدريب وتقديم الخدمات اللوجستية للجهاد الأفغاني، فنجحت أمريكا في تلك الحرب الباردة، وحققت بكل جدارة تُحسد عليها ما أسماه الرئيس الأمريكي السابق نيكسون في كتابه الشهير "**نصر بلا حرب**"[٢].

لكن الحقيقة التي عمِيَ عنها نيكسون هي:

سَتُبْدِي لَكَ الأيَّامُ ما كُنْتَ جاهِلاً ... ويَأْتيكَ بِالأَخْبارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

فلو قُدّر لحُجُبِ الغيب أن تُكشف لأمريكا، وعلمت أن الجهاد الأفغاني سيَخرُج من رحمه يوماً من الأيام رجالٌ يمرّغون أنفها وكبريائها ورمز عزتها بالتراب، وتكون عملياتهم بفضل الله وحده سبباً في زفافها إلى مقبرة الإمبراطوريّات لما خاطرت آنذاك بالإيعاز إلى وكلائها في كل بلاد المسلمين العربية وغير العربية بإعطاء الضوء الأخضر للشباب المجاهدين بأن يتوجهوا إلى أفغانستان، لكن يمكرون ويمكر الله، ولا يحيق المكر السيئ إلّا بأهله، فقد أيقظوا المارد الإسلامي الذي كانوا يخشون قيامه.

يقول الشيخ عبد الله عزام -رحمه الله- في كتابه "الأسئلة والأجوبة الجهادية":

"واحد أمريكي اسمه (شخترمان) قدم تقريراً سياسياً للحكومة الأمريكية عن الجهاد الأفغاني قال فيه: "What We Have Done? We Have Awakened The Giant ..." نحن ماذا فعلنا؟ لقد أيقظنا العملاق. هنالك كتب الآن توزع في السوق الأمريكية على أن الجهاد الافغاني لن يقف عند حدود جيحون، سيحرك الشعوب الإسلامية، وسيقوِّض بنيان الاتحاد السوفياتي من داخله، وسيقتحم البرنس مرة ثانية ويدخل فرنسا، ويدخل النمسا، وستعودين يا أوروبّا

---

١) في كتابه "فرسان تحت راية النبي" يقول الشيخ الدكتور أيمن الظواهري: **"هذه التذاكر لم تكن من أمريكا، ولكنها كانت من أموال التبرعات الشعبية لأفغانستان، التي سيطر عليها آنذاك نظام آل سعود عبر هيئة الإغاثة الإسلامية، والهلال الأحمر السعودي، والهيئة الخيرية التي كانت تابعة لسلمان بن عبد العزيز"**.

٢) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف

تدفعين الجزية مرة ثانية للمسلمين، كما دفعتم خمسة قرون متتاليه للدولة العثمانية، وهنا تضطر أمريكا -هكذا يقول لهم هذا الرجل الكاتب- يقول لهم وعندها ستضطر أمريكا أن تخوض المعركة مع الإسلام، ليس في داخل أفغانستان ولافي داخل الحدود الإسلامية، بل في أواسط أوروبّا، وعندها تندم حيث لا ينفع الندم. نيكسون قال على التلفزيون الأمريكي: لقد حان الوقت أن نتناسى خلافاتنا مع روسيا لنقف أمام الزحف الإسلامي" ا.هـ

الفريضة الغائبة:

وبالرغم من تقاطع المصالح بين المجاهدين والأنظمة العربية والولايات المتحدة إلا أن أجندة الجهاديين كانت مختلفة تماماً، فقد رأت الحركات الجهادية أن أفغانستان توفر فرصةً مناسبةً للقيام بواجب الجهاد؛ "**الفريضة الغائبة**"، ومرحلةً مهمةً للإعداد والتدريب من أجل القيام بالانقضاض على الأنظمة الحاكمة في العالم العربي. كذلك أدرك الشيخ عبد الله عزام والشيخ أسامة بن لادن أن ساحة أفغانستان فرصة كبيرة يجب أن تستغل بأفضل ما يمكن أن تستغل به، فلأول مرة منذ زمن بعيد يُناقش أمر الجهاد في العلن، وفي صفحات الجرائد، وعلى شاشات التلفزة بعد أن كان نسياً منسياً، فأدراك الشيخان -رحمهما الله- أن هذا الضوء الأخضر العالمي لدعم الجهاد ضد الروس، والتسهيلات التي وافقت ذلك لن تدوم طويلاً، وستنتهي وتقمع بانتهاء المهمة المطلوبة منها. وبناءً على ذلك بدأ الشيخ عبد الله عزام -رحمه الله- يجوب الأرض من باكستان إلى أمريكا، محرضاً المسلمين على الجهاد[١].

وكانت عملية الدعاية الواسعة آنذاك التي غطى بها الشيخ عبد الله عزام الجهاد الأفغاني، شارحاً لهذا المصطلح الذي كاد أن يندثر في حياة المسلمين، ومجيباً لكل الأسئلة الفقهية المتعلقة به، ومفنّداً لكافة الشبهات الشرعية التي اعترضت طريق الجهاد في تلك الفترة عبر وسائله الإعلامية المختلفة -خاصة كتابيه "**آيات الرحمن في جهاد الأفغان**"، وكتاب "**الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان**" الذي ألفه عام ١٩٨٤م- بجانب الجولات الدعائية الهامة التي كان يقوم بها الشيخ أسامة بن لادن في بلاد الحرمين، قد أدت إلى استنفار المجاهدين العرب للقتال في أفغانستان، فتقاطروا بأعدادٍ كبيرةٍ ليصل عددهم عدة آلاف، كان أكثرهم من بلاد الحرمين واليمن ومصر[٢].

وكان الشيخ عبد الله عزام يقول:

"أريد أن يأتي من كل بلدٍ عربي ولو أربعين مجاهداً، فيستشهد نصفهم، ويعود نصفهم إلى بلاده ليحمل دعوة الجهاد".

ولقد حصل له -رحمه الله- أكثر مما أشتهى، فقد حضر إلى أفغانستان أكثر من أربعين ألف شاب عربي ومسلم غير أفغاني، وتدرب عسكرياً أكثر من نصفهم، وشارك في القتال أكثر من نصف الذين تدربوا، ولم يتجاوز عدد الشهداء ما يزيد عن نسبة زكاة المال ٢,٥%، فقد كانوا خلال ثماني سنوات زهاء ألف شهيد رحمهم الله تعالى[٣].

---

١) من أرشيف مجموع مقالات الأستاذ عبد الله بن محمد. بتصرّف.

٢) من دعوة المقومة الإسلامية العالمية. بتصرف.

٣) المصدر السابق.

دخول الشيخ أسامة أفغانستان أول مرة:

كان تردد الشيخ أسامة على الجماعة الإسلامية في لاهور، وعلى الشيخ عبد الله عزام في إسلام أباد -لتسليم التبرعات- دورياً وحثيثاً ومتواصلاً منذ اليوم الأول الذي سافر فيه حتى الربع الأول من عام ١٩٨٤م. وحتى ذلك التاريخ، كان الشيخ أسامة متهيباً من الدخول إلى أفغانستان، نظراً لأن نظام آل سعود -بسبب قرب أسرته منهم- كان قد طلب منه رسمياً ألّا يدخل إلى أفغانستان، ويبقى عند المهاجرين في بشاور، لأن الروس لو مسكوه أو أسروه سيكون ذلك دليلًا عليهم أنهم يدعمون المجاهدين ضد الاتحاد السوفيتي، لكن بعد أربع سنوات، وبتشجيعٍ من الشيخ عبد الله عزام، لم يبالِ الشيخ أسامة بذلك المنع، فكانت زيارته الأولى إلى جاجي في رجب ١٤٠٤هـ (ابريل ١٩٨٤م)، وحضر وقتها غارة جوية عنيفة أسفرت عن سقوط طائرات ادعى سيّاف -وكان موجوداً حينها، وكان آنذاك يرأس الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان- أنها أربع طائرات من بينها واحدة هيلوكوبتر. وعندما تطوف ذكريات تلك الأيام في ذاكرة الشيخ أسامة، يستعرضها بمرارةٍ كبيرةٍ ويقول:

"حتى عام ١٤٠٤هـ، ظل التهيب من المشاركة الجسدية ماثلاً دائماً أمام عيني، والأعذار كثيرة في هذا للمثبطين، وإن كان تثبيطهم بحسن ظن، حيث أنهم ألفوا هذا الجو في العالم الإسلامي، وعلى هذا الحال استمرينا للأسف، وأقول للأسف الشديد إلى رجب عام ١٤٠٤هـ، حيث دخلنا لأول مرة معسكرات القتال والجهاد في الداخل"[١] ا.هـ

جدير بالذكر أنه قبل ذلك التاريخ بعامٍ وأكثر، كانت هناك مجموعات عربية تقاتل في أفغانستان، ومن أشهرها مجموعة خوست التي ضمت كلاً من الشيخ أبي الوليد المصري -حفظه الله- وعبد الرحمن المصري رحمه الله، وأبي حفص الكمندان رحمه الله، وأحمد حسن أبي الخير المصري رحمه الله، وصخري رحمه الله، ووديع الحاج اللبناني فكّ الله أسره[٢].

وكان الشيخ أسامة -رحمه الله- قد تأثر تأثراً عظيماً بما رآه من حال الأفغان، وضعف امكاناتهم، وشدة وجبروت عدوهم، وتبين له عدم كفاية وسائل الوقاية من الغارات خاصة الخنادق والأنفاق، ثم طرق التحرك والإمداد. كذلك من خلال رحلته نحو قلعة تشاوني تبين للشيخ أسامة قلة الذخائر بشكل ملفت، وبعد مقابلته لوفد قادم من ولاية أخرى داخلية تبين للشيخ أيضاً أن نقص الذخائر أكثر فداحةً هناك. أيضاً تبين له أن الأموال لاتصل إلى مكانها الصحيح، وإذا أضفنا إلى ذلك نقص الطعام والملابس وكل شيء ذي أهمية للعمل الجهادي شعر الشيخ أسامة بالذنب وبخطأ طريقته القديمة في ضخ الأموال بدون متابعة وصولها إلى أهدافها المنشودة لخدمة الجهاد والمجاهدين. فقال واصفاً ذلك الحال:

"فوجئت بالوضع متدنياً جداً جداً من ناحية الإمكانيات وفي جميع الأشياء، الأسلحة والطرق والخنادق، واستغفرت الله سبحانه وتعالى العلي العظيم، وشعرت أنني أذنبت بسبب سماعي لبعض الإخوة والمشايخ والأحباب، فلم أدخل إلى الداخل خشية أن يسبب ذلك حرجاً أمنياً، وشعرت أن هذا التأخير لأربع سنوات لا تكفره إلا شهادةً في سبيل الله"[٣] ا.هـ

---

١) معارك البوّابة الصخرية للشيخ أبي الوليد المصري (مصطفي حامد). بتصرّف.

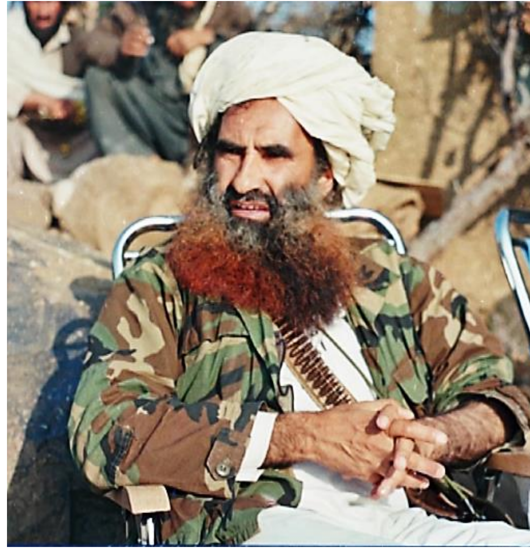
٢) نقلاً عن الشيخ سيف العدل حفظه الله.

٣) معارك البوّابة الصخرية للشيخ أبي الوليد المصري (مصطفي حامد). بتصرّف.

فكرة تأسيس مكتب الخدمات:

كانت المساعدات النقدية والعينية لقضية أفغانستان التي جاد بها المحسنون من العالم الإسلامي وعلى رأسهم الشيخ أسامة، والتي قدمتها بعض الدول وعلى رأسها دول الخليج، تقدر بمئات الملايين من الدولارات، تصبُّ كلها في خزينة الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان الذي يرأسه عبد رب الرسول سياف، وكان حينها يمثل الأمير الشرعي للجهاد الأفغاني. وكانت هناك شكوك كثيرة -تكشّفت فيما بعد- تدور حول نزاهة وأمانة وفساد هذا الرجل بالنسبة لوصول المساعدات إلى مستحقيها بحق؛ وهم المجاهدون في داخل أفغانستان.

وكان الشيخ جلال الدين حقاني -رحمه الله- قد جاء بمشروعٍ مكتوب، عرضه على الشيخين عبد الله عزام وأسامة بن لادن في موسم حج ١٤٠٤هـ (سبتمبر ١٩٨٤م)، يضمن وصول المساعدات، وتقديم الخدمات بواسطة الإخوة العرب؛ من خلال دخولهم الجبهات، ودراسة الأوضاع على الأرض، ثم تقديم المساعدات حسب الاحتياجات الميدانية مباشرة إلى المجاهدين، بدون المرور على قيادات بيشاور التي عجت بالفساد، والتدخل الأجنبي، والتنافس على الزعامة، وأصبحت عقبة ومانع لوحدة المجاهدين في الداخل[١].



الشيخ جلال الدين حقاني – رحمه الله

وافق الشيخان عبد الله عزام وأسامة بن لادن على المشروع وتحمّسا له، ولكن بغطاءٍ شرعيٍ عبر سياف الذي كان موجوداً أيضاً في مكة. فهم سياف مغزى المشروع وأنه يستهدف مكانته المهيمنةَ على الساحة الأفغانية، لكنه أسرع إلى احتوائه بجعله تحت إشرافه، على أن يكون تحت لافتة "الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان" الذي يرأسه. ولتفعيل هذا المشروع سرعان ما تأسس مكتب الخدمات بعد الحج مباشرة، وأصبح هو المستودع الأكبر لتبرعات المسلمين للجهاد في أفغانستان، وخاصة التبرعات القادمة من بلاد الحرمين ودول الخليج. وكان الشيخ أسامة قد تكفل سكناً وتذكرةً ومصروفاً وأسرةً لكل عربي يرغب في التفرغ للعمل في مكتب الخدمات، منذ خروجه من بلده وحتى يعود إليها[٢].

١) صليب في سماء قندهار. للشيخ أبي الوليد المصري (مصطفى حامد) بتصرف.

٢) المصدر السابق. بتصرف.

وكان المشرف على مكتب الخدمات هو الشيخ عبد الله عزام رحمه الله، وتشكلت إدارة المكتب من عدة لجان هي اللجنة العسكرية، واللجنة الإدارية، ولجنة التدريب، ولجنة الترحيل (وهي خاصة بترحيل القوافل إلى داخل الأراضي الأفغانية). أيضاً انبثقت من مكتب الخدمات باقي أنشطته التي كان من أهمها تأسيس معسكر التدريب في صدى، وتأسيس مجلة الجهاد، ثم قيام الشيخ عبد الله عزّام بأسفارٍ ورحلاتٍ دعائية ألقى خلالها عشرات الخطب في دول عديدة من أجل الحشد للجهاد الأفغاني، وحث الشباب على الرحيل إليه، والاستفادة منه، وأداء فريضة الجهاد. وكان باكورة كتبه **"آيات الرحمن في جهاد الأفغان"**، ثم كتاب **"الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان"** الذي أفتى فيه بفرضية العين على جميع المسلمين من غير ذوي الأعذار للذهاب للجهاد في أفغانستان[١].

وتأييداً لتلك الفتوى استطاع الشيخ عبد الله عزام الحصول على أكثر من ثمانين توقيعاً من كبار العلماء والدعاة في العالم الإسلامي، وعلى رأسهم كبار علماء بلاد الحرمين، منهم الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، وكذلك من بعض مشايخ الأزهر، وبعض الكبار من علماء ودعاة الإخوان المسلمين من أقطار عديدة، وكذلك من بعض علماء الباكستان وسواهم، وقد لعب هذا الكتاب وتلك الفتوى دوراً مهماً في عملية التحريض[٢].



شيخ المجاهدين عبد الله عزام – رحمه الله

بدايةً استوعب مكتب الخدمات للعمل كل الإخوة العرب الثلاثين المقيمين في بيشاور. وكان مفهوم الشيخ عبد الله عزام الذي دافع عنه بكل ما يملك من قوة عن دور العرب الذين يعملون في مكتب الخدمات هو دعوة الأفغان وتثقيفهم إسلامياً، وإصلاح ذات البين في حال ظهور منازعات في الجبهات

١) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

٢) المصدر السابق. بتصرّف.

بين أتباع المنظمات الأفغانية، ورفع الروح المعنوية للأفغان بالتواجد الميداني معهم، ومشاركتهم قتالياً بما تيسر. وكان يرى أن الأفغان أقدر على القتال في بلادهم من العرب، وأنهم ليسوا في حاجة إلى رجالٍ للقتال[١].

ميدانياً كان نشاط مكتب الخدمات يتمثل في "مشروع الترحيل"، أي نقل كل ما يحتاج له المجاهدون من دعم لوجستي من مهامٍ وعتادٍ عسكريٍ وتموينٍ إلى مراكزهم داخل أفغانستان في قوافل من البغال عبر المسالك الجبلية. وكانت كميات ضخمة من الأسلحة والذخائر مكدسةً في منافذ التهريب الحدودي بدعوى أن الأحزاب لم تُسلِّم لأصحابها أجرة النقل، وهي تكاليف باهظة تصدى لها مكتب الخدمات لحل المشكلة، حيث أقام مراكز في تلك المناطق لوزن الشحنات، ودفع أجرة النقل لأصحاب الدواب، وكثيراً ما كان يرافق القوافل عدد من الشباب العربي، للإشراف على توزيع معونات المكتب داخل الجبهات[٢].



قافلة من البغال تنقل المؤن والعتاد العسكري لداخل أفغانستان

وكان الشيخ أسامة -رحمه الله- ينفق شهرياً حوالي نصف مليون روبية باكستانية لمصاريف المكتب فقط، أي حوالي خمسة وعشرين ألف دولار أمريكي. يقول الشيخ الإمام عبد الله عزام -رحمه الله- في وصيّته وهو يتحدث عن مكتب الخدمات:

"وأدعو كثيراً لمن تكفل هذا المكتب بماله الخاص، وهو الأخ أبو عبد الله أسامة بن محمد بن لادن، أدعو الله أن يبارك له في أهله وفي ماله، ونرجو الله أن يكثّر من أمثاله، والله أشهد أني لم أجد له نظيراً في العالم الإسلامي، فنرجو الله أن يحفظ له دينه وماله، وأن يبارك له في حياته"[٣].

كانت فكرة مكتب الخدمات خطوة استراتيجية كبيرة، لكن كان عيبها الأساسي هو عدم اهتمامها بدورٍ قتاليٍ للعرب، فالشيخ عبد الله عزام لم يلتفت إلى ذلك الجانب، الأمر الذي سبب له مشاكل في المكتب تجلت في الصراعات الوظيفية، والتناحر والتنافس على الامتيازات. وأصبح المجاهد العربي -إضافةً إلى

١) معارك البوّابة الصخرية. للشيخ أبي الوليد (مصطفى حامد) بتصرّف.
٢) معارك البوّابة الصخرية. للشيخ أبي الوليد (مصطفى حامد) بتصرّف.
٣) أُسامَةُ بن لادِنْ مُجددُ الزمانِ وقَاهرُ الأمْريكَانِ تأليف أبي جندل الأزدي

حالة الفوضى والعجز الاداري في المكتب- تائهاً بين كونه صحفياً غير مؤهل، وبين كونه موظفاً في هيئة إغاثة يجمع المعلومات عن الجبهات واحتياجاتها، وبين كونه فاعل خير يُصلح بين المجاهدين الأفغان والكومندانات، ويُنشئ لهم معسكرات لإصلاح ذات البين وإماتة الحزبية، كما أدى ذلك أيضاً إلى انفصال الشيخ أسامة فيما بعد، حينما شرع في خوض العمل القتالي بنفسه بعد ذلك بأكثر من عام[١].

جدير بالذكر أنّ الشيخ عبد الله عزام -بعد نجاح الشيخ أسامة في معركة جاجي وهزيمة الكوماندُز الروس- اقتنع بجدوى ما ذهب إليه الشيخ أسامة بضرورة ممارسة العرب للدور القتالي، واتفقوا معاً -رحمهما الله- على الجمع بين الدعم الخدماتي والعسكري للجهاد الأفغاني. وفي كتابه "التآمر العالمي" الذي ألّفه الشيخ عبد الله عزّام عام ١٩٨٩م، أي قبل مقتله -رحمه الله- بفترة وجيزة، يقول فيه: **"ليست مهمتنا في أفغانستان؛ هي فقط تقديم المساعدات، مهمتنا في أفغانستان إقامة دين الله في الأرض الذي فرضه علينا رب العالمين من فوق سبع سموات، ليست مهمتنا مهمة جمعية خيرية، ليست مهمتنا تحليلات سياسية. نحن جنودٌ أمرنا رب العالمين أن نكون جنداً لهذا الدين وفي أي بقعة من بقاع الأرض، من أراد أن يواصل مسيرته معنا فحي هلا وعلى الرأس والعينين، وسنحتمل أخطاء المخلصين الذين نظنهم مخلصين، وأما غيرهم فيتكفل بهم ربّ العالمين..."**.

وفيما تبقى من عام ١٩٨٤م وطوال عام ١٩٨٥م لم يكن الشيخ أسامة قد ألقى ثقله المباشر على الساحة الأفغانية، وربما علل ذلك بأن مكتب الخدمات، ونشاط الشيخ عبد الله عزام يكفيان للهدف المنشود، وهو إيصال الإمدادات العربية إلى المجاهد الأفغاني داخل الجبهات[٢].

تأسيس بيت الأنصار في بيشاور عام ١٩٨٥م[٣]:

وكان مكتب الخدمات قد أسس بيتين كمضافاتٍ للمجاهدين العرب في بيشاور، وسمي هذين البيتين باسم أول شهيدين عربيين في أفغانستان، وهما "أبو حمزة وأبو عثمان" الفلسطينيان رحمهما الله، ثم ما لبث بيت أبي حمزة أن أُغلق بعد فترة وجيزة، وبقي بيت أبي عثمان، ثم جاء رجلٌ من الجزيرة اسمه فيصل ثنيّان أراد شق الصف لحساب جهات أخرى، فقام بتأسيس بيت آخر في بيشاور، جمع فيه ما هب ودب من الروّاد، وأصبح يتردد عليه أناس قد تسرب التثاقل إلى نفوسهم، وخارت هممهم، وأخذ الشيطان يعزز فيهم دوافع التثبيط التي تشرّبتها نفوسهم، ولم تكن افكارهم منسجمة مع توجهات المجاهدين وطموحاتهم، فاجتمع حينها شمل المجاهدين العرب بقادتهم الشيخ عبد الله عزام، والشيخ أسامة، وأبو الحسن المدني (وائل جليدان)، واتفق الثلاثة على استئجار وتمويل بيت واسع عام لكل المجاهدين، وسمّوا ذلك البيت "**بيت الأنصار**".

كان البيت كبيراً ومتعدد المرافق، ذو ساحاتٍ واسعة، وأُوكلت مهمة إدارته للشيخ عبد الله عزام، فوضع الشيخ عبد الله في إدارته خيرة الإخوة، وهم الشيخ أبو هاجر العراقي[٤] (ممدوح محمود سالم) فك

---

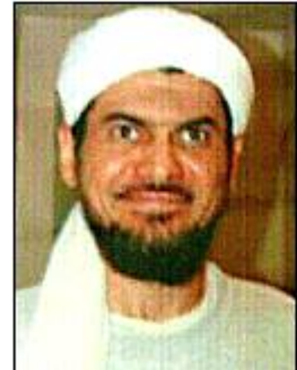
١) معارك البوّابة الصخرية للشيخ أبي الوليد المصري (مصطفى حامد). بتصرّف.

٢) معارك البوّابة الصخرية للشيخ أبي الوليد المصري (مصطفى حامد). بتصرّف.

٣) محتوى هذا العنوان كاملاً من كتاب "فرسان الفريضة الغائبة الزرقاوي والجهاد الأفغاني"، لصالح الهامي. بتصرّف.

٤) الشيخ أبو هاجر العراقي، أحد مشايخ الجهاد الأفغاني الأول ورموزه البارزين. أكمل دراسته الجامعية مرتين، حيث تخرّج في المرة الأولى من كلية الهندسة الالكترونية، وفي المرة الثانية تخرّج من كلّية الشريعة. نفر مبكّراً إلى أفغانستان عام ١٩٨٥م، وكان من المقرّبين جداً للشيخين عبد الله عزام وأسامة بن لادن رحمهما الله. وكان حافظاً لكتاب الله حفظاً محكماً، وفي رمضان كان يؤمّ المصلّين في مسجد الهلال الكويتي ببيشاور، حيث حباه الله بصوت ندي كأنه مزمار من مزامير داوود عليه

الله أسره، وأبو روضة السوري رحمه الله، وعبد الله جعفر "خالد محمود عبد الوهاب الاسمر" الأردني، وأبو سليم السوري، وأبو عبد الله اللبناني (وديع الحاج)، فك الله أسره.



الشيخ أبو هاجر العراقي
فكّ الله أسره



الأخ أبو عبد الله اللبناني
فكّ الله أسره



الشيخ عبد الله جعفر
حفظه الله



بيت الأنصار في بشاور

وكان المجاهدون العرب من مختلف جبهات أفغانستان يجمعهم بيت الانصار، يلتقون في استراحة المجاهدين مع أحبتهم الجرحى، ويتواصلون فيما بينهم، ويتواعدون على اللقاء في الجبهات. وكانت المشاعر جياشة، يفيض في القلوب الإيمان، فكانت اهتماماتهم جهادية، وأفكارهم عليّة، وتصوراتهم

السلام. هاجر الشيخ أبو هاجر مع الشيخ أسامة إلى السودان، وكان أحد أعضاء مجلس شوراه. وعندما أُبعد الشيخ أسامة من السودان آثر البقاء هناك، حيث كانت له أعمال تجاريّة خاصّة به. وعقب تفجير سفارتي نيروبي ودار السلام كان في رحلة عمل تجارية إلى ألمانيا، وهناك تمّ أسره في سبتمبر ١٩٩٨م بناءً على طلب من الأمريكيين، ثمّ سُلّم لهم في ديسمبر ١٩٩٨م، وهناك حُوكم عام ٢٠٠٠م بالسجن المؤبّد بتهمة الانتماء لتنظيم القاعدة. حالياً أسير في سجن ADX Florence الواقع في ولاية كولورادو بأمريكا. جديرٌ بالذكر أن أحد حراس السجن كان قد استهزأ بالقرآن أثناء صلاته، فما كان من الشيخ أبي هاجر إلّا أن طعنه في عينه بمشط حاد مما سبب له أذىً جسيماً، وعلى إثر هذه الحادثة حُوكم الشيخ أبو هاجر مرةً أخرى وحُكم عليه في أغسطس ٢٠١٠م بالسجن مدى الحياة، نسأل الله القوي العزيز أن يعجّل بفكاك أسره.

مستقبلية، هممهم تناطح السحاب، يرومون نصرة رب الأرباب في الدفاع عن حرمات الدين وبلاد المسلمين، يتسامر المجاهدون بحديث الشهداء والجبهات، ويتواصون فيما بينهم على طاعة الله ورسوله ولقائهم في الجنة، وكم من مرة تصاحب مجاهدان في بيت الأنصار، فكان فراقهما بالشهادة، وكم من مرة تواعد مجاهدان ثم لم يلتقيا لأجل الجهاد، فقد كان بيت الأنصار ذكرى الراحلين الى الخلود، وموطئ أقدام أفذاذ الرجال والأسود، الذين كانوا يبحثون عن الموت مظانه، لا تراهم يسمعون عن جبهةٍ ساخنةٍ الا ولّوا شطرها لا يلوون على شيء، حتى أذا ما انتهت عادوا لينطلقوا إلى جبهةٍ أخرى، وهكذا دواليك، أمنيتهم طلب الشهادة، وتحقيق رضا الله بعملهم. فكان بيت الأنصار محطة انطلاقة المجاهدين، وزادهم ومدرستهم الإيمانية، ينهلون منه دروس الإيمان والجهاد ليخوضوا غمار الحروب على بصيرة الشيخ عبد الله عزام، والشيخ تميم العدناني، والشيخ أسامة بن لادن رحمهم الله جميعاً. وبقي المجاهدون على هذا الحال مدة طويلة يتفيؤون فيها ظلال النفحات المباركة، ويعملون بروح الفريق الواحد.

وبعد سنين من إدارة مجموعة الشيخ عبد الله عزام لبيت الأنصار تغيرت ادارة البيت واستلمها بعض الشباب من الجزيرة العربية. وكانت أعداد المجاهدين آنذاك قد بدأت في تزايد خاصة من دول الخليج واليمن، واقترب المجاهدون من بعضهم البعض، وأصبحوا يتجمعون حول جنسياتهم.

وكانت ساحة بيشاور أيضاً تعج بتناقضات فكرية وسياسية، وكانت هناك قضايا ومسائل خلافية أصبحت تُناقش وتُؤصّل تأصيلاً علمياً وشرعياً حسب تصورات بعض المجاهدين، وأدى ذلك إلى وجود حساسيات بين بعضهم البعض، ولم يكن هذا الوضع مقبولاً عند ادارة بيت الأنصار الجديدة، فقد كان النقاش حول بعض المسائل يُمنع الخوض فيه حفاظاً على ذات البين بين المجاهدين المنتسبين للبيت، وأدى ذلك الأمر إلى أن تسير الأمور نحو الاتجاه العنصري والعرقي، مما حدا ببعضهم إلى البحث عن مصادر تمويل أخرى لبيوتهم من محبي الجهاد، ومعارفهم في بلادهم، وساهم هذا الأمر في تعدد بيوت المجاهدين العرب حسب جنسياتهم، فأصبح للمجاهدين بيوتٍ كثيرة. فمثلاً كان هناك بيت للجزائريين، وبيتان لليبيين، وبيت للعراقيين، وبيت للسودانيين، وبيتان لليمنيين وغيرهم، اضافةً الى بيت الشهداء التابع لمجاهدي أهل الشام، الذي تأسس بدون علم الشيخ عبد الله عزام رحمه الله.

قرار الشيخ أسامة الإقامة في ساحة أفغانستان:

وبعد أن كثرت عليه الشكاوى من أداء مكتب الخدمات، بات الشيخ أسامة على قناعة كافية بأن أسلوب المساعدات الماضية التي لا تكاد تبلغ الجبهات غير صحيح، فقرر في بدايات عام ١٩٨٦م أن تكون إقامته دائمة، ليعمل بنفسه ميدانياً لسد الثغرات القائمة. كذلك قرر الشيخ أسامة -إضافةً إلى دفع الأموال والتبرعات- أن يطور دعمه للجهاد الأفغاني، وذلك بالتوسع في تنظيم العملية الجهادية القتالية، فقرر أن تكون له معسكراته وخطوط إمداده، وأن يقوم -بحكم خبرته المتخصصة وتجربته في حفر أنفاق مكة الشهيرة- بمشاريع تنفع المجاهدين، وذلك بإنشاء الطرق في الجبال، وحفر الأنفاق والمخابئ الهائلة لحماية المجاهدين الأفغان من القصف الجوي.

وكانت هذه المشروعات بالتنسيق مع أشقائه في مؤسسة بن لادن الضخمة، الذين ساعدوه مساعدة فعّالة بإرسال معدات الحفر والشاحنات والبلدوزرات الضخمة ومولدات الكهرباء إلى داخل أفغانستان، وعن ذلك يقول الشيخ أسامة رحمه الله:



"ازدادت قناعتي بعدما رجعت من زيارة أفغانستان بأهمية الطرق والأنفاق للمجاهدين هناك، الطرق نظراً لقلتها وضيقها إن وجد منها شيء، والأنفاق حتى يضع المجاهدون أسلحتهم ومستشفياتهم وأماكن راحتهم في الجبال بعيداً عن قصف الطيران. ولكن وبكل أسف، لم أبدأ الفكرة حتى عارضني الكثير من الناس، وأقصد هنا بالناس الطيبين المحبين للجهاد والإسلام، وذلك لشدة الهالات الملقاة على عقول المسلمين عن الكفار الروس والأمريكان، أنهم قوى عظمى، وأنهم لا يُقهرون، وأن لديهم الأجهزة والاستخبارات وما شابه ذلك، وأكثرها مضخّم كثيراً عن حقيقته، ولو آمن الإنسان بهذا التضخيم لما تحرك، فقيل لي أولاً: كيف ستخرجها من المملكة؟ ثانياً: كيف ستدخلها إلى باكستان وبأي صفة؟ ثالثاً: المنطقة التي ستعمل فيها (جاجي)، المشهور أن فيها عدداً من غير الموالين للمجاهدين، الذين ينقلون الأسرار للأعداء، وأنت لا تحمل دراجة عادية، هذه الآليات أشبه بالمدرعة، فأول ما تدخل ستأتي الطائرات وتضربها. قلت: والله إذا حدث هذا، فقد أعذرنا إلى الله سبحانه وتعالي، ومن فضل الله، يسّر سبحانه وتعالى هذا الأمر كله، من خروجها إلى دخولها، وحتى وصولها إلى هنا، أدخلناها باسم المجاهدين عن طريق الهلال الأحمر السعودي"[١] ا.هـ

وبالفعل بدأ الشيخ أسامة العمل بنفسه في شق الطرق، وحفر الخنادق والكهوف، وكان قد اختار مجموعة لتدريبهم على هذه الأعمال، وكان ذلك في شهر أغسطس عام ١٩٨٦م، واختاروا موقعاً لهم في منطقة جاجي أطلقوا عليه العرين، وكانت تلك هي البداية.



الشيخ أسامة على البلدوزر يعمل بنفسه في عملية شق الطرق في جبال أفغانستان

١) طلقة في سبيل الله للشيخ أبي الوليد المصري (مصطفي حامد). بتصرّف.

قصة مأســـدة الأنصـــار[1]:

وفي حديثٍ طويلٍ أجراه معه الصحفي عصام دراز في أفغانستان وفي جدة، يروي الشيخ أسامة -رحمه الله- قصة النواة الأولى لتنظيم القاعدة؛ مأســـدة الأنصـــار، فقال رحمه الله:

"الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فمن باب الحديث بالنعمة التي منَّ الله سبحانه وتعالى علينا، وتحريضاً للمؤمنين على هذا الأمر العظيم، فمن فضله سبحانه وتعالى أنه في عام ١٣٩٩هـ سمعنا أن الروس قد دخلوا إلى بلاد المسلمين في أفغانستان، فذهبت في تلك الفترة إلى باكستان من أجل نصرة إخواننا المسلمين في أفغانستان، واستمر ذهابي إلى باكستان إلى أن منَّ الله عليّ ودخلت أفغانستان، وكان وضع المجاهدين ضعيفاً في العدد والعدة، خاصة مستلزمات القتال، وشعرت بأننا مقصرون في حق إخواننا الأفغان إذا لم نقم بكامل واجبنا نحوهم، وإن أفضل ما يكفر عن هذا التقصير، أن يُقتل الفرد وهو يجاهد في سبيل الله"

وعن بداية تكوين المأسدة يقول الشيخ أسامة رحمه الله:

"لاحظت اهتمام الأفغان وسرورهم بوجود العرب بينهم، وكان الوجود العربي يزيد الأفغان قوةً وإيماناً، وترتفع معنوياتهم ارتفاعاً كبيراً، وكان من شدة محبة الأفغان للعرب أنهم كانوا يعاملونهم كضيوف، فلم يكلفوا العرب بأي مهام عسكرية وقتالية، وكان الشباب العربي يتأذى من ذلك لأنهم يريدون العمل كمجاهدين، ولهذا فكرت في إنشاء مكان لاستقبال الإخوة العرب لإعدادهم للقتال، واستأذنت من أمير الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان عام ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م) في إنشاء معسكر (صدى) في منطقة قريبة من الحدود حتى يتدرب الإخوة، وقد بلغ عدد الإخوة الذين انضموا للمعسكر في ذلك الوقت حوالي مائة أخ، وكان هذا العدد قليل؛ لأن الشباب العربي تربى في بلاده على حياة بعيدة عن العزة الحقيقية بالجهاد والذود عن الدين، وكان كثيرٌ من الشباب يعتبر الجهاد نافلة من النوافل وأمر مندوب.

كان ذلك في الصيف، وعندما انتهى الصيف وبدأت الدراسة إذ بأكثر الإخوة الذين كانوا معنا انصرفوا عائدين إلى أوطانهم يراجعون دراستهم رغم أن الذين حضروا من خير الإخوة، ولم يبق إلا عدد قليل جداً دون العشرة أفراد، فمنَّ الله علينا فأنشأنا معسكراً في منطقة جاجي داخل أفغانستان وذلك للتدريب، وكنا ندرب أنفسنا بالخبرات الموجودة لدينا، واستمر الحال على ذلك وكنا حوالي خمسين فرداً، وتكرر ما حدث في السابق، فمع الشتاء انصرف معظم الموجودين، فلم يكن هناك وعي كامل بأهمية نصرة هذا الدين، وضرورة قتال الكفار حتى يكون الدين كله لله. بعد ذلك منَّ الله علينا في أواخر عام ١٤٠٦هـ، وأوائل عام ١٤٠٧هـ (سبتمبر ١٩٨٦م)، أن عزمنا على البقاء في منطقة جاجي داخل أفغانستان، حتى لو كنا عدداً قليلاً، وكنا في ذلك الوقت أحد عشر شخصاً، معظمنا من المدينة المنورة، مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام، أذكر شفيق بن إبراهيم المدني رحمه الله، وطالب عبد العزيز النجار (أبو قتيبة)

---

[1] القصة مقتبسة من كتاب مأسدة الأنصار لعصام دراز. بتصرف طفيف.

السوري الحموي المدني، وأخونا أسامة بن ملا حيدر المدني المعروف بـ (أسامة أزمراي)[1]، وأخونا أبو معاذ السعدي مقيم في المدينة وفلسطيني الأصل، وأخونا أبو رجاء حسان الأنصاري من المدينة أيضاً، وأخونا عبده أحمد حمود عثمان المخلافي، وأخونا علي السوداني، وأخونا محمد بن عبد السلام المعروف بأبي أنيس، وأخونا أحمد حسين بخشي من سكان المدينة المنورة.

كنا أحد عشر أخاً، وكنا نعمل في شق الطرق وإنشاء الأنفاق في بطن الجبال وكذلك المخابئ، وذلك لحماية المجاهدين الأفغان، ولكننا كلفنا شفيق -رحمه الله- وأسامة حيدر لمتابعة الأمور العسكرية في المنطقة، ومما هو جدير بالذكر أن كل هؤلاء الإخوة كانوا في حدود العشرين من العمر، أكرمهم الله، كانوا قد تركوا دراستهم، وحضروا للجهاد في سبيل الله. واستمر الحال في العمل، وأخبرنا شفيق وأسامة حيدر بعد قيامهم بالاستطلاع أن هناك جبل مشرف على مواقع العدو، ويكشف حصن تشاوني الذي يسيطر على المنطقة، ويتحصن به الشيوعيون، ويتحكم في الوادي الذي يعبر الحدود إلى باكستان، وهو خال من المجاهدين. فزرت هذه المنطقة فوجدت أنها فعلاً منطقة خطيرة وحساسة جداً، فسألت عن سبب عدم وجود مجاهدين في هذه المنطقة رغم أهميتها، فقيل لي إن الشتاء والثلوج تقطع الطرق، ويتوقف الإمداد لكثرة القصف على تلك المنطقة. وكان في نيتنا أن يكون لنا مركز خاص بالعرب ضمن المراكز التي نقوم بإنشائها، ولهذا قررنا إنشاء مركز للعرب في هذه المنطقة التي اخترناها، وأطلقنا عليها اسم "مـأسـدة الأنـصـار".

وكان الشتاء على الأبواب وهو شتاء بارد، والثلوج تمنع الحركة تماماً، وقد سأل الشيخ أسامة عن قادة المنطقة للتنسيق معهم، واتصل بقائد معروف اسمه عبد السميع، وهو قائد معروف في المنطقة كان يحتل موقعاً قريباً من العدو في المنتصف تقريباً. اقترح الشيخ على القائد الأفغاني عبد السميع ألا ينسحب في الشتاء ويبقى مكانه، وسوف يتم إنشاء ملاجئ تحميه من الثلوج، إلا أن القائد الأفغاني رفض لأن الثلوج تمنع وصول الحياة وباقي الإمدادات، وعرض عليه الشيخ أسامة أن يمده بالماء وكافة الإمدادات بشرط ألا يترك المنطقة في الشتاء، وبناء على ذلك قام الشيخ أسامة في نصب أول خيمة في مأسدة الأنصار، وكان ذلك يوم ٢٤ أكتوبر عام ١٩٨٦م (٢٠ صفر ١٤٠٧هـ). وكان هذا التاريخ هو تاريخ شراء أول قطعة سلاح من أسواق باكستان، وهو رشاش جرينوف حمله الأخ أزمراي، وهو يعتبر أول يوم في إنشاء مأسدة الأنصار.

لم يبق إلا ثلاثة إخوة عندما بدأنا العمل؛ الأخ شفيق، والأخ أسامة ملا حيدر (أزمراي) فكّ الله أسره، وأنا، أما باقي الإخوة فكانوا إما في إجازة أو في أشغال أخرى، وكنا في ذلك الوقت في حاجة ماسة لأي أخ يأتي معنا نظراً لوحشة المنطقة، وبُعدها من المجاهدين الأفغان وقُربها من العدو، ولا يمكن أن يتيسر لثلاثة فقط العمل والحراسة في نفس الوقت.

حاول أحد الإخوة أن يثنينا عن العمل وكان في زيارة لنا، فحاول مع الأخ شفيق وأسامة، ولكن منَّ الله علينا بأخين آخرين كانا متوجهين إلى جبهة أخرى داخل أفغانستان، وكان أحدهم

---

١) حالياً أسير في سجون أمريكا، فقد كان من المشاركين مع رمزي يوسف في مخطط البوجينكا، وأسر في ماليزيا في ديسمبر ١٩٩٥م، وسلّم بعدها إلى أمريكا.

اسمه أبو الذهب، مصري من أصل سوداني، فقبل أن يذهب حضر إليَّ وقال: إننا نحب أن نبقى معكم، فسررت بذلك سروراً عظيماً. وأثناء تحركنا للعمل في المنطقة التي أخذناها، كان الطريق مكشوفاً وظاهراً للعدو، فكان العدو يقصف علينا فكنا ننزل وننتشر من السيارة ثم نتحرك من جديد.

كانت هذه الفترة من أجمل أيام الإنسان، حيث كنا مرابطين بالقرب من العدو، وفي نفس الوقت نقوم بإنشاء الطرق وحفر الخنادق، كنا نعيش في خيمة واحدة، وانضم إلينا الأخ ذبيح من أهل الطائف، واسمه محمد بن المبارك، كنا في خيمة واحدة، صلاتنا سوياً، قراراتنا سوياً، أكلنا في نفس المكان، وكنا نتناوب الحراسة، وكنا نشعر بوحشة شديدة لأن المكان مخيف للطرفين للعدو ولنا، وكان الفرد منا لا يستطيع أن يبتعد كثيراً عن مركز الخيمة لأنها منطقة غابات موحشة، ناهيك عن قربها من العدو، فاستمرينا على ذلك الحال فترة طويلة، ثم أرهقتنا الحراسة فطلبنا أحد الإخوة، فحضر أخونا صالح الغامدي المعروف بـحمزة الغامدي (صالح سعيد آل بطيح)، وازداد العدد فوصل إلى سبعة، ومع ذلك كنا متفائلين ومستبشرين بأن يزيد عددنا، وبالفعل وصل العدد خلال شهرين إلى أربعين أخ.

بعد ذلك جاءنا أخونا أبو حنيفة حسين عجيب، ثم جاء محمد الصخري وهو من الناس الذين لم تكن لهم وقفة تردد، رأيته في الحرم النبوي وكنت عازماً على السفر ورأيته بعد صلاة الفجر، وكان أبو حنيفة قد أخبرني بأن هناك أحد الإخوة يريد أن يذهب إلى أفغانستان وأن هذا الأخ يريد أن يكمل دراسته هذا العام ثم يحضر في الصيف، التقيت بالصخري وتكلمت معه بضعة دقائق، فانشرح صدره وعزم على الذهاب معنا غداً، فعلم واجبه وترك الدراسة والشهادة والدنيا، ومكث معنا حوالي أربع سنوات إلى أن منَّ الله عليه بالاستشهاد في جلال آباد".

وفي سؤال للشيخ أسامة عن كيفية اختيار اسم مأسدة الأنصار؟ قال:

"تشاورنا في تسمية الموقع، فاختار الإخوة عدة أسماء، فانشرح الصدر على اسم المأسدة، وأخذنا هذا الاسم من بيت شعر لأحد الصحابة رضي الله عنه، كان يمدح الرسول ﷺ. يقول بيت الشعر:

من سرَّه ضرباً يُمعمعُ بعضُهُ بعضاً ... كمَعمعةِ الإباءِ المحرقِ
فليأتِ مأسدةً تسنُّ سيوفَها ... بين المزادِ وجذعِ الخندقِ

رجع أخونا أبو حنيفة لتحريض الشباب، فغاب عنا ثلاثة وعشرين يوماً رجع بثلاثة وعشرين رجلاً. واستمر العدد في الزيادة وكنا نشعر بأهمية هذا التجمع، ويسألني الإخوة هنا لماذا تميزتم؟ فإن لذلك التميز أسباباً كثيرة، حيث أن الأخ يأتي من بلاده والجهاد كده، فتجتمع عليه عدة أمور، منها الجهاد والغربة في اللغة، والغربة في الطقس والتضاريس، لهذا فإن وجوده مع إخوانه يزيده صبراً"[١] ا.هـ

١) مأسدة الأنصار العرب بأفغانستان. عصام دراز

مواجهات شعبان ١٤٠٧هـ (أبريل ١٩٨٧م)[١]:

خلال فترة إنشاء المأسدة، تم إنشاء سبعة غرف بها حوالي سبعين شاباً عربياً مستعدين للتضحية والاستشهاد، وهي غرفة القيادة، ومركز بدر، وغرفة الزيكوياك (مدفع مضاد للطائرات)، وغرفة الطائف، ومستودع الأغذية، ومستودع السلاح والمطبخ. وكان الشباب يلحون على الشيخ أسامة في طلب القيام بعمليات عسكرية، وكان الشيخ يحاول أن يهدئهم ويدربهم على الصبر، ويقنعهم بضرورة إنشاء الموقع وإكمال التحصينات أولاً، وكان ذلك في غاية الصعوبة على الشيخ أسامة، وكان أيضاً صعباً على الشباب أن يظل يعمل وينشئ الملاجئ والتحصينات سبعة شهور دون عمليات.

وفي إحدى المرات عندما بدأت الثلوج في الذوبان، انتهز الشباب فرصة غياب الشيخ أسامة في بيشاور، وكان قد خلّف بعده أميراً على المأسدة الشيخ أبا هاجر العراقي، فك الله أسره. وتحت إلحاح الشباب لمدة ثلاثة أيام متواصلة، وافق الشيخ أبو هاجر إرضاءً لهم على القيام بعملية صغيرة عبارة عن مناوشة لأحد المواقع. وعن هذا الأمر يقول الشيخ أبو هاجر: "**وبعدما ألحّوا عليّ طوال ثلاثة أيام حتى دمروني، رضخت آخر الأمر، ووافقت أن آخذهم في عملية وتهيأت. وكان الشيخ تميم من أول المتحمسين فسبقنا وهبط إلى تحت، وكأنني سمعت أنهم قالوا بأنه أرسل إلينا خبراً بأننا سنلتقي في الجنة. كانت عبارة ضحكت منها، فكيف يكون القتال بهذه الطريقة وبهذه البساطة**". وكان أبو محمود السوري من المعارضين لهذه العملية، فقال له الشيخ أبو هاجر: "**لا تُتعب نفسك يا أبا محمود، إن شاء الله سأمضي معهم وإن كنت أعرف أن هذا العمل خطأ، ولئن يذهبوا معي خيرٌ من أن يذهبوا بدوني**". استشهد في هذه المناوشة الأخ أحمد الزهراني وهو من مدينة الطائف، حيث أصيب بقذيفة هاون، وكان رحمه الله أول شهيد سقط في المأسدة، وكان عمره عشرين سنة.

وكان الشيخ أسامة مهتماً باستكمال تحصينات المأسدة بالشكل الكافي قبل شن أي ضربة قوية ضد العدو، وبعد أن تم له ذلك بدأ الإخوة يعدون أنفسهم للقيام بضربة كبيرة ضد مواقع العدو في الوادي. وكانت أول عملية يقوم الشباب العربي بتنظيمها وإعدادها في المأسدة هي عملية ١٧ شعبان عام ١٤٠٧هـ الموافق ١٧ نيسان إبريل عام ١٩٨٧م. وكان أبو خالد الضابط وهو من قيادات تنظيم الجهاد، وضابطاً سابقاً في الجيش المصري، هو الذي وضع فكرة العملية الأساسية. وكانت خطة أبي خالد أن يتم الاستيلاء على موقعين مهمين من مراكز العدو في الوادي -وهما أقرب مركزين للمأسدة- تحت ستار من التمهيد المدفعي ثم الانسحاب بعد أخذ الغنائم وتدمير الموقعين. وكان الهدف الأساسي من هذه الضربة هو اكتساب خبرة قتالية عملية، وكان عدد الإخوة المشاركين فيها مائة وعشرين شاباً عربياً. شارك الشيخ أبو عبيدة البنشيري والشيخ أبو حفص الكمندان في اختيار الهدف، ووضع الترتيبات والتفاصيل للعملية، وكان الشيخ أسامة قد زود الإخوة بعددٍ كافٍ من وحدات اللاسلكي الصغيرة حتى صار بقدرته أن يوجّه أي مجموعة في أي ناحية في أي وقت، وكانت تلك نقلة نوعية لم تحدث من قبل في الحرب الأفغانية. كذلك زود الشيخ أسامة الإخوة بعدد كافٍ من المناظير القوية، وكان هناك منظار واحد على الأقل للرؤية الليلية، وعلى إثر ذلك أقام الإخوة لأول مرة شبكة رصد قوية المنطقة.

١) محتوى هذا العنوان كاملاً من كتاب مأسدة الأنصار لعصام دراز. بتصرف.

قُسمت المجموعات ورُتبت مجموعتين، واحدة لحماية المأسدة من الخلف، وفي نفس الوقت قصف العدو بصواريخ أرض أرض، وكانت هذه المجموعة بقيادة الشيخ أبي برهان السوري. ومجموعة ثانية للقيام بالاقتحام، وكانت بقيادة أبي خالد الضابط المصري.

بدأت العملية الساعة السادسة مساء، وكان التخطيط لها قد تم منذ عدة أيام سابقة، لقد كانت تجربة جديدة للعرب. وكان الشيخ عبد الله عزام موجوداً، كذلك الشيخ تميم العدناني، وبدأ الشباب يناوشون البوسطات (المواقع) التي تعتبر خط الدفاع الأول للعدو، ويوقعون فيها الخسائر فترتفع معنوياتهم. ورغم أن هذه العملية كان قد تم الإعداد لها إعداداً جيداً، إلّا أن الشباب لم يستطيعوا القيام بفتح أي موقع، لأن قائد العملية أبي خالد الضابط المصري كان قد أصيب في بداية العملية، وكذلك أصيب أبو سهل المصري، وقد خرج كلاهما من المعركة حتى نهايتها. كذلك كانت أقرب مجموعة من العدو هي مجموعة شفيق، وكان معه ثمانية مجاهدين عرب عاد بأربعة مصابين منهم، وكان لذلك تأثير كبير على سير العملية، وتولى القيادة رسمياً بعد ذلك الشيخ أبو عبيدة البنشيري، يعاونه الشيخ أبو حفص الكمندان.

لم تحقق العملية أهدافها لعدة أسباب مهمة، فعندما تقررت العملية وحدد موعدها لم تكن الإمكانيات قد استكملت خاصة الذخائر، فلم تكن الذخيرة قد وصلت إلى كل المجموعات، وذلك لعدم وجود خبرة سابقة، فمثلاً لم تصل إلى مجموعة الإسناد ذخائر كافية، ولهذا لم تبدأ العمل في التوقيت المطلوب لعدم وجود ذخائر. يقول أبو محمود السوري:

"كنت أحد عناصر مجموعات الاقتحام، وتقدمنا وكان مقرراً أن نقوم باقتحام موقع أطلقنا عليه (أم الخنادق). وصلنا إلى مسافة ثلاثين أو أربعين متراً من مواقع العدو، وفوجئنا بأن العدو متيقظ تماماً، لأن القصف من جانبنا ومن جانب المجاهدين كان مركزاً على ١٦ موقعاً للعدو محيطاً بهذه المنطقة، عدا الموقعين المحددين للهجوم عليهما، لهذا كان العدو متيقظاً، وكان من المفروض أن نقوم بالضرب عليه أثناء الهجوم ضرباً مباشراً، وبمجرد اقترابنا انهمر علينا الرصاص، ولم نتمكن من رفع رؤوسنا حتى حلول الظلام، وقد أصيبت ساقاي في أول لحظة من لحظات الاقتحام وذلك من رشاش جرينوف كان على يسارنا وعلى تبّة مكشوفة، ولم نكن نعرف أن بهذا الموقع رشاش جرينوف، وفوجئنا به يطلق علينا من الجانب الأيسر أثناء تقدمنا. كانت مفاجأة صعبة لنا، وكان ذلك بسبب عدم وجود خبرة، وبعد عدة دقائق من ضرب العدو علينا، أُعطيت لنا الأوامر بالانسحاب لمركز المتقدمة، وكان بهذا المركز الشيخ أسامة، فأصدر أمراً بالانسحاب خوفاً على حياة الأخوة من الإصابات بعد انكشاف الهجوم، ولم يستطع أحد تنفيذ ذلك إلا بعد حلول الظلام ليكون الانسحاب مستوراً. أيضاً كانت هناك خمس مجموعات مساندة، وصلت منها أربع مجموعات، وتاهت مجموعة لم تصل إلى المأسدة، وظلت مفقودة حتى منتصف الليل. وجرح في المعركة الأخ إدريس من بلاد الحرمين وأنا" ا.هـ

ثم تواصلت العمليات تحت قيادة الشيخ أبي عبيدة البنشيري شهراً كاملاً بلغت حتى معركة ١٧ رمضان تسع عمليات من الاشتباكات والمعارك. كان الهدف من هذه المعارك هو استكمال التدريب الحي على القتال المباشر مع العدو، واستشهد في هذه الفترة الأخ أبو الذهب، حيث سقطت قذيفة هاون

بين ثلاثة من الإخوة أثناء عملية رصد، وكذلك أصيب أزمراي، واستسلم في هذه المعارك بسبب شدة القصف الذي وُجِّه إلى موقعهم من قبل المجاهدين، وسلّم خمسة وأربعين جندياً وضابطاً أنفسهم إلى أحد قادة الحزب الإسلامي التابع لحكمت يار.

وعن مواجهات رمضان ١٤٠٧هـ يونيو ١٩٨٧م يقول الشيخ أسامة رحمه الله[١]:

"كنا قد بدأنا نصل إلى مرحلة كبيرة ومتقدمة من إنشاء المأسدة، وسمعنا في شهر رمضان سنة ١٤٠٧هـ أن هناك أخباراً بتحركات للعدو، ولم تكن المعلومات كافية فقمنا بحفر الخنادق، كنا قد عزمنا على القيام بعملية ضد العدو في ١٤ رمضان تقريباً. وكان القائد الأفغاني قلب الدين حكمت يار في المنطقة، كذلك حضر الشيخ سياف وعزمنا على القيام بهجوم يوم ٢٦ رمضان، وبدأنا ضرب المناطق التي تقع أسفل منا، وإذ بالرد يأتي إلينا من مناطق بعيدة براجمات الصواريخ (ب م ٢١).

استمرت المعركة طويلاً لمدة ثلاثة أسابيع، وكان العدو قد خطط لها، ونحن لم نخطط إلا لمعركة تدوم ليوم واحد، وكان هدف الهجوم تدمير هذه المواقع (المأسدة) وقفل طريق جاجي، وهو من طرق الإمداد الرئيسية لداخل أفغانستان، كي يكسب الجنرالات في الجيش السوفياتي التحدي الذي ضربوه على أنفسهم مع الرئيس غورباتشوف حين أمرهم بالخروج من أفغانستان بسبب فشل الحملة عليها، فطلب منه الجنرالات منحهم آخر فرصة، ووعدوه بالوصول إلى ممر خيبر الاستراتيجي على الحدود مع باكستان بعد سحق المجاهدين من مرتفعات بكتيا، وأنى لهم ذلك، فقد ردهم المجاهدون بفضل الله وحده، بثلةٍ قليلةٍ لا يتجاوزون سبعين شاباً من شباب الثانويات، فقد كان الشاب العربي النحيل الجسم، الصغير السن، برشة واحدة من سلاح البيكا، يطرح ثلاثة أو أربعة من العلوج الروس في القوات الخاصة الكوماندُز، الذين كانت لغة الإشارة في المعركة عندهم بأصوات العصافير والطيور في المنطقة، بل كان الشاب يتفاجأ بظهورهم فجأة أمامه، لا يعرفهم من شدة تمويههم أنفسهم.

لقد كانت معركة عصيبة، شاركت فيها أفضل القوات الروسية، وحوّطوا المنطقة بأحزمة كثيرة من الجنود وبطاريات الصواريخ، لكن الله عز وجل أبى إلا أن ينصر عباده الموحدين؛ ولتتحقق الآية الكريمة: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ﴾. وقوله جلّ وعلا: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِّ وَاللهُّ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ا.هـ

تفاصيل معركة رمضان كما يرويها الشيخ أسامة رحمه الله[٢]:

"كان يوم ٢٩ رمضان حيث بدأ هجوم القوات الروسية والحكومية الأفغانية، وكنا قد علمنا أن القوات المتقدمة عددها حوالي عشرة ألف جندي، منها ثلاثة كتائب روسية، وكذلك قوة كوماندُز روسية، فبدأت الدبابات تتحرك، وانتظرنا حتى اقتربت الدبابات إلى مرمى نيران المجاهدين، فلما دنوا جميعاً بدأنا باسم الله وكبرنا، وأعطينا الإشارة باللاسلكي لجميع المدافع

١) محتوى هذا العنوان كاملاً من كتاب مأسدة الأنصار لعصام دراز. بتصرف.

٢) المصدر السابق.

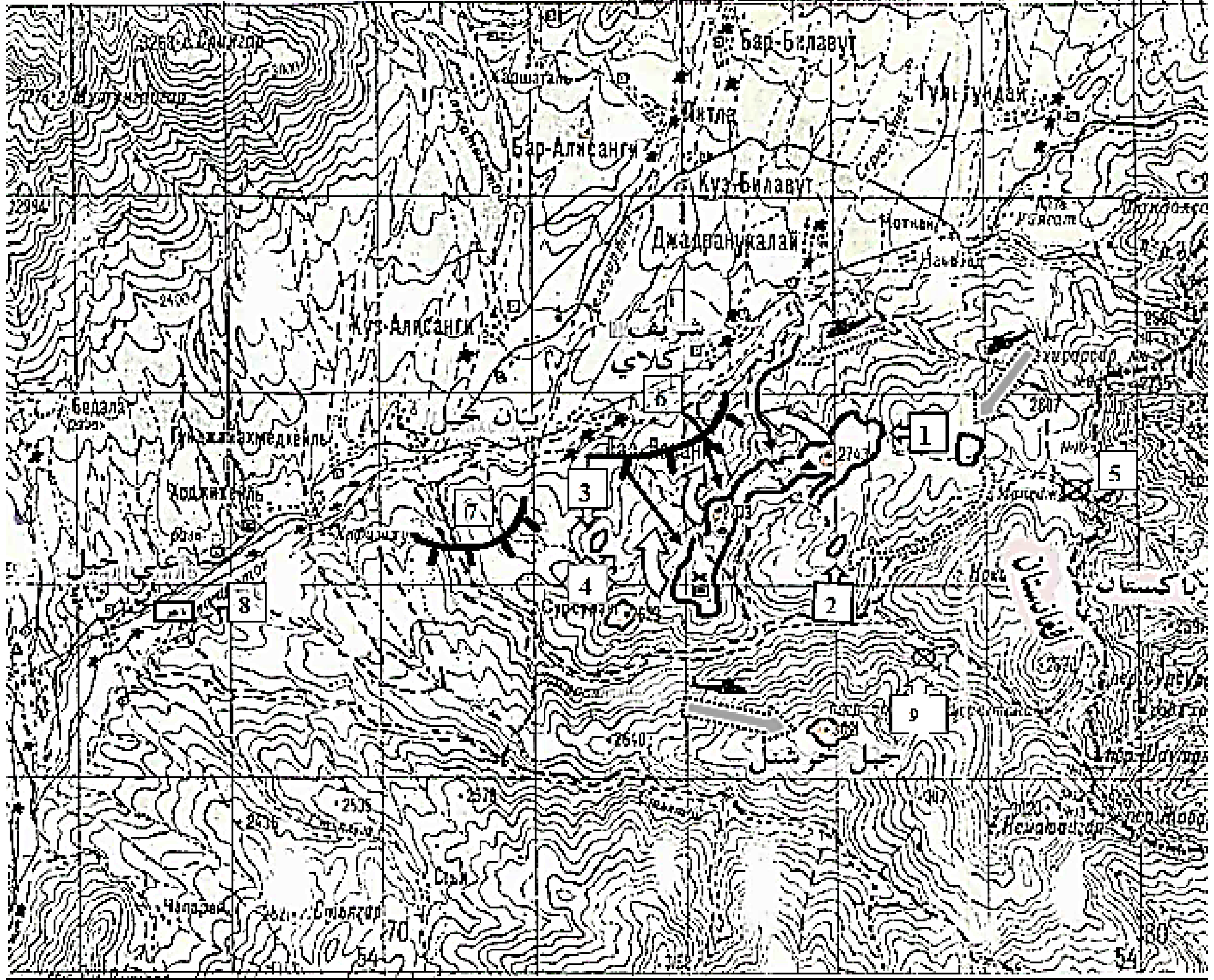
بأن تبدأ الرماية، فبدأ القصف عليهم في وقت واحد، وكنت أتابع القصف من المرصد، وشاهدت القذائف من فضل الله تسقط على الأعداء وتمزقهم.

استمر القصف عنيفاً، وكانت الجبال تهتز، ولكن من فضل الله لم يصب أحد من الإخوة بسوء، واستمر هذا الحال إلى المغرب، ورجعت من المرصد والتقيت بالأخ أبي عبيدة البنشيري، وهو من حفظة كتاب الله، ورأينا أن الروس لن يسكتوا على هذه الضربة، وتوقعنا أن يكون القصف أشد في اليوم التالي، وقررنا أن نُرجع ثلاثين من الإخوة العرب إلى معسكر خلفي لنا، فقد كنا حوالي سبعين مجاهداً.

وفي اليوم التالي حدث ما توقعناه، قصف عنيف منذ أول إشراقة للشمس، أصبح عدد الإخوة في المأسدة حوالي أربعين أخ، وكنت مع تسعة من الإخوة في كهف نطلق عليه (المتقدمة)، وكان هذا الكهف صغيراً لا يتحمل القصف الثقيل، فكانت طائرات العدو تقصف بقنابل زنة ألف رطل، فكانت الجبال تهتز. وكنا قد اتفقنا مع الإخوة على إشارة معينة، وهي إطلاق ثلاث طلقات إذا شعروا بأن هناك حصاراً من العدو للمعسكر، وإذا بنا نتلقى مكالمة هاتفية من الأخ سيف الله المغربي من المرصد الأيمن لمركز بدر، يقول إنه شاهد ما يقارب مائتي جندي من الجنود الروس، يرتدون ملابس القوات الخاصة وهم يتسللون باتجاه المعسكر، فأعطى الأخ إنذاراً بالخطر وهي ثلاث طلقات، فقمت بإبلاغ المركز الرئيسي للمجاهدين بأن العدو يتقدم لمحاصرة المعسكر، وطلبت من الإخوة حمل الأسلحة والتقدم، وكانوا تسعة وأنا العاشر واحد منهم، رغم أنهم سمعوا أن المتقدمين حوالي مائتين.

لم نكن عسكريين وكنا مدنيين، ولم يتردد أحد فتقدموا أكرمهم الله، كل واحد أخذ سلاحه وانطلقنا إلى الأمام، كنا حريصين على أن نأخذ تبّه بيننا وبين الكفار، وهي تبّه مرتفعة. وأثناء تحركنا كنت أوزع الإخوة لكيلا يحدث التفاف علينا أثناء تحركنا، فتركت الأخ ذبيح وأبا سهل المصري -رحمه الله- ومعهم جهاز لا سلكي في مركز المتقدمة، ثم الأخ أبو حنيفة ومعه بعض الإخوة أرسلتهم للميمنة، ثم تقدمنا حتى وصلنا إلى القمة ولم يبق إلا ثلاثة: الأخ خضر وهو من المنطقة الشرقية، والأخ مختار وهو أيضاً من المنطقة الشرقية، وأنا معهم وانضم إلينا الأخ خالد كردي، وكنت قد طلبت منه أن يحضر لنا ماءً وتمراً وطلقات آر بي جي زيادة، فذهب وبقينا نحن الثلاثة، وماذا يفعل ثلاثة أمام مائتي كوماندُز، ولكن الله ثبتنا نحن الثلاثة، ولم نشعر بأي قلق أو خوف سبحان الله، رغم أن عندي خبراً مسبقاً بأن هذه القوة تريد أن تأسرني أنا شخصياً.

توزعنا على قمة هذه التبّه بحيث كان كل منا يرى الآخر، والمسافة بين كل منا حوالي عشرة أمتار، وإذا طلبنا مدداً من الإخوة يستغرق ذلك حوالي ساعة ونصف لطول المسافة. جاء خضر وقال لي إن مختار سمع أصوات الروس تحت التبّه بالقرب منهم بين الأشجار يتكلمون. وكنا ننتظر المدد، ولم يصل المدد إلينا وقد وصل الروس، فطلبت أن ننضم جميعاً ونصبح على القمة، وفي هذه اللحظة انضم إلينا خالد، وأتى أيضاً أبو عبيدة. وكان أبو عبيدة قد رتب مجموعة أخرى تذهب من جهة بدر وتتقدم أيضاً لملاقاة القوات المتقدمة.



معركة جاجي

(26 مايو 1987)

_ _ _	مدقات مشاة رئيسيه .
- - - -	مدقات مشاة فرعيه .
⟶	هجوم الكوماندوز السوفيتى.
	تحصينات العدو.
	دبابة.
*	بوسطة (موقع العدو) .
	انزال قوات خاصة سوفيتية بالهيلوكبتر.

" عمليات إلتفاف و كمائن عربية "

- أبو حفص فى 30رمضان (87/5/29) من جنوب المأسدة.
- من شمال المأسدة(أبو حفص و أبو عبيده) فى أول شوال(87/5/30).
- من وسط المأسدة(أبو حفص)فى 8 شوال(87/6/6).

1	المأسدة
2743	تبة القيادة.
	غرفة القيادة.
2703	بدر.
	الزيكوياك.
X	غرفة المصريين.
	المتقدمه.

2	قبا.
3	الترصد.
4	تبة عبد السميع.
5	مركز قيادة سياف.
6	أم الخنادق.
7	النايمة.
8	حصن تشاونى.
9	مواقع عسكرية صغيرة للعدو (بوسطات).
10	غوند الفتح (حكمتيار)
11	محاوله سوفيتية فاشلة لاحتلال قبا (7 شوال 1407) (87/6/5)

معركة جاجي[١] ٢٦ مايو ١٩٨٧م

١) الخارطة من كتاب معارك البوّابة الصخرية. للشيخ أبي الوليد (مصطفى حامد).

تقدمنا باتجاه الميسرة وهم يتقدمون من الميمنة، ورأيناهم أسفل ميمنتنا على تبّة تسمى تبّة الزهراني، لأن أحمد الزهراني -رحمه الله- كان على هذه التبّة عندما قتل. في هذه اللحظة وهم يتقدمون أخرجنا القنابل اليدوية، وكنت أول من أخرج القنابل اليدوية استعداداً لرميها عليهم لأننا كنا أعلى منهم، فاقترح الأخ أبو عبيدة أن نبتعد حتى يصلوا جميعاً إلى منطقة الرمي، وفجأة يصل إلينا أربعة إخوة ولا واحد منهم يعرف حقيقة الموقف، وأثناء سيرهم باتجاهنا سمع الروس صوت أقدامهم على الحشائش بين الأشجار، فتوقفوا عن التقدم وانتبهوا، فلم يتوقعوا أن يكون في هذا المكان مجاهدين، وكانوا يتوقعون أن كل من في المأسدة قتلى أو جرحى نتيجة القصف الشديد لمدة خمسة أيام متوالية.

عندما فوجئ الروس بالحركة انسحبوا ببطء دون أن نشعر بهم، لقد فوجئوا بوجودنا في هذه المنطقة المتقدمة عن موقع المأسدة، ولم يتوقعوا أبداً وجود أحد في هذا المكان، وسمعناهم يتكلمون باللاسلكي (غنمنا جهازهم اللاسلكي هذا فيما بعد)، وواضح أنهم أخبروا مدفعيتهم بوجودنا في هذه المنطقة، وكانت مدفعيتهم وهاوناتهم تقوم بالتمشيط أمامهم، وكنت أحمل القنبلة اليدوية في يدي منتظراً تقدمهم، فوجدت أنهم بدأوا ينسحبون إلى الخلف حوالي مائتي متر، وفي هذه اللحظة انهمرت علينا قذائف الهاون كالمطر، هاونات ثقيلة، ومن شدة القصف كان من المستحيل أن تستطيع أن تتكلم كلمة أو تكمل جملة.

استمر هذا الحال من القصف الشديد المركّز لمدة ساعة تقريباً إلى أن منَّ الله علينا بجزء من دقيقة بين القصف، فتحركنا إلى أول نقطة في معسكرنا واتخذنا كميناً لهم، ومن شدة وكثافة القصف كانوا متأكدين أنه لا يمكن أن يكون هناك أي شخص على هذه التبّة إلا قتيلاً أو جريحاً، فصعدوا إليها مطمئنين، فما أن صعدوا حتى بدأنا الضرب عليهم، فقتل عدد منهم يقيناً، وتراجع الباقي إلى الخلف. واستمر الحال على هذا المنوال، وطلبوا مساعدة الطيران، وعاد الطيران يقصف بعنف وشدة مع الصواريخ، وألقت الطائرات قذائف دخان أتعبت الإخوة نفسياً، حيث خشينا أن تكون غازات سامة، ولكن كانت قنابل دخانية، واستمر القصف علينا شديداً فازداد البأس علينا، فقررنا الانحياز إلى موقع خلفي من شدة القصف.

انحزنا في الليل، وبقيت مجموعة من الإخوة العرب والإخوة الأفغان وسط المأسدة، ولكن من لطف الله أن وصل مدد من المجاهدين الأفغان، وأطلقوا على قوة الكوماندُز الروسية ٣٥ قذيفة آر بي جي متوالية. وكانت قوة الكوماندُز تعتقد أن المعسكر خالياً إلا من الجرحى، وأعطى ذلك انطباعاً لدى الكوماندُز بأنه لا زالت هناك قوة كبيرة داخل المأسدة، فتوقفوا عن الهجوم وبقوا مكانهم في الليل، وهم يخشون الهجوم على المعسكر، رغم أنه فعلاً لم تكن به قوة كبيرة، وهذا من فضل الله.

وفي الصباح قسمنا الإخوة إلى مجموعتين، ووصلت المجموعة الأولى إلى المأسدة فعلاً، وكنا نتفقد الطريق والمواقع، والمجموعة الثانية كانت متوقفة في منتصف الطريق، فطلبنا منهم التقدم. وكان العدو مستميتاً في الهجوم على الموقع، فالموقع يعتبر مفتاحاً للمنطقة كلها.



اقترح أبو عبيدة أن يذهب هو وثمانية من الإخوة ويلتفّون حول القوة الروسية ويهاجمونهم من خلفهم، فقلت لأبي عبيدة أن الميسرة خالية من يبقى فيها؟ وكنت مريضاً في تلك الفترة -والشكوى لله- وكان يصعب عليَّ المشي على الأقدام لمسافة بسيطة، وإذا يفاجئني أبو عبيدة بأن أذهب إلى الميسرة. فنظرت إلى العدو ولم يبقى معي إلا ثلاثة من الأخوة، أخونا محمد العتيبي رحمه الله (أبو الوليد)، وأخونا ياسين الكردي، وأخونا أسد الله السندي.

وفي هذه الفترة جاءنا ضيف وهو الأخ أبو الحسن المدني، وكان في ذلك اليوم ضيفاً فذهبنا نحن الخمسة إلى جهة الميسرة، كنا محاطين بالعدو، وتحركنا إلى الميسرة والطلقات في بيت النار، وكل واحد منا يده على زناد البندقية، وسرنا إلى أن وصلنا إلى النقطة المتقدمة جهة الميسرة حتى وزعت الأخوة ميمنة وميسرة وهم جميعاً خمسة. فكان أبو عبيدة ومعه آر بي جي في الميمنة، وكانت الميمنة رجلاً واحداً، والميسرة كانت أخينا أسد الله ومعه جرينوف (رشاش متوسط)، وكان ياسين الكردي ظهراً لنا، وبقيت أنا في الوسط مع أبي الحسن المدني. فما كدت أنتهي من توزيع الإخوة وإذا بنا نفاجأ بأن القوة الروسية على مسافة سبعين متراً من طرف المعسكر من الغرفة المتقدمة، وكنا نحن خلف الغرفة، وبدأ على الفور الاشتباك معهم بالسلاح الخفيف، ووجهنا النيران إليهم، وطلبت من الأخ ياسين الكردي ومعه أبو الوليد أن يتقدما ويضربوا في المنطقة اليسرى حيث رأيتهم، وبدأ الرد علينا بالأسلحة الكلاكوف، وصوت الكلاكوف مميز عن صوت الكلاشنكوف، والكلاكوف معروف أنه تسليح القوات الخاصة الروسية، أما الكلاشنكوف فهو تسليح الجنود الأفغان الشيوعيون.

فوجئت قوة الكوماندُز بوجود مقاومة في أول أيام العيد، فأخزاهم الله وبدأوا ينسحبون إلى الخلف، مجموعة تغطي مجموعة، فطلبت من ياسين وأبي الوليد أن يطلقوا النار خلفهم بمسافة حوالي ١٥٠ متراً، حيث توقعت أن يكونوا قد وصلوا إلى هذه النقطة. وكنت حتى هذه اللحظة أظن أن الهجوم من الميسرة، ولكن عندما صعدت على قمة التبّة لأتكلم باللاسلكي، فوجئت بطلقة آر بي جي تأتي من اتجاه العدو من المحور الأوسط، ومرت بجواري وانفجرت طلقة الآر بي جي بالقرب مني، ولم يصبني منها أي شيء، وكأني قد رُميت بحفنةٍ من الطين بفضل الله سبحانه وتعالى. نزلت بهدوء وأخبرت الإخوة أن العدو موجود في المحور الأوسط، وليس على الميسرة فقط.

في هذه الأثناء كنت أحاول الاتصال بالمجموعة التي تحركت للالتفاف حول الروس بقيادة أبي عبيدة، اتصلت بهم مراراً فلم تكن هناك أية إجابة، فأصابني قلق شديد عليهم، وأوقفت الاتصال ولكن تركت الجهاز مفتوحاً، وفي هذه الأثناء بدأ العدو من جديد تمشيط المنطقة بالهاونات والصواريخ، وبدأ قصف الطيران، وكنا ننزل في الكهف ويظل أحدنا بالخارج ليراقب المنطقة خوفاً من تقدم الروس، وكنا نراقب رمي المدفعية والهاونات، فإذا كان علينا بالضبط فكنا ننزل في الكهف، ولكن إذا ابتعد قليلاً كنا نصعد، وهذه خبرة جديدة اكتسبناها من هذه المعركة، إذ من الممكن أن يتقدم العدو تحت القصف، لأنه يتصل بالمدفعية ويستطيع نقل الضرب أمامه إلى مسافة ٢٠٠ متر أثناء قصف المدفعية والهاونات.

ظللت في قلق شديد على الإخوة الذين ذهبوا للالتفاف، وإذا بصوت الجهاز يأتي كالماء البارد علينا، حيث نادى الأخ أبو عبيدة وقال: أبو القعقاع هل تسمعني؟ فأسرعت نحو الجهاز وقلت: نعم أسمعك جيداً. فقال أبو عبيدة: "الله أكبر الله أكبر، أبشرك بأننا قتلنا الكوماندُز الروس، وهم الآن صرعى تحت أقدامنا الله أكبر".

وانتشر التكبير إلى أن وصل الإخوة جميعاً، وانتشر الخبر وسررنا سروراً عظيماً بفضل الله، وكان الإخوة قد فاجأوا الروس من الخلف، أي من المنطقة التي لم يتخيلوا أن يأتي أحد منها، ولقد استطاع أخونا محمد العزمان المعروف بمختار، أن يقتل ستة منهم دفعة واحدة[1]. وبدأ اشتباك بالرشاشات والقنابل اليدوية، وأدى ذلك إلى انهيار معنويات الكوماندُز. فكان عدد الإخوة تسعة أشخاص فقط في مواجهة مائتي جندي، لكن مع الرعب لم يستطيعوا تمييز القوة، ومع وجود الأشجار والغابات لم يستطيعوا أن يحددوا عدد المهاجمين، فأصابهم ذعر شديد، وقُتل في هذا الهجوم المفاجئ من الكوماندُز حوالي خمسة وثلاثين جندياً وضابطاً، وفر الباقون إلى مسافة بعيدة حوالي ثلاثة كيلو مترات. وارتفعت معنويات المجاهدين ليس فقط في منطقتنا، ولكن في كل أنحاء أفغانستان، وكان ذلك فضل من الله على الإخوة". ا.هـ

بعد معركة جاجي اجتمعت قيادات الإخوة العرب في بشاور لتوزيع الاختصاصات وتنظيم العمل، فاختير الشيخ أسامة بن لادن أميراً عاماً للعرب، واختير الشيخ عبد الله عزام مسئولاً عن معسكر صدى، واختير أبو الحسن المدني "وائل جليدان" مسؤولاً عن الأعمال في بشاور. وكانت هناك لجنة عسكرية تتكون من الشيخ أسامة، والشيخ أبي عبيدة البنشيري، وأبي الحسن المدني، والشيخ أبي هاجر العراقي وعصام الليبي، والشيخ أبي حفص الكمندان[2].



أبو الحسن المدني (وائل جليدان) - حفظه الله

---

1) يقول الشيخ سيف العدل: **"أخبرني الشيخ أبو حفص رحمه الله -وهو ممن شاركوا في عملية الكوماندُز بل كان نائب أميرها أبي عبيدة البنشيري رحمه الله- أن جميع الاخوة حينما وصل الروس إلى منطقة القتل أطلقوا النار عليهم دفعة واحدة، ومن ضمنهم مختار، ويصعب أن ينسب لأحد أي عدد من القتلى".**

2) خيانة على الطريق. للشيخ أبي الوليد المصري (مصطفى حامد). بتصرّف.

الدروس المستفادة من معارك مأسدة الأنصار في جاجي:

التدريب ومعسكرات التدريب:

كان التدريب واحداً من أهم الموضوعات المتعلقة بالتواجد الجهادي العربي في أفغانستان، وظل بعد انتهاء الحرب أحد أهم نتائجها التي عمل النظام الدولي الجديد وعملائه الصغار على تصفيتها والتخلص منها، وقد نجح فعلاً في تصفية الكثير من الكوادر العربية المدرّبة في أفغانستان ولكن بعد فوات الأوان، فأحداث العالم الإسلامي في الشيشان والبوسنة والصومال وطاجيكستان قد أدت إلى تفريخ جيوشٍ مدربة من جنسيات إسلامية وعربية. وكان لخريجي مدرسة أفغانستان الدور الحاسم في ذلك الانتشار حتى بات من المستحيل على "النظام الدولي" القضاء على مكاسب التدريب والخبرات التي حصل عليها العرب والمسلمون من أفغانستان[١].

وكان معسكر "صدى" الذي يتبع لمكتب الخدمات هو أول معسكر تأسس للعرب أواخر عام ١٩٨٤م داخل الأراضي الباكستانية قرب الحدود مع جاجي. بداية كان المستوى التدريبي بسيطاً يقتصر على ما توفّر من سلاح، ولم يتحسن إلا بوصول الشيخ أبي برهان السوري[٢]-رحمه الله- الذي تولى الإشراف على المعسكر، وأوصله إلى مستوى تدريبي متقدم، فقد كان ضابطاً في الجيش السوري.

ويروي الشيخ عبد الله عزام -رحمه الله- في بعض أشرطته أن عدد الشباب الذين ثبتوا في معسكر صدى عام ١٩٨٤م وصل إلي١٢ مجاهداً، وتضاعف فقط خلال عام ١٩٨٥م فوصل إلى ٢٥ مجاهداً، ثم بلغ مع منتصف عام ١٩٨٦م أقل من ٢٠٠ مجاهد بقليل من مختلف الجنسيات، ربما كان معظمهم من بلاد الحرمين ومصر وفلسطين.

وكانت مواجهات شعبان ومواجهات رمضان في جاجي نقطة مهمة في تاريخ المأسدة، ولم تكن لتمر هكذا دون أن يستفيد الإخوة من دروسها التي كان من أهمها بالإجماع هو أن التدريب العسكري لم يكن كافياً[٣]، ويرجع سبب ذلك لعدم وجود تدريب منظم آنذاك في الساحة، لذلك كان من الضروري الاهتمام والتركيز على تدريب الشباب وإعدادهم إعداداً جيداً، فشرع الإخوة تحقيقاً لهذ الأمر في تكوين دورات للمدربين. وكان أحد أسباب ضعف التدريب هم الشباب أنفسهم، فقد كان كثيرٌ منهم يحضر إلى أفغانستان بحماسٍ شديد، ولا يريد إلا تدريباً بسيطاً في أقصر وقت، وبدون أي تجربة سابقة يدخل جبهات القتال ليقاتل[٤].

---

١) خيانة على الطريق. للشيخ أبي الوليد المصري (مصطفي حامد).

٢) أحد مشايخ الجهاد البارزين، وهو مؤلف (موسوعة الجهاد) التي بلغت تسعة أو عشرة مجلدات. كان رحمه الله ضابطاً سابقاً في الجيش السوري، ثمّ التحق في ثمانينيات القرن الماضي بطليعة المجاهدين في بلاد الشام، وبعد المحنة التي تعرّضوا لها انتقل إلى أفغانستان، وعمل في مجال التدريب، وكان معروفاً بالصرامة والشدّة، ثمّ هاجر إلى السودان في أوائل التسعينيات، وكان مسئولاً عن بعض أعمال الشيخ أسامة، وأحد أفراد مجلس شوراه. وبعد إبعاد الشيخ أسامة من السودان كان الشيخ أبو برهان هو من يدير أعمال الشيخ هناك، وكان الشيخ أبو برهان رجلاً عابداً، صوّاماً قوّاماً، يحب العزلة والخلوة والأُنس بالله، وعقب تجميد حكومة البشير لأعمال الشيخ أسامة -إثر عمليات نيروبي ودار السلام- آثر الشيخ الرحيل من الخرطوم، فابتاع له قطعة أرض في قرية بعيدة، وبنى فيها بيتاً من الطين ومسجداً لأهل القرية ملصقاً ببيته كان يقيم فيه الصلوات، ويعلّم أهل القرية -التي عشعشت فيها الصوفية- ما جهلوا من أمور الدين. وقبل الانتهاء من هذا الكتاب تلقينا نبأ وفاته في السودان إثر إصابته بفيروس كورونا، نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يعلي درجته في الفردوس الأعلى مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

٣) نقلاً عن الشيخ سيف العدل: **"كانت هناك محاولات للتدريب قامت بها مجموعة خوست، وكان أحد أطرافها الشيخ أبو حفص الكمندان، حيث حصلوا على بعض التدريبات من خلال متطوعين من الباكستان، كما تواصلوا مع بعض الشركات" ا.هـ**

٤) مأسدة الأنصار العرب بأفغانستان. عصام دراز. بتصرّف.

لذلك بعد معركة جاجي بقليل، كان التركيز على تدريب الشباب وتنمية قدراتهم القتالية هو الهدف الأسمى للشيخين أسامة بن لادن وعبد الله عزام رحمهما الله، فاتّفقا على استدعاء الشيخ أبي أسامة المصري (عبد العزيز علي)[١] -رحمه الله- كي يبدأ برنامجاً تدريبياً للشباب المزمع عملهم مع الشيخ أسامة في الجبهات، فتأسس تبعاً لذلك معسكر "ورسك" قرب بشاور في أوائل عام ١٩٨٨م، ولكن سرعان ما قرر الشيخان إغلاق المعسكر بعد دورته الأولى، نتيجة لعدم التزام الشيخ أبي أسامة المصري بشرطٍ مسبق لهما، وهو عدم خوضه في الحديث عن السياسة الداخلية للأحزاب الأفغانية، التي يصف زعمائها دوماً بأنهم مجموعة نصابين، لا يريدون الجهاد بل يريدون جمع الأموال، ويسعون فقط للسلطة والزعامة ويكذبون على المسلمين. وكانت آراء الشيخ أبي أسامة الصريحة قد سببت صدمة مريعة لدى شباب المعسكر لقوتها وتناقضها الشديد مع ما يقوله الشيخان عبد الله عزام وأسامة بن لادن، رحمهما الله. وكان لابد من التضحية بأبي أسامة ومعسكر ورسك حتى لا ينفر الشباب ويتركوا ساحة الجهاد، كما يرى الشيخان. على كل حال تمكن الشيخ أبو أسامة من تخريج حوالي خمسة أفراد، هم كل من استطاع الصمود معه في دورته التدريبية العنيفة المرهقة، وقد كان هؤلاء فيما بعد من أهم المدربين على ساحة العمل العربي الجهادي في أفغانستان، وهذه المساهمة رغم تواضعها، جعلت أبا أسامة أحد مؤسسي التدريب العسكري العربي في أفغانستان[٢].

ما كل حقٍ يُقال في كل وقت ولكل أحد:

جدير بالذكر هنا أن نقف وقفة تأمل نأخذ منها الدروس والعبر من رأي الشيخين عبد الله عزام وأسامة بن لادن -رحمهما الله- بأن لا يخوض الشيخ أبو أسامة المصري في الحديث عن السياسة الداخلية للأحزاب الأفغانية التي يصف زعمائها دوماً بأنهم لصوص وقتله وكذابون، وليس لديهم خلق إسلامي.

فقد يقول قائل إن الشيخ أبا أسامة المصري -رحمه الله- كان محقاً في رأيه فلم يُمنع؟

صحيح إن الشيخ أبا أسامة كان محقّاً في رأيه، لكن **ما كل حقٍ يُقال في كل وقت ولكل أحد**. لماذا؟ لأنه قد يترتّب عليه مفسدة أكبر من المصلحة المرجوّة. وبناءً على هذه القاعدة اتخذ الشيخان قرارهما، لأنه ليست هناك مصلحة شرعية مرجوّة -كما ظهر للشيخين- يمكن أن تتحقق من إبداء الشيخ أبي أسامة المصري رأيه ذلك أمام شباب قد يكون معظمهم حدثاء عهدٍ ليس بالالتزام بالجهاد فحسب، بل بالالتزام بمبادئ الإسلام نفسه. وبمعنى آخر هل من الممكن إصلاح الأمر بإقصاء أولئك القادة المفسدين من قيادة أحزابهم بمجرّد إبداء الشيخ أبي أسامة لذلك الرأي؟

بالتأكيد الإجابة لا. لكن هناك مفسدة غالب الظن أنها مؤكدة وحتمية التحقق، فقد يتأثّر بعض هؤلاء الشباب بمنطق وحجة أبي أسامة القويّة -المتناقضة بشدّة مع ما يقوله الشيخان عبد الله عزام وأسامة بن لادن- وينشأ من ذلك شيء من البلبلة والتثبيط المبطّن الغير مقصود -خاصة إذا كان مثل ذلك الرأي

---

١) الشيخ عبد العزيز علي، المكنّى بأبي أسامة المصري، أحد كوادر الإخوان المسلمين العسكرية أيام الشيخ حسن البنّا رحمهما الله جميعاً. كان من متطوعي شباب الإخوان المسلمين في فلسطين عام ١٩٤٨م، وكان يتميّز في صفوفهم بسمعة عالية وهيبة وحزم، وساهم أيضا في مجال التدريب في التجربة الجهادية في سوريا، وخرج منها ناقماً على الإخوان المسلمين بسبب الفساد الذي استشرى فيهم وانحراف قياداتهم. كذلك كان من أوائل المعارضين بشدّة للقيادات الأفغانية الفاسدة، فكان يرى أنهم مجموعة نصابين لا يريدون الجهاد، بل يريدون جمع الأموال، ويسعون فقط للسلطة والزعامة ويكذبون على المسلمين.

٢) خيانة على الطريق. للشيخ أبي الوليد المصري. بتصرف.

من شخصية لها وزنها واحترامها كالشيخ أبي أسامة المصري رحمه الله- تؤدّي إلى نفور هؤلاء الشباب، وتركهم لساحة الجهاد، ورجوعهم إلى بلادهم ليعيشوا مرة أخرى تحت مظلة الطواغيت الذين لا يقارن كفرهم وردّتهم وفسادهم بأي حال من الأحوال مع فساد هؤلاء القادة.

فهل من المصلحة رجوع هؤلاء الشباب إلى بلادهم، وترك دفع العدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا بحجة أن قادة الجهاد مفسدين، علماً بأن من عقيدة أهل السنَّة والجماعة، أن الجهاد في سبيل الله ماضٍ مع البرّ والفاجر؟

وكان الشيخ أسامة -رحمه الله- في خطابٍ له عام ٢٠٠٧م بعنوان "السبيل لإحباط المؤامرات" قد أشار إلى قصّة الشيخ أبي أسامة هذه بقوله:

"ولقد كان لأحد المجاهدين رأيٌ سديدٌ جداً في هذه القيادات، وكان من كبار السن والقدر، وهو صاحب تجربة طويلة في الحياة مع الناس، وكنا وقتها ننفر من شدة قوله فيهم، وسأحاول أن أوصل بعض قوله إليكم وخلاصته: "أن هؤلاء القادة تُجار تهمهم زعامتهم، ومصالحهم الشخصية مقدمة على القضية"، وكنا لا نصدق كلامه فيهم مما أخَّر إدراكنا للتصور الصحيح للأشخاص والأحداث، ولا يخفى ما يترتب على ذلك من مضارٍ عظام. ثم مع مرور الأيام وتتابع الوقائع بدأت الأمور تتضح وتُصدِّق قوله في بعضهم، بل جاءت الأحداث لتؤكد أموراً ما كنا نتوقعها أبداً لصغر سننا ولقلة تجربتنا في تلك الأيام، وأمّا اليوم فكلكم قد علم أن تحالف الشمال بقيادة رباني وسياف صاروا أعواناً ومناصرين لأمريكا ضد المجاهدين في أفغانستان، وكذلك الحال اليوم في العراق، فالحزب الإسلامي وبعض الجماعات المقاتلة تناصر أمريكا على المسلمين وذلك كفرٌ بواح، وردةٌ صراح ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" ا.هـ

تعليقاً على كلام الشيخ أسامة رحمه الله:

لو افترضنا أن الشيخين أسامة وعبد الله عزام -رحمهما الله- تكشّفت لهما آنذاك تلك الأمور التي تكشّفت للشيخ أبي أسامة، فهل كانت لتغيب عن أذهانهما الحكمة والسياسة الشرعية بأن لا يتكلما على الملأ بأن هؤلاء القادة لصوص وكذابون، وتُجار تهمهم زعامتهم، ومصالحهم الشخصية مقدمة على القضية؟ لا أعتقد ذلك، لعلم الشيخين بأن هذا الأمر وإن كان قد تكشّف لهما -حسب ما افترضنا- ولبعض الخاصّة، إلّا أنه لم يتكشّف بعد لدى عامّة المجاهدين. إضافةً إلى أن هؤلاء القادة في ذلك التاريخ، لم يقعوا بعد في الكفرُ البواح والردّة الصراح -كما هو حالهم اليوم- بل كان لهم وزنهم ومكانتهم، وكان كل المسلمين بصفةٍ عامّة والمجاهدين في ساحة أفغانستان عربهم وعجمهم بصفة أخص، لا تعلم عنهم إلّا كل خير، وتُكنّ لهم كل احترامٍ وتقديرٍ لما قدّموه وبذلوه من تضحيات في جهاد الروس، وفي جهاد حكومات كابل الماركسية العميلة لهم قبل الغزو.

وبناءً على تلك المعطيات، لو كان الشيخان تكلما عن هذا الأمر على الملأ فستَرعد لكلامهما أُنُف الأفغان المجاهدين التابعين لهؤلاء القادة حميّة وعصبيّة، وستُوغر صدورهم، وربما ترتّب بناءً على ذلك فساد وفتنة عظيمة بين المجاهدين الأفغان وإخوانهم من العرب.

ولما كان سيّاف آنذاك يرأس الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان، وكان هو المستودع الأكبر لتبرعات المسلمين للجهاد في أفغانستان -خاصة التبرعات القادمة من بلاد الحرمين ودول الخليج- لعلّ

أقصى ما كان الشيخان أسامة وعبد الله عزام سيفعلانه في ذلك الوقت، هو أن لا تصبُّ تلك الملايين من أموال التبرّعات في خزائن هؤلاء القادة المفسدين، وهذا أخوف ما كانوا يتخوّفون منه، لذلك كانوا يتظاهرون دائماً بالصلاح.

ومعلوم في السيرة قصة عبد الله بن أبي بن سلول في غزوة بني المصطلق، وذلك عندما بلغ رسول الله ﷺ أنه قال: **"أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل** ...". فأراد عمر رضي الله عنه أن يأذن له رسول الله ليضرب عنقه، فأبى رسول الله ﷺ وقال لعمر: **"فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟"**. ولمّا نزل الوحي مؤكّداً مقولة زعيم النفاق عبد الله بن أبي، كان قومه بعد ذلك إذا أحدث الحدث، هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه. فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم: **"كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله لأرعدت له أُنف** (أي لاضطربت وانتفخت واحمرت له أنوفهم حمية وعصبية) **لو أمرتها اليوم تقتله لقتلته"**. فقال عمر: **"قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري"**.

لقد كان الشيخان عبد الله عزام وأسامة بن لادن -رحمهما الله- محقّان في قرارهما بالتضحية بالشيخ أبي أسامة المصري ومعسكر ورسك، فبالرغم من أن الشيخ أبا أسامة المصري كان من قدامى المجاهدين الأكْفَاء في مجال التدريب، فقد أدركا -رحمهما الله- كما ذكرنا سابقاً، أن ساحة أفغانستان فرصة ذهبية كبيرة يجب أن تستغل بأفضل ما يمكن أن تستغل به، فلأول مرة منذ زمن بعيد يناقش أمر الجهاد في العلن، وفي صفحات الجرائد، وعلى شاشات التلفزة بعد أن كان نسياً منسياً. فأدرك الشيخان -رحمهما الله- أن هذا الضوء الأخضر العالمي لدعم الجهاد ضد الروس، والتسهيلات التي وافقت ذلك لن تدوم طويلاً، وستنتهي وتُقمع بانتهاء المهمة المطلوبة منها. لذلك كان الشيخان يطمعان ويتطلعان إلى أن يأتي إلى ساحة أفغانستان أكبر عدد ممكن من أبناء المسلمين، ليتشبّعوا بفكر الجهاد ثم يحملوه بعد ذلك إلى بلادهم. وكان الشيخ عبد الله عزام -رحمه الله- يقول: **"أريد أن يأتي من كل بلدٍ عربي ولو أربعين مجاهداً، فيستشهد نصفهم، ويعود نصفهم إلى بلاده ليحمل دعوة الجهاد"**.

تتـــابع معسكرات التدريـب:

بعد معسكر ورسك أسس الإخوة معسكر جاور في منطقة خوست، في قاعدة تابعة للشيخ جلال الدين حقاني -رحمه الله- ثم أسسوا مركزاً للتدريب والمناوشات في ليجا لكنه ما لبث أن توقف بعدما أصيب عدد من الشباب أصابات بليغة أثناء إحدى العمليات، ثم افتتحوا في نهاية العام مركزاً تدريبياً قريباً من جاور في منطقة "جهاد وال" التابعة لحكمتيار، فأقيمت هناك بالتتابع أربعة معسكرات، هي معسكر الفاروق العام، ومعسكر جهاد وال الخاص بالدورات الخاصة وتأهيل المدرّبين والكوادر القيادية، ومعسكر الصِّدِّيق الخاص بتدريب الإخوة اليمنيين وأصحاب المدد القصيرة، ومعسكر خالد بن الوليد. وكان هناك معسكر أبو الشهيد القطري في منطقة غِنِي خيل القريبة من جلال أباد، إضافةً إلى معسكرات أخرى للجماعات الجهادية. استمرت هذه المعسكرات حتى نهاية الجهاد، ودربت أعداداً كبيرة من مناطق مختلفة من العالم الإسلامي والعربي، وقد أعطى ذلك المجهود إمكانات عملية هائلة للقاعدة.

يقول الشيخ أبو الوليد المصري في كتابه صليب في سماء قندهار:



"لكن المساهمة النوعية الأخطر في مجال التدريب العربي في أفغانستان، جاءت على يد الضابط المصري حيدرة (علي محمد أبو السعود) الذي يحمل الجنسية الأمريكية، وكان جندياً في الجيش الأمريكي لفترة من حياته المهنية. ففي عام ١٩٨٨م، وبعد اتصال مع بعض معارفه من العسكريين المصريين العاملين ضمن تنظيم الجهاد[١]، وصل حيدرة إلى بيشاور، وعمل في تدريب كوادر تنظيمي الجهاد المصري والقاعدة. ولم يكن ذلك حدثاً عادياً لأن التدريبات التي حقنها حيدرة في هذين التنظيمين، والتي انتشرت بالعدوى بعد ذلك في تنظيمات بيشاور العربي منها وغير العربي، كانت قفزة نوعية بكل المقاييس، فقد احتوت مساهمته على تدريبات القوات الخاصة الأمريكية في حرب العصابات التي شارك حيدرة في مقاومتها ضمن فرق الجيش الأمريكي في عدة بلدان من أمريكا الجنوبية"[٢] ا.هـ

كذلك احتوت هذه التدريبات -كما يقول هارون فضل في كتابه "الحرب على الإسلام": "**على عمل الخلايا في المدن (نظام عمل أطقم الخلايا سواء مجموعة القيادة والمعلومات والتجهيز والتنفيذ في المدن، وفك الشفرات، ورسم الكروكيات، والتخطيط لأعمال خطف الجواسيس، وفك الرهائن المسلمين في الغرف المظلمة، حيث يتم وضع شواخص للأعداء وللأصدقاء، ويتم دخول الغرف بصوت التفجيرات، وكذلك فك الرهائن في الطائرات والمباني العادية والعمارات والسيارات، وتسلق المباني بالحبال، والاشتباك في أصعب الظروف وغيرها). كذلك ساهم حيدرة في إعطاء دورة خاصة في المسدسات، وكيفية التعامل بالسلاح في السيارات والموترسكلات، والقفز من على السيارات.**

كذلك أعطى حيدرة دورة جنرالات حرب في كيفية إدارة المعارك الضخمة بدأً من فصيلة واحدة إلى لواء، وقراءة الخرائط، وكيفية توزيع القوات المسلحة على الخرائط العسكرية، ومعرفة الرموز العسكرية الشرقية والغربية، وتنظيم اجراءات المعركة، وتنظيم الكتائب والسرايا والفصائل والجماعات. كذلك كانت هناك دورات تخصصية في حياة آباد - بيشاور يقيمها الأخ حيدرة، وهي دورة جاسوسية في كيفية جمع المعلومات شارك فيها عدد من الإخوة" ا.هـ

وكان قد تدرب على يد حيدرة عدد من أهم القيادات العسكرية لتنظيم الجهاد، الذين دربوا بدورهم كل الكوادر الميدانية لتنظيم الجهاد العاملة في مصر، وقد جنت القاعدة من حيدرة نفس الفوائد والبرامج التدريبية، وحصلت على أفضل مجموعة من الكوادر المدربة، كان لهم بفضل الله تعالى دوراً فاعلاً في تدريب عشرات الألوف من المجاهدين في كثير من الساحات الجهادية[٣] ا.هـ

وعن التدريب ومجهود الأخ حيدرة في مجال التدريب يقول الشيخ الدكتور أيمن الظاهري حفظه الله:

---

١) نقلاً عن الشيخ الدكتور أيمن: "**كنت أنا وأبو خالد الضابط من قابل حيدرة في نيويورك في بيت الأخ مصطفى شلبي رحمه الله، فقد كان زميلًا في القوات الخاصة لصهر الشيخ أبي خالد الضابط سيد موسى رحمه الله، الذي هاجر مع أبي خالد لباكستان، وبدأ في المشاركة في جاجي وفي المعسكرات بزيارات أولية، ثم توفي في بشاور بسبب آلام في بطنه شُخصت أولاً على أنها تيفويد، ومع مواصلة الأبحاث تبين أنه يعاني من سرطان في الطحال، وتدهورت صحته، وتوفي لرحمة الله في بشاور، ولما علم حيدرة بقصة سيد موسى تأثر جدًا، وقرر أن يأتي للمشاركة في الجهاد".**

٢) صليب في سماء قندهار. للشيخ أبي الوليد المصري. بتصرّف.

٣) خيانة على الطريق -صليب في سماء قندهار. للشيخ أبي الوليد المصري. بتصرف



"وكان أول معسكر شارك فيه حيدرة هو دورة تدريبية لمدة ثلاثة أشهر في شاهي كوت، ثم سافر وعاد بعد عدة أشهر أو سنة، وأعاد الدورة نفسها مرة أخرى في نفس المكان. وكانت الدورة الأولى خاصة بجماعة الجهاد، وفي الثانية ربما شارك فيها إخوة من القاعدة، ثم شارك في دورة ثالثة في كونر كان المتدربين فيها من جماعة الجهاد والقاعدة، ثم شارك بعد ذلك في عدة دورات لجماعة الجهاد والقاعدة في جلال آباد وبشاور، ثم شارك بعد ذلك في عدة استطلاعات في شرق إفريقيا مع القاعدة.

بالنسبة لمعسكرات جماعة الجهاد، فبعد الدورات الثلاث الأولى في شاهي كوت وكونر، افتتحت الجماعة ثلاث معسكرات في جلال آباد قرب فارم سي، وهي معسكر بدر، ومعسكر القادسية، ومعسكر القعقاع، وقد كان الهدف منها تدريب المجاهدين للجهاد في مصر، وقد تدرب فيها قرابة مائتي مجاهد تم جلب معظمهم وإعادتهم لمصر. وكان المشرف على هذه المعسكرات هو الشيخ أبو خالد الضابط (عبد العزيز الجمل) -حفظه الله- وجزاه خير الجزاء، وشاركه الشيخ محمد صلاح (نصر فهمي نصر)، وفتحي (طارق أنور) وأبو محمد سالم (زكي عزت زكي) -رحمهم الله- وغيرهم، وكان ممن تخرجوا منها أبو حمزة المهاجر، وأبو دجانة الباشا، وأبو أيمن المصري، وأبو حمزة ربيع -رحمهم الله- وغيرهم" ا.هـ

وعن دور حيدرة في التدريب يقول الشيخ سيف العدل حفظه الله:

"مشاركته الأبرز مع القاعدة كانت في خوست حيث مكث قرابة أربعة أشهر قدم خلالها سلسلة من الدورات العسكرية، جمعنا له فيها أغلب كوادرنا التدريبية والعسكرية، وكنت مسؤولاً عن هذا المعسكر ومشرفاً على التدريب، ووقتها كنت مصاباً في يدي، كذلك شارك في تدريب الاخوة في الخرطوم".

جدير بالذكر أنه بناءً على توجيهات الشيخ أسامة، كان الإخوة قبل وقت كافٍ من عمليات نيروبي ودار السلام، قد نبّهوا جميع الإخوة المتواجدين في كلٍ من أمريكا وبريطانيا ليخرجوا منهما مخافة أن يتم أسرهم بعد العمليات، لكن لا يغني حذرٌ من قدر، فقد تراخى الإخوة في تنفيذ الأمر حتى ألقت السلطات الأمريكية القبض عليهم عقب تدمير سفارتيها في كينيا وتنزانيا، وكان من بينهم الأخ حيدرة، والأخ وديع الحاج، والأخ إيهاب الملقب بالنووي، وفي بريطانيا أُلقي القبض على الشيخ خالد الفوّاز، نسأل الله أن يفك أسرهم جميعاً.

كذلك كان بحوزة الأمريكان -قبل عمليات شرق أفريقيا- كنز معلومات عن هؤلاء الإخوة بناءً على المعلومات التي أدلى بها لهم المدعو جمال الفضل السوداني، الذي سنأتي على قصّته لاحقاً بإذن الله.

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن هنالك العشرات من كوادر تنظيم القاعدة الذين ساهموا في عملية التدريب، لم يرد ذكر أسمائهم في هذا الكتاب، منهم من قضى نحبه -رحمهم الله- ولم يتسنّ لنا الحصول على صورهم، ومنهم من لا يزال على قيد الحياة، تعمّدنا عدم ذكر أسمائهم حتى لا نسبب لهم حرجاً أمنياً، نسأل الله الكريم أن يتقبّل صنيعهم، ويجزي الجميع عنا وعن المسلمين خير الجزاء، لما بذلوه من جهدٍ مقدّرٍ مشكورٍ في مجال التدريب، وإعداد وتحريض أبناء هذه الأمّة على الجهاد في سبيل الله، وتربيتها على معاني العزة و الكرامة، في زمان سادت فيه ثقافة الذلّة و المهانة.





الأخ علي محمد أبو السعود (حيدرة) - فكّ الله أسره



الشيخ سيف العدل
(محمد صلاح الدين زيدان) حفظه الله



الشيخ أبو عطا التونسي
(الحبيب شوشان) تقبله الله



الشيخ أبو مصعب السوري (مصطفى
بن عبد القادر ست مريم) فكّ الله أسره



أبو إسلام المصري
تقبله الله



الشيخ أبو محمد المصري
تقبله الله



أنس الليبي
تقبله الله



أبو الفرج الليبي
فكّ الله أسره





طلحة السوداني – تقبله الله



عبد الوكيل – تقبله الله



عبد الرحمن المهاجر – تقبله الله



أبو زياد العراقي – تقبّله الله



هارون فضل – تقبله الله



الشيخ أبو خالد السوري – تقبّله الله



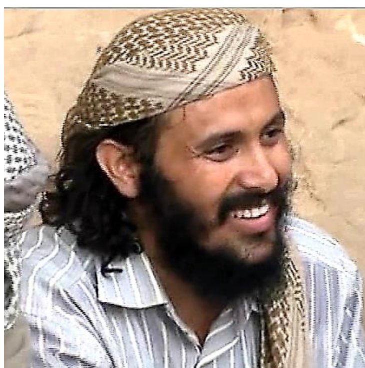
الشيخ خالد الفوّاز – فكّ الله أسره



خالد المقدسي (سعدوف)
تقبله الله



أبو الحسن الصعيدي
تقبله الله



الشيخ قاسم الريمي
تقبله الله



السعدي (أحمد محمد حامد)
تقبله الله



الشيخ يوسف العييري
تقبله الله



الشيخ نصر الآنسي
تقبله الله



القائد عبد العزيز المقرن (أبو هاجر)
تقبله الله





خالد الحبيب – تقبله الله

بعض من نخبة مدرّبي القاعدة

المرحلة الثانية: مرحلة تأسيس القاعدة حتى انتقال الجماعة إلى السودان:

المجاهدون العرب قبل تأسيس القاعدة:

كان المجاهدون العرب في أفغانستان -قبل تأسيس القاعدة في أغسطس عام ١٩٨٨م- صفاً واحداً يجمعهم الشيخان عبد الله عزام وأسامة بن لادن رحمهما الله. وكان التعاون بين الشيخين وثيقاً جداً لكن مع تقدم العمل، وكثرة قدوم الشباب، ومن أجل الهروب من الفوضى لم تخلو العلاقة بينهما -رحمهما الله- من بعض الخلافات التكتيكية في كيفية عمل المجاهدين العرب؛ هل يندمجون مع الأفغان، أم ينفصلون عنهم في العمل الميداني؟ وفي بادئ الأمر كان الشيخ عبد الله عزام قبل عام ١٩٨٧م -بسبب **ندرة وجود العنصر العربي**- يعارض أي تحزب أو تنظيم موحد للعرب. وكان رحمه الله -كما أسلفنا- يرى خدمة الجهاد الأفغاني من خلال اندماج المجاهدين العرب مع الأفغان بقصد دعوتهم وتثقيفهم إسلامياً، وإصلاح ذات البين في حال ظهور منازعات في الجبهات، ورفع الروح المعنوية للأفغان بالتواجد الميداني معهم، ومشاركتهم قتالياً بما تيسر، لذا اختار رحمه الله الخيار الأول.

أما الشيخ أسامة فقد كان يرى أن النفقات الهائلة الضخمة التي تُنفق في ساحة بيشاور يمكن أن يُستغنى عن الكثير منها وتُستثمر لصالح المجاهدين داخل أفغانستان، لأنه إذا سقط النظام الشيوعي فإن الاهتمام بالأمور الأخرى سيأتي تلقائياً إذا ما قامت الدولة الإسلامية. لذلك أراد الشيخ أسامة أن يركز معظم جهوده على العمل العسكري داخل أفغانستان، وأن يكون للعرب دورٌ فاعلٌ في العمليات القتالية داخل أفغانستان، ولن يتأتى ذلك الدور إذا كان العرب مشتتين بين أحزاب الأفغان المختلفة خاصّة وأن كل زعيم حزب كان يسعى لاحتواء العرب، لذا قرر الشيخ أسامة العمل باستقلالية بعيداً عنهم والتعاون معهم في نفس الوقت، فاختار -رحمه الله- الخيار الثاني[١].

وبناءً على قناعته تلك أسس الشيخ أسامة مع الشيخ أبي عبيدة البنشيري، والشيخ أبي حفص الكمندان، وشفيق المدني -رحمهم الله- وآخرين مأسدة الأنصار في جبال جاجي لتكون قاعدة تجمع طاقات الشباب العربي القادمين للجهاد، وترفع مستوى التدريب لديهم لقتال الروس.

وعن هذا الأمر نقل الشيخ سيف العدل عن الشيخ أسامة -رحمه الله- قوله: "**وجدت أن عدداً كبيراً يعني بالجانب الإغاثي، فلم لا نقوم بعمل هيئة إغاثية عسكرية ينصب جل اهتمامها على تقديم الخدمات العسكرية من تدريب وقتال؟". ثم تشاور مع إخوانه القدامى بالساحة حيث رفض الفكرة عدد منهم واعتبرها جماعة جديدة، ورحب بالفكرة عدد آخر هم من قامت القاعدة عليهم لاحقاً. وهكذا نشأت القاعدة كهيئة إغاثة تعنى بالجانب العسكري فقط**".

وفي مقابلته مع تيسير علوني مراسل قناة الجزيرة سُئل الشيخ أسامة عن القاعدة فقال رحمه الله:

"**هذا الاسم قديمٌ جداً، ونشأ بدون قصد منا، فقد كان الأخ أبو عبيدة -عليه رحمة الله- البنشيري كوّن معسكراً لتدريب الشباب للقتال ضد الاتحاد السوفيتي الباغي الغاشم الملحد الإرهابي حقيقة للآمنين. فهذا المكان كنا نسميه القاعدة كقاعدة تدريب، ثم نما هذا الاسم. أما نحن فغير منفصلين عن الأمة، نحن أبناء أمة، ونحن جزء لا يتجزأ منها**" ا.هـ

---

١) أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان. فارس الزهراني. بتصرّف.

عالمية الجهاد في منظور الشيخين عبد الله عزام وأسامة بن لادن رحمهما الله[١]:

ذكرنا في الأعلى أن العلاقة بين الشيخين عبد الله عزام وأسامة بن لادن -رحمهما الله- قبل تأسيس القاعدة لم تخلو من بعض الخلافات التكتيكية في كيفية عمل المجاهدين العرب. وكانت رؤية الشيخ عبد الله عزام بسبب ندرة وجود العنصر العربي آنذاك قد تلخّصت في أن يكون دور المجاهد العربي القادم لنصرة الجهاد الأفغاني، فقط دور خدماتي، بينما تلخصت رؤية الشيخ أسامة بضرورة ممارسة العرب للدور القتالي في الجبهات.

وللأسف الشديد هناك من يدندن في مقالاته المعنونة بـ (الجهاد المعاصر بين عزام وبن لادن) على وتر تلك الخلافات التكتيكية المحليّة محاولاً ترسيخها في ذهن القارئ بأنها خلافات منهجية كبيرة وحسّاسة بين رؤية الشيخين للعمل الجهادي العالمي.

وبالرغم من وضوح رؤية الشيخ عبد الله عزام كالشمس في رابعة النهار بأنها كانت رؤية محلية تكتيكية لها سببها في فترة زمنية محددة من عمر الجهاد في أفغانستان فقط، إلّا أنّ كاتب المقالات يحاول تزوير التاريخ، وقلب الحقائق، وتحميلها ما لا تحتمل بقوله أن رؤية الشيخ عبد الله عزام كانت رؤية عالمية تشمل الجهاد في مختلف الأقطار الإسلامية، بمعنى أنّ وظيفة المهاجر لأي ساحة من ساحات الجهاد في العالم يجب أن لا تتعدى حيثيات العمل الخدماتي لأهل الثغر، وأن لا يمارس النّافر للجهاد أي دور قتالي في تلك الساحات إلّا بما تيسّر، وهذا ما لم يقله أو يقصده الشيخ عبد الله عزام رحمه الله قط.

ليس هذا فحسب، بل مزيداً من التلبيس -حتّى ينطبع في ذهن القارئ مفهوماً محدداً للعمل الجهادي العالمي- يحاول كاتب المقالات أن يوحي للقارئ بصحة رؤية الشيخ عبد الله عزام، وأن الشيخ أسامة بتأسيسه لطريقته الخاصة للجهاد العالمي -التي غلب عليها الفردية في اتخاذ القرارات المصيرية، والوسائل الغريبة، والاستقلال بالمشروع عن أصحاب الأرض، والمشاركة في النزاعات والاقتتالات البينية- لم يراع الأصول الشرعية الحركية التي سار على أُسُسِها وقواعدها شيخه الهمام عبد الله عزام رحمهم الله.

وفي الحقيقة، لمن دقق في تاريخ حركة الإمامين، وأمعن النظر بأمانةٍ في أطروحات الشيخين -رحمهما الله- يدرك تماماً أنّ ما ذهب إليه كاتب المقالات لا أساس له من الصحة، ومخالف للتأريخ والواقع. والحقيقة أنه لم يكن هناك أي خلاف بين الشيخين في رؤيتهما للعمل الجهادي العالمي.

ومما يجدر ذكره أن الشيخ عبد الله عزام -بعد نجاح الشيخ أسامة في معركة جاجي وهزيمة الكوماندُز الروس، وتزايد حضور الإخوة العرب- كان قد اقتنع بجدوى ما ذهب إليه الشيخ أسامة بضرورة ممارسة العرب للدور القتالي، وبناءً عليه اتّفقا معاً على الجمع بين الدعم الخدماتي والعسكري والإنساني التشاركي والمستقل على التوازي، ثمّ توجيه هذا الدعم وفق السياسات التي كانت محل إجماع بين قادة المجاهدين الأفغان، مع السعي الحثيث والجاد لتوحيد صفوفهم، والتحذير الشديد من المشاركة في صراعاتهم ... فالذي استقر عليه مشروع الإمامين عزام وبن لادن -بعد بروز مؤشرات الانكفاء الروسي وتقهقر الاتحاد السوفيتي- هو عسكرة الأمة الإسلامية كلها للتحرر من الهيمنة الكفرية العالمية سواء أكانت شرقية أم غربية.

---

١) مقال في مجلة أمة واحدة العدد الخامس بعنوان: "عالمية الجهاد في منظور الشيخين عزام وبن لادن" للكاتب: خطاب الهاشمي. بتصرَف.



وكان الشيخ عبد الله عزام في كثير من أطروحاته ومحاضراته ودروسه الأخيرة لا سيما في العامين اللذين سبقا استشهاده قد جهر بتجديده للخطاب الجهادي المعاصر بكشفه لحقيقة معركة الإسلام اليوم ومتطلباتها، وبيان عمق الأزمة التي تعيشها أمتنا الإسلامية من فقدٍ للوعي بحقيقة صراعاتها الحاضرة والغابرة. ومن هذه الأطروحات ما يلي:

• قرر الشيخ عبد الله عزام في أطروحاته الأخيرة أن العالم الإسلامي محتل من الشرق إلى الغرب، وعليه يجب على الأمة وجوباً عينياً إقامة الجهاد العالمي لإجبار العدو المحتل على الخروج من العالم الإسلامي، قال رحمه الله:

"وكل المسلمين في الأرض اليوم آثمون ما دامت أي بقعة كانت إسلامية تحت حكم الكفار، وكل مسلم يحاسب عن الأندلس، ويحاسب عن أفغانستان، ويحاسب عن فلسطين، ويحاسب عن الفلبين، يحاسبون عن هذه الأراضي الضائعة». وقال أيضاً: **«كل من لا يجاهد الآن -فوق الأرض- فهو فاسق، وإن كان من حمائم المسجد، وإن كان من العبّاد والزهّاد».** وقال أيضاً: **«فلا بد أن نبقى نزاول الجهاد، والجهاد فريضة العمر في أفغانستان وفي فلسطين وفي الفلبين وفي كل مكان طغى فيه الأباطرة والقياصرة والظالمين".**

• كذلك يقرر الشيخ عبد الله عزام في أطروحاته الأخيرة أن العدو الصهيوصليبي المحتل لبلاد المسلمين لا يجدي معه إلا فريضة الإرهاب العادلة، ووسيلة العنف المتبادل جزاءً وفاقاً، ولذلك رفع شعاره الواضح البيّن وقال قالته الشهيرة: **"نحن إرهابيون، وليعلموا أن الإرهاب فريضة في ديننا"**، فلا يحفظ الدم إلا الدم، والوسطية والاعتدال في نظر العدو الصهيوصليبي المحتل هي بالدخول في (دين الإسلام الأمريكي) المناقض للإسلام السماوي المحمّدي الذي أنزله الله من السماء وارتضاه ديناً للناس في الأرض.

• كذلك يقرر الشيخ عبد الله عزام في أطروحاته الأخيرة أن كل مناصرٍ ومظاهرٍ للعدو الصهيوصليبي المحتل لبلاد المسلمين فهو منهم ولو كان من أهل الإسلام من بني جلدتنا، وأن الفهم الصحيح لواقع أزمة الأمة الإسلامية يقتضي فهم المعادلة السياسية الصحيحة وهي **أن الطريق إلى الجهاد ضد الظلم والطغيان المحلي يمر حتماً بمواجهة رأس الكفر العالمي.**

• أيضاً يقرر الشيخ عبد الله عزام في أطروحاته الأخيرة أن السبيل لإنهاك القوى الدولية الكبرى المحتلة للعالم الإسلامي وتفكيكها وطردها وإخراجها صاغرة من بلاد المسلمين يكون بإغراقها في مستنقع الوحل الذي دخلت إليه بغرور، وضرب مفاصلها الاقتصادية، ثم العسكرية من خلال إجبارها على دفع ثمن باهظ من المال والدم، مع التركيز على زيادة تكاليف الحرب عليها باستدراج المزيد من قواتها في المستنقع، وفي ذلك يقول عزام، تقبله الله:

"لو استطعنا أن نستدرج روسيا ونضطرها إلى زيادة قواتها في أفغانستان إلى نصف مليون جندي -هذا نفس الرقم الذي استعملته أمريكا في فيتنام- فهذا يعني أن نفقات روسيا يومياً في أفغانستان ستصل إلى مائتين وخمسين مليون دولار، وهذا يعني كذلك أن روسيا ستدفع في أفغانستان بكل جنودها الاحتياطيين المعدين لآسيا، وهذا الرقم لا يحتمله الاتحاد السوفيتي، وليس من المتوقع أن ترتكب روسيا هذا الخطأ، ولكننا يجب علينا أن نخطط لعمليات عسكرية

قاصمة تضطر روسيا لمضاعفة قواتها وخسائرها، ولإضعاف إرادتها القتالية، وإقناع الولايات الإسلامية في بخارى وطشقند بضعف روسيا".

إذاً من خلال هذه الأطروحات والنّقولات الكثيرة التي زخرت بها كلمات الشيخ عبد الله عزام تشكّلت الهوية الفكرية، والأرضية الاستراتيجية لعقلية تلميذه الشيخ أسامة بن لادن، إضافةً إلى كونها الأسس البنيوية لانطلاقة نسخة الجهاد العالمي المعاصر التي تبنتها القاعدة، وشحذتها عبقرية الإمام الشيخ أسامة بن لادن، وابداعاته في المجال السياسي والعسكري. وعليه يتبين للقارئ زيف وبطلان ادعاء من يقول أنّ هناك خلافات منهجية كبيرة وحسّاسة بين رؤية الشيخين عزام وبن لادن للعمل الجهادي العالمي، وأن رؤية وحركة الشيخ أسامة وطريقته في الجهاد لم تراع الأصول الشرعية الحركية التي سار على أُسُسِها وقواعدها شيخه الهمام عبد الله عزام رحمهما الله.

البداية الفعلية للقاعدة:

يقول الشيخ فارس الزهراني في كتابه "أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان" بتصرّف: **"كانت البداية الفعلية لعمل القاعدة بالتحديد في سنة ١٩٨٨م، حيث لاحظ الشيخ أسامة -رحمه الله- مع توسع فكرة الجهاد، وزيادة الأعباء واحتدام المعارك أن حركة المجاهدين العرب قدوماً وذهاباً والتحاقاً بالجبهات، بل وحتى كثرة الإصابات والاستشهاد قد ازدادت دون أن يكون لديه سجل عن هذه الحركة. وكان نقص هذه المعلومات سبباً لإحراج الشيخ أسامة في أحايين كثيرة لعدم توفّر إجابات مع بعض العوائل -خاصة أولئك القادمين من بلاد الحرمين واليمن- التي تسأل عن أبنائها بالهاتف، أو من خلال إرسال مندوب عنها للتعرف على مصير عضو العائلة الذي التحق بالشيخ أسامة.**

واستدراكاً لهذا الخطأ الإداري قرر الشيخ أسامة ترتيب سجلات للإخوة المجاهدين العرب توثق لحالات الوصول والشهداء والجرحى، ووُسّعت الفكرة لتشمل تفاصيل كاملة عن كل من وصل أفغانستان بترتيب من مجموعة الشيخ أسامة، فرُتبت السّجلات بحيث تتضمن تاريخ وصول الشخص، والتحاقه ببيت الأنصار، ثم تفاصيل التحاقه بمعسكرات التدريب، ومن ثمّ التحاقه بالجبهات. وأصبحت السّجلات مثل الإدارة المستقلة، وكان لا بد من إطلاق اسم عليها لتعريفها داخلياً، وهنا اتفق الشيخ أسامة -رحمه الله- مع معاونيه أن يسموها سجل القاعدة، على أساس أن القاعدة تتضمن كل التركيبة المؤلفة من بيت الأنصار ومعسكرات التدريب والجبهات" ا.هـ

البيعــات والعهــود:

تطور الأمر بعد ذلك ليبدأ ميلاد القاعدة رسمياً في أغسطس عام ١٩٨٨م، وذلك عندما بدأ الشيخ أسامة يأخذ العهود والبيعات من الشباب على السمع والطاعة لمن يريد أن يخدم الجهاد، والبقاء معه لدعم قضاياه وتنظيماته في أماكن عديدة. ولم تكن تلك البيعات مقصورةً على شباب بلاد الحرمين أو على العرب فقط دون غيرهم من الجنسيّات الأخرى، إنما كانت تشمل العرب والعجم من جميع دول العالم.

وبالرغم من أن الدورات التدريبية في معسكر التدريب كانت تقدّم لعشرات الآلاف من المجاهدين إلّا أن جزءاً من هؤلاء فقط -بعد الانتهاء من الدورة التأسيسية ومدتها ٤٥ يوماً- يتمُّ اختيارهم ومفاتحتهم

حول الانضمام للتنظيم بعد أن تتم تزكيتهم من إدارة المعسكر وفق معطيات دقيقة كثيرة. وكان هذا الإجراء كفيلاً ليس فقط بمنع الاختراق، نظراً لأن العضوية فيه لا يأخذها الفرد متى شاء وإنما تُمنح من القيادة، فكان تنظيم القاعدة يقوم بتجنيد زبدة النخبة من الفعاليات الجهادية، فقد كانوا يحرصون على انتقاء المجاهدين المؤهلين مما انعكس إيجاباً على العمل الجهادي لتنظيم القاعدة، فقد كان يهمهم أن يُخرّجوا رجالاً يُعتمد عليهم في الشدائد، لذا كانت عدة مجاهدي القاعدة تتمثل في الصبر واليقين[١]، لذلك ترى رجل القاعدة يتحمل مالا يتحمل غيره، فهو يصبر في موقعه حتى تأتيه الأوامر بالتقدم او التأخر، فقد كانوا يشعرون أنهم لبنة في بناء الجهاد، وفقهوا حديث رسول الله ﷺ: طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ﴾ كذلك كانوا يتمثلون حديث رسول الله ﷺ في طاعة الامير ومياسرة الشريك[٢].

فكـرة القــاعدة:

كغيرها من الجماعات الجهادية الأخرى، لم تكن القاعدة -منذ اليوم الأول الذي تأسست فيه- قطرية التوجّه، بل كانت عالمية في توجهها وعالميةً في أفرادها. فالشيخ أسامة -رحمه الله- لم يرد أن يكون الجهاد ردة فعل مجردة خال من أي فكرٍ يقوده وينظمه، ولم يرد أن يكون الجهاد محدوداً في حدود سايكس بيكو، فقد كان يريد أن تكون للمجاهدين قوات تدخل سريع ضاربة منظمة كلما سمعوا هيعة أو فزعة طاروا لنجدة المسلمين ولو كانوا في الصين. وحسب تصور القاعدة فإن مشروع الجهاد الإسلامي لا يتوقف عند حدود بلد أو دولة إنما يتعداها ليشمل الأرض كل الأرض، لتتحرر من عبادة العباد الى عبادة الله وحده، فهذه هي فكرة القاعدة وانطلاقتها من أفغانستان. فأفغانستان إنما هي مرحلة في الطريق، وزاد يتزود بها المرء في طريقه الشاق والطويل. وقد أعلن الشيخ أسامة ذلك الهدف فقال:

"ونحن بهذا الجهاد لا نبتغي تحرير أفغانستان فقط، فأفغانستان جزء من العالم الإسلامي، وإنما أملنا وهدفنا أن تكون هنا النواة لتجميع طاقات الشباب المسلم والعربي لتدريبهم حتى يكونوا بإذن الله نواة الجيش الإسلامي مع إخوانهم المجاهدين في أفغانستان لتحرير باقي أراضي المسلمين"[٣] ا.هـ

وهكذا كانت القاعدة بحق عبارة عن جيش صغير تروضت نفوسهم على طاعة الأمير، والعمل المنظم بصبر وتؤدّة، ودخول المعارك ضمن برامج تحت إشراف رجال كان فكرهم أشمل ونفوسهم أوسع، لقد كانوا يعملون للمستقبل، ويخططون لما هو أبعد من أفغانستان، ويعدّون أنفسهم لمراحل قادمة، ومع ذلك فإن قيادة القاعدة كانت دائماً متواجدة في أرض المعركة وفي المناطق الساخنة، يتواجدون ليصهروا أنفسهم ويقوموا بتقوية بنيانهم طلباً لمرضاة الله، ودفعاً للكافرين عن احتلال أراضي المسلمين، فقد كان الشيخ اسامة رحمه الله يتوقع الشهادة في كل مرة فهو في أتون المعركة، وكم من مرة ظن نفسه شهيداً ثم ينقذه الله من موت محقق ليؤخره الى قدره وأجله المسمى[٤].

---

١) أسامة بن لادن مجدد الزمان لفارس الزهراني، بتصرف.

٢) فرسان الفريضة الغائبة لصالح الهامي.

٣) تنظيم القاعدة. النشأة -الخلفية الفكرية- الامتداد. للكاتب سعيد علي عبيد الجمحي. بتصرّف.

٤) فرسان الفريضة الغائبة لصالح الهامي. بتصرّف.

ما هو منهج القاعدة؟:

كان بعض الإخوة قد اقترحوا على الشيخ أسامة بأن يكون هناك منهج واضح بيّنٌ مكتوب تسير على نهجه الجماعة، ويميزها عن باقي الجماعات. وكان الشيخ أسامة -رحمه الله- يردّ على هؤلاء الإخوة بكل بساطةٍ قائلاً لهم: "**إن منهجنا هو ما جاء في كتاب الله، وسنّة نبيّه عليه الصلاة والسلام، وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، ومن تبعهم بإحسان من سلف هذه الأمّة**" ا.هـ

وعن هذا الأمر يقول الشيخ حسين بن محمود في مقال له بعنوان "هذه هي القاعدة":

"والناظر في أدبيات القاعدة يرى أنه ليس عندها شيء خاص بها، فليس هناك عقيدة مكتوبة للقاعدة، ولا منهج مدوّن، كل ما هنالك: اجتهادات شخصية في بعض النوازل الفقهية التي يستعين فيها المجاهدون -في الغالب- بعلماء المسلمين في شتى بقاع الأرض ... وليس عدم كتابة منهج أو عقيدة ناتج عجز أو جهل، بل هو من الحكمة، لأن المنهج الحقيقي لكل مسلم مكتوب محفوظ بحفظ الله، فلا داعي لكتابة منهج تستقل به جماعة عن المسلمين في تنظيم جديد تُقيِّم على أساسه عقيدة الولاء والبراء، هذا فضلاً عن أن كثير من علماء السلف كتبوا في المنهج الإسلامي الصحيح، والمجاهدون منهجهم: الدليل الصحيح المعتبر ...

إن منهج "القاعدة" هو القرآن الكريم والسنة الثابتة على فهم سلف الأمة، وهذا هو الإسلام الذي نعرفه، وعقيدة "القاعدة" هي ما في القرآن والسنة الصحيحة على فهم سلف الأمة، وهذه هي العقيدة التي نؤمن بها، وليس "للقاعدة" منظّر بالمعنى المتعارف عليه عند بقية الجماعات، وإنما هناك: قرآن وسنة وعلماء يجتهدون في هذا النطاق الواسع من النصوص، علماء وطلبة علم يستعينون بكلام علماء الأمة قديماً وحديثاً دون النظر إلى مذهب العالم الفقهي أو بلده أو انتمائه التنظيمي، أما من كان من أهل البدع والأهواء فهؤلاء لا اعتبار لهم، وإنما المعتبر هو الدليل الشرعي، فمتى ثبت الأمر بمقتضى الدليل الشرعي: صار مذهباً ومنهجاً عند "القاعدة".

من هنا يتبين بأن "القاعدة" ليست تنظيماً بالمعنى المتعارف عليه، بل هي جزء من الأمة الإسلامية ككل لا تنفك ولا تنفصل عنها، ولا يمكن لأحد أن يفصلها عن جسد الأمة، وكم حاول الإعلام، وحاولت الحكومات، وحاول علماء السوء أن يطلقوا على المجاهدين الألقاب والمسميات كي يفصلوهم عن جسد الأمة، فقالوا "إرهابيين"، وقالوا "الفئة الضالة"، وقالوا "المتنطعين"، وقالوا "أهل التفجير والتخريب"، وقالوا "أهل العنف"، وقالوا "خوارج"، وقالوا "أهل التكفير"، وغيرها من المسميات التي تكسّرت على صخرة الحقيقة الصلبة بفضل الله ومنّته .." ا.هـ

وفي إجابته على تساؤل مراسل قناة الجزيرة تيسير علّوني حول: *ما هو مدى ارتباط تنظيم القاعدة؛ وجود تنظيم القاعدة بشخص أسامة بن لادن؟* يؤكّد الشيخ أسامة رحمه الله على هذه المعاني قائلاً:

"الحمد لله، أقول بالنسبة لما ذكرتم، وأكرر ما ذكرته من قبل، إن الأمر لا يخص العبد الفقير، ولا يخص تنظيم القاعدة، نحن أبناء أمة إسلامية قائدها محمد ﷺ، ربنا واحد سبحانه وتعالى، ونبينا واحد عليه الصلاة والسلام، وقبلتنا واحدة، ونحن أمة واحدة، ولنا كتاب واحد، هذا

الكتاب الكريم، والسنة المطهرة عن نبينا عليه الصلاة والسلام، ألزمتنا شرعاً بأخوة الإيمان، فكل المؤمنين إخوة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠].

فليست المسألة كما يصورها الغرب أن هناك تنظيم خاص باسم كذا. هذا الاسم قديم جداً، ونشأ بدون قصد منا، كان الأخ أبو عبيدة -عليه رحمة الله- البنشيري كوّن معسكر لتدريب الشباب للقتال ضد الاتحاد السوفيتي الباغي، الغاشم، الملحد الإرهابي حقيقة للآمنين، فهذا المكان كنا نسميه القاعدة، كقاعدة تدريب ثم نما هذا الاسم، أما نحن فغير منفصلين عن الأمة، نحن أبناء أمة، ونحن جزء لا يتجزأ منها. وما هذه المظاهرات العارمة من أقصى المشرق، من الفلبين إلى ماليزيا إلى إندونيسيا إلى الهند وباكستان وموريتانيا ... نحن نتحدث عن ضمير الأمة، هؤلاء الشباب الذين ضحوا بأنفسهم نرجو الله أن يتقبلهم في نيويورك وواشنطن، هؤلاء هم المتحدثون على الحقيقة لضمير الأمة، وهم ضميرها النابض الذي يرى أنه لابد من الانتقام من الظالم، من الباغي، من المجرم، من الإرهابي على الحقيقة الذي يرهب الآمنين. فليس كل إرهاب مذموم، فهناك إرهاب مذموم، وهناك إرهاب محمود. فلو نأخذ بقولهم فالمجرم اللص يشعر بالإرهاب من الشرطي، فهل نقول للشرطي أنت إرهابي أرهبت اللص؟ لا، فهذا إرهاب البوليس للمجرمين إرهاب محمود، وإرهاب المجرم للآمنين إرهاب مذموم. فأمريكا تمارس الإرهاب المذموم، هي و"إسرائيل"، ونحن نمارس الإرهاب المحمود الذي هو يردع هؤلاء عن قتل أطفالنا في فلسطين وغيرها"[1] ا.هـ

لجان القاعدة الإدارية:

كانت القاعدة تدير أعمالها من خلال لجان إدارية عديدة، فكانت هناك اللجنة العسكرية وتشرف على معسكرات التدريب وجبهات القتال والعمليات الخارجية، ويرأسها الشيخ أبو حفص الكمندان رحمه الله. واللجنة الأمنية ويرأسها الشيخ سيف العدل حفظه الله. واللجنة المالية وشئون الأفراد ويرأسها الشيخ سعيد (مصطفى أحمد عثمان أبو اليزيد) رحمه الله. واللجنة الشرعية وكان يرأسها آنذاك 'أبو إبراهيم المصري'، ثم خلفه في السودان الشيخ أبو حفص الموريتاني حفظه الله. كذلك كانت هنالك لجنة إعلامية مصغّرة مهمتها متابعة الأخبار والأحداث الجارية في العالم، ثم تفريغها في نشرة إخبارية مطبوعة، وتوزيعها بعد ذلك على المضافات والجبهات والمراكز.

وكانت المضافة الخاصة بأفراد القاعدة في بيشاور تسمّى بيت السلام، وكان هناك أيضاً بيت معروف بين الإخوة ببيت المعهد الشرعي، كانت تقام فيه الدورات الشرعية[2]، ويتواجد فيه بصفةٍ دائمة الأخ الإداري للتنظيم المسؤول عن تنظيم حركة أفراد القاعدة من وإلى بالتنسيق مع أُمراء اللجان، فمنذ أن يبايع الأخ على برنامج القاعدة بعد التخرج من المعسكر يتم توزيعه على لجنة من لجان التنظيم حسب تخصصه ومؤهلاته وقدراته. كذلك كان الشيخ أبو حفص الكمندان -رحمه الله- يتواجد في هذا البيت، ويلتقي فيه مع الإخوة وكلّ من يطلب لقاءه من قادة وأمراء الجماعات الأخرى لمناقشة مستجدات الساحة، وحلحلة ما استعصى من أمور.

---

١) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة بن لادن.

٢) جديرٌ بالذكر أن الشيخ أبا محمد المقدسي -حفظه الله- كان من ضمن المشايخ الذين يعطون هذه الدورات.



وكان الشيخ أسامة يكفل المئات من الإخوة المتزوجين من القاعدة وغير القاعدة بكفالاتٍ شهرية، وكانت مساكنهم تستأجر وتؤسس على نفقته، كذلك كانت هناك مساعدات شهرية ثابتة يقدمها الشيخ أسامة لغير المتزوجين من أفراد القاعدة، وكان -رحمه الله- قد تكفّل بالصرف على مضافة بيت الأنصار، وبعض المضافات الأخرى الغير تابعة تنظيمياً للقاعدة، وكان دعمه العسكري بالذخائر والسلاح والتموين بالغذاء يشمل معسكرات التدريب وجبهات القتال في خوست وجرديز وجلال أباد، كذلك كان ينفق ويقدم دعمه، ويتعاون على البر والتقوى مع كل الجماعات الجهادية القطرية الأخرى الموجودة في الساحة. وكان -رحمه الله- أيضاً يساهم في دفع قيمة تذاكر السفر بالطائرة ذهاباً وإياباً لكثير من الإخوة، ويساهم أيضاً في دفع نفقات علاج الجرحى في المستشفيات الخاصة خارج باكستان، ويساهم أيضاً في دفع الديات، ويساهم حتى في نفقات زواج الإخوة، وفي نفقات الحج لمن أراد.

قصة أبي إبراهيم أحمد بن نصر الله المصري:

كان هذا الرجل محسوباً على مشايخ العلم في بيشاور، وكان هو المسؤول الشرعي لتنظيم القاعدة، وكانت له مؤلفات ورسائل وكتيبات صغيرة في فضل الجهاد والرباط والشهادة وإلى غير ذلك، وكانت كتبه توزع في بيوت المجاهدين، وتزخر بها المراكز في جبهات القتال، وكان لا يفتأ يقيم الدورات الشرعية، وله دروس ومواعظ يلقيها أحياناً في بيوت القاعدة، وبيت الأنصار وغيرهما. وكان من ضمن الذين هاجروا إلى السودان في أوائل التسعينات، ثم غادره إلى اليمن تقريباً عام ١٩٩٤م.

وذات مرة في اليمن عرض هذا الرجل خدماته على جهاز الأمن السياسي، فقدّم لهم ملفاً كاملاً عن رؤيته في كيفية القضاء على المجاهدين وعلى تنظيم القاعدة. وكان آنذاك كثيرٌ من العاملين في الجهاز ينتمون إلى حزب الإصلاح، فسرّب أحدهم[١] الملف إلى بعض الإخوة المجاهدين فقاموا بأسره، وكانوا على وشك أن يقتلوه غير أنه استعطفهم بقوله إن حاله كحال الصحابي الجليل حاطب بن بلتعة رضي الله عنه، أي أنه لم ينافق، وإنما فعل ما فعل نسبة للضائقة المعيشية التي كان يمر بها. وبهذه الحجّة أوصل أبو إبراهيم آسريه إلى حالة من الشّك جعلتهم يختلفون في أمره فأطلقوا سراحه، ثم ولّى بعدها هارباً إلى مصر، وهناك تكشّفت حقيقته في صفحات الصحف الرئيسية التي تناولت خبره على نجاح المخابرات المصرية في استنقاذ أحد رجالاتها، وكان يتباهى في مقابلة معه بأنه كان رجل مخابرات بامتياز، نسأل الله العافية والثبات.

دروسٌ وعبر من قصّة أبي إبراهيم المصري:

ولعل في قصّة أبي إبراهيم الكثير من العظات والعبر التي يجب الوقوف عندها طويلاً، لخّصها الشيخ أبو قتادة الفلسطيني -حفظه الله- في مقالٍ له بعنوان "رجع الصدى"[٢] وكان مما كتب:

١- "إن أهم مقصد في هذا هو الخوف من العاقبة، وعدم الثقة بالنفس، ووجوب دوام مراقبة الله والخوف منه، فمهما كان مقام الرجل في العلم أو العبادة أو الجهاد فالفتنة ليست بعيدة

---

١) جديرٌ بالذكر أن هذا الرجل -بعد أن تسرّب للمخابرات المصرية خبر تسريبه ملف أبو إبراهيم للإخوة- واسمه .... كان في رحلة عمل تجارية إلى ...، وهناك تمّ أسره في سبتمبر ٢٠٠٢م، وسُلّم للأمريكان في سبتمبر ٢٠٠٤م بحجّة الانتماء للقاعدة، ثمّ رُحّل إلى معتقل غوانتنامو، وحتّى يومنا هذا ما زال حبيساً فيه، بعد أن صنفته الحكومة الأمريكية مع آخرين بأنهم يشكّلون خطراً عليها، وبناءً عليه يحقُّ لها الاحتفاظ بهم إلى أجلٍ غير مسمّى، نسأل الله الكريم أن يعجّل بفكاك أسرهم.

٢) المقال في كتاب "شُذور الذهب" الجامع لكتابات الشيخ أبي قتادة الفلسطيني في وسائل التواصل الاجتماعي [٢٠١٧م - ٢٠١٨م].

عنه، وكلما ارتقى المرء كانت فتنته أشد، وسقوطه أكثر ألماً، ولذلك تزداد الفتن على المرء بازدياد علمه ومقامه، فوجب زيادة الخوف والحذر. وأنا على ذكر دائم لكلمة سفيان الثوري رحمه الله تعالى وقد رأوه يبكي، فظنوا أنه يبكي ذنوبه، فغضب عليهم فهمهم هذا، وقال: "إنما أبكي أن أُسلب الإيمان عند الموت"...

فهذا الرجل الواعظ، وهذا الرجل الذي سبق ذكره وهو يطلب الموت مظانه، وقد صار إلى ما رأيتم، يعلّمان كل قلب أن يخاف، وأن يبقى على حذر من انقلابه وتغيره، حتى يلقى الله خائفاً وجلاً منه، جل في علاه.

٢- هذه النماذج وغيرها تعلمك وتخوفك أن الستر يوماً لابد أن ينكشف لمن يتعامل مع الدين، فالله أرحم بهذه الأمة أن يستر الخائن فيها، أو المتلاعب بدين الله، أو الذي تخفّى ليفسد الأمة والجهاد، فمثل هؤلاء سيكشفهم الله يوماً مهما تسترّوا، ومهما تخفّوا، ومهما ستروا أنفسهم، فسنة الله مع هؤلاء جارية بالفضح والكشف والخزي في الدين، حتى لا تصيبهم اللعنات.

وقد صدق سلفنا في قولهم: "إن من بيّت الكذب على دين الله في السَّحَر، سيصبح الناس وهم يقولون: فلان كذّاب". فإياك أن تظن أن من كذب على الله في الدين والجهاد سيموت مستوراً، بل والله ثم والله ليفضحنه الله قبل موته، وليُسيِّرن لعنه على كل لسان في حياته وبعد موته، يرجم الناس اسمه كما يرجمون قبر أبي رِغال.

٣- لعبة الجاسوسية قديمة، ولا يخلو منها مجتمع مهما كان طهره ومهما كان حرصه، ولا يُعير قوم باكتشاف وسخ زنديق في أمة الإسلام أو جماعات المسلمين، لكن مع هذا الدين خصوصية لا توجد في غيره، وهو أن الله يكشف الخائن حتى لو ستره حيناً أو زماناً، صبراً عليه ليتوب، أو محنة للخلق، ولذلك لا يجوز لك التعامل إلا بحسن الظن في الناس والمجاهدين والعلماء، إلا أن تكون الدلائل والأمارات، وأما ما وراء ذلك فاتركه لله، فسيفضحه ويكشفه ويخزيه، وحينها ينقلب عزه إلى ذل، واسمه المحترم إلى خزي وعار، ورفعته بالدين ضعة وحقارة بين الخلق أجمعين.

فهذا أبو إبراهيم، كشفته أقدار لو علمتها تعجب، ولولا هذه السُّنة في كشف هؤلاء بلا استثناء لما كان بمقدور أحد أن يقول فيه كلمة سوء واحدة.

كلماتي هذه تحذّر الناس من غضب الله، ومن كشْف سترهم منه سبحانه وتعالى، ومن الذي يَقدِر على معاندة الله في قَدَره!

وهي مُطَمْئِنَةٌ لأهل الإسلام أن هذا الدين محفوظ، وأنه دين الله، هو الذي ينقيه من الشر؛ رجالاً ومقالاً، وليس فيها شيء من الخوف الذي ينشُر سوء الظن بين المسلمين، ولا تعقب العورات، فمن تعقب عورات الناس تعقب الله عورته حتى يكشفه في عقر بيته.

وهي تعلم الخلق أن أعداءنا يقدمون النماذج كما نحب، ويدسون شرهم في كل منافذ حياتنا، فليس هناك باب لا يدخلونه، وليس عند سيدهم إبليس يأس في صيد الساقطين في كل باب، فهذا باب العلم، وهذا باب الجهاد، وغيرهما من الأبواب، لم ييأس الشيطان أن يدخل شره فيهما، فلذلك وجب الحذر في كل باب، ويجب النظر في كل صورة، والأمور فينا ليست عصية،

فقد يدخل عليك بأحسن صورة من لحية ولباس، أو من أحسن منافذ الحب عندك كالغلو، أو حب الجهاد، وهكذا، فمنافذ الدين سهلة ليلج منها هؤلاء، ولكن العاقبة هي الخزي والكشف والفضيحة، ولكن وجب الحذر.

وكشفك لطريقة أعدائك يبين لك قذارة القوم، فلربما أتوا للمتدين من باب عجيب تجهله حتى يسقطوه، وربما أسكروا أهله، وربما وربما، حالات مؤلمة تدلك على إجرام القوم، وخبثهم، فلا سقف لإجرامهم وخبثهم ...

٤- هذه حياتنا، نعيشها بلا خوف، من دعانا لمكرمة أجبناه، ومن دعانا لشر أعرضنا عنه، نعمل بالظاهر، والله يتولى السرائر، ولا يجوز لنا بحال أن نتكلم بالظنون في الأعراض، فالحق عليه أمارته، والشر عليه ألف أمارة. وهذا المجاهد لو مات في جهاده قبل فتنته لبلغ الفردوس، وما قاله هذا الشيخ من الدين لم يصر باطلاً لأن الرجل خبيث، فالحق حق ولو جاء من غير غرزه، والباطل باطل ولو جاء من ولي، فلا يضرك إلا أن تبذل روحك للدين، وما عليك إلا تعلُّم الحق والهدى، وربما صدقك الشيطان وهو كذوب، ودع أقدار الله تعمل عملها في كشف الحق والباطل، ولا تشتغل إلا بنفسك أن تكون من أهل الحق، لتموت عليه.

كتبت هذه الكلمات، لأننا نعيش موسم الهجرة إلى الباطل، وكثرة الساقطين، فادع الله أن يحفظك ويثبتك حتى تلقاه.

كتبت هذه الكلمات لنفسي ولإخواني مخوفاً أن نلقاه ونحن على شر حال.

كتبت هذه الكلمات لأقول للصادقين: لم يبق إلا القليل فاصبروا.

كتبت هذه الكلمات لأقول: من يغالب الله يغلبه (والله غالب على أمره)" ا.هـ

كذلك من الدروس والعبر التي يمكن أن نستخلصها من هذه القصّة ما يلي:

قد يتخوّف الكثير من الناس، ويُحجمون عن الدخول في برنامج القاعدة بقولهم: "**إذا كان رجلٌ كهذا وصل إلى أن يكون المسؤول الشرعي لجماعتكم، فأنتم إذن جماعة مخترقة حتى النخاع**".

ولهؤلاء نقول: ألم تقرؤوا قول الله عزّ وجل ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾. فإذا كان في خير القرون؛ مجتمع المدينة مع رسول الله ﷺ منافقون وصفهم الله بأنهم مردة في النفاق، ومع ذلك لا يعلمهم رسول الله ﷺ، فكيف بمن دونه من المجتمعات في هذا الزمان.

ليس هذا فحسب، بل لم يخلو مجتمع مدينة رسول الله ﷺ مما عمّت به البلوى اليوم في مجتمعاتنا؛ أي لم يخلو من عيون أعداء المسلمين النصارى المتربصين لأي نقطة ضعف من خلالها يطمعون في استقطاب وإسقاط أي فرد من صحابة رسول الله ﷺ. فقد جاء في كتب السيرة أن الصحابي الجليل كعب بن مالك رضي الله عنه كان يعاني من بلاءٍ وشدةٍ بسبب مقاطعة الصّحابة الكرام له امتثالاً لأمرٍ من النبي عليه الصلاة والسلام لهم، والسبب تخلّف كعبٍ عن الخروج للغزو حين تعيّن. يقول كعب بن مالك رضي الله عنه:

"... ثمّ غدوتُ إلى السوق، فبينا أنا أمشي إذا بنبطيٍ من نِبط الشام -ممّن قدمَ بالطعام يبيعه بالمدينة- يسأل عني، يقول: من يدل على كعبِ بنٍ مالك؟ قال: فجعل الناسُ يشيرون له إلي، حتى جاءني، فدفع إلي كتاباً من ملك غسّان، وكتب كتاباً في سَرقة (وهي الشقة من الحرير)، فإذا فيه: " أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبَك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحَقْ بنا نواسك" ا.هـ

كذلك، معلوم عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه معاييره الشديدة في اختيار وُلاته، فكان لا يختار إلّا القوي الأمين، التقي الورع القائم على حدود الله، ورغم ذلك كان في عمّاله واحدٌ من المنافقين. فقد ذكر ابن الأثير في كتابه "أُسد الغابة في معرفة الصحابة"، أن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه كان قد سأل حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين -أعلمه بهم رسول الله ﷺ- فقال: "أفي عمالي أحد من المنافقين؟" فقال حذيفة: نعم واحد، قال: من هو؟ قال: لا أذكره، قال حذيفة: فعزله، كأنما دل عليه.

فإذا كان النفاق والمنافقون في خير القرون، أيُتصور بعد ذلك في هذا الزمان أن تكون جماعة كالقاعدة رصدت لها قوى الكفر والشر أجهزة مخابراتها، وكل إمكاناتها لمطاردة وتعقّب أفرادها، وسخرت لحربها علماء السلاطين، وكافة أجهزة الإعلام الرسمية والغير رسمية لتشويه منهجها، وإسقاط رموزها، أيُتصور بعد كلِّ ذلك أن يكون صفها خالٍ من المنافقين؟! ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

يقول الشيخ الشهيد سيّد قطب -تقبّله الله- في الظلال معلّقاً على قصة عبد الله بن أُبي بن سلول في غزوة بني المصطلق، بعد أن أنزل الله في شأنه سورة المنافقون:

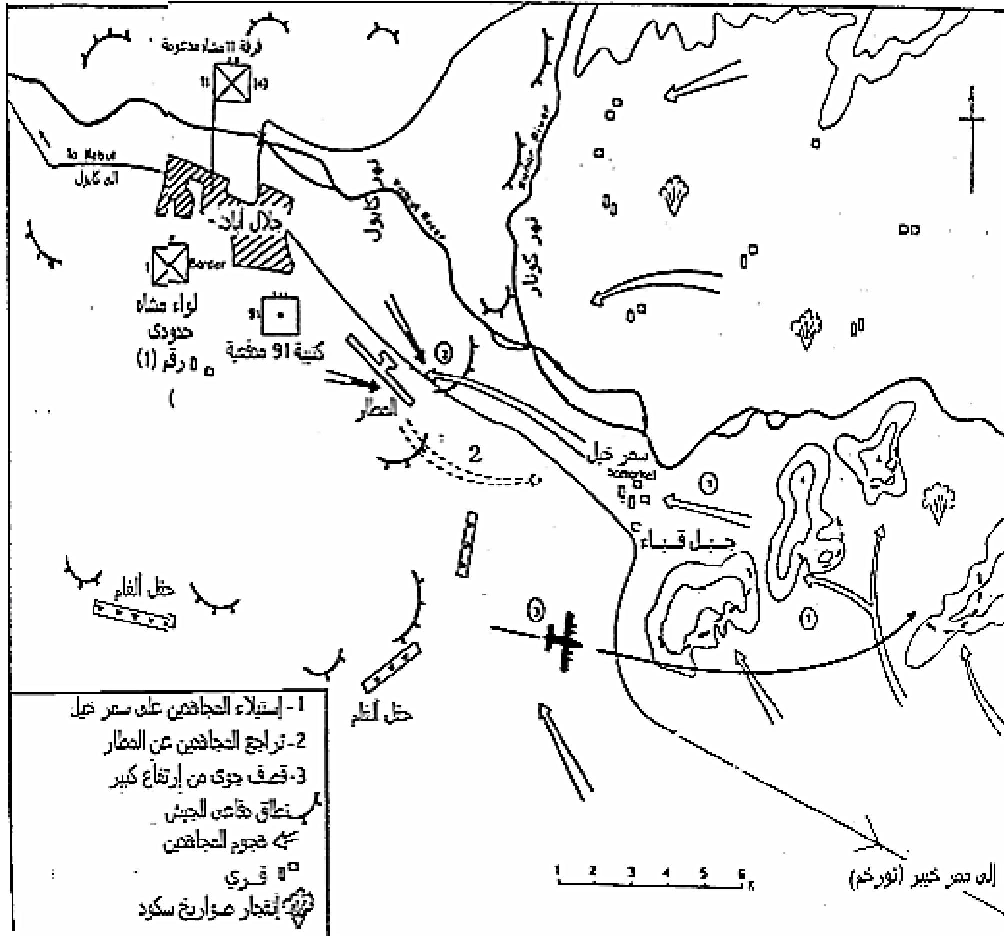
"فهذا هو الصف المسلم يندس فيه المنافقون، ويعيشون فيه في حياة الرسول ﷺ قرابة عشر سنوات، والرسول ﷺ لا يُخرجهم من الصف، ولا يعرُّفهم الله له بأسمائهم وأعيانهم إلا قبيل وفاته وإن كان يعرفهم في لحن القول بالالتواء والمداورة، ويعرفهم بسيماهم وما يبدو فيها من آثار الانفعالات والانطباعات، ذلك كي لا يكل الله قلوب الناس للناس. فالقلوب له وحده، وهو الذي يعلم ما فيها ويحاسب عليه، فأما الناس فلهم ظاهر الأمر كي لا يأخذوا الناس بالظنة، وكي لا يقضوا في أمورهم بالفراسة! وحتى حينما عرَّف الله نبيه ﷺ بالنفر الذين ظلوا على نفاقهم إلى أواخر حياته، فإنه لم يطردهم من الجماعة وهم يُظهرون الإسلام ويؤدون فرائضه. إنما عرِفهم وعرّف بهم واحداً فقط من رجاله هو حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- ولم يُشع ذلك بين المسلمين. حتى أن عمر -رضي الله عنه- كان يأتي حذيفة ليطمئن منه على نفسه أن الرسول ﷺ لم يسمه له من المنافقين! وكان حذيفة يقول له: يا عمر لست منهم. ولا يزيدا!

وكان رسول الله ﷺ قد أُمر ألا يصلي على أحد منهم مات أبدا. فكان أصحابه يعرفون عندما يرون الرسول لا يصلي على ميت. فلما قُبض ﷺ كان حذيفة لا يصلي على من عرف أنه منهم. وكان عمر لا ينهض للصلاة على ميت حتى ينظر. فإن رأى حذيفة هناك علم أنه ليس من المجموعة وإلا لم يصل هو الآخر ولم يقل شيئاً! وهكذا كانت تجري الأحداث -كما يرسمها القدر- لحكمتها ولغايتها، للتربية والعبرة وبناء الأخلاق والنظم والآداب" ا.هـ

معارك جلال أباد:

من المعارك الكبيرة بعد معركة جاجي التي شاركت فيها القاعدة بعد تأسيسها بقيادة الشيخ أسامة، كانت معارك جلال أباد في صيف ١٩٨٩م. وفي كتاب "مأسدة الأنصار" يروي الشيخ أسامة للصحفي عصام دراز أحداث هجوم القوات الشيوعية الحكومية الذي استهدف مواقع العرب، فقال رحمه الله:

"كانت معارك جلال أباد هي أول وأكبر معركة يخوضها المجاهدون العرب على المدن، وكان الاختلاف بين معارك جلال أباد والمعارك الأخرى في أفغانستان، في أن المعارك السابقة كانت على مراكز وقلاع للعدو، أما جلال أباد فهي إحدى المدن الرئيسية الكبرى في أفغانستان، بل هي أقرب مدينة إلى العاصمة كابل. ولم يكن هناك خيار في معارك جلال أباد، فبعد سقوط عدد من المواقع حول المدينة، وسقوط حصونهم في يد المجاهدين -حتى وصلت قوات المجاهدين الأفغان إلى مطار جلال أباد- استمات العدو في الدفاع عن المدينة، وأمام ذلك إذا تركت كل هذا ورجعت فأنك ستخسر كل المعركة، ولهذا بدأت معركة طويلة استمرت بعنف شديد لعدة أشهر متواصلة، أخذ فيها الإخوة خبرات كبيرة، لم تتيسر لهم من قبل في أي معارك سابقة.



معارك جلال أباد[1]

---

١) الخارطة من كتاب صليب في سماء قندهار، للشيخ أبي الوليد (مصطفى حامد).

كان عندنا حول جلال أباد ١٨ مركزاً للعرب (مأسدة الأنصار)، وكان من الصعب أن تدير معركة طويلة لعدة أشهر، وأن تكون القوة في حالة شد مستمرة، فأنت محتاج لإمداد وتموين مستمر، ومحتاج لذخائر في الوقت المناسب، وصواريخ لراجمات الصواريخ، كذلك تم تكوين أجهزة لإخلاء الجرحى والقتلى، نرجو من الله أن يكونوا شهداء، وكذلك تواجُد إخوة في المرصد بصفة مستمرة، لرصد أي حركة من العدو لتوجيه النيران إليها، وازدادت خبرات الإخوة في استخدام الصواريخ والهاونات والمدفعية، وقد استخدموا الخرائط في القصف، حيث يتم تحديد المسافة واتجاه الهدف والقصف عليه بواسطة الإحداثيات حسب الاصطلاح العسكري. وأمام هذه التجربة الجديدة ظهرت معادن الإخوة العرب، فثبتوا وصبروا وهذا أمر ليس بالسهل؛ أن تبقى مشدوداً طيلة هذه الأشهر وفي قتال متواصل.

وقد كان الإخوة بفضل الله من أقدر المجموعات على سرعة الحركة، وذلك لتوفر وسائل النقل والأسلحة والذخائر، وزعنا السيارات على الكومندانات، كذلك وزعنا مجموعات القتال، فكانت هناك مجموعة اقتحام مع الكومندان خالد، وهو من أشهر القادة الأفغان في جلال أباد، وقد فُتح كثير من المواقع على يد هذا القائد. وكانت مجموعة الإخوة العرب من أبرز المجموعات، وفي بعض العمليات كان معظم مجموعة الاقتحام من الشباب العرب، وكان هو الأفغاني الوحيد، لأن معظم المجاهدين التابعين له قد استشهدوا في معارك سابقة، كذلك انضمت مجموعة من المجاهدين العرب إلى الكومندان سازنور، وقد فتح الله سبحانه وتعالى على أيديهم بمشاركة الشباب العربي مراكز عديدة، منها مجموعة تباب (فركند)، والتي أطلق عليها مركز سراقة ومركز صخري، وقد غنم الإخوة العرب مدافع الميدان الثقيلة بعيدة المدى، وكذلك بعض الدبابات والمدرعات، وقد تم تدريب الإخوة على جميع هذه الأسلحة ومنها الدبابات، وقد استخدم الإخوة العرب الدبابات في الهجوم الأخير الذي قامت به القوات الشيوعية ضد مواقع العرب، وغنموا في هذه المعارك دبابات جديدة" ا.هـ



القائد الشهيد كمندان خالد – تقبله الله



القائد الشهيد سازنور – تقبله الله

قصة الانحياز في معارك جلال أباد كما يرويها الشيخ أسامة رحمه الله[1]:

"كان يوم ١٠ ذي الحجة سنة ١٤٠٩هـ (الموافق ٣ يوليو سنة ١٩٨٩م)، حيث قام العدو بهجوم ضخم على مواقعنا، وكان هدف هذا الهجوم هو تدمير مواقع الإخوة العرب وحصارهم وأسرهم أحياء، وكان سبب ذلك أن الإخوة العرب كانت قد توفرت لهم كميات كبيرة من الذخائر، اشتريناها من أسواق السلاح في باكستان. لقد اشترينا حوالي ثلاثين شاحنة وقمنا بتخزينها، ولهذا تيسر القيام بقصف شديد ومنظم ضد تجمعات الجيش الأفغاني حول جلال أباد. ففي أحد الأيام، وصلت لنا أخبار عن وجود تجمعات كبيرة لقوات العدو، فقمنا بقصف هذه التجمعات لمدة ثلاثة أيام على التوالي، قتل فيها ٧٠ رجلاً من الهنود، وكانت حكومة كابل قد أحضرت قوات هندية، لتسد النقص الكبير في الجيش الأفغاني الحكومي بعد خروج الجيش الروسي، هذا مع العلم بوجود حوالي عشرين ألف روسي في أفغانستان حتى بعد الانسحاب.

وحدث نقص لدى قوات المجاهدين الأفغان في الذخائر، لهذا كانت الذخيرة التي لدينا وسيلة للضغط، وقمنا بقصف مستمر طوال ثلاثة أسابيع على النقاط الحساسة للعدو، حتى شعرت القوات الحكومية أن مواقع العرب مصدر إزعاج شديد لهم، فاستمر الطيران في ضرب مواقع مدافع الميدان دّي سي [DC]، وضرب راجمات الصواريخ التي معنا وكانت راجمتين، وعندما لم ينجح العدو في إسكات مدفعيتنا بضرب الطيران والصواريخ قام بقصف مواقعنا بصواريخ سكود. ومن المعروف أن صواريخ سكود صواريخ متوسطة المدى تطلق على المدن، ولكنها استخدمت ضدنا وضد مواقع راجمات الصواريخ، وعندما فشلوا في ذلك كلفوا قوة ضخمة بالقيام بهجوم كبير على مواقعنا، وتولى قيادة هذه القوة رجل اسمه (رحيمي)، ونائبه قائد اسمه إسماعيل، وتعهدوا لنجيب بأن يصلوا بهجومهم إلى منطقة (طورخم)، وهي نقطة على الحدود بين باكستان وأفغانستان، والمسافة بينها وبين جلال آباد حوالي تسعون كيلو متراً، وتقع على الطريق البري الرئيسي الذي يربط بين كابل – جلال آباد – بيشاور في باكستان.

بدأ الهجوم يوم ٣ يوليو ١٩٨٩م، وكانت معركة شديدة، وكانت أخطر معركة خاضها الشباب العربي بعد معركة (جاجي رمضان سنة ١٤٠٧هـ)، إلا أنها أصعب لأن المناطق المحيطة بجلال أباد مناطق سهول، والسهول هي أرض المدرعات، بينما المناطق الجبلية لا تقاتل فيها المدرعات بكفاءة.

بدأ الهجوم بإرسال قوة تشغل ميسرتنا، فاتصلت بنا قوة الميسرة بعد الفجر وقالت إن هناك دبابات تتقدم للهجوم علينا أرسلوا لنا بعض المدد، فأرسلنا لهم سيارتين وفيها مدد من السلاح والرجال. واتصلت بنا القوة الموجودة بالميمنة وقالت إن هناك مجموعة أخرى من الدبابات تتقدم نحونا، وكانت الميمنة قرب مطار جلال أباد، والمسافة بين مركز القيادة والميمنة حوالي خمسة كيلو مترات، فطلبوا مدد، وطلبوا قصف القوات المتقدمة بالصواريخ، فحولنا راجمة صواريخ في اتجاه الميمنة، وراجمة صواريخ تجاه الميسرة. وكان بين الميمنة والميسرة

[1]) القصة من كتاب مأسدة الأنصار العرب – عصام دراز.

بعض النقاط فاتصلوا بنا وطلبوا المدد، فأرسلنا إليهم بعض الأسلحة والقوة الاحتياطية التي كانت في المركز الرئيسي، وكان كل ذلك خدعة من العدو حتى يهجم على مركز القيادة الرئيسي، فتقدمت إلينا كتيبة مدرعة حوالي ٢٧ دبابة، وكان الطيران في هذه الفترة يقصف المنطقة قصفاً شديداً، وبعد صلاة الفجر كانوا قد أطلقوا سبعة صواريخ سكود. وكان اختيارهم ليوم الهجوم ذكياً، لأنه كان أول أيام عيد الأضحى، وهم يعرفون طبيعة المجاهد الأفغاني، حيث أنه يغيب عن أهله طول العام، ولهذا يحرص على قضاء العيد مع أهله.

تقدم العدو نحونا وكنا في المعسكر حوالي ثلاثين أخاً أو أقل، وهجمت علينا ٢٧ دبابة، فكان موقفاً صعباً جداً، وكنا من قبل أرسلنا القوة الاحتياطية إلى الميمنة والميسرة، والغريب أن الدبابة الوحيدة التي كانت معنا قد نقلناها إلى قرب الطريق الرئيسي، خوفاً من أن يتقدم العدو من الطريق الرئيسي، أما الدبابة الثانية وكانت (T ٦٢) كنا قد أرسلناها إلى أقصى الميسرة. فتقدموا نحونا وما كان في أيدي القوة الباقية في مركز القيادة مدافع آر بي جي، حيث أصيب أحد رماة الآر بي جي، وأكرمه الله وأرجو أن يتقبله شهيداً، ولم يبق في النهاية سوى مدفع ٧٥ ملم مضاد للدبابات، أخذ المدفع شفيق المدني ونصبه وحده (طاقم المدفع في الحرب خمسة أفراد)[١]. فقام شفيق بإطلاق النيران من المدفع ٧٥ ملم وحده. وإطلاق النار من المدفع أصعب من الأسلحة الأخرى المضادة للدبابات الصاروخية، إذ لابد من وضع القذيفة في بيت النار وإطلاقها، ثم تفريغ طرف القذيفة الفارغ ثم إعادة التعبئة.



الشيخ أسامة -رحمه الله- يرافقه القائد أبو أيوب العراقي أثناء معارك جلال أباد

١) المدافع الصغيرة فردين أو ثلاثة فقط.



الهجوم المعاكس للشيوعيين على مراكز المجاهدين في جبهة جلال أباد[1]

---

(1) الخارطة من كتاب الحماقة الكبرى، للشيخ أبي الوليد المصري (مصطفى حامد).



لقد كان واضحاً من إصرار العدو على محاصرة الموقع وتطويقه، رغبتهم في الإيقاع بالمجاهدين العرب أسرى، ولم تكن هناك مقاومة فعالة بالأسلحة المضادة للدبابات الآر بي جي، فمدى الآر بي جي لا يزيد عن ٣٠٠ متر، ولهذا كانت تطلق الدبابات نيرانها علينا وهي مطمئنة على مسافة كبيرة، ولهذا قلت للإخوة لا تطلقوا الآر بي جي إلا بعد وصول الدبابات إلى مسافة ٣٠٠ متر، وعند وصول الدبابات لهذه المسافة، أطلق الإخوة القذائف، إلا أنها لم تكن مؤثرة أمام ٢٧ دبابة متقدمة، وقد أصيب أحد رماة الآر بي جي من لغم كان مزروعاً من قبل، كانت الدبابات لا زالت تتقدم نحونا، وفعلاً وصلت إلى أول تبّه من تباب المركز الرئيسي، وهي تبّه صخرية وكانت هذه التبه هي أول موقع لنا باتجاه العدو.

بدأ شفيق -رحمه الله- يضرب عليهم بالمدفع ٧٥ ملم، وكانت الدبابات على مسافة ٤٠٠ متر فقط منا، وكانت تضرب علينا بمدفعيتها الأساسية بالإضافة إلى الرشاشات، كانوا يمشطون المنطقة تمشيطاً شديداً بالنيران، توزع الإخوة العرب عندما تقدمت بعض المدرعات في الوادي القريب الذي يفصل بين التبّتين في موقعنا، ونزل الجنود من المدرعات وبدأوا في الصعود إلينا، فقمنا بإطلاق نيران مدفع رشاش ثقيل جرينوف، واستمر الأمر على هذا النحو حوالي أربع ساعات وهي مدة خيالية. أمامك ٢٧ دبابة، ونحن لا نملك إلا مدفعاً واحداً يستخدمه فردٌ واحد، ورغم هذا أنزل الله في قلوبهم الرعب، وأمام ذلك قررنا التحرّف للقتال، والنزول من هذا الموقع إلى منطقة خلفية قريبة، كثيرة الأشجار والتباب، وهي نقطة ضعف للدبابات، وطلبنا من جميع النقاط أن يتحركوا إلى هذه المنطقة، وهي جهة (ثمر خيل)، وتم إبلاغ المجاهدين الأفغان بالوضع. تقدم العدو إلى موقعنا لاحتلاله، وبفضل من الله لم يكن به أحد، فقد استشهد شفيق وهو على مدفعه بنفس الهيئة التي تمناها وعلى نفس الصفة[1]، ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن يقبله من الشهداء. لقد كان شفيق -رحمه الله- أحد الثلاثة الذين من الله عليهم بتأسيس المأسدة، لقد تأثرت جداً باستشهاد شفيق.

عندما انتقلنا إلى المنطقة الجديدة تقدم العدو بجرأة وتم صد الهجوم طيلة هذه الأيام، وكذلك قاوم الإخوة الذين كانوا على الطريق الرئيسي هذا إلى أن جاء اليوم العاشر، وكان يوماً حاراً جداً، درجة الحرارة وصلت فيه إلى ٥٤ درجة مئوية في منطقة جلال أباد، عندما تقدموا قمنا بهجوم معاكس قبل المغرب بساعة، واستطاع أخونا يعقوب البحر أن يدمر دبابة بمدفع ٨٢ ملم، وتم تدمير دبابة أخرى، حيث أطلق عليها أحد المجاهدين صاروخ ميلان، واستمرت الاشتباكات إلى منتصف الليل.

قام الإخوة بعد الفجر بتفقد مواقع العدو، فإذا بهم يجدون ثماني دبابات سليمة تركها العدو وهرب، فصعد إليها أخونا صالح الغامدي المعروف باسم حمزة، ومعه أمير الفتح وهو مصري، وكانوا مدربين من قبل على الدبابات، فتبادلوا إطلاق النار مع العدو، واستطاعوا أن يحصلوا على دبابة من العدو بعد أن تبادلوا النيران، وقادها الأخ حمزة إلى موقع (الزهراني). كانت خسائر العدو كبيرة، فقد تم تدمير ٤٢ دبابة بين غنائم ومدمرة، كان منها أكثر من ٢٠

---

١) كان شفيق المدني -رحمه الله- يتمنى ألّا يكون له قبر في الأرض، وعندما كان يواجه الدبّابات، أصابته قذيفة مباشرة فتمزّق جسده ولم يوجد له أثر.

دبابة غنائم، كان نصيب العرب منها خمس دبابات غنيمة، منها دبابتان ت ٦٢، وكانت هذه المعارك نهاية لسلسة معارك جلال آباد، التي سقط فيها من الشهداء العرب ما يفوق عدد الذين استشهدوا طوال سنوات الحرب في أفغانستان، نسأل الله أن يتقبلهم شهداء"ا.هـ

فتح مدينتي خوست وجرديز:

كذلك شاركت القاعدة في فتح مدينتي خوست وجرديز. وكانت خوست تعرف بين أوساط المجاهدين بـ "موسكو الصغرى"، وكان فتحها مقدمةً لتساقط العديد من المدن. وكان للقاعدة نصيب مقدّر من المشاركة في الحصار المحكم على المدينة في منطقة البتلون. ولإحكام السيطرة بالكامل براً وجواً على المدينة، كان الشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد) قد جاء بفكرة إغلاق مطار خوست القديم الّذي كان بمثابة شريان الحياة، ومصدر الإمداد الوحيد بالمؤن والذخائر لجيش الحكومة المحاصر في المدينة.

وكانت خطّة العمل التي جاء بها الشيخ أبو الوليد هي تخصيص راجمة صواريخ واحدة لكل قطاعٍ محددٍ من مدرج المطار، أي محاولة اصطياد طائرات النقل المحمّلة بالمؤن والذخائر، وذلك بقصف مدرج المطار بصواريخ الكاتيوشا في الوقت الذي تغامر فيه طائرات العدو بالنزول ليلاً لتفريغ حُمُولتها. وكانت القاعدة قد ساهمت في توفير راجمة صواريخ كاتيوشا (١٢ سبطانة) -من مجموع خمس راجمات- مع طاقمها من الإخوة، وقذائفها التي بلغت ١٢٠٠ قذيفة. وبفضل الله وحده ثمّ بجهود الشيخ أبي وليد أُغلق المطار القديم نهائياً في سبتمبر ١٩٩٠م بعد شهرٍ واحدٍ من بدء العمليات دُمّرت خلاله أربعة عشر طائرة.

وبعد ستة أشهر من إغلاق المطار القديم سارعت حامية مدينة خوست بافتتاح مطار جديد، غير أنّ الشيخ أبا وليد كان له بالمرصاد، فعندما بدأت عمليات فتح المدينة في أول رمضان من عام ١٤١١هـ الموافق ١٧/ مارس ١٩٩١م شاركت القاعدة مرّةً أخرى تحت قيادة الشيخ أبي وليد في شلّ حركة المطار الجديد. وبنفس طريقة العمل الأولى تم تدمير ست أو سبع طائرات استهلكت فيها حوالي ١٤٠٠ قذيفة. وكان إغلاق هذا المطار أحد الأسباب الرئيسية التي سرّعت في سقوط مدينة خوست[١] بعد أسبوعين فقط من بدء العمليات، والفضل في ذلك يرجع لله وحده ثمّ للشيخ أبي وليد المصري -حفظه الله- الذي كان له نصيب الأسد في التخطيط والإعداد والسهر حتى الفجر بمنظاره الليلي مترصّداً لنزول الطائرات، ثمّ إعطائه الأمر لطواقم الراجمات بالرماية بشفرته المعهودة "يا خيل الله اركبي".

بعد فتح مدينة خوست تقدمت جميع فصائل المجاهدين بما فيهم القاعدة لمحاصرة مدينة جرديز؛ العتبة قبل الأخيرة لمدينة كابل. وكان المجاهدون -قبل سقوط الثلوج- قد شنّوا في أكتوبر ١٩٩١م هجوماً كبيراً حطموا فيه اثنين من خطوط الدفاع في يومٍ واحدٍ ووصلوا إلى حافة المدينة. وكانت لوجر قد فتحها المجاهدون بقيادة الشيخ أبي عبد الرحمن الكندي -رحمه الله- قبل قرديز في ١٣ أبريل ١٩٩٢م، وبناءً عليه لم يجد جنرالات جرديز مخرجاً لهم غير الدخول مع الشيخ جلال الدين حقاني -رحمه الله- في مفاوضات لتسليم المدينة مقابل منحهم الأمان، وبفضل الله استسلمت المدينة ودخلها المجاهدون في ٢٢ أبريل ١٩٩٢م، وبعدها بثلاثة أيامٍ فقط استسلمت كابل ودخلها المجاهدون في ٢٥ أبريل ١٩٩٢م.

---

١) لمن أراد المزيد من التفاصيل عن فتح مدينتي خوست وجرديز عليه بالرجوع إلى كتابي الشيخ أبي الوليد المصري "فتح خوست" و "جرديز وتساقط المدن".

بداية وأسباب تحول المسار الفكري والمنهجي في تاريخ الصراع للشيخ أسامة رحمه الله[١]:

قبل أن يتوجه إلى أفغانستان، كان الشيخ أسامة رحمه الله -بحكم التزامه وتديّنه منذ نعومة أظفاره- قد تعلّم من أبيه حبّ الجهاد وحبّ البذل والإنفاق في سبيل الله، فقد كان يَحكي عن أبيه[٢] أنه كان يحتفظ بخمسة ملايين دولار لنصرة المهدي عليه السلام، ويُعتبر هذا المبلغ ضخماً جداً في خمسينات وستّينات القرن الماضي. كذلك كان والد الشيخ أسامة قد شرّفه الله بما لم يُشرّف به أحداً من المقاولين، وذلك بتوسعة المسجدين؛ المسجد الحرام في مكّة والمسجد النبوي في المدينة المنورة. وكان -رحمه الله- قد جعل ربحه من المشروع ريالاً واحداً فقط فوق التكلفة، ثم لما علم أن الحكومة الأردنية قد أنزلت مناقصة لترميم قبة الصخرة، جمع المهندسين وطلب منهم أن يضعوا سعر التكلفة بدون أرباح حتى يضمن رسو المناقصة عليه، وكان من فضل الله عليه أنه كان يُصلِّي أحياناً في المساجد الثلاثة في يوم واحد. ولا غرابة بعد ذلك أن يكون الشيخ أسامة ذلك الشبل من ذاك الأسد، رحمهما الله جميعاً.



الشيخ محمد بن عوض بن لادن (والد الشيخ أسامة) رحمهم الله

وكان الشيخ أسامة -رحمه الله- عندما حضر أوّل مرةٍ للجهاد في أفغانستان، يحمل منهج وبصمات فكر الصحوة الإسلامية في بلاد الحرمين، وهي مزيجٌ من فكر الإخوان المسلمين والسرورية. وكان هو وعموم المجاهدين من بلاد الحرمين، يدينون بشرعية نظام آل سعود، وأن الملك فهد وآل سعود مسلمون وأولياء أمورٍ شرعيين على فسقهم وظلمهم، ويكنون احتراماً شديداً للعلماء الرسمين في هيئة كبار العلماء ويلتزمون بفتاويهم.

وكانت الصحوة الجهادية قد خاضت مواجهات حقيقية وواسعة مع بعض الحكومات خلال السبعينيات والثمانينيات، تكبدت فيها ضحايا كثيرة، ودخلت في مطاردات أمنية ذات طابع استخباراتي، وكانت البوابة الأفغانية التي فُتحت للجهاد أمام الصحوة الإسلامية عموماً والجهادية خصوصاً قد أغرت معظم قياداتها للذهاب إلى أفغانستان. ولم يكن بين أولئك الجهاديين، وبين أولئك الأخوة حملة فكر الإخوان والسرورية ومنهم الشيخ أسامة، من قواسم مشتركة آنذاك إلا عموميات الإسلام المتفق عليها، والعمل على نصرة الجهاد الأفغاني، وكان التناقض المنهجي، والاختلاف في الفكر الجهادي، وفهم الواقع، ومنطلقات السياسة الشرعية، جلياً بينهم كجهاديين.

١) محتوى هذا العنوان كاملاً من كتاب دعوة المقومة الإسلامية العالمية. لأبي مصعب السوري. بتصرّف.

٢) توفي الشيخ محمّد بن عوض بن لادن والد الشيخ أسامة في حادث تحطّم طائرة عام ١٩٧٠م، وكان عمر الشيخ أسامة آنذاك عشر سنين، رحمهما الله جميعاً.

وبصفةٍ عامّة، يمكن القول بأن محطة أفغانستان كانت نقطة تحول كبيرة بالنسبة للجماعات الجهادية التي اختلطت فكرياً مع بعضها البعض، وتعرفت على قضايا المسلمين المختلفة، وأصبح الهم مشترك، والنضج أكبر، والرؤية أوضح بعض الشيء، فقد كانت بيشاور المدينة الباكستانية الحدودية مع أفغانستان قد تحولت إلى جامعة حقيقية لكافة مدارس وتيارات وتنظيمات وجماعات الصحوة العربية والإسلامية تقريباً.

وخلال سنوات ازدهار ذلك الجمع ما بين عامي ١٩٨٦ و١٩٩٢م، أصبحت بيشاور ميداناً لتلاقي كل الأفكار والمناهج والطروحات التي كانت تسود الصحوة الإسلامية من دعوية وإصلاحية وسياسية وجهادية، وحتى من الكتل الشاذة التكفيرية الغالية فكرياً، ولعب الحضور الفكري والمنهجي لتنظيم الجهاد والجماعة الإسلامية المصريان دوراً بارزاً ومؤثراً في الفكر الجهادي، كما كان لحضور بعض طلاب العلم، وبعض الدعاة السلفيين، وبعض السروريّين من بلاد الحرمين وغيرها دوراً في ترويج فكر الحاكمية والولاء والبراء، وعموميات الفكر الجهادي في الأوساط العربية والأعجمية التي أمّت الجهاد الأفغاني، كما أدى حضور بعض تراث التجربة الجهادية في سوريا في الساحة -ومنها كتاب الشيخ أبي مصعب السوري فك الله أسره عن تاريخ التجربة السورية ودروسها- دوراً فكرياً ساهم في المواجهة الفكرية للتيار الجهادي التي بدأت تترك بصماتها على التجمع العربي.



الشيخ أبو مصعب السوري – فكّ الله أسره

وشيئاً فشيئاً، وباعتبار جهادية الأجواء من جهة، وما يحويه الفكر الجهادي من تألق واتساع، ولنصاعة الحق وشيوع منهج أتباع الدليل، بدأ الفكر الجهادي يسيطر على ساحة التجمع العربي، وبدأ يكتسب أكثرية الساحة، حيث اقتنع آلاف الشباب القادمين من معظم بلاد العالم الإسلامي بالفكر الجهادي، وبدأت تتبلور وتتكامل مدرسة جهادية جديدة في التيار الجهادي، أطلق على مجموع مكوناتها فيما بعد، ما عرف بـظاهرة (الأفغان العرب).

فالذي حصل مع الوقت أن الشيخ أسامة -رحمه الله- بسبب التأثير والاحتكاك بينه وبين أولئك الجهاديين تدرج في القناعة، وهضم الفكر الجهادي وتقبله، ثم تبناه ثم صار أحد رموزه. وبالتحديد يمكن القول أنّ هناك عاملين أساسيين كانا قد تسببا في توقيت التغير الفكري والمنهجي لدى الشيخ أسامة، والذي انعكس موقفاً وتوجهاً عليه وعلى القاعدة ضد أمريكا فيما بعد، وهما حسب الأهمية:



١- أن القاعدة قد بُنيت على جهود وكوادر من تنظيم الجهاد المصري، وكوادر التيار الجهادي في مناطق أخرى الذين ساهموا في التدريب على سبيل التعاون على البر والتقوى، ولم يكن بعض هؤلاء أعضاءً في القاعدة، فقاموا ببث أفكارهم الجهادية حول الولاء والبراء والحاكمية، وغيرها من أمور السياسة الشرعية وفقه الواقع في تلك المعسكرات، حيث وصلت الأساليب لحد تدريب السعوديين على الرماية على صور الملك فهد وكبار الأمراء السعوديين، فأثر هؤلاء مع الوقت عبر كتبهم ومحاضراتهم وأساليبهم ومناقشاتهم في قاعدة القاعدة الشبابية، ثم مع الوقت انتقل التأثير ذاته للشيخ أسامة رحمه الله.

٢- موقف حكومة آل سعود ومؤسساتها الحاكمة وعلمائها الرسميين من تداعيات حرب الخليج بحجة تحرير الكويت عام ١٩٩١م، ووجود القوات الأمريكية في بلاد الحرمين، فإن ما تبع ذلك من تحولات كشفت للشيخ أسامة حجم الكارثة، وعظم دور الكفر الحاكم في جزيرة العرب، وعمق نفاق المؤسسات الدينية الرسمية، وفهم بحكم إدراكه للواقع وذكائه الحاد أبعاد أهداف الوجود الأمريكي، وضخامة المؤامرات الصليبية التي اعتمدت على الأطراف السابقة في وصول جيوشها إلى المنطقة، وإضفاء الشرعية على هذا الوجود الدائم.

ولم يكن للشيخ أسامة منذ أن قرر الاستقرار في أفغانستان، ومباشرة العمل القتالي الميداني سنة ١٩٨٦م، حتى هزيمة الاتحاد السوفيتي في معركة جاجي رمضان ١٤٠٧هـ، سوى هدفين مركزيين هما:

١- هدف عام يتمثل في المشاركة في الجهاد الأفغاني، والعمل على تحرير أفغانستان، وإقامة دولة إسلامية شرعية فيها تكون منطلقاً لإقامة شرع الله في الأرض، وملاذاً آمناً وقاعدةً خلفية للجهاد ضد مختلف أعداء الله. ولم يكن للقاعدة في هذه المرحلة أي نشاط جهادي خارج أفغانستان يذكر سوى محاولة جريئة لاغتيال ملك أفغانستان السابق ظاهر شاه طعناً بالسكين في منفاه بروما، قام بها عام ١٩٩١م المجاهد أبو عبد الله البرتغالي بعد انتحاله لشخصية صحفي.

٢- هدف خاص يتمثل بمشروع جهادي يكون اليمن الجنوبي الشيوعي ساحته، وقد باشر ذلك سنة ١٩٨٩-١٩٩٠م، فقد كانت معطيات التحرك الجهادي ضد الحكم الشيوعي في اليمن الجنوبي قبل الوحدة جاهزة، فسعى الشيخ أسامة إلى بعض مشايخ اليمن، وكبار دعاتها من السلفيين وعلى رأسهم الشيخ (مقبل بن هادي الوادعي)، وإلى الإخوان وزعمائهم، وبذل أموالاً طائلة في تأليفهم وتأليف بعض القبائل على المشروع، لكن معظم أولئك خذلوه، وأكلوا أموال الجهاد، واستطاع علي عبد الله صالح أن يستميلهم، ويسند إليهم المناصب، ويمنحهم العطاءات والنفوذ والتسهيلات.

مكاسب التيار الجهادي في أفغانستان:

كانت أفغانستان نقطة تحوُّل كبيرة في خارطة الأحداث العالمية، وفي تاريخ الأمّة المسلمة حققت فيها الحركة الجهادية مكاسب كثيرة منها:

١- كان المجاهدون قد أثبتوا أنفسهم في تغيير الواقع المظلم للمسلمين، وفي تحويل مجريات الأحداث العالمية، وذلك بعد أن أسفر الجهاد الأفغاني على أرض أفغانستان عن نصرٍ مذهل أجبر الروس على جر أذيال الخيبة والهزيمة، والانسحاب من أفغانستان بعد عشر سنوات من القتال في فبراير عام

١٩٨٩م، متكبدين عشرات الآلاف من القتلى والجرحى، وتاركين وراءهم أشلاء أكثر من خمسين ألف آلية عسكرية، فضلاً عن حطام مئات الطائرات[١].



انسحاب القوات الروسية الغازية من أفغانستان في ١٥ فبراير ١٩٨٩م

٢- كانت خطورة وجود الشباب المسلم -وخاصة العربي- في ساحة الجهاد الأفغاني هي في تحويل قضية أفغانستان من قضية إقليمية محلية إلى قضية إسلامية عالمية تشارك فيها الأمة كلها، فكان المكسب الأكبر للتيار الجهادي من تلك التجربة هو عولمة التيار الجهادي فكرياً وحركياً، وتبادل الخبرات، والتعارف بين كوادره من البلاد المختلفة، ثم انتشار ذلك في مختلف أقطار الدنيا، فأحيا هؤلاء الشباب بالقتال في أفغانستان وكشمير والبوسنة والشيشان فريضةً غائبة حُرمت منها الأمة زمناً طويلاً. فكان ذلك الجهاد دورة تدريبية في غاية الخطورة لإعداد الشباب المسلم المجاهد لخوض معركته المنتظرة مع القوة العظمى التي تفردت بزعامة العالم الآن؛ أمريكا[٢].

٣- حطمت معارك الجهاد في أفغانستان في أذهان الشباب المسلم المجاهد وهم القوة العظمى، حيث تحطم الاتحاد السوفيتي، وفرت فلوله هاربة من أفغانستان أمام أعين الشباب المسلم وبمشاركته، فما عادوا يهابونها، ولا يهابون بطبيعة الحال ما دون ذلك من القوى الذنبية الحاكمة في بلادنا، وكان هذا من أجمل ثمرات ذلك الانتصار التاريخي الكبير.

---

١) دعوة المقومة الإسلامية العالمية، لأبي مصعب السوري. بتصرّف طفيف.

٢) الفقرات ٢-٣-٤-٥ من كتاب فرسان تحت راية النبي، للشيخ الدكتور أيمن الظواهري. بتصرف.

٤- كانت ساحة أفغانستان -خاصةً بعد انسحاب الروس- نموذجاً عملياً على جهاد الحكام العملاء المتحالفين مع أعداء الإسلام الخارجيين، فقد كان نجيب الله في أفغانستان أحد النماذج المتكررة لحكام البلاد الإسلامية، فهو يصلي ويصوم ويحج، وفي نفس الوقت يمنع الحكم بالإسلام، ويتحالف مع أعداء الإسلام، ويدخلهم لبلاده، ويبطش بالمسلمين الذين يعملون لإقامة الدين، فإذا كان جهاد نجيب ونظامه متعيناً فجهاد كل من على شاكلته متعين كذلك.

٥- وضوح الراية: فقد كانت الصورة في أفغانستان واضحة جداً؛ شعب مسلم يجاهد تحت راية الإسلام، وعدو خارجي معتد كافر يسانده نظام داخلي مرتد فاسد، وبناءً عليه خاض المجاهدون في أفغانستان معركة تحرير الأرض المسلمة تحت شعارات إسلامية خالصة، وهو أمرٌ في غاية الخطورة، إذ أن كثيراً من معارك التحرير التي جرت على أرض عالمنا الإسلامي اختلطت فيها شعارات القومية الوطنية بالإسلام، بل وأحيانا بشعارات اليسار والشيوعية، مما أحدث لدى الشباب المسلم انفصاماً بين عقيدته الجهادية الإسلامية -عقيدة الولاء والبراء التي يجب أن تقوم على أساس إخلاص الدين لله- وبين تطبيقها الواقعي. وقضية فلسطين خير مثال على ذلك حيث اختلطت فيها الشعارات والعقائد تحت شعار التحالف مع الشيطان من أجل تحرير فلسطين، فتحالفوا مع الشيطان ولم يحرروا فلسطين، بل باعوا معظمها لإسرائيل.

ولعل أكثر شيء يؤسف عليه في تلك المرحلة -رغم المكاسب التي تحققت- هو ضياع فرصة ذهبية كبيرة كانت الآمال معلّقةً عليها لإقامة دولة تحكم بالإسلام في أفغانستان، غير أنّ سياسات المكر التي يجيد لعبتها الأعداء -ومنها سياسة فرّق تسد، وثقافة سايكس بيكو التي تجذّرت في أغلب الحركات الجهادية- حالت دون تحقيق هذه الفرصة. وعن هذا الأمر تحدث متحسّراً الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله فقال:

"وكانت الفرصة جيدة جداً لإقامة دولة قوية، بعيداً عن التعصبات القطرية والقبلية، وكان إخواننا الأفغان في وضعٍ وفي انشراحٍ وتعاون غير عادي. كان الوضع يسمح بقوة أن تقوم دولة إسلامية باعتبارات إسلامية، لا باعتبارات قطرية وقومية. وللأسف الشديد بالرغم من الارتياح الشديد والمناداة، وتكرار ذلك والحث والتحريض، وخاصة من الشيخ عبد الله عزام عليه رحمة الله، ومن غيره من الإخوة للجماعات وللعلماء وللمفكرين؛ أن اغتنموا هذه الفرصة، ولكن لا حياة لمن تنادي. شُغل الناس، وسُحبوا باعتباراتٍ أرضية، وباعتباراتٍ قطرية، وكلٌ يريد أن يقيم هو شخصياً دولة الإسلام، وكل جماعة تريد أن تقوم الدولة الإسلامية في أرضها حيث ولدوا، وكأننا أصبحنا أسرى لهذه الأفكار، فمكثت هذه الفرصة بضع عشرة سنة، ولم يتحرك الناس للاستفادة منها"[١] ا.هـ

وفي آخر هذا الكتاب فصل بعنوان "إنّ في حركة طالبان لعبرة لأولي الأفهام"، فيه وقفة تأمل، ونظرةٌ عامّة عن الأسباب التي أدّت إلى نجاح حركة طالبان في إقامة إمارة إسلامية، بينما فشلت الحركة الإسلامية ومن على شاكلتها، وفشل عدد من التجارب الجهادية في قيام الدولة الإسلامية المنشودة، رغم التمكين الذي حدث لكليهما في بعض الدول.

١) توجيهات منهجية. للشيخ أسامة بن لادن.

شبهات حول دعم أمريكا للجهاد والمجاهدين في أفغانستان:

مفنداً لهذه الشبهات يقول الشيخ أبو مصعب السوري في كتابه دعوة المقاومة الإسلامية العالمية بتصرف:

"وهنا أحب أن أشير إلى إشكاليتين، وقل إن شئت كذبتين ضخمتين فرضهما الإعلام الغربي والأمريكي خاصة، والإعلام التابع لهم في بلاد العالم العربي والإسلامي، حيث يجب توضيح حقيقتهما للناس عامة، وللإسلاميين والجهاديين وجمهورهم خاصة، وهما:

١- دور أمريكا في انتصار الجهاد الأفغاني.

٢- شبهة عمالة المجاهدين العرب، ومن شارك في الجهاد الأفغاني من الإسلاميين لأمريكا وارتباطهم بــ (CIA) خلال تلك القضية، كما يزعم اليوم الإعلام الغربي وأتباعه.

دور أمريكا في انتصار الجهاد الأفغاني:

سعى الإعلام الأمريكي بمختلف وسائله التي يسيطر عليها اليهود والصليبيون المتصهينون، إلى التصوير بأن انتصار الجهاد الأفغاني كان مجرد نجاح للسياسة الأمريكية وبرامج (CIA) في أفغانستان، وقد تحقق لأمريكا انتشار هذه الدعاية الكاذبة إلى حدٍ كبير، فقد عملوا على ذلك عبر مختلف وسائل الدعاية، بدءاً من أفلام (رامبو في أفغانستان)، وغزواته الميمونة إلى أفغانستان، حيث أسقط الطائرات، ودمر الحصون، وحرر الرهائن من الأفغان والأمريكيين (المجاهدين!) معهم، وركب الخيل، وقاد المدرعات، وحلق في السماء بالهليكوبتر الروسية، وجُرح مراراً ولم يمت، وانصهر داخل مدرعة مدمرة ولم تذب عضلاته المفتولة، واستطاع أن يمطر المشاهدين المعجبين بعضلاته الأمريكية بسيل من الحِكَم والدعايات السخيفة، وأوصل في النهاية الرسالة عن رحمة أمريكا بالمستضعفين، ونصرتها للمظلومين، وحرصها على مساعدة المسلمين، ودورها الرئيسي في انتصار الأفغان الذين تولى الفيلم الخيالي إظهار إعجابهم وحبهم لأمريكا...

كما ركز الإعلام الأمريكي مستخفاً بعقول من صدّقه على دور صواريخ "ستنغر" في انتصار الجهاد الأفغاني، وكيف أنه قلب موازين المعركة عندما بدأت تتساقط الطائرات الروسية به، مما أدى لتحول مجرى المعارك من هزيمة المجاهدين إلى انتصارهم ... علماً بأن الأعداد المحدودة من صواريخ "ستنغر" الأمريكية قد دخلت أفغانستان قبيل انسحاب الروس بقليل ولم يسقط بها إلا عدد محدود من الطائرات...

ويا ترى ما هو دور (ستنغر) في تدمير أكثر من خمسين ألف آلية روسية عسكرية، وقتل أكثر من ثلاثين ألف جندي روسي، وأكثر من مائة وخمسين ألف من المليشيات الشيوعية الأفغانية، عدا مئات آلاف العمليات خلال جهاد استمر لأكثر من خمسة عشر سنة، ابتدأ قبل الغزو الروسي بخمس سنين، واستمر بعدها ثلاث سنين، إلى أن سقطت كابل بيد المجاهدين؟

شبهة عمالة المجاهدين العرب لأمريكا وارتباطهم بــ (CIA) خلال الجهاد الأفغاني:

وهناك كذبة أخرى وجدت طريقاً إلى عقول ملايين السذّج من رواد الشاشات الصغيرة والكبيرة على أنها حقيقة، مفادها أن المخابرات الأمريكية (CIA) هي التي صنعت (الأفغان العرب)

وزعماءهم من أمثال الشيخ أسامة بن لادن، والشيخ عبد الله عزام من أجل تدمير الاتحاد السوفيتي، وان هذه الصنائع انقلبت عليها اليوم، ودمر بعضهم أبراجها في نيويورك وواشنطن، في حين عاد أكثرهم إلى بلادهم لضرب مصالحها وقتل رعاياها، ومحاربة أوليائها من حكام بلاد العرب والمسلمين، وأن ظاهرة الجهاد المسلح في بلاد العرب هي إفراز للجهاد الأفغاني، وبالتالي صنيعة الاستخبارات الأمريكية، وقد خرجت عن الطوق...

وحقيقة الأمر هي أن التيار الجهادي العربي المعاصر هو وليد الصحوة الإسلامية التي نشأت مطلع الثلاثينات، فقامت على إثرها كثير من التجارب الجهادية ما بين مطلع الستينات ومطلع الثمانينات، أي قبل الجهاد الأفغاني بعشرين سنة، بل إن القيادات والكوادر والرموز وأركان الجهاد العربي في أفغانستان هم من بقايا وكوادر ورموز وشيوخ التيار الجهادي العربي، فالشيخ عبد الله عزام من رموز وقدماء المجاهدين في فلسطين، والشيخ أسامة بن لادن تربي في الصحوة الإسلامية، ودعم أكثر من حركة للجهاد في بلاد العرب، وساهم في دعم الجهاد في سوريا مطلع الثمانينات قبل أن يتوجه إلى أفغانستان.

وكذلك فإن كثيراً من الكوادر الذين يصعب حصرهم هنا من المدربين والقادة الميدانين الأوائل الذين حملوا مهمة إنشاء المعسكرات، وإقامة البنية الأساسية للجهاد العربي في أفغانستان، كانوا من كوادر تنظيمات الجهاد العربية، ولاسيما من مصر وفلسطين وسوريا ولبنان واليمن وغيرها، وهم الذين كانوا نواة التجمع العربي الذين تولوا العمل في مجالات التدريب، والإعلام، والعمل العسكري، والعمل الإغاثي الميداني، إلى أن تقاطر المجاهدون من البلاد العربية والإسلامية، وتزايد الجمع الذي ابتدأ بكوكبةٍ صغيرة سنة ١٩٨٤م، فتصاعد ليبلغ زهاء أربعين ألفاً من المجاهدين العرب مع مطلع التسعينات" ا.هـ

وفي معرض ردّه لمراسل قناة الجزيرة جمال إسماعيل عما تردده وسائل الإعلام العالمية *"بأنّ الاستخبارات الأمريكية كانت هي التي تمول نشاطكم وتدعمكم في هذا الجهاد"*، قال الشيخ أسامة:

"فالأمريكان يكذبون إذا زعموا أنهم تعاونوا معنا في يوم من الأيام، ونحن نتحداهم ليبرزوا أي دليل، وإنما هم كانوا عالة علينا وعلى المجاهدين في أفغانستان، ولم يكن أي اتفاق، وإنما كنا نحن نقوم بالواجب لنصرة الإسلام في أفغانستان، وإن كان هذا الواجب يتقاطع بغير رضانا مع مصلحة أمريكية، فعندما قاتل المسلمون الروم، ومعلوم أن القتال كان شديداً بين الروم والفرس، وكان دائماً، ولا يمكن لعاقل أن يقول إن المسلمين عندما بدأوا بالروم في غزوة مؤتة كانوا هم عملاء للفرس، وإنما تقاطعت المصلحة، يعني قتلك الروم، وهو واجب عليك كان يفرح الفرس، لكن بعدما أنهوا الروم بعد عدة غزوات بدأوا بالفرس. فتقاطع المصالح لا يعني العمالة، بل نحن نعاديهم من تلك الأيام، ولنا محاضرات بفضل الله سبحانه وتعالى منذ تلك الأيام في الحجاز ونجد بوجوب مقاطعة البضائع الأمريكية، وبوجوب ضرب القوات الأمريكية، وبوجوب ضرب الاقتصاد الأمريكي، منذ أكثر من ١٢ سنة" ا.هـ

المكر الدولي على الجهاد والمجاهدين:

كان الخوف الأكبر لدي أعداء الإسلام -بعد الانتصار الأسطوري الذي حققه المجاهدون الأفغان على الإمبراطورية السوفيتية في أكبر تجربة جهادية للمسلمين في القرن العشرين- أن يثبت الجهاد جدواه في **تغيير الواقع المظلم للمسلمين**، لهذا كان لا بد من إفشال تلك التجربة الجهادية، وذلك **بزرع روح اليأس في نفوس المسلمين من جدوى أية مقاومة، وأن الجهاد لا يؤدي بأصحابه إلا إلى الكوارث والنكبات، وأن المجاهدين غير قادرين على إدارة المجتمعات المعاصرة، ولا يستطيعون مواكبة الأمم في تطورها**. كذلك كان لا بد من تشريد وتدمير وتصفية العرب الذين تأثروا بالتجربة وأثّروا فيها. وكانت الآلية المفضّلة لتحقيق ذلك المخطط هي؛ بإثارة النزاع والشقاق بين فصائل المجاهدين الأفغان.

انتزاع الهزيمة من بين فكي النصر:

في كتابه "الصراع ورياح التغيير -الجزء الثالث" لخّص الشيخ سيف العدل -حفظه الله- أهداف المخطط الأمريكي لإفشال التجربة الأفغانية الجهادية، فقال:

"وتحت المظلة الأمريكية -تخطيط أمريكي بنكهة باكستانية بتمويل سعودي- كان هدفهم العام: إضعاف روسيا وإخراجها بشكل لائق من الحرب .. عدم تمكين المجاهدين من الاتحاد وتعميق الخلافات بينهم .. عدم حسم الحرب عسكرياً وأن الحل يجب أن يكون سياسياً لخلط الأوراق وضمان التبعية .. وتشكيل حكومة مشتركة بين الشيوعيين والإسلاميين .. القضاء على التواجد العربي بعد الحرب .. عدم تصدير التجربة .. وباختصار التأكيد على أن الجهاد قادر على التدمير لا على البناء .. وأن مرحلة تواجدهم انتهت والمرحلة القادمة للساسة لا للمقاتلين .. وبهذا الشكل لا يحقق المجاهدون إلا أهداف الحلفاء ويخسروا كل شيء .. وعلى المستوى الإسلامي تصاب الأمة بخيبة أمل وتفقد الثقة في إقامة دولة عن طريق الجهاد وبقوة السلاح .. علق على ذلك العميد محمد يوسف صاحب كتاب "فخ الدب" وأحد المشاركين في الحرب بقوله: "لقد تم انتزاع الهزيمة من بين فكي النصر" .. يا له من تشبيه عجيب .. لقد كان نصر المجاهدين وشيكاً إلا أنهم حالوا بينهم وبين النصر .. وحوّلوا نصرهم إلى كارثة"ا.هـ

وكان أول ضحايا ذلك المخطط هو اغتيال الرئيس الباكستاني ضياء الحق في ١٧ أغسطس ١٩٨٨م، ومن بعده بعام ونيف اغتيل إمام المجاهدين الشيخ عبد الله عزام -مع اثنين من أبنائه رحمهم الله- بتفجير سيارته في بيشاور في ٢٤ نوفمبر ١٩٨٩م وهو في طريقه إلى مسجد سبع الليل كي يؤم صلاة الجمعة.

ولما بدأ المجاهدون الأفغان يدقون أبواب كابل، وبدأت تتساقط المدن الرئيسية في أيديهم، توجه المخطط الأمريكي الغربي في منحيين اثنين تجاه تلك الساحة، الأول أفغاني والثاني عربي[١]:

١- ففي الاتجاه الأفغاني كان برنامج الأمريكان وعملائهم -وعلى رأسهم حكومة باكستان ونظام آل سعود ومصر- الحيلولة دون قيام حكومة للمجاهدين تعلن قيام حكومة إسلامية تحكم بالشريعة، وتنهض بإعمار أفغانستان. وكانت الخطة المقررة لهذا البرنامج هي افتعال مرحلة من الحرب الأهلية تستهلك المخزون الاستراتيجي من السلاح، ومئات آلاف الكوادر المقاتلة من قيادات وأعضاء المنظمات الجهادية في أفغانستان، وهذا ما نفذوه خلال (١٩٩٢-١٩٩٦م).

---

١) الفقرة كاملة من كتاب دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، بتصرّف.

٢- وفي الاتجاه العربي هبت رياح تلك العاصفة الأمنية التي نظمتها أمريكا، ونفذتها باكستان، وتابعتها الدول العربية والأوربية بُعيد سقوط الاتحاد السوفييتي لتطال ذلك الجمع المبارك من المجاهدين العرب، فأخرجت الشريحة الأكبر منهم إلى بلادهم لتواجه المطاردات الأمنية والتحقيقات والسجون بتهمة الانتماء لجماعات جهادية مسلحة ... وشردت الحملة من لا يستطيع العودة إلى بلاده في أقطار الدنيا كلاجئين، أو في بلدان عربية أخرى لا تطالهم فيها أيدي حكوماتهم، وخفضت ذلك الجمع من عشرات الآلاف إلى بضعة مئات من المطاردين المختفين في باكستان. ا.هـ

الخطة الدولية لمحاربة التيار الجهادي أو ما يسمى بمكافحة الإرهاب[١]:

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد وضعت الإدارات الأمريكية المتعاقبة –بعد حرب الخليج الثانية (عاصفة الصحراء)- خطة متكاملة لمواجهة التيار الجهادي اصطلح عليها "**بالمواجهة الدولية لمكافحة الإرهاب**"، فتتابعت المؤتمرات الأمنية الإقليمية والدولية خلال ذلك العقد بمعدلٍ لا يقل عن مؤتمرٍ أو أكثر كل ستة أشهر لتحقيق ذلك الغرض. فتطرق مؤتمر مدريد للسلام بين العرب واليهود من أجل التطبيع عام ١٩٩١م لمسألة الإرهاب، وتفرّغ مؤتمر شرم الشيخ عام ١٩٩٤م ومؤتمر شنغهاي ودايتون عام ١٩٩٥م لنفس المسألة، وتتابعت من بعد ذلك عشرات المؤتمرات العالمية إلى الآن، وقد حضرت الولايات المتحدة الأمريكية كل هذه المؤتمرات بما فيها الخاصة بدول المتوسط، وكذلك إسرائيل ومعظم الدول العربية، وتتابعت مؤتمرات وزراء الداخلية العرب في تونس، ولعب نظام آل سعود ووزير داخليته نايف بن عبد العزيز –المتحمس بشراسة لمكافحة الإرهاب- دوراً بارزاً في هذا الأمر، ويمكن اختصار برنامج مكافحة الإرهاب العالمي خلال هذا العقد بالنقاط التالية:

١- تجفيف المنابع المالية:

وقد تضمنت هذه الخطة فرض رقابة صارمة على الموارد المالية للحركات الجهادية والأصولية التي تصفها أمريكا وأذيالها من حكام المسلمين بأنها (إرهابية)، واتخذت قرارات وإجراءات لمراجعة الأرصدة في البنوك، ومراقبة الحوالات البنكية، ومصارف الزكاة، وأعمال اللجان الخيرية، والمؤسسات الإنسانية الإسلامية. واتخذت قرارات لمصادرة أموال، ومراقبة حسابات، وتجميد أرصدة أدخلت معظم الحركات الجهادية في حالة من الضائقة الشديدة، وقلصت مواردها لحد كبير.

٢- استهداف القيادات والكوادر الجهادية بالقتل والأسر:

افتتحت أمريكا هذه السياسة باغتيال الشيخ عبد الله عزام –رحمه الله- في ٢٤ نوفمبر ١٩٨٩م، وكان قد سبقه حادثة وفاة الشيخ تميم العدناني في أمريكا في ظروف غامضة، وكانت هناك محاولة لاغتيال الشيخ أسامة في بيشاور عام ١٩٩١م، ثم اغتيل واختطف عدد من قيادات الجهاد المصري والجماعة الإسلامية من بعض الدول، ثم اغتيل الشيخ أنور شعبان –رحمه الله- أمير المجاهدين العرب في البوسنة، واختطف أمير الجماعة الإسلامية الشيخ طلعت فؤاد قاسم –رحمه الله- من كرواتيا حيث كان لاجئاً في الدانمارك ونقلته مروحية أمريكية إلى سفينة في المتوسط حيث اختطف إلى مصر، ثم اعتقل الشيخ عمر عبد الرحمن –رحمه الله- في أمريكا، ولفقت له تهم مضحكة ليُحكم بالسجن أكثر من ٢٠٠ سنة.

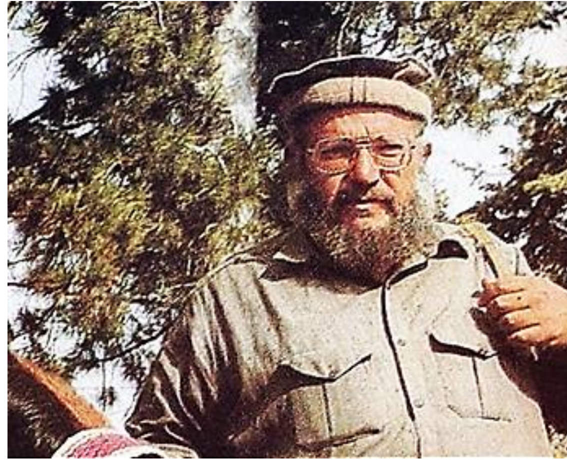
---

١) الفقرة كاملة من كتاب دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

وطالت الحملة كوادر جهادية في فرنسا وإيطاليا وبريطانيا وسواها، وطال السجن حتى علماء ورموز تؤدي دعوتهم إلى إحياء الجهاد بصورة غير مباشرة في الدول العربية، فاعتقل الشيخ علي بلحاج في الجزائر، واعتقل الشيخ سفر الحوالي والشيخ سلمان العودة ونحو عشرة آخرين من كبار علماء الصحوة في بلاد الحرمين، واختُطف جهاديون من دول متعددة من اذربيجان وتايلند والفلبين وبعض الدول العربية وباكستان، وأُودعوا السجون أو لفهم المصير الغامض.



الشيخ عبد الله عزام شهيداً مع ابنيه محمد وإبراهيم رحمهم الله



الشيخ تميم العدناني – رحمه الله

٣- اتفاقيات التسليم وتبادل الإرهابيين (الجهاديين) بين الدول المختلفة:

فقد تبادلت الدول العربية والإسلامية فيما بينها كثيراً من المعتقلين الجهاديين الذين سلموا إلى المصير المجهول في بلادهم، بل ارتكبت بعض الدول الغربية التي تزعم احترام تلك القوانين والحقوق مثل هذه الأعمال، وسلمت إخوة أبرياء مع أسرهم في بعض الأحيان إلى بلادهم.

٤- إلغاء الملاذات الآمنة:

كان أول من أعلن هذا الإجراء بهذه الصيغة الرئيس كلينتون سنة ١٩٩٥م، حيث ابتدأت حملة مطاردات أمنية للجهاديين في أوربا ومختلف دول العالم. وكان معظم كوادر الأفغان العرب والتيار الجهادي قد توزعوا في بعض البلاد الأوربية كلاجئين، أو استقروا في السودان واليمن وإيران وتركيا، واستقر بعض الجهاديين من شمال أفريقيا في سوريا والأردن، فيما بقي البعض في باكستان والقليل منهم في أفغانستان.

وكان من نتاج حملة الضغط الأمريكية هذه أن طُرد الشيخ أسامة بن لادن والجهاديون المصريون والليبيون ومعظم الباقين من السودان، وسلمت الحكومة السودانية بزعامة البشير والترابي أخوة ليبيين إلى بلدهم ليُعدموا. وطردت اليمن الجهاديين تحت تهديد اعتقال نسائهم، وتوسطت قيادات إسلامية وقبلية واتفقوا مع الحكومة اليمنية على طرد الإخوة بنسائهم وأطفالهم. وقبضت سوريا والأردن وتركيا على أخوة جهاديين وسلمتهم لبلادهم وفر الباقون. أما حرب البلقان فقد تدخل الرئيس الأمريكي بل كلنتون بنفسه لإبرام اتفاقية دايتون بين الأطراف المتنازعة ليتم فرض الشروط الأمريكية للسلام، والتي كان من أهمها، طرد المجاهدين العرب من البوسنة والهرسك. وهكذا ضاقت على المجاهدين الأرض بما رحبت منذ عام ١٩٩٥م وما تلاها من أعوام.

٥- نقل مجالات التعاون الأمني من الإقليمي إلى الدولي:

فقد عُقدت الاتفاقيات الأمنية الدولية ذات التفاصيل العملية المعقدة ووُضعت برامج لمتابعة الاتصالات الروتينية، وربط أجهزة الاستخبارات على مستوى المعلومات والاتصالات بخطط تعاون عالية الكفاءة.

٦- التوسع في تشريعات مكافحة الإرهاب:

فقد قامت الدول الغربية وأمريكا بتعديل الكثير من تشريعاتها، وسن قوانين أسوأ من القوانين العرفية المعمول بها في العالم الثالث لتصفية مجالات اللجوء السياسي وحقوق الأجانب، وتوسيع قوانين مكافحة الإرهاب حتى شملت بريطانيا وفرنسا والدول الإسكندنافية.

٧- الحرب الإعلامية من أجل تشويه المجاهدين وعزلهم:

وتزامناً مع هذه الحملة الأمنية والعسكرية، انطلقت معها جنباً إلى جنب حملة إعلامية ودعائية لتشويه الجهاديين ومبادئهم وممارساتهم بغرض عزلهم عن جماهيرهم، وإظهارهم على أنهم مجرد قتلة متعطشون للدماء، ومتشددون دينيون لا يحملون رسالة التسامح والحوار إلى آخر التهم. وقد لعبت المؤسسات الدينية الرسمية المتحالفة مع الحكومات في بلاد العرب والمسلمين أخبث الأدوار، وزودت هذه الحملة العالمية بأفتك أسلحتها.

أتواصوا به (تعليقاً على الخطّة الدولية لمكافحة الإرهاب):

لو تأمّلنا في سيرة رسولنا الكريم، وفي قصص الأنبياء عليهم أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، لعلمنا أن النظام الدولي الجديد لم يبتدع أو يأتي بجديدٍ فيما يسمّى بخطّة مكافحة الإرهاب. فكل سياساته وسياسات أسلافه الأوّلين في هذا المجال هي نفس السياسات؛ كلها تصبّ في خانة واحدة هي **الصدّ عن سبيل الله**، وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾، والاختلاف فقط في المسمّيات والألفاظ والشخصيّات.

فسياسة تجفيف المنابع هي التي قال فيها العليم الحكيم: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾. وسياسة استهداف القيادات والكوادر الجهادية بالقتل والأسر قال فيها القوي العزيز: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾. وسياسة اتفاقيات التسليم مارستها قريش بمحاولاتها اليائسة بشتّى الطرق مع أبي طالب ليسلّم لهم رسول الله ﷺ الذي عاب دينهم وسبّ آلهتهم ليقتلوه.

وبالنسبة لإلغاء الملاذات الآمنة، فقد كانت أخوف ما تخاف منه قريش أن يحل رسول الله ﷺ على حي من العرب، فيغلب عليهم بحسن حديثه وحلاوة منطقه حتى يتابعوه، ومن ثَمّ يسير بهم إليهم. لذلك لّما قرع خبر بيعة العقبة الثانية آذان قريش احتجّوا لزعماء الخزرج احتجاجاً مبطّناً بالتهديد بالحرب إن هم آووا رسول الله ﷺ، فقالوا لهم: **"يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حيٍ من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم".**

وفيما يخصّ التعاون الأمني جاء في السيرة أن قريشاً حاولت التودد إلى النجاشي ملك الحبشة برشوته ورشوة بطارقته على أن يسلّم لهم المسلمين المستجيرين بجواره، ومعلوم في السيرة كذلك قصة غزوة الأحزاب، وكيف أن اليهود هم من ألّبوا قريشاً وغطفان، وحزّبوا قبائل العرب في جيشٍ عرمرمٍ -أشبه ما يكون اليوم بقوّات التحالف الدولي التي تقودها أمريكا- لقتال الرسول ﷺ.

أمّا ما يخصّ الحرب الإعلامية من أجل تشويه المجاهدين وعزلهم فقد جاء في كتب السيرة أن كفار قريش لما دنى موسم الحج اجتمعوا للتشاور في الكيفية التي يحيلون بها بين النبي ﷺ وبين عرض دعوته على الوافدين على مكة من الحجيج، فأرادوا أن تتوحد كلمتهم في شأن النبي ﷺ حتى لا تكون لدعوته أثر في نفوس العرب، فقال الوليد بن المغيرة: **"أجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضه بعضاً"**، فطلبوا منه أن يشير عليهم برأيه ويدلي معهم بدلوه، فرد الأمر إليهم ليستمع هو ما يقولون، قالوا: **"نقول كاهن"**، قال: **"لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكهان ولا سجعهم"**، قالوا: **"فنقول مجنون"**، قال: **"ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، ما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته"**، قالوا: **"فنقول شاعر"**، قال: **"ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر"**، قالوا: **"فنقول ساحر"**، قال: **"ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم"**، قالوا: **"فما نقول؟"**، قال: **"إن أقرب القول فيه أن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه، وبين المرء أخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته"**، فعلى هذا اتفقت كلمتهم وتفرق جمعهم وانعقد عزمهم فتفرقوا عنه بذلك. فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره.

وهكذا منذ قديم الزمان، استفرغ أولئك الأجداد جهدهم في الصدّ عن سبيل الله، وعلى ذات الخطى -حتّى يرث الله الأرض ومن عليها- يسير اليوم أحفادهم، ويستمر المكر العالمي والنظام الدولي بقيادة أمريكا لإجهاض اي محاولة جادة من أبناء هذه الأمة لإقامة مشروع جهادي ناجح تكون ثمرته دولة ونظام إسلامي يُقيم حُكم الله في أرضه على أنقاض هذه الأنظمة العلمانية المرتبطة بالنظام العالمي العلماني. ولكن هذه المحاولات، والمكر من أعداء الله مآله بإذن الله الفشل، فدين الله حتماً منصور، ولا يزال في هذه الامة طائفة ظاهرة على الحق، لا يضرها من خذلها ولا من خالفها كما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ حيث قال: ﴿لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ﴾. وفي رواية: ﴿لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ﴾ رواهما مسلم.

الدروس المستفادة من المكر الدولي على الجهاد والمجاهدين:

لعل من أهمّ الدروس المستفادة في هذا الباب والتي يجب علينا أن نتوقف عندها كثيراً هي:

أولاً: حقيقة الصراع:

قد يستغرب الكثيرون -ممن لا يفقهون حقيقة الصراع- من معايير الغرب الازدواجية في التعامل مع المسلمين، وعلى وجه الخصوص مع المجاهدين. فبالأمس القريب كانت كل التسهيلات تمنح لكل من أراد الجهاد في أفغانستان. وبعد ما تحقق المراد، وأخذت الامبراطورية الروسية على أشلاء وجماجم المجاهدين مكانها في مقبرة الامبراطوريات، وفجأةً، وبين عشيّة وضحاها قلب الجميع على المجاهدين ظهر المجن، فوُضعت الخطط والسياسات، وتتابعت المؤتمرات الأمنية الاقليمية منها والدولية ليصبح أبطال الأمس إرهابيون ومجرمون وقتلة، يواجهون المطاردات الأمنية، وجلسات التحقيق المطوّلة، والسجون والمعتقلات بتهمة الإرهاب والانتماء لجماعات جهادية مسلحة.

ومع أن الأسباب التي أخرجت هؤلاء للجهاد اليوم هي ذات الأسباب الأولى التي أخرجتهم بالأمس لقتال المحتلين الروس، إلّا أن جريرتهم هذه المرة هي أنهم هبّوا للجهاد لتحرير بلادهم ومقدّساتهم من الاحتلال والهيمنة الأمريكية، والأدهى والأمر من ذلك أن الأمريكان يريدون أن يُفهمونا ويُصوروا لنا حقيقة الحرب والصراع الدائر بيننا وبينهم بأنه ليس دينياً، وأن تواجد قواتهم وقواعدهم العسكرية الصليبية في بلاد المسلمين عامة، وخاصّة في جزيرة العرب -التي تضمُّ على ثراها أقدسِ مقدساتِ المسلمين- ليس احتلالاً، إنما هو تواجد شرعي بناءً على معاهدات واتفاقات ومصالح مشتركة بين الدول.

وحتى لا تنطلي علينا تلبيسات الإعلام الصليبي، وشبهات علماء السوء الذين يُأصّلون للهيمنة الأمريكية على بلاد المسلمين، كان لا بد أن نفهم حقيقة هذا الصراع، لأنه بناءً على فهمنا لحقيقته تكون المعركة بيننا وبين طواغيت العرب والعجم، وحينها تتمايز الصفوف، و ينقسم الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، و فسطاط كفر لا إيمان فيه. يقول الشيخ أسامة رحمه الله:

"وهذه الأحداث العظام التي قسمت الناس إلى قسمين تهم المسلمين بدرجة كبيرة جداً حيث يترتب عليها من الأحكام الشيء الكثير، وهي ذات صلة قوية بالإسلام ونواقضه، لذا كان لابد على المسلمين <u>أن يفهموا طبيعة هذا الصراع وحقيقة هذا الصراع؛ ليسهل عليهم أن يحددوا من أي الصفوف يكونون</u>" ا.هـ

ولن نفهم حقيقة الصراع إلا من منطلق قرآني كما يصفه لنا رب العزة وخالق الخلق لا كما يصوره لنا الأعداء ويوهموننا به. فالقرآن يصور لنا العداء على أنّه عداء دائم لا يزول، ويصوره على أنّ منطلقه ديني عقدي ملي. يصوره على أنّ الأعداء لن يتركونا وإن تركناهم ما دام لهم قدرة على منابذتنا واستئصالنا، ولا يمنعهم من ذلك مانع من عشيرة أو غيرها. يصوره على أنّه عداء على بعض الحق الذي يحمله أهل الحق، وليس على مطلق الحق الذي معهم، وعلى ذلك يرضون من أهل الحق بترك بعض الحق. يصوره على أنّ الأعداء لن يرضوا إلا بأن يكون أهل الحق تابعين لهم ولأهوائهم، وتاركين للحق الذي يحملونه بين جوانحهم. يصوره على أنّه عداء ضد الحق وكل من ينتسب إليه. قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ

يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾[١].

ويأبى الله على إثر ضربات الحادي عشر من سبتمبر إلّا أن يجلّي حقيقة هذا الصراع، على لسان أكابر المجرمين. يقول الشيخ يوسف العييري رحمه الله في كتابه "حقيقة الحرب الصليبية الجديدة":

"إن الكفار مهما لبّسوا على المسلمين، وسمّوا أفعالهم بأسماء مغايرة لمعتقداتهم إلا أن تغيير الأسماء لا يغير من الحقائق شيئاً، وهم الذين أخبر الله عنهم بقوله تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، إلا أن الله أظهر معتقد النصارى، وأخرج ما في قلوبهم على المسلمين وما هي حقيقة حربهم على الإسلام. وأن اسم مكافحة الإرهاب، أو العدل المطلق، أو محاربة أعداء الحرية، أو الأشرار، أو أعداء الحضارة، ما هي إلا أغطية لحقد صليبي دفين قد ملأ قلوبهم. وبما أن الحقد ملأ قلوبهم وهمهم الأوحد تحقيق معتقداتهم التي أخبر الله عنها، فقد نفد صبر الرئيس الأمريكي بوش ولم يستطع كتم عقيدته فصرح في مؤتمر صحفي أجراه يوم الأحد ٢٠٠١/٩/١٦ م، بقوله: "This crusade, this war on terrorism, is going to take a long time"، وترجمة كلامه المتقدم هو قوله: **"هذه الحرب الصليبية، هذه الحرب ضد الإرهاب سوف تأخذ وقتاً طويلاً"...**

ومن أمثلة ذلك ما نشرته مجلة "ناشونال ريفيو" تحت عنوان (إنها الحرب فلنغزهم في بلادهم):

"ليس هذا أوان ترف البحث عن أماكن المتورطين بالعمليات الإرهابية، المسؤولون عن هذه العمليات هم كل من ارتسمت على وجهه ابتسامة عندما سمع بالهجمات على نيويورك وواشنطن ... علينا غزوهم في بلادهم، و قتل قادتهم، و إجبارهم على التحول إلى المسيحية" ا.هـ

ثانياً: فرِّق تسُد:

لقد فقه أعداء الله منذ أمدٍ بعيدٍ نقطة ضعف هذه الأمة، وهي في اختلافها وتنازعها وتفرّق كلمتها. لقد فقهوا أن النتيجة الحتمية لهذه الأدواء هي الفشل وذهاب الريح مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾. لذلك على مر الأزمان -قديماً وحديثاً- كل سياساتهم وخططهم ومكرهم لإفشال ثمرة الجهاد في كل ساحاته، ولاستئصال شافّة المجاهدين تصبّ كلها في بث الفرقة والاختلاف والنزاع الذي يؤدّي في نهاية المطاف إلى الاقتتال. وما حدث بين فصائل المجاهدين الأفغان بعد خروج الروس من أفغانستان، وما حدث كذلك في ساحتي الجهاد في بلاد الشام والعراق من اقتتال أصدق مثال على ذلك.

يقول الشيخ الشهيد سيد قطب -رحمه الله- في تفسير الآية الكريمة أعلاه:

"فما يتنازع الناس إلا حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه، وإلا حين يكون الهوى المطاع هو الذي يوجه الآراء والأفكار. <u>فإذا استسلم الناس لله ورسوله</u> انتفى السبب الأول الرئيسي للنزاع بينهم -مهما اختلفت وجهات النظر في المسألة المعروضة- <u>فليس الذي يثير النزاع هو اختلاف</u>

١) هذه النّص مقتبس من مقالٍ بعنوان "بين القاعدة والهيئة"، للشيخ حمد بن حمود التميمي تقبله الله.



<u>وجهات النظر، إنما هو الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة يصر عليها مهما تبين له وجه الحق فيها! وإنما هو وضع «الذات» في كفة والحق في كفة، وترجيح الذات على الحق ابتداءً</u>" ا.هـ

لذلك حريٌ بنا في هذا المقام حتى نفقه خطورة هذا الأمر، أن نعقد مقارنتين حديثتين من واقعنا المعاصر، نستشف منهما العظات والعبر، وهما إلى أين يؤول حال الجهاد والمجاهدين في حالة الفرقة والاختلاف والنزاع، وكيف تكون الصورة في حالة الوحدة والاعتصام بحبل الله المتين.

المقارنة الأولى من بلاد الشام:

أولاً: معلوم أن النظام الدولي الصهيوصليبي قد مكث عشرات السنين يخطط ويمكر لتأمين دويلة اليهود، وحمايتها عبر حكومات دول الطوق العميلة (مصر - سوريا - الأردن - لبنان)، ومن ناحيةٍ أخرى عبر إفساد شعوب تلك الدول بشتى صنوف الرذيلة من خمر وزنا وفنون خليعة وعُري واختلاط، حتى لا يكون لديها -إلا من رحم الله- أي نخوة أو غَيْرة على الدين فضلاً عن التفكير في تحرير المقدّسات.

لكن جعل الله تدميرهم في تدبيرهم، فقد أدّت سياسة "الأسد أو نحرق البلد" -التي اتبعها النظام السوري في قمع المتظاهرين الذين كانوا يطالبون بشيءٍ من الحرية- إلى أن يعود الشعب السوري إلى ربّه ودينه، ويحمل السلاح دفاعاً عن نفسه وعرضه. وشيئاً فشيئاً في سنوات قلائل ظهرت جماعات جهادية دقّت عملياتها النوعية أبواب دمشق، ووطئت أقدامها القنيطرة على مرمى حجرٍ من اليهود. فكانت هذه الجماعات الجهادية تقاتل في الشام وأعينها مصوبة إلى بيت المقدس، وحينها جنّ جنون الأعداء، الذين لم يتوقّعوا أبداً أن تتسارع الأحداث بهذه الوتيرة.

ثانياً: لقد نفر إلى بلاد الشام لقتال النظام النّصيري عشرات الألوف من الشباب، منهم المئات من دول أوروبا وأمريكا واستراليا، وأخوف ما كانت تخاف منه أمريكا والدول الغربية بصفة عامّة، هو ذلك التجمّع الكبير الغير مسبوق من حاملي جنسيّات تلك الدول في تلك البؤرة الجهادية.

فإذا كان تسعة عشر شاباً من خارج أمريكا فعلوا فيها ما فعلوا يوم الحادي عشر، وإذا كان العالم أجمع قد شهد كيف أثخنت عمليات الجهاد الفردي التي قام بها بعض مواطني هذه الدول الذين تأثّروا بما يحدث لإخوانهم المسلمين في بلاد الشام وغيرها ولم تطأ أقدامهم ساحات الجهاد قط، فكيف إذا رجع العشرات إن لم يكن المئات من رعايا تلك الدول إلى بلادهم بعد أن توسّعت مداركهم، وتشبّع فكرهم بالجهاد، وتدربوا تدريباً عالياً، وكسروا حاجز الخوف بخوضهم معارك في غاية الشراسة مع النظام النصيري؟ كيف إذا رجع هؤلاء إلى بلادهم وهم قد رأوا بأمّ أعينهم تواطؤ حكوماتهم في حروبها الصليبية على المسلمين باسم الحرب على الإرهاب في أفغانستان، والعراق، واليمن والصومال وغيرهما؟ كيف إذا علمنا أن الكثير من هؤلاء الشباب كانوا يتبعون لجبهة النصرة قبل أن تتنصل من بيعتها للقاعدة بحجّة فك الارتباط؟ بدون شك ستكون لعملياتهم النوعيّة بعداً كبيراً في تغيير مجريات الأحداث، وفي تغيير سياسات بلادهم تجاه أمّتنا، وما تفجيرات بالي ومدريد ولندن عنّا ببعيد.

ولعل هذان السببان الرئيسان جعلا أعداء الله يتحركون نحو أقصر الطرق وأسرعها لإفشال التجربة الجهادية في بلاد الشام، وذلك بغرس بذور الخلاف والنزاع، وتطبيق سياسة **فرّق تسد** بين فصائل المجاهدين المختلفة.

وكما توجه المخطط الأمريكي الغربي -كما مرّ بنا- لإفشال الجهاد الأفغاني الأول في منحيين اثنين، كذلك -تنفيذاً لتوصيات مراكز الدراسات والبحوث الصليبية وعلى رأسها مؤسسة راند- توجه نفس المخطط لإفشال الجهاد في الشام في منحيين اثنين، الأول شامي، والثاني تناول وضع المقاتلين الأجانب -كما سمّوهم- الذين جاءوا لنصرة إخوانهم في بلاد الشام:

١- ففي الاتجاه الشامي، اختلق الأعداء -بجانب الجماعات الجهادية- عشرات الجماعات والتنظيمات والجيوش القومية والعلمانية والديموقراطية، ودُعمت هذه الجماعات من دول إقليمية ودولية بشتّى أنواع الدعم المادي والعسكري. وكان ظاهر هذه الجماعات هو قتال النظام من أجل الحرية والعدالة، لكن في حقيقة الأمر كان لها مآرب أخرى، وهدف واحد فقط هو: **الحيلولة دون قيام أي مشروع لإقامة نظام إسلامي يحكم بالشريعة في شامنا الحبيب**، وذلك بالتصدي للجماعات الجهادية، وخاصة ذات التوجه العالمي (القاعدة) تحت ذريعة مكافحة الإرهاب.

وخشيةً من أن تُصنّف الجماعات الجهادية الشامية القطرية في سلّة واحدة مع تنظيم القاعدة، مارست هذه الجماعات ضغوطاً شديدة على جماعة القاعدة (جبهة النصرة سابقاً)، وأجبرتها -تحت ضغط الواقع- على ترك انتمائها لتنظيم القاعدة، إما بالعمل تحت راية الجماعات القطرية، أو ترك الساحة والخروج منها ليكون أفرادها عرضة للاعتقال والقصف.

فبدلاً من أن تأخذ تلك الجماعات الجهادية القطرية العظات والعبر من تجربة أفغانستان الأولى فتضع خلافاتها جانباً، وتتوحد على أقل تقدير على هدف واحد هو إسقاط النظام، أصبح لا همّ لهذه الجماعات سوى مصالحها الذاتية بتكثير سوادها، وتوسيع رقعة سيطرتها -وخاصة مناطق الثروة- على حساب جماعات أخرى، فدبّ النزاع والشقاق بين هذه الجماعات حتى أدى في بعض الأحايين إلى الاشتباك وإراقة الدماء، ولا حول ولا قوّة إلا بالله. وكانت النتيجة الحتمية، والسنّة القدرية التي لا تتبدل ولا تتحول هي ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، فأين هي الجماعات الجهادية الشاميّة اليوم، التي كان نفوذها بالأمس يبسط الأمن والسلام في أغلب ربوع الشام الحبيب، وكانت على بعد خطوات من العاصمة دمشق؟

جديرٌ بالذكر أن الشيخ سيف العدل -حفظه الله- في كتابه "الصراع ورياح التغيير -الجزء الثالث" -الذي صدر في أكتوبر ٢٠١٣م- كان في وقت مبكّرٍ قد حذّر المجاهدين في بلاد الشام بأن يكونوا منتبهين للمؤامرات والدسائس التي تحاك ضدّهم -وهو عين ما حدث ووقعوا فيه- فقال:

"ولهذا فعلى عيون المجاهدين في الشام أن تكون منتبهة لما يحاك بهم .. فالأمريكان والسعودية وباقي الأذناب لهم تجربة عميقة من خلال الجهاد ضد الروس في أفغانستان .. ويستحيل أن يجتمع حلف الشيطان هذا لنصرة الإسلام .. وإنما هي مصالحهم ومصلحة حليفهم اليهودي .. وأيما تيار نال رضاهم ودعمهم فلا شك أنه بعيد عن مراد الله وقريب من مرادهم .. وسيعملون على تعاظم التنظيمات الجهادية وتعددها .. ثم يعمدوا إلى الأسوأ منها فيختاروه ليدعموه ويقاتلوا سوياً المجاهدين ثم يعالجون القضية سياسيا مع النظام .. وأما التنظيمات الأخرى ففي الوقت المناسب سيقطعون التمويل عن هذه التنظيمات التي تضخمت وترهلت .. ويهددونها في قواعدها الخارجية فلا يقوى قادتها على رفض التوجه الأمريكي السعودي

التركي .. وبالتالي فهم سيمولون الحرب بسخاء حتى إذا بدا النصر في الأفق حالوا بين المجاهدين وما يريدون .. واخترعوا لهم حلاً سياسياً يناسب بقاء اليهود واستمراريتهم في المنطقة .. يجب أن نكون على بصيرة من الأسرة السعودية وذيلهم الإماراتي .. إذ لا هم لها إلا حرب الإسلام والمسلمين وتأمين وجود اليهود .. وعليهم أيضاً أن يكونوا منتبهين لحلفاء النظام .. وهم روسيا وإيران والعراق وبعض المنظمات المذهبية .. على المجاهدين أن يفسدوا هذا التحالف ويعملوا على تفتيته .. خاصة وأنه حلف سياسي مصلحي يصل مع النظام سريعاً إلى نقطة الطلاق إذا توفر لهم علاج لنقطة اللقاء معه" ا.هـ

٢- وفيما يخص المقاتلين الأجانب الذين يقاتلون في بلاد الشام، هبّت رياح العاصفة الأمنية التي نظمتها أمريكا، ونفذتها وما زالت تنفّذها جميع الدول لملاحقتهم تحت ذريعة مكافحة الإرهاب. وكان مجلس الأمن قد عقد في نوفمبر ٢٠١٤م، جلسة استثنائية طارئة برئاسة الرئيس الأمريكي السابق أوباما[١]، لمناقشة وضع المقاتلين الأجانب في العراق والشام، وكان المجلس قد اتخذ القرار رقم ٢١٧٨ الذي يُلزم جميع الدول باتخاذ تدابير وقائية وعقابية -تصل إلى حد الحرمان من المواطنة- لمنع رعاياها من المشاركة في القتال في بلاد الشام.

وكان المقصود بالدرجة الأولى من هذا القرار هو قطع الطريق على المجاهدين حاملي جنسيّات الدول الغربية من العودة إلى بلادهم، تحرّزاً من قيامهم بأي عمليات جهادية فردية، وهذا ما حدث بالفعل، حيث شهدت عدّة دول أوروبيّة -بعد صدور ذلك القرار- موجة من العمليات الجهادية الفردية قام بها العديد من المجاهدين المنتسبين إلى تلك الدول، والذين أودت عملياتهم الجهادية بحياة المئات من القتلى، ومثلهم من الجرحى والمعوّقين.

المقارنة الثانية من قصّة حركة طالبان:

أمّا كيف تكون الصورة في حالة الوحدة والاعتصام، يقول الشيخ أسامة في خطابه الذي ألقاه بمناسبة مرور سنة على بدء الحرب الصليبية الأمريكية:

"إذا كان من المُسَّلم به أن النزاع والاختلاف من أهم دواعي الفشل وذهاب الريح الذي تعاني منه أمتنا اليوم، فإن من المُسَّلم به كذلك أن الوحدة والاجتماع والاعتصام بحبل الله هي مفتاح النصر والظفر، وباب السيادة والقيادة"[٢].

وخير دليلٍ على هذا الكلام من واقعنا اليوم هو قصّة حركة طالبان التي شارف عمرها منذ قيامها عام ١٩٩٤م على الثلاثة عقود، وكل يوم يمر عليها تزداد فيه بفضل الله قوة إلى قوة، وعزة إلى عزة. وسيمر علينا في الصفحات القادمة تفصيلاً عن كيفية نشوء الحركة، وما يهمّنا هنا في هذا المقام هو أن حركة طالبان منذ اليوم الأول الذي قامت فيه **كانت حركة معتصمةً بحبل الله، وموحّدةً في قيادتها وكلمتها وأهدافها، لذلك صاحبها التوفيق والسّداد ومعيّة الله في كل خطوة من خطواتها.**

---

١) جدير بالذكر أن الرئيس الأمريكي لا يتولّى رئاسة جلسات مجلس الأمن إلّا في حالات استثنائية طارئة جداً، وهذه هي المرّة الثانية أو الثالثة في تاريخ أمريكا التي يتولّى فيها رئيس أمريكي رئاسة تلك الجلسة لمناقشة حدث أقضّ مضاجعهم، وهو وضع المقاتلين الأجانب في بلاد الشام وخاصة حاملي جنسيّات الدول الغربية.

٢) ولأهمية هذا الأمر وخطورته ننوه هنا إلى أن الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- كان قد قدّم لرسالة مهمّة بعنوان **"العمل الإسلامي بين دواعي الاجتماع ودعاة النزاع"** للشيخ أبي حفص الموريتاني حفظه الله. وحتى يعم النفع وتتم الفائدة ننصح جميع فصائل العمل الإسلامي بالرجوع إلى تلك الرسالة القيّمة.

فعندما أخلص الملا عمر نيّته لله عزّ وجل، وعزم على تغيير المنكر ومحاربة المفسدين، استعان بالله وحده وتوكل عليه التوكل المحض، فجمع حوله عدد يسير من الصالحين، وفتح الله عليه البلاد وقلوب العباد، وخلال سنتين فقط وبفضل الله وحده دحرت حركة طالبان أحزاب الفساد والشقاق والنفاق مجتمعين، ودانت كل ولايات البلاد الشرقية والغربية والجنوبية للملّا عمر، وبايعه ١٥٠٠ من العلماء ونصبوه أميراً للمؤمنين. وحتى بداية الحرب الصليبية في أكتوبر ٢٠٠١م، كانت كل ولايات أفغانستان تحت سيطرت حركة طالبان عدا ولايتين فقط هما ولايتي بدخشان وبنشير.

وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر شاءت إرادة العليم الحكيم أن تأتي أمريكا بقضها وقضيضها، وأقبلت بفخرها وخيلائها تحادّ الله ورسوله، فتصدّى لها -مستعينين بالله ومعتصمين بحبله- أسود الشرى، وأبطال التوحيد؛ الطالبان وأنصارهم، وعلى مدى تسعة عشر عاماً كاملة فُتحت أبواب جهنّم على جنود الصليب. وبفضل الله وحده لم تستطع أمريكا وخمسين دولة من حلفائها -بما يملكون من أسراب الطائرات والبارجات والصواريخ الباليستية والميزانيات المليارية- أن يحققوا نصراً عسكرياً حاسماً على حركة طالبان، بل لم يستطيعوا كسر إرادتهم القتالية وإيهامهم بأن الجهاد لا جدوى منه في تغيير **واقعٍ مفروضٍ من واشنطن**، ولن يؤدّ بهم القتال إلا إلى الكوارث والنكبات والدمار، وأن السبيل الوحيد هو الاستسلام.

كذلك لم يستطع الأمريكان -بما يملكون من أجهزة الاستخبارات، وسياسات المكر التي يُجيدون لعبتها- حرف مسار حركة طالبان وإفشال الجهاد -كما نجحوا في الجهاد الأول- وذلك ببث الفرقة والاختلاف والنزاع بينهم بغرض شقّ صفّهم الذي يضم بين جنباته كافة أعراق وقوميّات الشعب الأفغاني.

خلاصة الأمر؛ لقد قلبت حركة طالبان بصمودها وثباتها ووحدة صفها واعتصامها بحبل الله كل الموازين، فأفشلت خطط الأعداء، وأثبتت ما كانوا يخشونه؛ من أن **يثبت الجهاد جدواه في تغيير الواقع المظلم للمسلمين**، وبالفعل، بفضل الله أولاً، ثم بتضحيات مجاهدي الإمارة الإسلامية وأنصارها تحررت أفغانستان من واقع الاحتلال العسكري المظلم الذي جثم على صدرها عشرين عاماً، وعادت رايات الإمارة الإسلامية البيضاء ترفرف على كل ربوع أفغانستان، معلنةً مرحلةً جديدة من التغيير **نابعةً من عقيدتها ودينها؛ مرحلة الانعتاق من الإرادة والهيمنة الأمريكية، وتطهير البلاد والعباد من رجس ودنس الكفر والإلحاد والفساد الذي فرضته عليها ديمقراطية أمريكا.**

ليس هذا فحسب بل إن الإمارة الإسلامية اليوم -بعد استتباب الأمن والقضاء على الفساد والمفسدين- تسير بخطىً حثيثة -رغم الصعوبات والمعوقات والتدخلات الخارجية وقلة ذات اليد- نحو النمو الاقتصادي، والنهوض بالبلاد في شتى مناحي الحياة الزراعية والصناعية والتعدينية والعمرانية والخدمية، لتحقيق الاكتفاء الذاتي من القمح والأرز وسائر السلع الاستراتيجية، والهدف محاربة الفقر وتوفير حياة كريمة للناس.

أحوال المجاهدين بعد تنفيذ توصيات ما يسمى بمكافحة الإرهاب[١]:

وهكذا انتقل التيار الجهادي إلى مرحلة جديدة -استمرت من عام ١٩٩٢-١٩٩٦م- يمكن أن نسميها بـ (مرحلة الشتات والملاذات الآمنة المؤقتة)، فعاد الآلاف من المجاهدين (الأفغان العرب) إلى بلادهم، مثل بلاد الحرمين ودول الخليج واليمن وموريتانيا والأردن وغيرها، وبدلاً من أن يُرحَّب بهم كأبطال ومجاهدين، وجد أولئك الشباب أنفسهم غرباء في أوطانهم التي فتحت لهم أبواب المعتقلات، وجلسات التحقيق والسجون لمدد غير محدودة، ووجهت لهم التهم، ولم يسلم من ذلك إلا بعض البلدان ممن لم تقابل أولئك المجاهدين بهذه الطريقة.

وأما الذين لم يتمكنوا من العودة إلى بلادهم، فقد أصبحوا مطاردين أمنياً، وتشتتوا في أصقاع المعمورة ما بين لاجئٍ أو مهاجرٍ أو متخفٍ أو أسيرٍ أو قتيل، أو مجاهد حمل السلاح لجبهة أخرى من ثغور الإسلام، أو يائس يحاول أن ينخرط في حياة الناس العادية بعد أن رأى شراسة العداء، وشدة المطاردة ضد المجاهدين، وتوزع هذا الجمع الطيب في ملاذات أمنة مختلفة كان من أهمها:

١- أوربا والدول الغربية:

وذلك عبر فرص اللجوء السياسي في دول الاتحاد الأوربي، كبريطانيا التي أمّتها كتلة كبيرة تضم كوادر رئيسية من المجاهدين العرب، والتيار الجهادي من مختلف الجنسيات.

٢- بلاد أخرى:

لا تشكل خطورة أمنية -قبل استحكام التنسيق الأمني العربي والإقليمي والدولي- على الجهاديين من بلدان عربية أخرى ولو كانوا مطاردين في بلادهم في حينها، وأهم تلك البلاد اليمن وتركيا وسوريا.

٣- البوسنة والشيشان وغيرهما:

فقد وافق إقفال بوابات الجهاد في أفغانستان اشتعال الجهاد في عدد من البلاد الإسلامية، مما أوجد ساحات جهادية جديدة في طاجيكستان والبوسنة والفلبين والشيشان والجزائر وكشمير والصومال وأريتريا، وأمّ هذه الساحات آلاف الشباب المجاهد من البلاد العربية والإسلامية، كان في طليعتهم بعض الجهاديين الذين خرجوا من ساحة أفغانستان، وعلى رأسهم القائد الشهيد خطاب -رحمه الله- وبعض رفاقه من الأفغان العرب.

٤- السودان:

كذلك كان السودان في الفترة ما بين ١٩٩١-١٩٩٦م نفَساً رحمانياً وملاذاً آمناً لبعض الجماعات الجهادية، ولكثير من الإخوة الذين لم يستطيعوا -خوفاً من المطاردة والاعتقال- الرجوع إلى دولهم البوليسية. وكان السودان بعد أن سيطرت الحركة الإسلامية على مقاليد السلطة، قد فتح باب الدخول إليه بدون فيزا لكل العرب. إضافة إلى ذلك كانت الحكومة السودانية آنذاك تتساهل مع كل من كان وجود أختام دخول السودان -المصنّف إرهابياً- والخروج منه على جوازه تسبب له حرجاً أمنياً. فكانت

---

١) الفقرة كاملة من كتاب دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

سلطات الجوازات -بناءً على طلب حامل الجواز- تغض الطرف عن الختم في الجواز، وتختم له بالدخول والخروج في ورقة رسمية خارجية. وبناءً على ذلك انتقل كمّ مهم من الجهاديين إلى السودان، كان في مقدّمتهم تنظيم القاعدة وعلى رأسهم الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- وقيادات وأفراد تنظيمي الجهاد، والجماعة الإسلامية في مصر، والجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا، وكذلك جاء جهاديون من جنسيات أخرى.

قصة الإقامة الجبرية للشيخ أسامة في بلاد الحرمين، ومنعه من السفر ما بين عامي ١٩٨٩-١٩٩١م[١]:

كان الشيخ أسامة -بعد نجاح انقلاب البشير- قد زار السودان في الربع الأخير من عام ١٩٨٩م، وأسس أول شركاته هناك وهي شركة وادي العقيق، ثم رجع بعدها إلى المملكة لإنهاء بعض الأمور، لكن هذه العودة لم تكن كسابقاتها، فقد علم الشيخ بعد فترة من وصوله أنه ممنوع من السفر، فظن أن السبب هو الانسحاب الروسي وتفاهم القوى العظمى والمملكة تبعاً لذلك. لكن الحقيقة والسبب الرئيسي في منعه من السفر كانت غير ذلك، وهي أن الشيخ أسامة **كان قد استأنس مسألة الجهاد لذات الجهاد، وليس لمجرد استغلال فرصة تقاطع مصالح مع الحكومات والقوى العظمى**.

فالشيخ أسامة كان قد أسس تنظيم القاعدة لمواصلة الجهاد بعد أفغانستان، وكان قد بدأ يخطط لفتح جبهة ضد اليمن الجنوبي الشيوعي بحركة جهادية تنطلق من المملكة واليمن الشمالي، ولا تكاد تخلو محاضرة أو ندوة من ندواته إلا ويؤكد فيها خطته وعزمه على تحرير اليمن الجنوبي بعد أفغانستان من قبضة الحكومة الماركسية. ولم يكن حكام المملكة مهتمين فقط بالإحراج الدبلوماسي لأمر من هذا القبيل، لكن الذي همهم هو **أن هذا التوجه من قبل الشيخ أسامة، كان دليلاً على أن الرجل بدأ يتصرف تصرف المسؤول الذي يحمل همّ قضية**، وتضايق الحكام بشكل كبير حين تكلم علناً عن خطورة النظام العراقي، وتنبأ بأنه سيغزو الخليج في محاضرات معلنة ومسجلة، في وقت كان النظام العراقي من أقوى أصدقاء المملكة.

عندها لم تكتف وزارة الداخلية بمنعه من السفر بل وَجَّهت إليه تحذيراً رسمياً بعدم ممارسة أي نشاط علني، وأنه ربما يُعتقل أو يُوضع تحت الإقامة الجبرية إن لم ينصع للتوجيهات. ورغم التوجّه العدائي من قبل الدولة تجاهه فقد بادر الشيخ أسامة بكتابة نصيحة للدولة سُلّمت عن طريق أحد إخوانه للأمير أحمد بن عبد العزيز، تضمنت الرسالة نصائح عامة وخاصة، العامة عن المطالبة بإصلاح شامل، والخاصة كانت تكراراً لتوقعاته بأطماع صدام حسين في المنطقة، وضرورة الاستعداد لها.

وما أن سمع الشيخ أسامة بغزو الكويت في الأخبار حتى تصرف بطريقة تدل على أنه يشعر بجزء كبير من المسؤولية، فبادر بكتابة رسالة أخرى إلى الدولة يعرض فيها وجهة نظره حول الطريقة المثلى لحماية البلد من الخطر العراقي بمجموعة اقتراحات حول السبيل الأمثل لتعبئة الأمة ضد هذا الخطر، ومن ثم السبيل الأمثل عملياً لمواجهته. وأضاف لهذه الاقتراحات عرضاً بجلب كل المجاهدين العرب الذين

---

١) القصة من كتاب أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان لفارس الزهراني. بتصرّف.

يستمعون له للمساهمة في عملية الدفاع عن أرض الحرمين. سلمت الرسالة بنفس الطريقة التي سلمت فيها الرسالة الأولى، وكان رد فعل الدولة هو وعد بالنظر في الأمر.

وكان الشيخ أسامة يتوقع أن النظام سيطلب منه المساهمة بشيء ما في عملية الدفاع عن البلد، ظناً منه أن النظام رغم مخالفاته الشرعية ما زالت عنده غيرة على البلد، ورغبة في حمايته، لكن بدلاً من أن تستعين الدولة بالعرض الذي قدمه الشيخ لها، بادرت بقرار كان السبب الرئيسي في أكبر تحول في حياة الشيخ أسامة، وهو إعلان استدعاء القوات الأمريكية تحت ذريعة تحرير الكويت.

وتحدث الشيخ أسامة رحمه الله، واصفاً لحظة سماعه خبر قرار استدعاء القوات الأمريكية بأنها أكبر صدمة في حياته، لأنها بتقديره المرة الأولى منذ البعثة النبوية التي يهيمن فيها الكفار على جزيرة العرب بقواتهم العسكرية، وصُدم كذلك لأن القوات الأمريكية لم تدخل باحتلال، أو رغم أنف الحكام، بل دخلت بطلب منهم[1]، وتم تسليم جزيرة العرب على طبق من ذهب لهم، ثم مباركة ذلك بفتوى دينية إجماعية صارمة قاطعة أن هذه القوات جاءت للدفاع عن حياض الإسلام، وأن الذي يضايقها يعتبر محارباً لله، مفسداً في الأرض يُقتل أو يُصلب أو تُقطع يده ورجله من خلاف.

وبعد هذا التطور الخطير شعر الشيخ أسامة بالإحباط والقلق على مستقبل الجزيرة، وأيقن أن مخاطبة المسؤولين بالخطابات والمذكرات أسلوب عديم الجدوى ولا بد أن يفكر بأسلوبٍ بديل. وعلى إثر ذلك تحرك الشيخ أسامة باتجاهين:

الاتجاه الأول: استخراج فتوى بوجوب الإعداد للقتال على كل مسلم وخاصة أهل الجزيرة، وأفتى الشيخ بن عثيمين فعلاً بتلك الفتوى، فاستخدمها الشيخ أسامة في تشجيع الشباب من جديد في الذهاب لأفغانستان والتدرب هناك، واستجاب لدعواه تلك عدد كبير من الشباب توجهوا فعلاً لأفغانستان.

الاتجاه الثاني: محاولة جمع أكبر عدد من العلماء في مؤسسة شرعية مستقلة غير مؤسسة هيئة كبار العلماء، حتى تكون مرجعاً للناس بعد أن تحولت الهيئة في نظره لمجرد أداة بيد الدولة بعد فتوى استدعاء القوات الأمريكية.

ورغم أن حركة الشيخ أسامة كانت مقيدة في وضع يشبه الإقامة الجبرية، إلا أنه استطاع إنجاز شيء مما أراد إنجازه وخاصة الاتجاه الأول، لكن محاولاته في جمع العلماء بتجمعٍ مستقلٍ لم يحالفها النجاح، أولاً لصعوبة حركته بسبب القيود التي عليه، وثانياً لأن العلماء بما فيهم من علماء شباب لم يستوعبوا بعد فكرة المؤسسات المستقلة.

ولم يكن الشيخ أسامة ملتزماً بالتقييد المفروض عليه، حيث ألقى عدداً من المحاضرات، وعقد عدداً كبيراً من الاجتماعات مع العلماء والدعاة والناشطين في مجال الدعوة، ولم يكن ذلك مقبولاً لدى السلطات فاستُدعي أكثر من مرة، ووجهت له تحذيرات شديدة بوجوب الالتزام بتجميد نشاطه. ومن أجل تخويفه أرسلت السلطة مفرزة من الحرس الوطني في جدة لاقتحام مزرعته[2] الواقعة في ضواحي جدة، وتفتيشها

---

١) نقلاً عن الشيخ سيف العدل: **"الصحيح أنه لم يكن هناك طلب من حاكم الرياض بل العكس صحيح، فقد قال الشيخ أسامة أن بوش الأب قال للملك فهد نحن قادمون. رضي الملك أو لم يرضى. وتم تسويق المسألة على أنه بطلب من الملك".**

٢) **كان الشيخ أسامة يسمي مزرعته "البرود".**

بشكل فجائي، حيث لم يكن موجوداً فيها بنفسه لحظة الاقتحام، وقامت المفرزة باعتقال بعض العمال في المزرعة -أُطلق سراحهم بعد ذلك- وكتابة محضر عمّا وجدته فيها، وتصوير كامل للمزرعة ومخازنها ومرافقها بالفيديو، وعندما أُخبر الشيخ أسامة بالحادث غضب غضباً شديداً وكتب رسالة احتجاج شديدة للأمير عبد الله، واستغرب الشيخ أسامة حين ورده رد من الأمير عبد الله ينفي فيه علمه بالحادث، ويعد بمعاقبة المسؤول عنه.



الشيخ أسامة في إحدى محاضراته التوعوية بوجوب الإعداد للقتال لحماية بلاد الحرمين من أطماع صدّام حسين

مضت الأيام على الشيخ أسامة في ذلك الوضع الذي لا يحتمله، فلقد تعود على النشاط والجهاد والحركة، وإذا به يجد نفسه في وضع الإقامة الجبرية، والأمر الآخر الذي لم يكن يتحمله هو وجود هذه القوات الصليبية المقيمة في جزيرة العرب.

وكان تراكم هذه الأحداث سواء على مستوى البلد أو على الشيخ أسامة شخصياً سبباً في التفكير جدياً بمغادرة البلد، ولم يكن هروبه أمراً سهلاً فهو شخصية معروفة، وبيته تحت الحراسة الدائمة، ولذلك فكر الشيخ أسامة بطريقة أقرب للأسلوب الطبيعي، وهو ما حصل بنجاح.

وكان أحد إخوة الشيخ أسامة مقرباً من نائب وزير الداخلية الأمير أحمد بن عبد العزيز. تحدث الشيخ أسامة مع أخيه شارحاً له أن لديه التزامات مالية كثيرة في باكستان ومناطق أخرى، وحقوقاً ينبغي أن تدفع لأصحابها، وحقوقاً له ينبغي استخلاصها، وأنه لا يمكن أن يحل هذه الإشكالات وكيل، لأن بعضها قائم على الثقة والعلاقة الشخصية جداً.

اقتنع أخوه بالفكرة، ووعد بشرح ذلك للأمير أحمد. وكان الأمير نايف على وشك أخذ إجازة، فانتظر أخوه إجازة نايف وتحدث مع الأمير أحمد، واستطاع إقناعه بإعادة الجواز والسماح للشيخ بالسفر. وافق الأمير أحمد وسمح للشيخ أسامة بسفريّة واحدة فقط، وكلّف الجهات الأمنية بمتابعته، وهكذا تمكن الشيخ أسامة من مغادرة البلد بشكل طبيعي. وحينما وصل الشيخ أسامة إلى مدينة بيشاور في أبريل عام ١٩٩١م، كان أول عمل قام به هو كتابة رسالة اعتذار رقيقة لأخيه يخبره أنه لا يخطط للعودة، وأن ذلك ربما سيسبب له حرجاً أمام الأمير نايف، واعتذر له بأن الثمن غالٍ يستحق اللجوء لمثل هذا الأسلوب.

صادف قدوم الشيخ أسامة هناك انهيار النظام الشيوعي، وبداية التناحر بين الفصائل الأفغانية، فكان أول إجراء اتخذه للتعامل مع القضية هو إصدار توجيه للشباب العرب بعدم التورط في الصراع الدائر، وكف أيديهم عن الدماء، ورفض الميل لأي جهة من الجهات. الإجراء الثاني الذي اتخذه هو الدخول بقوة في محاولة إصلاح بين الفصائل، فبقي الشيخ أسامة في مدينة بيشاور عدة أشهر مستمراً في محاولاته حل الخلاف، لكن جهوده مع الأسف لم تحرز أيّ نتيجة تذكر، وتبين له بعد فشل متكرر إلى أنه وصل إلى طريق مسدود.

محاولة اغتيال الشيخ أسامة في بيشاور:

وخلال بقاء الشيخ أسامة في مدينة بيشاور، كان هناك -تنفيذاً للمخطط الدولي بتصفية رموز الجهاد- تعاوناً وثيقاً بين مخابرات النظام السعودي بقيادة تركي الفيصل وبين المخابرات الباكستانية لقتله أو اختطافه، لكن بفضل الله وحده، باءت كل تلك المحاولات بالفشل، فقد كان المتعاطفون[١] مع الشيخ في جهاز الأمن الباكستاني يعجلون له عبر الوسطاء بتسريب المعلومة فيأخذ حذره.

بعد ذلك أيقن الشيخ أسامة أن وجوده في باكستان لن يكون آمناً بسبب التعاون الأمني بين النظامين السعودي والباكستاني، وسيستمرون بمحاولات خطفه أو اغتياله، وبعد تدارس الوضع مع عدد من المقربين له قرر الشيخ أسامة البحث عن مكان آخر أكثر أمناً يقدم فيه نفعاً للإسلام والمسلمين، ويكون منطلقاً لدعم مسيرة الجهاد في أماكن أخرى، وكان سعيد الحظ الذي تشرّف بأن تطأ أقدام الشيخ المباركة أرضه هو السودان، فرتّب له الإخوة السفر سراً إلى هناك بطائرة خاصة لأحد أصدقائه المقربين من رجال الأعمال في بلاد الحرمين.

وكان الإخوة في التنظيم قبل الذهاب إلى السودان ينوون آنذاك الاستقرار في باكستان، فشرعوا كمرحلة أولى -بعد موافقة الباكستانيين- في بناء ثلاثين بيتاً لسكن الإخوة في منطقة بابي في بيشاور، لكن لم يشأ الله لهذا الاستقرار أن يتم، فقد كانت الأسباب المذكورة أعلاه سبباً في تغيير الإخوة مسار بوصلتهم إلى السودان.

١) من رحمة الله ولطفه بعباده وأوليائه الصالحين في كل زمان ومكان أن يسخّر لهم في حالات الخطر المحدق بهم رجالاً يكونون في مركز السلطة والقرار، ويتكبدون المشاق والمخاطر ليقوموا بواجب النذير لهم بأخذ الحيطة والحذر. وحتى يقطع الله الطريق على المشككين والمرجفين المتخصصين في هندسة الإشاعات وبثِّ الأكاذيب جعل الله من قصة الرجل الذي كان من ملأ فرعون -وجاء من أقصى المدينة لينذر موسى عليه السلام بأن يخرج من المدينة لأنّ الملأ يأتمرون به ليقتلوه- قرآناً يتلى إلى يوم القيامة.

المرحلة الثالثة: مرحلة السودان وما تخللتها من أحداث حتى خروج الشيخ أسامة من السودان في مايو ١٩٩٦م:

الأحوال في السودان بعد وصول حكومة البشير للسلطة:

كانت الحركة الإسلامية في السودان قد وصلت إلى سدة الحكم في يونيو ١٩٨٩م، بعد قيامها بانقلاب عسكري بقيادة البشير ورفاقه على حكومة الصادق المهدي، وأرادت الحركة آنذاك النهوض بالسودان، وإقامة نظام يُقيم الشريعة، لكن المؤامرات الأمريكية أنهكتها بدعم حركة التمرد المسلحة جنوب السودان، التي جعلت أهم دوافعها وأهدافها لقتال حكومة البشير هي إسقاط قوانين الشريعة.

وكان ما يسمى بالجيش الشعبي لتحرير السودان [SPLA] بقيادة الصليبي جون جارانج هو الذي يقاتل حكومات السودان المتعاقبة منذ عام ١٩٨٣م من منطلق عقائدي صليبي بحت، فقد كانوا يعتقدون أن الشماليين العرب المسلمين محتلون للسودان الأفريقي الأصل، وكانوا يطالبون بعلمانية الدولة، وإسقاط ما أسموه بقوانين سبتمبر ٨٣م، وهي ذات القوانين الشرعية التي كانت تُقام في المحاكم بعد إعلان الرئيس جعفر نميري لإقامة الشريعة الإسلامية في سبتمبر عام ١٩٨٣م.

وكان بعض من رموز الحركة الإسلامية في السودان قد تواصلوا -بعد انقلاب الرئيس البشير- بالشيخ أسامة رحمه الله، ونقلوا له رغبة قيادتهم الصادقة نحو توجّههم الإسلامي. كذلك سمع الشيخ أسامة الكثير عن السودان ممن حوله، ومن بعض الإسلاميين هنا وهناك الذين بدأوا يتحدثون عن حماس السودان للإسلام، وحِرص قيادته على إقامة الشريعة الإسلامية رغم المؤامرات الدولية التي تحاك ضدهم، وبناءً على ذلك قام الشيخ أسامة برحلة استكشافية للسودان في سبتمبر عام ١٩٨٩م، والتقى بالمسؤولين في السودان، وسمع منهم، وعزم على مد جسور التعاون معهم على البر والتقوى.



الصليبي جون جارانج – لعنه الله

وكان الجيش الشعبي ينشط في موسم الخريف في المناطق الحدودية مع أثيوبيا التي كانت تدعمه، وينطلق من أراضيها، ويدخل المدن والقرى في تلك المناطق، ويعيث فيها فساداً بقتل أهلها المسلمين، وهتك الأعراض، واستباحة حرمة المساجد، وتقطيع المصاحف واستخدامها كأوراق تنظيف عند قضاء الحاجة. وكان جيش الحكومة يعجز في الحفاظ على تلك المناطق والدفاع عن أهلها لبعدها، وثانياً لصعوبة حركة آليّاته وعدّته العسكرية في فصل الأمطار الغزير بسبب كثافة الطمي (الطين) الذي يعيق أي حركة للآليات في تلك المناطق.

وتعاوناً على البر والتقوى تبرع الشيخ أسامة -رحمه الله- على نفقته الخاصة بعمل طريق "الدّمازين الكُرمُك"، وكان طوله حوالي ١٢٠ كلم، ويربط تلك المناطق النائية بمدينة الدّمازين التي توجد فيها حامية عسكرية كبيرة، ويوجد فيها أيضاً سد الرُصيرص الذي يمد الخرطوم بالكهرباء. فكان الهدف من هذا الطريق، أن يتمكن الجيش السوداني من خلال الحركة السريعة له ولآلياته من بسط نفوذه وسيطرته لحماية السكان في حال حدوث أي اعتداء من قبل جيش النصارى.

ولمتابعة إنشاء الطريق والعمل فيه أسس الشيخ أسامة في الربع الأخير من عام ١٩٨٩م أُولى شركاته في السودان وهي شركة وادي العقيق، وكان من يدير الشركة في الخرطوم في تلك الفترة بعض الإخوة المجاهدين من شباب أفغانستان وهم:

١- أبو الزبير المدني (محمّد الحِبشي) -المنشد المعروف- رحمه الله.
٢- أبو أُنيس (محمد بن عبد السلام)، من بلاد الحرمين، وكان أحد العشرة الذين ثبتوا مع الشيخ أسامة في منطقة جاجي داخل أفغانستان عام ١٩٨٦م.
٣- أبو همام المحاسب، من بلاد الحرمين.
٤- أبو الحسن السوداني.

وكان المهندس المشرف على عمل الطريق هو الأخ أبو معاذ السعدي الفلسطيني، وكان أيضاً من العشرة الذين ثبتوا مع الشيخ أسامة في منطقة جاجي داخل أفغانستان عام ١٩٨٦م.

وصول الشيخ أسامة إلى السودان:

وكانت حكومة البشير -بحكم توجهها آنذاك نحو الإسلام- قد فتحت أبواب السودان لكل العرب الراغبين في الدخول إلى أراضيه بدون فيزا، الأمر الذي سهل توافد كثير من الجماعات الجهادية التي وجدت من السودان متنفساً وملاذاً آمناً بعد المضايقات والملاحقات التي واجهتها في باكستان. وكان تنظيم القاعدة هو أوّل التنظيمات الجهادية التي جاءت إلى السودان، ولحق به بعد ذلك الكثير من قيادات وأفراد الجماعات الجهادية التي كانت موجودة في ساحة بيشاور. فجاء تنظيم الجهاد المصري بقيادة الشيخ الدكتور أيمن الظواهري، وجاءت الجماعة الإسلامية المصرية بقيادة الشيخ رفاعي طه رحمه الله، والجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة، والجماعة الإسلامية الجزائرية المسلحة، وغيرهم من الجماعات الجهادية القطرية الأخرى. وكانت هناك أيضاً -بحكم الجوار مع السودان- حركة الجهاد الإسلامي الأريتيري بشقيها (جناح شيخ عرفة، وجناح الشيخ أبي سهيل، رحمه الله).

بعد وصول الشيخ أسامة السودان واستقراره في حي الرياض بالخرطوم شرع في تسجيل وتأسيس عدد من الشركات الاستثمارية، فتأسست شركة الهجرة الهندسية المتخصصة في شق الطرق وبناء الجسور، وكان مديرها هو الشيخ أبو إبراهيم العراقي حفظه الله. وتأسست كذلك شركة الثمار المباركة المتخصصة في الاستثمار الزراعي، وتأسست شركة طابا التجارية المتخصصة في الأعمال التجارية من تصدير واستيراد، وتأسست شركة قدرات للنقل.

وكانت شركة وادي العقيق هي الشركة الأم التي تشرف على كل هذه الشركات، وكان رئيس مجلس إدارتها هو الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله.



ومع بدايات عام ١٩٩٢م بدأ الإخوة أفراد القاعدة يتوافدون تباعاً من باكستان، وقامت الشركة باستئجار بنايات وبيوت لسكن العوائل ومضافات للعزاب، وبعد ذلك جلس الشيخ أسامة -رحمه الله- مع كل الإخوة لتنويرهم بالمرحلة الجديدة في السودان، وهي بناء قاعدة اقتصادية قوية تؤمّن استمرار العائدات المالية لضمان اِستمرارية العمل الجهادي، فقد كان الشيخ أسامة يدرك أنّ المال عصب الجهاد، وكان يتوقع أنه سيأتي عليه يومٌ يقوم فيه النظام في بلاد الحرمين بتجميد أمواله وهذا ما حدث بالضبط، فقد أصدر نظام آل سعود في أواخر عام ١٩٩٢م قراراً يقضي بذلك.

تم توزيع الشباب على الشركات كل حسب تخصصه ودراسته، وما يستطيع أن يجيد ويحسن من عمل، فكان بين الإخوة المهندسين في شتى التخصصات، الميكانيكية والمدنية والزراعية، وكان بينهم المحاسبون والسائقون والبناؤون والحدادون والنجارون والمزارعون... الخ.

جدير بالذكر أن بعض الإخوة كانوا قد اجتمعوا بالشيخ أسامة، وانتقدوه على بقائه في السودان، ودعمه لحكومة البشير بحجّة أنهم لا يُقيمون الشريعة، وأن هناك الكثير من المظاهر التي تخالف الشريعة ووو ... الخ، فقال لهم الشيخ أسامة رحمه الله: **"جيئوا بخارطة العالم، وابحثوا عن بقعة أرض يُطبّق فيها الإسلام زيادة على ما عليه الحال في السودان واحد في المئة وأنا أذهب إليها".**

وكان الشيخ أسامة في ردّه على هؤلاء الإخوة يعتمد على فتوى لشيخ الإسلام ابن تيمية تتناول موضوع الجهاد في حال الاستضعاف وعدم وجود دولة للمسلمين. تقول الفتوى: **"تبحث عن أقرب فئة للإسلام ذات شوكة وتقاتل معها".** فكان الشيخ أسامة يرى أن السودان يتعرض لمؤامرة دولية تكالبت فيها عليه اليهود والنصارى ودول الجوار بحجّة توجه حكومته للإسلام. كذلك كان الشيخ أسامة يرى أن السودان يمثّل بعداً استراتيجياً هامّاً لبلاد الحرمين، فما بين شواطئه ومكة المكرمة حفظها الله أقل من ٢٨٠ كيلو متر. وكان يقول إذا سقطت السودان في يد هذا الصليبي المتعصب قرنق، فسيكون بإمكانه -لا قدّر الله- أن يضرب أو يهدد مكة بالصواريخ البسيطة ذات المدى ٢٨٠ كيلو متر. وكان -رحمه الله- يرى أننا كمسلمين مأمورون بأن نتعاون على البر والتقوى، وأوجب البر والواجبات بعد الإيمان هي دفع العدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا، ولا يشترط لذلك شرط.

إضافة إلى ذلك كان الشيخ أسامة يرى أن السودان في تلك الفترة كان ملاذاً آمناً، ونفَساً رحمانياً هيئه الله سبحانه وتعالى بعد أن بدأت الأحوال تسوء في باكستان تنفيذاً للمخطط الدولي الذي بدأت تمارسه الحكومة الباكستانية بتصفية الجهاد ورموزه كما سبق ذكره.

وكان السودان -نوعاً ما- نقلة نوعية كبيرة لكل الإخوة، إذ بين عشيةٍ وضحاها انتقل الإخوة من الوسط العسكري الميداني المتنوع بين جبهات القتال، ومعسكرات التدريب، وبيوت خدمات المجاهدين إلى الوسط المدني للعمل في شركات استثمارية مدنية، لكن الشباب كانوا يحتسبون أنه من كان في الساقة كان في الساقة، ومن كان في الحراسة كان في الحراسة، فأقبلوا على العمل في تلك الشركات بهذه الروح الإيمانية العالية، ولم يبقى من أفراد التنظيم في ساحة أفغانستان إلا عدد يسير من الإخوة المدرِّبين العاملين في معسكرات التدريب -الفاروق وجهاد وال- فقد ظلت أبوابها مفتوحة للتدريب تحت أمرة أبي عطا التونسي -رحمه الله- وإشراف أبي الفرج الليبي فكّ الله أسره.



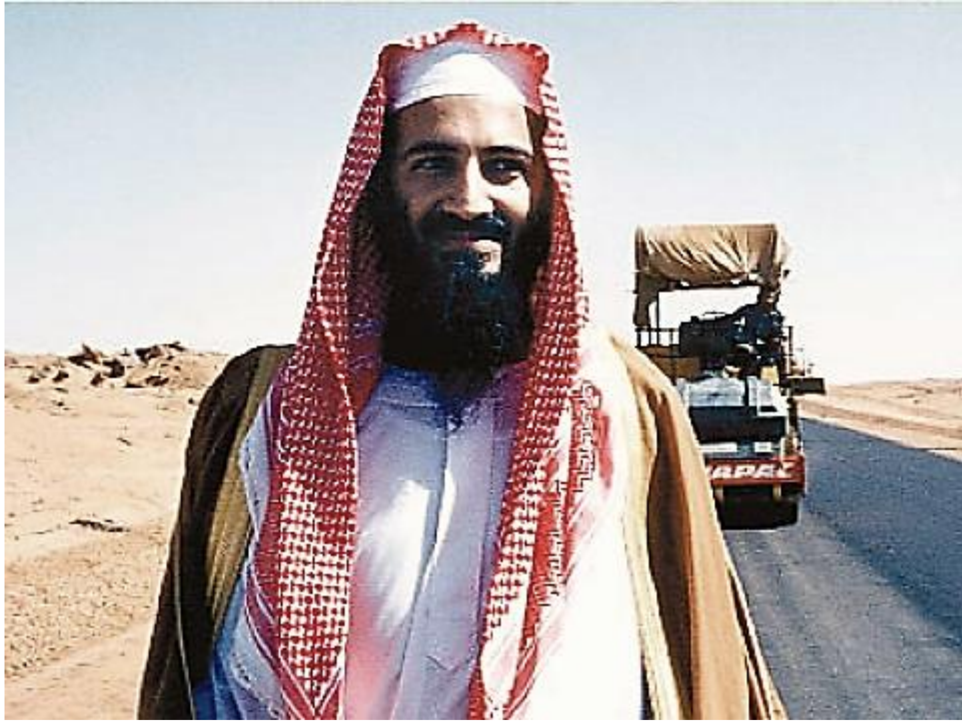
وكان الشيخ أسامة قد أولى اهتماماً كبيراً بطلب العلم الشرعي، فأحضر ثلاثة من كبار علماء موريتانيا، أحدهم متخصصاً في علوم القراءات، وآخر في الفقه، والثالث في اللغة العربية. كذلك كانت اللجنة الشرعية بالجماعة قد اختارت عشرة من الإخوة أرسلتهم إلى موريتانيا لطلب العلم الشرعي، كان منهم الشيخ عطيّة الله الليبي، والأخ عبد الحق الليبي (صهر الشيخ مصطفى أبو اليزيد) -رحمهم الله- والشيخ أبو ياسر المصري، وأبو سهل الليبي، وعبد الحميد الليبي، وابن مسعود التشادي، حفظهم الله.

بدأ العمل في السودان بدايات طيبة، فدخلت شركة الهجرة الهندسية في عقد مع الحكومة لعمل طريق التحدي، وكان طول الطريق ٢٧٠كم، ويربط العاصمة الخرطوم بمدينة عطبرة في الشمال، وكانت قيمة العقد حوالي ٣٠ مليون دولار. وكان الشيخ أسامة يرجو ويتوقع الكثير من العائدات المالية لو قُدّر للعمل في السودان أن يستمر لسنوات طويلة، لأن العمل الاستثماري الكبير وخاصة الزراعي يؤتي أكله بعد سنوات، نسبة لأن مصاريفه التشغيلية في بدايات العمل تكون كبيرة جداً، فمثلاً كانت شركة الثمار المباركة تملك في منطقة الدّمازين أرض بكر لم تزرع من قبل، مساحتها ١٠٠,٠٠٠ فدان مطري أي ٤٢٠ مليون متر مربع، ولتقريب الصورة تعادل (٦٠ كيلو في ٧ كيلو). فكان على الشركة أن تستصلح تلك الأرض وذلك بنظافتها بقطع الأشجار المنتشرة بكثافة فيها. كذلك امتلكت الشركة عشرات الآلاف من الأفدنة في منطقة القاش -بالقرب من مدينة كسلا- التي تعتبر من أخصب الأراضي الزراعية على مستوى العالم، إذ بسقيةٍ واحدةٍ فقط تزرع الأرض ثلاث مرات في الموسم. وكان على الشركة أيضاً تنظيف هذه الأراضي المتشبّعة بأشجار (السّيسبان)، وذلك بقطعها من على عمق ٢٥ سم ثمّ حرق جذورها حتى لا تنبت مرة أخرى. وكان الشيخ أسامة مغرماً بتلك الأرض العالية الخصوبة، وكان -رحمه الله- يتطلّع إلى استثمار كل دلتا القاش البالغ مساحتها أكثر من ٧٠٠.٠٠٠ ألف فدان، لكن الأحداث المتسارعة لم تمهله لتحقيق ما تطلع إليه.

وكانت شركة قُدرات للنقل قد استوردت أربعة شاحنات ماز من روسيا لتجربتها، وتعاقدت قدرات مع الشركة المنتجة لشاحنات ماز على أن تكون وكيلاً لها في السودان في حال أثبتت الشاحنات نجاحها.

وكانت أكبر مشكلة واجهت أعمال الشيخ أسامة في السودان هي مشكلة تدهور العملة السودانية، فقد كانت في انخفاض مستمر لقيمتها مقابل الدولار، وفي أغلب الأوقات لم تكن وزارة المالية تدفع للشيخ أسامة ما عليها من مستحقّات الطريق بالدولار نقداً حسب العقد المتّفق عليه، بل كانت تعطيه مقابل أمواله المستحقة الدفع كميات كبيرة من السكّر من شركة سكر كنانة، ثم تقوم شركة طابا التجارية بتسويقه في السوق المحلي بالدولار، ثم تحوّل المبالغ بعد ذلك في حساب شركة الهجرة. وأحياناً كانت الحكومة تسدد ما عليها من التزامات بالجنيه السوداني حسب سعر الصرف الرسمي للدولار، مع في ذلك من خسارة كبيرة على الشركة نسبة للفارق الكبير بين سعري الدولار الرسمي والحر في السوق. وكانت شركة طابا التجارية تشتري بهذه المبالغ كميات ضخمة من السمسم في الموسم، وبعد غربلته وإعادة تعبئته بما يوافق مواصفات الصادر، تقوم طابا بتصديره وبيعه في الأسواق العالمية بالدولار.

وفي إحدى المرات باعت الحكومة لشركة الهجرة -كدفعة من الأموال المستحقة الدفع- مدبغة جلود بثمانية مليون دولار. ورغم أن مدير شركة الهجرة كان معارضاً لتلك الصفقة نسبةً لأن ثمن المدبغة الذي وضعته الحكومة كان أكثر من قيمتها، إلا أن الشيخ أسامة رحمه الله وافق عليها.



الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- في جولة تفقّدية لطريق التحدي بالسودان



الشيخان أبو إبراهيم العراقي وأسامة بن لادن في حفل افتتاح طريق التحدّي الخرطوم – عطبرة



وهكذا كان تعامل الشيخ أسامة مع حكومة البشير تعاملاً فيه كثيرٌ من السماحةِ والصبرِ والنَّفَسِ الطويلِ في استرداد مستحقاته، فقد كان -رحمه الله- يحتسب أنه يدعم ويقدم خدمة لبلد مسلم يستفيد منها المسلمون، حتى ولو كان ذلك على حساب خسارته المادية، إذ لم يكن أبداً يرى أنها خسارة.

كذلك كان الشيخ أسامة ينظر إلى الأمور بنظرة شمولية ثاقبة، ولا يركز كثيراً على مسألة الربح والخسارة مع حكومة البشير بل كان يتألفها. وكان رحمه الله يعلم يقيناً أنه يوماً بعد يوم تزداد الضغوط الدولية والإقليمية عليها من دول الجوار والاستكبار بسبب توجهها، وبسبب تواجد التنظيم ونشاطه هنا وهناك، وكذلك الجماعات الجهادية الأخرى. فمثلاً بسبب وجود الشيخ إسامة بنفسه في السودان، ونشاطه المعارض لحكومة آل سعود، ورفضه العودة إلى بلاد الحرمين، كان النظام السعودي بقيادة الملك فهد -نكاية في حكومة البشير- يقدم دعماً عسكرياً ومادّياً كبيراً لحركة قرنق الصليبية التي كانت تقاتل حكومة البشير في الجنوب. كذلك بسبب تواجد جماعتي الجهاد والجماعة الإسلامية المصريتان في السودان ونشاطهما في مصر انطلاقاً من السودان، ساءت العلاقة كثيراً بين البلدين، وخاصّة بعد محاولة اغتيال الرئيس المصري السابق حسني مبارك في أديس أبابا عام ١٩٩٥م، التي اتهم فيها مبارك السودان اتهاماً مباشراً بأنهم دعموا ويسروا تلك المحاولة. وكاد التوتّر بين البلدين أن يؤدي إلى حرب، إذ حشدت الحكومة المصرية جيشها على الحدود، واقتطعت مثلث حلايب وشلاتين من السودان في محاولة لاستفزازه وجره لميدان الحرب. كذلك بسبب وجود الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة في السودان، كان القذافي أيضاً يقدم كافة أشكال الدعم العسكري والمادي لحركة قرنق الصليبية في الجنوب.

محاولة اغتيال الشيخ أسامة في السودان:

كانت هذه المحاولة في أوائل عام ١٩٩٣م، وقام بها ثلاثة من الغلاة التكفيريين؛ سودانيان وثالث ليبي يدعى الخُليفي. وكان هؤلاء الثلاثة قد استولوا على الأسلحة التي نفذوا بها عمليّتهم من أحد مراكز الشرطة النائية في الخرطوم، وذلك بعد مهاجمة أفرادها ببندقية تطلق سهاماً من بعد قام بصناعتها يدوياً أحد السودانيَّين المهاجمين إذ كانت مهنته حداد. وكان هؤلاء الغلاة قد هاجموا يوم الجمعة في مدينة ام درمان مسجداً لجماعة أنصار السنة -كان يؤمّه آنذاك نائب رئيس الجماعة الشيخ أبو زيد محمد حمزة رحمه الله- وفتحوا النار عشوائياً على من كان متواجداً في المسجد فسقط من أفراد الجماعة ثمانية عشر قتيلاً -رحمهم الله جميعاً- إضافة إلى عشرات الجرحى، ثم لاذ المهاجمون بالفرار.

وفي اليوم التالي للهجوم على المسجد عبر المهاجمون إلى الخرطوم، وتوجّهوا نحو حي الرياض حيث يسكن الشيخ أسامة رحمه الله. وكان هؤلاء الغلاة التكفيريون قد رصدوا حركة خروج ودخول الشيخ من وإلى المضافة، إذ كان من عادته كل يوم الخروج مشياً على الأقدام من بيته المجاور للمضافة -بينهم ٣٠ متراً- الساعة الخامسة عصراً، يرافقه في العادة واحد أو اثنين من حرّاسه وهم عبد الهادي الأردني، وأبو خليل المدني رحمهما الله. وشاء الله في ذلك اليوم وفي تلك الساعة بالتحديد -قبل أن يخرج الشيخ أسامة- أن استوقفه ابنه عبد الله عند الباب الخارجي لبيتهم يجادله حول موضوع الكهرباء.

وكان الشيخ أسامة متفقاً آنذاك مع ابنه عبد الرحمن بأن يقوم صباح كل يوم بسحب فيوزات الكهرباء عن بيتهم المكوّن من ثلاثة طوابق. واستمر عبد الرحمن على ذلك المنوال لمدة ستة أو سبعة أشهر كاملة وأهله لا يعلمون شيئاً. وكان الشيخ أسامة في تلك الأيام كثيراً ما يتعهد الإخوة وأهله وأبناءه

ببرامج ودروس عن الزهد في الدنيا، وكان يعتبر الكهرباء لغير ضرورة أساس الترف والركون إلى الدنيا فهي سلاح ذو حدين كثيراً ما يستخدم في الشر، والأمثلة على ذلك لا حصر لها.

وأثناء ما كان عبد الله يناقش أباه عند الباب حول موضوع الكهرباء وصل المهاجمون المضافة، فأوقفوا سيارتهم وترجلوا منها، ودخل منهم اثنان المضافة، وبقي واحد في الخارج. وبمجرد دخول الاثنين إلى حديقة المضافة بدأوا بإطلاق النار على من كان متواجداً في الحديقة وكانوا أربعة إخوة، هم الشيخ أبو علي الحارثي (قائد سالم سنيان الحارثي) رحمه الله، وكان قد أُصيب بطلقة في فخذه، وأصيب الشيخ غزوان الحضرمي بثلاث طلقات في بطنه وكانت الإصابة الأخطر، وأصيب الشيخ عبد الرحيم اليمني (إبراهيم بن مبخوت الوصابي) رحمه الله، بطلقة اخترقت ساعِده، وأصيب الأخ أبو اليسر التونسي بطلقة في أعلى فخذه. بعدها دخل المهاجمون إلى داخل المضافة يبحثون عن الشيخ أسامة، لكنهم خرجوا سريعاً حيث لم يجدوا بفضل الله ما كانوا يصبون إليه.



الشيخ أبو علي الحارثي

تقبله الله



الشيخ عبد الرحيم الوصابي

تقبله الله



الشيخ أبو خليل المدني

تقبله الله

وكان الذي في الخارج يطلق النار على أفراد الحراسة الذين كانوا خارج بيت الشيخ أسامة ينتظرون خروجه ليرافقوه إلى المضافة. وبعد خروج الاثنين الذين كانوا داخل المضافة، أخذ أبو خليل المدني -وكان وقتها في المضافة- ساتراً خلف الباب وبدأ يطلق عليهم من مسدسه لكنه لم يصب أي أحد منهم إذ تعطل مسدسه وانسحب سريعاً إلى داخل المضافة.

بعد ذلك استقل المهاجمون سيارتهم واتجهوا يميناً بعد أول شارع، وكان في نهاية ذلك الشارع بيتاً لأحد رموز المعارضة السودانية يسكنه مجموعة من الأمن السوداني انتبهوا على أصوات الرصاص، وتواصلوا مع زملائهم الذين كانوا يحرسون بيت الشيخ أسامة، فعلموا منهم القصة، وشاهدوا سيارة المسلحين متجهة نحوهم ببطء، فأخذوا أماكنهم خلف سور البيت، وعندما قربت السيارة وكانت في مرمى نيرانهم فتحوا عليها النار فسقط السودانيان قتلى، وجُرح الليبي جرحاً بليغاً أُخذ بعدها للمستشفى العسكري حيث تمت معالجته، وبعد شفائه قُدِّم للمحاكمة، وحُكم عليه بالقصاص شنقاً، ونفذ الحكم.

ومما يجدر ذكره أنّ فريق حماية الشيخ أسامة كان يتألف حينها من مجموعة من الأمن السوداني واثنين فقط من الإخوة هم أبو خليل المدني، وعبد الهادي الأردني -رحمهم الله- وكان تسليحهم فقط مسدسات، لكن بعد هذه العملية تمّ تفريغ ١٥ أخاً لينضمّوا لفريق حماية الشيخ أسامة، وتم تسليحهم ببنادق كلاشنكوف، وأخذوا على يد الأخ حيدرة دورة تدريبية على كيفية الحماية اللصيقة بالشخصيات.

الأعمال التي قامت بها القاعدة انطلاقاً من السودان:

إِضافة الى النشاط الاقتصادي الذي قامت به القاعدة في السودان، كانت هناك نشاطات عسكرية وأعمال سياسية يمكن إجمالها في:

١- أحداث الصومال.
٢- أحداث الجزائر.
٣- حرب الفاكسات.
٤- الأحداث في اليمن.
٥- عملية اغتيال الرئيس المصري السابق حسني مبارك في أديس أبابا.
٦- أحداث الشيشان.

١- أحداث الصومال:

كان قدوم القوات الصليبية إلى بلاد الحرمين عام ١٩٩١م -بحجة تحرير الكويت- نقطة تحوّل رئيسية خلّفت زلزالاً عنيفاً أصاب الأمة بأسرها، وقسّمها أفقياً ورأسياً ليس على خلفية احتلال العراق للكويت فحسب، بل على مشروعية وجود قوات غربية صليبية في أرض الحرمين والاستعانة بها. وبموجب ذلك كانت القاعدة قد اتخذت في جلسات سرية في بيشاور عام ١٩٩١م استراتيجية مواجهة أمريكا، وهيأ الله للتنظيم تلك الفرصة في الصومال.

وكانت الصومال -بعد إقالة رئيسها السابق سياد بري في يناير ١٩٩١م بواسطة تحالف قبلي مدعوم من أثيوبيا- قد دخلت في حروب أهلية طاحنة بين قبائلها المختلفة صراعاً على السلطة، ونتج عن تلك الحروب دماراً شاملاً لكل مؤسسات الدولة أدّى في النهاية لحدوث مجاعة أودت بحياة أكثر من ٣٠٠.٠٠٠ صومالي. وعلى ضوء تلك الأحداث أرادت أمريكا احتلال الصومال لتحقيق مآربها في المنطقة، ولشرعنة تواجدها اتخذ مجلس الأمن القرار رقم ٧٩٤ القاضي بإرسال قوات أممية بقيادة أمريكا لإعادة الاستقرار في الصومال تحت مسمى إعادة الأمل، ودخلت تلك القوات الصومال بتاريخ ١٩٩٢/١٢/٥م.

وكانت هناك حركة إسلامية سلفية دعوية أسمها الاتحاد الإسلامي، انتشرت عقب انهيار نظام سياد بَرّي في كل مكان في الصومال، واستطاعت عن طريق الدعوة والتربية أن تجمع كل طاقات القبائل وأبنائها في صفٍ واحد -بما فيهم قبائل الأوجادين[1] الواقعة تحت الاحتلال في أثيوبيا- وفرضت نفسها في الساحة، واختفت مظاهر الفساد، وكانت الحركة مرشحة لتحل محل الحكومة.

وفي بادئ الأمر لم تكن حركة الاتحاد الإسلامي حركة مسلحة، لكن مع كثرة الاستفزازات من قبل قوات الجنرال عيديد والمحتلين الإثيوبيين، ومع عودة كثيرٍ من الشباب الصوماليين -الذين شاركوا في الجهاد الأفغاني وتأثّروا به، وأثّروا في بعض قيادات الحركة بنشر الوعي الجهادي كوسيلة لدفع صيال الأعداء من الغزاة الإثيوبيين والمفسدين وجنرالات الحروب- حملت الحركة السلاح، فكانت تقاتل الجنرال عيديد في الجنوب دفاعاً عن نفسها، وفي الشمال دخلت الحركة في حروب طاحنة مع الرئيس المزعوم الديكتاتور عبد الله يوسف المدعوم من قبل إثيوبيا، وكان شباب الاتحاد قد تمكنوا من أسره مع بعض

---

١) قبيلة الأوجادين قبيلة كبيرة جداً، تسكن في جنوب الصومال من كسمايو إلى بلدة كيامبوني، وتسكن في شمال شرق كينيا وكذلك أواسط وجنوب أثيوبيا.



ضباطه، ولما حانت لحظة الحساب تدخل شباب قبيلته المنضوين في الاتحاد لفكّ أسره، وغضب لذلك الإخوة الأوجادينيون الذين تواجدوا في شمال الصومال لنصرة الدين وتوحيد صفوف المسلمين، وعلى إثر ذلك التصرّف انسحبوا من حركة الاتحاد الإسلامي الأم، وأسسوا حزب الاتحاد الإسلامي الأوجاديني، وتمكن عبد الله يوسف بعدها من طرد المجاهدين من عاصمة بوت لاند بُوساسوا بمساندة من قبيلته، وخسر المجاهدون المعارك في الشمال بسبب الاختلافات القبلية، وأصبحت هناك عدة تجمعات إسلامية في الشمال والجنوب والوسط والغرب[١].

وكان مجلس شورى الاتحاد الإسلامي -بعد قرار مجلس الأمن رقم ٧٩٤ القاضي بدخول القوات الدولية لإعادة الاستقرار في الصومال بعد الحرب الأهلية التي شهدتها البلاد- قد اتخذ قراراً عجيباً يقضي بعدم مواجهة القوات الغازية، ودفن أسلحتهم وبيعها بحجة أنهم في المرحلة المكية مرحلة الدعوة. وكان معظم هذه القيادات قد طلبت العِلم في بلاد الحرمين على أيدي مشايخ الإرجاء، وكان من تداعيات هذا القرار أن رجع كل قيادي في الحركة إلى قبيلته واحتمى بها، ونتج عن ذلك تفكك حركة الاتحاد الإسلامي إلى مجموعات إسلامية صغيرة منتشرة هنا وهناك. وبفضل الله، كان هناك بعض من شيوخ الاتحاد الغيورين على دينهم وبلدهم -وعلى رأسهم الشيخ حسن طاهر أُويس حفظه الله، والشيخ حسن تركي والشيخ عبد الله سهل رحمهما الله- قد رفضوا دفن أسلحتهم وآثروا مواجهة المحتلين، وبالتعاون مع رجال القاعدة كونوا جيشاً مسلحاً من آلاف الشباب الجهاديين الذين كان لهم الفضل بعد الله عز وجل في القيام بتنفيذ الكثير من العمليات الميدانية، أدّت في النهاية إلى دفع صيال المحتلين الإثيوبيين والأمريكيين.

وكان وفدٌ من علماء الصومال قد جاء في بدايات عام ١٩٩٢م إلى الخرطوم، وكان على رأسهم أمير حركة الاتحاد الإسلامي الشيخ حسن طاهر أويس، والشيخ حسن تركي، وكان قد سبقهم اثنان[٢] من القيادات الشابة المؤسسة لحركة الاتحاد، للتنسيق مع الشيخ أسامة على لقائه بمشايخ الحركة. جلس هؤلاء المشايخ مع الشيخ أسامة، وتدارسوا حول الأوضاع في الصومال، واتفقوا معه على فتح معسكرات تدريب للصوماليين تحت إشراف القاعدة.

ولدفع العدو الصائل، وتفويت الفرصة على الأمريكيين لتقسيم البلد ونهب ثرواته، ومحاولة تكوين نواة لمعارضة كل المخططات الأمريكية في المنطقة، ولأهمية الصومال الاستراتيجية -من حيث موقعه وإشرافه على باب المندب، وقربه من جزيرة العرب بؤرة الصراع في المنطقة- قررت قيادة القاعدة انتهاز الفرصة بجعل الصومال من أهم أولوياتها للمرحلة القادمة بهدف استنزاف أمريكا اقتصادياً وبشرياً ومعنوياً، واستنفرت القاعدة لهذه المهمة كل جهازها العسكري، وبسرية تامة تدافعت إلى الصومال من أفغانستان والسودان واليمن أفضل وأكفأ كوادر التنظيم من الإخوة العسكريين المدرِّبين، لتدريب الشباب الصوماليين.

وكانت أول طليعة من الإخوة لاستطلاع الأوضاع في الصومال قد تحركت من جيبوتي وكان على رأسهم الشيخ أبو حفص الكمندان، والشيخ أبو مهدي العولقي (يسلم با راسين) -رحمهما الله جميعاً- وآخرون. وكانت هناك طليعة أخرى من الإخوة تحركت من السودان كان من بينهم الأخ أبو تراب

---

١) الحرب على الإسلام. هارون فضل رحمه الله. بتصرّف.

٢) أحدهم كان الشيخ عبد السلام -رحمه الله- وهو قائد حركة الاتحاد الاسلامي الاوجاديني، والثاني نحتفظ بعدم ذكر اسمه لدواع أمنه.

الكيني، وأبو طلحة السوداني -رحمهما الله- وأبو هريرة الصومالي، وأبو يوسف الصومالي، وأبو أحمد الراجي اليمني، وآخرون، وكان ذلك في الأشهر الأولى من عام ١٩٩٢م قبل وصول قوات الأمم المتحدة إلى الصومال.

بعد أن دخل الإخوة المدربون الصومال انقسموا إلى مجموعتين، مجموعة للتدريب في منطقة الأوجادين الواقعة تحت الاحتلال الأثيوبي، ومجموعة للتدريب في الصومال لمواجهة الاحتلال الأمريكي القادم. وكانت مجموعة الأوجادين متكونة من أمير المجموعة أبي إسلام المصري، وأبي خالد الحبيب، وسعدوف (خالد المقدسي)، وعبد الصبور المصري، وهارون فضل القمري تقبلهم الله جميعاً وآخرون. أما مجموعة الصومال، فكان أميرها الأخ خالد الفواز -فكّ الله أسره- وتضمّ كل من الأخوة عبد الوكيل المصري، والأخ شعيب المصري (السعدي)، والأخ أبو الحسن الصعيدي -تقبلهم الله جميعاً- والأخ محمد عودة فكّ الله أسره، وآخرون[1].

وكان من أصعب ما واجهه الإخوة في الصومال وشرق أفريقيا هو السفر إلى الأوجادين في ظل أوضاع شديدة الصعوبة، بينت لنا مدى الصبر والعزيمة، والروح المعنوية الإيمانية العالية التي تحلى بها أولئك الإخوة، وهنا نفسح المجال لهارون فضل ليحدثنا من مذكّراته عن تلك الصعوبات التي واجهوها أثناء سفرهم إلى هناك، يقول هارون فضل في كتابه "الحرب على الإسلام":

"السفر إلى جبال الأوجادين في أوضاع غير أمنة، وبدون أن نكون على علم بالمنطقة كانت تشكل تحدياً واضحاً لنا، وهذا من أصعب ما واجهنا في عملنا في شرق أفريقيا. ففي أول يوم من رمضان تحركنا بشاحنة وعددنا ثمانية مدربين عرب، وكان العدد الإجمالي للمجاهدين في هذه الرحلة أكثر من ستين فرد، وتحركنا إلى منطقة الحدود، وكانت نقطة التجمع تبعد ٧٠ كم عن مدينة لوق، وبدأنا نربط أمتعتنا على ظهور الجمال، واكتفى كل واحد منا بسلاحه الشخصي والزمزمية والجعبة التي تحتوي على ثلاثة مخازن وقنبلتين، ولم يتمكن الشيخ عبد الله سهل من السفر معنا لكبر سنه، وتوكلنا على الله وبدأنا الرحلة المجهولة.

صدقني يا أخي، أصعب شيء أن تتجه إلى منطقة ليس لك أدنى فكرة عنها، كل ما كنا نعرفه أننا نريد الوصول إلى قلب الأوجادين، والمسافة تقدر بـ ٥٠٠ كم، واضطررنا طبعاً إلى الافطار أثناء السفر، وكانت رحلة طويلة وشاقة وموفقة، والحمد الله تعلمنا فيها الكثير والكثير، بالذات الصبر والتحمل والتعرف على الآخرين.

وكان لدى الشباب الصومالي انطباع خاطئ عنا لكوننا غرباء، فقد ظنوا أننا لن نصمد يوم واحد لأننا لسنا بدو وهم نشأوا في البادية، فبعضهم يمشى ١٠٠٠ كم في أسبوعين فقط، والسر في ذلك أنهم رعاة مواشي يتجولون ولا يسكنون في منطقة واحدة، ولكننا أثبتنا لهم أننا كوادر، وكنا نعلم ما سنواجهه من المتاعب في هذه الرحلة الشاقة، ولأسباب أمنية طوّلنا المسافة لذلك تأخرنا في الوصول، فقد اضطررنا إلى عمل لفات طويلة، وترك الطريق المألوف لنتجنب الوقوع في كمائن القوات التّيجراوية. وفي العشرة الأولى من رمضان كنا نمشي طوال النهار، فإذا زالت

---

١) الحرب على الإسلام. هارون فضل رحمه الله. بتصرّف.



الشمس وضعنا أغراضنا واسترحنا، وكان الطعام الأساسي هو حليب النوق، وأحياناً كنا ننحر الجمال أو نذبح الأغنام، لم نكن نملك غير اللبن واللحم، وأصعب شيء واجهنا في السفر كان نقص المياه في بعض الأحيان، لذلك كنا نمشي اليوم كله بسبب أن المنطقة خالية من المياه.

وكان معنا أكثر من دليل يتناوبون فيما بينهم حسب المنطقة، وأيضاً حملنا معنا خرائط تساعدنا على معرفة الآبار، ولكن الطبيعة غير الواقع فقد كانت الخرائط قديمة، فبعض الأحيان كنا نصل إلى البئر لنجده قد اختفى تماماً ولا أثر له، وهكذا كنا نتحرك بعد صلاة الفجر مباشرة ولا نستريح إلا مع صلاة الظهر، ويمكن القول إننا كنا نقطع ٤٠ كم في اليوم الواحد، وأحياناً أقل من ذلك حسب ظروف المنطقة أهي صحراوية، أم غابات استوائية من السافانا، أم هي من غابات الشوك المنتشرة في شرق أفريقيا؟ كنا نمشي ولا نقابل أي إنسان، والغريب هي تلك الخطوط الطويلة التي لا نهاية لها وهي خطوط جيولوجيا مستقيمة بشكل منظم وتتجه شمالاً، وهذه الخطوط رسمت من قبل شركات غربية أثناء بحثها عن المعادن في الأراضي الصومالية. وأحياناً نفاجأ بأعرابي يمشي لوحده، وليس معه سوى خنجره وبراد الشاي أو الحليب، وكنا نستغرب من هؤلاء، فالمنطقة كلها خطيرة، فهي غابات للحيوانات المتوحشة، ولم نكن ننام الليل حتى نشعل النيران لطرد الأسود والفهود والنمور والذئاب التي كانت تتعقبنا في كل الرحلة.

كانت الرحلة سياحية ولكن من الدرجة الأولى، وصدق رسول الله ﷺ "سياحة أمتي الجهاد". أما متعة الرحلة فكانت في الصيد، وكنت أتولى الصيد بسبب أنني قناص، فأصيد الغزلان التي تملأ الغابات، فهي ثروة لا تقدر بثمن فقد كانت كثيرة جداً. وكان الاخ سيف الإسلام -وهو الأمير- قد أعطاني الإذن الكامل في الحركة، فلازمت الشباب في المقدمة وهم المفرزة الاستطلاعية والعيون العارفين بالمنطقة، فكنا نصل إلى الآبار بـ ١٥ دقيقة قبل وصول بقية المجموعة. وفور وصولنا لأي نقطة استراحة يتم استطلاعها بسرعة، وأخذ أحسن المواقع الدفاعية وتجهيز الحراسات، وكنا نتناوب في عملية تأمين المجموعة لأن هدفنا الرئيسي الوصول إلى قلب الأوجادين وليس الاشتباك مع القوات التّيجراوية، وهكذا كنا حذرين جداً، وأحياناً كنا نجلس يومين في نقطة واحدة لا نتحرك بسبب تواجد دوريات عسكرية، وكنا ننتظر الإشارات من العيون لنتحرك من جديد. أما في الأيام الأخيرة من الرحلة، فكنا نستيقظ في منتصف الليل ونبدأ بالسير إلى الفجر، ثم نكمّن ونستريح في النهار، وبعد العشاء نبدأ بالسير من جديد لتفادي عيون الأعداء، فكلما اقتربنا من العمق كلما كثر التواجد الحكومي.

وكان أمير المجموعة الصومالية هو الأخ عبد الواحد، وهو ضابط استطلاع سابق في الجيش الصومالي ويعرف المنطقة حق المعرفة، كنا نستخدم البوصلات والخرائط في التحرك، أما هو وباقي المرشدين فقد استخدموا الأشجار والعلامات الطبيعية في الحركة. أما خالد الحبيب وسليمان (سعدوف) فقد وجدا بعض الصعوبات في الحركة في الليالي الغير مقمرة، لأنهما يضعان نظارات طبّية. وفي العموم لم نجد صعوبات أمنية أثناء السفر، أما المشاكل الأخرى مثل فقدان الماء، ومرض بعض الشباب، وانقطاع الحليب والسكر منا، كانت كلها تتكرر من فترة

لفترة. وللعلم فإن الشاي أهم شيء عند الرجل الصومالي المسافر، ولا يهمه غير الشاي والسكر فقط، ومن الممكن أن ينقطع عنه كل شيء، ولكن الشاي والسكر سوف يتمكن من شرائها من أي مقهى، وإن كانت تحت جذع شجرة.

وحتى نتجنّب ضربة الشمس والجفاف كنا نضع السكر في الماء ونستخدمه عند الحاجة، ولم يكن حظنا جيداً في كل الأوقات، فأحياناً نجد مياه حالية نظيفة فنشرب ونغتسل ونملئ الجراكن التي معنا، وأحياناً كنا نجد مياه شبه مالحة، أو كبريتية سوداء تفوح منها رائحة كريهة، ولكن ليس لدينا خيار فكنا نشربها، ونطبخ بها لنتجنّب الموت في الصحراء، وكنا نزاحم القرود في المياه حيث نشرب من نفس العين أو المستنقع المستخدم من قبل القرود والسباع. أما الأسود والوحوش فقد رافقتنا طوال السفر، فكنا نجد أثار الفيلة، ونسمع أصوات الأسود وهي تقترب، وكذلك الذئاب الشرسة، ولم نكن نبالي بها لأن كل واحد منا في مهمته، فالحيوانات لها مهمتها في التواجد ونحن كذلك، وهن من مخلوقات الله ونحن كذلك، ولم تكن هذه الحيوانات لتؤذي المجاهدين أبداً.

ومر علينا يوم من أصعب الأيام في السفر كله وسمي بيوم عبد الصبور الصعيدي (أبو صهيب). كنّا قد تحركنا من بعد صلاة الفجر على أمل أن نجد المياه في الموعد المحدد وهي الساعة العاشرة صباحاً، ولكننا عندما وصلنا في الوادي لم نتمكن من إيجاد العين، فقد اختفت بسبب السيول ووجدنا الوادي جاف تماماً.

وكان من عادتنا إذا اقتربنا من الابار أن نشرب ما عندنا من الاحتياط في الزمزميات، وبعد أن شربنا تبين لنا أنه لا أثر للماء في المنطقة، وهكذا لم ننزل الأغراض من الجمال، بل تقدمنا للأمام على أمل أن نجد بئر آخر قريب، وزالت الشمس، وبدأنا نشعر بالضعف والتعب، فقد كنا في صحراء قاحلة لا يوجد فيها أي أثر للحياة، ولم نكن نملك سوى مياه العلاج (الجلوكوز) وبعض المياه على الجمال، واستمرينا في الرحلة حتى غربت الشمس ولم نصل إلى أي بئر، ولم نجد أي أثر للماء، وبدأنا ننكت على بعضنا ونصبر أنفسنا بأحلام وقصص من الخيال، وكما تعلمون فإن الشباب المصري يجيد الفكاهة، ولا تفوته الفرص حتى في الشدائد، فبدأوا ينكتون.

وكان معنا أخ دليل اسمه علي، فكلما سئل عن البئر يجيب بكلمة "أفر ساعة"، يعني بعد أربعة ساعات، ويشير بأصبع السبابة للأمام، ليجعلك تصدق أن البئر قريب جداً، وهكذا كنا نفرح لأننا في خلال أربع ساعات سنجد الماء، ولكن من الصباح إلى بعد صلاة العشاء ونحن نمشي، لا أربع ساعات ولا أي منطقة قريبة، فكنا نضحك كثيراً وننكت، والشباب يسألونه "يا علي أين البئر؟"، ثم يجيبون أنفسهم على السؤال "أفر ساعة"، وفعلاً لقد تعبنا ذلك اليوم ولكن كان يوم النكت.

وكنت أستغرب كيف استطاع صحابة محمد رسول الله ﷺ قطع الصحراء إلى المدينة المنورة في أحلك الظروف، وهذا الأخ الصومالي سمُّي بعد الرحلة "علي أفر ساعة"، وقد استشهد رحمه الله وتقبله في الشهداء آمين. وبعد الساعة التاسعة ليلاً، وأثناء السير في الظلام، وبلا وجود أثر للماء، وفجأة وقع الأخ عبد الصبور الصعيدي، وهكذا سمي بيوم عبد الصبور، ولا أخفي أننا



حزنّا لوقوعه، ولكننا في نفس الوقت وجدنا سبباً للاستراحة، فقد كنا منهكين، ولم نكن مستعدين للمشي من جديد، وهكذا تمت الاستراحة وبدون فك الجمال، وأذكر بأن الدكتور حمدي (أبو عبيدة المصري) أحضر لنا جالوناً كان يحوي ثلاثة لترات من الماء، وتخيل يا أخي كيف شربناه، أولاً يأخذ أحدنا نفس عميق وعميق جداً، ثم نشرب قليل من الماء قدر غطاء الجالون فقط، تخيل ذلك يا أخي، وكنا نتذكر صحابة رسول الله ﷺ أثناء رحلة تبوك، وكذلك الرسول ﷺ أثناء هجرته، فليس هناك جهاد بدون جهد وتعب.

نمنا قليلا ثم بدأنا الرحلة في الساعة الثالثة صباحاً قبل الفجر بفترة، وسرنا إلى أن دخل وقت صلاة الفجر، وأثناء الاستراحة والتجهيز للصلاة، غفوت وشعرت بالنعاس، وفي هذه اللحظات القصيرة العجيبة أكرمني الله، فقد رأيت في المنام وجوهاً طيبة تقدم لي مياهً كثيرة، وأخذت منهم وبدأت أشرب حتى رويت، ثم فقت من نومي لأجد بطني ممتلئة فعلاً وذهب عني الظمأ، ولم أخبر أحد بما رأيته إلا الأخ الأمير، فقد استبشر كثيراً وأخبرني بأنه رزق سيق إليّ، وقمت نشيطاً، وبعد الصلاة تحركنا إلى البئر المزعوم، وقال لنا الأخ علي كعادته أنه بعد أربع ساعات سنكون هناك، واستبشرنا واجتهدنا في السير.

وفي الساعة العاشرة تماماً كنا قد وصلنا إلى الوادي الجديد، وبدأنا نبحث عن أي أثر للعين والبئر الجديد، والحمد لله فقد وجدنا عين واحدة فقط وبالكاد أن نخرج منها قدر كأس من الماء كل بضع دقائق، واستبشرنا ونظفنا البئر، ووضعنا راحلتنا ونحرنا جملاً لإرجاع بعض السوائل، وتمكنا من الاستراحة ليومٍ واحد حيث نمنا هناك إلى اليوم الثاني، وكان يوماً مشهود، ولم نكن متعودين على أكل لحوم الإبل، ولكن الطبيعة والظروف علمتنا كل شيء، والعجيب أن الصوماليين يفضلون أكل لحومها وهي نصف ناضجة، وكنا نجد صعوبة في المضغ، ويكثر هنا التنكيت من قبل الشباب، فأخونا عبد السلام الراجي، كان ينكّت مع المصرين ويقول لهم "أعطني قليلاً لأتأكد هل جاهزة أم لا؟" يقصد قطعة اللحم، وكنا نموت من الضحك، فهو لا يريد أن يتأكد بل يريد أكلها.

أثناء الرحلة، لم نرى سوى قريتين فقط، وهي عبارة عن عشش من القش، ولا أثر لأي تمدّنٍ ألبتّة. كانت القرية الأولى تسمى قرية الملح، فهي في وادي الملح "غود عسبو"، فلما وصلنا للوادي لأول مرة فرحنا جداً لأن المياه جذبتنا بقوة جريانها وبياضها، ثم تبين لنا أنها مالحة أشد من البحر، وسبحان خالق السماوات والأرض، فمن المعروف أن الأوجادين لا بحر فيها، ولكن الله يفعل ما يشاء، وسط الصحراء مياه مالحة تجري كالأنهار، إنها من معجزات الله في الخلق ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾. أما أصحاب الوادي فيستغلونه لتصنيع الملح. وعندما اقتربنا من القرية كانت هناك سيارة لاند روفر للجيش، ولما سمعوا بقدومنا هربت من القرية، لأن البدو كانوا ينقلون الأخبار بسرعة البرق، وهم في نقل الأخبار أسرع من الأنترنت. أما القرية الثانية فهي قرية " أباقرو" التي تحاذي وادي شبيلى، وهو من أشهر الأنهار في الصومال، والقرية الصغيرة تقع بين مدينة إيمي وعاصمة الأوجادين غُودي.

وكان من الواجب أن نقطع النهر في الأوقات التي تنخفض فيها المياه، وعندما وصلنا القرية تمكنتُ من دخولها لوحدي دون الشباب العرب، بسبب بشرتي وقربي للون الصوماليين، واشترينا من سوقها بعض السكر والمكرونة، وهي الطعام الأساسي للصوماليين، وبعض الخضروات مثل البندورة الصغيرة، واشتريت بسكويت أبو ولد اليمني، وكنت أشعر بأنني دخلت إلى متجر خمسة نجوم، رغم أن السوق عبارة عن عشش، ولا يوجد في السوق شيء سوى ما ذكرت، واشترينا من ضفة النهر بعض السمك الحلو، وعبرنا عن طريق حبل قوي مربوط بشجرة من كلا طرفي النهر، لأن التيار قوي جداً. ولم يكن الجيش التّيجراوي متواجد في القرية، فهم يتمركزون في المدن فقط، ولديهم دوريات منتظمة، وتبعد قرية أباقرو ٩٠ كم عن المعسكر المجهول في منطقة كاَرِيشِيْغوت. وبعد يومين وصلنا إلى المعسكر، وكانت قد مرت علينا أربع وعشرين يوماً من رمضان المبارك" ا.هـ

وبما أن البرنامج الرئيسي لتواجد القاعدة في الصومال كان التدريب، فسوف نقف هنا بشيء من الإسهاب -بتصرف طفيف- من كتاب هارون فضل، على تفاصيل البرنامج التدريبي، لنرى كيف قام شباب القاعدة بواجبهم على أكمل وجه في ظروف بالغة التعقيد والصعوبة، وخرّجوا في نهاية المطاف رجالاً واصلوا المسيرة، وتصدّوا وما زالوا يتصدّون بكل شموخ لكل المطامع والمخططات الإثيوبية، والإمبريالية الأمريكية في المنطقة.

يقول هارون فضل، رحمه الله:

"شُيّد المعسكر في منطقة تسمى "كاريشيغوت"، أي الكهف الجبلي بالصومالية، وكان المجموع الكامل للمتدربين أكثر من ٣٠٠ شخص، ١٥٠ منهم يتدربون و١٥٠ الآخرون يقومون بالحراسة على قمم الجبال. وتم توزيع الشباب إلى مجموعات حسب أعمارهم على ستّة مدربين هم، الدكتور حمدي، عبد الصبور، خالد الحبيب، سليمان (سعدوف)، عبد السلام اليمني، وبقي الأمير ونائبه بدون مجموعات للتنظيم والإدارة. سمّيت المجاميع بأسماء الخلفاء الراشدين، والعشرة المبشرين بالجنة، فكانت هناك مجموعة أبوبكر الصديق، عمر الفاروق، عثمان بن عفان، علي بن ابي طالب، أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم أجمعين.

قُسّمت الدورة التدريبية إلى مرحلتين: مرحلة أولى تأسيسية، يتدرب فيها الشباب على مختلف المهارات بشكل تأسيسي ومدتها ٤٥ يوماً، ثم بعد ذلك تليها مرحلة التخصصات لمدة ١٥ يوماً، وبعدها يتم توزيع الشباب على تخصصاتهم، ثم تشكل الفصائل المقاتلة.

بدايةً كانت التدريبات شاقة في مراحلها الأولى لأن كل شيء كان جديداً لدى الشباب، وكانت هناك صعوبة في الترجمة، لذلك خصص لكل مجموعة أخ مترجم، وسُلّم لكل متدرب دفتر وقلم، وكان التدريس يتم في عشش، ولم يكن هناك أي سبورات، وكان الوضع أشبه بالجنون، فقد كان بعض المتدربين أمّياً لم يمسك قلماً في حياته، ويحتاجون إلى وقت أطول لإيصال المعلومة، لذلك في آنٍ واحد، عمل الإخوة المدرّبين كمدربين عسكرين، ومدرسين عاديين يساعدون في محو الأمية. وكان هناك ملفاً دراسياً لكل أخ لتقييم المستويات في كل المواد وهي: الأسلحة الخفيفة،

المتفجرات، البيكا والأيش كي، الأربي جي، والرياضة والانضباط -لأنها مادة مهمة في المرحلة التأسيسية- وكذلك التقييم الشرعي والأخلاقي لكل شاب.

وبعد الانتهاء من المرحلة التأسيسية كان الشباب يستريحون ليومين يتم خلالها فرز التقارير الخاصة بالشباب، ثمّ توزيعهم على التخصصات حسب قدراتهم كما هو مبين في الملف الشخصي لكل متدرّب. وكانت الدورة التخصصية تشمل الأسلحة الخفيفة، القناصة، والأربي جي، الرشاشات الثقيلة، المتفجرات والهندسة العسكرية، الاسعافات الأولية، الهاون الطبوغرافيا والاستطلاع.

وكانت المرحلة الثانية بالتدريبات التخصصية تبدأ بالرياضة الشاقة المركزة، وبعد الفطور يتم عمل الجمع العسكري الكبير والتأكد من المجموعات، وبعد أخذ التمام تنتقل كل مجموعة مع مدربها إلى ساحة التدريب، حيث يقوم المدرب بتعليم الشباب كل شيء يخص السلاح المراد التخصص فيه، وذلك لإعطائهم الثقة أثناء المواجهة والاعتماد على أنفسهم" ا.هـ

ومثالاً لهذه الجهود المباركة، يتحدث الأخ هارون فضل عن جهوده في التدريب فقال:

"تم عمل كل ما في المستطاع من جعل الدورة الأولى نموذجاً طيباً وناجحاً لمستقبل الحركة الإسلامية في اثيوبيا، أما أنا فكان عليّ تدريب ١٢ شاباً في تخصصين، القناصة والمضادات للمدرعات (الآر بي جي ٧ و٢)، وكنت أوزع أوقاتي بين المجموعتين في الصباح والمساء، وطورت منهج التدريب المخصص للقناص لتشمل ٤ أسلحة رئيسية، هي القناصة الروسية المشهورة الدراجانوف، والسلاح الألماني الفعال الجي ٣، وكذلك السلاح الروسي ذي السبطانة الطويلة السيمينوف، والأف إن فال البلجيكي، والسبب هو أننا لا نمتلك غير هذه الأسلحة، وكان من واجبي أن أتعامل مع الواقع حيث لم نملك مناظير.

وكان برنامج التدريب عال جداً، فقد علمتهم النظري أولاً، بدءاً من الفك والتركيب الكامل بما فيه مجموعات الزناد الحساسة، وأخيراً يتم تعصيب العينين ثم الفك والتركيب بسرعة، ومعرفة عيوب السلاح وكيفية التصليح، والـتأكد من أن كل الشباب الـستّة قد تمكنوا من فهم الحركة الميكانيكية للأسلحة، والعيوب والمميزات، وكيفية تصليح السلاح، وبعد ذلك نبدأ بالتدريبات العملية التي تركز على حساب المسافات بالطرق التقليدية، وكيفية اختيار المواقع في المدن والغابات والمناطق المفتوحة والجبال، والتعامل مع المنظار بالنظري، وكيفية معرفة الشخصيات المهمة بالرتب العسكرية، وكيفية التمويه بحيث لا يُكشف القناص، والتدريب على تحمّل الظروف الطبيعة والأجواء سواء في منطقة صحراوية أو غابية أو ثلجية، كيف يموه نفسه حسب المنطقة، واللون المختار للتمويه، ثم بعد ذلك تتم ركلجة سلاح القناص، وبعد ذلك نبدأ بالرمايات المكثفة على عدة مسافات ابتداءً من ٢٠متر إلى أن تصل إلى ٤٠٠ متر بدون منظار. وقد تمكنّا أيضاً من دراسة انحراف كل عين قناص والتأكد من أنه يعلم انحرافه، وكيف يتعامل مع هذا الانحراف، وأيضاً تتم الرماية بالأوضاع كلها واقفاً وجالساً ومنبطحاً، وفي كل الأحوال يجب أن يسند القناص سلاحه ويربط يده بسلاحه، ويركّز في انتظار ظهور الهدف، ويتم تعليمه كيف يصبر وينتظر لساعات طويلة حتى يظهر الهدف.



وكذلك تم تعليم الشباب كيفية التعامل مع الأهداف المتحركة، وقياس مسافة السبق، والتعامل مع الأهداف العالية والمنخفضة بقياس درجات الحرارة والرياح، وتمكنا أيضاً من تدريب القناصين على كيفية التعامل مع الأهداف أثناء الليل، وكنت أحتفظ بنتائج رمايات الإخوة بمختلف المسافات. والشيء المميز أن القناص سوف يتخرج بسلاحه ولن يتركه أبداً، حيث يصبح سلاح التدريب هو سلاحه الشخصي وهذا أمر مهم، لأنهم قد حفظوا كل تفاصيل أسلحتهم.

أما الشيء الممتع في تخصصات القناصة هو الصيد، فقد ابتكرنا مشاريع حقيقية حيث يتعامل القناص مع أهداف حية وبزمن محدد، وكنت أكلف الشباب بإحضار الغزلان للمعسكر في مدّة محددة وبرصاصة واحدة فقط، ويعاقب كل قناص عندما يرمي ولا يصيب، فكان بعضهم يرجع فارغ اليدين ولكن معافى من العقاب.

وقبل انتهاء الدورة بيوم نعمل مشروع حقيقي لكل قناص، ويتركز الامتحان على كيفية اختيار المواقع والتمويه، والتأكد من الهدف، والصبر في الانتظار، والرماية من على بعد أكثر من ٣٠٠ متر بدون منظار. وكان المشروع كالآتي: أجمع شباب القناصة وأريهم الأهداف، ثم أكتب على كل شاخص اسم قناص، ويكون الشاخص كاملاً، ويجب إصابة الهدف في الأماكن القاتلة مثل الرأس أو الصدر، أو القلب أو الرقبة، أعني أنه يجب أن تكون الإصابة قاتلة. ولكل قناص ثلاث طلقات فقط، وعندما يبدأ التمرين يختفي كل قناص بمفرده، ويختار موقعه ويحصنه ويموه نفسه وينظف سلاحه، وينتظر ظهور الشاخص الخاص به، ويتم إنزال الشاخص بعد ٥ دقائق فقط من ظهوره. وكانت التمرينات تبدأ في الصباح وتنتهي في الليل حيث الرمايات الليلية، وبعد ذلك يتم تكليفهم بالمشاريع الحقيقية في صيد الغزلان، لازدياد ثقتهم وليتمكنوا من معرفة أسلحتهم أكثر فأكثر.

أما شباب الآر بي جي، فقد كانت التدريبات النظرية مهمة جداً ليتمكنوا من معرفة كيفية ضبط وركلجة المنظار مع القاذف، وحساب مسافة السبق، والتمكن من معرفة أسرار منظار الأربي جي في قياس المسافات، وأيضاً كنا نركز على نقاط ضعف الدبابات، ونجحنا في التدريبات النظرية حيث الفك والتركيب للقاذف (مجموعة الزناد) والقذيفة، بدءاً من الحشوة الدافعة إلى الصاعق المتفجر الموجود في مقدمة الصاروخ، وتمكنا من تفهيم الشباب نظرية قذيفة الأربي جي المعقدة، وكيف تنفجر القذيفة إذا اصطدمت بالهدف، وكيف تنفجر في الهواء عند عدم الاصطدام. وهناك تعقيدات حيث الصاعق الأول والصاعق الثاني والصاعق التأخيري، وما إلى ذلك من ألغاز سلاح الآر بي جي ٧، بعد ذلك يتم دراسة المنظار، وقياس مسافات السبق، وتحديد مسافة الهدف.

وبعد الانتهاء من التدريبات النظرية في الكتب ننتقل إلى ساحات الرماية، حيث نركز على التمارين البدنية، وحمل السلاح، والتنقل والركض به، وكيفية التنسيق مع سلاح الاسناد البيكا والأيش كي، وكيف يتمكن الرامي من اسناد مجموعة الاقتحام، والتعامل مع الفرد المساعد له. وبما أننا لا نملك الكثير، فكنا نصنع أشكالاً لمباني أو لدبابات بالخشب، ثم نزينها بالشوالات

ليتمكن الرامي من رؤية الهدف من بعيد، وبعد كل هذه المجهودات البدنية المستمرة تتم الرماية على الأهداف، ويخصص لكل أخ قذيفتين.

وبعد اسبوعين إلى ثلاثة أسابيع من التدريبات التخصصية نجتمع في الإدارة من جديد لعملية الفرز حسب التخصص، ويتم تشكيل الفصيلة، وتمكنّا في الدورة الأولى من تشكيل ثلاث فصائل دعم، ويوجد في كل فصيلة ٣٠ شاب كوماندُز متخصص في الأسلحة الخفيفة، وهم المشاة، وخبيران في الهندسة العسكرية والمتفجرات، وممرضان للفصيلة، واثنان من القناصة، وأخَوان في الاستطلاع والطبوغرافيا، وقائد الفصيلة ونائبه، وأخَوان للرشاش الثقيل حيث الاسناد، وأخَوان في سلاح المضادات للدروع (الآر بي جي)، وهناك أخ للاتصالات، وهكذا يكون المجموع الكامل للفصيلة المدعمة ٤٥ أخ، ويُسحب في كل دورة أخ متخصص لكي يصبح مدرب، فمثلاً بالنسبة لتخصص القناصة والآر بي جي، أخرجنا شاباً ليكون مدرِّباً في هذا المجال، وكذلك هناك مدربين في الأسلحة الخفيفة، وكذلك البيكا والهاون والمتفجرات، وبعد التخصصات والعمل الجماعي أصبح لدينا أيضاً ستّة مدربين جدد من الصوماليين.

أما التدريبات التجميعية فكان الذي يتولّى أمرها هو الأمير سيف الإسلام ونائبه الأخ أبو قتيبة، ونقوم نحن بمباشرة العمليات التكتيكية الميدانية مثل الكمائن والغارات والانسحابات والتّسلّلات، ويتدرب كل قائد فصيلة على مهمته، ويركز على إعطاء الأوامر، وكيفية دراسة الخرائط والمعلومات التي أرسلت إليه من قبل الاستطلاع، والتعامل مع أمراء المجموعات حيث كل مجموعة فيها عشرة أفراد من المشاة، وكيف يتم استخدام سلاح الدعم إن كان متفجرات أو اسعافات أو اسناد بالهاون أو بالبيكا أثناء المعارك، ومتى يستخدم الآر بي جي والقناصة، وتستغرق هذه المناورات العسكرية فترة عشرة أيام تقريباً، حتى نتأكد من انسجام الفصيلة مع بعضها وقبول أمر واقع، ويتدربون على المهارات والتكتيكات وكيفية التنسيق بين الفصائل الثلاث.

والحمد لله تخرجت السرية الأولى من شباب الأوجادين مكونة من ثلاث فصائل مدعمة، وقائد السرية ونائبه، وقد تمكن الأخ سيف بحكمته من مراعاة الناحية القبلية في اختيار قادة الفصائل والسرايا، فكما نعلم فإن القبيلة في الصومال تلعب دوراً رئيسياً، والموضوع شديد الحساسية، ولا مانع شرعي في تقسيم المجموعات على رايات قبليّة، فقد رأينا في كل غزوات النبي ﷺ أن الرايات كانت تخصص لقبائل معينة، وهكذا كان قادة السرايا من الأوجادينيين، وبعض قادة الفصائل من شباب مقديشو من قبيلة عيديد.

وبعد عيد الأضحى المبارك تم عمل حفل التخرج، وقد انتشر الخبر في أنحاء المدن الأوجادينية من عاصمتها غودي إلى إيمي إلى جيجيكا ودقحبور ودير داوا، وقد تحركت هذه السرية في مهامها الجديدة وهي قتال القوات التيجراوية، وكنا نسمع بأخبارها السارة، فكانت المعارك تدور بشكل جيد، ودُحرت تلك القوات من بعض القرى بفعل الغارات المباغتة والكمائن، وكان لرجال الهندسة العسكرية والقناصة بطولات كثيرة، فهم الذين يبدؤون المعارك بقتل سائقي الشاحنات المحملة بالمدافع إما بالقنص أو بتفجيرها عن بعد، ثم بعد ذلك تتم مهاجمة القافلة،

وكنا نجد أخبارهم أولاً بأول عبر اللاسلكي، بعد ذلك تستدعى السرية للمعسكر لحراسته، حيث ستبدأ الدورة الثانية.

واصل الإخوة برنامج التدريب بوجود المدربين الجدد، فتم توزيع المجموعات الجديدة وبدأت الدورة الثانية، ومن بعدها الثالثة وكان الهدف الأساسي في هذه الفترة هو تخريج كتيبة أوجادينية مدعمة تستطيع أن تواصل النضال والجهاد لفترة طويلة، وكذلك تخريج ١٨ مدرباً صومالياً، وقد فرح الشيخ أبو حفص بالنتائج الأولية، ولم يتوقع أن يرى ما أنجز خلال ثلاثة أشهر[١].

أما بالنسبة لخلية التدريب الثانية داخل الصومال فكان الاتحاد الاسلامي قد وافق على فتح معسكر للتدريب في عارمو بالقرب من لوق، لكن قيادة الاتحاد اختلفت مع الشباب بخصوص قتال القوات الأجنبية، ولما أراد الأخ حمد (خالد الفواز) أن ينفرد بالشباب المتدربين لجأت قيادة الاتحاد إلى سحبهم من المعسكر، ولما جاء الاخ سيف العدل وحل مكان حمد، ازدادت الأمور سوءاً وأصبح هناك سوء تفاهم، فقد شعر الصوماليون أن الإخوة العرب يريدون التدخل في قراراتهم وهذا مالم يتقبلوه وازدادت الخلافات بينهم، واضطر الشيخ أبو حفص الكمندان إلى التدخل لفض النزاع، فتم الاتفاق على إقامة دورة عسكرية لإخراج سرية صومالية و٦ مدربين جدد، وألّا يتدخل الشباب في اتخاذ أي قرار بشأن مهاجمة القوات الأجنبية البعيدة[٢].

وبناءً على ما تمّ الاتفاق عليه بدأت مرحلة جديدة من العلاقات وتحرّك المدربون فوراً إلى المعسكر، واشترك في العمل كل من أبي محمد المصري، وأبي عمير الباكستاني، وأمير الفتح، وأبي عبيدة الموريتاني، وأبي الحسن الصعيدي، وأخ بحريني، وانضمّ إليهم بعض الإخوة الذين كانوا في خلية الأوجادين وغادروا بعد اكتمال الدورة الثانية وهم، سيف الإسلام، والدكتور حمدي، وهارون فضل، وسليمان، وخالد الحبيب، وأبو قتيبة، وتمت الدورة بنفس خطة الأوجادين، فقد تمكنوا في خلال شهرين من تخريج السرية وستّة مدربين متمرسين[٣]". ا.هـ

وكانت هناك ترتيبات لمواجهة الأمريكيين مع شباب الاتحاد الاسلامي فرع مقديشو بزعامة الشيخ حسن طاهر أويس، والشيخ عبد الله سهل رحمه الله، وترتيبات أخرى مع الأوجادينيين في منطقة جنوب الصومال بزعامة الشيخ حسن تركي، وكانت هناك خلية سِرّية للعمل داخل مقديشو بقيادة الأخ أبي عبد الرحمن المهاجر المتخصص في المتفجرات، وكان معه الاخ أبو الحسن الصعيدي وآخرون، ثم قرر الشيخ أبو حفص ارسال الأخ أبا محمد المصري ليكون مسؤولاً عن خلية مقديشو، فقد كانت هي خط النار الأول في الصومال، كذلك طلب الشيخ أبو حفص من الأخ هارون فضل اللحاق بأبي محمد للعمل في خلية مقديشو[٤].

---

١) الحرب على الإسلام. هارون فضل رحمه الله. بتصرّف.

٢) المصدر السابق. بتصرف.

٣) المصدر السابق. بتصرف.

٤) المصدر السابق. بتصرف.


الشيخ حسن طاهر أويس
حفظه الله


الشيخ حسن تركي
تقبله الله


الشيخ عبد الله أحمد سهل
تقبله الله

وكانت هناك مجموعات سرّية من الصوماليين تابعة للشيخ عبد الله سهل موزعة داخل مقديشو تعمل في عدة ميادين، وهي التي تتعامل مع العبوات المزروعة في الشوارع. ولما كان هارون فضل أشبه بالصوماليين كانت مهمته الجديدة هي النزول في شوارع مقديشو لجمع المعلومات، وبالفعل استطاع الأخ هارون فضل -رحمه الله- جمع كم هائل من المعلومات عن تجمعات القوات الأمريكية في مطار مقديشو، وكذلك تصوير تجمعاتهم الكبيرة في الثكنات أثناء الاستراحة، وأوقات تناول الطعام داخل الميناء، وكان ذلك يتم بالتعاون مع طرف ثاني، كان -بحكم عمله كنائب مدير لإحدى الشركات- يستطيع دخول الميناء والتغلغل وسط الأمريكان. كذلك عمل هارون فضل -رحمه الله- مسحاً ميدانياً لفندق صحافي العالمية الموجود في الكيلومتر أفر، والذي كان ينزل فيه الجنرالات الأمريكان، وعناصر السي آي أيه، وصحفيون من الدول الغربية[1].

وكان الهدف الرئيسي من العمليات العسكرية في الصومال هو التركيز على ضرب الأمريكيين دون غيرهم من قوات التحالف الأخرى، وعن هذا الأمر يقول هارون فضل في كتابه الحرب على الإسلام:

"والله إن القوافل الدولية كانت تتحرك وفيها قوات آل سعود في الأمام لحماية القافلة الأمريكية، ومن وراءها الكويتية أو الإماراتية، وفي الوسط تختبئ القوات الأمريكية، ولكن كان الموت دائماً برفقتهم، ولم نكن نستخدم السيارات المفخخة، وكانت التفجيرات تتم من بُعد، أو زرع العبوات في الطرق التي تستخدمها القوات الأمريكية فقط، وكان الشعب الصومالي الذي لم يكن يعلم هذه الأساليب يستغرب ويقول: "لماذا الأمريكان دون غيرهم، والله هذا غضب من الله عليهم" ا.هـ

ولعل من أبرز العمليات التي قام بتنفيذها المجاهدون الصوماليون بالتعاون مع إخوانهم في القاعدة ما عرف بعملية الميناء التي قتل فيها ١٨ جندياً أمريكياً، كذلك أسقطت قوات الجنرال عيديد طائرتين هيلوكوبتر (بلاك هوك) إثر محاولة فاشلة حاولت فيها القوات الأمريكية أسر الجنرال عيديد، وقُتل في العملية أحد الطيارين، وسُحل في شوارع مقديشو، بينما أُسر آخر.

---

١) الحرب على الإسلام. هارون فضل رحمه الله. بتصرّف.





عملية سحل الطيّار الأمريكي في شوارع مقديشو



الطيار الأسير

وكانت هذه العمليات سبباً مباشراً في أن يدرك الأمريكان سريعاً أنهم قد دخلوا مستنقعاً مشابهاً لدخول الروس في أفغانستان، فهم يواجهون شعباً بأكمله وليس جنرالات حروب كما كانوا يدّعون، لذلك ما أن بلغت خسائرهم الثمانون قتيلاً حتى اتخذ الرئيس الأمريكي كلنتون في ١٩٩٤/٣/٣١م قراراً بانسحاب القوات الأمريكية، وكان ذلك القرار بمثابة إعلان بهزيمة أمريكا في الصومال.

ولم يغادر الإخوة الصومال حتى خلّفوا وراءهم رجالاً من أبناء الصومال شامخين شموخ الجبال أمام المطامع والمخططات الإمبريالية في المنطقة. وفي إحدى خطبه في شأن الصومال، قال الشيخ أسامة -رحمه الله- متحدثاً عن قتال القوى العظمى:

"بعد حرب الخليج الثانية أدخلت أمريكا جيوشها إلى الصومال وقتلوا ١٣ ألفاً من أبناء المسلمين هناك ولا حول ولا قوة إلا بالله، وعندها وثب أُسْدُ الإسلام من العرب الأفغان، فانبروا لهم مع إخوانهم في تلك الأرض، فمرَّغوا كبرياءها في الطين، فقتلوا منهم، ودمروا من دباباتهم، وأسقطوا من طائراتهم، ففرت أمريكا وحلفاؤها في ليل مظلم لا يلوي أحدٌ على أحد، فلله الحمد والمنَّة"[١] **ا.هـ**

إضافةً إلى النشاط العسكري في منطقة شرق أفريقيا كان للإخوة نشاط اِستثماري كبير في كينيا، يشرف عليه الشيخ الشهيد أبو عبيدة البنشيري رحمه الله، فقد كان يريد توسيع استثمارات القاعدة في كينيا وتنزانيا، فكان يشرف على شركة لاستيراد السيّارات من الخليج، كذلك قام بعمل دراسات جدوى لشراء مناجم أحجار كريمة في المنطقة، ولكن لم يشأ الله لهذا الأمر أن يتم حيث توفاه الله غرقاً في بحيرة

١) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

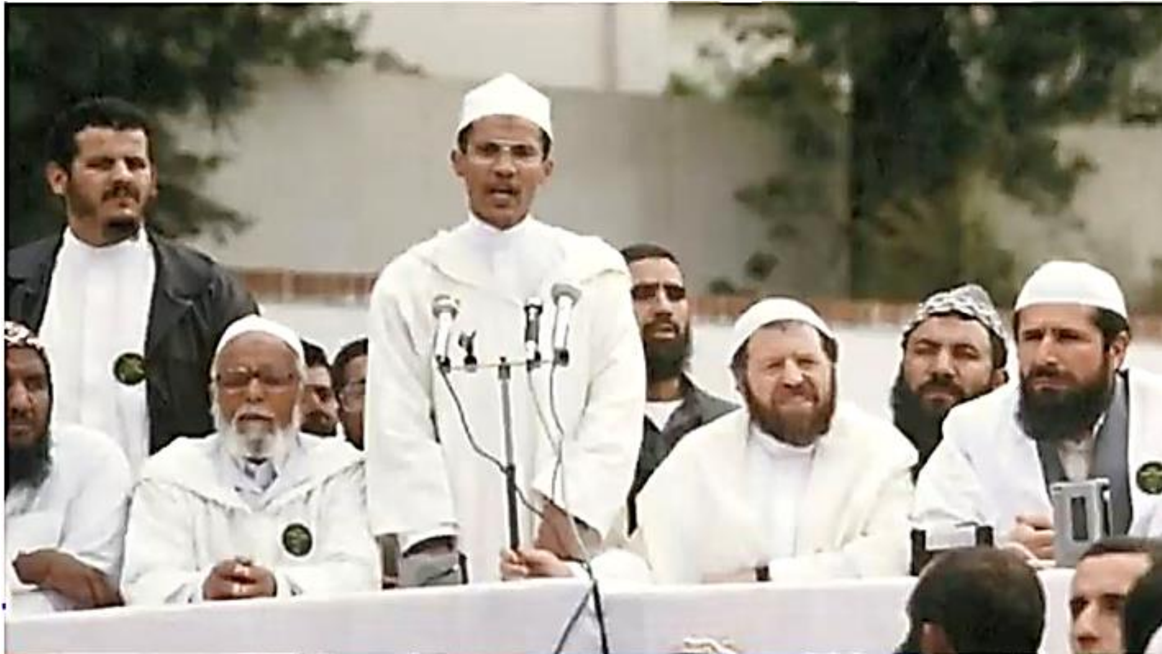
فكتوريا بعد انقلاب الباخرة[1] التي كان عليها رحمه الله. كذلك كان الشيخ أبو عبيدة البنشيري يسعى لتواجد خلية في المنطقة لزعزعت مشاريع اليهود في اثيوبيا وكينيا واوغندا وتنزانيا، كذلك كان -رحمه الله- قد جهّز خلية لجمع المعلومات، استطاعت جمع الكثير منها عن التواجد الفرنسي العسكري في جيبوتي، وكذلك التواجد الأمريكي في الخليج واليمن وشرق أفريقيا.

٢- أحداث الجزائـــر:

كانت الأحوال الاقتصادية السيئة التي مرّت بها الجزائر في نهاية الثمانينات قد أفرزت ما كان يُسمّى آنذاك بـ (مظاهرات الخبز)، وأوشك الحال حينها على الانفجار، فلجأ الرئيس الجزائري (الشاذلي بن جديد) إلى علاج الأوضاع بطرح سياسة الانفتاح، وإعلان ترخيص تشكيل الأحزاب السياسية والدعوة إلى انتخابات ديمقراطية حرة.

وكان بعض دعاة الصحوة الإسلامية التي كانت مقموعة بشدة منذ استقلال البلاد عام ١٩٦٣م قد استغل هذه البادرة، فأعلن الشيخ عباسي مدني -رحمه الله- تشكيل الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وكانت تضم تجمعاً عريضاً من الشعب يضم كافة الساعين إلى المشروع السياسي الإسلامي.

وكانت الجبهة الإسلامية للإنقاذ قد فازت في انتخابات البلدية، وفازت كذلك بأغلبية ساحقة في الانتخابات البرلمانية التي جرت في ديسمبر ١٩٩١م، وكانت على وشك الفوز بأغلبية ساحقة في الدورة الثانية التي تؤهلها للفوز في منافسات الرئاسة، غير أن الرياح جرت بما لم تشتهيه الجبهة، فقرر جنرالات الجيش الموالين لفرنسا في مطلع يناير ١٩٩٢م الاستيلاء على السلطة، وإلغاء نتائج الانتخابات، وإعلان حالة الطواري، وشن حملة كبيرة من الاعتقالات شملت الآلاف من الإسلاميين والقيادات العليا لجبهة الإنقاذ، وعلى رأسهم الشيخين عباسي مدني، ونائبه علي بلحاج حفظه الله.



مشايخ الجبهة الإسلامية للإنقاذ

---

١) غرق الشيخ أبو عبيدة البنشيري -رحمه الله- في بحيرة فيكتوريا في كينيا يوم ٢١ مايو ١٩٩٦م، فقد كان أحد الركاب الذين يقلهم القارب بوكوفا موانزا الذي انقلب عندما كان يقل ٤٨٠ راكباً. وكان سبب غرق المركب الحمولة الزائدة.

وكانت ردّة الفعل الطبيعية لأنصار الجبهة أن رحّب أكثرهم بنداءات جهاد السلطة العسكرية التي قطعت عليهم الطريق إلى حصاد نتيجة فوزهم، فلاذ الآلاف من الشباب بالجبال، وبدأوا يبحثون عن السلاح ويعدون لمواجهة الحكومة العسكرية.

وكانت أبرز الخلايا الجهادية المسلحة التي بدأت تقاتل الحكومة قد توحدت في مايو ١٩٩٤م مع (الجماعة الإسلامية المسلحة) تحت قيادة أبي عبد الله أحمد رحمه الله، وكانت تلك هي الفترة الذهبية للجهاد في الجزائر حيث كان المجاهدون آنذاك قد سيطروا على معظم أرجاء البلاد، وكانوا يقومون بعمليات اغتيال جريئة لرموز النظام في وضح النهار في المدن وخاصّة في الجزائر العاصمة، وكانت تلك الانتصارات تبشّر بقرب قيام دولة تحكم بالإسلام هناك.

جديرٌ بالذكر أن التجربة الجهادية في الجزائر كانت قد توفّرت فيها أهم عوامل نجاحها وهي التأييد الشعبي الكبير الذي قدّره من عايش تلك الأحداث بنسبة ٨٠ - ٨٥%، إضافة إلى الظروف الطبيعية من جبال وغابات توفّرت فيها كل أسباب البقاء، لذلك كانت آمال عموم المجاهدين آنذاك معلّقة كثيراً على الجزائر نسبة لما يمثله موقعها الاستراتيجي من بُعدٍ سيكون له تأثير كبير على المد الجهادي شرقاً وغرباً وجنوباً في دول المنطقة إذا نجح المجاهدون بالفعل في السيطرة على مقاليد البلاد.

وكان تنظيم القاعدة قد أرسل عام ١٩٩٣م اثنين من أفراده هم الشيخ عطية الله الليبي رحمه الله، وأبو ياسر الجزائري -حفظه الله- لدراسة الأوضاع في الجزائر، ومكثا هناك عدّة أشهر عادا بعدها إلى السودان، ثم لم يلبث الشيخ عطيّة الله أن عاد مرّة أُخرى إلى الجزائر في أواخر عام ١٩٩٤م ومكث هناك حتى عام ١٩٩٨م.

كذلك كان الشيخ أسامة في تلك الفترة على تواصلٍ مستمر مع مندوب الجماعة الإسلامية المسلّحة المتواجد في الخرطوم، ومما سمعته كذلك -ولست متأكداً من صحّته- أن الشيخ أسامة كان قد دعم الجماعة الإسلامية -قبل انحرافها- بالسلاح الذي كان يهرّب لها من السودان عبر الصحراء الليبية.

غير أن الرياح لم تلبث أن جرت بما لا تشتهيه السفن حيث قتل في ظروف غامضة أمير الجماعة الإسلامية المسلحة الشيخ أبو عبد الله أحمد -رحمه الله- في أواخر عام ١٩٩٤م بعد ستة أشهر من توليه، وتولى القيادة بعده جمال زيتوني المكنّى (أبو عبد الرحمن أمين)، وفي أواخر عهده ظهرت بوادر الانحراف والغلو، حيث ارتفعت لهجة تكفير الشرائح المدنية التي لا علاقة لها بالسلطة وتوعدها بالقتل مثل باعة الجرائد، والأساتذة والطلاب، والعمال، والتّجرؤُ على إصدار فتاوى تستحل قتل نساء وأطفال وأُسر العاملين في أجهزة الدولة ... الخ. وكان عنتر الزوابري الذي تولّى بعد الزيتوني شر خلف لشر سلف، حيث ارتكبت في عهده كثير من المجازر والمذابح التي حدثت في تلك الفترة في الجزائر.

ولمن أراد أن يقف بالتفصيل على انحرافات الجماعة الإسلامية المسلحة عليه بالرجوع إلى شهادات من عايشوا تلك المحنة المؤلمة، ومنها على سبيل المثال شهادة الشيخ عطيّة الله الليبي -رحمه الله- التي نشرتها مؤسسة التّحايا في رسالةٍ بعنوان التجربة الجزائرية، وشهادة الشيخ عاصم أبي حيّان -فكّ الله أسره- والمجاهد أكرم أبي هشام في الحوار الذي أجرته معهما مؤسسة إفريقيا المسلمة.

وكان الشيخ عطيّة الله الليبي -رحمه الله- في ردّه على أسئلة أعضاء شبكة الحسبة قد لخّص أسباب فشل الحركة الجهادية الجزائرية (تجربة الجماعة الإسلامية المسلحة) في ثلاثة أسباب هي:

١- ضعف وخلخلة المنظومة الفكرية والمنهجية الجهادية في تلك الفترة في الجزائر، وهذا الضعف يظهر في عدة صور مثل: الفوضى الفكرية والعلمية، ونقص في (المرجعية) أو القيادة العلمية، وقلة الكادر العلمي الجهادي المؤهل، وتباين واختلاف شديد في تصورات وأفهام النافرين للجهاد، فقد جمع الصف الجهادي أنواعاً من المتشددين والمتنطعين، وبعض الغلاة أيضاً في التكفير وغيره، مع المتساهلين إلى درجات مذمومة أحياناً في حين كانت الغالبية طبعاً هم من عوام الناس... وبالجملة كانت هناك مسحة من التشدد، بل والتنطّع والغلو في الدين في كثير من الكتائب والمناطق.

٢- ما سبق أيضاً يتداخل ويترافق مع شيء آخر هو: أزمة الأخلاق. فكانت تلك الطبقة المشار إليها وهي الطبقة المؤثرة وصاحبة النفوذ سيئة الأخلاق ولا تمثل الإسلام تمثيلاً حقيقياً مشرِّفاً، إذ كانت تتّصف بالعنف والشدة والغلظة في التعامل مع الناس، وافتقار في جوانب الرحمة والشفقة على الخلق والعفو عن الزلات، وقلة احترام لذوي الفضل، مع مجموعة من الأمراض القلبية والأخلاقية الأخرى كالعجب والغرور والتعالي.

٣- وجماع ذلك كله: أزمة القيادة. فقد كانت القيادة هي الشر، وهي الفاسدة المفسدة، فبدلاً من أن تربي الناس على الخير علمتهم الشر، وجعلتهم جهالاً، ونشرت بينهم الضلالات، وأعني بالقيادة هنا القيادة في عهد جمال زيتوني وعنتر الزوابري! هذه القيادة الجاهلة المتنطّعة الضالة قرّبت كل من هو من جنسها من أهل الغرور والجهل والتنطّع والكبر والقسوة والتكالب على الدنيا، وأبعدت الصالحين وطعنت فيهم، ووضعت عليهم علامات الاستفهام وهمشتهم حتى وصل الحال في مرحلة متقدمة بعد ذلك إلى قتل الكثيرين من أهل الخير بِتُهَم متعددة وسخيفة كثيرٌ منها.



الشيخ عطية الله الليبي – رحمه الله

دروس وعبر من تجربة الجهاد في الجزائر:

مما لا شك فيه أن التجربة الجهادية في الجزائر كانت تجربة ثرّة، وفي ذات الوقت كانت محنة مؤلمة زاخرة بالدروس والعبر التي يجب الوقوف عندها، والتأمل في مدلولاتها. ولعل من أهم تلك الدروس والعبر التي أكّدت عليها التجربة الجزائرية، وأكّدت عليها كذلك عدّة تجارب سابقة ولاحقة لها، هي:



١- أن النظام الدولي الصهيوصليبي -بقيادة أمريكا- بسياسات مكره وخداعه ودعمه للحكومات الديكتاتورية الطاغوتية لن يسمح لأي جماعة تنتسب للإسلام أن تصل إلى الحكم، حتى وإن كانت من أكثر الجماعات الإسلامية اعتدالاً وتخلت عن ثوابت عقيدتها. والشواهد على ذلك كثيرة، كتجربة الرئيس السوداني السابق عمر البشير التي تغلّبت في السودان عام ١٩٨٩م، وتجربتي جبهة الإنقاذ في الجزائر عام ١٩٩١م والإخوان المسلمين في مصر عام ٢٠١٢م، اللتين وصلتا إلى السلطة بطرقٍ ديموقراطية عن طريق الانتخابات.

لذلك -آخذاً العبرة من تلكم التجارب- كان الشيخ أسامة -رحمه الله- حريصاً كل الحرص **على توحيد جموع المجاهدين، وتركيز طاقاتهم في جهاد الكفر العالمي بقيادة هبل العصر أمريكا، وأن لا يستدرجوا وينجرّوا إلى صراع لم تُستكمل مقوماته.** ففي رسالة وجّهها لأمير تنظيم القاعدة في جزيرة العرب الشيخ بصير (ناصر عبد الكريم الوحيشي) رحمه الله، يقول الشيخ أسامة متحدّثاً عن مقوّمات العمل الجهادي:

"فيجب أن نضع نصب أعيننا في هذا الوقت أن ترتيب العمل في قيام الدولة المسلمة يبدأ بإنهاك الكفر العالمي[1]، فإن لديه حساسية قصوى من قيام أي إمارة إسلامية ... فرأس الكفر العالمي اليوم هو صاحب النفوذ الكبير على دول المنطقة شريان حياتها والداعم الأساسي لها الذي يملك قوة مكنته من إسقاط الإمارة الإسلامية في أفغانستان والنظام العراقي، برغم أنه تم استنزافه بصورة كبيرة لكنه مازال لديه قوة لإسقاط حكومة أي دولة إسلامية تقوم في المنطقة في هذا الوقت. وإن من أهم خبرات الخصوم المحليين والدوليين في القضاء على الحركات الإسلامية وإجهاضها هو استفزازها واستدراجها وجرها إلى صراع لم تستكمل مقوماته، لذا ينبغي أن نفوت عليه ما يخطط له، ونقوم نحن بالمواصلة والاستمرار في استنزافه وإرهاقه في الميادين المفتوحة؛ أفغانستان والعراق ليصل إلى حالة ضعف لا تمكنه من إسقاط أي دولة نقيمها، وعندها يتم مراعاة ضرورة العمل على جمع وتوحيد كل من يمكن توحيده من الجهود والطاقات المسلمة التي قعدت عن الجهاد بعذر أو بغير عذر، ثم يكون الشروع بالبدء في إقامة الدولة المسلمة بإذن الله، وإن استدعى الأمر تأخير ذلك سنة أو أكثر فلا بأس"[2] ا.هـ

٢- **تصدّر الخوارج للقيادة:** هناك الكثير من الدروس والعبر بالغة الأهمية في هذا الجانب، وخاصّة إذا ما قارنّاها بتجربة الجهاد في العراق. ففي كلا التجربتين -نسبة لقلة العلم، والجهل المطبق بأحكام الشريعة والسياسة الشرعية بسبب غياب العلماء وطلبة العلم الربانيين عن ساحات الجهاد- كان الخوارج هم من تصدّر قيادة المشهد، وكانت النتيجة الحتمية لتلكم التجربتان مع ما صاحبهما من تداعياتٍ وفظائع هي الانحراف والفشل وذهاب الريح.

ومرّة أخرى إذا ما قارنّا تجربتي الجهاد في الجزائر والعراق بتجربة الطالبان في أفغانستان في جزئيةٍ واحدة فقط هي العلم والعلماء، لعلمنا أنّ وجود العلم والعلماء الربانيين هما صماما أمان رئيسيان لأي تجربة جهادية من الانحراف والفشل. فعلى مدى عقدين من الزمان، وبالرغم من استحرار القتل في رموز

---

١) راجع فصل "معركة الأحرار" في هذا الكتاب.

٢) وثائق أبوت أباد.

الحركة وقادتها، لم تستطع أمريكا وكل حلفائها -بما يملكون من مليارات وعقولٍ وأجهزة استخبارات وسياسات المكر التي يُجيدون لعبتها- من حرف حركة طالبان قيد أنملة. لماذا؟ لأن حركة طالبان كانت تستقي أمرها كلّه من كتاب ربها وسنّة نبيها، وكان علماء حركة طالبان منذ اليوم الأول لنشأتهم هم صمام الأمان الأول لتوجيه دفّتها، فكانوا يتحركون ويتوجهون حيثما وجّههم العلم الذي يدرسونه في مدارسهم، فثمرة العلم الخشية. لذلك رغم المآسي والصعاب، والمكر الكبار الذي واجهته حركة طالبان طوال تلك الفترة، إلّا أن النجاح والفلاح والتوفيق والتمكين كان حليفها بفضل الله وحده.

جديرٌ بالذكر أن الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- في كل مراحل جهاده ابتداءً من أفغانستان، ومروراً بالسودان، ثم مرحلة أفغانستان الثانية كان يدرك تماماً أهمية وجود العلماء الربانيين في ساحات الجهاد، فهم صمام أمان لتوجيه دفّتها وحمايتها من الانحراف، وخاصة إذا كان هؤلاء العلماء من أهل البلاء والمحنة والتضحية الذين يبذلون الغالي والنفيس في سبيل إعلاء كلمة الحق. فكان -رحمه الله- تارةً يخاطب هؤلاء العلماء خطاباً عامّاً، وتارة يخاطب بعضهم خطاباً خاصاً بإرسال الرسل والرسائل لهم طالباً منهم النفير للقيام بدورهم بكل حريّة في تحريض الأمة للجهاد في سبيل الله كي تقوم بتحرير أرضها، ودفع صيال الأعداء عن حرمات الإسلام والمسلمين.

٣- حرب الفاكسات:

ومن الأعمال التي قام بها الشيخ أسامة -رحمه الله- انطلاقاً من السودان ما سمي آنذاك بحرب الفاكسات. وكانت حكومة البشير قد تحفّظت في موقفها من حرب الخليج الثانية إذ كانت ترفض الطريقة التي عولجت بها المشكلة -أي الاستعانة بالأمريكيين لتحرير الكويت- وترى أن العرب قادرون فيما بينهم على حل مشاكلهم بأنفسهم، وبسبب ذلك الموقف دخلت حكومة البشير في عداء مفتوح مع حكام الخليج، وعلى رأسهم آل سعود الذين قاموا كرد فعل لموقفها بدعم جيش النصارى في الجنوب بالسلاح والتموين، واستغل الشيخ أسامة تلك الفرصة، وبالتشاور مع مجلس الشورى تم -في أوائل عام ١٩٩٤م- تكوين هيئة تسمى هيئة النصيحة والإصلاح مقرها في لندن.

وكان الهدف من هذه الهيئة هو التركيز على تبيين الخطر الداهم الذي تمثله السياسات الأمريكية في المنطقة، وتواطؤ النظام السعودي والهيئات الدينية الرسمية التي ساعدت في تنفيذ هذه السياسات. فكانت الهيئة تهدف إلى إسقاط شرعية آل سعود، وذلك بفضح ممارساتهم وفسادهم، وكشف سرقاتهم لثروات البلاد، وعمالتهم وموالاتهم لليهود والنصارى، وسماحهم للصليبيين باستباحة بلاد الحرمين، وعموماً فضح مخالفات نظامهم للشريعة الإسلامية، وأنهم لا يحكمون بما أنزل الله بناء على أدلة وأمثلة كثيرة كتفشي الربا وغيرها... الخ.

وكانت الآلية لفضح تلك الممارسات عن طريق البيانات، وذلك بصياغتها صياغة في غاية الدقّة والإحكام في السودان، وتدعيمها بالأدلّة والوثائق التي كانت تُسرّب للشيخ أسامة من داخل دواوين المملكة، ثم إرسال تلك البيانات بعد ذلك بالفاكس -بعد توقيع الشيخ أسامة عليها نيابةً عن الهيئة- إلى مكتب الهيئة في لندن، ثم يقوم المكتب بإعادة إرسال المئات من هذه البيانات بالفاكس إلى أصحاب الشأن من المشايخ، والصالحين، والغيورين، والمثقفين، وأساتذة الجامعات، والتجار، وكل شرائح المجتمع في بلاد الحرمين. وكان الذي يتولّى إرسال هذه البيانات من لندن هو الشيخ خالد الفواز، فك الله أسره.

جدير بالذكر أن الإخوة قبل تنفيذ عمليتي نيروبي ودار السلام بوقت كافٍ كانوا قد أرسلوا للشيخ خالد الفوّاز يطلبون منه مغادرة بريطانيا، لكن لا يغني حذر من قدر، فقد تأخر الشيخ خالد في الخروج إلى أن ألقت السلطات البريطانية القبض عليه في ٢٨ سبتمبر من العام ١٩٩٨م بناء على طلب أمريكي عقب اتهامه بالضلوع في تفجير السفارتين الأمريكيتين في نيروبي ودار السلام. وظل الشيخ خالد الفواز أسيراً في سجون بريطانيا حتى سُلِّم أخيراً لأمريكا في أكتوبر ٢٠١٢م.



الشيخ خالد الفوّاز – فكّ الله أسره

ومن البيانات المهمة التي صدّرها الشيخ أسامة من السودان الرسالة التي أرسلها للشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- يذكّره فيها بواجبه تجاه الدين وتجاه الأمة، وينبّهه إلى مسئوليته العظيمة في وقت انتعش فيه الباطل، وعربد المبطلون المضلون، ووئد الحق، وسجن الدعاة، وأُسكت المصلحون، وأن كل ذلك لم يتم فقط بعلمٍ منه وسكوتٍ، بل مُرر على ظهر فتاواه ومواقفه. ومن أمثلة ذلك تأوله وتسويغه للملك فهد لبس الصليب، وفتواه المتعسفة التي أهملت قيود الاستعانة وضوابط الضرورة المعتبرة، فبررت احتلال قوات التحالف الصليبية واليهودية للبلاد بحجة تحرير الكويت. كذلك نصيحته التي أصدرها بإيعاز من النظام السعودي عندما دارت الدائرة على الشيوعيين في اليمن تدعو الجميع إلى التصالح والتصافح باعتبارهم مسلمين!! موهمة أن الشيوعيين مسلمون يجب حقن دمائهم، ويتساءل الشيخ أسامة: **"متى كان الشيوعيون مسلمين؟ ألستم أنتم الذين أفتيتم سابقاً بردتهم ووجوب قتالهم في أفغانستان، أم أن هناك فرقاً بين الشيوعيين اليمنيين والشيوعيين الأفغان؟ فهل ضاعت مفاهيم العقيدة وضوابط التوحيد واختلطت إلى هذا الحد؟"**. كذلك تعرض الشيخ أسامة إلى الفتوى التي استصدرها منه النظام، وسوّغت له البطش والتنكيل بالمشايخ والدعاة وشباب الأمة، وتعرّض الشيخ أيضاً إلى فتواه التي أشاد بها، وصفق لها رئيس وزراء العدو الصهيوني وبرلمانه، والتي تبيح السلام مطلقاً مع اليهود، فقال رحمه الله:

"وكأنكم لم تكتفوا بإباحة بلاد الحرمين الشريفين لقوات الاحتلال اليهودية والصليبية حتى أدخلتم ثالث الحرمين في المصيبة بإضفائكم الشرعية على صكوك الاستسلام التي يوقعها الخونة والجبناء من طواغيت العرب مع اليهود. إن هذا الكلام خطير كبير، وطامة عامة لما فيه من التدليس على الناس، والتلبيس على الأمة من عدة جوانب منها:



إن العدو اليهودي الحالي ليس عدواً مستقراً في بلاده الأصلية، محارباً من الخارج حتى يجوز معه الصلح، بل هو عدو صائل مفسد للدين والدنيا، وعليه ينطبق كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، ولا يشترط له شرط، بل يُدفع بحسب الإمكان، وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم"...

ويختتم الشيخ أسامة ذلك البيان بنصيحته للشيخ عبد العزيز فقال: **"إن إشفاقنا البالغ على حال الأمة والعلماء من أمثالكم هو الذي دفعنا لتذكيركم، فإننا نربأ بكم وبأمثالكم عن أن يستغلكم النظام الحاكم هذا الاستغلال الفظيع، ويرمي بكم في وجه كل داعية ومصلح، ويُسكت بفتاواكم ومواقفكم كل كلمة حق ودعوة صدق... فاتقوا الله وابتعدوا عن هؤلاء الطواغيت والظلمة الذين أعلنوا الحرب على الله ورسوله"[1] ا.هـ**

وكان أكثر تلك البيانات خطورة وتأثيراً على النظام السعودي، بياناً بعنوان: **"رسالة مفتوحة للملك فهد، بخصوص التعديلات الوزارية الأخيرة"** يقول عنه الشيخ أسامة رحمه الله:

"هذا البيان أحسب أنه من أكثر البيانات تأثيراً على وكيل أمريكا في الرياض، فقد وضع النقاط على الحروف، ووضح نفاقه وعمالته وعبثه بمقدرات الأمة وأموالها العامة، كما كان له تأثيرات إيجابية كبيرة على تنظيم القاعدة، رغم أنه كان هو السبب الرئيسي المباشر لإخراجنا من السودان[2]، كرد فعل من حاكم الرياض عليه، فقد اضطره البيان أن يتنازل عن كبريائه، ويصطلح مع الخرطوم بعد قطيعة دامت خمس سنوات فشلت كل محاولات السودان لإنهائها دون جدوى، إلى أن صدر هذا البيان فاتصل وزير داخلية الرياض بنفسه مباشرة بنظيره السوداني، وطلب لقاءً عاجلاً، وفي اللقاء قال لنظيره: اعتبروا كل المشاكل التي بيننا قد انتهت إذا أوقفتم هذه البيانات، وهو يشير إلى البيان المذكور على طاولته"[3]. ا.هـ

وبفضل الله آتت هذه البيانات أُكلها في بلاد الحرمين، فقد فضحت وعرت نظام آل سعود، وجن جنون الملك، واستخدم كل أساليب الترغيب والترهيب مع الحكومة السودانية لتسليم الشيخ أسامة، لكنهم رفضوا واكتفوا بأن طلبوا من الشيخ أسامة التوقف عن اصدار البيانات، وكان قد صدر منها ثمانية عشر بياناً.

إحدى محاولات النظام السعودي لترغيب الشيخ أسامة للعودة إلى بلاد الحرمين:

وكانت حكومة الملك فهد قد أوكلت إلى بعض الزوار من أصدقاء الشيخ أسامة السابقين، وبعض رجال الأعمال السعوديين الذين كانوا يزورونه من حينٍ لآخر، محاولة إقناعه بوقف هذه البيانات، والتراجع عن طريق الجهاد، وترغيبه بالعودة إلى بلاد الحرمين، وتسوية خلافاته مع الملك، وممارسة حياته بشكل طبيعي.

---

١) رسالة إلى ابن باز ببطلان فتواه بالصلح مع اليهود. للشيخ؛ أسامة بن لادن رحمه الله.

٢) **أعتقد أن القشّة التي قصمت ظهر البعير بإبعاد الشيخ أسامة من السودان هي كنز المعلومات القيّمة التي أدلى بها المدعو جمال الفضل للأمريكان بعد تسليمه نفسه إليهم في النصف الثاني من عام ١٩٩٥م، والتي بناءً عليها شكّل الأمريكان وحدة متابعة بن لادن في يناير ١٩٩٦م، وتم التضييق المباشر من أمريكا على السودان، بعد أن فشلت كل الضغوط الإقليمية عليه من دول الجوار، وخاصة من النظام السعودي لتسليم أو إبعاد الشيخ أسامة من السودان. وفي الصفحات القادمة مزيداً من التفصيل عن قصّة جمال الفضل.**

٣) وثائق أبوت أباد الدفعة الرابعة.

وكان الصحفي جمال خاشقجي -صديق سابق للشيخ أسامة- أحد هؤلاء الذين زاروا الشيخ في السودان، وكانت مهمة خاشقجي هي محاولة إقناع الشيخ بأن يجري معه لقاءً صحفياً يعلن فيه نبذه للعنف، وسيكون ذلك بمثابة إشارة من الشيخ أسامة للحكومة السعودية بأنه قبل شروطها.

ومن تلك المحاولات أيضاً أن أرسل الملك فهد ذات مرة -في بداية عام ١٩٩٤م- بعض إخوة الشيخ أسامة -بما فيهم أخوه الأكبر الشيخ بكر بن لادن، ومعهم والدة الشيخ رحمها الله- بطائرتهم الخاصة ثلاث مراتٍ في يومٍ واحد، عرضوا فيها على الشيخ أسامة -والعرض من الملك- العودة إلى المملكة مقابل العفو عنه، وإرجاع كل أمواله وأرصدته التي كانت قد جُمدت في أواخر عام ١٩٩٢م، إضافة إلى إرجاع جواز سفره وبطاقته.

وحتى تشكّل الحكومة السعودية ضغطاً عائلياً كبيراً على نفسية الشيخ أسامة ليستجيب لمطالب إخوته، كان من ضمن العروض المقدّمة من الملك إرجاع مبلغ مليارين ريال سعودي مستحقّة الدفع لشركة بن لادن كانت مجمّدة في خزائن الدولة بسبب توجّهات الشيخ أسامة. غير أن الجبل الأشم لم تكن لتحركه أو تزحزحه العواصف، أو يسيل لعابه للعاعة من لعاع الدنيا، فرفض رحمه الله كل تلك العروض، وما كان من طواغيت آل سعود اِلا أن سحبوا منه الجنسية، وأصدروا بياناً مزوراً باسم عائلة بن لادن يتبرؤون فيه من أخيهم أسامة، وكانوا قد تعرضوا للتهديد إذا أعطوا أي إشارة أن هذا البيان مكذوبٌ عليهم.

وبالطبع لم تحرك كل تلك الإجراءات شعرة في نفسية الشيخ أسامة، وأُجزم أنه كان يردد حسبنا الله ونعم الوكيل، فهكذا عهدناه، وهكذا كان يعلّمنا ويوجّهنا عندما تضيق الأمور، كان يقول أكثروا ورددوا من حسبنا الله ونعم الوكيل. وعن هذا الأمر يقول الشيخ أسامة:

"إن الأمريكيين يساومونا على السكوت، فأمريكا وبعض عملائها في المنطقة ساوموني أكثر من عشرات مرات على السكوت عل هذا اللسان الصغير، أُسكت ونرجع لك الجواز، ونرجع لك أموالك، ونرجع لك بطاقة الهوية لكي أسكت، وهؤلاء يظنون أن الناس يعيشون في هذه الدنيا من أجل الدنيا، ونسوا أنه لا معنى لوجودنا إن لم نسع لنيل رضوان الله سبحانه وتعالى" ا.هـ

٤- الأحداث في اليمن:

كما أسلفنا من قبل، كان الشيخ أسامة -منذ أن استقرّ به الحال في أفغانستان- قد بدأ يخطط لفتح جبهة ضد النظام الاشتراكي في اليمن الجنوبي بحركة جهادية تنطلق من بلاد الحرمين واليمن الشمالي، وحينها لا تكاد تخلو محاضرة أو ندوة من ندواته إلا وكان الشيخ يؤكد فيها خطته وعزمه على تحرير اليمن الجنوبي بعد أفغانستان من قبضة الحكومة الماركسية. وتحقيقاً لهذا الأمر كان الشيخ أسامة قد اختار عام ١٩٨٨م بعض الإخوة من اليمن الجنوبي ليتلقّوا مزيداً من التدريب والدورات العسكرية الخاصّة استعداداً لنزولهم لليمن الجنوبي. كذلك كانت القاعدة قد افتتحت في أفغانستان معسكر الصدّيق الخاص بتدريب وإعداد الإخوة اليمنيين وبالتحديد الجنوبيين، وكان أمير ذلك المعسكر هو الأخ صالح الجرو -رحمه الله- المكنّى بـ (ابن عمر الحضرمي).

وكان الاتحاد السوفيتي -بعد هزيمته في أفغانستان وانسحابه منها في فبراير ١٩٨٩م- قد توقف عن دعم اليمن الجنوبي، وتخلى عن تحفّظاته بشأن الوحدة مع اليمن الشمالي. وبناءً على ذلك وإضافة إلى عوامل داخلية وخارجية أخرى، رأت قيادة الحزب الاشتراكي في اليمن الجنوبي الدخول في مشروع وحدة

مع اليمن الشمالي فرصة للبقاء في السلطة، وعليه مضت في ذلك المشروع، وأُعلنت رسمياً الوحدة بين شطري اليمن في مايو ١٩٩٠م.

وبالرغم من أن مشروع تلك الوحدة كان صوريّاً في شكله وفارغاً من مضمونه إلّا أنه -على هامش الحريّة التي صاحبته- كان متنفساً كبيراً للمسلمين في اليمن الجنوبي، وبخاصّة للجهاديين العائدين من أفغانستان الذين استغلّوا الفرصة وبدءوا -من خلال الدروس والخطب في المساجد- بدعوة الناس بصورة علنية إلى الرجوع إلى الدين، وإلى أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتحريضهم على الجهاد في سبيل الله.

وكان الشيخ أسامة قد بعث بعض الإخوة إلى اليمن لتحريض الناس على الجهاد، وإعداد العدّة لقتال الشيوعيين في الجنوب، وكان من بين هؤلاء الإخوة الشيخ أبو مهدي العولقي (يسلم با راسين) تقبّله الله، والأخ صالح الجرو (ابن عمر الحضرمي) رحمه الله، وآخرون. وكان الشيخ أبو مهدي تقبّله الله قد نصب خيمةً أمام بيته في وادي يشبُم، وبدأ يدعوا الناس للجهاد في سبيل الله، ويحرّضهم على قتال الاشتراكيين. كذلك كان لبعض مشايخ العلم دوراً بارزاً في عملية التحريض، كان منهم الشيخ أبو فيصل الرازحي، والشيخ أبو الغيث الحديدي، والشيخ عوض با نجّار، والشيخ سعيد با طرفي رحمهم الله جميعاً.



الشيخ أبو مهدي العولقي (يسلم با راسين)
تقبّله الله



الشيخ عوض با نجّار
رحمه الله

وشيئاً فشيئاً كانت كلمات أبي مهدي المؤثّرة تستقطب حوله الشباب الذين بدأت أعدادهم في تزايد يوماً بعد يوم. وفي بادئ الأمر كان الاشتراكيون -على هامش الحريّة التي سادت أجواء الوحدة- يغضّون على مضضٍ طرفهم عن ممارسات الشباب الدعوية، لكنهم كانوا يقومون باستحداث الكثير من نقاط التفتيش التي كانت تُضيّق الحركة على الشباب.

كذلك كان الشيخ أسامة -رحمه الله- حريصاً على توسيع دائرة المشاركة في قتال الاشتراكيين، فقام بدعم الكثير من مشايخ القبائل، ومشايخ المراكز الدعوية بالمال والعتاد والسيّارات والسلاح ليقوموا بواجبهم في دفع صيال الشيوعيين. وكان الشيخ أسامة قد اتخذ من مزرعته في جِدّة مركزاً لتجميع كل ما يفيد ويدعم الجهاد من آليات ثقيلة وسيارات ومواد غذائية، وإرسالها بعد ذلك للشباب ولمشايخ القبائل في اليمن.

وكانت معطيات التحرك الجهادي -بعد الوحدة- ضد الحكم الشيوعي في اليمن الجنوبي قد اكتملت، فكثير من اليمنيين الشماليين من الإسلاميين والقبائل والتجار الحضارم الكبار كانوا يكنون عداء شديداً للاشتراكيين، ويؤيدون ويدعمون التحرك الجهادي للقضاء على الشيوعية في البلاد، كذلك أدّى رجوع عددٍ كبيرٍ من المجاهدين اليمنيين الجنوبيين الذين شاركوا في الجهاد الأفغاني إلى التسريع من وتيرة ذلك الحراك الجهادي.



علي عبد الله صالح مع رئيس اليمن الجنوبي علي سالم البيض في ٣٠ نوفمبر ١٩٨٩م خلال التوقيع على اتفاقية الوحدة



الشيخ طارق الفضلي

وكانت استراتيجية الشباب في بادئ الأمر قد توجّهت إلى تصفية أئمّة الكفر من الشيوعيين، فكانت هناك ما بين عامي ١٩٩١م – ١٩٩٤م موجة من الاغتيالات لعشراتٍ من رموز وكوادر النظام الاشتراكي، شاركت فيها القاعدة بناءً على التوجيهات الصادرة من الشيخ أسامة عندما كان في السودان، وشارك في هذه الموجة بجانب الجهاديين بعض من رجال القبائل الناقمين على الاشتراكيين. وكان الإخوة في اليمن الجنوبي قد قاموا بتصفية ما يقارب المئة[1] شخصية من رموز وكوادر النظام الاشتراكي. وكان العمل يتم بسرية تامة بدون أي إعلان، الأمر الذي دفع حكومة الجنوب بقيادة علي سالم البيض باتهام حكومة الشمال آنذاك بأنها هي التي تقوم بتنفيذ تلك الاغتيالات، فساءت العلاقة بينهما إلى درجة شديدة جداً، وكانت هذه الاغتيالات أحد أهم الأسباب التي دفعت حكومة الجنوب إلى اتخاذ قرار الانفصال عن الشمال، وكان هذا القرار بمثابة الصاعق الذي أشعل فتيل الحرب الشاملة في ٢٠ مايو ١٩٩٤م بين شطري اليمن الجنوبي والشمالي.

وبجانب موجة الاغتيالات التي نفّذها الشباب والتي أدّت إلى تفاقم الأوضاع في الجنوب، كذلك كان المخطط له أن تشتعل عدة جبهات جهادية في عدّة محافظات في آن واحد. فكان من المفترض أن تكون هناك ثورة جهادية بقيادة الشيخ أبي مهدي العولقي تنطلق من وادي يشبُم في محافظة شبوة، وثورة أخرى بقيادة الشيخ طارق الفضلي تنطلق من جبال المراقشة في محافظة أبين، غير أن الرياح لم تجرِ بما تشتهيه السفن، فقبل أن تكتمل استعدادات وتجهيزات الإخوة للمواجهة حدث أن اشتبك بعض

١) في كتابه Saudi Arabia: the Coming storm p.130 (العربية السعودية: العاصفة القادمة صفحة١٣٠) ذكر الكاتب بيتر ولسون أنّه في الفترة ما بين ١٩٩١ – ١٩٩٣م تم اغتيال ١٥٨ سياسي من جنوب اليمن.

المجاهدين المهرّبين للسلاح مع نقطة تفتيش للاشتراكيين بالقرب من وادي يشبُم، وعلى إثر ذلك تأزم الوضع، وصعد المجاهدون المتواجدين في وادي يشبُم إلى أعالي الجبال في كور العوالق، وكان عددهم يقارب المئة، وحاصر الحزب الاشتراكي منطقة الصعيد من كل الاتجاهات، ونصب عليها المدافع وراجمات الصواريخ والدبّابات، وكان على وشك أن يحرق المنطقة بما فيها لولا لطف الله.

وكان الرئيس اليمني علي عبد الله صالح يخشى أن تتفاقم الأمور وتصبح خارج السيطرة، فكون لجنة من وزارة الدفاع إضافة إلى بعض الوسطاء والوجهاء من العوالق لتهدئة الأمور، وبعد التشاور كان الإخوة قد أدركوا أنهم سيخوضون معركة خاسرة، وخاصة بعد أن علموا أنهم قد أصبحوا الوحيدين أمام فوّهات مدافع الشيوعيين، وذلك بعد احتجاز الشيخ طارق الفضلي بخدعة غادرة بعد أن نزل في وجه الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر، واقتيد بعدها للأمن السياسي. وكانت تلك اللجنة قد اتفقت مع الشباب في كور العوالق على نزولهم من الجبال، ودفن أسلحتهم الثقيلة، وخروجهم معززين مكرّمين بأسلحتهم الشخصية إلى منطقة مارب في الشمال. وخوفاً من أن يكون هناك أي تآمر للغدر، وضماناً لسلامتهم اشترط الشباب بأن تخرج معهم من المنطقة لجنة وزارة الدفاع، وبالفعل تمّ لهم ذلك وخرج الشباب في موكب مهيب من السيارات حتى وصلوا مارب، ومن هناك بدأوا في ترتيب صفوفهم وأوراقهم من جديد.

وعندما اشتعلت الحرب بين الشمال والجنوب في صيف ١٩٩٤م، كان الشيخ أسامة -كما فعل كافة الإسلاميين في الشمال بناءً على توجيهات الشيخ عبد المجيد الزنداني- قد وجّه الإخوة الجهاديين في اليمن الذين عادوا من أفغانستان بالمشاركة في المعركة دفعاً لصيال الشيوعيين في الجنوب الذي لا يشترط له شرط. وبالفعل لعب المجاهدون من الجهاديين والإسلاميين دوراً فاعلاً في تلك الحرب، وسرعان ما انهارت مقاومة الجنوبيين في عجلة لم تسمح بالتدخل الدولي، ولم يستطع نظام آل سعود ودول مجلس التعاون الخليجي إنقاذ الشيوعيين في اليمن الجنوبي.

جدير بالذكر أن نظام آل سعود كان قد شكّل في عهد الملك فيصل جيشاً من اليمنيين الفارّين من بطش النظام الشيوعي في الجنوب يقال له "جيش السلام"، الهدف منه محاربة النظام الماركسي في اليمن الجنوبي، لكنهم ما لبثوا أن قلبوا ظهر المجن لعلي عبد الله صالح نكاية فيه بعد وقوفه مع صدّام حسين في قضية الكويت. فلما اشتعلت الحرب بين الشمال والجنوب اتفق آل سعود مع علي سالم البيض على دعمه لوجستياً وعسكرياً مقابل موافقته على مرور أنبوب النفط السعودي عبر ميناء الضبّة، وبناءً على هذا الاتفاق وجّه آل سعود جيش السلام للقتال في صف الاشتراكيين ضد علي عبد الله صالح، غير أنه سرعان ما انهارت مقاومة الاشتراكيين، ولم يستطع نظام آل سعود إنقاذ الشيوعيين في اليمن الجنوبي.

وبفضل الله ثم بجهود المجاهدين -الذين كانوا بمثابة الفتيل الذي أشعل هذه الحرب- اندفع الحزب الاشتراكي الشيوعي الذي طبق مبادئ الشيوعية بالحرف الواحد أكثر من الروس أنفسهم، حيث حارب الدين والملة، وقتل وسحل العلماء في الطرقات، ونشر الفساد والإلحاد في بنات وشباب المسلمين. فيا فلاح وجوه أولئك الفتية الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، إذ بجهادهم رفرفت أعلام الحرية، وتنفس الناس الصعداء، وصدعت المساجد بالأذان وامتلأت بالرّكع السجّد، وانتشرت معاهد العلم، ودور تحفيظ القرآن، فكانت صحوة انتشر فيها الخير بين الناس فلله الحمد والمنة.



وبناءً على تلك الصحوة الإسلامية التي عمّت ربوع اليمن كانت استراتيجية القاعدة في تلك الفترة عدم القيام بأي نشاط عسكري ضد حكومة علي عبد الله صالح، وجعل اليمن هادئاً ومعبراً وملاذاً آمناً لكل المستضعفين من الإسلاميين والجهاديين الهاربين من بطش حكوماتهم. وبالطبع لم يقصد الشيخ أسامة من وراء تلك التهدئة تعطيل الجهاد في اليمن بناءً على مصالح موهومة كما زعم البعض، بل كان -رحمه الله- يهدف ويطمح من وراء ذلك إلى تحقيق مصلحةٍ أكبر، وهي حشد الطاقات والتأييد الكافي في أوساط الدعاة وعامة المسلمين في اليمن لمفهوم للجهاد لا يختلف فيه اثنان، ولا -كما يقولون- ينتطح فيه عنزان. فالشيخ أسامة لم يُرد أن يكون مفهوم الجهاد متعذّر القبول عند عامة المسلمين، ولم يُرد أن يكون المجاهدون فئة معزولة في أوساط الناس، ولم يُرد أن يكون خروج الشباب وأهدافهم متّسماً بالعفوية والعاطفية من أجل تحقيق مطالب جزئية كالإفراج عن بعض السجناء[١].

باختصار شديد، لقد أراد الشيخ أسامة رحمه الله جمع الناس -وخاصة المجاهدين- على كلمة سواء، ورؤية واضحة، وهدف أشمل وأعمق وأدق للجهاد في سبيل الله، وهو التوجّه والتركيز على قتال الصليبيين المحتلّين لمقدّسات المسلمين في بلاد الحرمين بقيادة أمريكا. لقد أراد الشيخ أسامة الاستفادة من تهدئة الأوضاع في اليمن لأنه كان يدرك أن اليمن وأهلها هم رأس حربة أهل الإسلام في جزيرة العرب، وأنها هي القلعة الحصينة التي يمكن الانطلاق منها لقتال الأمريكيين، إضافة إلى أن اليمن مستودع كبير للسلاح الذي يمكن تهريبه بسهولة إلى بلاد الحرمين.

ولعل أكبر دليل على صحّة ما نقول هو أنّ أول العمليات المتزامنة التي نفّذتها القاعدة على أهداف أمريكية في ٢٩ ديسمبر ١٩٩٢م كانت في اليمن، وهي محاولة تفجير فندقي جولد مور وفندق عدن موفنبيك في عدن، بالتزامن مع قصف مطار عدن بالصواريخ، حيث كان العشرات من جنود مشاة البحرية الأمريكية -مهمتهم تقديم الدعم للعمليات في الصومال- مخيّمين في هذه الأماكن.

وكان الذي تولّى محاولة تفجير فندق عدن موفنبيك هو جمال النهدي، ونتيجة لحدوث خطأ ما انفجرت العبوة أثناء حمله لها مما أدت إلى بتر يده من العضد. وكان ذلك الحدث بمثابة رسالة للأمريكيين لم تمض على إثرها أربعة وعشرون ساعة حتى حزموا حقائبهم وأمتعتهم وخرجوا من الفنادق، واستقروا في سفنهم داخل البحر. أما جمال النهدي فكان قد أُسر، وأُسر معه كذلك مجموعة من خمسة إخوة، لكن بفضل الله، استطاعوا الهروب من السجن، وتمكنوا من الدخول تهريباً إلى بلاد الحرمين، ومن هناك دُبّرت لهم جوازات يمنية ثم توجهوا إلى السودان، واستقروا هناك ما يقارب السنة، ولما بدأت الحرب بين الشمال والجنوب عام ١٩٩٤م، عاد هؤلاء الإخوة مرة أخرى ليشاركوا إخوانهم في دفع صيال الاشتراكيين.

وبعد انتهاء الحرب كان نظام علي عبد الله صالح قد عرض على كثير من الإخوة المجاهدين الذين شاركوا في الحرب المناصب والرتب لينخرطوا في الجيش والأمن السياسي بحجة الدخول في هذه الأجهزة ومحاولة إصلاحها من الداخل، وكان هؤلاء الإخوة قد استفتوا بعض مشايخ العلم في هذا الأمر وأشار عليهم هؤلاء المشايخ بقبول العرض بنية الإصلاح. وبالفعل نجح الهالك علي عبد الله صالح في استمالة قلوب بعض من هؤلاء الإخوة إلى حزب المؤتمر الحاكم، وشراء ذممهم بالمال والمناصب، فصاروا بعد ذلك من أولياء الطواغيت، نسأل الله العافية والثبات.

---

١) بعض العبارات مقتبسة من مقالٍ بعنوان: "مسؤولية أهل اليمن تجاه مقدسات المسلمين وثرواتهم" للشيخ أبي مصعب السوري.

٥- عملية اغتيال الرئيس المصري مبارك في أديس أبابا بأثيوبيا في يونيو ١٩٩٥م:

كان هناك تعاوناً وثيقاً في التخطيط والتمويل والتجهيز بين القاعدة والجماعة الإسلامية فيما يخص محاولة اغتيال الرئيس المصري السابق الهالك حسني مبارك في أديس أبابا في يونيو عام ١٩٩٥م، فقد كان الشيخ أبو عبيدة البنشيري يتابع خطواتها خطوة بخطوة.

وكان أبطال الجماعة الإسلامية المصرية بقيادة أمير المجموعة الشيخ مصطفى حمزة (أبو حازم)، وأحمد عبد الله منفذ عملية دار السلام، وآخرين من الذين قاموا بالتنفيذ قد رابطوا في أديس أبابا حوالي السنتين، يخططون ويجهزون للعملية التي كان توقيتها انعقاد مؤتمر القمة الأفريقية بأديس أبابا، وكان هؤلاء الإخوة قد فشلوا في توفير الأسلحة التي يحتاجونها من بنادق كلاشنكوف وقاذف صاروخي آر بي جي من نفس البلد، فوعدهم الشيخ أسامة بتوفيرها.

وبطريقة ما دبّر الإخوة بعض بنادق الكلاشنكوف مع قاذف آر بي جي، وانتدب الشيخ أسامة لهذه المهمة الأخ أبا طلحة السوداني للسفر إلى أديس أبابا، ليقوم باستلام السلاح من شخص ما في مكان ما، وبالفعل قام الأخ أبو طلحة -رحمه الله- بالمهمة على أكمل وجه، وتم توصيل السلاح للإخوة المنفذين.

وكان الشيخ أسامة قد كلفني بالسفر إلى أديس أبابا لتوصيل مبلغاً من المال إلى إخوةٍ هناك، وكان قد زوّدني برقم تليفون وصورة فوتوغرافية للأخ الذي سيستلم مني المبلغ. وحينها لم أكن على علم بطبيعة عمل هؤلاء الإخوة، وكانت مهمتي فقط إيصال المبلغ والعودة بأقرب طائرة. وبالفعل قابلت صاحب الصورة في مكان ما بعد الاتصال به، وكان يصحبه أمير المجموعة المنفذة الشيخ مصطفى حمزة فك الله أسرهما. ويشاء الله بعد فشل العملية أن يقع هذا الأخ صاحب الصورة في الأسر.

وكانت خطة العملية هي الاشتباك ببنادق الكلاشنكوف مع سيارة مبارك، وعندما تحاول سيارة مبارك الفرار منطلقةً إلى الأمام كما هو متوقّع، كان من المفترض أن يتمّ تفجير السيارة بعبوّة ناسفة ثمّ ضربها بعد ذلك بقاذف ال آر بي جي.

ومن مكان مشرف على المطار، كان هناك أخ يرصد حركة مبارك منذ نزوله من الطائرة وركوبه في سيارته، وحركة موكبه بعد خروجه من المطار، وكان على اتصال بالإخوة المهاجمين. وحتى لا يلفت الإخوة المهاجمون إليهم أنظار جنود الاستخبارات الإثيوبيين المنتشرين في الشارع الرئيسي، كانوا متواجدين في سيارة في شارع خلفي يبعد قليلاً من النقطة التي من المفترض أن تُضرب فيها سيارة مبارك، لكن يشاء الله أن لا تسير الأمور كما خُطط لها، ففي اللحظة التي من المفترض أن ينطلق فيها المهاجمون لاعتراض سيارة مبارك لم تعمل سيارتهم، رغم أنها كانت جديدة اشتروها خصيصاً حتى لا تكون هناك أي فرضية لأي عطل، وحتى تتيح لهم سرعة الحركة ويصلوا إلى نقطة الهجوم في نفس اللحظة التي تصل فيها سيارة مبارك. وهنا لم يكن للإخوة أي خيار سوى حمل أسلحتهم والركض بها حتى الشارع العام، مما أدى إلى انكشافهم لقوات الأمن الإثيوبيين، فاشتبكوا معهم واشتبكوا أيضاً مع حراسة مبارك فقتلوا منهم، وقُتل أيضاً بعض الإخوة المهاجمين وأُسر آخر. وكان مبارك قد اصطحب معه سيارته الخاصّة المصفّحة التي لا يؤثّر فيها الرصاص، وبدلاً من أن تنطلق السيارة إلى الأمام مكملة طريقها إلى المؤتمر كما هو متوقّع ليتمّ نسفها بالعبوة المتفجّرة، دارت من فورها سريعاً إلى المطار،

وشاءت إرادة الله كذلك أن لا تنطلق قذيفة ال آر بي جي، وهكذا ولحكمة يعلمها سبحانه وتعالى ما كان لنفسٍ أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً، ففرّ مبارك ناجياً بجلده وعاد أدراجه إلى بلده.

وبالرغم من أن الله سبحانه وتعالى لم يكتب النجاح لهذه العملية الانغماسية الجريئة، إلا أنه سبحانه كتب النجاة لعدد من المنفذين لها بعد تمكنهم من دخول السودان من حدوده البرية، وكان من بينهم قائد العملية وأحمد عبد الله منفذ عملية دار السلام، لكنهم لم يلبثوا كثيراً حيث دبروا لهم أوراقاً مكّنتهم من السفر إلى إيران ومنها إلى أفغانستان.

وكان المصريون قد علموا أن هؤلاء الإخوة دخلوا السودان، واتهموا زوراً حكومة البشير بإيوائهم وطالبوا عن طريق مجلس الأمن بتسليمهم، فأنكرت الحكومة بشدّة أي تورط لها بالعملية أو أي علم لها عن تواجد أولئك الشباب بأراضيها. وآنذاك كانت مصر ورئيسها مبارك يشكلون هاجساً وضغطاً كبيراً على السودان بسبب دعمه للمعارضة السودانية بشقّيها السياسي والمسلح نتيجة لفتح السودان أراضيه للجهاديين المصريين الذين كانوا ينطلقون منه لتنفيذ عملياتهم في مصر، وبسبب ذلك تأزمت الأوضاع بين مصر والسودان، وجاءت هذه العملية لتزيد الطين بلّاً وكادت أن تؤدي إلى حرب بين البلدين.

وكان مجلس الأمن قد أمهل السودان ثلاثة أيام لتسليم هؤلاء الرجال، أو يتخذ ضده قراراً تحت البند السابع كان سيشكّل عليه مزيداً من الضغوط. فما كان من هؤلاء الإخوة إلا أن أدلوا بتصريح إعلامي ينكرون فيه تواجدهم في السودان، وأنهم متواجدون في أفغانستان، ففوتوا بذلك الفرصة على مجلس الأمن الذي أسقط في يده.

٦- أحداث الشيشان:

بعد هزيمة الاتحاد السوفييتي في أفغانستان وانسحابه منها في فبراير عام ١٩٨٩م، أعلنت كثير من الجمهوريات الإسلامية وغير الإسلامية التي كانت تحت حكمه -كطاجكستان وأوزبكستان وأذربيجان وأوكرانيا وروسيا البيضاء وغيرها- استقلالها وانفصالها منه، كذلك سارعت الشيشان للحاق بالركب، فأعلنت بقيادة الجنرال جوهر دوداييف، استقلالها في ٢٧ أكتوبر عام ١٩٩١م.

وتعتبر الشيشان جمهورية صغيرة جداً مساحتها حوالي ٢٠.٠٠٠ كم٢ فقط، لكن لأهميتها الاستراتيجية لدى الروس، لم يكن الأمر كما يشتهيه الشيشانيون، فالشيشان تتوسط إقليم القوقاز، ومن المقترح أن يمر بأراضيها خط أنابيب تصدير نفط بحر قزوين إلى البحر الأسود، ثم أنها غنية بالنفط الذي يستعمل في وقود الطائرات، حيث ٩٠% من وقود طائرات روسيا كان من الشيشان، إضافة إلى أنها لو استقلت ووافق الروس على ذلك، فإن ذلك سيفتح الباب على مصراعيه لكثير من الأقليات داخل العمق الروسي -تتار ستان مثلاً- للمطالبة باستقلالها، لهذه الأسباب وغيرها أرسلت روسيا قوة صغيرة لاستعادة الشيشان، فقام الشيشانيون بسحقها وإبادتها، فاضطر الروس إلى السكوت وغض الطرف قليلاً عنها، لأنهم كانوا في وضع لا يحسدون عليه من التدهور الاقتصادي. ويكفي أن نضرب مثالاً لذلك لنعلم حجم الدمار والهاوية الاقتصادية التي سقطت فيها روسيا بدخولها أفغانستان عرين الأسود، فقد كان الروبل الروسي يساوي أكثر من دولار عندما دخل الاتحاد السوفييتي أفغانستان في ديسمبر ٧٩، وفي يوليو ١٩٩٦م كان الدولار يساوي ٥٠٠٠ روبل.

وفي ديسمبر ١٩٩٤م عاود الروس محاولة غزو الشيشان مرة أخرى، فأرسلوا قوات كبيرة جداً استطاعت ولكن بعد خسائر فادحة[١] احتلال العاصمة جروزني والمدن الأخرى مثل قُدُرمس وأُرجون وغيرها، ونشر الروس قواتهم في كافة أرجاء الشيشان في قمم الجبال والقرى، وسيطروا على كل الطرق، ولم يكن للمجاهدين ملجأ بعد الله سبحانه وتعالى سوى الغابات والجبال.

وجاءت أسود الله في أرضه من كل مكان لتحقق معنى الجسد الواحد للأمة الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى. فجاء خطاب ومجموعته كاملة، حكيم ويعقوب وأبو الوليد الغامدي وأبو بكر عقيدة وأبو جعفر اليمني –رحمهم الله جميعاً– ومن لحق بهم من الإخوة العرب، وكانوا آنذاك حوالي ثلاثين أخاً عربياً، وغيرهم الكثير من الإخوة الشيشانيين والداغستانيين وبعض الأتراك.

وكان هناك أيضاً الشيخ أبو سياف (فتحي محمد حبيب) رحمه الله، الأردني الشيشاني الأصل، والمهندس الإلكتروني الذي كان يدير الورشة الإلكترونية في بابي ببيشاور، وهو من قدامى المجاهدين في أفغانستان. وكان هذا الشيخ الجليل بعد خروجه من باكستان مع بدايات عام ١٩٩٢م قد مر بالسودان وكان مقيماً في مضافة الشيخ أسامة، وأراد بعدها السفر إلى الأردن لكنه مُنع من دخولها فيمم شطر بلده الأصلي الشيشان وألقى رحاله فيها، وفتح الله على يديه هناك فتحاً كبيراً، فأسس الجماعة الإسلامية التي لعبت دوراً كبيراً في جهاد الروس بعد ذلك.

وكان الشيخ فتحي قد طلب من الشيخ أسامة أن يمده ببعض المدربين، فانتدب الشيخ أسامة لهذه المهمة –بعد رجوعهم من الصومال– خمسة من خيرة الإخوة المدربين الأكْفَاء، هم أبو إسلام المصري، والدكتور حمدي (أبو عبيدة)، وأبو صهيب الصعيدي، وسعدوف، ومحمود، كلهم من أرض الكنانة رحمهم الله جميعاً، وبفضل الله تمكن هؤلاء الإخوة من دخول الشيشان في أغسطس ١٩٩٥م[٢].

وكان الإخوة المدربين –بعد سفرهم إلى الشّيشان– قد بحثوا عن مكان مناسب للتدريب، فتعذر عليهم ذلك بسبب انتشار الروس في كل مكان، مما اضطرهم أخيراً أن يلجؤوا إلى مكان في الجبال الحدودية مع جورجيا كان شديد البرودة والرطوبة فلم يمكثوا فيه كثيراً، ولجأوا أخيراً لتدريب الشباب الشيشانيين في القرى المهجورة من سكانها نتيجة لقصف الروس.

ولم يلبث الدكتور أبو عبيدة وأبو صهيب كثيراً في الشيشان، فقتلوا في كمين نصبه لهم الروس، ولحق بهم فيما بعد أبو إسلام فقتل أيضاً، ثم ما لبث محمود أن رجع إلى أفغانستان عام ٩٧م، ثم قتل بعد أحداث ٩/١١ مع الشيخ أبي حفص الكمندان. وكان سعدوف قد أُسر في داغستان أثناء رحلة خروجه متوجهاً إلى أذربيجان، فمكث في سجن عاصمة داغستان ستة أشهر ثم أطلق سراحه، وواصل بعدها الطريق إلى أفغانستان، ثم قتل فيما بعد في وزير ستان، نسأل الله الكريم أن يتقبلهم جميعاً في الشهداء.

---

١) حدّثني أخٌ روسي، كان معنا في مجموعة خطّاب، بأن قتلى الروس في الليلة الأولى لاقتحام جروزني بلغ أربعة آلاف. وكان هذا الأخ قد أُسر في معارك جروزني الأولى، وأسلم على أيدي الشيشانيين، وسّلم للخطاب ليتعلم من العرب دينه، وسمّى نفسه عبد الله، واستشهد فيما بعد، رحمه الله. ومصداقاً لهذا الكلام كان إلكزاندر ليبد سكرتير الأمن القومي الروسي آنذاك، قد صرّح للإعلام بأن قتلاهم في الحرب الأولى بلغ تسعين ألفاً. وجدير بالذكر أن الحرب الأولى كانت قد بدأت في ديسمبر ١٩٩٤م وانتهت بانسحاب الروس من الشيشان في أغسطس ١٩٩٦م.

٢) في الطبعة الأولى للكتاب ذكرت خطأً أن الإخوة دخلوا الشيشان في أغسطس ١٩٩٦م، والصحيح أن دخولهم كان في أغسطس ١٩٩٥م.

خروج الشيخ أسامة من السودان وقصة جمال الفضل:

للوقوف على تفاصيل قصة خروج الشيخ أسامة -رحمه الله- من السودان، لابد لنا من الوقوف على خلفية الرجل الذي باع نفسه ودينه للشيطان؛ أمريكا، وكان سبباً رئيسياً مباشراً في هذا الأمر. فقد كان المدعو جمال أحمد محمد الفضل "سوداني الجنسية"، وكنيته أبو بكر السوداني، من خيار الإخوة السابقين إلى أرض الجهاد في أفغانستان بعد أن نفر أليها من أمريكا عام ١٩٨٨م حيث كان يعمل هناك. ولم يكن جمال الفضل يوماً ما مثار شك عند الإخوة، وعندما غادر الشيخ أسامة إلى السودان عام ١٩٩١م كان جمال الفضل من أول المغادرين إلى هناك ليكون قريباً من الشيخ أسامة فقد كان يستعين به في قضاء كثير من الأمور.

وعندما تأسست شركة طابا التجارية في بدايات عام ١٩٩٢م كان جمال الفضل هو المدير التجاري للشركة، وكان العبد الفقير محاسباً في نفس الشركة. ورغم أن جمال الفضل كان من عائلة ميسورة الحال، إلّا أنه كان من خلال هامش الأسعار المخوّل له في البيع يشترط سرّاً على الزبائن المتعاملين مع الشركة دفع عمولة معينة لصالحه مقابل تخفيض سعر السلعة لهم. وبناءً على هذا التلاعب جمع جمال الفضل أموالاً كثيرة مكنته من شراء بيتٍ وسيارةٍ وبناء مصنع صغير للزيوت.

علمت الشركة بموضوع العمولات من أحد الزبائن أثناء عام ١٩٩٢م، ورغم ذلك لم تقم الشركة باتهام جمال الفضل أو فتح بلاغٍ ضدّه في دوائر الشرطة، أو حتّى مسائلته ومحاسبته إدارياً على هذا الادّعاء، بل ظلّ جمال في عمله حتّى قدم عام ١٩٩٣م استقالته طواعيةً من الشركة، وذهب يشق طريقه بنفسه.

وبطريقة ما فيما بعد، وبالتعاون مع أحد مدراء البنوك استطاع جمال الفضل أن يحصل على قرضٍ حسن قيمته ٤٠٠ مليون جنيه سوداني، تعادل في تلك الأيام حوالي ٢٠٠,٠٠٠ دولار وربما أكثر. وبحكم خبرته في صناعة الزيوت اشترى جمال كميات كبيرة من الفول السوداني، ليقوم بعصرها واستخراج الزيوت منها في مصنعه، ثم بيعها في السوق المحلي. وقام جمال بتخزين هذه الكمية الكبيرة من الفول في مخزن مكشوف، وشاءت إرادة المولى الذي يُمهل ولا يَهمل أن هطلت أمطارٌ غزيرة على الفول بخّرت أحلامه في الهواء.

أدرك جمال الفضل حجم الكارثة التي ألمت به ففرّ هارباً خارج البلاد في فبراير ١٩٩٥م، فذهب إلى سوريا والأردن ويقال أريتريا والسعودية، المهم أنه تجول هنا وهناك حتى نفد جيبه وأُسقط في يده، فقرر أن يستثمر ما لديه من معلومات، ولم يجد ملجأً من الله إلّا إلى الشيطان الأكبر أمريكا والعياذ بالله، فلجأ إلى سفارتها في إحدى هذه الدول، وقدم لهم نفسه على أنه عضو في تنظيم القاعدة، وأنه من المقربين جداً من أميرها الشيخ أسامة بن لادن، وأن لديه كنز من المعلومات، وأن الشيخ أسامة وتنظيمه القاعدة هم الذين كانوا يقاتلونهم في الصومال، ويستهدفون مصالحهم في شرق أفريقيا، وأن القاعدة هي المسئولة عن التفجيرات التي استهدفت الأمريكيين المتواجدين في اليمن عام ١٩٩٢م، وأخبرهم كذلك عن اهتمام الشيخ أسامة بالحصول على أسلحة نووية وكيميائية و...و...و الخ.

وكان الأمريكان قد أجروا تحقيقاً أولياً مع جمال الفضل ووجدوا فعلاً أن الرجل كما يقول، يملك كنزاً من المعلومات، فطاروا به مباشرة إلى نيويورك، وأدخلوه تحت برنامج حماية الشهود [WPB]، وأصبح مصدراً رئيسياً للمعلومات، وشاهداً في المحاكم على كلّ من يعرفه من الإخوة الأسرى بيد الأمريكان.

ولم يكن الأمريكان -قبل تسليم جمال الفضل نفسه إليهم- يملكون من المعلومات عن نشاط القاعدة وعن الشيخ أسامة بن لادن إلا النزر اليسير جداً، وهذا باعترافهم أنفسهم، فقدم لهم هذا المخذول على طبق من ذهب كمّاً هائلاً من المعلومات عن نشاط القاعدة بشقيه العسكري والاقتصادي، بدءاً من نشأتها في أفغانستان، ومروراً بنشاطها في السودان، وكينيا والصومال والشيشان واليمن والجزائر وشرق أفريقيا وبلاد الحرمين ومصر وأديس أبابا والبوسنة، إضافة إلى إفادته عن القاعدة ورجالها وغيرهم من المجاهدين، الذين كان الخبيث سبباً مباشراً في أسر بعضهم، منهم الشيخ أبو هاجر العراقي، فك الله أسره. كذلك قدم لهم جمال الفضل معلومات قيمة عن الجماعات الجهادية الأخرى المتواجدة في السودان وخاصة جماعة الجهاد المصرية؛ نشاطها الاستثماري الاقتصادي، والعسكري كشراء السلاح من السودان، وتهريبه عبر الصحراء بالجمال إلى مصر، وحركة أفرادها جيئةً وذهاباً من مصر إلى السودان ثم أفغانستان وبالعكس، وكذلك الجماعة الإسلامية المصرية والجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا ... الخ.

وعن أهميّة المعلومات التي قدّمها جمال الفضل، قال دان كولمان أحد عملاء الوكالة: **"أن الفضل قدم لهم معلومات قيمة ساعدتهم في فهم عمل وتكتيكات القاعدة في الوقت الذي كانت تعاني فيه السلطات الأمريكية من جهل مطبق عن ماهية تنظيم القاعدة"**[١] **ا.هـ**

وقالت عنه البروفيسور جاسيكا استين المختصة في شؤون الارهاب بجامعة هارفارد: **"إن الفضل قدم في شهادته التي ادلى بها في محكمة مانهاتن معلومات قيمة عن الارهاب اصبحت جزءاً من السجل العام. وقالت لقد شرح لنا الفضل طبيعة العدو في الوقت الذي لم نكن نعلم عنه شيئاً، وشبه التنظيم بمؤسسة بيروقراطية يديرها بن لادن في موقعٍ أشبه بالمدير التنفيذي للشركات، ويقوم عليه مجلس شورى وهو يشبه مجلس الأمناء"**[٢] **ا.هـ**

ويقول عنه المحققون الذين أشرفوا عليه، وهم الآن في المعاش، **أنه أشبه ما يكون في التاريخ الأمريكي بجوزيف فلاشي الذي أنسلخ عن المافيا وأعترف لأول مرة بنشاطاتها الإجرامية عام ١٩٦٢م وقدم للشرطة معلومات حيوية أدت الى القضاء على الشبكة الشهيرة التي أقلقت الحياة المدنية والسلام الاجتماعي في الولايات المتحدة"**[٣] **ا.هـ**



جمال أحمد محمد الفضل



جوزيف فلاشي، عضو مافيا سابق

---

١) نقلاً عن مقال من موقع سودانايل بعنوان "السيرة الخفيّة للسوداني جمال الفضل" للكاتب خالد موسى دفع الله.

٢) المصدر السابق.

٣) المصدر السابق.

ورغم أن كثيراً من هذه المعلومات التي قدمها هذا المخذول كانت مضخّمة وفيها كثيرٌ من الكذب، واكتشف الأمريكان هذه الحقيقة فيما بعد، إلا أنها كانت ذات مصداقية عالية لديهم، خاصة بعد عمليات شرق إفريقيا في نيروبي ودار السلام في أغسطس ١٩٩٨م.

وبموجب هذا الكم الهائل من المعلومات أنشأت أمريكا في يناير ١٩٩٦م وحدة متابعة بن لادن. كذلك كان جمال الفضل هو الشاهد الرئيسي رقم ١ ضد الإخوة الذين حوكموا في نيويورك عام ٢٠٠٠م بتهمة تفجير السفارات في نيروبي ودار السلام، وكان على رأسهم الشيخ أبو هاجر العراقي، والأخ وديع الحاج اللبناني وآخرون، أسأل الله الكريم أن يعجل بفكاك أسرهم. كذلك كان جمال الفضل هو المصدر الرئيسي للمعلومات التي على أساسها أصدرت أمريكا تقريرها الرسمي في أحداث الحادي عشر من سبتمبر، نسأل الله السلامة والعافية.

جدير بالذكر أنّه بعد تسليم جمال الفضل نفسه للأمريكيين بما يُقارب العام أو يزيد سلّم أيضاً أبا الفضل المكي (سيدي غازي مدني الطيّب) نفسه لحكومة بلده (نظام آل سعود). وكان أبو الفضل المكّي من أكثر الإخوة المقربين للشيخ أسامة، وكان الشيخ أسامة قد زوجه من ابنة أخته، وكان أبو الفضل على علم دقيق بكثيرٍ من التفاصيل الدقيقة لأنشطة التنظيم وخاصة السّرية، فلمّا عاد إلى "المملكة" تلقفته استخبارات نظام آل سعود، وبعد تحقيقات مطولة استخرجت منه أهم تفاصيل العمل وأكثرها خصوصية ودقة فيما يتعلق بنشاطات الشيخ أسامة والقاعدة، فأدلى بمعلومات حسّاسة عن أفراد وشركات وأعمال اقتصادية سرية كانت تعمل لحساب الشيخ أسامة، ثم حول نظام آل سعود ملف أبي الفضل المكّي إلى الاستخبارات الأمريكية، وكانت تلك أهم غنيمة معلوماتية تحصل عليها أمريكا عن القاعدة وأميرها الشيخ أسامة رحمه الله[1].

وكان من نتائج هذه المعلومات التي كشف سرّها جمال الفضل وأبو الفضل المكّي أن تم التضييق المباشر من أمريكا على السودان، وبناءً على ذلك بدأت حكومة البشير ترضخ وتستسلم للضغوط الأمريكية والإقليمية. وكان تقرير الكونجرس عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر قد **ذكر في صفحة ٦٣ أن تقارباً كان قد بدأ في فبراير ١٩٩٦م بين مسئولين سودانيين وأخرين من أمريكا ودول أخرى تساءل فيه السودانيون عن ما هي الأفعال التي يمكن تقديمها من طرفهم لتخفيف الضغط عليهم؟ وفي لقاءاتٍ سرية مع مسئولين سعوديين عرض السودانيون إمكانية طرد بن لادن إلى السعودية، وطلبوا من السعوديين العفو عنه، وعلمت أمريكا بهذه المحادثات السرية في مارس. ولما كان السعوديون قبل ذلك قد سحبوا جنسية بن لادن فقد رفضوا هذا العرض، وكانوا يحبذون إبعاده من السودان...ا.هـ**

وحتّى تمهّد الطريق لإبعاد الشيخ أسامة طلبت حكومة البشير من كل الإخوة الليبيين التابعين للقاعدة وللجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة مغادرة السودان، وكان الشيخ أسامة قد اجتمع بهؤلاء الإخوة الليبيين، وقال لهم فيما قال: "**يبدو أن الدور قادمٌ علينا**".

وبالفعل، صدق ما توقعه الشيخ أسامة -رحمه الله- ففي ذات ليلة جاء علي عثمان محمد طه -نائب الرئيس السوداني السابق عمر البشير- زائراً للشيخ في بيته، ليخبره بأنهم يتعرضون لضغوط

---

١) صليب في سماء قندهار. للشيخ أبي الوليد (مصطفى حامد) بتصرف.

مباشرة لا قبل لهم بها من أمريكا، يطلبون منهم إما تسليمه لهم أو لبلده، أو إبعاده من السودان، وأنهم لم يستجيبوا للأمريكيين بتسليمه، لكنهم رضخوا لهم بإبعاده.

وكانت المفاجأة التي لم يتوقعها الشيخ أسامة أن طلب منه نائب الرئيس أن يجهز نفسه للسفر غداً ليلاً إلى جلال أباد في أفغانستان، وقال له بأنهم قد رتبوا له كل شيء هناك مع بعض قادة الجهاد الذين كان على رأسهم المولوي الشيخ يونس خالص رحمه الله. ولم يكن الشيخ أسامة على علم بأي خطوة من هذه الترتيبات، وطلب من نائب الرئيس أن يمهله أُسبوعاً واحداً يرتب فيه الأمور، ويقوم بزيارة أخيرة إلى المشاريع الزراعية في منطقة القاش، إلّا أنّ نائب الرئيس اعتذر بشدة وأصرّ على أن يكون السفر غداً ليلاً.



علي عثمان محمد طه

وشاء الله –نسبة لتأخر وصول إذن مرور الطائرة بالطيران فوق أجواء بلاد الحرمين– أن تتأخر الرحلة يوماً آخر. وشاء الله أيضاً أن تكون تلك الليلة الأخيرة التي غادر فيها الشيخ أسامة السودان هي أول ليلة من السنة الهجرية لعام ١٤١٧هـ الموافق ١٨مايو ١٩٩٦م، فاستبشر الشيخ أسامة كثيراً لهذا التوافق القدري الذي لم يكن محسوباً له أي حساب.

رافق الشيخ أسامة في الطائرة الرئاسية الصغيرة ذات الثمانية ركاب التابعة للقصر الجمهوري كلٌ من الشيخ أبي حفص الكمندان، والشيخ أبي الوليد المصري (مصطفى حامد)، والشيخ أبي محمد المصري، والأخ حمزة الزبير، والشيخ عبد الرحيم اليمني (أبو عمر الأنصاري سابقاً)، والأخ خالد الحبيب، والأخ أبي اليسر التونسي، إضافة إلى عُمر بن الشيخ أسامة، واثنين من جهاز الأمن السوداني. توقفت الطائرة في مدينة شيراز في إيران للتزود بالوقود[١]، ثم أقلعت لتحط رحالها في جلال أباد عاصمة ننجرهار بعد خمس سنوات كاملة بحلوها ومرها قضاها الشيخ أسامة وإخوانه في السودان.

وكانت عملية سفر الشيخ أسامة أمراً في غاية السرية، لم يخبر به الشيخ إلّا عدداً محدوداً من الإخوة، إضافة إلى أولئك الذين اختارهم لمرافقته. ولم يكن الشيخ أسامة هو المقصود فقط من عملية الإبعاد من السودان، بل كان المقصود هو إبعاد تنظيم القاعدة بجميع أفراده رجالاً ونساءً. وكان الشيخ أسامة قد كلّف الشيخ سيف العدل –حفظه الله– بأن يكون هو المسؤول عن ترتيب سفر بقية الإخوة. وبالفعل بعد مغادرة الشيخ أسامة أُبلغ بقية الإخوة بالأمر، وتم ترتيب سفرهم مع العائلات على دفعتين وكانوا فقط أربعةً وعشرين عائلة.

١) ليس صحيحاً البتّة ما تناولته بعض الوثائقيّات بأن طائرة الشيخ أسامة كانت قد نزلت في مطار دبي للتزوّد بالوقود، والصحيح أن إحدى الطائرتين اللتين أقلّتا بقية الإخوة من السودان بعد ذلك، هي من تزودت بالوقود من مطار دبي.



بعد أن غادر الشيخ أسامة تم التضييق على كل الجماعات الجهادية المتواجدة في السودان، وطُلب منها المغادرة، فخرجت جماعة الجهاد، وخرج أميرها آنذاك الشيخ الدكتور أيمن الظواهري يرافقه اثنان من أفراد الجماعة -هما الشيخ أبو الفرج المصري (أحمد سلامة مبروك) والشيخ هشام الحناوي رحمهما الله- متوجهين للشّيشان، فوقعوا أسرى في داغستان، ومكثوا حوالي الستة أشهر في السجن، دون أن يُعرفوا حتى أُطلق سراحهم بفضل الله، ثم بجهود بعض الإخوة، وكان أمامهم خياران إما أن يواصلوا المسير إلى الشيشان، أو العودة واللحاق بالإخوة في أفغانستان، فاختار الشيخ هشام الحناوي مواصلة طريقه إلى الشيشان، وقتل هناك رحمه الله، وجاء الشيخ الدكتور أيمن الظواهري مع الشيخ أبي الفرج إلى أفغانستان، والتقيا بالشيخ أسامة بن لادن، وبالشيخ أبي حفص الكمندان، وببقية الأحباب الذين فارقوهم منذ زمن. وبعد فترة قصيرة من التشاور أدرك الدكتور أيمن أن أفغانستان كانت وما زالت قلعة الإسلام، واستطاع الشيخ أسامة أن يقنعه بالإقامة في أفغانستان.

كذلك بسبب إجبار الحكومة السودانية لهم بالمغادرة تضرر كثيرٌ من المجاهدين، وتعرضوا للأسر هنا وهناك، فعلى سبيل المثال لا الحصر، أُسر في ألمانيا -بناءً على معلومات جمال الفضل- الشيخ الجليل قارئ القرآن وصاحب الصوت الندي أبي هاجر العراقي، ثم سُلّم إلى أمريكا، فك الله أسره. وبدلاً من أن تكون بلاد المسلمين ملاذاً آمناً لكل خائفٍ ومستضعفٍ من المسلمين، اضطر بعض الإخوة -معرضين أنفسهم وأبناءهم للفتنة- باللجوء إلى ديار الكافرين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

جديرٌ بالذكر أن الشيخ أسامة رحمه الله كان قد استضاف في بيته على العشاء وفداً من قادة الجهاد الأفغاني الأول كان على رأسهم الشيخ جلال الدين حقّاني، والقائد سازنور، والقائد فضل الحق مجاهد، والقائد انجنير محمود -رحمهم الله جميعاً- وآخرين. وكان هؤلاء القادة في زيارةٍ للسودان في مارس ١٩٩٥م للمشاركة في مؤتمر كان قد نظّمه "المؤتمر الشعبي العربي الإسلامي" الذي كان يرأسه آنذاك حسن الترابي. وحسب روايات البعض كان هؤلاء القادة قد رحّبوا باستضافة الشيخ أسامة في أفغانستان في حال تم إبعاده من السودان.

عظات وعبر من قصة السودان، وقصّة تسليم جمال الفضل نفسه لأمريكا:

ولعل أعظم عظة وعبرة يمكن أن نستشفّها ونقف عليها ونستفيد منها من قصة جمال الفضل، ومن موقف حكومة البشير مع الشيخ أسامة والجماعات الجهادية هي: **ضرورة إخلاص النية، والصدق في التوجّه والتجرد لله عز وجل في القول والعمل، والتضحية والثبات حتى الممات على ثوابت الدين.**

يقول الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد في كتابه "زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه":

"فصلاح حركات العبد الظاهرة بحسب صلاح حركة قلبه وباطنه، فإن كان قلبُه سليماً ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله، وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه صلحت حركات جوارحه كلها، بخلاف ما إذا كان قلبه فاسداً قد استولى عليه حب الهوى، واتباع الشهوات، وتقديم حظوظ النفس، فإن من كان كذلك فسدت حركات جوارحه كلها. ولهذا يقال: القلب ملِك الأعضاء وبقية الأعضاء جنوده، وهم مع هذا جنود طائعون له، منبعثون في طاعته وتنفيذ أوامره لا يخالفونه في شيء من ذلك، فإن كان الملِك صالحاً كانت هذه الجنود صالحة، وإن كان

فاسداً كانت جنوده بهذه المشابهة فاسدة، ولا ينفع عند الله إلا القلب السليم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إلا مَنْ أَتَى اللهَّ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾" ا.هـ

ولعل خير مثال نسوقه على هذا الكلام من صفحات هذا الكتاب هي أن نعقد مقارنتين، الأولى بين ما آل إليه حال جمال الفضل، وبين ما آل إليه حال الإخوة في جماعة القاعدة. والمقارنة الثانية بين ما آلت إليه حكومة البشير، وما آلت إليه حكومة طالبان.

المقارنة الأولى:

كما مرّ علينا في قصّة جمال الفضل فقد حلّت عليه تداعيات عظيمة من جراء اِنتكاسته، وتغير نيته، وعدم احتساب الأجر من الله، والرضا بما قسمه له، فوقع في الحرام، واستدرجه الله شيئاً فشيئاً حتى ضاقت عليه الدنيا بما رحبت، ولم يجد ملجأً من الله إلا بيع نفسه ودينه للشيطان بثمن بخس، فوقع في الردّة والعياذ بالله، وكان ما كان من شأنه الذي ذكرناه، فبرئت منه ذمة الله وذمّة رسوله، وخسر الدنيا والآخرة اِلّا أن يتوب ويرجع إلى الله عزّ وجل.

وهذا الأمر مشاهد ومحسوس في كل من امتدت يده وخاضت بالحرام في أموال الجهاد والمجاهدين. فكم من مجاهدٍ كان من السابقين الأوّلين، ومن الذين ضحّوا وبذلوا لنصرة هذا الدين، ولكنه وللأسف الشديد بسبب خوضه في أموال الجهاد والمجاهدين عاقبه الله في الدنيا فأبعده من هذه النعمة العظيمة التي كان قد أكرمه بها، وهي الجهاد في سبيل الله ونصرة دينه، وأصبح في المقابل جندياً مخلصاً من جنود الصليب، وحذاءً من أحذية الطواغيت، نسأل الله العافية والثبات.

والشيء بالشيء يذكر، فمن الأمور التي كانت سبباً في انتكاسة بعض الإخوة السابقين في هذا الطريق هي الحرص على الشرف والتصدّر للقيادة، فبعض الإخوة لم يتجرّد لله من حظوظ نفسه، ولم يحتسب أن يكون سهماً في سبيل الله يرمى به الأمير حيثما رمى، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في السَّاقَة كان في السَّاقَة، فتجده راضياً إذا كان أميراً، وساخطاً متسخّطاً على كلّ شيء إن كان جندياً، وأمثال هؤلاء –وللأسف الشديد– يختمون حياتهم الجهادية، إمّا بالتجنيب عن العمل على نصرة هذا الدين، أو بالتسليم إلى الطواغيت، حيث ينتهي بهم المطاف بالوقوع في الردّة، والخوض في وحل العمالة، وذلك بموالاة ومظاهرة الطواغيت وأوليائهم الصليبيين على إخوانهم المجاهدين، كما حدث مع جمال الفضل وغيره. وصدق رسول الله ﷺ القائل في الحديث: ﴿مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ﴾.

وفي المقابل عندما كانت نية الإخوة في تنظيم القاعدة كلها لله، وفي سبيل الله –نحسبهم كذلك ولا نزكّي على الله أحداً– حتى تكون كلمة الله هي العليا، هيأ الله لهم عندما ضاقت بهم الأحوال في باكستان نفَساً في السودان، حسب ما ذُكر سابقاً. ومرة أخرى، هيأ الله لهم ما سبق ذكره من أحداث لتضيق عليهم الأمور في السودان، وتنفرج لهم أيما انفراجٍ في أفغانستان، لتبدأ معها مرحلة جديدة من مراحل التدافع بين الحق والباطل، مع رجالٍ نحسبهم صدقوا مع الله عز وجل، وعقدوا البيعة معه على هلكة أموالهم وقتل أشرافهم بأن ينصروا دينه، ويمنعوا المستضعفين من المؤمنين بإيوائهم والدفاع عنهم بأغلى ما يملكون.

المقارنة الثانية:

أما فيما يخصّ حكومة البشير، فمما يجدر ذكره في هذا الموطن أن نعقد مقارنة سريعة بين موقفها وموقف إمارة طالبان الإسلامية بالنسبة لقضية إيواء الشيخ أسامة ومن معه من المستضعفين. فبناءً على التوجّه الإسلامي الذي كانت حكومة البشير قد أعلنته -عندما ملئت الدنيا ضجيجاً وأقامتها ولم تقعدها، وكانت تردد كلّ شيء لله- كان من المفترض عليها -عندما رحّبت بقدوم الشيخ أسامة وتنظيم القاعدة وغيره من الجماعات الجهادية الأخرى إلى السودان- أن تكون نيّتها خالصة لوجه الله تعالى، ومبنية على أساس الولاء لأخوّة الإسلام والمسلمين، وليس بغرض استخدامهم حسب ما تقتضيه المصالح السياسية كورقة ضاغطة على حكوماتهم التي ناصبت حكومة البشير العداء.

وكانت العقوبة الربّانية لهذه النية المصلحية هي رضوخ حكومة البشير، وانكسارها واستسلامها أمام الضغوط الأمريكية التي كان من بينها -إضافة إلى التخلّي عن مشروعهم الإسلامي- إبعاد الشيخ أسامة من السودان. وكان أول تعليق أمريكي لهذا الأمر هو أن هذه خطوة أُولى في الطريق الصحيح. وبالطبع كانوا يقصدون أن هذه خطوة أُولى في طريقٍ طويلٍ من التنازلات يجب على حكومة البشير تقديمها. وبالفعل قدّمت حكومة البشير لأمريكا سيلاً من التنازلات أضاعت بسببها الدين والدنيا، وأوصلت حال البلاد إلى ما وصل إليه اليوم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن هذه التنازلات ما جاء في كتاب "البروج المشيّدة، القاعدة والطريق إلى ١١ سبتمبر" -للكاتب الأمريكي لورنس رايت- من أن وزير الدولة السوداني للدفاع في حكومة البشير اللواء الفاتح عروة، كان قد أعرب في اجتماع سرّي -عُقد بينه وبين عملاء وكالة المخابرات الأمريكية CIA في مارس ١٩٩٦م- عن رغبة حكومته في أن يُحذف اسمها من قائمة الدول الراعية للإرهاب، وطلب منهم قائمة بالإجراءات التي تُرضي الحكومة الأمريكية. أجابت المخابرات الأمريكية على الطلب بتقديم مذكّرة جاء فيها: أن يقدّم السودان -بجانب عدد من المطالب الأخرى- قائمة بجميع أسماء المجاهدين الذين أحضرهم بن لادن إلى البلاد، إضافة إلى أرقام جوازات سفرهم، وتواريخ سفرهم ... وصرح الوزير أيضاً أنه إذا كانت الحكومة الأمريكية تريد توجيه اتهامات لبن لادن، فإنهم مستعدّون لتسليمه. جدير بالذكر أن صحيفة الواشنطن بوست كانت قد كشفت في ٣ أكتوبر ٢٠٠١م نص هذه المذكرة المؤلفة من صفحتين. كذلك أشار تقرير الكونجرس عن أحداث الحادي عشر إلى التقارب الذي حدث بين حكومة البشير وحكومة الولايات المتحدة وحكومات أخرى، عن استجابة السودان للقيام بأعمال تخفف عنه الضغوط الخارجية.

ورغم كل هذه التنازلات التي قدّمتها حكومة البشير إلّا أن أمريكا لم ترض عنها، ولم تنفذ لها ما وعدتها به، وسخط عليها إخوانها الذين وقفوا بجانبها يوماً ما يقاسمونها الحُلوة والمُرّة، وصدق الله القائل في كتابه: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾. وصدق رسول الله ﷺ القائل في الحديث: ﴿مَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِرِضَاءِ اللهِ كَفَاهُ اللهُ﴾.

فالجنوب الذي من أجله أعلنت حكومة البشير الجهاد في سبيل الله، ودفعت له الغالي والنفيس من خيرة شباب البلاد وثرواتها ومواردها ووقتها، قُطع وفُصل من جسم السودان. ورغم سيل التنازلات التي قدمتها حكومة البشير إرضاءً لأمريكا والمجتمع الدولي استمر السودان تحت قائمة ما يسمى الدول الراعية للإرهاب، واستمر الحصار الاقتصادي مضروباً عليه، ووُضع البشير وبعض كبار المسؤولين في

الدولة في قائمة المطلوبين للمحاكمة في محكمة الجنايات الدولية، وفي النهاية كان مآل حكومة البشير ضياع الدين والدنيا، وذهابها غير مأسوفٍ عليها إلى مزبلة التاريخ.

وفي المقابل، عندما صدَقت حكومة طالبان في توجهها مع الله، سجّلت مواقف عظيمة سُطّرت بمدادٍ من نورٍ ستبقى خالدةً في ذاكرة التاريخ يستضيئ به الأحرار في معركة التغيير، وستبقى حجّة على أدعياء التوحيد بأن **الثبات على ثوابت هذا الدين مهما كان الثمن هو المحك الحقيقي الذي يثبت معادن الرجال، ويميز الغث من الثمين، وهو السبيل الوحيد للعزّ والتمكين في الدنيا، والنجاة والفوز الكبير في الآخرة.** فها هم الطالبان اليوم بعد مُضى ما يقارب الثلاثة عقود من الزمان، لم تثنهم آلامهم وجراحاتهم ومآسيهم التي مرّوا بها طوال تلك السنين أن يعطوا الدّنيّة في دينهم قيد أنملة، فلم يحرّك فيهم دوي الصواريخ، وأزيز الطائرات، وصرير الدبابات، ودموع اليتامى والثكالى شعرة أن يلينوا أو ينكسروا أمام أمريكا.

لقد ضربت حكومة طالبان الإسلامية أروع الأمثلة في الثبات والصمود على المبادئ والثوابت، وفي التضحية والفداء، وإرخاص النفس والنفيس لنصرة الدين والمستضعفين من المؤمنين. فلأجل رجلٍ واحدٍ قامت الدنيا في وجهها ولم تقعد. لأجل رجلٍ واحدٍ جسّد الطالبان معاني بيعة الرضوان عندما تبايع أصحاب الشجرة؛ ألف وأُربعمائة صحابي -بما فيهم رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام- تبايعوا على الموت لمجرّد رجلٍ واحدٍ من المسلمين بعثه رسول الله الى قريش **أُشيع** بأنّه قتل. لأجل رجلٍ واحدٍ ضحّى الطالبان بدولتهم عندما رفضوا تسليم الشيخ أسامة لأمريكا. وعندما هددوه بأن أمريكا ستتدخل عسكرياً للإطاحة بحكومة طالبان، قال أمير المؤمنين الملّا عمر -رحمه الله- قولته المشهورة: **"والله لو تشتعل أفغانستان حجراً حجراً لما أسلمت أسامة للكفار".**

لقد أيقن أمير المؤمنين الملّا عمر بأن ثباته على دينه ورضى ربه هو أعظم غنيمة، أعظم من خسارته لملكه، وما ينفع الملك إذا أورده النار يوم القيامة؟ فالملك متاع يجيء ويذهب، وإنما المفلح من جعله عبادةً يرضي بها ربّه، ومطيةً ينصر بها دينه[1].

وإزاء هذه المواقف البطولية المشرّفة ما زال الطالبان -بفضل الله وحده- ثابتين ثبات الجبال، وأيقنت أمريكا في نهاية المطاف أنها تخوض حرباً خاسرةً لا جدوى منها، وأن خيارها الوحيد للحفاظ على ماء وجهها، والخروج من هذا المأزق هو أن تنحني صاغرة أمام الطالبان، وتجلس معهم وجهاً لوجه على طاولة التفاوض لتوقع مسودة اتفاق دلَّ بطريقة دبلوماسية على هزيمتها واستسلامها.

فكل من أخلص دينه لله، واستقام على أمره، وتجرد له، وقبل البيعة معه على أن يضحي في سبيله بالغالي والنفيس، يوفقه الله ويهديه، ويكلؤه بعنايته ورحمته ومعيّته كائناً من كان، فرداً أو جماعة أو دولة. وكل من بدّل وغير وأشرك في نيته، يخذله الله ويستدرجه ويكله إلى نفسه، فيبني بنيانه على شفا جرفٍ هار حتى ينهار به في نار جهنم والعياذ بالله. فمن كان الله معه كان معه كل شيء، ومن فقد الله فقد كل شيء.

---

1) مقال بعنوان: بين السودان وأفغانستان .. درس وعبرة، بتصرّف.

نصيحة الشيخ أسامة لحكومة البشير بعولمة قضية الجنوب:

ومما يجدر ذكره فيما يخص قضية الجنوب أن الشيخ أسامة -رحمه الله- كان قد قدم -مع بدايات الحملة الجهادية التي أطلقتها حكومة البشير عام ١٩٩٢م لتحرير الجنوب من قبضة الجيش الشعبي لتحرير السودان- نصيحة للقائمين على أمر البلاد، ينصحهم فيها بعولمة قضية الجنوب، وذلك باستنفار المسلمين للمشاركة في هذا الواجب الشرعي، وفتح الباب على مصراعيه لمشاركة المجاهدين الذين سيأتون من كل أنحاء العالم، كما حدث في أفغانستان والبوسنة على سبيل المثال. وللأسف الشديد تدخلت ثقافة سايكس بيكو لتقف حجر عثرة في وجه هذا الطرح العظيم، بحجة أن ذلك سيفتح عليهم باباً من الضغوط الدولية لا قبل لهم بها، والتي لم تنفك عنهم حتى آخر رمق من عمر حكومتهم.

وكانت وجهة نظر الشيخ أسامة من هذه النصيحة القيمة ليس فقط تحرير الجنوب، بل كان يرمي إلى هدف أسمى وأبعد من ذلك بكثير، ألا وهو تحطيم صنم سايكس بيكو في نفوس المنهزمين من المسلمين لتتحقق بذلك معاني الجسد الواحد للأمة التي إذا اشتكى منها عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. هذه المعاني التي ارتعدت وترتعد لها فرائص المستكبرين وأئمة الكفر في كل زمان ومكان، وتتحطم على عتباتها كل مصالحهم ومخططاتهم ومطامعهم لاحتلال بلاد المسلمين ونهب ثرواتهم. هذه المعاني التي لولاها ليئس الشيطان أن يُعبد في الأرض، فأرسل أبالسته ومردته كأمثال سايكس وبيكو يخططون ويمكرون الليل وصلاً بالنهار لتمزيق جسد هذه الأمة إلى حظائر وعشش تحد كل واحدة منها خطوط حمراء من زبالات قوانين البشر، والويل كل الويل لمن يتخطاها.

باختصارٍ شديد، كان الشيخ أسامة يرمي -عن طريق توسيع رقعة الجهاد ونشره في أوسع نطاق- إلى محو هذه الحدود المصطنعة التي وضعها الصَّليبيون، ولنا أن نتخيل كيف كانت ستكون الصورة لو قدر الله واستجابت حكومة البشير لنصيحة الشيخ أسامة لها بعولمة قضية الجنوب، كانت ستكون متنفساً لكل المسلمين المستضعفين في دول الجوار -مثل أفريقيا الوسطى وكينيا وأوغندا وأثيوبيا والصومال- بل وربما منطلقاً لهم لتحرير بلادهم من قبضة أنظمتها العميلة التي أسلمت قيادها، وجعلت من نفسها خادماً مطيعاً لتحقيق مصالح اليهود والصليبيين.



السودان بعد انفصال الجنوب

المرحلة الرابعة: مرحلة أفغانستان الثانية، وتبدأ من وصول الشيخ أسامة أفغانستان في ١٨ مايو ١٩٩٦م حتى أحداث ٩/١١:

على نفسها جنت براقش:

ما أن لامست عجلات الطائرة الخاصة - طائرة الرئيس السوداني السابق عمر البشير- المقلّة للشيخ أسامة -رحمه الله- ورفاق رحلته مطار جلال أباد في أصيل ذلك اليوم الأول من السنة الهجرية لعام ١٤١٧هـ حتّى بدأت مرحلة جديدة من المواجهة المباشرة والتدافع، وجهاً لوجه بين القاعدة وهبل العصر أمريكا. مرحلة لم يحسِب لها ولا لتداعياتها بهذه السرعة أيّ حساب كِلا الطرفين، ورحم الله الشيخ أسامة، فقد كان يقول: "**لقد ساقنا الله سوقاً إلى هذه المواجهة**".

وكانت خطّة الحكومة الأمريكية -بعد أن يئست من أن الحكومة السودانية لن تقوم بتسليم الشيخ أسامة- ممارسة الضغط عليها لإخراج الشيخ من السودان، ومن ثَمّ اعتقاله إما باعتراض طائرته في الجو وإجبارها على النزول في أحد المطارات، أو أن يقوم البلد الذي سيحلّ فيه بتسليمه لها، أو أي سيناريوهات أخرى، لكن يمكرون ويمكر الله وهو خير الماكرين، فأسقط في أيديهم، وأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا بعد أن علموا أن الشيخ أسامة قد استقر به الترحال في تلك الجبال الشوامخ؛ جبال الهندوكوش، التي على قممها تحطمت وتكسرت إمبراطوريتان من قبل: بريطانيا العظمى والاتحاد السوفييتي. وها هي الإمبراطورية الثالثة الولايات المتحدة، ستأتي بعد قليلٍ بقضها وقضيضها، وخيلها ورجلها تحث الخطى لتلقى نفس المصير الذي لقيه أسلافها، ولتأخذ مكانها في مقبرة الامبراطوريات.

وكما ذكرنا سابقاً كانت قيادة القاعدة ومجلس شوراها -بعد نزول القوات الأمريكية بلاد الحرمين عام ١٩٩١م بحجة تحرير الكويت- قد خططوا للتصدي لسياسات أمريكا ومخططاتها، غير أنهم لم يتوقعوا أبداً أن الأحداث ستتسارع وقائعها بهذه الصورة وبهذا المعدل من التسارع، لتسوقهم سوقاً إلى المواجهة المباشرة مع هبل العصر أمريكا، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، وليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيّ عن بينة، وصدق سبحانه وتعالى القائل في كتابه: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾.

الشيخ أسامة في ضيافة الشيخ يونس خالص:

نزل الشيخ أسامة ضيفاً عزيزاً مكرّماً في ضيافة الشيخ يونس خالص وبعض قيادات الجهاد المخلصين الصادقين في ساحة جلال أباد آنذاك الذين لم تتلطخ سمعتهم بالفساد، ولا أيديهم في إراقة دماء المسلمين، من أمثال القائد سازنور، والقائد انجنير محمود، والقائد معلم أول جل[١]، والقائد فضل الحق مجاهد[٢]، رحمهم الله جميعاً. وكان هؤلاء القادة هم الذين يُديرون شؤون ولاية ننجرهار التي كان يسيطر عليها الحزب الإسلامي بقيادة الشيخ الجليل المولوي يونس خالص -رحمه الله- الذي كان يتمتع بمكانة عالية، وكلمة مسموعة بين قادة الجهاد. وكان والي الولاية آنذاك واحداً من قادة المجاهدين السابقين في الولاية يدعى حجّي قدير، ويعمل تحت إمرة الشيخ يونس خالص، غير أنه نكص على عقبيه، وغيّر وبدّل، والتحق لاحقاً بتحالف الشمال الذي كان يقاتل الطالبان كما سيأتي ذكره.

١) توفي رحمه الله -حسب الرواية الرسمية لإدارة المعتقل والله أعلم بصحتها- إثر ذبحة صدرية أصابته في معتقل غوانتنامو في ٢ فبراير ٢٠١١م.

٢) اغتيل رحمه الله في بشاور في ٣١ مايو ١٩٩٧م وهو في طريقه للمسجد لأداء صلاة العشاء.



الشيخ يونس خالص – رحمه الله



القائد معلّم أوّل جل
تقبّله الله



القائد فضل الحق مجاهد
تقبّله الله



القائد سازنور
تقبّله الله

وكان بيت الضيافة الذي نزل فيه الشيخ أسامة ورفاق رحلته في جلال أباد هو قصر الملك السابق ظاهر شاه، حيث مكثوا هناك حوالي شهر أو يزيد بصحبة القائد فضل الحق مجاهد رحمه الله. ولم يكن الشيخ أسامة ورفاقه خلال تلك الفترة يسكنون داخل القصر، بل كانوا يسكنون في عدة خيام نصبت لهم في الحديقة بناءً على طلب الشيخ أسامة. وكان كلٌّ من الأخَوين خالد الحبيب -رحمه الله- وأبي اليسر التونسي يشرفان على إعداد الطعام، ثم ما لبث الإخوة والعوائل الذين في السودان أن بدأوا يتوافدون على دفعتين، فجاء الذين في الدفعة الأولى بطائرة شحن روسية، وكان بينهم الشيخ سيف العدل حفظه الله، وكانت هذه الطائرة قد هبطت في مدينة شيراز الإيرانية للتزود بالوقود، وأكملت بعدها الرحلة إلى جلال أباد، وكان في استقبالهم دكتور أمين -حفظه الله- وهو أحد قادة المجاهدين في جبهة جلال أباد أيام الجهاد الأول، وكان تحت قيادة الشيخ يونس خالص رحمه الله. وجاء الذين في الدفعة الثانية بطائرة الخطوط الجوية الأفغانية (أريانا)، وكانت طائرتهم قد تزوّدت بالوقود من مطار دبي. وعند وصول الجميع تم إسكان النساء والأطفال داخل القصر، وانتشر بقية الإخوة خارج القصر في الخيام مع الشيخ أسامة رحمه الله[١].

١) نقلاً عن رواية الشيخ سيف العدل، حفظه الله.

مجمّع نجم الجهاد:

وكان مجلس شورى جلال أباد قد كلّف القائد معلم أول جل -رحمه الله- ليكون هو المسؤول عن تسيير كل الأُمور التي يحتاج لها الإخوة من خدمات، فخُصصت لهم في حي نجم الجهاد قطعة أرضٍ -لبناء مجمّع سكني- كان قد تبرع بها وبدون مقابل الدكتور أمين حفظه الله. وكان هذا المجمّع قريباً جداً من بيت الشيخ يونس خالص، وانجنير محمود، ومعلم أول جل، رحمهم الله جميعاً.

كان المجمّع مقسوماً إلى قسمين، قسم العائلات ومساحته حوالي ثلثي المساحة، وقسم الضيوف والإخوة العزاب والمطبخ ويشغل حوالي الثلث الأخر من المساحة، وبنيت كل البيوت والمباني داخل المجمع من الطين واللبن، وسقوفها من جذوع الأشجار، وحصائر من القش عليها طبقة من الطين. وكان كل بيت -حتى بيوت الشيخ أسامة رحمه الله- عبارة عن غرفة واحدة فقط، ومطبخ وحمّام وردهة صغيرة، وبالتقريب لا تتجاوز مساحة البيت الواحد الستّين متراً مربعاً.

الإخوة المتزوجون الذين كانوا يسكنون في المجمّع هم:

١- الشيخ أسامة بن لادن، رحمه الله.
٢- الشيخ أبو حفص الكمندان المصري (صبحي عبد العزيز أبو ستة الجوهري) رحمه الله.
٣- الشيخ أبو محمد المصري (عبد الله أحمد عبد الله الألفي) رحمه الله.
٤- الشيخ سيف العدل (محمد صلاح الدين زيدان) المصري، حفظه الله.
٥- الشيخ سعيد المحاسب (مصطفى أحمد عثمان أبي اليزيد) رحمه الله.
٦- أبو عمر المغربي، حفظه الله.
٧- أبو خليل المدني، رحمه الله.
٨- أبو طارق التونسي، رحمه الله.
٩- أبو زياد العراقي (طارق فائز الملّاح)، رحمه الله.
١٠- أبو عبد الرحمن المهاجر المصري (محسن موسى متولّي)، رحمه الله.
١١- خليفة المصري، رحمه الله.
١٢- شاكر المصري، رحمه الله.
١٣- أبو الحسن الصعيدي، رحمه الله.
١٤- أبو همام الفلاح الصعيدي، رحمه الله.
١٥- خالد المقدسي المصري (سعدوف)، رحمه الله.
١٦- عبد المهيمن المصري، حفظه الله.
١٧- أبو حفص العرب المصري، رحمه الله.
١٨- رضا التونسي[١]، حفظه الله.
١٩- أمير الفتح[٢] (أحمد فاروق) المصري، رحمه الله.
٢٠- أبو بكر جل الأسواني، رحمه الله

١) كان أسيراً في قبضة الأمريكان في معتقل بقرام لأكثر من ١٥ سنة والأن ولله الحمد والمنة هو حر طليق، وموجود بتونس وربما عليه بعض القيود.

٢) أمير الفتح هو شقيق الشيخ أبي عبيدة البنشيري، رحمهما الله جميعاً.

٢١- خالد الحبيب المصري، رحمه الله
٢٢- شيخ عيسى الموريتاني، حفظه الله
٢٣- الشيخ أبو عبيدة الموريتاني، رحمه الله.
٢٤- عائلة أبو عامر الصعيدي المصري -كان مأسوراً حينها والحمد لله فقد فك الله أسره.

الإخوة العزّاب وهم:

١- حمزة الزبير المصري، رحمه الله.
٢- أبو عبد العزيز الكِندي، من بلاد الحرمين، رحمه الله.
٣- الشيخ أبو دجانة الباشا المصري[١]، رحمه الله.
٤- أبو اليسر التونسي، حفظه الله.
٥- الشيخ أبو عمير الحضرمي (عم سعد)[٢]، رحمه الله
٦- الشيخ عبد الرحيم اليمني، رحمه الله.
٧- أبو أيمن اليمني، رحمه الله.
٨- أبو أحمد السوداني[٣]، رحمه الله.
٩- أبو مالك الرصاص اليمني، رحمه الله.
١٠- أبو همّام الصعيدي، حفظه الله.
١١- أسد عمر عبد الرحمن المصري (ابن الشيخ عمر عبد الرحمن)، حفظه الله.
١٢- سيف عمر عبد الرحمن (ابن الشيخ عمر عبد الرحمن)، رحمه الله.
١٣- أحمد عبد الله المصري -رحمه الله- منفّذ عملية دار السلام، وأحد المشاركين في عملية اغتيال الرئيس المصري حسني مبارك في أديس أبابا عام ١٩٩٥م.
١٤- خالد عطية المصري -رحمه الله- وكان كذلك أحد المشاركين في عملية اغتيال الرئيس المصري حسني مبارك في أديس أبابا عام ١٩٩٥م.
١٥- أبو تميم المصري، رحمه الله.
١٦- الإخوة الأفغان العاملين معنا كالطباخين والسائقين والمترجمين.
١٧- شريف المصري، فكّ الله أسره.
١٨- أبو طارق المصري، حفظه الله.
١٩- خبيب السوداني، حفظه الله.

وكان يوجد في داخل مجمع نجم الجهاد مسجد صغير تقام فيه كل الصلوات إضافة إلى الجُمعات، كذلك كان يوجد دكّانٌ صغير تباع فيه السلع الضرورية. وبحكم تلاصق البيوت وقربها من بعضها البعض كانت الحياة داخل المجمع تحمل كل معاني الأخوة والحب والتعاون، ويُخيّم على الجميع شعور

---

١) صهر الشيخ أيمن الظواهري.

٢) لم يظهر اسمه في الطبعة الأولى للكتاب لأنه قبل استشهاده -رحمه الله- كان رافضاً لذلك.

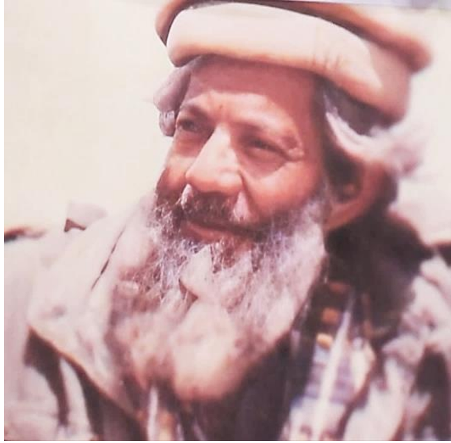
٣) هو في الأصل مصري من أسوان، وهو الذي فتح القنبلة أثناء التفتيش في قلعة جنكي وقتل بفضل الله بعض من كبار قادة الجنرال دوستم. وكان أبو أحمد من جملة العرب الذين كانوا يقاتلون الطالبان بجانب حزب حكمت يار، وبعد مجيئ الشيخ أسامة إلى أفغانستان اقتنع أبو أحمد بدعوة الشيخ، فترك القتال بجانب الحزب وانضمّ رحمه الله إلى صفوف القاعدة.

واحد بأنهم أسرة واحدة لفّها مصير واحد، إضافة إلى الفرحة العارمة التي عمت كل الإخوة بالعودة مرة أخرى إلى أفغانستان، ومجاورة الطيبين الصالحين من أهلها، أمثال الشيخ يونس خالص وانجنير محمود ومعلم أول جل، رحمهم الله جميعاً.

وعلى بعد حوالي مئة متر من المجمّع كان هناك مجمّع آخر تحت الإنشاء، تُبنى فيه مجموعة بيوت لتستوعب بقية الإخوة. وكانت قطعة أرض هذا المجمّع قد تبرع بها أيضاً بدون مقابل قارئ محمود من أتباع الشيخ يونس خالص -رحمه الله. وكان من المفترض أن يسكن في هذا المجمّع بعد اكتماله كل من الشيخين أبي عبد الرحمن الكندي[1] (أحمد سعيد خضر) -رحمه الله- والشيخ أبي الوليد المصري (مصطفى حامد) حفظه الله، لكن شاءت الأقدار أن يرتحل الجميع إلى قندهار.



الشيخ أبو عبد الرحمن الكندي - تقبّله الله



الشيخ أبو الوليد المصري - حفظه الله

كذلك كان هناك بيت آخر في جلال أباد مستأجر للإخوة العزاب الذين وصلوا من شمال أفغانستان بقيادة الأخ بلال المكي (عبد الرحيم النّاشري)[2]، وكان بينهم الأخ حمزة الغامدي، وعزام المكي (جهاد محمد علي) منفذ عملية نيروبي في كينيا، وكان المسؤول عن هذا البيت هو الأخ مهنّد بن عتش -رحمه الله- وكان معهم أيضاً شقيقه خلّاد بن عتش[3]، فك الله أسره.

الشيخ أسامة في جبال تورا بورا:

وكان الشيخ أسامة -لما اكتمل وصول العائلات من السودان، وقبل بناء المجمع- قد أبدى رغبته لمضيفيه في أن يكون مكان إقامته بعيداً عن تلك القصور، هناك في الجبال، فقد كان يخطط لأمرٍ عظيمٍ يحتاج إلى جوٍ خاص من الهدوء والسكينة لصياغة البيان الذي سيغيّر مجرى التاريخ. فاستجاب

١) مصري الجنسية، غير أنه كان معروفاً بين أوساط المجاهدين بالشيخ أبي عبد الرحمن الكندي لأنه كان مقيماً في كندا وله جنسية كندية، وكان متخصصاً في علوم الكمبيوتر. وكان من قدامى النافرين إلى أفغانستان منذ عام ١٩٨٥م، وكان له دور فعّال في مجال الإغاثة ورعاية الأرامل والأيتام، وفي مجال التعليم والرعاية الصحية للمهاجرين الأفغان. كذلك كان له دور بارز عام ١٩٩١م في العمل العسكري حيث كان يقود مجموعة من المجاهدين العرب والأفغان في ولاية لوجر التي كان له -بفضل الله- اليد الطولى في فتحها، وكان رحمه الله قد أُصيب بقذيفة دبّابة إصابة بالغة في قدمه. وفي عام ١٩٩٩م وضعته بريطانيا في قائمة أعضاء القاعدة. استشهد رحمه الله في ٢ أكتوبر ٢٠٠٣م إثر مداهمة القوات الأمريكية والباكستانية لمأواه في منطقة القبائل في باكستان، وأصيب في المداهمة ابنه عبد الكريم بطلقة في عموده الفقري سببت له شللاً دائماً. كذلك كان ابنه عمر قد أسر ورحّل إلى جوانتانامو، وكان أصغر أسير هناك حيث كان عمره ثلاثة عشر عاماً، كذلك كان عُمر من ضمن القلائل من معتقلي جوانتنامو الذين حوكموا أمام محكمة عسكرية بتهمة إلقائه قنبلة تسببت في قتل جندي أميركي وجرح آخرين خلال مداهمة تمّت على مأواهم.

٢) المسؤول عن عملية الهجوم على المدمرة الأمريكية يو أس أس كول في ميناء عدن. حالياً أسيراً في معتقل جوانتانامو.

٣) أحد المنسّقين لأحداث الحادي عشر من سبتمبر. حالياً أسير في معتقل جوانتانامو.

مضيفوه لطلبه، وهيؤوا له مكاناً آمناً وحصيناً في جبال تورا بورا، كان من قبل قاعدة انطلاق ينطلق منها المجاهدون لتنفيذ عملياتهم ضد الروس.

وتورا بورا عبارة عن سلسلة جبلية شاهقة الارتفاع، تمتد غرباً لتتصل مع جبال خوست وسلسلة جبال جاجي المشهورة، مكسوة بغطاء شجري معظمها من أشجار الصنوبر والثرو والبلّوط وغيرها من الأشجار العالية، والطقس في تلك الجبال معتدل صيفاً، وبارد جداً في الشتاء، حيث تنزل فيها الثلوج التي تغطي قممها صيفاً وشتاءً حيث كانت تُرى بالعين المجردة من مدينة جلال أباد. وتبعد تورا بورا عن جلال أباد حوالي ثلاثة ساعات بالسيارة البك أب، يمر خلالها الطريق بكثيرٍ من القرى والوديان ومجاري المياه.

كان المكان الذي استقر فيه الشيخ أسامة ورفاقه -وهم الشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد)، والشيخ سيف العدل، والشيخ عبد الرحيم اليمني، ومجموعة الحراسة التي كان يتناوب عليها الإخوة المتزوجون أسبوعياً- مكوناً من ثلاثة غرف تربط بينهما ردهة طويلة مغلقة، خصصت واحدة من الغرف لتكون المكتبة ومكان النوم، وبها جهاز المخابرة، والغرفة الصغيرة كانت مجلس الشيخ الخاص. وخلف هذه الغرف كانت هناك كهوفاً صغيرة محفورة في الجبل عبارة عن مخازن سابقة للذخيرة، هيأها الشيخ أسامة لتكون غرفاً لزوجاته وبناته، بينما الأولاد الذكور عبد الرحمن وسعد وعمر وعثمان ومحمد كان نصيبهم خيمة في الخارج بعد أن تم تسوير الحوش بالبلك. وكان الشيخ أبو الوليد المصري والشيخ سيف العدل وعائلتاهما يسكنون في خيمتين، وكان الطعام يُطبخ مركزياً ثم يوزع على العائلات.

التواجد الأمريكي في الجزيرة العربية حقيقته وأهدافه[1]:

يقول الشيخ يوسف العُييري -رحمه الله- في كتابه "التواجد الأمريكي في الجزيرة العربية حقيقته وأهدافه":

"إن التواجد الأمريكي في المنطقة لم يكن ردة فعل لقضية محددة كضربات سبتمبر، أو لتسلط رئيس غاشم، إن التواجد الأمريكي في المنطقة هو استراتيجية لا يمكن لأمريكا أبداً أن تتنازل عنها ... إن المنطقة هي شريان العالم للحياة، ومن يسيطر على هذا الشريان فسوف ينتعش ويسود، ومن ثم فإنه سيسيطر على العالم ويخنقه بلا رحمة حسب قناعتهم. هذا هو ملخص أهمية المنطقة بالنسبة لأمريكا، فمن السذاجة والسخف أن يُظن أن القوات نزلت بسبب صدام، وسترحل بزوال صدام، كما أنه من السذاجة أيضاً أن يُظنّ ولو بقدر بسيط جداً أن إعلان إخلاء السعودية من القوات الأمريكية حقيقة على أرض الواقع.

التحرك والانتقال من دولة إلى أخرى في المنطقة لا يعدو أن يكون مجرد تحرك عسكري تكتيكي، ولكن الاستراتيجية ثابتة وهي ضمان السيطرة على منابع النفط، والسيطرة على الممرات وضمان سلامة وصول النفط، وضمان أمن إسرائيل، وضمان عدم وصول الإسلاميين إلى أية سلطة في المنطقة، أو تحركهم بما يهدد سيادة أية دولة في المنطقة، هذه هي الاستراتيجية العسكرية الأمريكية الثابتة في المنطقة، و هذا هو المظهر الواضح للصورة، وكل ما يحصل في

[1] الفقرة كاملة من كتاب "التواجد الأمريكي في الجزيرة العربية حقيقته وأهدافه"، للشيخ يوسف العُييري. بتصرّف.

خلفيات الصورة فهو لا يمثل أكثر من تغيير في الديكور لإعطاء الصورة مسحة جمالية خداعة تُروَّج على شعوب المنطقة، والمغفلين" ا.هـ

وبناءً على هذه الاستراتيجية نشأت فكرة قوات التدخل السريع، وما يلي موجز مختصر للفكرة:

١) يعود تاريخ طرح الفكرة إلى أواخر السبعينات الهجرية أوائل الستينات الميلادية عندما طرح (روبرت ماكنمارا) وزير الدفاع الأمريكي آنذاك مبدأ (الرد المرن) بدلاً من مبدأ (الرد الشامل) النووي ... ويرتكز مبدأ (الرد المرن) على توسيع القدرات القتالية التقليدية -أي غير النووية- لمجابهة الحركات التمردية، أو الحروب الشعبية، أو الأزمات المحلية المحدودة، وطرح إنشاء قوات ضاربة تقليدية متحركة تستطيع التدخل في المناطق النائية وبسرعة وفعالية)، إلا أن اقتراحه هذا رفض من قبل الكونجرس الأمريكي في وقته.

٢) وبعد أزمة الطاقة عام ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م أثارت هذه الأزمة النقاش حول هذا الطرح الذي كان بمثابة العلاج لخطر فقدان السيطرة الأمريكية على مصادر النفط. وحاول (كيسنجر) عندما كان وزيراً للخارجية الأمريكية عام ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م بحث إمكانية قيام قوة أوروبية أمريكية لحماية مصادر النفط، إلا أن حلف (الناتو) رفض ذلك.

٣) وبعد استلام الرئيس (كارتر) السلطة عام ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م بعث فكرة (قوات التدخل) من جديد عن طريق مبدئه ... ودفعت أحداث المنطقة كسقوط الشاه والغزو السوفيتي إلى المسارعة باتخاذ الخطوات العملية لتفعيل هذه القوة، وقد دفعت هذه التطورات وزير الدفاع الأمريكي (كاسبر واينبرغر) آنذاك أن يقول أمام لجنة الدفاع والشئون الخارجية التابعة للكونجرس في شهر ربيع الثاني لعام ١٤٠١هـ فبراير ١٩٨١م: **"بأن الحاجة باتت ملحة لاحتفاظ الولايات المتحدة لوجود دائم لقواتها في مناطق النفط وحول طرق مواصلاته".**

... حتى أن (نيكسون) نفسه تخلى عن ما عُرف (بمبدأ نيكسون) فيما بعد، ليتحول إلى مناصر (لمبدأ كارتر) ... فيقول مؤكداً لذلك في كتابه نصر بلا حرب:

"إن الولايات المتحدة هي الآن الدولة الوحيدة التي يمكنها حماية المصالح الغربية في الخليج الفارسي، وليس هناك أية دولة من دول الخليج الموالية للغرب قوية بالقدر الكافي للقيام بذلك، كما لا تتوافر لأي من حلفائنا الأوروبيين القوة أو الرغبة في أن يقوم بذلك، وينبغي لنا أن نعمل على الجبهة العسكرية لتحسين قدرتنا على إبراز القوة الأمريكية في الخليج، وقد حققنا تقدماً هاماً في هذا المجال، فقد أنشأ الرئيس كارتر قوة الانتشار السريع، وعزز الرئيس ريغان وضعها بتحويلها إلى قيادة مركزية، واعتمد الكونجرس مليارات الدولارات لقواتها، وقال يستحيل على الولايات المتحدة أن تتدخل في الخليج الفارسي بدون أن تتوفر لها إمكانية الحصول على قواعد جوية في المملكة العربية السعودية ودول الخليج الأخرى الأصغر، إننا في حاجة إلى وضع قوات جوية في قواعد هناك حتى يمكن أن نحمي قواتنا البرية عند قيامها بإنشاء رأس جسر، وبدون تفوق جوي ستصبح أي عملية إنزال أمريكية في الخليج الفارسي تكراراً لعملية الإنزال البريطانية في غاليبولي أثناء الحرب العالمية الأولى"[١]. ا.هـ

١) التواجد الأمريكي في الجزيرة العربية حقيقته وأهدافه. للشيخ يوسف العُييري. بتصرّف.

نقطة التحوّل الرئيسية في تاريخ الصراع:

ذكرنا من قبل أنّ استقدام القوات الأمريكية إلى الجزيرة العربية في أغسطس عام ١٩٩٠م تحت ذريعة تحرير الكويت كان قد خلّف زلزالاً عنيفاً أصاب الأمة بأسرها، وقسّمها أفقياً ورأسياً ليس فقط على خلفية احتلال العراق للكويت، بل على مشروعية وجود قوات غربية صليبية في أرض الحرمين والاستعانة بها. وكان ذلك الغزو قد شكل نقطة تحول كبيرة في تاريخ الصراع في المنطقة، وكذلك في تحوّل المسار الفكري للمجاهدين بما فيهم الشيخ أسامة -رحمه الله- بعد أن كشفت لهم الأحداث حقيقة الأنظمة الحاكمة في المنطقة، وحقيقة المؤسسات الدينية التابعة لها، وضخامة المؤامرات الصليبية التي اعتمدت على الأطراف السابقة في وصول جيوشها إلى المنطقة، وإضفاء الشرعية على هذا الوجود الدائم. وكانت ضخامة قوات التحالف التي قدرت بمليون جندي -منهم ٤٠٠ ألف جندي أمريكي، مدعومين بمئات الطائرات والبارجات العملاقة وحاملات الطائرات- كافية لأن يدرك المجاهدون أن هناك مؤامرة عالمية على المسلمين تحاك بالتعاون مع الأنظمة العميلة في المنطقة، ومدعومة بالمؤسسات الدينية والإعلامية والثقافية[١].



قدوم القوات الأمريكية إلى بلاد الحرمين عام ١٩٩٠م

وهنا تيقن الشيخ أسامة -رحمه الله- أن التواجد العسكري الأمريكي في أرض الحرمين، والبقاء فيها لأجلٍ غير محدود -سواءً تم تسويق ذلك الوجود على أنه بطلب من الملك، أو رغماً عن أنفه- ليس ذريعة لمحاربة أمريكا فقط، بل يعتبر بمثابة المسمار الأخير في نعش شرعية نظام آل سعود لأنه تحول إلى شريك

---

١) أرشيف مجموع مقالات الأستاذ عبد الله بن محمد. بتصرّف.

للمحتل الصليبي، وفي ذات الوقت ينكّل برموز الصحوة من العلماء والدعاة والمصلحين الذين كانوا يعارضون الوجود العسكري الأمريكي بالطرق السلمية[١].

وكان رحمه الله قد توصل بتفكيره الشخصي، وتأثره بمنهج التيار الجهادي وفهمه للواقع، إلى أن الطريق إلى الجهاد ضد الأنظمة المرتدة –ومنها النظام القائم في بلاد الحرمين– يمر حتماً بمواجهة أمريكا، وتوصّل بتوفيق الله له إلى المعادلة السياسية الصحيحة[٢]:

١- العلماء يضفون الشرعية على حكومة آل سعود.

٢- وآل سعود يضفون الشرعية على وجود أمريكا في الجزيرة.

وهناك إحدى طريقين للمواجهة مع آل سعود وهذه الأوضاع وهي:

أ- إما مواجهة آل سعود، وبالتالي ضرورة مواجهة العلماء لكشف نفاقهم لإسقاط شرعية آل سعود، وهي معركة خاسرة أمام الناس، لحجم وثقل المؤسسة الدينية وما زرعته من الشرعية والهيبة في عقول الناس عبر أكثر من سبعين سنة.

ب- وإما الطريق الأسلم، وهو ضرب الوجود الأمريكي فيضطر آل سعود للدفاع عنه فتسقط شرعيتهم في أعين المسلمين في بلاد الحرمين، فتدافع المؤسسة الدينية عنهم فتسقط شرعيتها معهم، فتدور المعركة على بينة أكثر وضوحاً أمام الناس[٣].

واختار الشيخ أسامة –رحمه الله– الخيار الثاني، وآنذاك لم تكن بيده حيلة فقد كان رهن الإقامة الجبرية في بلاد الحرمين. وشاء الله أن تسنح أول فرصة لتلك المواجهة بعد اجتياح أمريكا الصومال في ديسمبر عام ١٩٩٢م –وحينها كان الشيخ أسامة في السودان– واستغلت القاعدة تلك الفرصة الذهبية لمواجهة أمريكا، ومحاولة استنزافها اقتصادياً وبشرياً ومعنوياً في الصومال –كما سبق ذكره– غير أن أمريكا سريعاً ما أدركت أنها قد دخلت مستنقعاً مشابهاً لدخول الروس في أفغانستان، لذلك ما أن بلغت خسائرها الثمانون قتيلاً حتى اتخذت في مارس ١٩٩٤م قرار انسحابها من الصومال.

البيان الأول: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب:

ما أن استقرت قدما الشيخ أسامة –بعد إبعاده من السودان– في جبال تورا بورا حتّى بدأ العمل في صياغة بيان الحرب الأول مع طاغية العصر، وهو إعلان الجهاد على الأمريكيين المحتلين لبلاد الحرمين. وكان الشيخ أسامة قد طلب من الإخوة المتواجدين في الجبل أن يقترح كل منهم عنواناً مناسباً ليخرج به البيان، ووفق الله لذلك الشيخ أبا عبيدة الموريتاني –رحمه الله– فقد حظي اقتراحه من بين اقتراحات الإخوة بموافقة الشيخ أسامة، بأن يكون البيان تحت عنوان: **[أخرجوا المشركين من جزيرة العرب].**

وخرج ذلك البيان للعالم ليكون بمثابة المسمار الأول الذي يُدق في نعش هبل العصر أمريكا، ومؤذناً في وضع أول لبنة –كما يقول الشيخ أسامة– لإعادة رسم خارطة العالم الإسلامي لتصبح دولة واحدة تحت راية الخلافة. وكان البيان بمثابة إعلانٍ لحرب غيرت مجرى التاريخ، وعلى إثرها سقطت كل الأقنعة

---

١) الجهاد في السعودية، قصة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب .للكاتب توماس هيغهامر. بتصرّف.

٢) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

٣) المصدر السابق.

وكشفت وجه الغرب الصليبي ووكلائه، حرب كشفت معادن الرجولة والرجال، وقسّمت العالم أجمع إلى فسطاطين، فسطاط إيمان لا نفاق فيه وفسطاط كفر لا إيمان فيه، أعاذنا الله وإياكم منه.

كان خروج ذلك البيان في ٢٣ أغسطس من عام ١٩٩٦م، أي بعد ثلاثة أشهر فقط من مغادرة الشيخ أسامة للسودان، وعن ذلك يقول الشيخ أسامة رحمه الله:

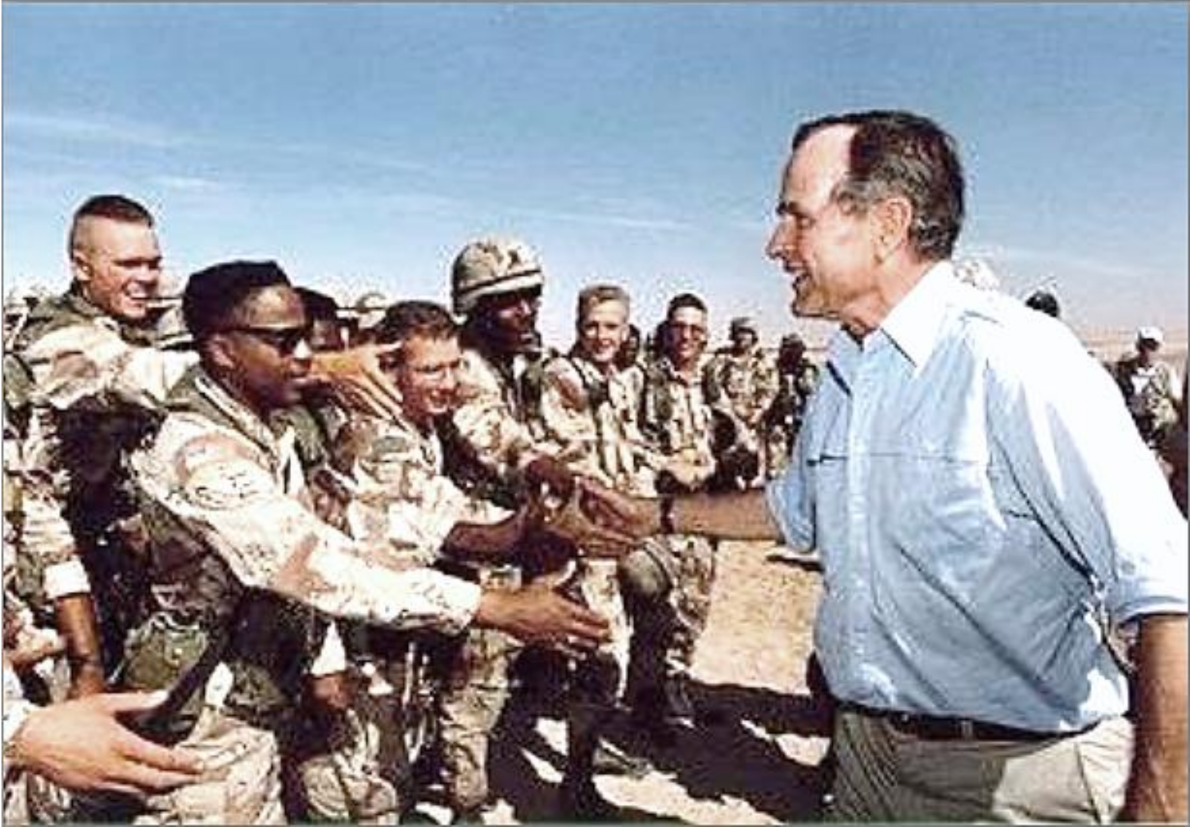
"وقد أصابنا بعض ذلك الظلم بمنعنا من الحديث مع المسلمين، ومطاردتنا في باكستان والسودان وأفغانستان مما أدى إلى هذا الغياب الطويل، ولكن -بفضل الله- تيسر وجود قاعدة آمنة في خراسان فوق ذرى الهندوكوش، تلك الذرى التي تحطمت عليها -بفضل الله- أكبر قوة عسكرية ملحدة في الأرض، وتلاشت عليها أسطورة القوى الكبرى أمام صيحات المجاهدين (الله أكبر)، واليوم من فوق نفس الذرى، من أفغانستان نعمل على رفع الظلم الذي وقع على الأمة من التحالف اليهودي الصليبي، وخاصة بعد احتلاله مسرى النبي عليه الصلاة والسلام، واستباحته بلاد الحرمين، ونرجو الله أن يمن علينا بالنصر، إنه ولي ذلك والقادر عليه" ا.هـ

جدير بالذكر أن بعض الإخوة الجهاديين من بلاد الحرمين وهم رياض الهاجري، وخالد السعيد، وعبد العزيز المعثم، ومصلح الشمراني -تقبّلهم الله- كانوا قد تدربوا في معسكر الفاروق في خوست، وتأثروا بالشيخ أسامة، فقاموا -قبل إعلان البيان الذي أعلن فيه الشيخ أسامة الحرب على الأمريكيين- بسلسلة عمليات نوعية ضد الوجود الأمريكي، فكانت أول تلك العمليات في ١٣ نوفمبر ١٩٩٥م، وهي استهداف مجمع تستخدمه شركة فينيل التابعة للجيش الأمريكي في حي العليّا بالرياض، أسفر عن مقتل خمسة أمريكيين وهنديين وجرح ٦٠ آخرين.

حملة الشيخ أسامة التوعوية لما يدعو له:

بعد خروج البيان بدأ الشيخ أسامة -رحمه الله- حملة دعوية توعوية لما يدعو إليه، خلاصتها أن الواجبات إذا تعددت قُدم آكدها، وأوجب الواجبات بعد الإيمان اليوم هي دفع العدو الصائل أمريكا، التي تسرح وتمرح جيوشها في أقدس مقدسات المسلمين؛ في بلاد الحرمين ولا محرك ولا مجيب. وكان الشيخ أسامة يخشى أنه إذا لم يقم الناس اليوم، ويتداعوا لدفع صيال الأمريكيين عن بلاد الحرمين ستُنسى القضية، وستضيع في زحمة الزمن ومشاغل الحياة، تماماً كما ضاعت فلسطين من قبل، وسيأتي جيلٌ يخلفه جيل تكبّله سياسة الأمر الواقع، وسياسة ألّا جدوى، فلا يأبَه كثيراً، ولا يتحرك له ساكن، فدوى صوت الشيخ أسامة وحسن حديثه وحلاوة منطقه عالياً، يقول للناس:

تأهّبْ مثلَ أهبةِ ذي كِفاحِ ... فإنَّ الأمرَ جَلّ عنِ التَّلاحِ
سألبسُ ثوبَها وأذودُ عنها ... بأطرافِ الأسنَّةِ والصِّفاحِ
أتتركُنا وقدْ كثُرتْ علينا ... ذئابُ الكفرِ تأكلُ من جَناحِي
ذئابُ الكفرِ ما فتئتْ تؤلبُ ... بني الأشرارِ من شتّى البِطاحِ
فأينَ الحرُّ من أبناءِ ديني ... يذودُ عن الحرائرِ بالسلاحِ
فخيرٌ من حياةِ الذُّلِّ موتٌ ... وبعضُ العارِ لا يمحوهُ ماحِي



الرئيس الأمريكي بوش يزور القوات الأمريكية في بلاد الحرمين بمناسبة "عيد الشكر" عام ١٩٩٠م



الملك فهد يتفقّد القوات الأمريكية في بلاد الحرمين مع قائد قوات التحالف الأمريكي، الجنرال شوارزكوف

خلاصة دعوة الشيخ أسامة رحمه الله:

ولما كان المجاهدون هم طليعة الأمة في التصدّى لأعدائها كانت خلاصة دعوة الشيخ أسامة -رحمه الله- أن الانشغال بقتال الأنظمة المرتدة، أو الاكتفاء بتقديم النصرة لقضايا المسلمين المختلفة سيشتت جهود المجاهدين دون جدوى، وسيجعلهم يدورون في حلقة مفرغة، ما أن تنتهي قضية حتى تبدأ أخرى، وأن أمريكا وحلفاءها من القوى الصليبية واليهود هم المستفيدون من معارك الاستنزاف تلك رغم الحق الذي فيها، وعليه فمن الضروري البحث عن هدف استراتيجي لجمع جهود المجاهدين المتناثرة هنا وهناك، وتوجيهها ضد هذا الهدف، واستثمار ذلك كله في ادخال الأمة الإسلامية بكاملها كخصم في معركة ضد القوى المتآمرة عليها، وأن الحل يكمن في وجوب التركيز على جهاد رأس الأفعى أمريكا التي سيؤدي زوالها إلى انهيار كل هذه الأنظمة، وبداية لاستواء الأوضاع وسيرها نحو الصواب، حيث يسهل بعد ذلك العمل على إقامة الحكم الإسلامي بعد تنظيف المنطقة العربية والإسلامية من جبروتها وجبروت أتباعها[١].

وكان القبول لدعوة الشيخ أسامة عجيباً ومبهراً، وكان إعجاب الناس بشخصيته غالباً وآخِذاً للقلوب والأفئدة، فذلك الشخص الذي ترك كل هذه الدنيا خلفه، والذي يحيا هذه الحياة البسيطة المتواضعة، ويتعامل مع الناس بهذه السماحة والأخلاق والأريحية والجود والكرم، ثم هو أيضاً الذي يتحدى أقوى قوة طاغية في العالم، ويدعو الناس بقوة ووضوح وجلاء إلى مقارعتها ومنازلتها والتصدي لها ولعملائها الخونة والمرتدين بلا مداهنة ولا مداراة ولا لف ولا دوران، وهو أيضاً الذي أثبت صدقه في دعوته، فما دعاهم لشيء إلا وقد سبقهم إليه؛ دعاهم للترفع عن الدنيا والهجرة والجهاد بعد أن طلق الدنيا وهاجر وجاهد، ودعاهم لدعم الإمارة الإسلامية في أفغانستان بعد أن قاتل في صفوفها وتحت رايتها، ودعاهم لبيعة أمير المؤمنين بعد أن بايعه، ودعاهم لقتال الكفر الأكبر بعد أن نازله، وأعلن الحرب عليه[٢].

التواصل مع الصحفيين ووسائل الإعلام:

وحتّى يأخذ بيان "**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**" انتشاراً وبعداً إعلامياً واسعاً قام الإخوة بالاتصال ببعض الإعلاميين المحليين في باكستان الذين يتمتعون بنوعٍ من المصداقية، ومن المحتمل تعاطفهم مع القضية، والذين من الممكن عن طريقهم بناء قاعدة عريضة من عوام الناس تقف وتدعم وتساند ما يدعو إليه الشيخ أسامة. فالعوام غالبيتهم قد لا يكونون ملمّين بتفاصيل ما جاء في البيان، لأن صياغته العلمية المنهجية التفصيلية قد لا يستوعبها كثير من الناس، فيأتي دور الصحفي ليتناول ذلك الخبر، ويقدمه للناس بصورة سهلة مبسّطة تستوعبها عقولهم، وهذا ما حدث بالفعل، فقد تعاطفت تلك الشعوب الآسيوية المسلمة من الأفغان والباكستانيين والأندونوسيين مع دعوة الشيخ أسامة تعاطفاً منقطع النظير، وصار الشيخ أسامة عندهم رمزاً من الرموز الإسلامية المحترمة، ملئت صوره الفوتوغرافية كل مكان، في الأسواق والسيارات والحوائط، وعُلقت في البيوت والمكاتب، وطُبعت على الأقمصة والفنايل.

١) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

٢) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور ايمن الظواهري.



الشيخ أسامة بن لادن أثناء لقائه مع الصحفي الباكستاني حامد مير في جلال أباد



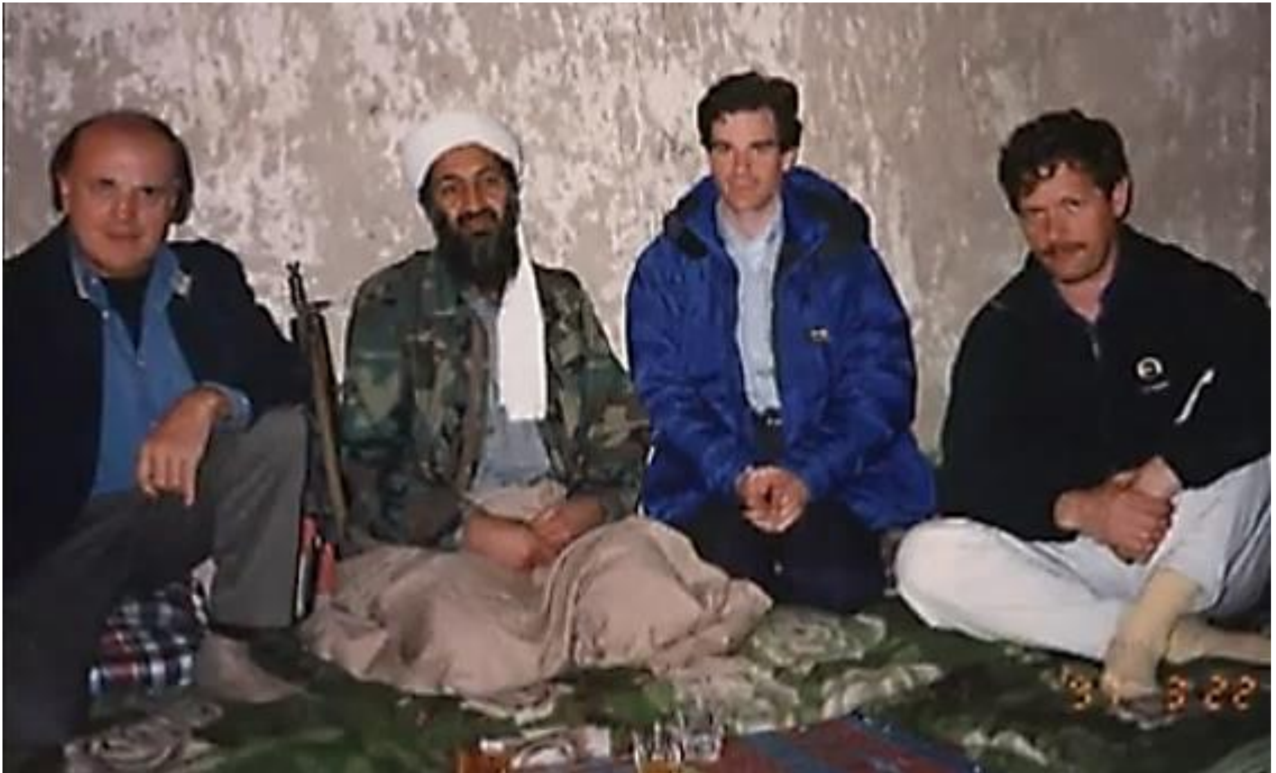
الشيخ أسامة بن لادن مع الصحفي عبد الباري عطوان في جبال تورا بورا

وكان الصحفي عبد الباري عطوان صاحب جريدة القدس العربي التي تصدر من لندن أحد الصحفيين العرب الذين اختارهم الإخوة واتصلوا بهم، فجاء عبد الباري إلى جلال أباد في شتاء ديسمبر عام ١٩٩٦م، وقابل الشيخ أسامة في تورا بورا في ليلة كانت في غاية البرودة، والثلج يغطي المكان. وتم

اللقاء الذي انبهر فيه عبد الباري بشخصية الشيخ أسامة، ونظرته الشمولية للأمور، بأن الأمة تواجه اليوم عدواً صائلاً يجب أن يشترك ويتوحّد في دفعه الجميع.

وبالفعل أصبح قلم ولسان عبد الباري عطوان كأنه المتحدّث باسم القاعدة، فقد كان لسانه وقلمه سلطاً على أمريكا، وسياساتها الجائرة الظالمة، وأطماعها وسرقاتها لثروات الأمة. ورغم اختلافه معنا في التوجهات والوسائل كان عبد الباري عطوان عندما يُسأل عن رأيه في عملية من عمليات القاعدة يجيب اِجابات في غاية الروعة، ويتكلم بإسهاب عن ماهية الدوافع والأسباب التي أدت ابتداءً إلى ذلك العمل، ويدافع عن الشيخ أسامة، وعن تضحياته وتخلِّيه عن معاني الترف والحياة الرغدة، ويتكلم عن حيائه الجم وخلقه الكريم، حتى يظن السامع أنه واحد من أفراد تنظيم القاعدة، رغم أن الزمن الذي التقى فيه عبد الباري مع الشيخ أسامة -رحمه الله- كان بضع ساعات قليلة؛ جزءً من ليلة وقليلاً من نهار.

وكان الشيخ أسامة يعتقد أنّ الشعوب الغربية تستطيع أن تلعب دوراً محوريّاً في تغيير وتوجهات سياسات حكوماتها، تماماً كما حدث في فيتنام، فالذي حسم قرار الإنسحاب من فيتنام ليست الهزائم والضربات العسكرية التي مُني بها الجيش الأمريكي -حيث بلغت خسائره في الأرواح ٥٧٠٠٠ قتيل- اِنما خروج الناس في مظاهراتٍ عارمة غاضبة الى الطرقات، معارضين ومنددين بقرار الرئيس بفرض التجنيد الإجباري لمواصلة الحرب، مما جعل القضية تمس كل فرد أمريكي، فاضطر الرئيس الأمريكي نيكسون إلى إعلان قرار الاِنسحاب من فيتنام. لذلك لم ينس الشيخ أسامة أن ينقل رسالته للغرب، وعلى وجه الخصوص أمريكا المعنية بالأمر في بيان إعلان الجهاد، فأتيحت الفرصة لقناة CNN وقناة ABC الأمريكيّتين.



لقاء الشيخ أسامة -رحمه الله- مع فريق قناة ال CNN الأمريكية

كذلك أُتيحت الفرصة للقناة الرابعة البريطانية، والصحفي البريطاني المشهور في صحيفة الاندبندنت روبرت فيسك، وكان الهدف من مقابلة هؤلاء الصحفيين الغربيين، هو إيصال رسالة إلى شعوب الغرب بصفة عامة، وعلى وجه الخصوص الشعب الأمريكي، **بأنهم وبسبب انتخابهم لحكوماتهم الظالمة الجائرة في سياساتها، والمحتلّة لأقدس مقدساتنا، وبسبب دفعهم لأموال الضرائب التي تقاتلنا بها حكوماتهم الداعمة لليهود، يكونون بذلك هدفاً مباشراً لعمليات المجاهدين، ولا يلومُنّ اِلا أنفسهم وقد أعذر من أنذر.**

كان صدى بيان إعلان الحرب على أمريكا كبيراً جداً في الساحات الإعلامية المحلية منها والعالمية، فقد كان ينذر بقرب حدوث العاصفة، وتناوله الباحثون والمحللون والناقدون من كل زواياه، وأدركوا بحق أن البيان له ما بعده، فقد كانت الحملات الإعلامية التي شنها الشيخ أسامة بن لادن ضد أمريكا موضّحاً عدوانها على المسلمين، ونداءاته المتكررة لتخليص الحرمين من الاحتلال الأمريكي والغربي، ثم إدخاله بعداً جديداً إلى دعوته، وهو تبني القضية الفلسطينية ومسجدها الأقصى إلى قضية الحرمين، وربط العدوان الأمريكي على المسلمين في العالم بالعدوان الإسرائيلي الصهيوني على المسلمين في فلسطين، أدت كل هذه الحملات المركزة والمنظمة، وردود الفعل الهائلة من قبل وسائل الإعلام الأمريكية على هذه الحملة، ودخول تلك المواجهات إلى الفضائيات الأمريكية والعالمية والعربية ولاسيما قناة (الجزيرة) القطرية، التي لعبت دوراً محورياً في إيصال هذا الصراع الإعلامي إلى مئات الملايين من المشاهدين المسلمين في العالم، أدت إلى أن يأخذ التيار الجهادي بعداً جديداً نحو عالمية المرحلة، رغم أن معظم التنظيمات العربية أو كلها لم تغير شيئاً من أهدافها ولا برامجها (القطرية - السرية - الهرمية)، ولم تتحوّل باتجاه دعوة الشيخ أسامة حتى اللحظات الأخيرة من العام ٢٠٠١م، حيث أقحمتها أمريكا قسراً في هذا الاتجاه[١].

كذلك أرسل الشيخ أسامة الرسائل والرسل إلى المشايخ والعلماء في باكستان وبلاد الحرمين وغيرهما يذكرهم بفريضة المرحلة، ويطلب منهم أن يقوموا بدورهم وواجبهم في هذا الصدد، وأن لا يتأخروا عن ذلك إذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

وكان الشيخ أسامة -بعد عودتي من الشيشان- قد أرسلني مرةً أخرى في أكتوبر ١٩٩٦م إلى هناك، وبحوزتي بيان أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، ورسالة خطيّة وأخري شفوية للقائد خطّاب (سامر السويلم) رحمه الله، يطلب منه الشيخ أسامة أن يأتي إليه هو وكل اِلإخوة الذين معه. وكان خطّاب حينها قد توسع عمل جماعته العسكري والدعوي في الشيشان، ووعد بإرسال نائبه حكيم المدني للتفاهم مع الشيخ أسامة. وبالفعل بعد شهر من تسليمي الرسالة، جاء حكيم المدني لمقابلة الشيخ أسامة، ومكث معنا عدّة أيام في مجمّع نجم الجهاد.

وكانت هناك رسالة شفوية أخرى إلى الشيخ فتحي (أبو سياف) رحمه الله، يطلب فيها الشيخ أسامة من الشيخ فتحي أن يبذل جهده في البحث عن مهندسين متخصصين في الفيزياء النووية، من أولئك الذين كانوا يعملون مع الاتحاد السوفيتي قبل تفككه.

---

١) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

كذلك كان الشيخ أسامة -رحمه الله- قد أرسلني إلى السودان برسالةٍ خاصة إلى أحد كبار العلماء البارزين هناك، طالباً منه النفير إلى أفغانستان، وتكفّل الشيخ أسامة بكل مصاريف سفره هو وأهله وأبناءه، ومصاريف إعاشته إن استجاب للأمر، غير أن الرجل اعتذر بحجة مصلحة الدعوة في بقائه في السودان.

كذلك تواصل الشيخ أسامة مع كثير من قادة الحركات الجهادية القطرية المتواجدين في أفغانستان وباكستان يدعوهم للدخول معه في هذا البرنامج، وكان رحمه الله قد أدرك أن زمن التنظيمات القطرية المحلية قد ولى، وأنه لا يصلح للمرحلة القادمة، وأن الواجب هو حشد الأمة لمواجهة العدو الخارجي ممثلاً بأمريكا، والتركيز على قضيّة إخراجهم من جزيرة العرب، ودمج هذا ببعد الصراع مع اليهود حول فلسطين والأقصى. ولم ينس الشيخ أسامة -رحمه الله- المتواجدين في جلال أباد، الغير منتسبين الى أي جماعة من الجماعات، كان يدعوهم ويكرمهم ويطرح لهم رؤيته وبرنامجه للمرحلة القادمة.

كذلك تواصل الشيخ أسامة مع مجموعة الأخ حمزة الغامدي (صالح سعيد آل بطيح) العائدة آنذاك من طاجكستان، وكان من بينهم الأَخَوان الملّا بلال (عبد الرحيم النّاشري) -فك الله أسره- قائد عملية استهداف المدمّرة الأمريكية كُول في ميناء عدن، وابن أخته عزام رحمه الله- منفّذ عملية السفارة الأمريكية في نيروبي.

أيضاً تواصل الشيخ أسامة مع كثير من الإخوة العرب الذين كانوا يقاتلون الطالبان جنباً إلى جنب مع حزب حكمتيار، فرجع كثير منهم -بعد أن تبين لهم الحق- يقاتلون في صفِّ الطالبان دفاعاً عن الإمارة الإسلامية.



القائد الشهيد خطّاب - تقبله الله



الأخ حمزة الغامدي - حفظه الله

وبناءً على هذا التحرّك تقاطرت على الشيخ أسامة الآلاف من الوفود والزوار، من أفغانستان وباكستان والخليج ووسط آسيا والقوقاز وأوروبا وشرق آسيا لملاقاته والاستماع لدعوته وتوجيهاته، والشيخ لا يدخر وقتاً ولا بياناً ولا مجهوداً ولا مالاً في شرح قضية جهاد الأمة ضد أعدائها الصليبيين واليهود، وبيان خطرهم، والتهوين من قوتهم، وأنهم في الحقيقة جبناء لا يملكون عقيدة ولا خلقاً، وليس لديهم إلا المال والعتاد الذي سرعان ما يفرون عنه عند أية مواجهة حقيقية مع جنود الإسلام[١].

١) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور ايمن الظواهري.

وكان الشيخ أسامة -رحمه الله- لا يكاد يترك فرصةً إلا ويحرّض فيها الشباب والمجاهدين على اللحاق بأرض الإعداد والرباط، وعلى الإقدام على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، فقد كان يحاضر في المعسكرات، ويعقد الاجتماعات والولائم في أيام الجُمع، وفي حفلات الزواج وفي الأعياد، وفي كل مناسبة يستطيع أن يبلّغ فيها رسالة الجهاد والإسلام، وفي إحدى زياراته لمعسكر الفاروق قال مخاطباً الإخوة المتدربين[١]:

"أقسم بالله هذا العدد الذي أراه، أرجو الله أن يجعل فيه البركة، إن تصبروا وتتقوا والله الذي لا إله إلا هو لنأكلنّ بكم الأخضر واليابس، والعرب والعجم بإذن الله. نحن اليوم -بفضل الله سبحانه وتعالى- نعيد رسم خريطة العالم الإسلامي، لتصبح دولة واحدة تحت راية الخلافة بإذن الله سبحانه وتعالى، ونحن اليوم -بفضله سبحانه وتعالى- نكتب تاريخاً ناصعاً لأهل الإيمان في هذا الزمن، الذي ادلهمت فيه الظلم، وانتشر فيه الجور والفساد والكفر في مشارق الأرض ومغاربها، فالسعيد من يثبته الله سبحانه وتعالى بجوار راية التوحيد" ا.هـ

محاولات أمريكا[٢] مع القادة الأفغان لتسليم الشيخ أسامة رحمه الله:

حاولت أمريكا -قبل فوات الأوان- عن طريق حليفها البار نظام آل سعود تدارك الأمر بشتى الوسائل بالترغيب تارّة وبالترهيب أخرى، فأرسل هؤلاء عملاءهم على أعلى المستويات في عدة محاولات ليتفاوضوا مع القائمين على حكومة جلال أباد -وعلى رأسهم الشيخ والعالم الجليل المولوي يونس خالص- على تسليم الشيخ أُسامة. وكان نظام آل سعود قد اعترف رسمياً في مايو ١٩٩٧م بحركة طالبان في محاولة منه لترغيبها وإحراجها للتعاون معه في قضية تسليم الشيخ أسامة كما سيأتي ذكره.

ففي إحدى المرات، جاء قنصل النظام السعودي سلمان العمري إلى جلال أباد، طالباً بصلف ووقاحة من الشيخ يونس خالص تسليم الشيخ أسامة رغم أنهم كانوا في بداية عام ١٩٩٤م -عندما كان الشيخ في السودان- قد سحبوا منه "جنسيّته". وهنا تكشفت معاني الرجولة ومعادن الرجال، فردّ الشيخ الجليل يونس خالص على القنصل المتعجرف بكلمات ستبقى مسطرة بماء الذهب في ذاكرة التاريخ، ستذكرها الأجيال جيلاً بعد جيل. ردّ عليه قائلاً:

"يا سلمان! نحن الأفغان، لو أن الأنعام من بلاد الحرمين؛ البقر والغنم والإبل استجارت بنا لأجرناها، وأحسنّا جوارها وما أسلمناها لأحد، فكيف برجل لم نر منه إلا النصرة والجهاد والعطاء، وهذه قبور إخوانه وشهدائهم في كل ربوع أفغانستان، هذا لا يكون". فقال سلمان العمري للشيخ يونس خالص: **"فليكن في علمك أن الحكومة السعودية تعتبرك مسؤولاً عن كل ما يحصل في السعودية من إرهاب"**. فقال له الشيخ يونس خالص: **"طيب، إذن أخبرهم أني أنا المسؤول عما يحصل في السعودية"**[٣].

---

١) فرسان تحت راية النبي، للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

٢) لمن أراد الوقوف على المزيد من التفصيل في محاولات أمريكا لقتل أو خطف الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- عليه بالرجوع إلى كتاب "فرسان تحت راية النبي" للشيخ الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله.

٣) الطالبان بين آمال المستقبل ومخاطر المؤامرة. مجلة المجاهدون.

وفي زيارة لاحقة للتهنئة بالعيد ضم الشيخ يونس خالص الشيخ أسامة إلى صدره وقال له بصوت ملؤه الحب والرحمة، وبنبرة متهدّجة تعلو بحماس لتُظهر القوة، لكنها لا تُخفي بحّة مرتعشة تنمّ عن كبر سن المتحدث: **"لا تظن أني كبرت وأصبح عمري ٩٠ عاماً. بالأمس وُلدت لي بنت أسميتها مدينة، على اسم مدينة الرسول، ﷺ"**، وأضاف رحمه الله: **"أنا لا زلت قوياً أقف أمامكم كالدرع أحميكم من أي شيء"**. وفي إحدى المرات قال للشيخ أسامة: **"أنا لا أملك إلا نفسي وهي على عزيزة جداً، ولكن نفسي دون نفسك، ونحري دون نحرك، وأنت في ضيافتنا ولا يصل أحد إليك، وإذا حصل من الطالبان شيء أخبرني، رغم أن إمكانياتي لوصولهم قليلة ولكن أبذل وُسعي"**[١]. فرحم الله الشيخ يونس خالص فقد كان رجلاً في زمان عزّ فيه وجود الرجال.

ولم يكن هذا الموقف النبيل الذي وقفه الشيخ يونس خالص هو الموقف الوحيد لأولئك الرجال، بل كانت هناك الكثير من مواقف العزة والإِباء التي وقفوها رغم ضعف قوتهم وقلة حيلتهم ما تقشعر له الأبدان، ويعجز معها القلم واللسان أن يوفيها حقّها في البيان، سيأتي ذكرها لاحقاً بإذن الله.

بعد تلك المحاولات السلمية التي لم تُجْدِ نفعاً لتسليم الشيخ أسامة، لجأ حكام آل سعود اِلى استخدام القوة مستخدمين عبيدهم من المنافقين، ومن باع دينه بعرض من الدنيا قليل. وكان بطل هذه المحاولة هو حجّي قدير والي ولاية ننجرهار، عليه من الله ما يستحق.

وكان حجّي قدير قد أرسل برسالة اِلى الشيخ أسامة في تورا بورا يخبره فيها بأنه يودّ مقابلته في أقرب فرصةٍ في مبنى الولاية في مدينة جلال أباد. وكان مخطط حجّي قدير الذي توجّس منه الشيخ أسامة والإخوة هو احتمالية اعتقاله ومن معه والهروب بهم إلى كابل التي كانت تحت سيطرة حكومة رباني وأحمد شاه مسعود. وكان رباني –بعد أيامٍ من عودة الشيخ أسامة إلى أفغانستان– قد أعلن عن عزمه إلقاء القبض على الشيخ وتسليمه الى نظام آل سعود في أول فرصة يتمكن فيها من ذلك.



حجي قدير – أخزاه الله



برهان الدين ربّاني[٢]

وكان حجّي قدير يدرك أنّ جلال أباد لا محالة ساقطة في أيدي الطالبان فأراد تنفيذ ذلك المخطط قبل دخولهم، لكن يأبى الله اِلا أن يدافع عن المؤمنين، ويجعل لهم من كل ضيق مخرجاً، ومن كلّ همٍّ فرجاً.

---

١) نقلاً عن الشيخ سيف العدل حفظه الله.

٢) كان أحد قادة الجهاد الأول الذين قاتلوا الروس الملاحدة تحت راية الإسلام، لكنه ارتد على عقبه وقاتل الطالبان تحت راية الصليب، نسأل الله السلامة.

وكان الشيخ أسامة قد استشار كل الإخوة المتواجدين في تورا بورا حول الذهاب لمقابلة الوالي أم عدمه، فكان القرار الذهاب لكن مع أخذ الحيطة الشديدة والحذر. وفي نفس الصباح الذي كان من المفترض أن يتحرك فيه الشيخ أسامة الى جلال أباد لمقابلة الوالي، جاءت الأخبار بأن حجّي قدير قد هرب الى كابل، لأن الطالبان كانوا يحتشدون في بوّابة طورخم الحدودية استعداداً لدخول جلال أباد، فخرج بعض الإخوة للتأكد من صحة الأخبار، فشاهدوا في الطريق حركة غير معهودة من السيارات عليها مسلحين متجهين صوب جلال أباد، فعلم الإخوة بعد السؤال أنهم ذاهبين لتأمين المدينة وحمايتها من أي فوضى قد تحدث، فتأكد الإخوة من صحة الأخبار، وحمدوا الله كثيراً أن سلّم الشيخ أسامة وردّ كيد الظالمين.

مقتل القادة ودخول الطالبان جلال أباد:

وكان بعض قيادات مجلس شورى جلال أباد وعلى رأسهم القائد سازنور وانجنير محمود وغيرهم، قد تحركوا في صباح ذلك اليوم في قافلة من السيارات متجهين صوب نقطة طورخم الحدودية لاستقبال وفود الطالبان، وتسليم زمام الأمور والقيادة لهم، لكن كان هؤلاء القادة على موعد آخر من أقدار الله، فقد كان في منتصف الطريق بين جلال أباد وطورخم نقطة حاكمة مسيطراً عليها أحد المنافقين كان أخٌ شقيق للمدعو "شِمالي".

وكان شِمالي هذا واحداً من أئمة النفاق المشاكسين في جبهة جلال أباد أيام الجهاد الأول، يثير دائماً المشاكل والفتن والبلابل في الجبهة، فتداعى عليه قادة الجهاد حينها -وكان من ضمنهم انجنير محمود والقائد سازنور- فقتلوه، فأراد شقيق شِمالي المسيطر على هذه النقطة ويُدعى منجي أن يثأر لأخيه. وبالفعل أوقف منجي القافلة، وأمر انجنير محمود والقائد سازنور بالترجّل من السيارات والدخول معه الى داخل النقطة، فرفضوا الإمتثال لأمره لأنهم كانوا على يقين بأن الرجل يضمر شراً، وبالفعل لم يمهلهم شقيق شِمالي طويلاً فعاجلهم، وأمر رجاله بفتح النار على السيّارات، فحدثت فوضى كبيرة قُتل على اِثرها الكثير ممن كان في القافلة، على رأسهم القائد انجنير محمود، والقائد سازنور الذي ضُربت سيارته بقذيفة آر بي جي فاحترقت، ولاذ بعدها شقيق شِمالي بالفرار إلى باكستان قبل وصول قوات طالبان الى مسرح الحدث.

كان وقع هذا الحدث -بالرغم من تزامنه مع فرحة دخول طالبان إلى مدينة جلال أباد- شديداً جداً ومؤلماً ومحزناً على كل الإخوة، وعلى رأسهم الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، فقد كان لهؤلاء الرجال فضلاً ومكاناً كبيراً في القلوب، لما بذلوه وقدموهم منذ السنوات الأولى للجهاد لنصرة دين الله والمستضعفين من المؤمنين، فلم يغيروا ولم يبدّلوا كما فعل غيرهم، ولم يخوضوا أبداً في فتنة القتال بين الأحزاب، فمضوا الى ربهم صابرين محتسبين أطهار، نحسبهم كذلك والله حسيبهم.

وما أن دخلت قوات طالبان جلال أباد في ١١/٩/١٩٩٦م حتّى تنفّس الناس الصعداء، وعمّت الفرحة والشعور بالأمن والأمان كل القلوب، فقد كان لوجود الطالبان في كل مكان يُحِلّون فيه خشية ورهبة في قلوب أعدائهم، فهرب كل من كان في قلبه مرض من السُرّاق وقطّاع الطريق وتجار الحروب.

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يتعرّف فيها الإخوة على حركة طالبان، فقد تواصل معهم قبل ذلك -عندما كان الشيخ أسامة في السودان- الإخوة القائمين على أمر المعسكرات في خوست، وهم أبو عطا التونسي -رحمه الله- وأبو الفرج الليبي فك الله أسره. وكان هؤلاء الإخوة قد نقلوا عن طالبان صورةً طيّبة

مغايرة لتلك التي كانت سائدة في أذهان كثيرٍ من الإخوة، من أنهم صنيعة أمريكية على أيدي المخابرات الباكستانية، فقد كانت خوست من أوائل الولايات التي سيطر عليها طالبان، وتواصلوا بعدها بإخواننا في المعسكرات ليطمئنوهم ويخبروهم بأنهم جماعة قامت لتقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والفساد الذي كان قد استشرى في كل أفغانستان بواسطة السراق وقطاع الطريق وتجار الحروب، وأنهم لا يسعون لإغلاق المعسكرات أو الحدّ من نشاطها، رغم أن بعض العرب الذين كانوا مع الحزب الإسلامي حكمتيار، كانوا يقاتلون الطالبان.

كانت هذه هي الصورة المشرقة في أذهان إخواننا لحركة طالبان عندما دخلوا جلال أباد، وتأكد لهم ذلك بعد يوم أو يومين من سيطرة الحركة على جلال أباد، وذلك عندما جاء رسولٌ من الحركة لمقابلة الشيخ أسامة في تورا بورا ليخبره بأنه حلّ أهلاً، ونزل سهلاً وعزيزاً وضيفاً مكرّماً، ولا خوف عليه من جانبهم، فليعش آمناً مطمئناً في بلده الثاني أفغانستان.

وبعد أن استتب الأمر لطالبان في جلال أباد مرت وفودهم مسليّةً على الشيخ أسامة، ومجددةً ومؤكدةً له حسن الجوار، وسمع الإخوة في هذه الزيارات من أفواه أولئك الرجال ما يثلج الصدور، ويذرف العيون من الفرحة والبهجة، لِما رأوا من النصرة والحماية، وكان مما قاله أحد قادة الطالبان للشيخ أسامة:

"يا شيخ بلادنا هذه ليست أرض الأفغان، إنها أرض الله، وجهادنا هذا لم يكن جهاد الأفغان وإنما جهاد المسلمين، وهؤلاء شهداؤكم في كل البلاد تشهد قبورهم، وأنتم بين أهليكم وذويكم، ونحن نبارك التراب الذي تمشون عليه"[١] ا.هـ

اللقاء الأول مع أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله[٢]:

وكان الشيخ أسامة رحمه الله –أثناء وجوده في جلال أباد– قد قام برحلتين إلى قندهار للقاء أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله، وكانت الرحلة الأولى في فبراير ١٩٩٧م، وصحب الشيخ في رحلته تلك الشيخ أبو الوليد المصري، والشيخ سيف العدل، والأخ أبو طارق التونسي، وأبو زياد الموصلي، ومحمد رحيم الأفغاني، وفضل الرحمن الباكستاني، ومفتي عبد الرحيم الباكستاني، وقد حضر لاصطحابهم بالهليكوبتر من قندهار الملا أختر منصور، الذي أصبح أميراً للمؤمنين بعد وفاة الملا عمر، رحمهما الله. وهمس الشيخ أسامة في أذن الشيخ سيف العدل قائلاً له: **"لن أملك دموعي عندما أرى أمير المؤمنين، وسوف أقبّل رأسه".**

وبعد الدخول على الملا عمر عرّف بينهما الملّا منصور، فرحب الملّا عمر بالشيخ أسامة، وعبّر له عن سروره باستضافته وتشرفه وتشرف طالبان بالدفاع عنه، أولاً كضيفٍ عربيٍ كريم، وثانياً كمجاهدٍ قاتل معهم في حرب أفغانستان. وبدا أن الملّا عمر كان متوعكاً، فقد نهض من سريرٍ حديدي خاص بالمستشفيات القديمة جداً، مكسو بملاءة بيضاء عليها بطانية سوداء زهيدة السعر. وكان أمير المؤمنين رجلاً نحيفاً يرتدي لباساً أفغانياً زهيد القيمة، غامق اللون، معتمراً عمامة سوداء لفها حول رأسه على الطريقة القندهارية.

---

١) الطالبان بين آمال المستقبل ومخاطر المؤامرة. مجلة المجاهدون.

٢) نقلاً عن الشيخ سيف العدل حفظه الله.

وفي غرفة متواضعة فُرشت بتواضعٍ شديدٍ جلس الجميع، وبدأ الشيخ أسامة يعرض قضيته على أمير المؤمنين الملّا عمر، والرجل ينصت باهتمام شديد. وفي نفس اللقاء تحدث أمير المؤمنين عن التحديات الخطيرة التي تواجه الطالبان بعد دخولهم كابل، وخاصة مواجهة قوات عبد الرشيد دُوستم، وقال للشيخ أسامة إنه قد يكون من الأولى تخفيف الحملة الإعلامية، وأن ذلك مجرد طلب وليس أمراً إلزامياً، فرد عليه الشيخ أسامة بأنه قرر التخفيف أو التجميد الكامل للنشاط الإعلامي لفترة حتى قبل أن يطلب منه، فارتاح الملّا عمر لذلك.

كان ذلك هو اللقاء الأول بين أمير المؤمنين والشيخ أسامة رحمهما الله، أعقبه بعد فترة قصيرة لقاءً آخر[1] تم على مدرج مطار قندهار تحت جناح إحدى الطائرات الروسية العتيقة، حيث فرش حرس أمير المؤمنين الملّا عمر أرديتهم (البتّو)، وجلس الجميع وتحاور الرجلان، وكان يترجم بينهما في الرحلتين الأخ محمد رحيم الأفغاني[2]، فك الله أسره.

جديرٌ بالذكر أن بعض مقابلات الشيخ أسامة مع الصحفيين والقنوات الإعلامية العالمية كانت قد تمّت قبل لقائه الأول مع أمير المؤمنين رحمه الله.



أمير المؤمنين الملّا عمر – رحمه الله

ومن الزيارات المهمة لبعض قادة طالبان للشيخ أسامة في جلال أباد كانت زيارة والي ولاية ننجرهار المولوي كبير حفظه الله، كذلك كان وزير المالية المولوي إحسان الله إحسان أحد هؤلاء الزوار، وكان رحمه الله بعد أن اعتنق الشيخ أسامة على الطريقة الأفغانية قد إخراج مفتاح سيارته وسلاحه (مسدس مكروف مع الحزام) ووضعهما بين يدي الشيخ أسامة، وقال له: "**هذا الذي معي وأحب أن تكون لك**". وبعد طول شكرٍ من الشيخ أسامة، ومحاولات جاهدة لإعادة الهدية لصاحبها، استقر الأمر على قبول المسدس وإعادة السيارة.

---

١) في مذكراته بعنوان "الملا محمد عمر وطالبان وأفغانستان" ذكر الملا عبد الحي مطمئن -الناطق السابق باسم الملا عمر- رحمه الله، أن صحيفة الاندبندنت البريطانية كانت قد نشرت في ٢٢ مارس ١٩٩٧م تفاصيل المقابلة التي أجرتها مع الشيخ أسامة في جلال أباد قبل انتقاله إلى قندهار، والتي هدد فيها الشيخ السعودية والولايات المتحدة. وعلى إثر هذه المقابلة دعا الملا عمر -رحمه الله- في ٢٥ مارس الشيخ أسامة للحضور إليه، وطلب منه التوقف عن توجيه التهديدات للسعودية لأنه من الصعب عليهم الدخول في صراعٍ مع السعودية، ولم يطلب منه التوقّف عن التحريض ضد الولايات المتحدة.

٢) من قدامى المجاهدين، ومن الإخوة الأفغان الثقات، الذين كان الشيخ أسامة يعتمد عليهم في الترجمة وفي قضاء الكثير من الأمور، حالياً أسير منذ عام ٢٠٠٨م، في معتقل جوانتانامو في معسكر ٧ المخصص للأسرى الذين تصنّفهم الولايات المتحدة بأنهم ذو أهميّة عالية، نسأل الله أن يعجّل بفكاك أسرهم جميعاً.

ومن المواقف المشرّفة أيضاً للمولوي إحسان الله ذلك الحوار الذي دار بينه وبين سفير النظام السعودي العمري، عندما قال الأخير: "**أتحمون أسامة وتعارضون أمريكا؟ ألا تدري أن من يعارض أمريكا لا يمشي على الأرض**". فرد عليه المولوي إحسان الله -رحمه الله- قائلاً:

"لقد تعلمت من ديني أن هناك أشياء لا تُصرف لغير الله عز وجل. فهو سبحانه الذي يعز ويذل، ونحن لن نُسلِم مسلماً لكافر. فإن كانت أمريكا هذه تقدر على شيء فلتفعله"[1].

تركت هذه الزيارات واللقاءات -التي التقى فيها الشيخ أسامة أثناء تواجده في جلال أباد بعدد من كبار المسؤولين من قادة طالبان وعلى رأسهم أمير المؤمنين الملّا عمر- اِنطباعاً طيباً ومبشّراً في نفوس الإخوة لطبيعة المرحلة القادمة، وما تقتضيه من تبعات تحتاج الى مثل هذه النماذج من الرجال، التي هي أثبت وأرسخ في مواقفها من الجبال، ولا تهزها العواصف والمحن، ولا يسيل لعابها لعرض من الدنيا فتبيع دينها بدنياها. رجال أشبه ما يكونون بالأنصار الأوائل الذين بايعوا رسول الله ﷺ على أن يمنعوه ويؤوه وينصروا دين الله على قتل أشرافهم وهلكة أموالهم.

وبالفعل صدق هؤلاء الرجال ما عاهدوا الله عليه، فضربوا أروع الأمثلة في الولاء للمؤمنين، والبراءة من الكافرين، فدفعوا ثمناً لذلك ذهاب ملكهم ودولتهم، لكن تبقى تلك المواقف مدوّنةً في ذاكرة التاريخ بمداد من نور ، شاهداً على صورة مثالية من عزة وإباء المسلمين عندما يستمسكون بدينهم، وينصرون شريعة ربهم.

سقوط كابل في أيدي الطالبان:

ما أن استتب الأمر لطالبان في جلال أباد، حتى زحفوا نحو كابل، فسقطت في أيديهم في ٢٧ سبتمبر عام ١٩٩٦م. وكان سقوط كابل انتصاراً وفتحاً عظيماً ومنّة من الله عز وجل لأولئك الرجال الذين تحالف ضدهم كل الفرقاء من أحزاب المجاهدين السابقة، الذين كانوا بالأمس يتقاتلون فيما بينهم، وذاقت كابل من ظلمهم وفسادهم الويلات. ولم يكن هناك من هدف يجمع هؤلاء الفرقاء سوى قتال طالبان، ومنعهم من دخول كابل. فتحالف الشيعة وبقايا الشيوعيين بقيادة عبد الرشيد دُوستم وأحمد شاه مسعود مع عدوهم التقليدي اللدود حكمت يار، وانضم إليهم عبد رب الرسول سياف الذي كان يقاتل الشيعة الهزارة، ووجَّه نيران أسلحته ليقاتل إخوانه من أهل السنة الطالبان. لكن يأبى الله إلّا أن يطهّر كابل من دنس المفسدين، فولى جمعهم الدبر إلى الولايات الشمالية ووادي بنشير.

وفي نفس ليلة دخولها كابل، اقتحمت بعض قوات طالبان مبنى الأمم المتحدة، وأخرجوا منه عميل الروس نجيب الله الذي كان آخر رئيس لآخر حكومة ماركسية في أفغانستان. وكان نجيب قد لجأ إلى مبنى الأمم المتحدة ظنّاً منه أن حصونها الدبلوماسية ستمنعه من إقامة حكم الله فيه، والقصاص العادل منه، ولكن هيهات، فقد عُلق مع أخيه بعد قتلهما[2] ليراهم العالم أجمع، وليكونوا عظةً وعبرةً لأمثالهم.

---

١) نقلاً عن الشيخ سيف العدل حفظه الله.

٢) ذكر الملا عبد الحي مطمئن -رحمه الله- في مذكراته "الملا محمد عمر وطالبان وأفغانستان" **أن القادة الميدانيين اتخذوا قرار إعدام نجيب قبل دخول كابل، حيث رأوا أنّه إذا بقي نجيب على قيد الحياة فسيحظى بالحماية بسبب الضغوط الدولية والاقليمية التي ستمثل حماية لقاتلٍ كبيرٍ بحقّ الشعب. وقد صفّى عناصر طالبان نجيب لأنه قتل عمداً آلاف المسلمين خلال عمله كرئيس لجهاز المخابرات "خاد" أثنا حقبة الغزو السوفيتي. وبخلاف ذلك تجنّبت طالبان قتل أسرى الحرب. فإسماعيل خان قتل أكثر من ألف من عناصر طالبان خلال المعارك المباشرة، لكن طالبان لم تقتله قط أثناء سجنه - الذي قضى فيه ثلاثة سنوات- حيث كان معارضاً ولم يكن قاتلاً للشعب.**



القصاص العادل لجزّار كابل عميل الروس؛ الرئيس الأفغاني السابق نجيب الله وأخيه

مغادرة جلال أباد إلى قندهار:

كانت المحاولة الثانية للنيل من الشيخ أسامة في جلال أباد خطة مفادها أن أحمد شاه مسعود قرر القيام بعملية عسكرية للقبض على الشيخ أسامة -رحمه الله- أو تصفيته. وكان برهان الدين رباني -قبل سقوط كابل- قد أعلن عن عزمه على إلقاء القبض على الشيخ أسامة، وتسليمه الى نظام آل سعود في أول فرصة يتمكن فيها من ذلك.

وكانت تلك المحاولة في شهر أبريل من عام ١٩٩٧م وذلك عندما أسر الطالبان قافلة من السلاح في شِعب من شِّعاب جلال أباد الجبلية. وكان الجميع في ذلك اليوم يحتفلون بزواج الأخ أبي عطا التونسي -رحمه الله- عندما جاءت الأخبار بأن يأخذ كل من في المجمّع الحيطة والحذر، لأن المجمّع مستهدف بعملٍ عسكري، بناءً على المعلومات التي أدلى بها من أُسر في تلك القافلة. فأصدر الشيخ أسامة -رحمه الله- أوامره لكل أفراد المجمّع بأن يكونوا في السلاح والجُعب، وعلى درجة عالية من الاِستعداد لأي طارئ قد يحدث. وبحمد الله مرّت تلك الليلة بسلام، لكن كان هناك تطور آخر أخذ مجراه في الصباح بناءً على تلك الأخبار.

ففي اليوم التالي، وبعد الفراغ من صلاة الفجر مباشرة، تكلم الشيخ أسامة بصورة مختصرة، موضّحاً أنه قد جاء أمرٌ من أمير المؤمنين بإخلاء المجمّع فوراً والتحرك الى قندهار، فأعطى الشيخ أسامة مهلة ساعتين فقط لكل الِاخوة بأن يجهزوا أنفسهم للرحيل بما خفّ وغلا من أغراضهم الضرورية فقط. وبالفعل ما هي اِلا ساعات قلائل في ذلك الصباح حتى كان جميع الإخوة قد غادروا جلال أباد في قافلة من الباصات الصغيرة متوجهين صوب كابل.

كان المشهد محزناً لجميع الإخوة، ومفرحاً في نفس الوقت. كان محزناً لمفارقة جلال أباد وأهلها الطيبين، وعلى رأسهم الشيخ يونس خالص، ومعلّم أول جل -رحمهما الله- ودكتور أمين حفظه الله، وغيرهم. فرغم الأشهر القلائل التي قضاها الإخوة في تورا بورا والقرية الصغيرة مجمّع نجم الجهاد، إلا أنها كانت من أحبّ الأيام إلى قلوبهم. وكان المشهد مفرحاً لأنهم قريباً سيستقر بهم الرحال، ويكونون بجوار أولئك الرجال في قندهار، بين أمير المؤمنين ورفاق دربه الميامين، الذين أعادوا للدين مجده وعزّته، بل وحتى ألفاظه التي غابت عن ذاكرة الأمة ردحاً من الزمان، كأمير المؤمنين والإمارة الاِسلامية وغيرها.

وكان الشيخ أسامة -رحمه الله- قبل التحرّك الى قندهار -أثناء فترة الاِنتظار في كابل حتّى يصفو الجو من الغيوم- قد أوصى كل الاِخوة بأن يراعوا عدم إثارة الفوارق المذهبية بين المذاهب، مثل الجهر بالتأمين في الصلاة الجهرية، ووضعية قبض اليدين أثناء القيام في الصلاة، ورفع اليدين عند الركوع والرفع منه[1]... الخ لأنهم ذاهبين الى عقر دار الطالبان الذين يلتزمون بالمذهب الحنفي.

العظات والعبر من نصيحة الشيخ أسامة للإخوة بعدم إثارة الفوارق المذهبية:

لعل أعظم عظة وعبرة يمكن أن نقف عليها من نصيحة الشيخ أسامة للإخوة هي: **ما كل حقٍ يُقال في كل وقت ولكل أحد**. فهذه القاعدة العظيمة قد شذّ عنها كثير من الناس بحسن نيّة أو بسوئها، مما ترتب عليها كثير من المفاسد، وخاصّة في مواطن الجهاد. فكان الشيخ أسامة -رحمه الله- يذكّر الإخوة بأنّ التعصب على الإتيان بتلك السُنن قد يوغر الصدور عند العوام، وقد يؤدّي إلى فساد ذات البين وهو الحالقة التي تحلق الدين، فالمحافظة على سلامة الصدور، ووحدة صف المسلمين أولى من اِقامة السُنن.

ولم تكن تلك النصيحة من الشيخ أسامة نابعةً من فراغ، بل كانت مبنيةً على تجارب سابقة -حدثت مع كثير من الإخوة العرب المتعصّبين بسبب قلة الفقه وترتيب الأولويات- أدّت الى مشاحنات أوغرت الصدور بين المجاهدين، وكانت مفسدتها أعظم من مصلحتها وفوّتت بذلك كثيراً من الخير.

وفي السنن، عنه ﷺ قال: ﴿أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ. وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ﴾ أخرجه أبو داود في كتاب الأدب من سننه والترمذي في كتاب صفة القيامة من سننه. وجاء في صحيح مسلم: عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: ﴿سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ﴾.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في مجموع الفتاوى ٢٨/٥٠:

١) قال شيخ الإسلام ابن تيميّة -رحمه الله- أثناء كلامه على بعض المستحبات ومنها مسألة البسملة في الصلاة والجهر بها: (ويستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف هذه القلوب بترك هذه المستحبات؛ لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا).

"تعلمون أن من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين تأليف القلوب، واجتماع الكلمة، وصلاح ذات البين، فإن الله يقول ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾. **وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف، وتنهى عن الفرقة والاختلاف، وأهل هذا الأصل هم أهل الجماعة، كما أن الخارجين عنهم هم أهل الفرقة" ا.هـ**

ومما يجدر ذكره كذلك، أن الشيخ أسامة -رحمه الله- كان يعلّم الإخوة كيفية التعامل في الأسواق، فكان يوصيهم بأن لا يكاسروا مع التجار في عملية البيع والشراء. وكان يقول إذا وافقك سعر السلعة المعروض خذها أو اتركها، ولا تدخل مع التاجر في جدالٍ طويل على تخفيض السلعة. وكان يقول للإخوة **أنتم عرب والعرب معروفون بالكرم، فلا تجعلوا هذه الصورة تهتز في نفوس الأفغان.**

التحرك إلى قندهار:

كان المخطط له بعد الوصول الى كابل أن تسافر العائلات بالطائرة، وأن يسافر الشيخ أسامة وفريق حراسته بالسيارات براً إلى قندهار. ونسبة لسوء الأحوال الجوية وتلبّد السماء بالغيوم، فقد تأخر سفر العائلات يومان حتى انقشعت الغيوم. وكان السفر إلى كابل آنذاك يتم بواسطة طائرات نقل عسكرية روسية قديمة، تعتمد إلى حد ما على الرؤيا العينية في خط سيرها. وأثناء تحليق طائرة العائلات في الجو حدث أمرٌ كاد أن يؤدّي بالطائرة ومن عليها لولا لطف الله وستره. فقد كان عبد الرحمن بن الشيخ أسامة يرتدي جُعبته، وأثناء تحركه ومحاولة جلوسه في الطائرة انتزع شيء ما في جسم الطائرة حلقة أمان القنبلة وتعلقت به، ومن لطف الله لم يتحرر مقبض القنبلة، وظل ممسوكاً داخل جيبها الضيّق.

يقول عبد الرحمن: **"أثناء جلوسي انتابني إحساس بأن القنبلة منزوعة الأمان، فنظرت اليها فاذا هي كذلك، فأمسكت بمقبض القنبلة بيدي وهي ما تزال في الجيب، وناديت الشيخ أبا حفص الكمندان وأخبرته بالأمر"**. وبهدوء تام أخرج الشيخ أبو حفص القنبلة من جيب جُعبة عبد الرحمن، ثم ذهب بها الى كابينة القيادة ليطلب منهم مسماراً أو شيئاً يؤمّن به القنبلة. وعندما دخل الشيخ أبو حفص على الطيارين ورأوه ممسكاً بالقنبلة دبّ الفزع في قلوبهم، وظنوا أن الشيخ يهددهم، فقالوا له بالفارسية وهو لا يفهم شيئاً: **"ماذا هناك؟ كل شيء يسير على ما يرام، فهذا هو الطريق الى قندهار الذي نطير فوقه"**.

وبالفعل كانت طائرات النقل العسكرية القديمة، تطير فوق الطريق ذهاباً وإياباً بين كابل وقندهار. فأوضح لهم الشيخ بالإشارة أنه يبحث على شيء يؤمّن به القنبلة، ففهموا أخيراً حقيقة الأمر. وكان أحد الطيارين قد فتح كوة صغيرة في قمرة القيادة، وطلب من الشيخ أبي حفص أن يعطيه القنبلة ليرميها من الكوّة، غير أن الشيخ رفض ذلك خشية أن تصيب شظية منها إذا انفجرت جسم الطائرة، فبحثوا في الطائرة حتى وجدوا حلقة أمان القنبلة وتمّ تأمينها، ولله الحمد والمنّة.

أمّا قافلة الشيخ أسامة فقد كانت مكونة من أربعة سيارات بك أب، تحركت لتقطع مسافة ٥٠٠ كيلو متر حتى قندهار في ٢٤ ساعة متواصلة من السفر الشاق. ولم تكن القافلة تتوقف في الطريق إلا لأداء الصلاة والتزود بالطعام والوقود. وكان معظم الطريق إلى قندهار غير معبّد، ومموّج كأمواج البحر، تسير فيه السيارة ببطء شديد. وأثناء الطريق في بعض المناطق كانت هناك علامات حمراء تدل على أنّ المنطقة على جانبي الطريق ملغومة يجب الإبتعاد منها.

نبذة قصيرة عن كيفية نشوء حركة طالبان:

كانت إذاعة "صوت الشريعة" الناطقة باسم حركة طالبان قد بثّت في تسجيل صوتي لأمير المؤمنين الملّا عمر -رحمه الله- يروي فيه قصة نشوء حركة طالبان، وجاء في التسجيل ما نصّه:

"كنت أدرس في مدرسة ببلدة سنج سار بقندهار مع حوالي ٢٠ من زملائي الطلاب، فسيطر الفساد على الأرض، واستشرى القتل والنهب والسلب، وكان الأمر بيد الفسقة والفجرة، ولم يكن أحد يتصور أنه من الممكن تغيير هذا الوضع وإصلاح الحال، ولو فكرت أنا أيضاً وقلت في نفسي ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ لكفتني هذه الآية، ولتركتُ الأمر لأنه لم يكن في وُسعي شيء، لكنني توكلت على الله التوكل المحض، ومن يتوكل على الله هذا النوع من التوكل، لا يخيب أمله أبداً.

ولعل الناس يتساءلون متى بدأت الحركة؟ ومن كان وراءها؟ ومن يمولها؟ ومن يوجهها ويديرها؟ وأقول: بداية الحركة أنني طويت الكتب في المدرسة في سنج سار، وأخذت معي شخصاً آخر وذهبنا مشياً على الأقدام إلى منطقة زنجاوات، واستعرت من هناك دراجة نارية من شخص اسمه سرور ثم ذهبنا إلى تلوكان. هذه هي بداية الحركة، وأخرجوا كل تصور غير هذا من أذهانكم.

بدأنا نزور الطلاب في المدارس وحلقات الدرس في صباح ذلك اليوم، وذهبنا إلى حلقة درس يدرس فيها حوالي ١٤ شخصاً، فجمعتهم في دائرة حولي وقلت لهم: "إن دين الله يداس تحت الأقدام، والناس يجاهرون بالفسق، وأهل الدين يخفون دينهم، وقد استولى الفسقة على المنطقة كلها يسلبون أموال الناس، ويتعرضون لأعراضهم على الطرق العامة، يقتلون الإنسان ثم يسندونه إلى حجر على قارعة الطريق وتمر به السيارات، ويرى الناس الميت ملقى على قارعة الطريق ولا يجرؤ أحد على أن يواريه التراب.

قلت لهم: لا يمكن الاستمرار في الدراسة في هذه الظروف، ولن تحل هذه المشكلات بالشعارات المجردة، نريد أن نقوم نحن الطلبة ضد هذا الفساد، إن أردتم العمل لدين الله حقيقة فلنترك الدراسة. وأُصارحكم القول بأنه ما وعدنا أحد أن يساعدنا بروبية واحدة حتى لا تظنوا أنا سنوفر لكم الطعام، بل سنطلب الطعام والمساعدة من الشعب. قلت: إنّ هذا ليس عمل يوم ولا أسبوع ولا شهر ولا سنة، بل سيأخذ وقتاً طويلاً. هل تستطيعون القيام بذلك أم لا؟ وكنتُ أشجعهم وأقول لهم: إن هذا الفاسق الجالس في مركزه مثل القدر الأسود لشدة الحر (وكانت تلك الأيام شديدة الحرارة) يحارب دين الله علانية، ونحن ندعي أننا من أهل دين الله، ولا نستطيع أن نقوم بعمل شيء لنصرة شرعه.

قلت لهم: إننا إن فتحنا منطقة سندافع عنها، ثم لا تعترضوا لعدم وجود دراسة أو لعدم توفّر المال والسلاح، فهل تستطيعون القيام بهذا العمل. أم لا؟ فلم يوافق أحد من هؤلاء الـ ١٤ على القيام بهذا العمل، وقالوا: يمكن أن نقوم ببعض الأعمال أيام الجمعة، فقلت لهم من سيقوم به في الأيام الأخرى؟ أشهد الله على أن الحقيقة هي هذه، وأنني سأشهد بذلك أمام الله عز وجل يوم الحشر. هذه الحركة نتيجة التوكل المحض، لأنني لو قست على هذه الحلقة باقي

المدارس والحلقات لعدت إلى مدرستي، لكنني وفيت بالعهد الذي كنت قطعته على نفسي لله تعالى فعاملني بما ترون.

ثمّ ذهبت إلى حلقة درس أخرى وكان فيها حوالي ٧ طلاب، فعرضت الأمر عليهم كما عرضته على طلاب حلقة الدرس الأولى، فاستعد الجميع للعمل. هؤلاء كلهم أمة واحدة، لم تكن بينهم فروق الشباب والشيخوخة أو الطفولة والشباب أو الذكورة والأنوثة، لكن هذا العمل كان مبنياً على حكمة من الله تعالى، فأوقعني منذ بدايته في الامتحان، فتجولنا على هذه الدراجة إلى صلاة العصر على المدارس وحلقات الدرس، حتى استعد ٥٣ شخصاً من أهل التوكل المحض، فعدت إلى مدرستي وقلت لهم: تأتون غداً الصباح، لكنهم جاءوا في الساعة الواحدة ليلاً إلى سنج سار، فكانت هذه هي البداية.

إن العمل بدأ قبل أن تمضي على الفكرة ٢٤ ساعة، وكان أحد أصدقائي يصلي بالناس، فلما صلى بهم صلاة الفجر قال أحد المأمومين إنني رأيت الليلة في المنام أن الملائكة دخلت إلى سنج سار، وكانت أيديهم ناعمة فطلبت منهم أن يمسحوني بأيديهم (للتبرك). وطلبنا في صباح الغد الساعة العاشرة سيارتين من الحاج بشر أحد تجار المنطقة، فأعطانا سيارتين سيارة صغيرة وسيارة شحن كبيرة، فنقلنا هؤلاء الطلاب إلى منطقة "كشك نخود"، وانضم إلينا آخرون، ولما كثر العدد استعرنا الأسلحة من الناس، فكانت هذه بداية هذه الحركة حتى استمرت"[١] ا.هـ

الدروس المستفادة من قصة أمير المؤمنين:

لا شك أن في رواية أمير المؤمنين بنفسه لكيفية نشوء حركة طالبان، دروساً عمليةً قيّمة لا حصر لها من دروس التوحيد الإيمانية ستظل دوماً حُجّة بالغة على أدعياء التوحيد، ومناراً يستضيئ بها الأحرار في معركة التغيير. ولن تسع كتب ومجلّدات لاستخراج العظات والعبر المستفادة من هذه الدروس، ناهيك عن هذه الأسطر، التي ما هي إلّا مجرّد خطوط عريضة على بعض كلمات أمير المؤمنين، لدراستها والوقوف على مدلولاتها بتأنٍ، وهي:

١) **توكّل أمير المؤمنين التوكّل المحض على الله عزّ وجل**، وثقته ويقينه المطلق فيه سبحانه وتعالى بأنه لا يُخيّب من توكل عليه هذا النوع من التوكّل -وإن كان رجلاً واحد- لتغيير واقعٍ مستحيل التغيير، وصفه أمير المؤمنين بقوله: "**لم يكن أحد يتصور أنه من الممكن تغيير هذا الوضع وإصلاح الحال**". فأمير المؤمنين -رحمه الله- لم يقل كما قال كثير من الناس: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، ولكنه علم أنه مكلف بإنكار المنكر، وعلم أن من قام بما كلفه الله به فإن الله سبحانه سيعينه ويوفقه ويهيئ له الأسباب.

٢) **ترتيب الأولويات**، وهذا باب ضلّ فيه كثير من الناس عامّة، والعلماء وطلبة العلم خاصّة إلا من رحم الله. فقد شُغل اليوم مئات الآلاف من العلماء وطلبة العلم عن فريضة المرحلة، وانكبّوا على تحصيل العلم لأجل العلم، وقعدوا وتخلّفوا عن القيام بأوجب الواجبات، وذلك بتحريض الناس لدفع صيال الأعداء عن حرمات الإسلام والمسلمين، وليت الأمر انتهى بكثير منهم عند هذا الحد، بل أصبحوا

---

١) أرشيف البتّار – لموقع مركز الدراسات والبحوث الإسلامية



سيفاً مشرعاً، ولساناً سلطاً به يخذّلون ويصدّون ويُجرّمون كل من قام يدفع صيال الأعداء. ورحم الله أمير المؤمنين الملّا عمر عندما قال: "**فما قيمة طلب العلم إذا كان دين الله يداس تحت الأقدام**". لقد شخّص أمير المؤمنين لطلّاب العلم الداء، وفي ذات الوقت وصف لهم الدواء بقوله: "**ولن تُحل هذه المشكلات بالشعارات المجردة، نريد أن نقوم نحن الطلبة ضد هذا الفساد، إن أردتم العمل لدين الله حقيقة فلنترك الدراسة**".

ورحم الله الشيخ أسامة بن لادن عندما قال في إحدى رسائله التحريضية للأمة:

"فنصرة الدين ليست دروساً تعطى فقط، والدين لا يقوم على فتات أوقاتنا وأموالنا، وإنما سلعة الله غالية، فشتان شتان بين الجلوس وتقديم الدروس، وبين تقديم النفوس والرؤوس لنصرة الله".

يقول الشيخ أسامة -رحمه الله- معلّقاً على حديث رسولنا الكريم ﷺ: ﴿رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ﴾:

"ففي هذا الحديث العظيم فقه عظيم جداً، حيث أنه وضّح للناس وللمؤمنين أهمية الأولويات في هذا الدين، فرأس الأمر الإسلام ورأس أركان الإيمان والإسلام شهادة أن "لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله"، فالإيمان فيه شُعب، فلا ينبغي بحال إذا غابت الشعبة الأولى وهي أعظمها وأفضلها وأعلاها شهادة أن "لا إله إلا الله" الاشتغال بما دونها، فهي الأساس لهذا الدين. فما يفعل الناس في هذا الزمان وهم يرون بأم أعينهم أن "لا إله إلا الله" بمعناها الذي أُنزل على محمد ﷺ قد غُيّبت عن حكم الناس في جميع شؤون حياتهم، ويشتغلون بكثير من الشُعب مع غياب هذه. فهذا لا يمكن أن يسمّى لمن علم بهذه الحقائق إلا هروباً عن أداء الواجب، بل عن أعظم واجب في الحياة وهو تحكيم شهادة أن لا إله إلا الله على كل مؤمن. ولو قعد الإنسان عن الجهاد، واشتغل بإماطة الأذى عن الطريق وهي شعبة من شعب الإيمان وكان الجهاد متعيناً، فلا يقال لهذا الذي يعمل بهذه الشعبة أو بهذه الطاعة جزاه الله خيراً، بل هو في ديننا فاسقٌ من الفاسقين، فارٌ فرَّ عن نصرة لا إله إلا الله ونصرة دين محمد ﷺ، فينبغي الانتباه الشديد إلى هذه الأولويّة، وهي كما لا يخفى وللأسف الشديد غائبة غياباً عظيماً جداً من جميع بلاد الإسلام بدون استثناء. وأنبّه الإخوة كما في حديث رسولنا ﷺ عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ﴾ [رواه البخاري]**، فالفرائض والطاعات والعبادات هي ما فرض الله سبحانه وتعالى، وترتيبها كما رتبها الله سبحانه لا بما يتوافق معنا، وبما يتوافق مع أهوائنا، وبما يتوافق مع نفوسنا وتثاقلها إلى الأرض.**

فعندما تكون الأولوية الأولى بتحكيم لا إله إلا الله، فلا يصح بحال الاشتغال بالطاعات الأخرى على حساب إقامة الدولة الإسلامية، وتحكيم شرع الله سبحانه وتعالى" ا.هـ

٣) **العمل على تغيير المنكر بالمتاح والمستطاع من الإمكانيات**، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾. فأمير المؤمنين لم يَعِد جموع الطلّاب بتوفير السلاح أو المؤونة، حتى يكون من يقوم معه على تغيير المنكر على بيّنة من أمره، فلا يتضجّر أو يتسخّط إذا لم يتم

توفير الدعم اللازم له. لقد كان أمير المؤمنين في منتهى الصراحة والوضوح بقوله لجموع الطلبة: **"ما وعدنا أحدٌ أن يساعدنا بروبية واحدة، حتى لا تظنوا أنّا سنوفر لكم الطعام، بل سنطلب الطعام والمساعدة من الشعب"**.

جديرٌ بالذكر أن الملّا خير الله خير خواه (وزير الثقافة والإعلام المكلّف في حكومة طالبان) كان من السابقين الأوائل في حركة طالبان، وكان قد قصّ عليّ في معتقل جوانتانامو أن بعض الطالبان كانوا يخرجون في الغزوة وليس معهم سلاح، فكانوا ينتظرون إذا استشهد أحد الطالبان، أو فتح الله عليهم بغنيمة سلاح من أسلحة مخالفيهم، أخذوه وقاتلوا به.

٤) كذلك كان أمير المؤمنين على ثقة كبيرة بأن الشعب حتماً سيقف معه وسيدعمه، وسيقدّم لحركته المؤونة رغم ما يمرّ به الشعب الأفغاني من الفاقة والفقر، وما ذلك إلّا لأن الشعوب تقف وتساند كل من التحم معها في قضاياها المصيرية. ولعل أهم قضيتين مصيريتين تمس حياة الشعوب هِما الأمن، وتوفير الغذاء، وما دونهما يسير إن لم يتيسّر، ولعلّ في قول الله عزّ وجل ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ لفتة إلى هذين الأمرين المهمين.

٥) ومن المفارقات العجيبة جداً في قصّة أمير المؤمنين، بل هي آية من آيات الله، وكرامةٌ وفضلٌ منه سبحانه وتعالى لهذا الرجل، أنّه عندما قام لتغيير المنكر الذي عمّ وطمّ آنذاك كما ذَكر في قصّته، كان أقصى ما يمكن أن يتخيله هو محاربة أولئك المفسدين في منطقته، وإذا تفاءلنا يمكن أن نقول على أقصى تقدير في ولايته، ونكاد نجزم أنه لم يكن يقصد أو يتخيل أن هذا الأمر سيتطور إلى هذا الحد، وسيقوده إلى بسط سيطرته وسلطانه على كل أفغانستان.

ولعل ما ذكره الملّا حفيظ الله حقاني في كتابه عن طالبان تعليقاً على رواية أمير المؤمنين عن كيفية نشوء حركة طالبان ما يُعضّد ذلك الرأي، يقول الملا حفيظ الله حقّاني:

"أن مؤسس الحركة استهدف من إنشاءها إزالة الفساد الذي كان منتشراً في المنطقة وخاصة في قندهار، وكذا إزالة مراكز جمع الإتاوات من الطرق العامة، وكان الأمر في نظره أمراً محلياً غير ذي شأن، فلم يهتم بثبت التواريخ، كما يُلاحظ أن بعض التجار والقادة الميدانيين ساعدوهم في بداية الأمر بالأموال والسلاح، وكان اجتماعهم في أول الأمر في مديرية "ميوند" بمنطقة "سنج سار"، وبدئوا العمليات من منطقة "كشك نخود"، ثم تقدموا إلى مديرية أرغستان، ومن هناك اتجهوا إلى مديرية "سبين بولدك" الواقعة على الحدود مع باكستان، وهناك استولوا على أكبر مخازن الذخيرة التابعة للحزب الإسلامي حكمتيار، والتي كانت بحوزة القائد "سر كاتب". وفي تقدمهم ظلت عناصر طالبان تنزع السلاح من مجموعات المجاهدين، وتزيل نقاط التفتيش الموضوعة على الطرق العامة لجمع الإتاوات وتؤمن كل السكان" ا.هـ [١]

لكن لما علم الله سبحانه وتعالى في سابق علمه إخلاص أمير المؤمنين، وتجرّده وتوكله المحض عليه سبحانه، وغيرته وحرقته على محارم الله، وصموده وثباته حتى الممات على ثوابت الدين اصطفاه سبحانه وتعالى واختاره ليتم التغيير على يديه، ليس فقط في أفغانستان، بل لتكون مواقفه الإيمانية الرجولية التي وقفها من قضيّة تسليم الشيخ إسامة سبباً من أسباب هزيمة قياصرة العالم أجمع بقيادة هبل العصر

١) أرشيف البتّار – لموقع مركز الدراسات والبحوث الإسلامية.

أمريكا ليأخذوا أماكنهم في مقبرة الامبراطوريات، كما دلّت على ذلك الأحداث والوقائع التي شهدتها ذرى أفغانستان على مدى عشرين عاماً كاملة، والتي نقلنا شذراتٍ منها في هذا الكتاب.

فعندما وفّى أمير المؤمنين رحمه الله كما يقول بالعهد الذي كان قد قطعه على نفسه لله تعالى عامله سبحانه بما نرى، وهذه سنّة الله سبحانه -لا تتغير ولا تتبدّل- في تغيير الأمم والمجتمعات، كما خصّها الله سبحانه في رسله وأنبيائه، كذلك خصّها في الصالحين من أوليائه. فأي رفعة وكرامةٍ وفضلٍ وشرفٍ نلته من الله سبحانه وتعالى يا أمير المؤمنين؟

وعن مجيء الطالبان يقول الشيخ أسامة -رحمه الله- في معرض ردّه على أسئلة الصحفي جمال إسماعيل مراسل قناة الجزيرة:

"كنّا في حزن شديد أثناء اختلاف الفصائل الأفغانية والمجاهدين، ولكن منّ الله سبحانه وتعالى على الأمة بحركة طالبان، فجاءت وأنقذت هذا الجهاد من المخطط الأمريكي الذي كان خلف نجيب، وكان يضغط على المجاهدين عبر باكستان لتشكيل حكومة علمانية فيها خمسون في المائة من الشيوعيين السابقين وبعض الذين درسوا في الغرب، والبقية من الأحزاب الأفغانية الجهادية السبعة. والحمد لله أن وفّق لمجيء هذه الحركة، وجاءت في وقت قد بلغ السيل الزبى، وبلغ التعب بالناس مبلغه، وكثر قطّاع الطرق للأسف الشديد. وأضاف قائلاً: فكانت هناك خمس دويلات في هذه الدولة الصغيرة، فضلاً عن قطّاع الطرق الذين يعتبرون دويلات داخل الدولة، فمن الله على المسلمين بمجيء حكومة طالبان" ا.هـ

حركة طالبان في عدّة نقاط:

وبما أننا قد دخلنا معقل الطالبان في قندهار، فمن الجدير هنا أن نذكر في عدة نقاط نبذة قصيرة عن بدايات نشأتهم[1].

١- الطالبان، هم طلبة العلم الذين يدرسون في المعاهد والمدارس الشرعية. كان هؤلاء الطلاب من المشاركين في الجهاد الأفغاني الأول، ولم يكن هناك حزب أو جماعة تجمعهم، إنما كانوا أفراداً ومجموعات صغيرة منتشرين بين فصائل وأحزاب المجاهدين المختلفة. ومع دخول المجاهدين الأفغان العاصمة كابل في أبريل ١٩٩٢م انطوت آخر صفحة لحكومة نجيب الشيوعية الموالية للروس، وبدأت مرحلة جديدة من التحالفات المشبوهة سباقاً للسيطرة على كابل، عقدها بعض قادة الجهاد آنذاك مع الأحزاب الشيعية وبقايا الشيوعيين، فبدأت بوادر التناحر والشقاق والقتال بين أحزاب المجاهدين تدق طبولها طلباً للسلطة، وهنا آثر هؤلاء الطلاب ألّا يخوضوا في تلك المعارك، فألقوا السلاح، ورجعوا إلى مدارسهم في باكستان وأفغانستان لمواصلة طلب العلم. وفي غيابهم دبّ الفساد ونخر في قادة الجهاد، وتقسمت أفغانستان إلى دويلات يحكمها جنرالات الحروب والسراق وقطّاع الطريق، ودخلت البلاد في نفق مظلم من الفتنة والظلم وانعدام الأمن على الأموال والأعراض.

٢- في ربيع ١٩٩٤م شاء الله أن تستوقف نقطة من نقاط السيطرة التابعة لأحد الفئات الأفغانية المتناحرة في قرية "سنج سار" القريبة من قندهار سيارة بها عائلة، أنزلت منها فتاتان عنوة، وتم

---

١) النقاط مقتبسة من الويكي بيديا عربي، ومقال بعنوان الميزان لحركة طالبان، ليوسف العُييري. بتصرّف.

اختطافهما واغتصابهما وقتلهما بعد ذلك. شاع هذا الخبر في قندهار ونما إلى علم الملّا عمر -رحمه الله- فعزم على القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فجمع في ١٥ محرّم ١٤١٥هـ الموافق ٢٣ يونيو ١٩٩٤م ثلاثة وخمسين رجلاً من أصحابه، كانوا هم النخبة والنواة الأولى لحركة طالبان، فهجموا على تلك النقطة، وقتلوا الجناة وقبضوا على قائدها وأقاموا فيه حد الله، وتم تعليقه بعد ذلك ليكون عظة وعبرة للآخرين. ثم انتقلوا بعد ذلك إلى منطقة "كشك نخود"، وبدأوا بنزع السلاح من مجموعات أحزاب المجاهدين، وإزالة نقاط التفتيش الموضوعة لجمع الإتاوات على الطرق العامة، ثم استولوا على مديرية أرغستان.

٣- وفي أغسطس ١٩٩٤م، وبعد سماعهم لهذه الأحداث تدافع طلاب العلم المنتشرين في المدارس الشرعية داخل أفغانستان وباكستان لينضموا لمجموعة الملا عمر، وتعاهدوا على جمع السلاح، واستعادة الأمن والاستقرار، وإزالة نقاط التفتيش وجمع الإتاوات. فأخذوا يهاجمون نقاط قطاع الطريق والمفسدين. فاستولوا في أكتوبر١٩٩٤م على مديرية "سبين بولدك" الحدودية، كما استولوا على مخازن الأسلحة والذخيرة المركزية للولايات الجنوبية الغربية التابعة للحزب الإسلامي بزعامة حكمتيار، التي تعتبر من أكبر مخازن السلاح في أفغانستان.

٤- وفي ٥/١١/١٩٩٤م، سيطر الطالبان على مدينة قندهار.

٥- تسامعت الولايات المجاورة بما حصل من الأمن والاطمئنان في قندهار، فأرسل أهالي ولاية أَوروزجان المجاورة وفداً، وكذلك فعل أعيان ولاية هلمند، ثم أرسل أهالي ولاية زابل وفداً كذلك ليستقدموا الطلبة، وطلبوا منهم تسلّم مقاليد السلطة لإقامة الشريعة، ففعل الطالبان ذلك وبسطوا سيطرتهم على هذه الولايات دون قتال، وكان ذلك في شهري نوفمبر وديسمبر من عام ١٩٩٤م. وكان الطلبة يرفعون الراية البيضاء على كل شبر يسيطرون عليه، ويقيمون فيه الشريعة، ويفرضون الأمن، ويجمعون السلاح، ويحاربون اللصوص وقطاع الطريق.

٦- ثم أرسل أهالي ولاية غزني يريدون من الطلبة أن يرسلوا وفداً لبحث بسط سيطرتهم عليها، فغضب حكمتيار الذي كانت له قوات هناك، فأرسل لقادته أوامر بمقاتلة الطلبة لو جاءوا إلى غزني. وحاول الشيخ جلال الدين حقاني التوسط، وأرسل لحكمتيار يرجوه ألا يقتتل الناس في الشهر المبارك، وكان شهر رمضان لعام ١٤١٥هـ، الموافق يناير ١٩٩٥م قد حل، وخرج الشيخ حقاني بنفسه في وفد للتوسط، ولكن الوفد التقى بفلول قوات حكمتيار الذين اشتبكوا مع الطلبة وهُزموا بعد معركة قصيرة، ودخلت غزني تحت سيطرة الطالبان في ٢٦/١/١٩٩٥م.

٧- وفي ١٠/٢/١٩٩٥م، استولى الطالبان في هجوم مباغت على ميدان شهر عاصمة ولاية وردك، المعقل الحصين للحزب الإسلامي لحكمتيار بولاية وردك.

٨- وفي ١٤/٢/١٩٩٥م أي بعد أربعة أيام من سقوط ولاية وردك، تمكنت حركة طالبان من إحكام سيطرتها على جميع مناطق نفوذ الحزب الإسلامي حكمتيار حول كابل بعد انسحابه من مقره في "شاراسياب" إلى منطقة سروبي. وأطلق الطلبة عدة قوافل إغاثية للأمم المتحدة وغيرها كان حكمتيار قد احتجزها ليضيّق على أهل كابل، ويُجبر رباني ومسعود على الاستجابة له.

٩- وفي ١٩/٢/١٩٩٥م بسطت الحركة سيطرتها على معظم مناطق ولايتي بكتيا وبكتيكا الجنوبيتين. وكانت ولاية بكتيا بزعامة الشيخ حقاني قد انضمت صلحاً لطالبان.

١٠- وفي ١٩٩٥/٥/٩م هاجمت القوات الحكومية بقيادة إسماعيل خان والي هيرات في جنوب غرب أفغانستان حركة طالبان، وتمكنت من استرجاع ولايتي فراه ونيمورز وأكثر مناطق ولاية هلمند، وبدأت تهدد قندهار مركز حركة طالبان ومعقلها الحصين.

١١- وفي ١٩٩٥/٩/٢م استطاع الطالبان في هجوم مفاجئ أن يستردوا ولاية فراه وهلمند ونيمروز من قوات إسماعيل خان، واستولوا على قاعدة "شين دند" الجوية التي تعتبر من أكبر القواعد الجوية في أفغانستان.

١٢- وفي ١٩٩٥/٩/٥م هاجمت طالبان قوات إسماعيل خان المتمركزة في غرب البلاد، وتمكنت من السيطرة على مدينة هيرات.

١٣- وفي ١٩٩٥/١٠/١٠م تقدمت قوات طالبان نحو كابل بعد أن سيطرت على مساحات شاسعة جنوب غرب أفغانستان، وعلى شاراسياب، وتلال خير آباد المشرفة على جنوب كابل للمرة الثانية، وبذلك أحكمت طالبان حصارها على العاصمة كابل. وكان الطالبان قد أرسلوا لقادة الأحزاب وعلى رأسهم رباني ومسعود وحكمتيار وسياف أن يصطلحوا بينهم، وأن يعلنوا إقامة الشريعة، ويخرجوا الشيوعيين من صفوفهم، وينظفوا دوائر الدولة من مظاهر الفجور والاختلاط، لكن باءت كل محاولاتهم في جمع شمل الأحزاب بالفشل.

١٤- وفي ١٩٩٦/٤/٣م بايع ١٥٠٠ من العلماء من مختلف أنحاء أفغانستان الملا محمد عمر أميراً، ولقبوه بأمير المؤمنين.

١٥- وفي ١٩٩٦/٨/٢٤م استولى الطالبان على قاعدة "سبينة شجة" -المعقل الحصين لحكمتيار بولاية بكتيا- واستولوا على مخازن كبيرة للسلاح.

١٦- وفي ١٩٩٦/٨/٢٧م استولى الطالبان على مديرية أزره بولاية لوجر التي كانت تعتبر خطاً دفاعياً منيعاً لمدينة كابل.

١٧- وفي ١٩٩٦/٩/٨م استولى الطالبان على مديرية حصارك التي تعتبر بوابة مدينة جلال آباد، وانهزمت قوات شورى ننجرهار الموالية لحجي قدير دون مقاومة، مخلفة وراءها عشرات الدبابات وراجمات الصواريخ.

١٨- وفي ١٩٩٦/٩/١١م دخلت قوات طالبان عبر بوابة طورخم إلى مدينة جلال أباد بقيادة ملّا بورجان، وكان يحكم جلال أباد آنذاك مجلس شورى مكون من عدة أحزاب، وكانت الكتلة الرئيسية من قادة جلال آباد التابعة لحزب المولوي الشيخ يونس خالص على تواصل مع الطالبان، وانضموا معهم بالاتفاق وناصروهم. كذلك وافق زعماء الكتلة الأخرى التابعين لسياف وعلى رأسهم القائد سازنور على تسليم المدينة للطلبة، ورفضوا أوامر قادتهم بقتال الطلبة، بل إن سازنور -رحمه الله- أرسل استقالته إلى سياف قائلاً له: **بأنه لن ينهي تاريخه بقتال طلاب العلم الشرعي، الذين ينشرون الأمن ويحكّمون الشريعة.**

١٩- وفي ١٩٩٦/٩/١٣م سقطت ولاية لغمان بيد الحركة.

٢٠- وفي ١٩٩٦/٩/١٤م سقطت ولاية كونر بيد الحركة.

٢١- وفي ١٩٩٦/٩/٢٥م دخل الطالبان مديرية سروبي بقيادة ملّا بورجان وملا عبد الرزّاق، واستولوا عليها بعد انسحاب قوات الحكومة منها.

٢٢- وفي ٢٦/٩/١٩٩٦م تقدمت قوات طالبان إلى منطقة "بل شرخي"، وقُتل في هذه المعارك ملا بورجان أحد أشهر القادة العسكريين للحركة.

٢٣- وفي ليلة ٢٧/٩/١٩٩٦م هاجم الطالبان كابل، فسقطت سريعاً في أيديهم بعد قتال ضعيفٍ مع حاميتها من قوات مسعود ورباني وسياف، وهربت الأحزاب شمالاً، وتوقف القتال عند خط جبل السراج وبوابة ممر سالانج في ٢٨/٩/١٩٩٦م. وأعدمت الحركة ليلة دخولها كابل رئيس أفغانستان الشيوعي السابق نجيب الله، وأعلن أمير المؤمنين الملا محمد عمر عن تكوين لجنة من ستة أشخاص برئاسة نائبه الأول ملّا محمد رباني، وسقطت قاعدة بغرام الجوية بيد طالبان.

حتى هذه اللحظة كان قد مر على انطلاق حركة طالبان نحو سنتين سيطر فيها الطالبان على ولايات الشرق والجنوب والغرب والشمال الغربي إلى هرات -المبينة على الخارطة بالخط الأخضر- وبقي معظم ولايات الشمال التي تشكل نحو ١٥% من مساحة أفغانستان، وهي ولايات بدخشان، وتخار، وسمنجان، وبلخ وعاصمتها مزار شريف، وفارياب، وبادغيس، باستثناء ولاية قندوز التي سيطر عليها الطالبان لوجود أقلية من البشتون وقفت معهم. وبقي مع حلف المعارضة ولاية باميان التي سيطر عليها حزب الوحدة الشيعي التابع لإيران

ولايـــــات أفغانســـــتان

٢٤- وفي أواسط عام ١٩٩٧م تحرك الطالبان شمالاً واستولوا في حركة خاطفة على معظم ولايات الشمال (بالخط الأحمر)، وسقطت عاصمة المعارضة مزار شريف بأيديهم، لكن الأمر انتهى بمذبحة ومؤامرة قامت بها المليشيات الأوزبكية الشيوعية وحلفاؤهم الشيعة على الطالبان. وكان القائد عبد الملك المنافس لعبد الرشيد دوستم على قيادة المليشيات الأوزبكية قد أظهر أنه انحاز لطالبان، وصالحهم وأدخلهم الولاية، وسلم لهم عاصمتها مزار شريف، وأخرج دستم. فلما أَمِن الطلبة غدر بهم في مجازر وحشية ذهب ضحيتها ما يقرب من عشرة آلاف من الطالبان، وحسب الأرقام التي ذُكرت دفن كثير منهم فيها أحياء في مقابر جماعية على يد الميليشيات الأوزبكية الشيوعية وحلفائهم الشيعة. وبقيت آلاف الجثث في العراء دون دفن، وعليها آثار التعذيب والتنكيل والقتل والتمثيل. وقتل في هذه المذابح كثير من قيادات الطالبان والوزراء والعلماء، على رأسهم وزير المالية المولوي إحسان الله إحسان، رحمهم الله جميعاً.

٢٥- بعد ذلك عاود الطالبان الزحف شمالاً بحذر أكبر، فسقطت بيدهم ولايات الشمال واحدة تلو الأخرى مرة أخرى، فاستولوا على بادغيس، ثم فارياب، ثم مزار شريف عاصمة ولاية بلخ، وقتلوا فيها أكثر من ثلاثة آلاف ممن تآمر ضدهم من المليشيات. ثم واصلوا تقدمهم نحو سمنجان واستولوا عليها، ثم انحدروا جنوباً وسيطروا على المرات الشمالية لباميان، وانضمت إليهم مناطق من بدخشان. وانهارت قوات دوستم الذي فر إلى أوزبكستان. ولم يبق كقوة عسكرية أمام الطالبان إلا مسعود في الوادي الضيق الممتد من بنجشير إلى جبل السراج إلى شاريكار إلى بوابات كابل الشمالية، حيث تقف معه قوات تابعة لسياف بالإضافة لقوات حزب الوحدة الشيعي في باميان. ثم سقطت باميان في مطلع شهر سبتمبر ١٩٩٨م، وكان قد سقط قبلها وادي كيان الذي تستحكم فيه القوات الإسماعيلية الأغاخانية، وهم أقلية موجودة في أفغانستان، وغنم الطالبان فيه غنائم تستعصي على الحصر من السلاح، وأقام الطالبان فيه الحدود الشرعية عقوبة على الخيانة والقتل، وشملت الحدود قرابة أربعة آلاف شيعي ثأراً لمذبحة مزار شريف. والجدير بالذكر أن أهل السنة لم يدخلوا هذا الوادي الإسماعيلي منذ ٨٠٠ سنة مضت. ثم واصل الطالبان زحفهم جنوباً وراء قوات مسعود عن طريق غوربند، واستمرت فتوحاتهم حتى بداية الحرب الصليبية بقيادة أمريكا التي بدأت في ٧ أكتوبر ٢٠٠١م بعد أحداث غزوتي نيويورك وواشنطن.

ومع بداية الحرب الصليبية لم يبق مع التحالف الشمالي إلا ولايتي بدخشان ووادي بنشير (بالخط الأزرق الداكن).

الدروس المستفادة من سيطرة طالبان على أفغانستان:

ولعل سيطرة طالبان الأولى على مقاليد الحكم لخمس سنوات كانت تجربة، ودورة تدريبية لم تكن في حساباتهم ساقها الله لهم سوقاً ليتعلّموا منها كيفية إدارة الدولة، وإقامة حكم الله فيها، وثانياً لاختبارهم وفتنتهم حتى يشبّوا على نار المحنة، وينضجوا على حرارة الابتلاء والتضحية، لتهيئتهم لتلك الأيام الحبلى بتضحيات وابتلاءاتٍ جسيمة في سبيل التمكين لدين الله.

وهنا ملاحظة جديرةٌ بالاهتمام والنظر، فبالرغم من أن أغلب البلاد الإسلامية التي كانت محتلة من قِبلِ الصليبيين خاضت شعوبها معارك التحرير باسم الجهاد في سبيل الله، لكن لم يقم في أيٍ من تلك



الدول أي حكم لله في الأرض. ولعل السبب في ذلك يُعزى إلى أن الراية والشعارات المرفوعة في معارك التحرير تلك لم تكن خالصة لله، حيث اختلطت فيها شعارات القومية الوطنية وشعارات اليسار والشيوعية بالإسلام، مما أحدث انفصاماً لدى تلك الشعوب بين عقيدتها الجهادية الإسلامية –عقيدة الولاء والبراء– وبين تطبيقها الواقعي، وقضية فلسطين خير مثال على ذلك [1]. كذلك لم تفطن تلك الشعوب بدرجة كافية إلى حيل ومكر المحتلين الذين يحاولون الثأر لهزيمتهم العسكرية من خلال تغيير شكل الاحتلال العسكري العنيف إلى احتلال سياسي وثقافي واقتصادي وفكري ناعم وفق تصوراتهم الكفريّة عبر تلامذتهم المتغرّبين الذين ربّوهم ليتسلّموا زمام الحكم بعد رحيلهم.

وباختصار شديد لم تفطن تلك الشعوب إلى ما فطنت إليه حركة طالبان، وهو **أن حكم الله في الأرض يجب أن يكون ثمرة طبيعية لازمة لجهادها وتضحياتها مهما كان الثمن**، والفضل في هذه الرؤية الشرعية الصحيحة يرجع لله وحده، ثمّ إلى طبيعة حركة طالبان التي كانت **تستقي أمرها كلّه من كتاب ربها وسنّة نبيها، حيث كانت تتحرك وتتوجّه حيثما وجّهها العلم الذي تدرسه في مدارسها**. لذلك كانت حركة طالبان عندما تُحكم قبضتها على كل شبر من أرض أفغانستان كانت تُقيم فيه الشريعة، وتفرض الأمن، وتجمع السلاح، وتحارب اللصوص وقطاع الطريق، وتسعى إلى توفير حياة كريمة للناس.

لذلك لا عجب ولا غرابة أن نشهد تلك الحملة المسعورة من إدارة الرئيس الأمريكي السابق بوش، والإدارات الأمريكية المتعاقبة على المناهج التعليمية الإسلامية بصفة عامة، وبصفة أخص على المدارس الدينية التي من رحمها خرجت حركة طالبان، بل وصل الحقد الأمريكي إلى حد قصف بعض مدارس تحفيظ القرآن بالطائرات، وقتل العشرات من الأطفال الذين كانوا يحفظون القرآن، كما فعلوا في مدينة قندوز وغيرها من المدن في أفغانستان. كذلك قادت تلك الإدارات حملة شعواء في كل بلاد المسلمين –وخاصّة في بلاد الحرمين واليمن وباكستان وأفغانستان– لإلغاء المدارس والمعاهد الدينية هناك، وأبقوا فقط على المدارس والمعاهد التي يدين علماؤها بعقيدة الإرجاء (دين الملوك) في مسألة الإيمان والكفر، والولاء والبراء، والذين يتصدون بكل قوة في وجه المجاهدين وفتاوى قادة الجهاد الذين يُعتبرون في نظرهم خوارج وطائفة باغية ينبغي قتالها وردها إلى الحق.

إضافة إلى ذلك سعت تلك الإدارات سعياً حثيثاً بالتعاون مع عملائهم حكام البلاد الإسلامية لتغيير المناهج الدينية، وحذف مادّة الجهاد، وآيات الولاء والبراء، وحذف كل ما يتعلّق بالعداوة مع اليهود والنصارى، وعِوضاً عن كل ذلك وضع مناهج دراسية للمدارس تصنع في دوائر المخابرات، فُصّلت تفصيلاً يناسب هوى أسيادهم الأمريكيين. وكانت إدارة الرئيس الأمريكي السابق بوش الابن –في أواخر عام ٢٠٠٣م– قد سعت إلى تحريف وتغيير ديننا الإسلامي من خلال إحدى لجان الخارجية الأمريكية أطلق عليها لجنة تطوير الخطاب الديني، وأن هذه اللجنة انتهت من إعداد تقريرها النهائي، وأن الإدارة الأمريكية ستبلغ الدول العربية بمضمون هذه التوصيات في نشر الدعوة الدينية، وكل ما يتعلق بأمور الدين الإسلامي [2]، وشرّ البليّة ما يُضحك.

---

١) فرسان تحت راية النبي، للشيخ الدكتور أيمن الظواهري. بتصرف.

٢) مقال في أرشيف البتار بعنوان: "منتهى الجنون ... خطة أمريكية لتشويه الخطاب الديني لدى المسلمين". بتصرف.





جلسة استجواب في الكونجرس لوزير الخارجية الأمريكي السابق تلرسون حول جهود وزارته لتغيير المناهج في بلاد الحرمين

الوصول إلى قندهار:

عند الوصول الى قندهار أُنزلت العائلات مؤقتاً في جناح من أجنحة المطار إلى أن يتم تجهيز المجمّع السكني المجاور للمطار. وكان الطالبان قد عرضوا على الشيخ أسامة مجمّعين للسكن، أحدهما في ولاية هلمند وكان مؤهلاً وجاهزاً للسكن، والآخر قرب مطار قندهار غير أنّه لم يكن مؤهّلاً وجاهزاً للسكن، فاختار الشيخ أسامة مجمّع مطار قندهار، وكان يبعد حوالي ٣٠ كم من المدينة. كذلك كان الطالبان قد عيّنوا الملا جليل -النائب الأول لوزير الخارجية- ليكون مسؤول اتصال وارتباط مع الإخوة.

وكان المجمّع يحتوي على قرابة ثمانين بيتاً، ومقسوماً الى قسمين. القسم الداخلي وبه ستون بيتاً، وكل بيت مكون من غرفتين ومطبخ وحمام وممر صغير يربط بينهما، وخُصص هذا القسم للعائلات. والقسم الخارجي وبه عشرون بيتاً، وكل بيت مكون من ثلاثة غرف ومطبخ وحمام وردهة صغيرة تربط بينهما، وخُصصت بعض بيوت هذا القسم لإقامة الإخوة العُزّاب، وبعضها مضافات للضيوف والإخوة الزائرين، وبعضها مكاتب للعمل. وكانت كل بيوت المجمّع مبنية بالطوب والإسمنت، وتحتاج الى قليلٍ من الصيانة والنظافة، فقد كان معظمها زرائب لأغنام البدو، ولم تكن البيوت مسورة، وكانت خالية تماماً من الأبواب والنوافذ، وحوائطها لم يبق فيها موضع شبر إلا وفيه حفرةً لطلقة، أو شرخاً لشظية بسبب الحرب.

بعد أن قُسّمت البيوت على الأخوة شرعوا جميعاً في صيانتها ونظافتها. وكان الشيخ أسامة -رحمه الله- منذ وصوله الى قندهار قد توجّه مباشرة الى المجمّع السكني، واختار له أربعة بيوت وسط المجمع،

وأحضر زوجاته وأبناءه فكان أوّل الساكنين في المجمع، حيث كان يستر غرف بيوته بالأردية الأفغانية (البتّوهات)[1] لحين تركيب الأبواب والنوافذ.

وكان الإخوة قد اتفقوا تقليلاً للمصروفات على أن يقوم كل أخ ببناء سور بيته بنفسه من الطين. وكان الجميع في تلك الأيام يتعاونون فيما بينهم في بناء الأسوار، وكان الشيخ أسامة مع أبنائه عبد الرحمن وسعد وعمر وعثمان ومحمد يبنون سور بيتهم بأنفسهم، فكانوا يعجنون الطين بأيديهم وأرجلهم، وكان بعض الإخوة يعاونوهم في ذلك منهم الشيخ بصير وأبو عمير الحضرمي -رحمهما الله- وخلاد بن عتش فكّ الله أسره. وكانوا يرددون أثناء العمل أناشيد اليمن الحماسية التي تشجع وتحمّس على العمل مثل: "أربعة شلّو ام جمل وام جمل ما شلّهم". ولم يمكث ذلك السور طويلاً فقد كان مائلاً ميلاناً كبيراً سقط مع أول هطول الأمطار. كذلك لم يستمر الإخوة في بناء أسوار بيوتهم فقد أُرهقوا كثيراً على حساب الحراسة الليلية، واتفقوا أخيراً على أن يأتوا بعمال يقومون بعملية البناء، فكُلف الأخ أبو حفص العرب للقيام بمهمة الإنشاءات ومتابعتها مع العمال في المجمع، وخلفه بعد فترة الأخ سعدوف رحمهما الله. وبجانب بيت الشيخ أسامة اختار الإخوة أحد البيوت ليكون مسجداً فتم بناؤه ليلحق بالغرفتين اللتين خصصت إحداهما لتكون غرفة خاصّة بمجلس الشيخ أسامة، بينما خصصت الغرفة الأخرى للإخوة العزاب حرّاس الشيخ أسامة.

جديرٌ بالذكر أن أعداد الساكنين بعائلاتهم في مجمّع مطار قندهار كانت في ازدياد مستمر يوماً بعد يوم، وكان من أبرز الساكنين الجدد الشيخ الدكتور أيمن الظواهري، والشيخ أبو الوليد المصري، والشيخ أبو حفص الموريتاني حفظهم الله، والشيخ أحمد حسن أبي الخير -رحمه الله- والشيخ خالد الشيخ محمد فكّ الله أسره.

قدوم الإخوة الجدد:

كان قدوم الإخوة الجدد في تلك الأيام إلى ساحة أفغانستان ضعيفاً جداً، ولعل السبب في ذلك يعود إلى الشيشان. فقد كانت أخبار المعارك الطاحنة التي خاضها المجاهدون ضد الروس، والانتصارات العظيمة التي وثقتها الفضائيات وفيديوهات المجاهدين، لا تزال تتردد أصداؤها في أذهان الشباب. ورغم وجود هدنة وتوقُّف القتال بين المجاهدين والروس في ذلك الوقت، إلّا أن شباب الجهاد كانوا يشدّون رحالهم إلى الشيشان. وكان بعض الذين يأتون إلى أفغانستان آنذاك يأتون للتدريب فقط، ثم يتوجهون إلى الشيشان.

وكانت الصورة العامة المنطبعة في أذهان الكثير من شباب الجهاد -خاصة أولئك المتواجدين في باكستان- معكوسة ومغلوطة عن طالبان، وذلك بحكم الدعاية والإشاعة المضادة التي كانت تبثها وكالات الأنباء، وكذلك كان يبثها قادة فصائل المجاهدين السابقين المناوئين لطالبان أمثال سياف وربّاني وحكمت يار الذي كان فصيله يضمّ كثيراً من المجاهدين العرب ساهموا بفعالية في بثّ هذه الإشاعات. فكانت الصورة في أذهان هؤلاء أن طالبان ما هي إلا صنيعة ودسيسة أمريكية تسيّرها المخابرات الباكستانية. لكن بفضل الله، ثم بصدق جهود الطالبان لإقامة الشريعة، ومحاربة الفساد والمفسدين، ثم بقدوم الشيخ أسامة -خاصة بعد خروج بيان إعلان الجهاد على الأمريكيين المحتلين لبلاد الحرمين- زالت

[1] كلمة (پتو) بالپشتو، لها مقابل في العربية، ولعله أصلها وهو (البتُّ)، وجاء في المعجم الوسيط أنه: كساء غليظ من صوف أو وبر.

هذه الغشاوة، وبدأ الشباب يتدفقون إلى أفغانستان وحداناً وزرافات، حيث كانوا يُستقبلون في كراتشي، ويسافر معهم أخٌ ليدخلهم إلى أفغانستان عبر بوابة بولدك القريبة من قندهار.

وكان الشيخ أسامة يفرح كثيراً عندما يأتي إخوة جدد، فكان قبل ذهابهم إلى معسكر الفاروق في خوست يستقبلهم بحفاوة وكرم، ويجلس معهم مجيباً على كل تساؤلاتهم عن طالبان وأحوال الأمة، وعارضاً عليهم مشروعه الجديد في توحيد الجهود لقتال هبل العصر أمريكا.

مشاركة القاعدة القتال مع الطالبان:

وكان الشيخ أسامة عند لقائه بأمير المؤمنين قد عرض عليه المشاركة معهم في القتال، فلم يمانع أمير المؤمنين ورحب بذلك، ولكن قال إذا دعت الحاجة سنستعين بكم. وكانت جميع الفصائل المناوئة لطالبان بعد سقوط كابل قد توحّدت بعد انسحابها منها تحت مسمى تحالف الشمال. وكانت قوات طالبان قد طاردت هذه الفصائل شمال كابل، وسيطرت على مواقع لقوات مسعود تبعد ٧٠ كيلو متراً شمال كابل في منطقة جبل السراج القريبة من ممر سالانج ومدخل وادي بنشير معقل قوات أحمد شاه مسعود. وفي إحدى المعارك توغلت قوات طالبان داخل وادي بنشير، فأطبقت عليها قوات مسعود وقتلت منهم أعداداً كبيرة، فاضطر الطالبان للرجوع للخلف والتمركز في جبل السراج. وبعد هذه الحادثة أعلن أمير المؤمنين النفير العام، وكان ذلك في منتصف عام ١٩٩٧م.

واستجابةً لأمر أمير المؤمنين، أرسل التنظيم للمرة الأولى الكثير من فلذات أكباده بقيادة الشيخ أبي حفص الكمندان، وتبعهم بعد ذلك الشيخ أسامة -رحمهما الله- للمشاركة مع الطالبان في المعارك ضد تحالف الشمال في منطقة جبل السراج، ولم يبق في قندهار سوى قلة قليلة من الأخوة مع العائلات. وكان من الأخوة البارزين المشاركين الشيخ أبو الوليد المصري، والشيخ سيف العدل، والشيخ عبد الهادي العراقي، والشيخ أبو محمد المصري، وأبو زياد العراقي، والأخ أبو عطا التونسي، وأبناء بن عتش مهند وخلاد وعمير، وطلحة السوداني، وحمزة الزبير المصري، والأخ فهد الكيني، والأخ خالد الحبيب، وآخرين كثر.

وكان الموقع الأول للإخوة في الخط الأمامي مدعوماً بأربعة هاونات ١٢٠ مل في منطقة "بُل متك" شمال قرية شاريكار. وكان الأمير في هذا الموقع هو الشيخ أبو محمد المصري تقبّله الله، وكان الراصد لرماية المدافع هو الأخ أبو زياد العراقي رحمه الله، وكان موقعه في جبل عال يشرف على منطقة جبل السراج بأكملها. وبحكم دراسة الأخ أبي زياد، وتخصصه في المساحة العسكرية فقد كانت الرمايات دقيقة جداً، وتأتي بالضبط من أول قذيفة فوق الأماكن التي يرصدها لتحركات قوات مسعود.

وكان هناك موقع متقدم آخر، يبعد حوالي مئة متر من الخط الأول لقوات مسعود، وكان موقعاً ساخناً جداً أصيب فيه الأخ الشيخ أبو دجانة الباشا[١] رحمه الله بشظية أدت إلى بتر ساقه من الفخذ. وكان هناك موقع ثالث على الطريق الثاني -الذي يربط كابل بقاعدة بجرام الجوية، عبر صحراء "ده سبز"- على رأس جبل عال رابط فيه الإخوة، وكان معهم دبابة لحماية كابل من تقدم أي قوات من تلك الجهة.

---

١) صهر الشيخ أيمن الظواهري حفظه الله.

قصة إنشاء خط ثاني (خلفي) للدفاع عن كابل:

وهنا يروي لنا الشيخ سيف العدل -حفظه الله- قصّة إنشاء الخط الثاني للدفاع عن كابل، فقال:

"عندما وصلت المجموعة الأولى -تحت قيادة الشيخ أبي حفص رحمه الله، ومعه كلاً من الشيخين أبي وليد المصري وأبي محمد المصري- إلى شمال كابل، وبعد سلسلة من المناوشات مع قوات مسعود تبين لهم أن الطلبة يعتمدون أسلوب الحرب الخاطفة، مستثمرين المفاجأة وهيبة الشريعة، ولا يأخذون في اعتبارهم تنفيذ ذلك من خلال ترتيبات عسكرية سليمة، خاصة في حال حدوث رد فعل مرتب من العدو. وكان أسلوب الكر والفر هو الغالب، وكان هذا هو سبب رفض الملا عمر -رحمه الله- لمشاركة[١] العرب حينما طلبنا منهم المشاركة عند وصولنا لقندهار. كذلك وجد الاخوة أنه لا يوجد بعد الخط الأول خط ثان للدفاع عن كابل.

في هذه الأثناء لم يجد الشيخ أسامة -رحمه الله- أي راحة في قندهار، وكان يحاول ما أمكن أن يذهب إلى كابل والشيخ أبو حفص -رحمه الله- يرفض، ويخبره أن الوضع خطير وغير منظم، ومن الممكن أن تنقلب الأمور في أي لحظة. وبعد عدة مشاورات بيني وبين الشيخ أسامة ابتكر -رحمه الله- حيلةً[٢] لكي نذهب إلى كابل، فطلب مني الشيخ أسامة أن أطلب من الشيخ أبي حفص -رحمه الله- أن نزوره في كابل خلال مرورنا بها في طريقنا إلى خوست[٣]. وكان الشيخ أبو حفص نبيهاً ويدرك ما يفكر فيه صاحبه، فقال لي إذا كان مجرد مرور فلا بأس. وبالفعل ذهبنا إلى كابل، وتحول المرور إلى تواجد ومشاركة بفاعلية وحماس.

وبمجرد وصولنا أطلعنا المشايخ الثلاثة على خطورة الوضع، وضرورة إقامة خط ثان للدفاع عن كابل. وتم الاتفاق على استطلاع ميداني فقمنا (المشايخ أسامة وأبو الوليد وأبو حفص وكاتب هذه السطور) بجولة من طرف قاعدة بجرام الجوية إلى دوسراك[٤]، ثم نزولاً إلى مراد بيك[٥]. وتبين لنا صحة ما ذكره الشيخان أبو حفص وأبو الوليد من ضرورة إقامة خط ثان للدفاع عن كابل. وخلال الجولة الاستطلاعية حددنا موقعين: الأول في طرف قاعدة بجرام[٦]، وتم تكليف الشيخ عبد الهادي العراقي ومعه الأخ حمزة الزبير بتهيئته. والثاني طرف مراد بيك وتم تكليفي بتهيئته.

ذهبت في اليوم التالي إلى وزير الدفاع الملّا عبيد الله رحمه الله، والتقيته على مشارف بجرام، وأخبرته بضرورة إنشاء خط دفاع ثان عن كابل، واحتياجاتنا من الأسلحة وخاصة الدبابات، فقال لي العدو ضعيف لماذا أنتم موسوسون، فقلت له نحن لسنا موسوسين ولكننا نخاف

---

١) نقلاً عن الشيخ سيف العدل: "طلب الشيخ أسامة بالمشاركة أكثر من مرة. وتعلل الملا عمر بما أسلفت. وكنت أعطي بعض الشباب دورة في العمل السري بأحد البيوت بقندهار وإذا بمعاون وزير الخارجية يطرق الباب ويخبرني بأن الملا عمر وافق على أن نشارك في القتال شمال كابل. فطرت بالخبر للشيخ أسامة الذي فرح به فرحاً كبيراً".

٢) **هذه حقيقة حتى يعلم الناس أن الرجل كان تواقاً للجهاد وتأبى نفسه أن يقعد خلف إخوانه. سيف العدل.**

٣) نظرا لخطورة الوضع الأمني في كابل آنذاك فقد كان من المقرر أن يذهب الشيخ أسامة برفقة الشيخ سيف العدل إلى خوست.

٤) مفرق الطريق على بعد خمسين كيلو متراً من كابل محاذٍ لقاعدة بجرام الجوية.

٥) قرية صغيرة شمال كابل بنحو ستة عشر كيلومتر.

٦) يقع هذا الموقع على الطريق الثاني، الذي يربط كابل بقاعدة بجرام الجوية، عبر صحراء "ده سبز"، وكان يحكم الطريق جبل عال على جانبه.

عليكم من رد فعل مسعود وقواته، وأنتم لن يضركم شيء بل هو مفيد. المهم بعد أخذ ورد وافق على دبابتين، واحدة تُوضع في بجرام والأخرى في مراد بيك. فأرسلت الأخ البطل أبا عابد العراقي لاستلام الدبابة ولكن مسؤول الفرقة ماطل معه.

في هذا الأثناء كان عندنا مشكلة في قلة عدد الاخوة العرب. ولعلاج ذلك اتفقنا مع اخواننا الباكستانيين أن يمدونا بعشرة من إخوانهم، فأخذت الأخ أبا همام الصعيدي والأخ عادل (أمير الاخوة الباكستانيين) ومعنا بعض المعدات والإداريات. نزل الأخ أبو همام ومعه الإداريات على جبل مراد بيك، وتحركت مع الأخ عادل لإحضار الشباب من المقدمة. وبعد أن أخذنا الشباب وفي طريق عودتنا إلى مراد بيك، قُصفت سيارتي وقتل أربعة من الشباب، وبدأ هجوم كبير من أحمد شاه مسعود. وفي سلسلة طويلة من الأحداث انهار فيها صف الطلبة، وتحرك الجميع في انحياز غير مرتب للخلف استمر من صلاة الظهر إلى فجر اليوم التالي. وبعد أن التقيت بعبد الهادي العراقي أخذت منه أخين هما خلاد بن عتش وسالم الشريف، وعدنا مشياً إلى جبل مراد بيك. حيث بات أبو همام وحيداً على جبل مراد بيك.

تواصلت مع الاخوة في كابل فأرسلوا سيارة أخرى، فذهبت بصحبة الأخ البطل أبي عابد العراقي -رحمه الله- للفرقة لاستلام الدبابة، ولم يتردد قائد الفرقة هذه المرة بتسليمنا الدبابة، وانطلق بها أبو عابد إلى مراد بيك، ووفقنا الله على عجل لاختيار مربض مناسب لها، وكان بفضل الله محمي من المواجهة طبيعياً، ولكنه مكشوف من بقية الجهات، ويشرف على الطريق ويقطعه بامتياز.

وبعد العصر وصل أبو الفرج الليبي مع دفعة من الشباب ورشاش دوشكا ومدفع ٨٢ مم وذخائر. أتذكر من الشباب كلاً من: كاتب السطور، أبي همام الصعيدي، أبي الفرج الليبي، أبي عابد العراقي، خلاد بن عتش، سالم الشريف، أبي محجن الطائفي، أبي جندل اليمني، أبي محمد العوهلي[١]، عبد الظاهر الأفغاني، داوود الأفغاني، عبد الصبور الأفغاني، الزبير الباكستاني ومعه ثلاثة إخوة -الذاكرة لا تسعفني في أسمائهم فقد مر على الأحداث أكثر من ٢٣ عاماً- وبلغ عددنا وقتها ١٦ من أبناء المسلمين.

بسرعة قمت بترتيب الموقع وتوزيع الشباب كالآتي: أبو الفرج الليبي ومعه الزبير الباكستاني وأبو جندل على الدوشكا بأعلى الجبل ومعهم ثلاثة من الشباب. ورتبت لسالم الشريف وأبي محجن مع المدفع عديم الارتداد عيار ٨٢مم موقع أمام الدبابة، يبعد حدود ٣٠٠ متر في واحدة من الزوايا الجيدة بالجبل، والتي تشرف على الطريق بحيث يندفعا إليه في حال حدوث هجوم. وشكلت طاقم الدبابة من أبي همام الصعيدي وخلاد بن عتش، وبقية الشباب كانوا معي بالقرب من الدبابة، وعلى هذا بتنا ليلتنا في العراء، فالوقت لم يكن كافياً لأي شيء آخر. في صباح اليوم التالي، فوجئنا بهجوم لقوات مسعود، فتحرك كل أخ لموقعه، فباشر أبو الفرج الليبي الاشتباك مع حشود الشماليين.

١) أحد المنفّذين لعملية السفارة الأمريكية في نيروبي. نجّاه الله من الموت رغم أن السيارة المفخخة كانت تحمل ثلاث أطنان من المتفجرات. حالياً أسير في سجن ADX Florence الواقع في ولاية كولورادو بأمريكا، نسأل الله أن يعجّل بفكاك أسره.



وللدبابة قصة طريفة في مسألة توجيه السبطانة[1] وحتى في إطلاق القذيفة اليتيمة، حيث لم تنطلق إلا بعد أربعة محاولات ثم تعطل المدفع. المهم أن القذيفة أصابت الهجوم في مقتل، وكذلك اشتباك أبو الفرج بالدوشكا، فقد تفاجأ العدو بوجود مقاومة بالجبل، فظن أن هناك حشد كبير فأجّل هجومه.

على الظهر توافدت مجموعات الطلبة، واحتلت القمة التي على ميمنتنا. وللتأكد أنهم من الطلبة قصة طريفة أيضاً ليس هنا مجال سردها. كذلك بدأ الطلبة في الانتشار على طول خط ميسرة مراد بيك في القرى وحتى سلسلة الجبال. المهم أنه في صباح اليوم التالي كان جبل مراد بيك وميسرة الطريق قد تحولا إلى موقع حراسة يصعب اقتحامه[2]، وبقي بفضل الله صامداً إلى الغزو الأمريكي. هذه هي قصة الخط الثاني، خط مراد بيك. وللخط الأول، خط دوسراك قصة أخرى"[3]

بعد ذلك أيقنت قوات مسعود أنه من المستحيل التقدم نحو كابل ما لم تأخذ جبل مراد بيك، فركزت نيران أسلحتها من دبابات وهاونات وشلكات عليه، وقتل على الجبل كثير من الأخوة المجاهدين كان من بينهم صابر الذي سمُي الجبل فيما بعد باسمه، فكان يقال جبل صابر. وحاولت قوات مسعود أكثر من مرة اقتحام الجبل ولكن كان لهم الشباب بالمرصاد، وفي إحدى المرات نجحت قوات مسعود في اقتحام الجبل وسيطروا عليه لكنهم لم يلبثوا فيه كثيراً حيث أمطرتهم نيران أسلحة الطالبان من كل مكان، فأُجبروا على النزول منه. وفي هذه الأيام العصيبة، وليس بعيداً من الجبل قتل الأخ الكريم أبو عطا التونسي مع ثلاثة اخوة آخرين كانوا في رفقته، رحمهم الله جميعاً.

هجوم طالبان وتأمين كابل:

لم يلبث هذا الوضع طويلاً حيث نظّم الطّالبان صفوفهم وهجموا على قوات مسعود. لكن حتى تتضح صورة ذلك الهجوم لا بد أن نذكر قليلاً عن جغرافية المنطقة، فقد كانت عبارة عن وادٍ جبلي يعرف بوادي شمالي، يتسع عرضه في بدايته -بعد الخروج من كابل- إلى ٢٢ كيلو متر، ويضيق شيئاً فشيئا حتى يصل عرضه بعد ٧٠ كيلو متر، إلى ٨ كيلو مترات في جبل السراج. ويميناً ويساراً على طول الطريق الرئيسي الذي يشقّ الوادي تكتظ المنطقة بقرى كثيرة بأزقتها الضيقة، وبأحراش ووديان ومزارع للعنب.

---

١) نقلاً عن الشيخ سيف العدل: **"بعد أن قفز كلاً من أبي همام وخلاد داخل الدبابة، شرعا بتحريك السبطانة باتجاه اليمين دون جدوى، وأنا بالخارج أستعجلهما، فرد علي أبي همام بأنها لا تتحرك. فقمت مع الشباب بدفعها لمسافة معقولة، وسألت أبا همام كيف ترى فقال يصعب الرؤية من المنظار سوف أنظر من السبطانة. ثم قال لا أرى شيئاً، ووضعت رأسي تحت السبطانة، ودفعها الشباب حتى وصلت إلى اتجاه العدو وقلت له اضرب في هذا الاتجاه ولمسافة في حدود الكيلومتر ونصف تقريباً. وبعد ضبط الارتفاع كبر أبو همام وأطلق ولم ينطلق شيء. ثم حاول مرة أخرى وثالثة ولا شيء. فجأة صاح خلاد "أمان المذخر"، فقلت بلهجة مصرية فك ابن الذين ده. ثم أطلق أبو همام القذيفة التي فرقت أحلام الحشد على الطريق. ولكن فارغ القذيفة انحشر ولم يخرج وتعطل المدفع بعدها، ولكن المراد منها بفضل الله قد تم. بعد يوم أو اثنين قام أبو عابد العراقي -رحمه الله- بإصلاح أعطال الدبابة، وبقيت تعمل إلى آخر وقت" ا.هـ**

٢) نقلاً عن الشيخ سيف العدل حفظه الله: **"حينما استقر الوضع على جبل مراد بيك، اتصل عليّ الشيخ أسامة بالمخابرة ينقل كلامه أحد الاخوة للاطمئنان، فلما طمأنته طلبت منه التوجه إلى خوست كما اتفق مع الشيخ أبي حفص قبل أن نأتي إلى كابل. فقال بأدبه الجم من خلال الوسيط اتأذن لنا بالذهاب إلى خوست وأنكم لستم بحاجة لنا فقلت له نعم، فأعاد الطلب مرة أخرى وثالثة. فقلت له اطمئن إن شاء الله، لن يدخل مسعود كابل ونحن أحياء. فتحرك الشيخ -رحمه الله- إلى خوست كما اتفقنا" ا.هـ**

٣) نقلاً عن الشيخ سيف العدل حفظه الله.

وكانت هجمات الطالبان السابقة تتم كلها بالتقدم بالسيارات البك أب على الطريق العام، حيث كانوا يتوغلون عشرات الكيلو مترات على الطريق دون أن يعترضهم أحد، ثم لا يلبث جنود مسعود أن يلتفّوا عليهم من القرى والأزقة ومزارع العنب، فيوقعوا فيهم قتلى وجرحى فيضطروا مرة أخرى للانسحاب، حدث ذلك الأمر مرتين. وفي المرة الثالثة أمر الطلبة جميع السكان في القرى بإخلائها بعد إعلانها منطقة حرب، فاستجاب السكان وخرجوا بالآلاف من بيوتهم متجهين صوب كابل.

أخذ الطالبان يزحفون بعرض الوادي كله، في خطٍ واحد في غاية التنسيق، فكانوا يفتحون طرقاً جديدة إذا كان هناك عائق لهم في الطريق، وإذا واجهتهم مقاومة كانوا يتصدون لها بثبات. فكانت قوات مسعود في تقهقر مستمر، ولم يكن الطالبان يتقدمون حتى يتأكدوا أن ظهرهم آمن مئة بالمئة، لذلك كان تقدمهم بطيئاً جداً إلى أن وصلوا بعد أيام إلى منطقة (دو سراك)، المحاذية لقاعدة بجرام الجوية، والتي تبعد حوالي خمسين كيلو متراً شمال كابل، وهناك ثبّت الطالبان الخط ولم يتقدموا، حيث كانت خطتهم التركيز على المعارك الدائرة في مزار شريف، وفي شمال أفغانستان عموماً، وبقي الخط ثابتاً في مكانه في منطقة "دو سراك" حوالي أربعة سنوات.

وفي إحدى المرات حاولت مجموعة من الطالبان التقدم ومعهم مجموعة من الإخوة العرب -منهم عُمر سيف الفلسطيني وكان أمير العرب في الخط- فوقعوا في كمين وطلب منهم أصحاب مسعود الاستسلام لكنهم رفضوا، وطلب الإخوة المحاصرون من الإخوة -حيث كانوا يتواصلون معهم بالمخابرة- الدعاء بأن يثبتهم الله، فقاتلوا حتى قتلوا جميعاً رحمهم الله، وكان من بينهم أخ نيجيري أسود البشرة يكنّي نفسه بمثنى اللبناني، طلب فيه أصحاب مسعود مبلغاً كبيراً من المال لتسليم جثته، فرفض الإخوة الاستجابة لطلبهم، فتركه أصحاب مسعود في العراء تحت أشعة الشمس، وكان الجو حاراً جداً في تلك الأيام، وبعد شهر كامل هجم الطلبة مرة أخرى ووجدوه كما هو لم يتغير أو يتعفن، وكان رحمه الله يقول: "أسأل الله أن يبيّض وجهي إذا قُتلت حتى لا يلبّس سيّاف على أصحابه ويقول هؤلاء العرب سوّد الله وجوههم".

وبعد هذه المحاولة لم يقم الطالبان بأي محاولة للتقدم للأمام، حتى جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، لتبدأ بعدها مرحلة جديدة من التدافع ما زالت رحاها تدور حتى هذه اللحظة.

محاولات المخابرات المركزية الأمريكية CIA لأسر أو قتل الشيخ أسامة:

إضافةً إلى ما تمّ ذكره من محاولات وكلاء أمريكا العديدة للنيل من الشيخ أسامة -رحمه الله- كانت هناك أيضاً محاولات استخباراتية من قبل المخابرات المركزية الأمريكية CIA لأسر الشيخ أسامة أو قتله في قندهار بواسطة عناصر عميلة من الأفغان البشتون.

وكان الإخوة -بعد الاستقرار في مجمّع المطار- قد أنشأوا طوقاً أمنياً للحراسة بعددٍ من المواقع حول المجمَع، وكانوا قد استعانوا بالطّالبان بأن يمدّوهم بعدد من الأفراد ليغطّوا حراسة أحد هذه المواقع وهو الموقع الجنوبي. وكانت المخابرات الأمريكية قد نجحت في تجنيد قائد هذه المجموعة ليقوم بعملية عسكرية مهمّتها أسر أو قتل الشيخ أسامة رحمه الله. وكان هذا القائد يأتي ويدخل المجمع بين فينةٍ وأخرى، ولم يكن أحدٌ من الإخوة يساوره الشك فيه، ويشاء الله أن يفضحه، ويكشف ستره فوشى أحد أفراد مجموعة موقعه بالمخطط للطّالبان، فتم القبض عليهم جميعاً بفضل الله وحده.

وكان تقرير لجنة الكونجرس عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر قد اعترف في الصفحات ١١٠- ١١٥ بهذه المحاولات، وجاء في التقرير:

"منذ صيف عام ١٩٩٧م بدأت المخابرات المركزية الأمريكية تناقش خططاً للعمل ضد الشيخ أسامة بن لادن. ومنذ خريف عام ١٩٩٧م حتى يونيو ١٩٩٨م أعدت السي آي إيه خطتين لاختطاف الشيخ أسامة بن لادن بواسطة عناصر عميلة في القبائل البشتونية، الأولى بكمين يترصده في حركته من قندهار لمجمعه السكني خارجها، وزعم العملاء القبليون أنهم حاولوا وفشلوا! أما الثانية فكانت عن طريق هجوم ليلي يقوم به عملاء من القبائل على سكن الشيخ أسامة بن لادن للقبض عليه ونقله للمحاكمة في أمريكا، أو في بلد عربي حكومته عميلة لأمريكا. وقد تم التصديق على الخطة الأخيرة والتدرب عليها عدة مرات، وحدد يوم ٢٣ يونيو ١٩٩٨م لتنفيذها، ولكن الخطة ألغيت في آخر مايو ١٩٩٨م خوفاً من الخسائر، وعدم قدرة القبائل على الحصول على الشيخ أسامة بن لادن حياً"[١] ا.هـ

تشكيل الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين في ٢٣ فبراير ١٩٩٨م:

بعد أن دحر الطالبان قوّات مسعود إلى منطقة دو سراك كما تقدّم ذكره استقرت الأوضاع في كابل، ورجع الشيخ أسامة إلى قندهار لتفعيل مخرجات بيان "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب" على أرض الواقع. وكانت أول خطوة من خطوات الشيخ أسامة -رحمه الله- في هذا الأمر هي نجاحه في بداية عام ١٩٩٨م من استصدار فتوى من حوالي أربعين عالماً من علماء أفغانستان وباكستان، تؤيد بيانه لإخراج القوات الكافرة من جزيرة العرب. وكانت الفتوى قد وزعت على نطاق واسع في باكستان وأفغانستان، وسُربت للصحافة حيث نشرت مقاطع منها جريدة القدس العربي. وكان الشيخ أسامة يهدف لشيئين من هذه الفتوى:

الأول: مشروع إسلامي شامل لتجييش علماء المسلمين ضد الوجود الأمريكي في جزيرة العرب، على أساس أن هذه التوقيعات ستجمع من جهات وبلاد أخرى.

الثاني: الحصول على غطاء أدبي وشرعي له داخل أفغانستان، لأنه قرر إعادة التحرك إعلامياً، ولا يريد أن يصبح في موقف الضعيف مع الملا عمر[٢].

وكان من ثمرات تلك الفتوى، ودعوات الشيخ أسامة المتواصلة لتوحيد جهود المجاهدين في جبهة واحدة لمواجهة أمريكا أن تشكلت (الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين) في ٢٣ فبراير ١٩٩٨م. ورغم أنه لم ينضم للجبهة من الجماعات الجهادية الموجودة في الساحة سوى جماعة الجهاد المصرية وبعض الجماعات من باكستان وبنجلادش، إلّا أن بيانها الأول كان قد صدر في صورة فتوى دعت لقتل الأمريكيين وقتالهم مدنيين كانوا أم عسكريين، واستهداف جميع مصالحهم السياسية والعسكرية والاقتصادية والمدنية في أي بقعة كانت من الكرة الأرضية حتى يكفوا عن جرائمهم ضد المسلمين. وهذا نص الفتوى:

---

١) فرسان تحت راية النبي، للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

٢) أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان. لأبي جندل الأزدي.

فتوى شرعية[1]

الحمد الله منزل الكتاب، ومجرى السحاب، وهازم الأحزاب، والقائل في محكم كتابه: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾. والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله القائل: ﴿بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ، حَتّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ رُمْحِي وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي﴾. أما بعد:

فمنذ أن دحى الله جزيرة العرب، وخلق فيها صحراءها وحفها ببحارها، لم تدهها غاشية كهذه الجحافل الصليبية التي انتشرت فيها كالجراد، تزحم أرضها وتأكل ثروتها وتبيد خضراءها. كل ذلك في وقت تداعت فيه على المسلمين الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. ولم تشهد حدثاً يماثل هذه الحرب العالمية الشاملة بين الإسلام وبين التحالف الصليبي. ويلزمنا حين عظم الخطب وقل الناصر أن نقف وإياكم على مكنون الأحداث الجارية، كما يجب أن نتفق جميعاً على فصل القضاء فيها.

أمتنا المسلمة:

لا أحد يجادل اليوم في حقائق ثلاث تواترت عليها الشواهد، وأطبق عليها المنصفون. ونحن نذكرها ليتذكر من تذكر، وليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة. وهي:

أولاً: منذ ما يربو على سبع سنين وأمريكا تحتل أراضي الإسلام في أقدس بقاعها؛ جزيرة العرب، فتنهب خيراتها، وتملي على حكامها، وتذل أهلها، وترعب جيرانها، وتجعل من قواعدها في الجزيرة رأس حربة تقاتل بها شعوب الإسلام المجاورة. وإذا كان في الماضي من جادل في حقيقة هذا الاحتلال، فقد أطبق على الاعتراف به أهل الجزيرة جميعاً. ولا أدل عليه من تمادي الأمريكيين في العدوان ضد شعب العراق انطلاقاً من الجزيرة، رغم أن حكامها جميعاً يرفضون استخدام أرضهم لذلك، ولكنهم مغلوبون.

ثانياً: رغم الدمار الكبير الذي حل بالشعب العراقي على يد التحالف الصليبي، ورغم العدد الفظيع من القتلى الذي جاوز المليون، رغم كل ذلك يحاول الأمريكان مرة أخرى معاودة هذه المجازر المروعة، وكأنهم لم يكتفوا بالحصار الطويل بعد الحرب العنيفة، ولا بالتمزيق والتدمير، فها هم يأتون اليوم ليبيدوا بقية هذا الشعب، وليذلوا جيرانه من المسلمين.

ثالثاً: وإذا كانت أهداف الأمريكيين من هذه الحروب دينية واقتصادية، فإنها كذلك تأتي لخدمة دويلة اليهود، ولصرف النظر عن احتلالها لبيت المقدس وقتلها للمسلمين فيه. ولا أدل على ذلك من حرصهم على تدمير العراق؛ أقوى الدول العربية المجاورة، وسعيهم لتمزيق دول المنطقة جميعاً كالعراق والسعودية ومصر والسودان إلى دويلات ورقية، تضمن بفرقتها وضعفها بقاء إسرائيل، واستمرار الاحتلال الصليبي الغاشم لأرض الجزيرة.

---

[1]) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

أمتنا المسلمة:

إن كل تلك الجرائم والبوائق هي من الأمريكيين إعلان صريح للحرب على الله ورسوله وعلى المسلمين. وقد أجمع العلماء سلفاً وخلفاً عبر جميع العصور الإسلامية، على أن الجهاد فرض عين إذا دهم العدو بلاد المسلمين. وممن نقل ذلك الإمام ابن قدامة في "المغني"، والإمام الكاساني في "البدائع"، والإمام القرطبي في "تفسيره"، وشيخ الإسلام في "اختياراته"، حيث قال: "أما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين، وهو واجب إجماعاً. فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه". ونحن بناء على ذلك، وامتثالاً لأمر الله نفتي جميع المسلمين بالحكم التالي:

إن حكم قتل الأمريكيين وحلفائهم مدنيين وعسكريين، وقتالهم فرض عين على كل مسلم أمكنه ذلك في كل بلد تيسّر فيه، وذلك حتى يتحرر المسجد الأقصى والمسجد الحرام من قبضتهم، وحتى تخرج جيوشهم عن كل أرض الإسلام مفلولة الحد، كسيرةَ الجناح، عاجزةً عن تهديد أي مسلم، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾. وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾.

أمتنا المسلمة:

إننا باسم الله ندعو كل مسلم يؤمن بالله، ويرغب في ثوابه إلى امتثال أمر الله بقتل الأمريكان، ونهب أموالهم في أي مكان وجدهم فيه، وفي كل وقت أمكنه ذلك. كما ندعو علماء المسلمين العاملين، وقادتهم المخلصين، وشبابهم وجنودهم المؤمنين، إلى شن الغارة على جنود إبليس الأمريكيين ومن تحالف معهم من أعوان الشيطان، وأن يشردوا بهم من خلفهم لعلهم يذّكرون. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ "٣٨" إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الموقّعون:

١- الشيخ أسامة بن محمد بن لادن.

٢- الدكتور أيمن الظواهري (أمير جماعة الجهاد بمصر).

٣- الشيخ أبو ياسر رفاعي طه، ممثلاً عن (الجماعة الإسلامية بمصر)

٤- مولانا مير حمزة، سكرتير جمعية علماء الإسلام.

٥- الشيخ فضل الرحمن خليل، أمير حركة الأنصار بباكستان.

٦- الشيخ عبد السلام محمد، أمير حركة الجهاد ببنجلاديش.

موقف الجماعة الإسلامية المصرية من بيان الجبهة:

وكانت الجماعة الإسلامية في موقعها على الشبكة قد أصدرت بياناً باسم الشيخ رفاعي طه رحمه الله ينفي توقيعه على بيان الجبهة. وهنا قد يقول قائل لماذا أدرجت القاعدة اسم الشيخ رفاعي طه ضمن الموقعين على البيان إن لم يكن بالفعل قد وقّع عليه؟ لكن الحقيقة التي لم يجرؤ على أن يذكرها أحد من الجماعة الإسلامية هي: أنّ الشيخ أبا حفص الكمندان كان هو المتولي لجمع التوقيعات على البيان المذكور، وكان الشيخ رفاعي طه -رحمه الله- هو رئيس مجلس شورى الجماعة الإسلامية في ذلك الوقت. فتباحث الشيخ أبو حفص مع الأخ أبي إبراهيم (إسلام الغمري) -المسؤول عن الجماعة الإسلامية في قندهار في ذلك الوقت- في أن يتصل بالشيخ رفاعي طه، ويعرض عليه البيان، ويطلب منه توقيعه، ولكن هذا المسؤول تحمس للفكرة، وقال لأبي حفص: "**ضع توقيع الشيخ رفاعي وأنا ضامن لك موافقته، وسأتصل به فيما بعد، ولا تعطل البيان من أجل ذلك**"، وأصر على أبي حفص إصراراً شديداً، وأكد الأمر تأكيداً متكرراً، مما دفع الشيخ أبا حفص -رحمه الله- لإدراج اسم الشيخ رفاعي طه. ثم بعد ذلك بدأت تظهر على ذلك المسؤول علامات ارتباك، وأصر على مغادرة أفغانستان لليمن، ورتب له الإخوة جواز سفر وسافر لليمن، وفي اليمن سلم نفسه للسفارة المصرية، ورُحّل لمصر، وانضم لتراجعات الجماعة الإسلامية، ولم يجرؤ هو ولا الجماعة الإسلامية على ذكر هذه الحقيقة[١].



كلمات للمشايخ عن أحوال الأمة الإسلامية

من اليمين: الشيخ أبو حفص الكمندان، الشيخ أسامة، الشيخ رفاعي طه، الشيخ الدكتور أيمن الظواهري

جدير بالذكر أن الشيخ رفاعي طه -رحمه الله- كان قد سجّل عام ٢٠٠٠م زيارة لقندهار، ولم يتنكّر لقناعته بما جاء في الفتوى التي أصدرتها الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين، غير

١) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

أن الجماعة الإسلامية كانت قد مارست عليه ضغوطاً شديدة لسحب توقيعه بحجة أن هذا الأمر حتماً سيعرّض الجماعة وأفرادها في داخل مصر وخارجها لتبعات مواجهة أمريكا.

وكان الشيخ رفاعي طه في كتابه "إماطة اللثام عن بعض أحكام ذروة سنام الإسلام"، قد بين موقفه -المطابق تماماً للفتوى- من قتل وقتال الأمريكان، ومن مبادرة التراجع التي أعلنها بعض قيادات الجماعة الإسلامية، فقال:

"إن الأمريكيين واليهود اليوم هم كفار معتدون صائلون على أرضنا وأعراضنا وجب قتلهم في أي أرض كانوا، وبأي طريقة أمكن ذلك، وأن ذلك واجب على كل مسلم قادر عليه، ولا يحتاج إلى إذن أحد فإنه فرض عين لا يسقط عمّن قدر عليه، وهذا حكم أجمع عليه العلماء سلفاً وخلفاً".

وكان الشيخ أسامة قد رتّب بعد إعلان تشكيل الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين حملة دعائية للتعريف بالجبهة، ولتحريض الأمة على قتال الأمريكيين واليهود، فعقد مؤتمراً صحفياً ناجحاً في خوست حضره عدد من الصحفيين الباكستانيين وصحفي صيني.

كذلك التقى الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- في مايو ١٩٩٨م بالصحفي الأمريكي جون مِلر من قناة إيه بي سي الأمريكية. وكان الاتفاق مع ميلر أن يقدم أسئلة مكتوبة، وأن يسأل ما اتفق عليه فقط. فقدم أسئلة كثيرة أحسّ الشيخ أسامة في بعضها رائحة تحقيق مباحثي فرفضها، منها سؤال عن رمزي يوسف، يسأل مِلر:

"*هل لرمزي يوسف صلة بك؟ خاصة وأنه ألقي القبض عليه في مضافة خاصة بك*".

ورفض الشيخ السؤال، فقد أحس فيه برائحة المباحث، كما أن رمزي لم يقبض عليه في مضافة خاصة بالشيخ أسامة[١].

وكان الشيخ أسامة قد قال لمراسل قناة الـ إيه بي سي على وجبة الغداء:

"والله لنُنسينّ وزارة الدفاع وساوس الشيطان، والله لأجعل الأمريكي يفرّ من جنسيته".

وبعد أن خرج هذا الصحفي من أفغانستان، أعلن جازماً بأن الشيخ أسامة بن لادن سيقوم بعملية قريبة جداً ضد أمريكا في غضون أسابيع. وبالفعل كانت عمليات نيروبي ودار السلام بعد ثلاثة أشهر من هذا الإعلان[٢].

ومما يجدر ذكره أن الشيخ أسامة -رحمه الله- في لقاءاته الصحفية، ولقاءاته بالشباب في المجالس والمعسكرات كان كثيراً ما يلمّح ويصرّح ويبشّر بأنّ هناك عمل كبير، وأن الشباب قد خرجوا يبتغون الموت مظانه. وكان بعضهم يستغرب من ذلك ويقولون للشيخ ربما يأخذ العدو حذره. وكان الشيخ أسامة يردّ عليهم قائلاً بأنه لا يصرّح ويقول متى وكيف وأين ستكون الضربة، إنما يهدف من وراء ذلك إلى استنزاف الأمريكان معنوياً ومادياً، وكان يقول **"لو رفعنا خرقةً في المشرق مكتوبٌ عليها القاعدة، لاستنفر العدو لها في أقصى المغرب"**.

---

١) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

٢) القصة غير المروية لأحداث الحادي عشر. رواية الشيخ بصير ناصر الوحيشي رحمه الله.



جانب من المؤتمر الصحفي الذي عقده الشيخ أسامة في خوست بعد إعلان تشكيل الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين



لقاء الشيخ أسامة -رحمه الله- مع جون مِلر مراسل قناة ال ABC نيوز الأمريكية

الحرب الجديدة [الحرب اللا متوازية]:

كانت تقارير استراتيجية قد خرجت ووُضعت على مكتب الرئيس الأمريكي بل كلنتون تفيد أن الخطر الحقيقي بعد انتهاء حقبة الحرب الباردة يكمن في الجهاد العالمي، أو الإسلام المتطرف بالمعنى الأمريكي، لأن هذا النوع من المواجهة إن حدث فسيقود أمريكا إلى ما يسمى بالحرب [اللا متوازية]، وهو نوع جديد من الحروب سيسلب الجيش الأمريكي فاعليته العسكرية، لأن صواريخه النووية، وطائراته الشبح، وأقماره الصناعية، وحاملات طائراته ستكون مقابل قوة الاستشهاديين الذين يفجرون أنفسهم في الأهداف الحيوية للنظام الأمريكي، دون أن تشكل القوة الأمريكية أي رادع لهم. وهذا سبب تسميتها بالحرب اللا متوازية، لأن اتجاه القوة الذي تسير فيه أمريكا غير اتجاه القوة الذي تسير فيه القاعدة، أي أن أمريكا بما تملكه من أذرع قوة، وإمكانيات عسكرية، لا ترى أي أهداف حيوية مهمة للقاعدة على الأرض يمكن أن تستثمر قوتها ونفوذها الذي سيطرت على العالم من خلاله في تدميرها. بينما تختار القاعدة أهدافها بسهولة كبيرة، وتدمرها بواسطة العمليات الاستشهادية بسهولة أكبر، مستخدمة [تكنلوجيا الجهل] لتعطيل التقنية المتطورة لآلة الحرب الأمريكية. أي أن القاعدة عندما تستخدم أسلوب تسليم الرسائل باليد (سعاة البريد) للاتصالات بين القادة، فإنها بذلك تعطل كل ما يملكه الأمريكان من أنظمة مراقبة جوية وأجهزة التنصت والرصد.

كان هذا الأمر مخيفاً جداً بالنسبة للقادة الأمريكان، وبدى لهم أنه ليس إلا سوى أفكار نظرية -لما يمكن أن يكون عليه الصراع القادم- حتى وضعت القاعدة قدمها على العتبة الأولى في سلّم الحرب الجديدة بعمليتي نيروبي ودار السلام عام ١٩٩٨م[١].

عمليات نيروبي ودار السلام[٢]:

كانت عمليتي نيروبي ودار السلام هي أول العمليات النوعية الخارجية الكبيرة لاستهداف الأمريكان بعد تشكيل الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين. وكان الشيخ أسامة والشيخ أبو حفص المصري قد انتدبا في نوفمبر ١٩٩٧م الأخ أبا محمد المصري للقيام بهذه المهمة، وأن يكون الأخ هارون فضل القمري مساعداً له. سافر الأخ أبو محمد للسودان للتزود ببعض المال من الأخ طلحة السوداني لتجهيز العمليات، كذلك لمقابلة الأخ هارون فضل القمري هناك، وإخباره بتكليف الإخوة له ليكون مساعده في المهمة الجديدة.

بعد وصول الأخَوين أبي محمد وهارون إلى كينيا شرعوا مباشرة في العمل، فسافرا إلى مدينة ممباسّا، وهناك قسموا العمل إلى خليتين، خلية جمع المعلومات، وخلية التجهيز. تولى أبو محمد وهارون مهمة جمع المعلومات، وتولى الأخ فهد وسالم سويدان[٣] مهمّة التجهيز، وهي نقل المواد.

وبداية كانت الخطة هي استهداف الأمريكان في ممباسّا، فقد كانوا يأتون سنوياً للسياحة قادمين من العراق. فبدأ الأخَوان أبو محمد وهارون يتجولون في المدينة لجمع أكبر عدد من المعلومات عن أي أهداف

---

١) أرشيف مجموع مقالات الأستاذ عبد الله بن محمد.

٢) من كتاب الحرب على الإسلام. هارون فضل رحمه الله. بتصرّف.

٣) الأخوان فهد الكيني، وسالم سويدان رحمهما الله، هما من خيرة الإخوة، وكان الإخوة على معرفة وثيقة بهم فقد انضمّا للعمل الجهادي منذ التسعينات، وتدربا في أفغانستان، وشاركا في الجهاد في الصومال.

أمريكية. وبعد دراسة أكثر من هدف قرر الأخ أبو محمد أن يكون الهدف الرئيسي هو ضرب الجنود الأمريكيين في الميناء حين قدومهم، وضرب الملاهي التي كانوا يرتادونها هدف ثانوي، لكن هذا الهدف استبعد تماماً لقربه من مساجد كبيرة، ومن المحتمل سقوط قتلى مسلمين في حالة ضربها. وكان الأخ أبو محمد قد سجّل نفسه في معهد لتعلم اللغة السواحلية، وكان موقع المعهد قريباً من الأهداف المختارة، فكان يذهب كل صباح للدراسة ولمراقبة الموقع.

لم يأت الجنود الأمريكان إلى ممباسّا ذلك العام، وجاء بدلاً عنهم الجنود الفرنسيون، لكنهم لم يكونوا هم الهدف المخطط له، فقرر الإخوة ضرب مركز ال CIA وهي السفارة الأمريكية في نيروبي. وعلى الفور تحرك الأخ هارون فضل إلى نيروبي لجمع المعلومات الجديدة عن السفارة الأمريكية، وكانوا يسمونها "النجمة".

جديرٌ بالذكر أن المعلومات الأولية عن السفارة الأمريكية في نيروبي، كانت قد جمعت من خلال تواجد الإخوة في كينيا -عندما كانوا يعبرون منها إلى الصومال- أوائل تسعينيات القرن الماضي، وكان الأخ الشهيد أنس الليبي الذي استشهد في سجون أمريكا -رحمه الله- أحد الذين شاركوا في جمع هذه المعلومات.

وكان الهدف الجديد أمراً في غاية السرية حتى خلية التجهيز لم تكن تعرف شيئاً عنه. وبالفعل اقترب الأخ هارون من السفارة ودرسها بشكل جيد من كل الاتجاهات، فدرس نقاط الضعف فيها، وعرف أنها جُدّدت بعد ضربة لبنان في سنة ١٩٨٣م، وتأكد هارون من وجود المارينز الذين يحرسون السفارة من على السطح، واستطاع هارون أن يصل إلى قسم التأشيرات في المدخل، وبدأ يحسب المسافة بالخطوات إلى الشارع العام من الأمام، فكانت عشرون متراً وكذلك من الخلف، ودرس كل المداخل والمخارج الممكن استخدامها، فقد كانت السفارة ضخمة جداً، ويتواجد أمامها المئات من السيارات التي تحمل أرقام السفارة الأمريكية، وكانت تقع في منطقة مزدحمة، فهناك أكثر من ثلاثة محطات رئيسية للباصّات في المنطقة، أيضاً محطة القطارات كانت قريبة من السفارة، كذلك كانت المنطقة مكتظة بالسكان.

كذلك قرر الإخوة ضرب السفارة الأمريكية في تنزانيا لسهولة الوصول إليها، فقد كانت في مكان معزول بعيداً عن الزحام، وبجوارها السفارات الفرنسية والبلجيكية والألمانية. وكان الأخ أبو محمد قد عرض على الأخ عبد الوكيل المصري (أبو جهاد النوبي سابقاً) ليشرف على عملية دار السلام فوافق، ولم يكن عبد الوكيل يعلم شيئاً عن العمل في نيروبي، فقد أخبره أبو محمد بأن العمل فقط في دار السلام. ولم يسمع عبد الوكيل بعملية نيروبي إلا بعد تنفيذها وذلك بعد أن رجع إلى أفغانستان، كذلك أشرك الأخ أبو محمد الأخ خلفان خميس، وأحمد جيلاني ليكونا ضمن خلية تنزانيا.

وكانت خلية تجهيز المواد المتفجرة وشرائها مكلفاً بها أحد الإخوة، نجح من تنزانيا في الاتصال ببعض الشركات، وأخبرهم أنه يهتم بصيد السمك والحفر، فكان يشتري منهم المواد المتفجرة TNT، ثم بعد ذلك يقوم الأخ فهد الكيني بنقل تلك المواد عبر الحدود إلى ممباسّا. وعندما كثرت تلك المواد، أضاف الأخ أبو محمد للعملية الأخ شيخ سويدان (أبو يحي الكيني) ليشارك فهد في نقل المواد، فقد كان لديه سيارة بيك أب، فاستطاعا إحضار معظم المواد وتخزينها في ممباسّا. ولم يكن الإخوة العرب الآخرون

المتواجدون في كينيا -وهم شعيب (السّعدي)، ومصطفى (عبد الوكيل)، ومحمد عودة- يعرفون أي شيء عن هذه العملية، فقد كانت في غاية السرية.

ولما اكتملت عملية نقل المواد وتخزينها، وصل قادماً من أفغانستان -في مارس ١٩٩٨م- الأخ الخبير في هندسة المتفجرات أبو عبد الرحمن المهاجر المصري. فتشاور الإخوة أبو محمد المصري وهارون وعبد الرحمن في تجهيز الشاحنة المفخخة لتكون في نيروبي. وحتى يكونوا خارج دائرة الشبهات، وبعيداً عن أي مشاكل أمنية قرروا ضرورة استئجار بيت راقٍ في حي راقٍ، وكان ذلك البيت يبعد عشرين كيلو متراً من وسط نيروبي، وكان جيرانهم من الديبلوماسيين، ففي ميسرتهم يهودي، وفي الميمنة وزير كيني، وفي الخلف دبلوماسي باكستاني، وفي الأمام رجل ألماني، وكانوا كلهم بعائلاتهم. وأحضر هارون فضل زوجته من السودان لتكون معهم في نفس البيت. ثم بدأ الإخوة فهد والأخ شيخ سويدان في نقل المواد من ممباسّا إلى نيروبي يومياً. كذلك صمم الأخ شيخ سويدان الصناديق الخشبية التي ستحمل الحمولات، وسُحبت كل الصناديق إلى البيت قليلاً قليلاً.

وفي هذه الفترة جاء الإخوة المنفذون من أفغانستان وهم عزام المكي (جهاد محمد علي) منفذ عملية نيروبي، وأحمد عبد الله الألماني (مصري) منفذ عملية دار السلام. وبدأ الأخ أبو عبد الرحمن المهاجر بتجميع المتفجرات في الصناديق بعد خلط مادة ال TNT مع مادة الأمونيوم، وكان يساعده في العمل الأخ عزام وأحمد عبد الله الألماني. وأثناء هذه الفترة كان الأخ هارون فضل يدرب الأخ عزام على فهم طرقات نيروبي، ونظام السير في شوارعها. وكان على عزام حتى يتمكن من الدخول من المدخل الرئيسي ليصل لمؤخرة السفارة أن يخالف خط السير، لذلك كانوا يذهبون مراراً وتكراراً لمنطقة الهدف حتى تمكّن عزام من حفظ كل المداخل والمخارج بدقة.

وكان من المفترض أن ينفذ الأخ عزام العملية لوحده، لكن لما كان من المؤكد أن الحراس سيواجهون السائق، لذا كان لا بد أن يكون هناك أحد يحميه بالسلاح حتى تتمكن السيارة من الوصول إلى الهدف. لهذه الأسباب قرر الإخوة أن العملية يجب أن تكون بشخصين، فوصل الاستشهادي محمد راشد داوود العوهلي في ١٩٩٨/٧/٣٠م -وهو من بلاد الحرمين، وكنيته البلوشي- ليكون رفيق عزام في العملية. أما عملية دار السلام -نسبة لسهولة الوصول للهدف- كان منفذها شخص واحد، وهو أحمد عبد الله الألماني رحمه الله.

وبعد عشرين يوماً من العمل المتواصل، ومع نهاية شهر يونيو كانت الشاحنة المفخخة لعملية نيروبي جاهزة تماماً ومتوقفة في البيت.

بعد اكتمال شاحنة نيروبي سافر الإخوة أبو عبد الرحمن المهاجر وأحمد عبد الله عبر الحدود إلى تنزانيا، يرافقهم الأخ أحمد جيلاني لتجهيز الشاحنة المفخخة الأخرى لعملية دار السلام. ومع نهاية شهر يوليو كانت الشاحنة جاهزة، وكان هناك فائض في المواد، فخطرت للإخوة فكرة أن يتم ضرب الصهاينة اليهود مع الأمريكيين سوياً. وبالفعل رجع هارون إلى نيروبي، وجمع المعلومات اللازمة لضرب السفارة الصهيونية فقد كانت هدفاً سهلاً جداً يمكن الوصول لها من كل الاتجاهات، فقد كان هناك موقف سيارات مباشر على جدار السفارة، لكن المشكلة الوحيدة كانت أن هناك مدرسة أطفال كينيّين بجوار السفارة، لذلك صرف الإخوة النظر عن استهدافها.



وكان الإخوة قد اتخذوا عدة إجراءات، تخفيفاً للخسائر المادية والبشرية المحتملة في صفوف الكينيّين، منها أن يكون التنفيذ في العاشرة صباحاً من يوم الجمعة، نسبة لأن كثيراً من المسلمين يبدؤون بالذهاب إلى المساجد في هذا التوقيت، وبالتالي لن يكون هناك عدد كبير منهم في منطقة السفارة المكتظة بالناس، وحتى الغير مسلمين يكونون في مكاتبهم، وفي مثل هذه الساعة يكون الشارع خالياً من كثرة المارة، وليس كالساعة الثانية عشرة عندما يخرج الجميع للغداء. كذلك اختار الإخوة يوم الجمعة لأنه آخر يوم في الأسبوع، فالكل يكون موجوداً في عمله في السفارة، وقرر الإخوة أيضاً أن يكون الهجوم من الخلف، لينحصر الانفجار في المباني.

وكان الدور الرئيسي للعوهلي هو الهجوم المباشر على حرّاس البوابة لفتحها حتى يتقدم عزّام بسيارته المفخخة، كذلك كان على العوهلي إبعاد الناس بقنابل صوتية غير مؤذية مصنوعة من مادة متفجرة فقط بدون شظايا. أيضاً كان الإخوة قد منحوا عزام مدة دقيقة واحدة للمناورة والاشتباك مع المارينز بالمسدس ليعطي العوهلي فرصة لطرد أكبر عدد ممكن من المارة من دائرة التفجير، وإذا أحس عزام أن المارينز سيصيبونه فعليه أن يستخدم السلاح الكبير وهو الشاحنة المتفجرة.

وبعد اكتمال كل التحضيرات بدأ العد التنازلي لعمليات شرق إفريقيا، وبدأ الأخوة الذين شاركوا في تجهيز العمليات وهم الأخوة أبو محمد[١]، وعبد الرحمن المهاجر، وفهد وشيخ سويدان وعائلته، وأحمد جيلاني ومصطفى وعائلته، والذين لم يشاركوا مثل محمد عودة والأخ شعيب وعائلته، بدأوا جميعاً في المغادرة والرجوع إلى أفغانستان، باستثناء الأخ خلفان خميس التنزاني فقد كان مرافقاً للأخ أحمد عبد الله حتى آخر لحظة، وبعد ذلك فضّل خلفان المغادرة إلى جنوب إفريقيا، لكنه ما لبث أن أُسر في ٥ أكتوبر ١٩٩٩م، وعلى الفور تمّ ترحيله في اليوم التالي لأمريكا، ثم حًوكم عام ٢٠٠٠م مع ثلاثة آخرين هم الأخ وديع الحاج اللبناني، والأخ محمد راشد داوود العوهلي، والأخ محمد عودة الأردني بتهمة تفجير السفارات، نسأل الله الكريم أن يعجّل بفكاك أسرهم جميعاً.

وكان الأخ فهد الكيني رحمه الله، والأخ محمد عودة –فك الله أسره– من أواخر الإخوة الذين غادروا كينيا، فوصلوا كراتشي قبل وقت قليل من تنفيذ العمليات، واستطاع الأخ فهد الخروج من المطار، لكن الأخ محمد عودة كان قد استوقفته سلطات الجوازات لأنهم شكّوا في جوازه بسبب الصورة التي عليه، وأثناء ذلك حدث تفجير السفارات الذي لم يكن لمحمد عودة أي دخل فيه، ولا علم له به. وهنا احتجزته السلطات الباكستانية واتهموه بأن له يداً فيها، وتحت التعذيب اعترف محمد عودة زوراً بضلوعه في العملية، ومعرفته لكل الإخوة الذين شاركوا فيها، ونشاطه السابق في الصومال، وعضويته في القاعدة،

---

١) كان من المفترض –تفادياً من المرور في طريق عودته إلى أفغانستان بدبي– أن يمر الشيخ أبو محمد المصري بالخرطوم، غير أنه سافر مباشرة إلى باكستان. وكان الأمريكان قد اعترضوا مكالمة هاتفية من أفغانستان بين الشيخ أبي محمد المصري وبين الأخ طلحة السوداني –رحمهما الله جميعاً– حيث كان طلحة يسأل الشيخ أبا محمد ويقول له: لماذا لم تأتي؟ فردّ عليه الشيخ أبو محمد قائلاً: لقد خفنا عليك. وبناءً على تلك المكالمة –بعد تحليلها– طالب الأمريكان من حكومة البشير تسليم اثنين من السودانيين يُشتبه أن تكون لهما علاقة بعمليتي نيروبي ودار السلام، وبالطبع أنكرت حكومة البشير أي علم لها بهذين الشخصين. وبناءً على تلك المستجدّات كان جهاز الأمن السوداني قد اعتقل كلاً من الإخوة طلحة السوداني، وأبي محمد السوداني (صلاح كاروري) –رحمهما الله– والعبد الفقير، وكان التحقيق معنا يتمحور حول نقطة واحدة فقط هي: هل الشيخ أسامة وراء تلك العمليات؟ فأنكرنا جميعاً أي علمٍ لنا بضلوع الشيخ أسامة بتلك العمليّات. ورغم أن حكومة البشير كانت قد استجابت لضغوط أمريكا كما أسلفنا قبل ذلك بإبعاد الشيخ أسامة من السودان، إلّا أن أخوف ما كانت تخاف منه هو أن تكون للشيخ أسامة –رحمه الله– علاقة بالحدث، لأنه إن ثبت ذلك سيترتب عليه تداعيات ومزيداً من الضغوط سيكون لها ما بعدها على البلاد، نسبةً لأن شركات الشيخ أسامة حتى ذلك التاريخ كانت ما تزال تزاول أعمالها في السودان. ولعل هذه المكالمة كانت واحدة من الأسباب الرئيسية على أساسها بنت الحكومة الأمريكية قناعتها الخاطئة بتورّط حكومة البشير في العمليات، فصبّت جام غضبها بسيلٍ من صواريخ كروز انهالت لتدمّر مصنع الشفاء للأدوية الذي ادّعت أمريكا زوراً ملكيّته للشيخ أسامة، وأنه مخصص لإنتاج اسلحه كيميائية.

وسُلم بعدها مباشرة للأمريكان الذين طاروا به إلى أمريكا، وهناك حُكم عليه عام ٢٠٠٠م بالسجن المؤبد نسأل الله الكريم أن يفك أسره وأسر كل إخواننا المجاهدين.

وحقيقة كان الأخ هارون فضل قد طلب من الأخ محمد عودة -قبل وقت مبكرٍ من تنفيذ العمليات- أن يغادر إلى أفغانستان لأن الإخوة في حاجته هناك، لكن الأخ محمد كان قد تباطأ كثيراً في تنفيذ الأمر، وكانت حجّته أنه يبحث عن جواز سفر، ويأمل أن يحصل على جواز سفر رسمي من كينيا، غير أنّ ذلك تأخر كثيراً. وأخيراً وجد محمد عودة جوازاً يمنياً جديداً، لكن الصورة التي في الجواز لم تكن مشابهة له. ولم يكن الأخ هارون فضل والأخ أبو محمد المصري -باعتبارهما أفضل خبراء التنظيم في تجهيز الأوراق- مطمئنين للجواز، لكن الأخ محمد عودة أصرّ على أن الصورة التي في الجواز تشبهه ولا داعي لتغييرها. وكان محمد عودة يخشى أن يجازف بموضوع الأوراق فيخسر جوازه الجديد، كما خسر من قبل عام ١٩٩٦م جوازه الأردني المستخرج من اسلام آباد، عندما غيّر صورته الملتحية بصورة أخرى غير ملتحية.

وحتى يتأكد الإخوة من سير الأمور على أكمل وجه، كان من المقرر له أن يبقى هارون فضل في نيروبي مع الإخوة المنفذين عزام والعوهلي حتى يوم التنفيذ، ثم مرافقتهم إلى أقرب نقطة من السفارة، ثم يغادر هو بعد ذلك. ويشاء الله أن يمكث هارون في نيروبي سبعة أيام، ثم غادر بعدها إلى بلاده في جزر القمر، ومكث هناك أسبوعاً آخر. ولم يكن هارون يعلم أن هناك دلائلٌ تكشّفت تُشير إلى تورطه في العمليات، وكان على وشك أن يُؤسر لكنه بفضل الله أفلت بساعاتٍ قلائل قبل الوصول إليه.

وأخيراً، وبعد إعلان بيان الجبهة الإسلامية العالمية بقليل، وبعد تهديداتٍ متتابعة من المجاهدين لأمريكا مطالبة لها بكفّ أذاها عن المسلمين في فلسطين، وإخراج جيوشها من أرض الحرمين، وبعد إعراضٍ من حامية الصليب صرح الشيخ أسامة بأنه سيضرب خلال أسابيع. وبالفعل كان الأمريكان -بناءً على تصريحات الشيخ لمراسل قناة الـ إيه بي سي- في حالة استنفارٍ قصوى بأن الضربة ستكون في المنطقة العربية أو في جزيرة العرب، لكن خيّب الله توقعاتهم وأتتهم الضربة في موقعٍ لم يحسبوا له أي حساب.

ففي يوم الجمعة ١٩٩٨/٨/٧م، وهو ذات اليوم الذي وطئت فيه أقدام الأمريكان بلاد الحرمين قبل ثمانية سنين، وما بين العاشرة والنصف والعاشرة وأربعين دقيقة، هز انفجاران عنيفان يفصل بينهما ثلاثة دقائق سفارات أمريكا في كل من العاصمة الكينية نيروبي، والعاصمة التنزانية دار السلام.

وكالعادة، تضاربت الأنباء حول الخسائر البشرية، لكن كما يقولون الحق ما شهدت به الأعداء، فقد صرّحت السفيرة الأمريكية بروشنل وهي تقول بالحرف الواحد في جريدة النّيشن الكينية:

"يوم العملية كنت في الدور ٢١ في مبنى بنك التنمية المجاور، وكنت أعمل لقاءً مع وزير التعليم الكيني، ثم سمعت صوتاً يشبه الرصاص، فقلت للوزير ما هذا؟ فرد عليّ بأن المنطقة مزدحمة، وهناك عمال السكك الحديدية، ولم ينقطع الصوت، وعندئذ تيقنت أن هناك أمراً ما يحدث، ثم فجأة وجدنا أنفسنا فوق المكاتب، وسمعنا صوت زلزال كبير، ثم توقف المصعد وتعبت جداً حتى وصلت إلى الدور السفلي، ولما توجهت لمكتبي في السفارة المدمرة، قلت لنفسي إنني محظوظة، لو كنت في مكتبي إذاً لأصبحت في خبر كان، أقول بأنني قد فقدت ١٥٠ من عائلتي" [١] ا.هـ

١) الحرب على الإسلام. لهارون فضل.





هكذا أصبحت السفارة الأمريكية في نيروبي؛ أثراً بعد عين



السفارة الأمريكية في العاصمة التنزانية دار السلام





الشيخ أبو محمد المصري
(عبد الله أحمد عبد الله)
تقبله الله



الأخ هارون فضل القمري
(عبد الله محمد فاضل)
تقبله الله



الأخ عبد الوكيل المصري
(مصطفى محمد فاضل)
تقبله الله



الأخ أبو عبد الرحمن المهاجر
(محسن موسى متولي)
تقبله الله



الأخ أبو أسامة الكيني
(فهد محمد) تقبله الله



الأخ أبو يحيى الكيني
(شيخ أحمد سويدان) تقبله الله



الأخ هيثم التنزاني
(أحمد جيلاني) فكّ الله أسره



الأخ خلفان خميس التنزاني
فكّ الله أسره



الأخ محمد راشد داوود العوهلي[1] (البلوشي)، أحد منفّذي عملية نيروبي، فكّ الله أسره

خلية عمليات نيروبي ودار السلام

---

١) كان على بعد أمتار قلائل من السيارة المفخخة بثلاثة أطنان من المتفجّرات، لكن ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ فكتب الله له الحياة، واستطاع أن ينسحب من مسرح العملية، وحاول أن يتواصل بالإخوة ليرسلوا له مبلغاً من المال، وجواز سفر -لأنه كان قد سلّم جواز سفره لهارون فضل- غير أنه بعد ثلاثة أيام وقع أسيراً في أيدي قوات الأمن الكينية، وسُلّم بعدها لأمريكا، فلا نامت أعين الجبناء.

وكان منفّذ عملية دار السلام أحمد عبد الله –رحمه الله– وهو من إخوة الجماعة الإسلامية، قد ذكر في وصيته –حتى يرفع الحرج عن الجماعة الإسلامية التي تراجعت فيما بعد عن عضويتها في الجبهة الإسلامية العالمية– أنه قام بهذه العملية باعتباره أحد جنود جيش تحرير المقدسات[١].

وكان الإخوة قد كلّفوا الشيخ أبا الفرج المصري (أحمد سلامة مبروك) –رحمه الله– بالسفر إلى أذربيجان لنشر بيان تبني عمليتي نيروبي ودار السلام باسم "الجيش الإسلامي لتحرير المقدّسات"، وهناك تم أسر الشيخ أبا الفرج، ورُحّل سراً إلى مصر، وحكم عليه بالسجن المؤبّد، غير أنه خرج من السجن في ٢٠١١م عقب ثورات الربيع العربي، ثمّ هاجر بعدها إلى الشام، وما لبث فيها إلّا قليلاً حيث تمّ استهدافه في غارة أمريكية في أكتوبر ٢٠١٦م، نسأل الله الكريم أن يتقبّله في الشهداء.



الشيخ أبو الفرج المصري (أحمد سلامة مبروك) – تقبله الله

وكرد فعل لتفجير السفارات أطلق الأمريكان في ٢٠ أغسطس ١٩٩٨م عملية أسموها بـ "عملية الوصول اللامحدود" شنّوا بموجبها عاصفة من صواريخ كروز توما هوك على السودان وأفغانستان، وكان نصيب أفغانستان ٧٥ صاروخاً وُجّهت لضرب معسكرات التدريب في خوست، واستشهد على إثرها عدد من الإخوة العرب والباكستانيين رحمهم الله جميعاً. كذلك استهدف ١٣صاروخاً مصنع الشفاء لصناعة الأدوية في السودان. ولم يكن المصنع ملكاً للشيخ أسامة، ولا مخصصاً لإنتاج اسلحه كيمائية كما ادّعت الحكومة الأمريكية.

وفي كتابه "الملا محمد عمر وطالبان وأفغانستان" ذكر الناطق السابق باسم الملا عمر الملا عبد الحي مطمئن **"أن أمر تفجير سفارتا الولايات المتحدة في كينيا وتنزانيا لم يكن مهماً بالنسبة لطالبان، ولم يفكروا بأن أسامة بن لادن له يدٌ فيما حدث، نسبة لأن القيادة كانت مشغولة للغاية في السيطرة على آخر معاقل دوستم في المناطق الشمالية وهي عاصمة ولاية بلخ، وتم لها ذلك بعد يومٍ واحدٍ من تفجير السفارات، إضافة إلى أن الولايات المتحدة لم تكن قد أشارت بعد إلى ضلوع الشيخ أسامة بالهجمات".**

١) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري. بتصرف.

وأضاف الملا عبد الحي مطمئن رحمه الله "**إن رد فعل الطالبان على الهجمات الصاروخية كان حاداً، وتركت فيهم شعوراً من الكراهية تجاه أمريكا. وكانت الهجمات الصاروخية بمثابة رسالة إلى طالبان مفادها أن الولايات المتحدة هي عدوهم المباشر، وخلقت في أذهانهم صورة عنها بأنها قوة غازية... وأعلنت طالبان أن أعداء الولايات المتحدة أصدقاؤها. كذلك أصبحت وجهة نظر الملا عمر أكثر تصلّباً وأظهر ردّة فعل صارمة ضد الهجوم والضغط الأمريكي، وكان هذا أحد أسباب التوتر بينه وبين تركي الفيصل في لقاءٍ جمعهما في سبتمبر من العام نفسه**" ا.هـ

ويروي الملا عبد الحي مطمئن في كتابه **أن مواقف أمريكا العدائية تجاه طالبان عززت بينهم دعاية القاعدة بأن أمريكا عدو دولي للإسلام والمسلمين، ولا ينبغي للمرء أن يتوقع صداقة من هذه الدولة. ويقول بأنه كان ذات مرّة جالساً في اجتماعٍ كبير لطالبان عندما قال مسؤول لآخر: "هل سمعت؟ بحقّ الله! لن يتركونا، يجب أن لا نُغضبَ الشيخ من أجلهم. لماذا نسوّد وجوهنا في الدنيا والآخرة؟ من الأفضل أن نجتمع جميعاً أي طالبان والقاعدة على عداوة أمريكا".**

و بغضّ النظر عن تأييد عمليات شرق أفريقيا أو الموافقة عليها كانت إمارة طالبان الإسلامية قد ترجمت شعورها بالكراهية تجاه أمريكا بغضّ الطرف عن مساءلة الشيخ أسامة عن العمليات، أو إلقاء اللوم عليه إن كان متورطاً فيها، وهذا ما يفسّر اندهاش الأخ هارون فضل -رحمه الله- الذي نقله في كتابه "الحرب على الإسلام" بقوله:

"وكانت وزارة الخارجية ترسل لنا أولاً بأول كل ما يتعلق بالعملية، ولكن الغريب أنها لم تسأل الشيخ أسامة أي سؤال عنا أو عن العملية، وأخبرته بأن لا يُعلن أنه الفاعل، ويستمر في عمله كما يشاء، وهذا كان تأييداً واضحاً من قبل الحكومة الإسلامية للشيخ أسامة بن لادن، أما في الكواليس فكانت الخارجية تتكلم عن منع الشيخ من اللقاءات والخروج، وأنه تحت حراسة طالبان، وكل هذه كانت مناورات سياسية" ا.هـ

وعن غزوتي نيروبي ودار السلام يقول الشيخ أسامة -رحمه الله- في معرض ردّه على مراسل قناة الجزيرة جمال إسماعيل:

"نشرت التقارير الاستخبارية العالمية أنها كانت ضربة مؤلمة، ولم يأخذوا مثلها منذ تفجير مقر المارينز في لبنان، حيث أن سفارة أمريكا في نيروبي كانت عبارة عن ست سفارات أمريكية مركبة، ومنها انطلق الغزو الأمريكي إلى الصومال، وقتل من إخواننا ونسائنا وأبنائنا في الصومال ١٣ ألفاً بل تحت راية الأمم المتحدة. وذكرت الأخبار بالصور أنهم كانوا يشوون إخواننا الصوماليين كما تشوى النعاج ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولم يتكلموا عن مدى الوحشية أو عن الاعتداء وغير ذلك، وإنما اللوم يأتي دائماً على المسلمين إذا دافعوا عن أنفسهم. ومن هناك ومن بضع عقود تدار المؤامرات الأمريكية لتقسيم السودان وتنطلق من نيروبي، والذي يدبر الأمر في تلك الدولة هي السفارة الأمريكية كما هو معلوم، وأكبر مركز للمخابرات الأمريكية في شرق إفريقيا هو تلك السفارة، ومن فضل الله على المسلمين كانت ضربة موفقة كبيرة جداً كانوا أهلاً لها حتى يذوقوا مما ذقناه في صبرا وشاتيلا وفي دير ياسين وقانا وفي الخليل وغيرها" ا.هـ



صليبيون يعذّبون أحد الصوماليين شوياً على النار

محاولات النظام السعودي مع أمير المؤمنين لتسليم الشيخ أسامة:

لم تتوقف محاولات نظام آل سعود في الضغط على طالبان لتسليم الشيخ أسامة بن لادن، فلجأ إلى آخر سهم في كنانته وهو إرسال أكثر الأمراء السعوديين خبرة بأفغانستان؛ رئيس الاستخبارات السابق تركي الفيصل.

وكانت أولى زيارات تركي الفيصل لقندهار -في يونيو ١٩٩٨م- بغرض مناقشة قضية تسليم الشيخ أسامة، غير أنه رجع بخفّي حنين عندما أخبره مسؤولون في طالبان أنه سيعقد اجتماع علمائي لحل القضية وفق ضوابط الشريعة الإسلامية.

وفي ١٩ سبتمبر من نفس العام توجه تركي الفيصل بصحبة عبد الله التركي وزير الشؤون الإسلامية، وسلمان العمري -القائم بأعمال النظام السعودي في كابل- إلى قندهار لمتابعة أمر تسليم الشيخ أسامة. وكان قد جاء بطائرة جامبو كبيرة لا يطلب من أمير المؤمنين تسليم الشيخ أسامة فقط، إنما يطلب معه تسليم كل العرب الذين بصحبته.



تركي الفيصل

رئيس استخبارات عصابة آل سعود السابق



عبد الله التركي

وزير الشؤون الإسلامية السابق لعصابة آل سعود



وفي قندهار قابل تركي الفيصل أمير المؤمنين الملّا عمر ودارت بينهما ملاسنة حادة. وفي اللقاء ادعى الفيصل أنه قَدِمَ بناء على وعدٍ سابق منه لاستلام الشيخ أسامة ومن معه. وفي الواقع لم يكن هناك وعد من أيِّ نوع، ولكن كان هناك طرحٌ من جانب الإمارة بإحالة موضوع الشيخ أسامة إلى لجنه من العلماء من عدة دول إسلامية، ثم تقوم اللجنة بتقرير ما ينبغي عمله إزاء تلك القضية طبقاً للشرع الإسلامي[١].

أنكر أمير المؤمنين وجود هذا الوعد، بل انتقد شرعية مثل هذا الطلب أصلاً. أعاد الملا عمر على أسماع الأمير السعودي ما تم الاتفاق عليه فعلاً، ولكن السفير تدخل لصالح ولي نعمته مؤيداً أكذوبة الوعد بالتسليم. فالتفت أمير المؤمنين الملا عمر إلى تركي الفيصل موجهاً له كلاماً خشناً قائلاً: **"ألم أطلب منك ألا تحضر معك هذا الخبيث إلى أفغانستان"**. تردد المترجم في ترجمة هذا الكلام فنهره أمير المؤمنين الملا عمر، وأصر على ترجمته حرفياً[٢].

وكان أمير المؤمنين -رحمه الله- نتيجة لدبلوماسية الوقاحة التي يتبعها معه السفير السعودي قد أمر بطرده وعدم السماح له بدخول أفغانستان مرة أخرى، وطلب من تركي الفيصل ألا يصطحبه إلى قندهار. اشتد النقاش بين الطرفين، واستمر تركي في الإلحاح والصراخ طالباً التعجيل بتسليم بن لادن مدعياً ألّا وقت لديه لهذه المماحكات. وقال أمير المؤمنين الملا عمر للوفد: **"أنهم إذا كانوا يتحدثون باسم أمريكا، فلا يلومونه إذا قال أنه يتحدث باسم بن لادن"**. وكانت عبارة أمير المؤمنين الملا عمر هذه من باب الإحراج للوفد الذي طلب تسليم الشيخ أسامة لأمريكا[٣].

نفذ صبر تركي الفيصل، وضرب سفرة الطعام التي أمامه بقبضة يده صائحاً بغضب أنه لابد أن يتسلم بن لادن الآن، متهماً أمير المؤمنين بالكذب والمراوغة. تكهرب الجو، وتناثر الطعام على ملابس الحاضرين، وأوشك الحراس الأفغان أن ينقضوا على المتعجرف السعودي وتلقينه درساً على الطريقة القندهارية. لكن أمير المؤمنين الملا عمر أشار لهم أن يتوقفوا. وانسحب هو من الجلسة مسرعاً، وذهب للوضوء حتى يطفئ نيران غضبه، ثم عاد عندما استعاد هدوئه ليكرر موقفه، ويطرح تساؤلات نابعة من الفطرة السليمة، فقال الملا عمر متسائلاً:

- لماذا لم تعودوا رجالاً مثل أجدادكم الذين حملوا الإسلام إلينا؟

- لماذا تسلم بن لادن لأمريكا، هل أنت وزير سعودي أم وزير أمريكي؟

- لماذا تسلم مسلماً لكافر؟ هل أنت "بي غيرت"؟ (وتعنى ديوث بالأفغاني)[٤].

هدد تركي الفيصل أمير المؤمنين بسحب اعتراف حكومة آل سعود بهم، وقبل أن ينصرف تركي الفيصل طلب منه أمير المؤمنين الملّا عمر ألّا ينسى بأن يصطحب معه القائم بالأعمال السعودي. وبعد عودة تركي الفيصل إلى الرياض، أرسل معتذراً لأمير المؤمنين الملّا عمر، فرفض الملّا عمر قبول الاعتذار، ورفض إعادة القائم بالأعمال السعودي، فقرر السعوديون إبعاد القائم بالأعمال الأفغاني في الرياض[٥].

---

١) صليب في سماء قندهار. للشيخ أبي الوليد المصري، الذي شهد اللقاء كاملاً. بتصرف طفيف.

٢)المصدر السابق.

٣) صليب في سماء قندهار. للشيخ أبي الوليد المصري، بتصرّف طفيف

٤) المصدر السابق.

٥) أُسامَةُ بن لادِنْ مُجددُ الزمانِ وقَاهرُ الأمْرِيكَانِ. للشيخ أبي جندل الأزدي

وكان الملا عبد الحي مطمئن قد روى في مذكراته "الملا محمد عمر وطالبان وأفغانستان" ما يلي:

عندما بدأ الاجتماع رحّب الملا عمر بالوفد ترحيباً حارّاً، ثم بادر تركي الفيصل بالحديث بلهجة حادّة وقال للملا عمر: "إننا جئنا لكي تفي بوعدك، وتسلّم مجرمنا إلينا ويداه مقيدتان، وسنأخذه معنا في الطائرة"، وتضافرت لهجته الحادة مع خطأين كبيرين، الأول أنه لم يقدم التعازي للحركة في وفاة مقاتليها، أو يقدّم أي تمنيات طيبة، أو ودّية لها. والخطأ الثاني هو سوء تفاهم حدث، فالملّا عمر لم يَعِد قط بأي شيء من هذا القبيل. وكان الملّا يكره الكذب والإخلاف بالوعد كرهاً شديداً ولذا انفعل بشكل مفاجئ وردّ على الطلب الجريء بجوابٍ مماثل، وسخر أيضاً من تركي الفيصل حيث قال الملا عمر حينها: "أولاً لا تنعتني بالكذب، لم أَعِد بمثل هذا، ولم أعط الإذن لأي شخص يمثلني لتقديم مثل هذه الوعود. ثانياً لقد وعدناكم بعقد جلسة مشتركة للعلماء للتفكير في هذه المسألة، ولكننا لم نعِد أبداً بتسليم الشيخ أسامة بن لادن. أنتم حكّام عاصمة الإسلام. المسلمون المضطهدون ينتظرون العون والتعازي منكم. لكن على العكس من ذلك أنت تسلم المسلمين إلى الأعداء، وأتيت إلى هنا بناءً على أوامرهم. أمّا الحادث فقد وقع في أفريقيا، وزعمت أمريكا بأن أسامة بن لادن هو الفاعل، فأي حقٍ لك في هذا؟" ا.هـ

وكان الشيخ أسامة قد حكى لنا قصةً سمعها من نائب أمير المؤمنين، ورئيس وزراء الطالبان الملّا محمد رباني -رحمه الله- مفادها أنه كان قد ذهب مع وفدٍ من حكومته لبلاد الحرمين لتأدية مناسك الحج. وكان وليّ العهد السابق عبد الله قد استضاف الملّا ربّاني ووفده المرافق مرّتين، مرّةً قبل أن تبدأ مناسك الحج، ومرّةً أثناء أداء المناسك، وفي كلا المرّتين كان عبد الله يطلب من الملّا ربّاني تسليم الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله. وفي كِلا المرّتين كان الملّا ربّاني -رحمه الله- يعتذّر لولي العهد بصورةٍ لطيفةٍ قائلاً له أن الشيخ أسامة ضيف كريم له مكانة معتبرة عندهم، وأن أخلاقهم وأعرافهم وعاداتهم لا تسمح لهم بخفر الضيف مهما كلّفهم الأمر.



الملّا محمد ربّاني رحمه الله

وبعد انتهاء المناسك دعا وليّ العهد عبد الله الملّا ربّاني والوفد المرافق له لوليمة ملكية فخمة، وأثناء الوليمة طلب منهم للمرّة الثالثة تسليم الشيخ أسامة رحمه الله. وهنا ردّ عليه الملّا رباني ردّاً مفحماً قاطعاً قائلاً لولي العهد:

"نحن الأفغان عندنا مثلٌ يحكي أن أفغانياً سُئل ذات مرة عن عمره فقال: ثلاثون عاماً. وبعد ثلاثون عاماً سُئل مرة أخرى عن عمره فقال: ثلاثون عاماً. فقيل له كيف هذا، سألناك قبل ثلاثين عاماً عن عمرك فأجبت بثلاثين عاماً، واليوم أيضاً عمرك ثلاثين عاماً. فقال الرجل: أنا أفغاني كلامي واحد لا أُغيّره. ونحن مثل هذا الرجل كلامنا واحد لن يختلف قبل الحج، ولا أثناء الحج، ولا بعد الحج" ا.هـ

وما أشبه هذا الموقف العظيم -الذي وقفه الملا محمد ربّاني -رحمه الله- مع طاغية من طواغيت آل سعود- بموقف أمير المؤمنين الملّا عمر -رحمه الله- مع طاغية باكستان السابق برويز مشرّف. وكان سفير إمارة أفغانستان السابق في باكستان الملّا عبد السلام ضعيف -حفظه الله- قد ذكر في كتابه "حياتي مع طالبان" **أن الرئيس الباكستاني السابق برويز مشرّف، كان قد وجّه دعوةً إلى أمير المؤمنين الملا عمر لزيارة باكستان لكنه لم يلبّ دعوته، ثمّ طلب مشرّف أن يُدعى إلى قندهار لمقابلة أمير المؤمنين من أجل مناقشة صفقة مع الولايات المتحدة فحواها تسليم الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله. وما كان من أمير المؤمنين -رحمه الله- إلّا رفض الطلب، ووجه رسالةً إلى مشرّف مؤكداً له أنه مرحّبٌ به كقائد لبلد مجاور يناقش معه قضيّتي الأمن والاقتصاد وسواهما من القضايا، أما قضيّة أسامة بن لادن فلا تعني سوى أفغانستان والولايات المتحدة الأمريكية، ومناقشة أمر مماثل مع الباكستان قد يؤدي إلى تدهور العلاقات بين البلدين الجارين. وبناءً على هذا الرد الحاسم القاصم ألغى طاغية باكستان زيارته إلى أفغانستان.**

ورغم كل تلك المحاولات الدبلوماسية الفاشلة لم ييأس آل سعود، وقرروا استخدام وسيلة نفسيّة أخرى للضغط على الشيخ أسامة. وكانت الوسيلة هذه المرة عن طريق والدته التي كانت ممنوعة من السفر، وحُرمت من زيارته منذ أن كان في السودان. وكان نظام آل سعود يعلم أنّ الشيخ أسامة في أشد الشوق لوالدته، فعمد إلى ترتيب زيارة خاصة لها بطائرة خاصة أقلتها إلى قندهار من أجل الضغط عليه وابتزازه بها. وفعلاً وصلت والدة الشيخ أسامة مع زوجها الذي كان من عائلة العطاس، وقابل الشيخ أسامة والدته بعد أن لم يرها سنين. وبدون شكٍّ أن اللقاء كان عاطفياً رقيقاً، لكن كان واضحاً تماماً أن قضايا الشيخ أسامة ليست مطروحة للنقاش رغم الابتزاز، وعادت الوالدة المكلومة بعد أن كحّلت عينيها برؤية ابنها أسامة رحمهما الله جميعاً[1].

وبجانب هذه المحاولات الدبلوماسية والنفسية كذلك كانت هناك عدة محاولات استخباراتية من النظام السعودي، ومن دويلة الإمارات، ومن الأردن لاغتيال الشيخ أسامة. وكانت الوسيلة هذه المرة عن طريق الجواسيس الذين تمّ تجنيدهم وابتزازهم بأساليب قذرة لتنفيذ مهمّة الاغتيال. وللأسف الشديد من هؤلاء الجواسيس من كان في يومٍ من الأيام مجاهداً في سبيل الله، لكن بفضل الله وحده باءت كل محاولاتهم بالفشل حيث تمّ القبض عليهم جميعاً، وبعد التحقيق معهم سُلّموا للطّالبان.

ومن المفارقات العجيبة أن بعض هؤلاء الجواسيس كانوا في سجن قندهار عندما سيطر الأمريكان على المدينة، ورغم خيانة هؤلاء الجواسيس لربّهم ودينهم وعمالتهم للأمريكان إلّا أن كل ذلك لم يشفع

---

١) أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان. للشيخ أبي جندل الأزدي. بتصرّف طفيف.

لهم عندهم، وتمّ نقلهم جميعاً إلى معتقل غوانتنامو ليتم استخدامهم مرّة أخرى كعصافير ينقلون للأمريكان ما خفي لهم من معلومات متداولة بين الإخوة في أحاديثهم.

والغريب أنّ هؤلاء الجواسيس كانوا يُعاملون هناك بنفس المعاملة القاسية التي كنّا نُعامل بها. وكنّا نرى هذه السُنّة القدرية من سُنن الله واضحة جليّة أمام أعيننا وهي: **من اعتزّ بالله أعزّه الله، ومن اعتزّ بغير الله أذلّه الله.** ولعل في وثائقيّات ورواية الأخوين فائز الكندري الكويتي ووليد الحاج السوداني -حفظهما الله- عن غوانتنامو تفاصيل مثيرة لهذه الحقيقة تغني عن إعادتها.

جديرٌ بالذكر أنّ من ضمن الأجانب الذين كانوا في سجن قندهار أخٍ بريطاني مسلم اسمه جمال الدين الحارث، وكان الطالبان قد اعتقلوه للاشتباه فيه بأنه جاسوس، لكنهم في زحمة الأحداث المتسارعة لم يتمكنوا من تبيّن حقيقته بأنه لم يكن كذلك. وكان هذا الأخ من ضمن من نقلهم الأمريكان إلى غوانتانامو، ومكث هناك أكثر من عامين، ولم نر منه إلّا كلّ خير، ثمّ أطلق سراحه وعاد إلى بريطانيا وسافر بعدها إلى سوريا، والتحق بتنظيم الدولة ونفذ في ٢٠١٧م عملية بسيارة مفخخة على الجيش العراقي في الموصل نسأل الله أن يتقبله.

الخلاف بين الشيخ أسامة وأمير المؤمنين الملا عمر:

بعد إعلانه بيان أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وقبل تنفيذ أي عمليات عسكرية كان الشيخ أسامة -رحمه الله- في أوّل مقابلة له مع أمير المؤمنين الملا عمر قد شرح وجهة نظره وأدلته الشرعية حول أولوية جهاد أمريكا -المحتلة لمقدسات المسلمين- بتفصيلٍ وعاطفةٍ جياشةٍ أثّرت في أمير المؤمنين الملّا عمر، وفي كل مسئولي طالبان. وكان أمير المؤمنين الملّا عمر -رحمه الله- لا يعارض ضرب أمريكا من حيث المبدأ، لكن يعارض الشيخ أسامة في توقيت ضربها، ويرى أن الأولوية الآن هي في تثبيت دعائم الإمارة الإسلامية. وقال أمير المؤمنين الملّا عمر للشيخ أسامة في هذا الشأن:

"نحن نعرف أن الأمريكان لابد أن يتركوا جزيرة العرب، وأن اليهود لابد أن يتركوا فلسطين، ونحن أيضاً مسلمون ومجاهدون مثلكم، ولا نَقِل عنكم غيرة على الإسلام، ونحن لسنا جبناء فقد قاتلنا ضد الروس، وقدمنا الشهداء والمعوقين حتى هزمناهم، وسوف نأتي معكم لتحرير المقدسات فهذا واجبنا. ولكن وضعي الآن هو هكذا (وهنا قام الملّا عمر من مجلسه بقامته النحيلة الفارعة، وقد ثنى ركبتيه) **لا أنا منتصب القامة، ولا أنا جالس. فانتظروا حتى يستقر أمرنا في أفغانستان، وتنتهي هذه الحرب الداخلية، وسترون أننا سنكون في مقدمة الصفوف نحو تحرير المقدسات"**[١].

وفي نفس اللقاء قال أمير المؤمنين للشيخ أسامة أنه قد يكون من الأولى تخفيف الحملة الإعلامية، وأن ذلك مجرد طلب وليس أمراً إلزامياً.

كانت هذه هي وجهة نظر أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله، وكان في مجلس شورى الشيخ أسامة من يشاطره ذلك الرأي، ويرى أن ضرب أمريكا قد يعرّض وجود الإمارة الإسلامية لكثيرٍ من المخاطر. وكان الشيخ أسامة يخالف الملّا عمر في رأيه، وكانت قناعته هي: **سواء أن انتهت الحرب الداخلية بانتصار**

١) نقلاً عن الشيخ سيف العدل: هذا الحوار بكامله كان في أول لقاء مع أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله.



طالبان أم لم تنته، أم استقر الأمر لطالبان أم لم يستقر، لن تسمح أمريكا ابتداءً لطالبان أو لأي حكومة في العالم بإقامة نظام إسلامي يحكم بالشريعة، فأمريكا هي كما قال الشيخ سليمان أبو الغيث: "زعيمة النظام الدولي الكافر الذي يقوم على أساس فصل الدين عن الدولة، وأن يحكم الشعب بالشعب من خلال تقنين القوانين المصادمة لمنهج الله عز وجل ... وتعتبر أي دولة تخالف هذا الأمر خارجة عن نظامها الدولي، وبذلك تكون عرضة لمعاقبتها ومحاصرتها وإسقاطها"، والشواهد على ذلك على سبيل المثال لا الحصر، تجربتي السودان والجزائر. وبناءً على هذه المعطيات كان الشيخ أسامة يرى أن أمريكا ستعمل بكل قوّتها لإسقاط نظام طالبان، لذلك كانت قناعته بأن ضرب أمريكا وعدم ضربها نتيجته واحدة، والضرب عنده أولى وأهم.

ونتيجة لزيادة حدة التصعيد الإعلامي الذي أطلقه الشيخ أسامة من خلال سلسلة المقابلات الصحفية والتلفزيونية التي كان يحرّض فيها المسلمين على حرب أمريكا وجهادها، ونتيجة للعمليات الهجومية -التي أعقبت ذلك التصعيد- على سفارتي أمريكا في نيروبي ودار السلام، كان لكل ذلك تداعيات كبيرة أدت إلى ضغوط شديدة من قبل أمريكا وحلفائها على طالبان، واتُّخذت لذلك إجراءات اقتصادية وسياسية من الحصار والعقوبات، بل والتهديدات الجدية بالحرب والغزو.

وكان جميع وزراء الطالبان -بعد الضغوط والقصف الأمريكي الذي تعرضت له أفغانستان على إثر تفجير سفارتي نيروبي ودار السلام- قد اجتمعوا ثلاثة أيام عند أمير المؤمنين الملا عمر ليتخذ قراراً في أمر الشيخ أسامة. وكان المتوقع إن يطلب أمير المؤمنين من الشيخ أسامة والعرب تجميد نشاطهم، وإغلاق معسكراتهم، غير أن أمير المؤمنين -رحمه الله- لم يزد على أن وبّخ بعض الوزراء الذين اعتراهم الخوف والتردد، وأعطاهم درساً في التوكل على الله، وعدم الخوف من أمريكا بعد أن هزم الله على أيديهم من هو أقوى من أمريكا، وأقرب إليهم جيرةً من أمريكا وهم الروس، وأزال دولتهم. وقال لهم: **"لو لم يبق في أفغانستان إلا دمي، لمنعت أسامة بن لادن والمجاهدين العرب وما أسلمتهم ..."**[1].

وكان أمير المؤمنين الملا عمر كعادته يتفقد الإخوة بين حين وآخر، وينظر هل ينقصهم شيء ويعمل على استكماله، فقد كان معهم -رحمه الله- ودوداً ورقيقاً جداً. وكالعادة أحضر معه مجموعة من شورى الطالبان، وعدد من أقاربه إضافة لحرسه. وبدأت الجلسة كالعادة ودية، وكان هدف الزيارة هذه المرة طلب توقف الشيخ أسامة عن النشاط الإعلامي والقتالي. وهنا انفعل الشيخ أسامة رحمه الله وقال: **"إذا كان قد صعب عليكم حمايتنا على أرضكم فإننا نترك لديكم النساء والأطفال، ونخرج نحن للجهاد من مكان آخر"**. وهنا واجهه الملّا عمر -رحمه الله- بهدوء الأفغان، وحِلم أهل العلم وقال له: **"لماذا تذهبون، لدينا محاكم شرعية وعلماء ثقات، أنا وأنت نرفع قضيتنا إليهم"**[2].

وهنا انتهى الحوار وكان الجو مشحوناً، فاستأذن أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله وغادر. وبالطبع لم يُحدث هذا الأمر شيئاً في العلاقة بين الرجلين، ولم تتغير قناعات أمير المؤمنين الملّا عمر -رحمه الله- تجاه حماية الشيخ أسامة لما كان يحمله من مشاعر الوفاء والاحترام تجاهه، أولاً كضيفٍ عربيٍ كريم، وثانياً لما قدمه الشيخ أسامة الذي ترك الدنيا وهي تحت قدميه، وجاء إلى جبال وصحاري أفغانستان

---

١) أفغانستان والطالبان ومعركة الإسلام اليوم – للشيخ أبي مصعب السوري. بتصرف

٢) نقلاً من رواية الشيخ سيف العدل حفظه الله.

مجاهداً بنفسه وماله. لقد كان أمير المؤمنين –رحمه الله– كالطود الشامخ ضد مخالفيه فيما يخصّ الشيخ أسامة، ورفض دعواهم حتى نصره كبار علماء أفغانستان بفتواهم[1].

وبالفعل جُمع عدد كبير من علماء أفغانستان، وطُلب منهم المشورة في مسألة الشيخ أسامة بن لادن. ولم يكن مطروحاً البتّة تسليم الشيخ أسامة، لكن الخلاف كان حول هل يبقى أم يُطلب منه أن يغادر أفغانستان. وكان المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يخشون أن يصدر شيء يسوء أهل الإيمان في كل مكان، لكن بحمد الله صدرت توصية العلماء والشيوخ لا تُلزم الملّا عمر بشيء، واختار الملّا عمر –رحمه الله– بقاء الشيخ أسامة في أفغانستان[2].

نص الفتوى التي أفتى بها المولوي عبد الله الذاكري، رئيس اتحاد علماء أفغانستان بشأن إخراج الشيخ أسامة بن لادن[3]:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

اتحاد علماء أفغانستان

تاريخ ٣ /٨/ ١٤٢٠هـ، الموافق ١١ نوفمبر ١٩٩٩م

أمير المؤمنين المحترم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد:

في تاريخ ٣٠ رجب ١٤٢٠هـ جاء إلى بيتنا رئيس المحكمة الاختصاصية الشيخ أحمدي، وقال يجب على علماء الأفغان أن يدرسوا المشاكل التي تواجه أفغانستان. وفي تاريخ ١ شعبان ١٤٢٠هـ جاء الشيخ عبد العلي صاحب وقد أشترك في مجلس العلماء في مدينة كُويتّه، وقال أنا مدعو لقندهار، ويجب على العلماء أن يسافروا إلى قندهار فوراً، وأن يقابلوا علماء دار الإفتاء في الأمارة الإسلامية في أفغانستان، الرسميين وغير الرسميين، وأن يوحدوا رأيهم مع علماء دار الإفتاء، ويرفعوه لأمير المؤمنين.

وفي ٣ شعبان ١٤٢٠هـ ذهب وفد من العلماء ومعهم الشيخ ذاكري والشيخ عبد العلي إلى قندهار، وقبل وصولهم إلى قندهار كان علماء دار الإفتاء بالإمارة الإسلامية اتفقوا بتسليم أسامة بن لادن لسفارة الصين أو إيران، وأرسلوا خطاباً لكم بما اتفقوا عليه.

ولكن نظرنا أنه إذا سُلم أسامة سيكون مطلب أمريكا أيضاً رفع الحجاب عن النساء، وإيقاف الحدود والقصاص وغيره، وتوقيف الأحكام الإلهية، وسيطلبون حكومة كفرية

١) نقلاً من رواية الشيخ سيف العدل حفظه الله.

٢) أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان. فارس الزهراني رحمه الله.

٣) الميزان لحركة طالبان تأليف الشيخ الشهيد: يوسف بن صالح العييري.

خالصة، وينفذون أحكامهم الوضعية وهو مطلبهم، مع إيجاد حكومة عميلة لهم، وعند ذلك سيرضون حينما يصبح الأفغان عقيدة وصورة وسيرة مطابقة لما يرغبون، وفي هذه الحالة لن يرضى الله عنا، وستواجه الأمة الإسلامية خسراناً ثقيلاً، ودماء الشهداء ستكون هباءً منثوراً، ويكون في هذه الحالة ذريعة لهم لتكون حكومة كفرية، وسينفُر الشعب الأفغاني ومسلمو العالم من كل عالمٍ وطالبٍ للعلم، ولن يقفوا معهم أبداً، وستكون بينهم قطيعة، وسينظرون لطالب العِلم والعالِم وهذه الحركة خاصة على أنهم عملاء لأمريكا، وإن حصل شيء من ذلك ستقع المسؤولية أمام الله وأمام الناس على عاتقكم لوحدكم.

فلهذا أقول بالتأكيد هذا العمل -أي تسليم أسامة بن لادن- مردود شرعاً وسياسةً، وغير جائز ولا تفعل هذا، لأن هذا العمل هو بمثابة إعلان الحرب على الله، نحن ننتظر جوابكم ولكم الاحترام.

ملاحظة:

دين الله المقدس فيه حل لكل المشاكل، فاسمح لنا أن نرتب، وأنتم تنفذون والسلام.

توقيع: بعض أعضاء اتحاد علماء أفغانستان:

مولوي عبد الله، مولوي محمد الحنفي، مولوي محمد صادق، مولوي محمد نور، مولوي أبو الفضل، مولوي حافظ نور محمد، مولوي جانان احمدي، مولوي محمد حق، مولوي عبد الحق حقاني، مولوي محمد ريس، مولوي نظر، مولوي آغا جان، مولوي عبد العلي، مولوي سيد بار، مولوي الحاج حافظ شاكر الله، مولوي محمد رسول، مولوي عمر، مولوي عبد الودود.



مؤتمر علماء أفغانستان لمناقشة موضوع الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله

رد أمير المؤمنين على رسالة اتحاد علماء أفغانستان:

الإمارة الإسلامية بأفغانستان

المكتب الخاص لأمير المؤمنين حفظه الله

رقم ......

تاريخ ٣ /٨/ ١٤٢٠هـ، الموافق ١١/نوفمبر/١٩٩٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

العلماء الكرام المحترمين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد:

نحن وأنتم في هذا العالم قد أحيينا اسم الإسلام إلى قدر ما. ومن جهة أخرى لن تقبل أمريكا أي كلام غير تسليم أسامة بن لادن، وفي حالة تسليمه ستسقط قلوب المسلمين، وستكون ضربة لحيثية وسياسة الإسلام، وعند ليونة جانبنا لهم -أي أمريكا- ومن بعدها الإنكار ستقوى شوكتهم. مطلبنا رفع راية الإسلام والباقي على الله، وما سيحصل بعد ذلك ليس من أجل أسامة بن لادن، ولكنها مسألة كفر وإسلام، وفي حالة تسليمه سترتفع راية الكفر، وفي حالة عدم التسليم ترتفع راية الإسلام. ولأجل رفع راية الإسلام يجب أن يتحمل المسلمون كل المشاكل، وقد استعملنا جميع الحِكم، ولكن ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

ولكم الاحترام

خادم الإسلام أمير المؤمنين/

ملّا محمد عمر مجاهد

وفي خطبة أخرى بشأن إبعاد الشيخ أسامة من أفغانستان، قال الملّا عمر رحمه الله:

"لذا لا معنى من الاستجابة لمطالبهم بإخراج أسامه بن لادن. إن إخراج المجاهدين العرب من أفغانستان، استجابة لمطالب مجلس الأمن الذي يحاصرنا لأجلهم، لن ينهي صراعنا معهم، هم لا يستهدفون أشخاصاً كما يزعمون، بل إنهم يستهدفون النظام الإسلامي لدى الإمارة الإسلامية، فلو أننا استجبنا لمطالبهم وأخرجنا من يريدون، فإن مطالبهم لن تقف عند هذا الحد، بل إنهم سيطالبوننا بتغيير أنظمتنا الشرعية تجاه المرأة وتجاه المخالفين، وأن نشكّل حكومة موسعة، ولا نحكم بالشريعة. وهذه هي السودان عندما استجابت لمطالبهم وأخرجت المجاهدين، لم تنته معاناتها حتى الآن"[1] ا.هـ

وبفضل الله، أدت مسألة تسليم الشيخ أسامة التي جعلتها الولايات المتحدة شرطاً في وقف الحصار الذي فرض على أفغانستان بقرار من مجلس الأمن إلى تقوية مكانة الشيخ أسامة عند الملا عمر، ولم تضعف كما ظن الأمريكيون الذين لا يفهمون خصائص الشعوب وتاريخها، فكانت قراراتهم أسباباً في خلق ما يسعون لإبادته، وأعمالهم عوامل بناء لما يريدون هدمه والتخلص منه.

---

١) حقيقة الحرب الصليبية الجديدة ليوسف العييري.

الدروس المستفادة من قضية تسليم الشيخ أسامة:

بدون شك أن في موقف أمير المؤمنين الملّا عمر من قضية تسليم الشيخ أسامة -رحمهما الله- دروس عظيمة تعجز الكتب والمجلدات عن حصر فوائدها وعِبرها ناهيك عن هذه الأسطر، ومن هذه الدروس:

أولاً: لقد كان بإمكان أمير المؤمنين -نسبة لما سيترتّب عليه من تبعات- مواجهة إصرار الشيخ أسامة على برنامجه في مواجهة أمريكا بمنعه بالقوة أو المواجهة، لكن ما كان لأمير طلّاب العلم الشرعي أن تصل ردة فعله إلى ذلك الحد، فرفع القضية برمّتها أمام العلماء لتكون كلمتهم -بناءً على قول الله عزّ وجل ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾- هي الفصل في هذه القضية.

ثانياً: لقد علّمنا الطالبان من قضية تسليم الشيخ أسامة وما تبعها من تداعيات دروساً عظيمة في أن الموالاة في الإسلام هي التطبيق العملي لمفهوم الأخوة في الإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وأخوة الإيمان ليست شعاراً مجرداً عن القول والفعل، بل إن الأخوة الحقة تقتضي التناصر والتعاون بين المسلمين لإحقاق الحق، وإبطال الباطل، ورد المعتدي، وإجارة المهضوم. فلا يجوز شرعاً وعقلاً أن يترك المسلم أخاه يكافح وحده قوى الشر والعدوان والظلم والطغيان وهو ينظر إليه نظر المتفرج الذي لا يعنيه الأمر، إنه لا بد من الوقوف مع المسلم على أي حال كان، فيجب على الأخ المسلم أن يرشد أخاه إذا ضل، ويمنعه إن تطاول، ويدافع عنه إذا هوجم، ويقاتل معه إذ اعتدي عليه، واستبيح حماه، وذلك هو معنى التناصر الذي فرضه الله، ومعنى الموالاة التي أرادها الله. قال رسول الله ﷺ: ﴿مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ﴾[1]. رواه البخاري

ثالثاً: لقد فقه الطالبان حقيقة قول الفقهاء عندما قالوا: لو أن مسلماً أُسر لدى الكفار لوجب على جميع المسلمين فكاك أسره، ولو تركوه أثموا جميعاً، فإذا كان هذا الأمر في فكاك أسيرٍ واحدٍ من المسلمين كي لا يُفتن في دينه، فكيف بمن يستجيب طائعاً مختاراً لمطالب أمم الكفر بتسليمهم مسلمٍ مستضعف مستجير، يعيش آمناً عزيزاً في أرضه بين إخوانه المسلمين؟

رابعاً: لقد وضع علماء الطالبان وأمير المؤمنين الملّا عمر النقاط على الحروف، وذلك بفهمهم منذ اللحظة الأولى لحقيقة الصراع التي غفل أو تغافل عن فهمها الكثير من الناس. لقد فهموا أنّ الأمريكيين لا يستهدفون أشخاصاً كما يزعمون، بل يستهدفون النظام الإسلامي لدى الإمارة الإسلامية. لقد فهموا أنه لو فُرض جدلاً وتنازلوا ولو مرة واحدة، وطلبوا من الشيخ أسامة -رحمه الله- مغادرة أفغانستان، فلن ترضى عنهم اليهود ولا النصارى، ولن تتوقف مطالبهم، وسيقولون لهم -كما قالوا لحكومة البشير من قبل- إن هذه خطوة أُولى في الطريق الصحيح يجب أن تتبعها خطوات.

جديرٌ بالذكر أن الشيخ محمد ياسر -رحمه الله- كان قد ذكر في لقائه مع مؤسسة السحاب، أنه سمع من أحد رجال الشورى المقرّبين من أمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله، يقول:

"لم يكن مطلب أمريكا طلب أسامة فقط، وإنما كان مطلب أمريكا منه قائمة فيها حوالي ثلاثين مادّة، منها: إلغاء الشريعة.. تغيير المناهج الدراسية.. الدراسة المختلطة للرجال

---

[1] الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية. محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود. بتصرّف.

والنساء.. قبول أناس علمانيين معه في الحكم.. إلغاء الحدود.. تسليم جميع المجاهدين غير الأفغان لأمريكا..".

فالقضية إذن كما وضّحها أمير المؤمنين -رحمه الله- **ليست تسليم أو عدم تسليم الشيخ أسامة بن لادن. القضية هي قضية إسلام وكفر، لذا لا معنى من الاستجابة لمطالبهم بإخراج أسامه بن لادن لأن ذلك لن ينهي الصراع معهم.**

خامساً: لقد تيقّن أمير المؤمنين بأن رفضه لتسليم الشيخ أسامة أمرٌ له ما بعده، وسيترتّب عليه تبعات جسيمة، ورغم ذلك لم ينحنِ ولم يرضخ، وثبت ثبوت الجبال، وتوكّل على الله التوكل المحض، وقبل بالتحدي الذي فرضته أمريكا، وما أشبه الليلة بالبارحة. لقد ضرب أمير المؤمنين بمواقفه البطولية مثالاً عملياً رائعاً لعزّة المسلم، عندما يستمسك بدينه، ويتوكل على خالقه، فقد سطّر بهذا الموقف سيرة رسول الله ﷺ، عندما بايع تحت الشجرة ألف وأُربعمائة صحابي على الموت لمجرّد رجلٍ واحدٍ من المسلمين بعثه رسول الله الى قريش **أُشيع** بأنّه قتل. فلأجل رجل واحد قامت الدنيا في وجه أمير المؤمنين ولم تقعد. لأجل رجل واحد ضحّى الطالبان بدولتهم عندما رفضوا تسليم الشيخ أسامة -رحمه الله- لأمريكا، وعندما هددوه بأن أمريكا ستتدخل عسكريا للإطاحة بدولته قال أمير المؤمنين الملّا عمر -رحمه الله- قولته المشهورة: **"والله لو تشتعل أفغانستان حجراً حجراً لما أسلمت أسامة للكفار".**

طائرة بدون طيّار:

قبل أسبوعين أو يزيد من تنفيذ عملية تدمير المدمرة كول[١] لاحظ الإخوة وجود طائرة تجسّسية بدون طيّار تحلّق فوق سماء مجمّع المطار بقندهار، وعلى الفور اتّخذ الشيخ أسامة قراراً بإخلاء المجمّع، وبناءً عليه نزحت جميع العائلات إلى مدينة قندهار، وتجمّعت مؤقتاً في بيتٍ كبير -كان معروفاً بين الإخوة ببيت الرمّان- حتى يتم استئجار بيوت متفرّقة للعائلات وسط المدينة.

وكان بعض ضباط ال سي آي أيه -في لقاءات عُرضت معهم في بعض الوثائقيّات- يتندّمون ويتحسّرون على أنهم لم يستغلّوا الفرصة التي كانت قد سنحت لهم مرّتين للنّيل من الشيخ أسامة، فتارة كانوا يتحججون بأن الطائرة بدون طيار لم تكن آنذاك مزوّدة بالصواريخ، وأحياناً كانوا يلقون باللائمة على ساسة البيت الأبيض بأنّهم تلكّأوا في اتخاذ قرار قصف الشيخ أسامة في الوقت المناسب بحجّة وجود مسجد بالقرب من مكان سكنه، وتارة بحجّة لا أساس لها من الصحّة وهي وجود زوّار قَطَريين كانوا بجوار الشيخ أسامة، ونسي هؤلاء الحمقى بأن الله سبحانه هو خير حافظٍ لأوليائه.

ومما يجدر ذكره أن تقرير الكونجرس عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر ذكر في الصفحات ١٨٩-١٩٠بأنّه في السابع من سبتمبر عام ٢٠٠٠م حلّقت طائرة استطلاع بدون طيار لأول مرّة فوق سماء أفغانستان ضمن عملية (عيون أفغانية)، لمحاولة تحديد موقع الشيخ أسامة بن لادن، أو بعض قياداته، أو مخازن أسلحته الكيماوية والبيولوجية، حتى يمكن ضربه بالطيران، أو بصواريخ كروز، وقامت تلك الطائرة بخمس عشرة رحلة، اعتبرت عشرة منها ناجحة.

---

١) كنت قد ذكرت في الطبعة الأولى للكتاب أن طائرة تجسسيّة حلقت فوق سماء مجمّع المطار بقندهار قبل أسبوعين من تنفيذ عمليتي نيروبي ودار السلام، لكن الصحيح أن تحليق الطائرة تمّ قبل عملية المدمرة كول.



صورة جوّية من طائرة أمريكية تجسّسية على مجمّع المطار بقندهار



صورة جويّة أخرى توضّح الشيخ أسامة بثوبه الأبيض، وحوله مجموعة من حرسه أمام بيته في مجمّع المطار بقندهار

استهداف المدمرة الأمريكية يو أس أس كُول:

كان من العار أن يرى أحفاد سعد والمثنى وصلاح الدين بوارج الصليبيين الأمريكيين تدخل مواني جزيرة العرب لتتزوّد بالوقود، ثم بعد ذلك تخرج سالمة آمنة لتذهب وتقصف إخواننا المسلمين في العراق. لذلك كان لا بد من إرسال رسالة قوية للمحتل الأمريكي بأنه كما تقتلون تُقتلون، وكما تقصفون تُقصفون، وكما تهدرون أمننا نهدر أمنكم. وانتدب الشيخ أسامة لهذه المهمة بطل من أبطال المجاهدين الأفذاذ، وهو الملّا بلال (عبد الرحيم النّاشري) فكّ الله أسره.

وبالتعاون مع أمير القاعدة في اليمن الشيخ أبي علي الحارثي -رحمه الله- تمّ التخطيط للعملية، وتجميع المواد اللازمة، وشراء القارب وتجهيزه بالمتفجّرات. وبعد الرصد والمتابعة والترقب لمجيئ البوارج الأمريكية ميناء عدن للتزوّد بالوقود، كانت المدمّرة المستهدفة آنذاك هي "يو أس أس ذا سوليفانز "USS The Sullivans". وكان من المفترض أن تتم تلك العملية في شهر رمضان الموافق يناير سنة ٢٠٠٠م، لكنها أجّلت بسبب غرق القارب نتيجة للحمولة الزائدة من المتفجرات التي كانت عليه. وبفضل الله تمكن الإخوة من رفع المواد مرة أخرى وإصلاحها وتجهيزها من جديد، لكن كان عليهم الانتظار لأن البارجة "يو أس أس ذا سوليفانز" كانت قد غادرت.


عبد الرحيم النّاشري
فكّ الله أسره


الشيخ أبو علي الحارثي
تقبّله الله



الشيخ فهد القصع
تقبله الله


جمال أحمد محمّد البدوي
تقبله الله

خلية عملية تدمير المدمرة الأمريكية يو أس أس كول

وكان خبير القاعدة في هندسة النسف والتدمير الأخ أبو عبد الرحمن المهاجر، هو من درب الشباب على تجهيز العبوة بنفس التقنية التي استخدمها في عملية تفجير السفارات في نيروبي ودار السلام. كذلك كان الأخ خلّاد بن عتش من المتابعين عن قرب لمجريات العملية، وإيصال أخبارها أوّلاً بأوّل للشيخ أسامة. وكانت المخابرات الأمريكية تصفه بأنه العقل المدبّر للعملية. وكانت قوات الأمن اليمنية قد اعتقلت الأخ خلّاد، وخوفاً من أن تتكشف أسرار العملية أرسل الشيخ أسامة -رحمه الله- رسالة مقتضبة من عدّة كلمات تحمل في طيّاتها صيغة التهديد إلى الرئيس اليمني علي صالح بأن يفك أسر الأخ خلّاد، ومذكراً إياه بأن معركة القاعدة ليست مع الحكومة اليمنية، وبإمكانها أن تجعلها كذلك. فما كان من طاغوت اليمن إلا أن استجاب للأمر ذليلاً صاغراً، وعلى الفور أمر بإطلاق صراح الأخ خلّاد معززاً مكرماً، لأنه يعرف ماذا يعني تهديد الشيخ أسامة.

وبعد ما يقارب السّنة من الانتظار والترصّد شاء الله أن تكون المدمرة "يو أس أس كُول" هي الهدف الجديد. وبفضل الله وحده تقدمت القاعدة إلى الخطوة الثانية في سلسلة الحرب الجديدة [اللا متوازية]، إذ بضربةٍ بحرية غير مسبوقةٍ وفّق الله المجاهدين لضرب المدمّرة الأمريكيَّة "يو أس أس كول"، الّتي كان الإعلام العسكري الأمريكيّ يصوّرها بصورة الجيش الّذي لا يُقهر، والمدمِّرة التي لا تُدمَّر. فقد كانت حمولتها تبلغ ٨٦٠٠ طن، وتنقل طاقماً من ٣٥٠ شخصاً، ويبلغ ثمنها ما يزيد على بليون دولار[١].

ففي الثاني عشر من شهر أكتوبر عام ٢٠٠٠م، وبينما كانت شواطئ عدن تفتح ذراعيها لاستقبال المدمرة الأمريكية "يو أس أس كول" لتتزود بالوقود وبعض الخدمات، انطلق نحوها قارب بسيط من صنع محلي، مزود بمحرك جرار زراعي، مملوء بالمتفجرات، يقوده مجاهدان (حسان الطائفي ونبراس الصنعاني) تقبّلهما الله، حيث فجّرا قاربهما على مقربة من البارجة، وأحدثوا فيها فجوة كبيرة، تراوح قطرها بين ستة أمتار و١٢ متراً، سببت أضراراً فادحة في داخلها، وقُتل على أثر الانفجار ثمانية عشر من البحارة الأميركيين، وجُرح أكثر من ثلاثين آخرين[٢].

وكان من المخطط له أيضاً أن يتم تصوير العملية من فندق مشرف على الميناء، وكان الأخ فهد القصع هو المكلف بعملية التصوير، لكنه -رحمه الله- نام ولم يستيقظ إلا على دوي الانفجار.

وما إن سمع الشيخ أسامة بوقوع العملية، حتى أخرج سلاحه الكلينكوف، وأطلق طلقات في الجو ابتهاجاً بوقوعها، وصاح بأعلى صوته (**هذا دمك يا محضار، هذا دمك يا محضار**)، يقصد أنه قد ثأر للشيخ أبي الحسن المحضار من الأمريكيين الذين قتلوه ظلماً على يد عميلهم علي عبد الله صالح عليه من الله ما يستحق.

وهنا وقفة جديرة بالتأمل لموقف نبيل من مواقف الشيخ أسامة رحمه الله، فرغم أنه كان قد وجّه الأخوة المجاهدين بأن يجعلوا اليمن هادئاً ومعبراً، وملاذاً آمناً للمستضعفين، وأن لا يقوموا بأي عمل عسكري متعجّل يكون سبباً في التضييق على حركة المجاهدين من وإلى اليمن، إلّا أن ذلك وغيره لم يمنعه من أن تكون تلك العملية الجريئة ثأراً لدم الشيخ أبي الحسن المحضار رحمه الله.



الشيخ أبو الحسن المحضار – تقبله الله

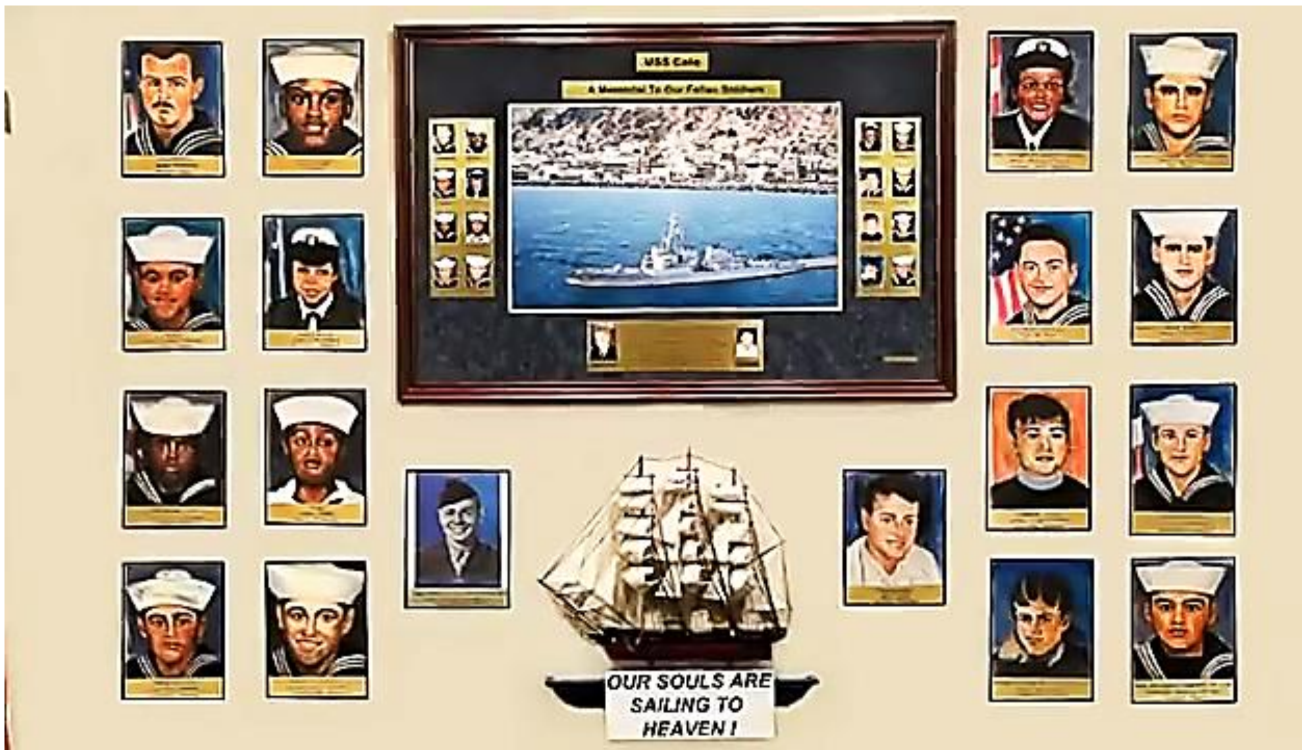
١) الله أكبر خربت أمريكا. فارس الزهراني. بتصرف.

٢) مقال بعنوان "ضرب المدمرة كول الـــدروس والــعــبــر" للشيخ رفاعي طه. بتصرّف.





هذا دمك يا محضار، هذا دمك يا محضار

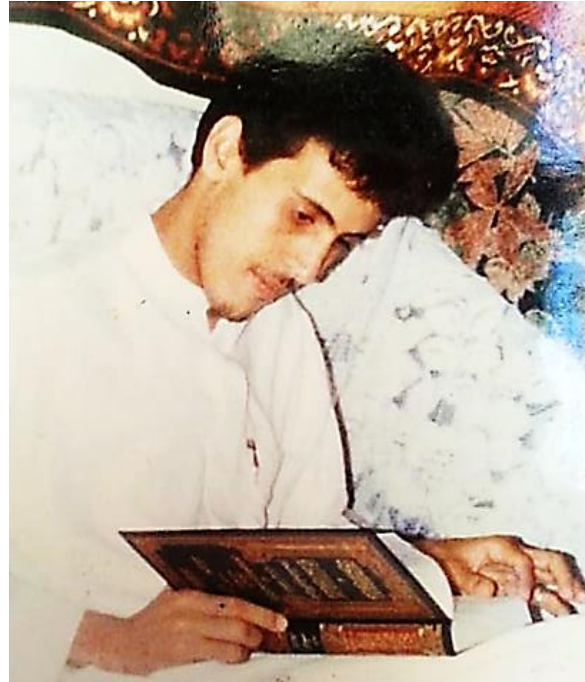


البحّارة الهلكى في المدمرة الأمريكية يو أس أس كول ثأراً لدم الشهيد أبي الحسن المحضار

وكما ذكرنا من قبل لم يكن مقصد الشيخ أسامة من وراء تلك التهدئة تعطيل الجهاد في اليمن بناءً على مصالحٍ موهومة كما زعم البعض، بل كان -رحمه الله- يهدف ويطمح من وراء ذلك إلى تحقيق مصلحةٍ أكبر، وهي حشد الطاقات والتأييد الكافي في أوساط الدعاة وعامة المسلمين في اليمن لمفهومٍ للجهاد لا يختلف فيه اثنان، ولا -كما يقولون- ينتطح فيه عنزان. لقد أراد الشيخ أسامة رحمه الله جمع الناس -وخاصة المجاهدين- على كلمة سواء، ورؤية واضحة، وهدف أشمل وأعمق وأدق للجهاد في سبيل الله، وهو التوجّه والتركيز على قتال التحالف الصهيوصليبي بقيادة أمريكا؛ المحتلّين لمقدّسات المسلمين في فلسطين وبلاد الحرمين .

وكانت استراتيجية الشيخ أسامة العملية لتحقيق ذلك الهدف هي ضرب الاقتصاد الأمريكي من خلال ضرب السفن وناقلات النفط الغربية في بحر العرب، والهدف من وراء ذلك هو إيقاف السرقات، وإدخال أمريكا في أزمات تضطرها إلى التخلي عن دعم أنظمة الحكم، مما يهيئ أجواء الثورة على تلك الأنظمة، وسيطرة المسلمين على زمام الأمور. وبناءً على هذه الاستراتيجية استهدفت القاعدة المدمرة الأمريكية يو أس أس كول USS Cole، وناقلة النفط الفرنسية لمبورج، وعمليات أخرى لم يتم الإفصاح عنها بعد.

وكان من المفترض أن يكون الشيخ بصير "ناصر عبد الكريم الوحيشي" -رحمه الله- أحد المنفذين للعملية. وكان الأخ مسؤول العملية -بعد اكتمال كافة التجهيزات- قد أرسل في طلب الأخ المنفذ، فسافر الشيخ بصير إلى كراتشي ليسافر بعدها لليمن للتنفيذ. وأثناء فترة انتظاره في كراتشي لحين تجهيز أوراقه للسفر، اتصل الإخوة بالشيخ بصير طالبين منه الرجوع إلى قندهار، لأن مسؤول العملية كان قد اتصل بهم مرة أخرى طالباً منهم ألّا يرسلوا أحد، لأن الأخَوين حسان الطائفي (معاذ الخامري) ونبراس الصنعاني (إبراهيم الثور) -رحمهم الله- اللذان شاركا في إعداد القارب، قد أصرّا على ألا ينفّذ العملية أحدٌ غيرهما.



نبراس الصنعاني (إبراهيم الثور) تقبّله الله



الشيخ بصير (ناصر عبد الكريم الوحيشي) تقبّله الله

لم تكلف عملية تدمير المدمرة كول أكثر من عشرة آلاف من الدولارات، أما الولايات المتحدة فقد أنفقت مئات الملايين من الدولارات في نُظم الحماية، وسحب السفينة، ورفع الاستعدادات، إضافة إلى ما لحق سمعتها العسكرية وسمعة أسلحتها ومدمراتها التي بدت وكأنها لعب أطفال. وأرغمت هذه الغزوة الولايات المتحدة الأمريكية -أكبر قوة عالمية- على أن تجر مدمرتها تحت جنح الظلام، وتسلك بها مسالك شتى لا تعلن عن خط سيرها، بل ترفع درجة استعداداتها في قواتها البحرية المتواجدة في الخليج، وتمنع سفنها من المرور في قناة السويس[١].

وبدت الإدارة الأمريكية وكأنها لا تريد أن تصدق أن الحرب اللا متوازية قد بدأت بالفعل، فأطالت التحقيقات في القضية، ولم توجِّه أي اتهام رسمي للقاعدة في حينها، حتى تُرحِّل القضية للرئيس القادم، ويفلت كلنتون من أن تبدأ الحرب الجديدة اللا متوازية في عهده[٢].

وكان الشيخ أسامة -رحمه الله- كثيراً ما يلقي في المناسبات قصيدة الشيخ أبي حفص الموريتاني -حفظه الله- التي نظمها في تدمير المدمرة كول والتي جاء فيها:

أيا فتيةَ الإسلامِ يا عطرُ أمتي ... إليكمْ تَحياتِي من المجدِ أعطرُ

أحَيَي فيكُمْ عزمَكُمْ وجهادَكمْ ... وإعلاءَ دينِ اللهِ والظهرَ أحمرُ

وثبتمْ إلى الأقصَ وقد غدرُوا بهِ ... أخذتم بثأرِ القُدسِ والشّرقِ ينظُرُ

فَأَيْقَظْتُمُ التَّارِيخَ بَعْدَ رُقَادِهِ ... فَعَادَ إِلَى أَمْجَادِهِ يَتَذَكَّرُ

---

١) مقال بعنوان "ضرب المدمرة كول الدروس والعبر" للشيخ رفاعي طه. بتصرّف.

٢) أرشيف مجموع مقالات الأستاذ عبد الله بن محمد.



فَهَـذَا صَـلاَحُ الـدِّينِ يَحْمِـلُ سَـيْفَهُ ... تَسِـيلُ دِمَـاءُ الْكُفْـرِ مِنْـهُ وَتَقْطُـرُ
فَعَـــادَتْ لَنَـــا حِطِّـــينُ بَعْـــدَ غِيَابِهَـــا ... وَعَـــادَتْ إِلَى الأَذْهَـــانِ بَـــدْرٌ وَخَيْـــبَرُ
وَذِي أُمَّـــةُ الإِسْـــلاَمِ جَـــاشَ ضَّـــمِيرُهَا ... قَـــدِ انتَفَضَـــت تسْـــعَى تَثُـــورُ وَتَثْـــأَرُ
وَإِخْوَانُكُم فِي الشَّرْقِ شَدُّوا سُرُوجَهُمْ ... وَكَابُـــلَ شَـــدَّتْ وَالنَّجَائِـــبُ ضُـــمَّرُ
وَنَجْـدٌ بِهَـا هَـبَّ الشَّـبَابُ مُجَاهِـدًا ... وَفِي عَـدَنٍ هَبُّـوا وَشَـدُّوا وَدَمَّـرُوا
مُدَمِّرَةً يَخْشَى أُولُوا الْبَأْسِ بَأْسَهَا ... تزيدُك رعباً حينَ تَرْسُو وَتُبْحِرُ
تَشُـقُّ عُبَـابَ الْبَحْـرِ يَحْـدُوا مَسِـيرَهَا ... غُـــرُورٌ وَزَهْـــوٌ وَاقْتِـــدَارٌ مُـــزَوَّرُ
إِلَى حَتْفِهَـا تَسْـعَى حَثِيثـاً بِظِلْفِهَـا ... بِـــوَهْمٍ كَبِـــيرٍ كَـــاذِبٍ تَتَـــدَثَّرُ
إِلَى زَوْرَقٍ يَلْهُوا بِهِ الْمَوْجُ يَخْتَفِي ... مَـعَ الْمَـوْجِ حِينـاً ثُـمَّ يَبْـدُو وَيَظْهَـرُ
تُدَاعِبُـــهُ الأَمْـــوَاجُ فِي كُـــلِّ خِفَّـــةٍ ... وَرُبَّ خَفِيـفٍ مِنْـهُ يخْشَى وَيُحْـذَرُ
فَلَمَّـا الْتَقَـى الْجَمْعَـانِ جَمْـعُ مُحَمَّـدٍ ... شَـهِيدَانِ بِاسْـمِ اللهِ هَبُّـوا وَكَـبَّرُوا
وَجَمْـعٌ مِـنَ الْكُفَّـارِ جَـيْشٌ يَقُـودُهُم ... بِحِقْـدٍ صَـلِيبِيِّ الْمَنَـابِعِ قيصرُ
وَدَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الَّتِي لَمْ تَكُن سِوَى ... ثَـوَانِيَ رُعْـبٍ بَـلْ أَقَـلُّ وَأَقْصَرُ
وَكَـانَ مَـعَ النَّصْرِ الْمُحَقَّـقِ مَوْعِـدٌ ... فَلَـــمْ يَتَقَـــدَّمْ لاَ وَلَـــمْ يَتَـــأَخَّرُ
فَطَـارَتْ رُؤُوسُ الْكُفْـرِ فِي كُـلِّ وِجْهَـةٍ ... وَأَشْـــلاَؤُهَا مِـــنْ حَوْلِهَـــا تَتَبَعْثَـــرُ
فَلَوْ شَهِدَتْ عَيْنَاكَ مِن ذَاكَ مَنظَراً ... تَقِـرُّ بِـهِ أَوْ أَسْـعَدَ الْقَلْـبَ مَنظَـرُ
فَهَلْ سَمِعَ التَّارِيخُ عَن مِثْلِ صَحْبِنَا ... وَهَلْ أَبْصَرَتْ عَيْنَاهُ أَوْ سَوْفَ تُبْصِرُ
وَقَفْتُمْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِف ... وَحَطَّمْتُمُ الأَوْهَامَ وَالْوَهْمُ يُكْسَرُ
شَـفَيْتُمْ صُـدُورَ الْمُـؤْمِنِينَ وَأُمَّـةٍ ... علَى عَتَبَاتِ الْكُفْـرِ تُسْـبَى وَتُنْحَـرُ

أسلحة الدمار الشامل:

في كل الحروب التي خاضتها استخدمت أمريكا كل ما تملكه من سلاح، بدءاً من الرصاصة، مروراً بالصواريخ الذكية، وأمّ القنابل، وقذائف اليورانيوم المستنفد، حتى القنبلة النووية. لذلك كمعاملة بالمثل في الحرب التي أعلنها الشيخ أسامة على هبل العصر أمريكا، وعملاً بقول الله عزّ وجل ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، كان لا بدّ للقاعدة أن تلج هذا الباب، وذلك بأن يكون بيدها -بجانب ما تملكه من سلاح العمليات الاستشهادية- سلاح من أسلحة الدمار الشامل تستخدمه متى ما اضطرّت إلى ذلك.

وبالفعل منذ وقتٍ مبكّرٍ سعت القاعدة نحو امتلاك هذا النوع من السلاح سواءً بشرائه، أم بتصنيعه، وهذا أخوف سيناريو تخوّفت وتتخوف منه الإدارات الأمريكية السابقة واللاحقة.

وبما تملكه القاعدة من إمكانياتٍ ذاتية محدودة كان الأخ أبو عبد العزيز المصري (علي سيد محمد مصطفى البكري) رحمه الله -بحكم دراسته الجامعية وتخصصه في الكيمياء- أحد المكلّفين في الخوض في هذا المضمار. وليس صحيحاً البتة ما يُروّج زوراً وبهتاناً عن القاعدة بأن خبراء عراقيين تابعين لنظام الرئيس العراقي السابق صدام حسين كانوا قائمين على هذا البرنامج.

وكان للأخ أبي عبد العزيز في مجمّع المطار بقندهار معمل كيميائي يحتوي على كمياتٍ كبيرة من الأحماض والمواد الكيميائية. وبينما كانت التحضيرات لعمليات الحادي عشر من سبتمبر تجري على قدم وساق، كان أبو عبد العزيز يعمل بصمت في تجاربه السريّة. ومن ضمن هذه التجارب كان أبو عبد العزيز يجري تجارب حول إمكانية استخدام غاز السيانيد السام كنوعٍ من أسلحة الدمار الشامل، وكان يعتبر التجربة ناجحة بعد تجريبها على كلبٍ سرعان ما قضى نحبه. كذلك كان الأخ أبو عبد العزيز يعمل دراسة على إمكانية استخدام نوعية معينة من الغاز المتفجر في العمليات، غير أن هذا النوع من التجارب لم يأخذ حظّه من التجارب نسبة لتغيّر الظروف بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. كذلك كان الأخ أبو عبد العزيز على تواصل سري مع العالم النووي الباكستاني عبد القادر خان.

وكان الأخ أبو عبد العزيز رجلاً ذا همّةٍ عالية، وكان يطمح في السفر للخارج للالتحاق بأحد الجامعات لمواصلة دراساتٍ عليا في هذا الباب، غير أن الشيخ أسامة -لعلمه بأن الأحوال سوف تتغير بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر- لم يفضّل هذا المقترح خوفاً عليه من الأسر.



أبو عبد العزيز المصري – تقبّله الله

جديرٌ بالذكر أن مايكل شوير الرئيس السابق لوحدة السي آي أيه المكلّفة بتعقّب الشيخ أسامة، تناول أكثر من عشرة مرّات في كتابه "إمبراطورية العجرفة (IMPERIAL HUBRIS)" إمكانية استخدام القاعدة لضرب أمريكا بأسلحة دمار شامل، ومما ذكره شوير في مقدّمة كتابه:

"أكتب هذا الكتاب وأنا على يقين بأن القاعدة سوف تهاجم الولايات المتّحدة مرةً ثانية، وأن ضربتها القادمة سوف تكون أكثر تدميراً مقارنة مع ما حدث في ٩/١١، ومن الممكن أن تتضمن استعمال أسلحة دمار شامل".

رؤيا من العيار الثقيل:

كانت الأيام الأولى بعد افتتاح معتقل غوانتنامو شديدة جداً علينا، فقد كانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر في بداياتها، حيث لم تخمد بعد أعمدة الدخان المتصاعد من ركام المباني، ومشاهدها المروّعة ما زالت عالقة في أذهان الجنود الأمريكيين لذلك كان تعاملهم معنا في غاية القسوة والشدّة، وكنّا نرى الحقد يتقطّر من نظراتهم وكلماتهم وسِبابهم لنا، والحمد لله الذي لطف بنا، ووالله لولا الله ثمّ جيش الصحفيين ومراسلي القنوات الفضائية -الذين كانوا يتابعون كل ما يجري في المعتقل- لمزّقوناً إرباً بأسنانهم.

وفي هذه الأجواء المشحونة بالتوتر والقلق والخوف يأبى الله إلّا أن يرسل لنا بين فينة وأخرى رسائل وبشريات تثبيت. فذات مرة رأينا السحب تتجمّع في السماء، وفي لحظات سطّرت في تنسيق عجيب لوحة ربّانية من أجمل اللوحات، مكتوب عليها لا إله إلا الله، قرأها كل من في المعتقل بما فيهم المترجمون العرب الأمريكان. وكان لهذه الآية أثرٌ كبيرٌ في نفوسنا، فارتفعت المعنويات والإيمانيات، وأيقنّا بأن الفرج قريبٌ بإذن الله..

كذلك كانت المبشرات والرؤى الصالحة التي رآها كثيرٌ من الإخوة عاملاً من عوامل التثبيت الربانية لنا، ومن هذه الرؤى رؤيا في غاية الخطورة إن صدقت، وأسأل الله الكريم لها أن تصدق، أذكرها هنا من باب التبشير لأمتنا المسلمة، والإنذار المبكّر للأمريكيين. يقول الرائي -وهو من بلاد الحرمين- أنه **"رأى الشيخ أسامة يدفع صخرة ضخمة في جبلٍ محاولاً أن يُصعدها إلى قمّته، وكان الشيخ يدفع الصخرة بصعوبة بالغة، وببطء شديد، لكنّه في نهاية المطاف أوصلها وأقعدها في قمّة الجبل، وكان تحت الجبل أمريكا. فالتفت الشيخ أسامة إلى الأخ وقال له: "أنا مجهّز لهم كف سينسيهم ٩/١١"** ا.هـ

صرخة نذيرٍ من عدوٍ محارب:

أيها الأمريكان، كان أسلافكم من القياصرة والأكاسرة يعملون ألف حسابٍ لبعض الرؤى التي يرونها أو تُرى لهم، فكانت تهولهم، ويفزعون منها أيّما فزع، ويدفعون بها لأهل التأويل لتأويلها، واقرأوا التاريخ إن شئتم عن رؤيا فرعون، ورؤيا بختنصّر ملك بابل، ورؤيا ملك اليمن ربيعة بن نصر، وغيرها.

وهنا قد يقول قائل إن الرؤيا التي تتحدث عنها مضى عليها عشرون عاماً ولم يحدث شيء في أمريكا على غرار ما حدث يوم الحادي عشر من سبتمبر. ولهؤلاء نقول، نحن لا نقول على سبيل الجزم بأن الرؤيا سوف تتحقق، ولكن تفاؤلاً وحسن ظنٍ بالكريم نحسب أنها رؤيا صالحة، وأنها بإذن الله سوف تتحقق ولو بعد حين، فليس هنالك سقف زمني محدد تتحقق فيه الرؤيا الصالحة. فرؤيا نبي الله يوسف عليه السلام التي ذكرها الله في محكم كتابه تأولت -كما يقول بعض أهل التفسير- بعد أربعين عاماً.



أمّا إنّ صدقت هذه الرؤيا، والله ليكوننّ لها أمرٌ جلل، فهي تدلّ على أن هناك عملاً كبير يجري. عملٌ ظاهره مستحيل لأنه يسير ببطءٍ وصعوبةٍ بالغة أشبه بالخيال. عملٌ لن تستطيع إجراءاتكم الأمنية أن توقفه أو تمنعه لأنه في نهاية المطاف سيتم. لذلك، نصيحتي لكم أيها الأمريكان أن تقرؤوا ما بين السطور في هذه الرؤيا، وأن تقرؤوا ما بين سطور كلمات الشيخ أسامة في رسالته الثالثة لكم الصادرة بتاريخ ٢٠ يناير ٢٠٠٦م بعنوان "السبيل لإنهاء الحرب"، والتي قال فيها: **"وأمّا تأخر وقوع عمليات مشابهة في أمريكا لم يكن بسبب تعذر اختراق إجراءاتكم الأمنية، فالعمليات تحت الإعداد، وسترونها في عقر داركم حال الانتهاء منها بإذن الله ... ولن تذهب الأيام والليالي حتى نثأر كيوم الحادي عشر من سبتمبر بإذن الله".**

أيها الأمريكان، لا أقول لكم هذا الكلام مدّعياً بأني على علمٍ بعملياتٍ كبيرةٍ ستحدث في أرضكم، كلّا والله، فقد كنت كما تعلمون حبيساً في سجونكم لأكثر من عشرة أعوام، لكنّي أقوله لكم من باب حسن الظن بالله، فنحن المسلمون نؤمن إيماناً جازماً بما جاء في كتاب ربنا، وسُنّة نبينا ﷺ. ففي الحديث القدسي الصحيح، يقول الله عزّ وجلّ على لسان نبيّه: ﴿أنَا عِندَ حسن ظنِّ عبدي بي، فليظنَّ عبدي بي ما شاءَ﴾. وأسوق لكم من صفحات هذا الكتاب مثالاً واحداً فقط لذلك. فعندما قال أمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله: **"لقد وعدنا الله بالنصر، ووعدتنا أمريكا بالهزيمة، وسوف نرى أي الوعدين أصدق"**، قال تلك الكلمات وهو في أحلك ظروفه، وقمّة ضعفه، لكنه كان موقناً بحسن ظنه بالله بأن العاقبة للمتّقين، وبالفعل كان الله عند حسن ظنه به، فتحققت كلمات أمير المؤمنين، وهُزمت جيوشكم، وخرجتم صاغرين ذليلين من أفغانستان بعد عشرين عاماً.

وكما كان الله عند حسن ظنّ الملّا عمر به- لن يخيب كذلك ظن الشيخ أسامة فيه، وستتحقق كلماته بإذن الله عاجلاً أم آجلاً، والسبب أنكم أيها الأمريكان ما زلتم في غيّكم سادرون، تمشون في الأرض مرحاً لا تبالون بأحد. فسياساتكم الظالمة ما زالت هي هي، ودعمكم اللامحدود لدويلة اليهود ما زال جارياً على قدمٍ وساق، وكل المسببات والدوافع التي دفعت الشيخ أسامة رحمه الله لإعلان الحرب عليكم -التي ساقها في بياناته ولقاءاته الإعلامية، وساقها كثيرٌ من المنصفين والعقلاء من الكُتّاب الأمريكان وغير الأمريكان في كتبهم ومقالاتهم- ما زالت قائمة. وهذا مؤشّرٌ خطيرٌ جداً بأنكم أيها الأمريكان حتى الآن -بعد كلّ الفاتورة الغالية التي دفعتموها من دماء أبنائكم وأموالكم وسمعتكم- لم تتعلموا الدرس بعد.

هنالك مثلٌ إنجليزي يقول: Wise men learn by other men's mistakes; fools by their own

وترجمته: العاقل من يتعلم من أخطاء غيره، والأحمق من يتعلم من أخطائه.

فيا أيها الأمريكان، هل أنتم من العقلاء الذين يتعلمون من أخطاء غيرهم؟ أم أنتم من الحمقى الذين يتعلمون من أخطاء أنفسهم؟ أم أنتم من الأغبياء الذين لا يتعلمون من أخطاء غيرهم، ولا حتّى من أخطاء أنفسهم؟ لم تتعلموا الدرس من أخطاء الروس والبريطانيين بغزوهم لأفغانستان، ولم تتعلموا الدرس من خطئكم أن أفغانستان مقبرة الإمبراطوريات إلّا بعد عشرين عاماً، وحتى الآن لم تتعلموا أن دخولكم إلى أفغانستان كان بمثابة الدرس الأوّل للشيخ أسامة بن لادن رحمه الله. **فكم من السنين والعقود تحتاجونها قبل أن يخرج كبيركم على شاشات قنواتكم العالمية، يقول لكم بأسىً بالغ: "لقد تعلّمنا بعد .... سنة درس أسامة الجامع، بأننا لن نحلم بالأمن قبل أن يعيشه إخوانه واقعاً في فلسطين، وقبل أن تخرج كلّ جيوشنا الكافرة من أرض محمد ﷺ.**

قصّة منظّمة الوفاء:

ذكرنا من قبل أن الشيخ أسامة -رحمه الله- كان يتعهّد معسكر التدريب بزياراتٍ دورية يلتقي خلالها بالشباب الجدد ليحدّثهم عن حال الأمة وما دهاها من تسلط حكامها الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، ومن تسلط الكفار عليها، واستباحة مقدساتها من قِبل الصليبيين المحتلّين لبلاد الحرمين، واليهود المحتلّين لفلسطين والمسجد الأقصى منذ عدّة عقود. ومن هذه الدروس المهمة التي كثيراً ما كان الشيخ أسامة يلقيها في محاضراته هي شرح حديث الغلام، وشرح المواعظ والعبر التي يُفيدها الحديث، ومن ذلك تقديم النفس من أجل لا إله إلا الله، وأن النصر لا يعتبر فقط بالكسب الظاهر الذي غلب على ذهن الناس، وإنما النصر هو الثبات على المبادئ. يقول الشيخ أسامة:

"فأهل الأخدود ذكرهم الله سبحانه وتعالى وخلد ذكرهم في سياق المدح لهم لأنهم ثبتوا على الإيمان. فهؤلاء لا يقول مسلم بحال من الأحوال ماذا استفادوا؟ ضيعوا أنفسهم، هذا جاهل جهلاً مركباً، هؤلاء فازوا برضوان الله سبحانه وتعالى وبجنات الخلد التي وعدهم الله سبحانه وتعالى، فليس النصر هو الكسب المادي فقط، وإنما النصر الثبات على المبادئ. ... فميزان التفضيل في هذا الدين هو كما في الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام، ميزان الإيمان ليس جمع العلم فقط بل جمع العلم والعمل به، فميزان الإيمان "فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن" كما قال عليه الصلاة والسلام، "ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان".

وكان الشيخ أسامة يرمي من وراء هذه الدروس إلى تعميق معاني الجهاد والثبات على هذا الطريق في نفوس الشباب، وتحذيرهم أشد الحذر من القعود عن أداء فريضة العصر المتعيّنة وهي الجهاد في سبيل الله، وذلك من خلال ضرب القصص من السيرة النبوية، ومن قصص الصحابة رضوان الله عليهم. وفي إحدى المرات كان الشيخ أسامة قد ألقى محاضرة في معسكر الفاروق بهلمند شرح فيها حديث كعب بن مالك ﷺ، وبفضل الله وحده وُفّق الشيخ أسامة توفيقاً منقطع النظير في شرح هذا الحديث الذي يتناول مسألة في غاية الأهمية، وهي القعود عن الجهاد وقت تعيّنه. فذاع صيت تلك المحاضرة المسجّلة، وانتشرت انتشار النار في الهشيم بين طلبة العلم في بلاد الحرمين، مثيرةً ضجّة في أوساطهم هي **أن كل من يتخلّف عن الجهاد بغير عذر في وقت تعيّنه فهو آثم كائناً من كان.**

ونتيجة لهذه المحاضرة العظيمة نفر إلى أفغانستان كثيرٌ من طلبة العلم الذين كانوا يطلبون العلم لدى كبار المشايخ المرموقين. وكان هؤلاء الإخوة عندما يلتقون بالشيخ أسامة تتغيّر كثير من قناعاتهم، وتنقشع لديهم غشاوة اللبس والشبهات عن الجهاد والمجاهدين التي شبّعهم بها هؤلاء المشايخ والعلماء القاعدون، وعلى إثر ذلك كان هؤلاء الإخوة يؤثرون البقاء في أفغانستان على العودة لبلادهم، وكانوا يبايعون الشيخ أسامة على مواصلة الجهاد في سبيل الله حتى تتحرر بلاد المسلمين من المحتلّين. وجديرٌ بالذكر أن عدداً من الإخوة الذين خصّهم الله بفضله وكرمه بالمشاركة في غزوتي نيويورك وواشنطن كانوا ممن جثوا على ركبهم يطلبون العلم عند هؤلاء المشايخ الذين يشار إليهم بالبنان.

ونتيجة لهذا التحوّل في قناعات هؤلاء الشباب أرسل هؤلاء المشايخ برسالة للشيخ أسامة مع أحد الإخوة المعروفين السابقين للجهاد منذ أيّام الروس، وكانت خلاصة الرسالة عبارة عن رجاءٍ من هؤلاء المشايخ يطلبون فيه من الشيخ أسامة أن لا يؤثّمهم (أي أن لا يقول أنهم آثمون بسبب قعودهم عن



الجهاد) -علماً بأن الشيخ أسامة لم يذكر أحداً من المشايخ بعينه، وكان حديثه عاماً- لأن هذا الأمر كان يحرجهم إحراجاً شديداً مع طلّابهم الذين كانوا يرون أن الحقّ في كلام الشيخ أسامة. وكان ردّ الشيخ أسامة لهؤلاء المشايخ بأنه لم يأت بشيء من عنده، وأنّ الله سبحانه هو الذي أثّم وفسّق كلّ من قعد عن الجهاد وقت تعيّنه لغير عذر، والدليل قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

وبعد فترة وجيزة أرسل هؤلاء المشايخ نفس الأخ السابق ذكره بمشروع ظاهره الخير لكنّه كان يحمل في طيّاته مآرب أخرى. فجاء هذا الأخ بمشروع هيئة خيرية تحت اسم "منظمة الوفاء" لمساعدة الأفغان، وذلك بتقديم بعض الأعمال الخيرية لهم كحفر الآبار، وتقديم الأضاحي وغيرها من أعمال البر. وبطبيعة الحال كان المشروع مدعوماً بأموالٍ طائلة من هؤلاء المشايخ، واستطاع الأخ مدير المشروع استمالة بعض الإخوة المبايعين للشيخ أسامة للعمل معه في مشروعه. وشيئاً فشيئاً تكشّفت النوايا على نبأ فتح معسكر تدريب جديد تابعاً ومدعوماً من قبل منظّمة الوفاء، وبطبيعة الحال كان الأمر مستغرباً في أوساط الإخوة في قندهار، فما لهيئة خيرية ومعسكرات التدريب؟

وإحساناً للظن لم يقل أحدٌ من الإخوة أن منظمة الوفاء كانت تهدف من وراء مشاريعها الخيرية ومعسكرها الجديد -الذي اجتذب عدداً من المتدرّبين الجدد- إلى شقّ صفّ المجاهدين، ولم يؤَثِّر هذا الأمر على العلاقة الحميمية بين الأخ مدير منظمة الوفاء وبين الإخوة في جماعة القاعدة وعلى رأسهم الشيخ أسامة رحمه الله.

وكان هؤلاء المشايخ الذين كانوا وراء منظمة الوفاء يرون أن الشيخ أسامة بحسن حديثه، وحلاوة منطقه وحجّته يسحب البساط من تحت أقدامهم، فطلّابهم نتيجة لتأثرهم بمحاضرات ودروس الشيخ أسامة كانوا يناقشونهم بأن الجهاد أصبح متعيّناً في حقّهم، وتحت إلحاحهم المتزايد على هذا الأمر كان هؤلاء المشايخ يسمحون لطلّابهم بالذهاب إلى أفغانستان للتدريب على أن يعودوا لمواصلة طلب العلم، غير أن هؤلاء الشباب -بعد جلوسهم مع الشيخ أسامة- كانوا يُسقطون من قاموسهم فكرة الرجوع. وأشهد الله أن الشيخ أسامة لم يفكّر أبداً فيما ذهب إليه هؤلاء المشايخ، ولكنه الحق عندما تخالط بشاشته القلوب لن ترض عنه بديلاً ولا تحويلاً.

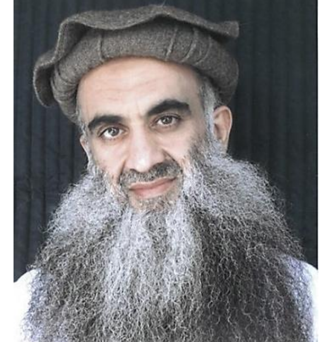
ونتيجة لهذا الأمر -حتّى يحافظ هؤلاء المشايخ على طلّابهم من الأفكار المنحرفة كما يزعمون، وتسكيناً وتلبيساً وامتصاصاً لقناعات طلّابهم الجديدة المخالفة لأقوالهم، وخوفاً عليهم من تفلّتهم بأن يغيّروا مسارهم إلى جانب الشيخ أسامة- ارتأى هؤلاء المشايخ فتح معسكر التدريب حتّى يكون طلبتهم تحت أعينهم. لكن كما يقول الإمام مالك رحمه الله: **ما كان لله دام واتّصل، وما كان لغيره انقطع وانفصل**، فشاء الله بعد فترة وجيزة -على إثر الضغوط التي كانت تواجهها الإمارة الإسلامية من الأمم المتحدة بضرورة إدخال مفتّشين دوليين للوقوف على حقيقة المعسكرات- أن أصدر أمير المؤمنين الملّا عمر -رحمه الله- مرسوماً قضى بإغلاق جميع معسكرات التدريب، والإبقاء على معسكرٍ واحدٍ فقط هو معسكر الفاروق التابع للقاعدة في ولاية هلمند. وبفضل الله كان قرار أمير المؤمنين سبباً في إفشال ما رمى إليه هؤلاء المشايخ، وسبباً في لمّ شمل جميع المجاهدين ليتدربوا جميعاً في معسكرٍ واحد.

مؤسسة السحاب الإعلامية:

كان لا بد للقاعدة أن تكون لها مؤسسة إعلامية مستقلّة تعبّر عن خطابها ورسالتها للناس وذلك بتحريضهم على الجهاد، ومواجهة أعداء الأمّة، فتأسست بناءً على ذلك مؤسسة السحاب الإعلامية في أواخر عام ٢٠٠٠م، وبدأت بإنتاج المواد الإعلامية، وكان من أهمها إصداراً تحريضياً يتناول أحوال الأمة وهو شريط (تدمير المدمرة الأمريكية كول) الذي أشاد به الشيخ الدكتور أيمن الظواهري في كتابه فرسان تحت راية النبي بقوله **"كان له صدىً كبيراً عند صدوره، وكان تحدياً صريحاً جريئاً للطغيان الأمريكي، ودعوة للمسلمين لنهضة جهادية ضد السيطرة الصليبية اليهودية، ثم فوق كل ذلك وسيلة عملية لتحقيق ذلك عبر الالتحاق بمراكز ومعسكرات القاعدة، التي أظهر الشريط صوراً مؤثرة من عملها. واضطر تقرير الكونجرس عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر لأن يعترف بقوة هذا الشريط، واتساع توزيعه، وقوة تأثيره على المسلمين" ا.هـ**

جدير بالذكر أن قناة الجزيرة كانت قد أشادت بهذا الإصدار، وذكرت بأنه نقلة نوعية للإعلام الجهادي.

وكان يشرف على السحاب الأخ خالد الشيخ محمد، ويعمل معه الأخ أبو أنس المكّي (علي حمزة البهلول)[١] -فكّ الله أسرهما- والأخ حمزة الغامدي، والأخ أبو عبد الرحمن المغربي، وآخرون منهم الأخ مهند التعزّي (أكرم رجا) -تقبّله الله- الذي شرّفه الله في قلعة جنكي بقتل أوّل أمريكي في أفغانستان.



البطل خالد الشيخ محمّد
فك الله أسره



حمزة الغامدي
حفظه الله



أبو عبد الرحمن المغربي
حفظه الله



علي حمزة البهلول
حفظه الله

المؤسسون الأوائل لمؤسسة السحاب الإعلامية

وعن أداء السحاب المتميز، يقول مايكل شوير، والحقُّ ما شهدت به الأعداء:

"لقد بذل (يقصد الشيخ أسامة بن لادن) ومعاونوه قدراً طائلاً من المال والوقت والفكر حتى يبنوا إعلاماً عالمياً وجهازاً للدعاية. ويعمل اليوم هذا الجهاز بكامل طاقته، ويطل ابن لادن والظواهري، ويستحوذان على الإعلام الدولي وقت ما يشاءان. وبنفس الأهمية فإن الوجود

---

١) كنت والأخ علي حمزة في مجموعة واحدة عندما تمّ أسرنا على الحدود الباكستانية، وكان الأخ علي حمزة منذ الأيام الأولى لوصولنا معتقل قندهار يأخذ بالعزيمة، فاعترف للأمريكان بأنه من القاعدة، وأنه يعتزّ ويتشرّف بقتالهم، وكان كثيراً ما يجادلهم ويُغيظهم ويلجمهم بحججه الدامغة، وكنّا سوياً أول اثنين من معتقلي غوانتنامو قُدّمت لهم -في فبراير ٢٠٠٤م- لائحة اتهام أمام المحاكم العسكرية الأمريكية. وحتى يومنا هذا ما زال علي حمزة أسيراً في معتقل جوانتانامو منذ يناير ٢٠٠٢م، نسأل الله العظيم ربّ العرش الكريم أن يعجّل بفكاك أسره وأسر إخواننا جميعاً.

المتعدد المواقع للقاعدة على الإنترنت، يعرض باستمرار تعليقاتها السياسية والدينية وتقاريرها الإخبارية أمام أهم أنصارها؛ طبقات العالم الإسلامي الوسطى والعليا الوسطى الملمة بالإنترنت..."

كذلك يقول مايكل شوير:

"واليوم يقدم ذراع القاعدة الإعلامي إرشادات دينية معمقة للمسلمين حول مبررات الجهاد المذكورة في القرآن وأحاديث النبي محمد ﷺ وسنته والتاريخ الإسلامي، وحتى باستخدام أجزاء منتقاة من النصوص فإن علماء القاعدة قد شكلوا أساساً دينياً مقنعاً لشن الجهاد الدفاعي الذي اكتسب التأييد وسط عشرات الملايين من المسلمين وخاصة من الشباب. والمقاتلون الآن مُدعّمون بحجج دينية يردون بها -وبأسلوب تفكيرهم الخاص- على الحجج المضادة للجهاد من أولئك الذين يعتبرهم الغرب المسلمين (المعتدلين)" [١] ا.هـ

تدمير أصنام بوذا في ولاية باميان مارس ٢٠٠١م:

كانت أصنام بوذا عبارة عن صنمين كبيرين هما لبوذا وزوجته. وكان صنم بوذا الكبير يبلغ طوله ثلاثة وخمسون متراً وسماكته عشرون متراً، والصنم الآخر يبلغ طوله خمسة وثلاثون متراً، وقد بُني الصنمان في القرن السادس الميلادي من صخور رسوبية رملية صلبة.

وبعد ما سيطر الطالبان على ولاية باميان استفتى أمير المؤمنين الملّا عمر -رحمه الله- كبار علماء أفغانستان في شأن الأصنام، فأفتوه بوجوب تحطيمها، وعلى الفور شرع الطالبان في عملية هدمها، فبدأوا بالرماية عليها بالدبابات، واستخدموا كذلك الألغام وقذائف الطائرات مما تسبب بضرر شديد للأصنام لكنها لم تدمر بالكامل. وحينها ضجّ العالم معترضاً بأن هذه الأصنام هي جزء من التراث الإنساني العالمي، ولا يجوز مسّها بسوء. وللأسف الشديد لم يسلم من هذا الاعتراض بعض من ينتسبون إلى علماء المسلمين، فصدّروا عدة فتاوى يناشدون فيها الطالبان بأن تتراجع عن هذا الأمر بحجة أن تهديمها ليس من الحكمة والمصلحة، وأنه قد يكون ذريعة للهندوس والبوذيين للانتقام من المسلمين في بلادهم.

وكانت بعض الدول -كالصين واليابان وسيريلانكا- قد عرضت عروضاً مالية كبيرة مقابل تقطيع الأصنام ونقلها، غير أن أمير المؤمنين قابل كل تلك العروض بالرفض، ورد عليهم بمقولة القائد الأفغاني الشهير محمود بن سُبُكْتِكِين -المعروف بــ محمود الغزنزي والملقّب بــ محطّم الأصنام- حينما ساوموه على ترك الأصنام مقابل إعطاءه الذهب والفضة، فقال:

"لأن يُنادى عليّ يوم القيامة أين عمر هادم الصنم، أحبّ إليّ من أن يُنادى عليّ أين عمر بائع الصنم".

وقال أيضاً:

"هذه العبادة التي أغاظتكم، أحبّ إلينا من كل أموالكم".

---

١) فرسان تحت راية النبي. الشيخ الدكتور أيمن الظواهري.



صنم بوذا الكبير قبل وبعد التدمير



صنم بوذا الصغير بعد التدمير

وكان الأفغان يأتون من كل مكانٍ للمشاركة في هدم الأصنام، وكان العلماء يتحملون عناء السفر، فتراهم وقد شابت لحاهم يصعدون ويحملون معهم المتفجّرات والألغام والقذائف إلى أعلى الصنم.

كذلك كان الشيخ أسامة لا يريد أن تفوته فرصة المشاركة في هذا العمل العظيم، وكان رحمه الله يريد أن يزيل الجبل إزالة كاملة بالبلدوزر حتى لا يبقى له أثر، وكان يستشهد بالآية ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾. ورغم خطورة المنطقة التي كانت معقلاً للشيعة الهزارة شدّ الشيخ أسامة رحاله إلى هناك، وكان بصحبته الشيخ الدكتور أيمن الظواهري، والشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد) وآخرون. ولم ينس الشيخ أسامة أن يصحب معه في هذه الرحلة، صاحب الاختصاص، وخبير القاعدة في هندسة التفجير الأخ أبو عبد الرحمن المهاجر رحمه الله.

بدايةً توجّه الشيخ أسامة إلى كابل، وفور وصوله تلقّى إشارة تفيد بأن الشيخ القرضاوي وصل قندهار، يصحبه وفد من عدة دول من قطر والبحرين. وعلى الفور قفل الشيخ أسامة ومن معه عائدين إلى قندهار. وكان من ضمن ذلك الوفد نائب الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين علي محيي الدين القرّة داغي، ومحمد عمارة، وطنطاوي (مفتي مصر)، ونصر فريد واصل، ووزير الدولة القطري للشؤون الخارجية وآخرون.

وكانت المهمة التي جاء من أجلها الوفد هي مناظرة الطالبان، ومحاولة إثنائهم عن عملية الهدم وإقناعهم بأنهم يواجهون ضغوطاً لا قبل لهم بها من قِبل المجتمع الدولي، فالأولوية ترك هدم الأصنام والتفرغ للإصلاحات الأخرى. وكان الوزير القطري قد قدّم عرضاً لطالبان بأنهم إن نكصوا عن تحطيم الأصنام فسيسعى لإعادة عضويّتهم لمنظّمة المؤتمر الإسلامي.

وكان أمير المؤمنين الملّا عمر قد أرسل لمناظرة الوفد وفداً من كبار علماء المحكمة العليا. وكان الشيخ أبو حفص الكمندان، والشيخ أحمد حسن أبي الخير، والشيخ أبو الوليد المصري، والشيخ أبو حفص

الموريتاني قد حضروا جلسة المناظرة، وكانوا يريدون توثيق هذه المناظرة بالصورة والصوت، غير أن الإخوة الطالبان رفضوا ذلك وقالوا التسجيل الصوتي يكفي.

وفي الجلسة تكلم علماء الطالبان، وقالوا: **"لقد انتظرنا هذا الأمر طويلاً، وسواء قمنا بهذه الخطوة أم لا فلن يغير العالم من سياسته تجاهنا فكل شيء يسير ضدنا، ولا نرى فائدة إذا امتنعنا عن القيام بذلك، لذا من الأفضل تنفيذ الأوامر الشرعية ... ولدينا أدلة واضحة على ذلك"**[١].

كذلك تكلم الإخوة من بعدهم، وكانت خلاصة الكلام أن هدم الأصنام هو ملّة إبراهيم، التي ما ينبغي أن يختلف اثنان في هدمها، فالأمر واضح.

وفي المقابل تكلم وفد العلماء وقالوا بأنهم لا يعترضون على هدم الأصنام، إنما يعترضون على توقيت هدمها. فردّ عليهم الشيخ أبو حفص الموريتاني -حفظه الله- قائلاً:

"الإخوة الطالبان وعلمائهم والشعب الأفغاني يقولون إنهم سيتحمّلون التبعات، فإذا كانوا سيتحملون التبعات، ومحتسبين كل ذلك لله سبحانه وتعالى، فجزاهم الله خيراً، لماذا لا بدّ أن نوقف هدم الأصنام؟"[٢] ا.هـ



الشيخ أبو حفص الموريتاني (محفوظ وِلد الوالد) - حفظه الله

وكان الشيخ أسامة -على هامش هذه المهمة التي جاء من أجلها هذا الوفد- قد حاول مقابلة الشيخ يوسف القرضاوي لكنه اعتذر، وأرسل نيابة عنه نائبه الشيخ القرّة داغي، فقابله الشيخ أسامة في مجمّع ستّة[٣] بقندهار، وعاتبهم عتاباً شديداً على عدم شرعية مهمتهم التي جاءوا من أجلها، واقتنع الشيخ القرّة داغي بحجّة الشيخ أسامة -رحمه الله- وقال بأنه سينقل كل ذلك للشيخ القرضاوي.

---

١) "الملا محمد عمر وطالبان وأفغانستان" مذكرات الملا عبد الحي مطمئن (الناطق السابق باسم الملا عمر).

٢) القصة غير المروية لأحداث الحادي عشر. رواية الشيخ بصير ناصر الوحيشي رحمه الله.

٣) مجمّع ستّة، هو المجمّع الثاني للشيخ أسامة، في مدينة قندهار. وكان الشيخ أسامة بجانب فريق حراسته قد اختار عدد يسير من الإخوة المتزوجين للسكن معه في ذلك المجمّع وهم: الشيخ سيف العدل، والأخ عبد المهيمن المصري حفظهما الله، والشيخ أبو محمد المصري، وأبو خالد الحبيب، وأبو خليل المدني، وأبو الحسن الصعيدي، وشاكر المصري، وخليفة المصري، وعبد الحميد الشرقي رحمهم الله جميعاً. وعلى غرار مجمّع نجم الجهاد في جلال أباد، بنيت كل البيوت من الطين، وكان كل بيت من بيوت المجمّع يتكون من غرفة واحدة ومطبخ وحمّام وحوش صغير.



ومرةً أخرى حرص الشيخ أسامة على مقابلة الشيخ القرضاوي في المطار قبل أن يغادر، وكان الشيخ أبو الخير المصري قد اتصل بالشيخ أسامة وأخبره أن الوفد قد تحرك للمطار، وبالفعل تحرك الشيخ أسامة على جناح السرعة إلى المطار، لكن لم يشأ الله لذلك اللقاء أن يتم، فقبل أن يصل الشيخ أسامة إلى المطار بدقائق معدودة كانت الطائرة المقلّة للوفد قد أقلعت محلقةً في السماء.

ورجع الوفد بعد لقائه بعلماء الطالبان بخفّي حنين، ورجع الإخوة إلى باميان لهدم الأصنام في رحلة أسموها رحلة التوحيد، وكانت مشاركتهم مشاركة فاعلة في عملية الهدم، وفي نفس التوقيت كانت خلايا عمليات الحادي عشر من سبتمبر في طريقها لهدم أصنام أمريكا.

إعلان الوحدة بين تنظيمي القاعدة وجماعة الجهاد المصرية:

وكان من نعم الله العظيمة بعد ذلك أن وفق جماعة الجهاد المصرية إلى الوحدة مع القاعدة فيما أصبح يعرف بقاعدة الجهاد، فأعلن الشيخ الدكتور أيمن الظواهري أواسط سنة ٢٠٠١م بيعته للشيخ أسامة بن لادن، وضمْ تنظيم الجهاد رسمياً لتنظيم القاعدة. وفي كتابه فرسان تحت راية النبي أشاد الشيخ الدكتور أيمن الظواهري –حفظه الله– بهذه الخطوة فقال:

"كان من نعم الله العظيمة علينا أن وُفقنا للوحدة مع القاعدة فيما أصبح يعرف بقاعدة الجهاد، وهي نعمة أسأل الله أن يعينني على شكرها، ولا بد هنا أن أذكر الفضل لأهله، فقد كان من أهم من سعى في ذلك العمل المبارك الشهيد كما نحسبه أبو حفص القائد، وآخرون من أفاضل الدعاة والمجاهدين، قد لا أستطيع أن أذكرهم الآن، ولكن الله يعلمهم، أسأله أن يجزيهم خير الجزاء".

وكان يوم إعلان الوحدة يوماً مشهوداً بفضل الله، وقال الشيخ الدكتور أيمن مخاطباً الشيخ أسامة بن لادن بهذه المناسبة فقال[١]:

"جئنا إليك نبايعك ونمد إليك أيدينا، وامتدت معنا أيدي موتى لا تُعرف لهم قبور، وأسرى لا تُعرف لهم سجون، وثكالى لا يعرفن أين أبناؤهن، وأرامل لا يعرفن أين أزواجهن، وأيتام لا يعرفون أين أباءهم جاءوا معنا يبايعونك، لا يسألونك نفعاً ولا مغنماً، ولكن يسألونك أن تثأر ممن ظلمهم. وجئنا إليك لا نحمل إلا همّنا وأحزاننا، ولا نملك شيئاً، ولا نسألك منصباً أو مغنماً، إلا أن نقاتل في سبيل الله، حتى ننتصر أو نستشهد" ا.هـ

وخطب الشيخ أسامة بن لادن –رحمه الله– فقال في كلمته:

"إننا لن ننسى أسارى المسلمين في سجون الطواغيت". وقال أيضاً:

"إنني أشهد أن إخواننا في جماعة الجهاد كانوا أسهل منا في التحضير لقيام الوحدة".

كذلك تكلم الشيخ سليمان أبو الغيث –فكّ الله أسره– فكان مما قال:

"ربح البيع يا دكتور. ربح البيع يا دكتور".

---

١) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

وفي اليوم التالي للوحدة قام المشايخ بزيارة الإخوة المتدربين في معسكر الفاروق بميوند، وألقيت كلمات منها كلمة جميلة للأخ الحبيب الشهيد -كما نحسبه ولا نزكيه على الله- أبي حفص الكمندان، قال فيها[١]:

"نعيش نحن في ظل الشريعة الإسلامية، ونتجمع من كل أقطار العالم ونتدرب هنا، ونعد أنفسنا هنا، وتتوحد الجماعات الإسلامية هنا، لماذا؟ لأن الله سبحانه وتعالى يريد من هنا شيئاً، يريد من هنا شيئاً، فأبشروا يا عباد الله، واثبتوا. إن تحرير فلسطين هو من هنا، وتحرير أرض الجزيرة هو من هنا، وإعادة بلاد الإسلام إلى مظلة الإسلام وإلى حكم الشريعة هو من هنا، فاثبتوا يا عباد الله، وأبشروا ووحدوا جهودكم، والتحقوا بهذه القافلة المباركة، التحقوا بها حتى تكون أيها الأخ المجاهد جندياً تجاهد في سبيل الله، وتعيد مرة أخرى نشر الإسلام في أنحاء العالم كله. لا بد أن نعود مرة أخرى إلى قيادة البشرية. هذا هو دورنا، نعم هذا هو دورنا، أن نعود إلى قيادة البشرية بمنهج الله. نحمد الله سبحانه وتعالى على هذه الخطوة المباركة، فهي نعمة من عند الله سبحانه وتعالى"[٢] ا.هـ



زيارة المشايخ لمعسكر الفاروق بولاية هلمند في اليوم التالي للوحدة ويبدو في يسار الصورة الشيخ محمد صلاح (نصر فهمي نصر) تقبله الله

١) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

٢) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

نعم هذا هو دورنا، أن نعود إلى قيادة البشرية بمنهج الله:

كلمات من نور نطقت بها شفاه الشيخ أبي حفص الكمندان. لقد ردد الشيخ أكثر من مرّة بأن الله يريد من هنا، أي من أفغانستان شيئاً، وكأنه رحمه الله رأى بفراسته في الأُفق وميض نار يوشك أن يشبّ لها ضرام تبيد خضراء النظام الدولي الصليبي الكافر، الذي تسلط على أمتنا المسلمة في كل جوانب حياتها السياسية والاقتصادية والعسكرية والفكرية والمعنوية.

لقد أدرك الشيخ أبو حفص أن التحرر من هيمنة النظام الدولي، وقيادة البشرية بمنهج الله، وإعادة بلاد الإسلام إلى مظلة الإسلام، وإلى حكم الشريعة ليس بالأمر السهل، إنّه أمرٌ تكرهه الملوك، إنه خطٌ أحمر لن تسمح به أمريكا، دونه بحارٌ من الدماء، وجبالٌ من الأشلاء، ولا يتحقق هذا الأمر ولا يحمله ويتحمّل تبعاته إلّا رجالاً فقهوا حقيقة الصراع فباعوا أنفسهم لله. وكأن الشيخ أبو حفص يقول إن هذا الأمر ليس له إلّا أولئك الرجال المتخصصين في هزيمة الإمبراطوريات العظمى، كأنه يقول لأمريكا إن هؤلاء الشعث الغبر الذين لا يؤبه لهم هم الذين سيمرّغون أنفك وكبرياءك، ويدوسون على كرامتك وعزّتك، وعمّا قريب ستشهد هذه الجبال وهذه السهول والوديان زفافك إلى مزبلة التاريخ.

تعليق الشيخ أيمن الظواهري على اللبس الذي حدث في مشروع الوحدة[1]:

وجدير بالذكر، أن بعض الكتّاب كانوا قد ذكروا في مؤلفاتهم أن مشروع الوحدة أدّى لانشقاقٍ في صفوف جماعة الجهاد المصرية بين مؤيد لها ومعارض. وتبياناً للبس الذي حدث في هذا الأمر، يقول الشيخ الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله:

"هنا نقطة هامة أود توضيحها، وهي أن الذين لم ينضموا (ولكنهم لم يعلنوا معارضتهم) للوحدة كانوا ثلاثة، واحد منهم كان يشجع على الوحدة ويسعى فيها، ولكنه لأسباب شخصية رأى أن يعمل خارج التنظيمات، وبعد الوحدة كلفه الشيخ أسامة بعمل فسعى فيه بنشاط جزاه الله خيراً، ومع بداية الحرب الصليبية المعاصرة ظل مطارداً لأكثر من عشر سنوات، عانى فيها وأسرته ثم عاد لوطنه، وظروفه الأمنية حرجة، وكانت سيرته هي التعاون والتأييد، ولم يُبد أي اعتراض على الوحدة ولا لجماعة قاعدة الجهاد.

وكان الاثنان الآخران لغضب من أمور إدارية بسيطة قد أعلنا خروجهما من الجماعة، وبعد الوحدة قالا إنهما لا يعارضانها، ثم بعد ذلك بمدة أعلنا اعتذارهما عن أسلوب تعاملهما مع إخوانهما، وأكد أحدهما هذا الاعتذار كتابة وانخرط في صفوف الجماعة، واستشهد في الحرب الصليبية رحمه الله رحمة واسعة، أما الثاني فهو أسير الآن. فالحاصل أن الذين كانوا في الجماعة فعلياً في وقت البيعة، لم يعترض منهم أحد ولم ينشق، والقرار استوفى شروطه الإدارية كاملة بفضل الله. ومما يؤكد وجهة نظري أن الكم الأكبر من جماعة الجهاد الذين كانوا أسرى في مصر وخرجوا من الأسر في ثورة يناير كانوا يعلنون ولاءهم للقاعدة وللشيخ أسامة -رحمه الله- وكانوا يعتبرون أنفسهم امتداداً لها" ا.هـ

---

[1] تصحيحاً لبعض ما جاء في النسخة الأولية لهذا الكتاب، أرسل لنا الشيخ الدكتور أيمن الظواهري هذا التعليق، وكان ذلك قبل التوقيع على مفاوضات الدوحة بين الطالبان والأمريكان.

زيارة الدكتور عبد الله النفيسي لقندهار:

جديرٌ بالذكر أنه قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر بقليل كان الدكتور عبد الله النفيسي –حفظه الله– يصحبه الشيخ سليمان أبو الغيث –فك الله أسره، والأخ أبو يوسف القناص، وشيخ ستيني رابع (نسيت اسمه) قد جاءوا إلى قندهار في زيارة خاطفة لإمارة طالبان وللشيخ أسامة بن لادن رحمه الله. وكعادته في استقبال ضيوفه استقبلهم الشيخ أسامة بحفاوة وكرم بالغين، وفرح كثيراً بمقدمهم.

وفي أحدى الجلسات التوعوية مع الإخوة بمجمع المطار في قندهار تكلم الشيخ أسامة مرحباً بقدوم الدكتور النفيسي قائلاً للحضور **"قد رمتكم جزيرة العرب بفلذات أكبادها"**. وفي بداية حديثه تكلم الدكتور عبد الله النفيسي عن السبب الذي دعاه للقدوم، فقال بلهجته الكويتية **أنه رجلٌ مبسوط وميسور الحال، وأن الذل الذي تعيشه أمتنا بسبب هيمنة أمريكا عليها هو الذي أقنعه بالمجيئ، وأقنعه بأن ما يدعو له الشيخ أسامة هو السبيل الوحيد لتغيير هذا الواقع الأليم.**

كذلك تحدث الدكتور النفيسي عن الكيفية التي تهيمن وتتحكم بها أمريكا على جميع مفاصل حياتنا السياسية والاقتصادية والعسكرية والأمنية والثقافية في بلادنا، وخلاصة نظريته هي أن العالم اليوم يعيش في ظل نظام دولي مركزه وقلبه هي الولايات المتحدة والمجموعة الأوروبية، أما باقي العالم فهي دول الأطراف. وحتى تتضح الصورة رسم النفيسي دائرة، وقسمها إلى أربعة أقسام، وقال إن دول المركز تتحكم بدول الأطراف بأربعة وسائل هي:

١. الوسيلة الأولى: احتكار التقانة العسكرية.
٢. الوسيلة الثانية: احتكار الخامات؛ النفط والقمح.
٣. الوسيلة الثالثة: الشرعية الدولية؛ الأمم المتحدة.
٤. الوسيلة الرابعة: العولمة الثقافية والإعلامية.

كذلك تحدّث الدكتور النفيسي عن أبرز المهدّدات الأمنية التي تتخوف منها الإدارات الأمريكية المتعاقبة، وهي أربعة أتذكر منها:

١. بروز الصين كقوة منافسة لأمريكا اقتصادياً وعسكرياً.
٢. وقوع سلاح من أسلحة الدمار الشامل في يد جماعة إرهابية.
٣. الميليشيات الامريكية اليمينية العنصرية المسلحة المنتشرة في أمريكا والتي بلغ تعدادها أكثر من ٣٠٠ مليشيا.

وجديرٌ بالذكر أن الدكتور عبد الله النفيسي حفظه الله، كان بطريقة ديبلوماسية كثيراً ما يروج –في محاضراته التوعوية عن الهيمنة الأمريكية– لما يدعو له الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، فكان يقول:

"النظرية الجديدة التي جاء بها تنظيم القاعدة هي أنه لا فكاك من مواجهة دول المركز اللي هي الولايات المتحدة وأوروبا الغربية، والطريقة الوحيدة لمواجهة هؤلاء –هذه نظرية القاعدة– أنه ينبغي أن ننقل الحرب من دول الأطراف إلى دول المركز، عندها يكون التخريب ونتائج هذا التخريب كلها في دول المركز، يعني القصة ليست عنف سايب كما يصور إعلام الكثير من الدول، لا .. لا .. أبداً، هناك نظرية أنه لا بد من نقل المعركة من دول الأطراف إلى دول المركز، وتتحمل

دول المركز نتائج هذه المواجهات، بدلاً من أن نتحمل نحن حروبهم على أراضينا، عندها وعندها فقط تلتفت دول المركز لدول الأطراف وتبدأ تقيس الأمور بشكل أهدأ وبشكل موضوعي يدفعها للتفاوض والتفاهم مع دول الأطراف، أما أن تترك الأمة الإسلامية شأنها لدول المركز من أمريكان وأنجلوساكسون في أوروبا، فسيظل العالم الإسلامي دائماً وأبداً تحت سيطرتهم. هذا الأمر لننزله على الجزيرة العربية، يعني هذه المناقشة دعنا ننزلها على دول الجزيرة العربية، الجزيرة العربية قطعة مهمة جداً في قلب كل مسلم في العالم، فيها الحرمين فيها قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، فيها الكعبة المشرفة، بلاد الحرمين، يعني نحن لا نخاف على بيوتنا قدر ما نخاف على بلاد الحرمين، نخاف على بلاد الحرمين أكثر من خوفنا على بيوتنا، لماذا؟ لأن المصير هناك، ولذلك ينبغي التنبيه أنه الأوضاع في بلاد الحرمين ينبغي أن تكون اليد العليا هي للمسلمين وليس لدول المركز، ولا يتحقق هذا إلا إذا نفذت وصية الرسول عليه الصلاة والسلام: "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب"، الرسول عليه الصلاة والسلام كان على فراش الموت وصحابته حوله: أوصنا يا رسول الله، "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب" .. تَسلَمون ، يعني إذا أخرجتوهم، أنتم في أمن وأمان، لكن تعالوا نشوف في الجزيرة العربية اليوم شنو صاير، اليوم صاير أنه كلما مرَّ يوم وكلما طلعت شمس كلما تمكن المشركون من جزيرة العرب، الآن فيه مدن تبنى في جزيرة العرب لاستيعاب هجرات من هؤلاء المشركين، من لاتينيين وأنجلو ساكسون، وسوف يأتي يوم سنعض على أصابعنا، نحن فتحنا هذه الجزيرة العربية لهم، ونحن هيأنا هذه المساكن لهم، ونحن بنينا ناطحات السحاب على سواحل الخليج لهم"[1] ا.هـ

وكان الدكتور عبد الله النفيسي قد التقى في زيارته تلك بأمير المؤمنين الملا عمر -رحمه الله- وبعض من كبار قادة طالبان، كذلك قام الدكتور النفيسي يصحبه الشيخ أسامة بزيارة معسكر الفاروق بهلمند، ثم غادر بعدها متوجهاً إلى بلاده.



الدكتور عبد الله النفيسي في إحدى محاضراته التوعوية

---

[1] الكتاب الجامع لكلمات ورسائل الشيخ أيمن المفرّغة.

عملية اغتيال أحمد شاه مسعود:

كان أمير المؤمنين قد طلب من الشيخ أسامة الانتقال من جلال آباد لقندهار تحرزاً من خطة تسرَّب سِرُّها قبل فتح الطالبان لكابل مفادها أن أحمد شاه مسعود قرر القيام بعملية عسكرية للقبض على الشيخ أسامة. وكان مسعود مصمماً على مساعدة الولايات المتحدة في جمع المعلومات عن أنشطة وأماكن وجود الشيخ أسامة، كما وافق على أن يحاول القبض عليه إذا سنحت الفرصة. وأكد هذه العلاقة جورج تينيت، مدير المخابرات المركزية السابق في شهادته أمام لجنة الكونجرس الخاصة بالتحقيق في هجمات ١١ سبتمبر، حيث صرح بأن المخابرات الأمريكية تعاونت مع أحمد شاه مسعود -قبل هجمات ١١ سبتمبر- لتتبع أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة، غير أن مقتل أحمد شاه مسعود -قبل هجمات سبتمبر- أحبط تلك المخططات[١].

أيضاً شهد على ذلك التعاون رسمياً تقرير الكونجرس عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حيث يقول في أحد المواضع العديدة التي ذكر فيها التعاون بين الأمريكيين ومسعود:

"وفي الشمال الشرقي كانت هناك قوات مسعود لتحالف الشمال التي ربما تعد أفضل خيار للسي آي إيه، وفي آخر أكتوبر عام ١٩٩٩م طارت مجموعة من ضباط مركز مكافحة الإرهاب لوادي بنجشير للقاء مسعود، وهي رحلة خطرة في حوامات متهالكة ستتكرر لعدة مرات في المستقبل، وقد بدا مسعود مصمماً على مساعدة الولايات المتحدة في جمع المعلومات عن أنشطة وأماكن وجود بن لادن، كما وافق على أن يحاول القبض عليه إذا سنحت الفرصة"[٢] ا.هـ

ولم يكن اتصال أحمد شاه مسعود بالغرب الصليبي وتحالفه معه سراً، فلقد أعلن ذلك على الملأ حينما ذهب لبروكسل في أبريل ٢٠٠١م، واستقبلته رئيسة البرلمان الأوروبي (نيكول فونتان) على باب مقر البرلمان كأي رئيس دولة، وألقى كلمة في البرلمان الأوروبي، ووقف له أعضاؤه يصفقون لدقائق، وقال في كلمته: "**إنه في خط الدفاع الأول ضد الأصولية الإسلامية**"، وعقد مؤتمراً صحفياً في مقر البرلمان الأوروبي طلب فيه مساعدة الاتحاد الأوروبي من أجل إسقاط نظام طالبان والقوى الخارجية مثل أسامة بن لادن، حيث قال فيه:

"أنا متأكد أنه دون تدخل باكستان وجنودها النظاميين والقوى الخارجية -مثل أسامة بن لادن والطلاب الباكستانيين- ما كانت قواتنا في احتياج، ويقيني أن الأمة الأفغانية بنفسها، وأهل قندهار بأنفسهم، والعنصر البشتوني بنفسه قادرون على إسقاط نظام طالبان" ا.هـ

وطالب مسعود أيضاً بالتدخل الأمريكي في أفغانستان حفاظاً على أمن أمريكا وحلفائها، وهو الذي كان يبني كل دعاياته على أساس أنه يقاتل من أجل طرد نفوذ باكستان الأجنبي عن أفغانستان الذي كانت تمثله حركة طالبان في زعمه، ولكنه لم يستح -من أجل التنافس على الدنيا وحب الملك- أن يطالب بالتدخل الأمريكي في شؤون أفغانستان، ويؤكد ذلك بأن يحذّر أمريكا بما يمكن أن يلحق بها من أخطار على يد أعدائه وأعدائها؛ الإمارة الإسلامية والقاعدة. فقال في نفس المؤتمر:

---

١) فرسان تحت راية النبي. الشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

٢) المصدر السابق.

"رسالتي للسيد بوش، أنه إذا لم يتوجه لمسألة تأمين السلام في أفغانستان، وإذا لم يساعد شعب أفغانستان في طريق الوصول للسلام، فإن المشكلة يقيناً لن تؤثر فقط على أفغانستان، بل على أمريكا والدول المتحالفة معها"[١] ا.هـ



المؤتمر الصحفي الذي عقده مسعود في مقر البرلمان الأوروبي

وهكذا أعلن مسعود عن سقوطه في مستنقع العمالة للصليبيين بعد طول تكتم، وأصرّ على أن يعلن ذلك في عقر دار أوروبا، ومن فوق منبر البرلمان الأوروبي حتى لا يدع لهم أي مجال للشك في ولائه لهم. وأعلن انضمامه بوضوح تام للحملة الصليبية الأمريكية ضد الإسلام، أو ما تسميه أمريكا بالإرهاب والأصولية. وهكذا لم يترك مسعود لنفسه عذراً، ووقّع بنفسه على حكم قتله[٢].

وكان الشيخ أسامة قد أرسل رسالة -عن طريق الشيخ أبي حفص الكمندان- لأمير المؤمنين الملّا عمر قائلاً له: **"ماذا تطلبون منّا؟ نحن نريد أن نخدم دين الله، ونحن جنود بماذا تأمرنا؟"**. فقال الملّا عمر للشيخ أبي حفص: **"اقتلوا أحمد شاه مسعود"**. فقال الشيخ أبو حفص: **"اعتبروا أحمد شاه مسعود مقتولاً"**، واقترح الشيخ أبو حفص الكمندان على الملّا عمر بأن ينتهزوا الفرصة بحشد القوّات في الشمال، كي يباغتوا قوات مسعود ويهجموا عليهم بعد مقتله مباشرة قبل أن يعيدوا ترتيب أنفسهم ويستجمعوا قوّتهم[٣].

١) فرسان تحت راية النبي. الشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

٢) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله.

٣) القصة غير المروية لأحداث الحادي عشر. رواية الشيخ بصير ناصر الوحيشي رحمه الله. بتصرّف.

ولما كان مسعود مولعاً بالقنوات الفضائية وبحب الظهور، كانت خطة اغتياله بسيطة جداً، وهي أن يقوم مجاهدان استشهاديان بتقديم نفسيهما لأحمد شاه مسعود على أنهما صحفيان، ويُجريا معه مقابلة تلفزيونية مصورة بكاميرا مفخخة، ثم أثناء المقابلة يتم تفجير الكاميرا. وبالفعل تم شراء كاميرا تلفزيونية خاصة بمثل هذه المقابلات، وقام الأخ مهندس المتفجرات أبو عبد الرحمن المهاجر -رحمه الله- بتجهيزها وتفخيخها بمواد متفجرة وُضعت في البطّارية.

وكانت الخطة التي رسمها مجموعة من الاخوة وعلى رأسهم الشيخ أبو حفص المصري -رحمه الله- قد اشتملت على ترتيب مقابلات مصوّرة، الأولى عن حركة طالبان مع وزير الخارجية وكيل أحمد متوكل، والثانية لقاء مع عبد رب الرسول سيّاف، ولقاء آخر مع برهان الدين ربّاني، والقاء الرابع يكون مع أحمد شاه مسعود.

وعُرضت المهمة على بطلين من أبطال الإسلام من أصول مغربية كانا يعيشان في بلجيكا؛ هما المجاهدان أبو عبيدة التونسي عبد الستار دحمان (٢٨ عاماً)، وكريم سوزاني (٣٤ عاماً) فوافقا رحمهما الله على الفور. وبالفعل كما رُسمت الخطّة -وحتى يطمئن لهما مسعود- أجرى هؤلاء الأخوان مقابلات مصورة مع سياف ورباني، وتوسط لهما سياف عند أحمد شاه مسعود ليقوما بإجراء مقابلة مصورة معه. ورغم أن مسعود مشهور بالحذر الشديد، ورغم أنهما انتظرا طويلاً مرّا خلالها بإجراءات أمنية مشددة للتأكد من هويّتهما، ومن فحص أغراضهما بما فيها الكاميرا إلّا أنّ الله إذا أراد أمراً أمضاه، فتمّ لهما المراد بفضله سبحانه، فأخذا ميعاداً لذلك اللقاء في مقر إقامة أحمد شاه مسعود في بلدة "خواجة بهاء الدين" بولاية تخار الشمالية، بالقرب من الحدود الطاجيكية.


كريم سوزاني – تقبّله الله


أبو عبيدة التونسي – تقبّله الله

وكانت المقابلة في ٩/ ٩/ ٢٠٠١م الموافق ١٤٢٢/٦/١٨هـ، قبل يومين من أحداث الحادي عشر من سبتمبر. فقام أحد الأخوين بالتصوير من كاميرة الفيديو المفخخة، والآخر أجرى الحوار، وفي أثناء ذلك تمت العملية كما خُطط لها فقتل مسعود، وأُصيب بعض من كبار قادته إصابات بالغة، وقُتل الأخوان اللذان أجريا المقابلة والأسئلة على الفور، نسأل الله الكريم أن يتقبّلهما في الشهداء.

وعن مقتل مسعود يقول أخوه ولي مسعود:

"تلك الرحلة إلى أوروبا، ذلك التحذير لبقية العالم كان فعلاً خطيراً، لقد غامر مسعود بحياته، ودفع من حياته ليحذر الآخرين؛ (انظروا، لن تكونوا آمنين إلا إذا فعلتم شيئاً من أجله). لقد ضحى بحياته ليس فقط من أجل الأفغان، بل من أجل المجتمع الدولي. لقد كان مستاءً جداً من الحكومات الغربية فيما يتعلق ببرنامجها لمحاربة الإرهاب. اكتشف أن برنامج محاربة الإرهاب في ذلك الوقت ليس إلا شعاراً، لم يكن برنامجاً عملياً أو حقيقياً"[1] ا.هـ

فشل التجمع الجهادي العالمي في فرض حضوره ومساهمته في قضايا الأمة:

متحدثاً عن فشل التجمع الجهادي العالمي في فرض حضوره ومساهمته في حلحلة قضايا الأمة يقول الشيخ أبو مصعب السوري -فكّ الله أسره- في كتابه دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، بتصرف:

"لم يأت عام ٢٠٠٠م مع سيطرة حركة طالبان على نحو ٩٤% من أرض أفغانستان، إلا وقد بلغ عدد الجماعات والتنظيمات والمعسكرات المعترف بها رسمياً من قبل طالبان أربعة عشر، تربطهم جميعاً بوزارات الدفاع والداخلية والاستخبارات برامج ضبط وتنسيق وتعاون. وكانت هذه التجمعات مستقلة عن بعضها تماماً. وكان معظم من تواجد خلال هذه الفترة في أفغانستان من الجهاديين بجانب تنظيم القاعدة، يمكن تصنيفهم ضمن التشكيلات الرئيسية التالية:

١. المتدربون: وهم الذين قدموا من أجل تلقي التدريب ثم الرحيل، ولم يستقر هؤلاء الّا مدد التدريب التي تتراوح ما بين أشهر قليلة إلى سنة.

٢. المهاجرون: وهم الذين قدموا بأسرهم أو بأنفسهم بغية الهجرة والاستقرار في دار الإسلام الوليدة، وإعمارها والجهاد معها، دون أن يكون لهم أهداف جهادية خارج أفغانستان، ولا ضد حكومات بلادهم، ولا ضد أعداء آخرين داخليين أو خارجين.

٣. التنظيمات الجهادية: التي قدمت لتتابع أهدافها وبرنامجها القديم المتعلق بالجهاد في بلادها، ولمتابعة بناء تنظيماتها من جديد على الطريقة التقليدية القديمة للتنظيمات (القطرية - السرية - الهرمية) مثل الجماعة الإسلامية المصرية، والجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة وغيرهم.

٤. تنظيمات وجماعات وسط آسيا: الذين تنوعت أهدافهم بين الهجرة ونصرة دار الإسلام والجهاد معها، وبين الإعداد للجهاد في بلادهم. وكان أهم وأكبر هذه الجماعات (المجاهدون من أوزبكستان) و(المجاهدون من تركستان الشرقية) التي احتلتها الصين، بالإضافة لبعض الجماعات الأخرى.

٥. المجاهدون من باكستان: وكانوا خليطاً من تلاميذ العلماء والمدارس الدينية في باكستان، وهي امتداد لطالبان فكراً ومنهاجاً، وقد شكل التواجد الباكستاني نتيجة القرب والتداخل في القضية مع القضية الأفغانية حجماً يوازي أو يزيد على مجموع حجم الأنواع المذكورة آنفاً.

---

١) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله.

ورغم ما حققته هذه التجمعات الجهادية من مكاسب في ساحة أفغانستان إلا أن الخسارة الأساسية كما ذكرها الشيخ أبو مصعب السوري في كتابه كانت في **فشل ذلك التجمع الجهادي العالمي في فرض حضوره ومساهمته في حلحلة قضايا وأزمات الأمة. وكان قد توفرت آنذاك في الساحة فرصة نادرة الحدوث، تجسّدت في ظروف دولية، وكم من الشباب والكوادر والرموز والدعاة وقدماء المجاهدين من بلاد متعددة، ومن توفر الأموال وغير ذلك من المعطيات التي كانت قادرة على توليد تجمع جهادي عالمي منظم يفرض حضوره ومساهمته في حلحلة قضايا الأمة وساحة الصحوة الإسلامية. وكان من الممكن أن تقوم جهود لمراجعة المناهج والأساليب والأهداف والوسائل في ظل فهم الواقع الجديد، مستغلين الظروف المواتية، والالتفاف جميعاً حول مشروعية أمير المؤمنين الملّا محمد عمر، ورمزية الشيخ أسامة، ولكن ذلك لم يحصل.**

وكانت المفاجأة في أن (الفكرة القطرية)، وهي الإطاحة بالأنظمة المرتدة بنفس الأساليب التقليدية في عمل التنظيمات لإقامة أنظمة تحكم بالشريعة الإسلامية، برزت لتسيطر على المرحلة الجديدة مرة ثانية، حيث جعلت معظم التنظيمات هدفها هو نفس الهدف الذي أثبتت الأيام فشله في ظل النظام العالمي الجديد. ولم تنجح محاولات الشيخ أسامة والقاعدة عبر تلك السنوات الخمس في استمالة تلك الجماعات الجهادية -باستثناء تنظيم الجهاد المصري وبعض الجماعات من باكستان وبنجلادش- إلى توجهاته بتوحيد محور المواجهة تجاه أمريكا، سواء بالاندماج معه في جماعة واحدة أو بالدخول في حلف الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد الصليبيين إلى أن جاءت هجمة أمريكا على الإمارة الإسلامية، وتداعيات أحداث سبتمبر، فأقنعت أمريكا الكل -بعد أن وضعتهم في سلّةٍ واحدة-بترك أهدافهم والتفرغ لحربها"[١] ا.هـ

وهنا ملاحظة جديرة بالاهتمام، هي أنّ بعض الجماعات الجهادية لم تتعلم ولم تستفد من أخطاء غيرها، فذات الفكرة القطرية -التي أثارت دهشة الشيخ أبي مصعب السوري، وعبّر عنها بالمفاجأة لأنها تكررت- برزت لتخيّم بظلالها على المشهد مرة أخرى في العراق وبلاد الشام، بل والأدهى والأمر أنها تكررت مع جماعات منها من اندمجت فعلياً مع القاعدة، ومنها من دخلت ووحّدت معها في حلفٍ محور مواجهتها تجاه المحتلين الأمريكان، وللأسف الشديد رجعت هذه الجماعات القهقرى إلى المربّع الأول؛ مربّع الفكرة القطرية، وكما يقول الشيخ أبو مصعب السوري: **جعلت هدفها لإقامة نظام يحكم بالشريعة الإسلامية هو نفس الهدف الذي أثبتت الأيام فشله في ظل النظام العالمي الجديد.**

لذلك -حتى لا تتكرر الأخطاء والنكسات، وحتى نتعلم من تجارب غيرنا- وصيّتي لكل العاملين لإقامة دين الله، وخاصة الجماعات الجهادية القطرية أن تقوم بدراسة عميقة لحركة طالبان، تأخذ منها العظات والعبر والدروس في كيفية وصول الحركة إلى ما وصلت إليه. يجب أن لا ندع مراكز البحوث والدراسات الصليبية تسبقنا إلى هذا الأمر، طبعاً هم الآن يقومون بدراسة حركة طالبان دراسة متأنية ودقيقة ليستفيدوا هم من دروسها في حربنا، فهم كما وصفهم الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه في صحيح مسلم "**بأنّ الروم أسرعُ الناسِ إفاقةً بعد مصيبةٍ، وأوشكُهُمْ كرّةً بعد فَرّةٍ**". فنحن والله أولى منهم في هذا الأمر حتى نصل بإذن الله إلا ما وصلت إليه حركة طالبان.

---

١) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

المرحلة الخامسة: الحدث الذي غيّر وجه التاريخ; غزوات الحادي عشر من سبتمبر المباركة:

الهدوء الذي يسبق العاصفة:

كانت أمريكا وحلفاؤها قد أعلنت سياستها وإرادتها لإسقاط حكومة طالبان في أفغانستان منذ أواسط عام ١٩٩٧م. وكانت وزارة الخارجية الأمريكية قد أعلنت في بيان رسمي بتاريخ ١٤ فبراير ١٩٩٩م أنّ استراتيجيتها تجاه أفغانستان لن تتغير حتى ولو غادر الشيخ إسامة أفغانستان. وكان ذلك البيان إشارة جديدة لطالبان بأن الولايات المتحدة لن تتركها حتى ولو رحل أسامة بن لادن، وبناءً عليه أصبح الطالبان على قناعةٍ بأن نظامهم الإسلامي بأكمله مستهدف لذاته من الولايات المتحدة. ومهما كانت الغاية من هذا البيان الرسمي فقد أُسكت قادة طالبان الذين اعتقدوا أن بن لادن هو السبب الرئيسي للصراع بين الحركة وواشنطن، وظهرت عقلية جديدة بين الطالبان مفادها أن أمريكا هي العدو الحقيقي للحكومة والسيادة الإسلامية[١].

وكانت الإمارة الإسلامية قبل حدوث عمليات ٩/١١ بشهرين تعلم علم اليقين أن أمريكا تعد خطة عسكرية لاجتياح أراضيها، وضربها ضربة عسكرية جوية قاصمة لنزع حكومة الإمارة وتنصيب حكومة ظاهر شاه المنفِي، فقد كانت صحيفة (ضرب مؤمن) الإسلامية الباكستانية قد ذكرت أن وزير الخارجية الباكستاني الأسبق نياز زينك، قد نقل لحكومة طالبان أن مسؤولين كباراً في الحكومة الأمريكية أبلغوه في منتصف شهر يوليو عام ٢٠٠١م، أنه إذا لم يتم تسليم بن لادن على الفور، فإن الولايات المتحدة ستقوم بحلول منتصف شهر أكتوبر ٢٠٠١م بعمل عسكري لاعتقاله أو قتله هو والملا عمر زعيم حركة طالبان. وأشار المسؤول الباكستاني إلى أن الهدف الأوسع من تلك العملية هو إسقاط حكومة طالبان، وتنصيب حكومة انتقالية من الأفغان المعتدلين من الممكن أن يتزعمها ملك أفغانستان السابق ظاهر شاه. وأوضح الوزير أن واشنطن ستشن عملياتها من قواعد في طاجكستان، وقال إن أوزبكستان ستشارك في العمليات، وأن سبعة عشر ألف جندي روسي يقفون في حالة استعداد. وشكك المسؤول الباكستاني السابق في إمكانية تراجع الولايات المتحدة عن خططها حتى إذا تم تسليم بن لادن على الفور من قبل الإمارة الإسلامية[٢].

وقبل شهر من بدء الحملة العسكرية الصليبية على أفغانستان كان وفد من الحكومة الباكستانية -برئاسة رئيس الاستخبارات الجنرال محمود- يصحبهم عدد من كبار العلماء قد جاءوا في محاولة لإقناع الملا عمر بأنه لو سلّم الشيخ أسامة ومن معه من العرب فإنه سيأمن من الحرب التي قد تشنها أمريكا ويبقى له نظام حكمه ودولته، وحاول الوفد تبرير ذلك شرعياً، فرد عليهم الملا عمر قائلاً: **"هل عندكم نصّ يُجوّز خذل مسلمٍ مجاهد، وإلقاء حبله في أيديهم؟ وبم أجيب ربي إن سألني: كيف سلّمتَ مسلماً مجاهداً إلى الكفر وأسلمته؟** وأضاف قائلاً: **"لن يُعيّر أبنائي وأحفادي بعدي، ولن يسجل التاريخ أني سلّمت رجلاً مسلماً لدولة كافرة".**

---

١) "الملا محمد عمر وطالبان وأفغانستان" مذكرات الملا عبد الحي مطمئن (الناطق السابق باسم الملا عمر). بتصرف

٢) الله أكبر خربت أمريكا. فارس الزهراني رحمه الله. بتصرّف.

وكان أمير المؤمنين وكثيرٌ من كبار قادة الطالبان، قد صرحوا في أكثر من مناسبة أنهم مقصودون لدينهم، لا لمجرد وجود أسامة بن لادن، وكما قال أمير المؤمنين: **"جاء البريطانيون وهجموا على أفغانستان قبل أن يوجد أسامة بن لادن، ثم جاء الروس كذلك قبل أن يأتي أسامة".**

وفي رسالته إلى الأمة الإسلامية بعد مرور عام على الحرب الصليبية على أفغانستان أكّد أمير المؤمنين الملّا عمر هذه الحقيقة فقال:

"والحرب التي تشنها أمريكا على بلادنا هي جزء من هذه الحملة على الإسلام. إن أمريكا عندما حاربت أفغانستان أرادت بالدرجة الأولى القضاء على النظام الإسلامي، ومنع تحكيم الشريعة الإسلامية، ومنع إحياء الدين الإسلامي الذي يخيفها. وإذا كانت أمريكا قد جعلت من عمليات ١١ سبتمبر ذريعة لضرب إمارة أفغانستان الإسلامية، وإعلان الحرب على المسلمين، فإننا نعلم أن ذلك ليس هو السبب الوحيد، ونعرف أن أمريكا كانت تريد ضربنا والقضاء على الإمارة الإسلامية قبل ذلك بكثير، وكانت تحاول إيجاد المسوغات، ولو لم توجد ١١ سبتمبر لوجدت أمريكا غيرها. ولو لم تكن عند أمريكا هذه النية المبيّتة والإرادة المتقرّرة، لما شنت علينا الحرب بسبب عمل لم تتأكد بعد من الذي قام به"[١] ا.هـ

إضافةً إلى ذلك -كما ذكرنا من قبل- أن الشيخ أسامة كان عل قناعة بأن أمريكا لن تسمح لطالبان أو لأي حكومة في العالم بالخروج عن نظامها الدولي بإقامة نظام إسلامي يحكم بالشريعة، وأي دولة تخالف هذا الأمر تكون عرضة لمعاقبتها ومحاصرتها، وستعمل بكل قوّتها لإسقاطها.

إذن لهذه الأسباب وغيرها -بالنسبة لتعامل أمريكا مع أمتنا المسلمة عامّة، ومع إمارة أفغانستان الإسلامية بصفة خاصّة- كانت قناعة الشيخ أسامة بأن ضرب أمريكا وعدم ضربها نتيجته واحدة، والضرب عنده أولى وأهم، وغزوها في عقر دارها أولاً أفضل من غزونا في عقر دارنا في النهاية.

إضافة إلى ذلك كان الشيخ أسامة يعتقد أن **تنفيذ وصية رسول الله ﷺ بإخراج الصليبيين من جزيرة العرب أمر يستحق التضحية، إذ لا قيمة للمسلمين والعرب على أرض الواقع وحمى المسلمين ومقدساتهم مستباحة، وأوطانهم مستعمرة.** فكان رحمه الله يرى أنه لا يوجد شيء يُخشى عليه في النهاية بضرب أمريكا وبغير ضربها، فما يخشونه هم واقعون فيه، والسابح في البحر لا يخشى المطر[٢].

وكان الشيخ أسامة يستند إلى فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- التي تقول: **"أوجب الواجبات بعد الإيمان، دفع العدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا".** وانطلاقاً من هذه الفتوى كان الشيخ أسامة يعتقد أن دفع الأمريكيين المحتلين لمقدسات المسلمين، والذين تسلّطوا على أمتنا المسلمة في كل جوانب حياتها هو أوجب الواجبات اليوم، وهو من الجهاد المتعين الذي لا يقبل التأجيل، ولا يجوز التأخر عنه، كما لا يملك الإمام حق إيقافه لأنه من صميم مصلحة الأمة، ومصلحة الأمة مقدمة على مصلحة الدولة، ومصلحة الدولة مقدمة على مصلحة الجماعة، ومصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد.

---

١) فرسان الفريضة الغائبة. لصالح الهامي.

٢) فرسان الفريضة الغائبة. لصالح الهامي. بتصرف طفيف.

وكان رحمه الله يخشى أنه إذا سكت الناس اليوم، ولم يتداعوا ويقوموا بدفع صيال العدو عن بلاد الحرمين، فلن تمضِ عشر سنوات حتّى يتبلّد الحسُّ تدريجياً وتُنسى القضية، وسيأتي جيلٌ يخلفه جيل تكبله سياسة الأمر الواقع، وسياسة ألّا جدوى فلا يأبه كثيراً، ولا يتحرك له ساكن، وستضيع القضية في زحمة الزمن ومشاغل الحياة، تماماً كما ضاعت فلسطين وضاعت الأندلس من قبل.

وكان الشيخ أسامة يعلم أن حجم الضربات المخطط لها لن تكون كسابقاتها، وقد تكون لها تبعات كبيرة، فأمريكا لن تكتفي بضرب أفغانستان بعدد من صواريخ كروز -كما فعلت عندما هوجمت سفاراتها في نيروبي ودار السلام- بل وربما يجر الأمر إلى حرب لا هوادة فيها يكون الطالبان والشعب الأفغاني هم الأكثر تضرراً منها. ومع كل ذلك كان الشيخ أسامة يعتقد أن الشعب الأفغاني هو أقدر الشعوب الإسلامية قاطبة على خوض هذه المعركة وتحمل تبعاتها، وأن الغلبة ستكون في نهاية المطاف بإذن الله لصالحهم، فهم من هزم الله على أيديهم بريطانيا العظمى والاتحاد السوفيتي من قبل.

إذن أمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله[1]:

ذات مرة كان بعض قيادات الطالبان قد أتى لزيارة الشيخ أسامة في مجمّع المطار، وكان من بينهم الملّا محمد حسن رحماني والي قندهار، والطيب أغا -مدير مكتب أمير المؤمنين. ورحّب بهم الشيخ أسامة وأكرمهم. وكان من الحاضرين لهذه الجلسة الشيخ أبو حفص الكمندان، والشيخ أحمد حسن أبي الخير، والشيخ مصطفى أبو اليزيد -رحمهم الله جميعاً- والشيخ الدكتور أيمن الظواهري. وفي الجلسة تكلّم الشيخ أسامة وقال: "**سيكتب لكم التاريخ أيها الأفغان شيئين، سيكتب لكم أنكم حفظتم العرب من الأمريكيين وهذه لكم، والثانية أنكم حفظتم الأمريكيين من العرب وهذه عليكم**". فردّ عليه الملّا محمد حسن، وكان رئيساً للحكومة آنذاك وقال: "**لا لا يا شيخ هذا غير صحيح**".

وكان الشيخ أسامة قد أرسل مع الطيّب أغا ملفّاً به صور ومقاطع فيديو لليهود وهم يدنسّون الأقصى، ويضربون المسلمات، ويهدمون المساكن والبيوت. وقال الشيخ أسامة للطيب أغا: "**أريدك أن تعرض هذه الصور والمقاطع على أمير المؤمنين**". فقال الطيب أغا: "**مستحيل الملّا عمر لا يرى الصور**". فقال له الشيخ أسامة: "**ضروري لا بدّ أن يراها، فبعض الأحيان لا بدّ للطبيب أن يرى العورة للعلاج، والملّا عمر هو طبيبنا وطبيب الأمة، فلا بدّ أن يراها**".

وعندما شاهد أمير المؤمنين الملّا عمر -رحمه الله- ما يحتويه الملف غضب غضباً شديداً وقال للطيب أغا: "**أحضر لي أسامة الآن**". وعندما جاء الشيخ أسامة قال له أمير المؤمنين: "**أنا أريدك يا شيخ أسامة أن تضرب اليهود في أي مكان**". فقال له الشيخ أسامة: "**سمعاً وطاعة، وإن شاء الله لا تغيب الشمس إلّا وقد بدأنا في ترتيب العمليات ضد اليهود**". وخرج الشيخ أسامة -رحمه الله- فرحاً مستبشراً من ذلك الاجتماع، وقال لمرافقه الشيخ بصير: "**لقد أذِنَ أميرُ المؤمنين**".

وآنذاك كانت وزارة خارجية طالبان قد تسلّمت رسالة مباشرة من الأمريكان، تدل على مدى صلف واستحقار الأمريكيين لطالبان. وكانت الرسالة عبارة عن ورقة بيضاء عادية بها رسالة مقتضبة تقول: "**قولاً واحداً، إمّا أن تسلموا بن لادن، وإمّا أن نضرب أفغانستان**".

---

١) القصة غير المروية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر، رواية الشيخ بصير رحمه الله. بتصرّف طفيف.

وكان الشيخ أسامة يرجو ويتمنى ويطلب من الإخوة أن تتأخر العمليات في نيويورك وواشنطن حتّى تكون ردّاً ومبرراً كبيراً على ضرب أفغانستان المخطط له. وكان رد الإخوة في أمريكا أنهم لا يستطيعون تأخير العمليات، لأن الأوضاع لا تسمح لهم بذلك، فقد يُقبض عليهم لأدنى شبهة.

وكان الشيخ أسامة رحمه الله -قبل العمليات بفترة وجيزة- قد اجتمع بالإخوة في مجمّع ستّة في قندهار، وحدّثهم بأنه ستكون هناك ضربات قوية وموجعة على أمريكا، فعلى الجميع أن يتأهب ويهيئ نفسه لما هو قادم. وبالطبع كانت تفاصيل العمليات أمراً في غاية السريّة، فلم يكن أحد من الإخوة -غير القلّة القليلة المشرفين على مجرياتها- يعلم شيئاً عن حجم هذه الضربات، وكانوا يتوقّعون أنها ستكون كسابقاتها بسيارات مفخخة هنا أو هناك، لذلك كان بعض الإخوة -من أبرزهم الشيخ مصطفى أبو اليزيد رحمه الله، والشيخ أبو حفص الموريتاني حفظه الله، وآخرون- يعارضون هذا الأمر، وكانت حجّتهم أن هذه مسألة اجتهادية من المفترض أن يُرجع فيها إلى أمير المؤمنين، وأن العواقب ستكون وخيمة على الأفغان، لذلك يجب التأني.

وبعد أن سمع الشيخ أسامة آراء الإخوة ألقى كلمة مؤثّرة مستشهداً بمقولة أبي بكر الصّديق رضي الله عنه (**أيَنقصُ الدين وأنا حي**). وفي تلك الجلسة بكى الشيخ أسامة -رحمه الله- وكان يقول:

"نحن خلفنا أمّة تنتظرنا، ولا بد أن نفعل لها شيئاً. وقال، أمّا بالنسبة للاستئذان من أمير المؤمنين فهو قد سمح لنا بضرب اليهود، والأمريكان هم الوجه الآخر لليهود". وقال أيضاً: **"يقول العلماء: إذا رأى آحاد المسلمين فرصة لضرب العدو قبل أن يدخل بلاده أو يفوّت فرصة للمسلمين، فيضربه دون استئذان إن كان الاستئذان من الأمير سيؤخّره وتَفوت الفرصة عليه"**.

وهنا تساؤلٌ يطرح نفسه بناءً على قناعة الشيخ أسامة -رحمه الله- بأنّ الأمريكان هم الوجه الآخر لليهود. فلو افترضنا جدلاً أن الشيخ أسامة امتثل حرفياً لتوجيهات أمير المؤمنين، ونفّذ هذه الضربات في عاصمة اليهود تل أبيب، ووقع من الدمار والقتلى في اليهود ما وقع في نيويورك وواشنطن بل وأكثر، فهل كان ذلك ليغير من الأمر شيئاً تجاه أفغانستان والطالبان؟ بمعنى آخر، هل ردّة فعل اليهود، وردّة فعل حلفائهم الأمريكان والأوروبيين وحلف الناتو كانت ستكون مغايرة أم مشابهة لما أحدثوه في أفغانستان؟ لا أعتقد أن هناك منصفٌ سيقول أن ردّة الفعل كانت ستكون مختلفة عمّا حدث في أفغانستان، وأغلب الظنّ والأقرب إلى اليقين، أن ردّة الفعل ما كانت لتختلف كثيراً إن لم تكن أشد، نظراً لقوة العلاقة الاستراتيجية، والاتفاقات والتحالفات الثنائية السرّية منها والعلنية بين دويلة اليهود وبين الولايات المتحدة والناتو والدول الأوروبية، والواقع اليوم والتاريخ خير شاهدٍ على تفعيل هذه العلاقة الاستراتيجية في الدعم السياسي والعسكري واللوجستي اللا محدود الذي تقدّمه وقدّمته أمريكا وأوروبا وخاصةً بريطانيا وفرنسا لدويلة اليهود في جميع حروبها التي خاضتها مع العرب منذ أن تأسست عام ١٩٤٨م. فإذا كان هذا الدعم يُقدّم من هذه الدول لدويلة اليهود وهي تخوض حروباً مع جيوشٍ نظامية شرعية -حسب عرف الدول- تقاتل لتحرير أرضها المحتلّة، فإذا كان ذلك كذلك فكيف كانت ستكون الصورة مع تنظيم جهادي كالقاعدة نذر نفسه ليتصدى لقتال اليهود والصلبيين المحتلين لمقدّسات المسلمين؟

بناءً على ذلك لا أعتقد أن هناك منصفٌ سيختلف مع الشيخ أسامة في اعتقاده بأن الأمريكان هم الوجه الآخر لليهود.

وكان الشيخ أسامة يعتقد أن أمريكا حتماً سيكون لها ردّة فعل تجاه هذه الضربات، وستعلن الحرب التي ربّما قد تستمر إلى عقدٍ أو عقدين من خلالها سيتمّ استنزاف أمريكا اقتصادياً وعسكرياً، وبعدها تخرج بفضل الله من كونها امبراطورية ودولة عظمى، ثمّ تبدأ تنحسر وتتكفئ على نفسها.

لمــاذا يكرهوننا؟

سؤال طالما طرح نفسه، وردده الكثير من الأكاديميين وصانعو السياسة الغربيين على حدٍ سواء وهو: لماذا يكرهوننا؟ فهل صحيح ما يزعمه الأمريكيون أننا نحسدهم على ما أنعم الله عليهم -حسب زعمهم- من نعمة الحريّة والعدالة والمساواة والديمقراطية ووو.... الخ؟

في كتابه الدولة المارقة (Rogue State) يقول الكاتب الأمريكي ويليام بلوم:

"كانت المهمّة الأشد إلحاحاً التي تواجه الولايات المتحدة -أو كان ينبغي أن تكون- هي عدم السماح بأن لا يمضي ما حدث[١] دون استخلاص الدروس المهمة منه للحيلولة دون تكراره. ومن الواضح أن من أهم هذه الدروس الإجابة عن السؤال القائل: "لماذا حدث هذا؟" ا.هـ

يجيب على هذا التساؤل الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- في رسالته الثانية إلى الشعب الأمريكي، الصادرة في ٢٩ أكتوبر/ ٢٠٠٤ م، والتي ابتدأها بقوله:

"أيها الشعب الأمريكي: حديثي هذا لكم عن الطريقة المثلى لتجنب مانهاتن أخرى، عن الحرب وأسبابها ونتائجها ... سأحدثكم عن الأسباب وراء تلك الأحداث، وسأصدقكم القول باللحظات التي أُتخذ فيها هذا القرار لتتفكروا، فأقول لكم: علم الله ما خطر في بالنا ضرب الأبراج، ولكن بعدما طفح الكيل، وشاهدنا ظلم وتعسف التحالف الأميركي الإسرائيلي على أهلنا في فلسطين ولبنان فبادر إلى ذهني ذلك. وإن الأحداث التي أثرت في نفسي بشكل مباشر ترجع إلى عام ١٩٨٢م وما تلاها من أحداث عندما أذنت أمريكا للإسرائيليين باجتياح لبنان، وساعد في ذلك الأسطول الثالث الأمريكي، وبدأ القصف، وقُتل وجُرح كثيرون، ورُوِّع وشُرِّد آخرون، وما زلت أتذكر تلك المشاهد المؤثرة؛ دماءٌ وأشلاء، وأطفالٌ ونساءٌ صرعى في كل مكان، منازلٌ تدمر بمن فيها، وأبراجٌ تدك على ساكنيها، قذائفٌ كالمطر تصب على ديارنا بلا رحمة، وكان الحال كتمساحٍ التقم طفلاً لا حول له ولا قوة إلا الصراخ، فهل يفهم التمساح حواراً بغير سلاح؟

وكان العالم كله يسمع ويرى ولا يزيد، وفي تلك اللحظات العصيبة جاشت في نفسي معانٍ كثيرة يصعب وصفها، ولكنها انتجت شعوراً عارماً يرفض الظلم، وولدت تصميماً قوياً على معاقبة الظالمين. وبينما أنا أنظر إلى تلك الأبراج المدمرة في لبنان انقدح في ذهني أن نعاقب الظالم بالمثل، وأن ندمر أبراجاً في أمريكا لتذوق بعض ما ذقنا، ولترتدع عن قتل أطفالنا ونسائنا.

وعلى خلفية تلك الصور وأمثالها جاءت أحداث الـحادي عشر رداً على تلك المظالم العظام، فهل يلام المرء في الذود عن حماه؟ وهل الدفاع عن النفس ومعاقبة الظالم بالمثل إرهاباً مذموماً؟ فإن يكن كذلك فما لنا منه بد"[٢] ا.هـ

١) يتكلم عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

٢) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات إمام المجاهدين



مذابح الفلسطينيين في مخيمي صبرا وشاتيلا في جنوب لبنان عام ١٩٨٢م

وكما يقولون الحق ما شهدت به الأعداء، فهذا الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر يوضّح بجلاء -بعد بضع سنوات من تركه البيت الأبيض- أسباب هذه الكراهية، حيث يقول:

"لقد أرسلنا مشاة البحرية إلى لبنان، وليس عليكم إلّا أن تذهبوا إلى لبنان أو إلى سوريا أو إلى الأردن لتروا على نحو مباشر الكراهية الشديدة التي يُكنّها أنّاس كثيرون للولايات المتّحدة، لأننا قصفنا بالقنابل والأعيرة، وقتلنا بلا رحمة قرويين أبرياء تماماً؛ نساءً وأطفالاً، ومزارعين، وربّات بيوت في تلك القرى الواقعة حول بيروت. ونتيجة لذلك أصبحنا نوعاً من الشيطان في أذهان أولئك الساخطين بصورةٍ عميقة، وذلك هو ما عجّل بأخذ رهائننا (في إيران)، وذلك هو ما عجّل ببعض الهجمات الإرهابية"[١] ا.هـ

أمّا مايكل شوير الضابط الذي عمل لمدة ٢٢ عاماً في السي آي إيه (CIA) قبل أن يستقيل في عام ٢٠٠٤م، وكان رئيساً لوحدة تعقّب بن لادن في مركز مكافحة الإرهاب من ١٩٩٦م حتى ١٩٩٩م، يقول في كتابه "إمبراطورية العجرفة (IMPERIAL HUBRIS)":

"لقد كان بن لادن دقيقاً وهو يخبر أمريكا عن الأسباب التي يشن من أجلها الحرب علينا، وليس من هذه الأسباب ما له صلة بحريتنا وتحررنا وديمقراطيتنا، ولكنها ذات علاقة وطيدة بسياسات الولايات المتحدة وأفعالها في العالم الإسلامي" ا.هـ

وفي نفس الكتاب شرح شوير للأمريكيين وتحدّث بإسهابٍ عن تلك الأسباب التي دفعت الشيخ أسامة لإعلان الحرب على أمريكا -ومنها الدعم اللامحدود الذي تقدّمه أمريكا لإسرائيل في كلّ ما تفعله، وتقدمه للأنظمة العربيّة البوليسيّة، إضافة إلى وجودها العسكري في جزيرة العرب وفي العراق وأفغانستان ومناطق أخرى، واستيلائها على النفط العربيّ بأقل الأسعار و...و...و... الخ. وبالرغم من أن شوير قضى سنوات رئيساً للوحدة المكلّفة بتعقّب الشيخ أسامة إلّا أنّه يحاول إقناع صنّاع القرار الأمريكي بأن يلتفتوا إلى معالجة هذه الأسباب، حتى يجنّبوا أمريكا المزيد من التهديد بالضربات، بما فيها استخدام أسلحة الدمار الشامل. والغريب أنّ شوير في كتابه هذا يدافع بقوةٍ عن الشيخ أسامة ويقول عنه وعن جماعته

١) الدولة المارقة للكاتب الأمريكي ويليام بلوم. بتصرف طفيف.

أنهم يدافعون عن قيم يحبونها ويتمسكون بها. ليس هذا فحسب بل أنه يصف الشيخ أسامة بأنّه مؤمن متدين، ولطيف، وكريم، ومسلمٌ شجاع، وموهوب.

كذلك يقول الكاتب الأمريكي ويليام بلوم في كتابه "الدولة المارقة":

"إذن، ما الذي تستطيع الولايات المتّحدة أن تفعله للقضاء على الإرهاب الموجّه ضدّها؟ إنّ الإجابة تكمن في القضاء على دوافع العداء لأمريكا لدى الإرهابيين، ولتحقيق هذا، يتعيّن أن تخضع السياسة الخارجية الأمريكية لتحوّل عميق، كما بيّنه مضمون هذا الكتاب" ا.هـ

ومما يجدر ذكره أن الشيخ أسامة في رسالته إلى الشعب الأمريكي في يناير ٢٠٠٦م كان قد نصحهم بقراءة كتاب وليام بلوم. وفي رسالةٍ أخرى صدرت في مايو ٢٠٠٨م أوصاهم الشيخ أسامة بقوله: **"وإن أردتم أن تعرفوا بعض أسباب خسارتكم للحرب علينا فأقروا كتاب مايكل شوير عن هذا الأمر".**



مايكل شوير


وليام بلوم

غزوات الحادي عشر من سبتمبر؛ هل يفهمُ التمساحُ حواراً بغير سلاح؟:

يقول الشيخ أيمن الظواهري -حفظه الله- في كتابه فرسان تحت راية النبي:

"كانت أمريكا تظن أنها القارة العظيمة التي يحميها محيطان عظيمان، وأنها بوضعها الجغرافي الحصين، وقوتها العسكرية المتفرّدة محمية من أي غزو خارجي، وأنها هي التي تُلحق الأذى بأراضي غيرها، بينما لا يستطيع أحد أن ينال أرضها بسوء. وقد أكدت خبرة الحربين العالميتين هذا الظن، ففيما عدا الهجوم على بيرل هاربر فقد تمت كل المعارك الحربية الكبرى بعيداً عن الأراضي الأمريكية. أما في الغزوات المباركات فقد تبدد هذا الوهم، وأصبحت أمريكا في بؤرة الخطر، وأضحت كما تدين تدان" ا.هـ

ويقول الشيخ رفاعي طه رحمه الله في مقالٍ له بعنوان "ضرب المدمّرة كول الدروس والعبر":

"إن كل قوي له نقاط ضعف، وكل ضعيف له نقاط قوة، وربما لو أحسن الضعفاء استثمار نقاط قوتهم ووجهوها حيث مكامن الضعف عند الأقوياء، ربما استطاعوا أن يحققوا نصراً محتّماً". وقال أيضاً: **"وبالرغم من ذلك ربما لو تحدث أحد من منفذي غزوات الحادي عشر من سبتمبر[١] المباركة قبل تنفيذها لأحد من أصحاب النظريات والاستراتيجيات وأولئك الذين يرون**

---

١) في مقال الشيخ رفاعي العبارة المظللة هي "تدمير المدمرة كول"، لكني استبدلتها بغزوات الحادي عشر من سبتمبر لأن قوة التعبير الذي قصد به الشيخ رفاعي المدمرة كول، من باب أولى أن يكون كذلك لغزوات الحادي عشر من سبتمبر.

في الولايات المتحدة الأمريكية قوةً لا تُقهر، ربما قابلوا محدثهم بتهكم شديد، واستهجان أشد، وسارعوا باتهامه على الفور بأنه مختل عقلياً" ا.هـ

وكان لخالد الشيخ محمد -بالتعاون مع ابن أخته رمزي يوسف وآخرين- في فبراير من عام ١٩٩٣م محاولة لتدمير مبنى التجارة العالمي. وكانت خطّتهم هي نسف أحد البرجين التوأم بحيث يتهاوى ويسقط على البرج الآخر، مما يسبب خسائر في الأرواح لا تقل عن ربع مليون نسمة في المجمّع بكامله. ولم يشأ الله لهذه العملية أن تتحقق كما خُطط لها، وانتقل بعد ذلك رمزي يوسف وخالد الشيخ محمد إلى مسرحٍ آخر لتنفيذ مخططٍ آخر، أطلقوا عليه رمز مخطط البوجينكا[١].

وكان مخطَّط البوجينكا عبارة عن خطة ينفذها خمسة رجال مستخدمين قنابل دقيقة لنسف إحدى عشرة طائرة أمريكية في سماء المحيط الهادي من الممكن إن تؤدي الى مصرع أربعة آلاف شخص، وشل حركة الطيران والسفر العالمية. كذلك كان من ضمن المخطط استئجار طائرة ركاب سيسنا ثم الارتطام بها في مبنى السي آي أيه CIA. ومرة أخرى لم يقدّر الله لهذه العمليات أن تتحقق، ففي يناير ١٩٩٥م حدث خطأ قاتل أدى إلى نشوب النيران في المختبر الذي كان يعمل فيه رمزي يوسف، مما اضطره للهروب وترك شقته بما فيها من معلومات ومواد كيميائية[٢].

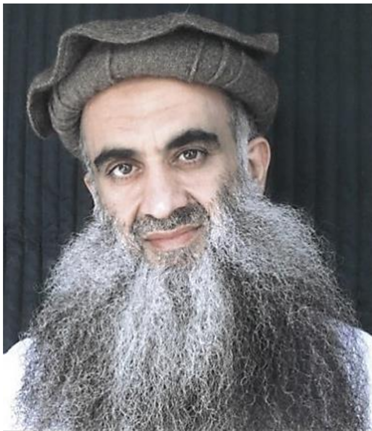
وفي منتصف التسعينات، مرت الطائرة الهليكوبتر التي كانت تنقل المجاهد رمزي بوسف بجانب مركز التجارة العالمي، فقال عميل ال FBI المرافق لرمزي بوسف:

"يا رمزي، هل كنت تنوي اسقاط هذه المباني؟". فردّ عليه رمزي يوسف: **نعم**. فقال له المحقق الأمريكي: **"قد خاب أملك، فالمباني واقفة أمامك وستكون كذلك إلى الأبد"**. فقال له رمزي: **"لم تكن لتظل واقفة لو امتلكنا المال، وإن شاء الله ستزال بإذن الله"**[٣].

وبالفعل صدّق الله كلام رمزي يوسف إذ لم تمض خمس سنوات حتّى جعلت غزوة مانهاتن الأبراج أثراً بعد عين، وكان المشرف على الغزوة هو خال رمزي بوسف؛ الشيخ المجاهد خالد الشيخ محمد، فكّ الله أسرهما.



المجاهد البطل رمزي يوسف - فكّ الله أسره



الشيخ المجاهد خالد الشيخ محمد - فكّ الله أسره

---

١) البوجينكا كلمة كرواتية تعني التفجير.

٢) رمزي يوسف عبقري الجهاد. عبد الله ذو البجادين. بتصرّف.

٣) الحرب على الإسلام. لهارون فضل.

مراحل تدرج فكرة الحادي عشر من سبتمبر:

متحدّثاً عن مراحل تدرج فكرة الحادي عشر من سبتمبر يقول الشيخ أبو محمد المصري -رحمه الله- في كتابه "عمليات ١١ سبتمبر بين الحقيقة والتشكيك"، بتصرف:

"كانت مضافات المجاهدين في بيشاور قد استقبلت أحد الطيارين المصريين، وكان هذا الرجل قد تنقّل بين شركات الطيران العالمية كقائدٍ محترف. وفي إحدى لقاءاته بالشيخ أبي عبيدة البنشيري -رحمه الله- عرض الرجل نفسه لعملية ضد المصالح الأمريكية. وكانت الفكرة هي قيادته لطائرته المدنية المحمّلة بآلاف الجالونات من البترول والاصطدام بها بأحد المباني الأمريكية الهامّة والرمزية. وكان الشيخ أبو عبيدة البنشيري يستمع للفكرة بإنصاتٍ واهتمام شديد، إلّا أنها لم تدخل ضمن النطاق العملي للتنظيم الذي كان حينها في بداية تكوينه، وكان جلّ اهتمامه بالمعسكرات والجبهات في أفغانستان، مع دعم للحركات الإسلامية في العديد من الدول الإسلامية، وظلّت الفكرة نظرية قابلة للتطبيق إذا تهيأت الظروف لذلك.

وبعد انتقال الجماعة إلى السودان في مطلع التسعينات تمّت مناقشة الفكرة، ولتطويرها قام الشيخ أسامة -رحمه الله- بشراء طائرة نفّاثة صغيرة ماركة (سيسنا)، وكان من الضروري وجود طيّار أو عدد من الطيارين تابعين للتنظيم لقيادة تلك الطائر ليكونوا نواةً لعمل الفكرة. وبالفعل تم اختيار المدعو أبو طلال المغربي[١] (حسين خرستو) والأخ إيهاب علي المكنَى (بالنووي) للالتحاق بإحدى مدارس الطيران، فالتحق أبو طلال بمدرسة للطيران في كينيا، والتحق النووي بمدرسةٍ للطيران في أمريكا. ولم يكن كلاهما على علم بما تفكّر به القيادة سوى رغبتها في إعداد كوادر لقيادة طائرة الشيخ أسامة الخاصّة.

وكان خالد الشيخ محمد -فكّ الله أسره- قد زار الشيخ أسامة في السودان وعرض عليه مشروع خطف عدد من الطائرات الأمريكية وتدميرها في الجو إذا لم تستجب الحكومة الأمريكية لمطالب المجاهدين بالإفراج عن المأسورين وعلى رأسهم الشيخ المجاهد عمر عبد الرحمن -رحمه الله. وكان التنظيم يرى أنّ الساحة السودانية لا تسمح بمثل هذه الأعمال، ولا تتحمّل تبعاتها الدولية والإقليمية. ومرّة أخرى ظلّت هذه الأفكار وغيرها حبيسة الأدراج حتّى تتهيأ ظروف حدوثها المناسبة.

وبعد إبعاد الشيخ أسامة من السودان ووصوله إلى أفغانستان هيأ الله لهذا الأمر أن يكون، وآن للفكرة أن تتحقق، وكان بيان "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب" بمثابة إعلان الشيخ أسامة بن لادن الحرب على أمريكا، وانعقدت تبعاً لذلك جلسات متتابعة لمجلس شورى التنظيم في جبال تورا بورا نُوقشت فيها الأهداف التي من الممكن أن تؤثّر بشكل مباشر على أمريكا، وتسارع في قصم ظهرها. وكان التركيز على الأهداف ذات القيمة الاقتصادية والرمزية

١) تمّ تجنيده في نيروبي (كينيا) لصالح المخابرات الأمريكية في أواخر التسعينيات، وسافر إلى أمريكا مسلّماً نفسه للأمريكان، ودخل في برنامج حماية الشهود، وكان شاهداً على الإخوة الذين حوكموا في نيويورك عام ٢٠٠٠م بتهمة تفجير السفارات في نيروبي ودار السلام، والذين كان على رأسهم الأخ وديع الحاج اللبناني والشيخ أبو هاجر العراقي وآخرون، فكّ الله أسرهم جميعاً. كذلك كان أبو طلال من ضمن مصادر المعلومات الرئيسية التي اعتمد عليها تقرير الكونجرس حول عمليات الحادي عشر من سبتمبر، نسأل الله العافية والثبات.



السياسية والعسكرية التي تنال من هيبة الخصم ومكانته المزعومة، فتمّ ترشيح عدّة أهداف منها برجي التجارة العالمية، وبورصة شيكاغو، والبيت الأبيض، ومبنى الكونجرس، ومبنى البنتاجون، وكان من بين الأهداف التي نوقشت ضرب المفاعلات النووية، غير أن هذا الأمر استبعد مبدئياً خوفاً من أن تخرج الأمور خارج السيطرة.

وبعد عدّة جولات من النقاش بدأت الفكرة تلقى قبولاً عند الكثير من أعضاء مجلس الشورى، ومع حصول التوافق بدأ وضع الخطّة لتنفيذ هذه العمليات والتي بالضرورة تحتاج إلى بعض الخطوات العملية التي تستغرق عدّة أشهر لوضع اللبنات الأولى للعمل.

وكان خالد الشيخ محمد قد تردد من جديد على الشيخ أسامة في أفغانستان لإقناعه بمشروعه القديم الذي كان متحمساً له، وهو خطف عشرة طائرات أمريكية وتفجيرها في الجو. ولم ترفض قيادة القاعدة فكرة خالد الشيخ محمد، لكنها أرادت تطويرها بحيث يمكن أن تكون هذه الطائرات سلاحاً لتدمير عدد من المباني ذات الرمزية داخل أمريكا، وحتى يتمّ ذلك كان لا بد أن يقود الطائرات طيارون تابعون لتنظيم القاعدة.

ومنذ ذلك اليوم بدأ العمل الحثيث على إيجاد إخوة ترغب في عمل استشهادي، ومؤهلين لإرسالهم إلى بلاد مختلفة لتعلُّم قيادة الطائرات، تحضيراً لخطف طائرات من داخل الأراضي الأمريكية، وتوجيهها إلى الأهداف التي سيتم تحديدها، وكان هذا في منتصف عام ١٩٩٨م. وكان الشيخ أسامة -رحمه الله- قد فوّض الأخ خالد الشيخ محمد في أن يبدأ بالشروع في المشروع.

وللقيام بتنفيذ العملية تمّ البحث عن عناصر تحمل الجنسية الأمريكية، أو جنسيّات أوربية يسهل عليها الحصول على تأشيرة دخول أمريكا، ولما تعذّر وجود مثل هؤلاء توجّهت القيادة إلى البحث عن المؤهلين من شباب بلاد الحرمين ومن الخليجيين الذين لا يجدون صعوبة كبيرة في الحصول على تأشيرة دخول أمريكا" ا.هـ

وفي بادئ الأمر كان الاختيار قد وقع على أَخَوين استشهاديين من بلاد الحرمين -هما نواف الحازمي (ربيعة) وخالد المحضار(سنان)- للذهاب إلى أمريكا لتعلم قيادة الطائرات في المعاهد المتخصصة لذلك، ولم يخبرهم الشيخ أسامة عن طبيعة المهمّة التي سيقومون بها. واستطاع هؤلاء الإخوة الحصول على فيزا سياحية لدخول أمريكا في أبريل عام ١٩٩٩م، ومكثا هناك شهوراً طويلة بذلوا فيها قصارى جهدهم لتعلم الطيران لكنهم لم يوفّقوا في ذلك بسبب معاناتهم الكبيرة في تعلم اللغة الإنجليزية، وبسبب صعوبة الاندماج بصورة طبيعية في تلك البلاد. وكان الاختيار للعملية قد شمل إخوة آخرين -منهم الأخ خلّاد بن عتش- غير أنهم لم يتمكّنوا من الحصول عل تأشيرة دخول أمريكا.

جديرٌ بالذكر أن الأخ أبا الحسن الصعيدي -رحمه الله- كان قد رأى رؤيا في جلال أباد عام ١٩٩٦م، وقصّها للشيخ أسامة -رحمه الله- قائلاً له: **"رأيت يا شيخ أننا نلعب مباراة كرة قدم ضدّ الأمريكان، وأننا أحرزنا فيهم أهداف، لكن الغريب في الرؤيا أنّ فريقنا كان كلّه طيارين[١]"**. فاستبشر الشيخ أسامة خيراً بهذه الرؤيا، وتيقّن بأن المخطط له سيتمّ بإذن الواحد الأحد.

١) الأخ أبو الحسن الصعيدي -رحمه الله- لم يكن عضواً في مجلس شورى التنظيم، ولم يكن لديه أي علم عن المناقشات التي كانت تدور في المجلس حول فكرة عمليات سبتمبر.

ومما يجدر ذكره كذلك أن الأمريكان -بعد سقوط طائرة مصرية في أكتوبر عام ١٩٩٩م في المحيط الأطلنطي، بعد إقلاعها من أحد المطارات الأمريكية- كانوا قد اتهموا كابتن الطائرة ويدعى جميل البطّوطي بإسقاط الطائرة عمداً في المحيط، فقال الشيخ أسامة: "**لو كان أدخلها في أحد المباني، لكان العمل أحدث نكاية عظيمة في الأمريكان**".

إذا أراد الله أمراً هيأ له أسبابه[١]:

وكما يقولون إذا أراد أمراً هيأ له أسبابه، فمن بلادٍ شتّى جمعتهم ألمانيا للدراسة، وبغير تخطيط مسبّق ساقتهم مشيئة الحكيم العليم للسكن جميعاً في شقّة واحدة في مدينة هامبورج، وشاء الله أن يكونوا جميعاً من الشباب المتدينين الذين يترددون على المراكز الإسلامية، وكانوا دائماً يتباحثون ويتناقشون في قضايا الأمة الإسلامية، هؤلاء هم أبطال عمليات الحادي عشر من سبتمبر؛ محمد عطا، ومروان الشّحّي، وزياد جراح، ورمزي ابن الشيبة، وزكريا الصبار، وسعيد با حاجي.

وشاءت الأقدار أن يلتقي محمد عطا، ومروان الشّحّي، وزياد جراح بأحد الإخوة في قطار فأهداهم إصداراً عن الجهاد في الشيشان، وبدون شك لم يدرِ هؤلاء الشباب أن هذه اللحظة ستكون لحظة فارقة ستغير مجرى حياتهم فحسب، بل ستغير مجرى التاريخ بأسره. فبعد مشاهدتهم للإصدار اتصلوا بالأخ الذي أهداهم إياه، وأبلغوه عن رغبتهم في الذهاب إلى الشيشان، فدلّهم الأخ على طريقة الذهاب، وكيفية الالتحاق بالمعسكرات للتدريب. وعلى الفور سافر محمد عطا، ومروان الشّحّي، وزياد جراح إلى أفغانستان في أواخر عام ١٩٩٩م.

بعد أن وصل هؤلاء الشباب إلى قندهار أحسن الإخوة استقبالهم وأكرموهم. وكان الإخوة قد ألّموا -بعد تزكيتهم من إخوة ثقات- بكل المعلومات الدقيقة الخاصة بهم، مثل تحصيلهم العلمي، ومهاراتهم اللغوية، ومعرفتهم بالثقافة وأساليب الحياة الغربية، وإمكانية دخولهم إلى دول الغرب، وغيرها من المعطيات التي تؤهلهم للمشاركة في الحدث الذي تنوي القاعدة القيام به. وعلى الفور تمّ عزل هؤلاء الشباب في أحد البيوت الخاصة لحين البت في أمرهم، والتقى بهم الشيخ أبو حفص الكمندان -رحمه الله- وتكلم معهم عن قضايا الأمة، وعن الأسباب التي حملت تنظيم القاعدة على استهداف المصالح الأمريكية، لإجبارها على أن تكفّ دعمها لليهود. وتحدّث معهم الشيخ كذلك على ضرورة أن تتوحد كافة جهود المجاهدين، وتركز نشاطها وهدفها على عدو واحد هو رأس الأفعى؛ هبل العصر أمريكا، كذلك أخبرهم أن عمليات نيروبي ودار السلام ما هي إلّا بداية لسيلٍ قادم من العمليات النوعية ستكون بإذن الله سبباً في انحسار وانكفاء أمريكا على نفسها. واستمع الشيخ أبو حفصٍ لردود الإخوة فوجد منهم تجاوباً وتفهماً طيباً لما طرحه.

أيضاً كان الشيخ أسامة -رحمه الله- قد جلس مع هؤلاء الإخوة، وحثهم على المشاركة في برنامج تنظيم القاعدة، والعمل على استهداف المصالح الأمريكية، ورأى الشيخ أسامة منهم حماساً وإقبالاً على العمل، وعلى الفور بايعوه وأصبحوا أعضاءً رسميين في التنظيم.

---

١) محتوى هذا العنوان مقتبس بتصرف كبير من رواية الشيخ أبي محمد المصري -رحمه الله- عن الأحداث التي رواها في كتابه "عمليات ١١ سبتمبر بين الحقيقة والتشكيك".

وبعد أن أخذ الشيخ أسامة من هؤلاء الإخوة العهود على سرّية العمل طلب منهم العودة من حيث أتوا والالتحاق بمدارس تعلّم قيادة الطائرات في أوربا، للتحضير للقيام بعمليات نوعية في داخل الأراضي الأمريكية، وقبل الجميع العرض مع حماسةٍ كبيرة، وتسابقٍ للعودة وبدء العمل. كل هذه الثقة بين قيادة التنظيم وبين شبابٍ حديثي عهد بالجهاد قادمين من قلب أوروبا حدثت ولّما يمضِ على قدومهم سوى عشرة أيام فقط.

وبعد أسبوعين من وصول الإخوة الثلاثة قندهار وصل رمزي بن الشيبة، وبعد لقائه برفقاء دربه دعوه للانضمام لصفوف التنظيم، ولم يتردد بن الشيبة كثيراً فبايع الشيخ أسامة، وضُمّ إلى المجموعة ليكون أحد الطيارين الذين سيشاركون في العملية.

وكان الأخ رمزي بن الشيبة -فك الله أسره- قد سأل الشيخ أسامة مستغرباً، كيف يُعرض عليهم أمراً بهذه الخطورة وهم جدد لم يمض على قدومهم سوى أيامٍ قليلة؟ فقال له الشيخ أسامة: "**أنا وقع في خلدي أنكم أنتم من ستهدمون حضارة الغرب فتوكلوا على الله**".

أيها القارئ الكريم، قد تندهش وتستغرب كثيراً، ويساورك نفس التساؤل الذي ساور بن الشيبة وتقول، هل من المعقول أن تكون عشرة أيام فقط كافية لأن يكون هؤلاء الشباب أهلاً لهذه الثقة التي جعلت المشايخ يحيطونهم علماً، ويعرضون عليهم القيام بأضخم عملية جهادية نوعية في التاريخ؟ أيها القارئ الكريم، صدّق أو لا تصدّق هذه هي الحقيقة، والفضل في ذلك يرجع لله وحده، ثمّ لتوفيقه سبحانه وتعالى للشيخين أسامة بن لادن وأبي حفص الكمندان، فقد كانا -رحمهما الله- يتميزان بفراسة حادة في الرجال. وكانا على يقين، ويحسنان الظن بالله بأن هؤلاء الإخوة جديرين بهذه المهمة، وأنه سبحانه وتعالى قد اصطفاهم وساقهم سوقاً لها.

كذلك وصل من مجموعة ألمانيا زكريا الصبار، وعبد الرحمن المغربي، وكان سعيد با حاجي آخر الواصلين، فقد وصل قندهار قبل أيامٍ قليلة من أحداث الحادي عشر، وكان رحمه الله قد كُلف من إخوانه بالقيام ببعض الأعمال نيابة عنهم في ألمانيا حتى لا يلفت غيابهم الأنظار. وكان زكريا الصبار قد وُجّه أيضاً للسعي في الحصول على فيزا أمريكا، لكن طلبه كان قد قُوبل بالرفض، ولست متأكداً إن كان هو الآخر على علم بتفاصيل العمل كبقية إخوانه أم لا، لكنه بدون شكٍ كان له دور في مرحلة من مراحل العملية. أما عبد الرحمن المغربي فقد تم توجيهه -بحكم تخصصه الجامعي في علوم الحاسوب- للعمل الإعلامي، وكان -حفظه الله- قد نقل الإعلام الجهادي نقلةً نوعيةً كبيرة، وكان أول إنتاج إعلامي له هو إصداراً تحريضياً يتناول أحوال الأمة وهو شريط (تدمير المدمرة الأمريكية كول).

بعد رجوع الإخوة إلى ألمانيا بدأوا يبحثون عن أفضل المدارس المتخصصة في تعليم الطيران، وتبين لهم أن أفضل مكانٍ -لقلة التكاليف، ولسهولة الالتحاق بتلك المدارس- هو الولايات المتحدة الأمريكية، وبفضل الله توفق كلٌ من محمد عطا ومروان الشحي وزياد جراح في الحصول على تأشيرة دخول أمريكا، ولم يتوفّق ابن الشيبة وزكريا الصبار في الحصول عليها. وعلى الفور تمّ توجيه الإخوة محمد عطا، ومروان الشّحي، وزياد جراح للتوجه إلى أمريكا للبدء في تعلُّم قيادة الطائرات. أما رمزي بن الشيبة فتم تكليفه بمساعدة خالد الشيخ محمد، وقد لعب دوراً كبيراً في التواصل والتنسيق والمتابعة لمجريات الأحداث.

بعد سفر الإخوة محمد عطا، ومروان الشّحّي، وزياد جراح إلى أمريكا مكثوا هناك ما يربو على السنة أو يزيد يدرسون علوم الطيران ويستطلعون الأهداف. وحتى يُجبر النقص الحاصل في عدد الطيارين المطلوبين كانت قيادة التنظيم تبحث عن عناصر أخرى لتوجيهها لتعلم الطيران، وشاء الله عام ٢٠٠٠م أن يلتحق بمعسكر التدريب شابٌ من بلاد الحرمين، وتبين لإدارة المعسكر أنه طيار عسكري محترف، وحاصل على دورات من قبلُ في الطيران، وبنفس الأسلوب عرض عليه المشايخ الأمر فوافق بدون تردد، ذلكم هو هاني حنجور؛ آخر من انضم إلى مجموعة الطيارين في أمريكا، تقبّله الله. وكان حنجور طياراً بارعاً، ولذلك أُختير لضرب البنتاجون نسبة لأن مبانيه منخفضة لا تتجاوز الخمسة طوابق.

وكان الشيخ أسامة -رحمه الله- في محاضراته في المعسكر، ولقاءاته بالإخوة يشجّعهم ويحثّهم على أن يحدّثوا أنفسهم بالعمليات الاستشهادية، وكان يسأل عن من لديه رغبة في العمل الاستشهادي، وكان بعضهم يتردد والشيخ أسامة يحثّهم بقوله لهم أن هناك عمل كبير قادم بإذن الله.

وكان الإخوة قد عقدوا دورة قوّات خاصّة قاسية في معسكر عيناك القريب من كابل، وكان الغرض من هذه الدورة هو إعداد الشباب الذين سيشاركون في العملية، واختيارهم بناءً على مواصفات معينة بدءاً من الصبر وقوّة التحمل، والبذل والتضحية، والخلق الكريم ...الخ. وكان الشيخ أسامة يشرف بنفسه ويدقق النظر فيمن سيقع الاختيار عليه بالمشاركة.

وكانت الرؤى حول الأحداث قد تواترت من بعض الإخوة، وكان بعضها بالتحديد قد حدد الهدف والمنفذين والقائمين على أمر العملية. فذات ليلة على مائدة العشاء في معسكر عيناك، قال أحد أفراد حراسة الشيخ أسامة موجهاً حديثه إليه: "**يا شيخ أمس رأيت رؤيا**". فقال له الشيخ بشّر، وكان رحمه الله يحب سماع الرؤى. فقال الأخ: "**رأيت يا شيخ عمارتين طوال في أمريكا، على سطح إحداها مختار (خالد الشيخ محمد) يدرّب الإخوة الغُمّيدة كاراتيه، وكانوا على سطح العمارة الأخرى**".

وبالفعل كان كثيرٌ من أفراد المجموعة التي تم اختيارها وعزلها بعد ذلك معروفين بين الإخوة بالغُمّيدة لأن أكثرهم من قبيلة غامد، وكانوا يتدربون في المعسكر في دورة القوات الخاصة تلك. وبعد أن سمع الشيخ أسامة الرؤيا سكت قليلاً ثمّ التفت إلى الشيخ أبي حفص الكمندان وسأله إن كان لديه تأويل، فالتفت الشيخ أبو حفص إلى الأخ وقال له: "**يبدو أنك في العشاء أمس أكثرت من أكل الفول**".

وكان الشيخ أبو حفص -رحمه الله- يقصد من هذه الإجابة الدبلوماسية أن يغيّر الموضوع، فقد كشفت الرؤيا التفاصيل الدقيقة للعملية. وكان الشيخ أسامة إذا جاءه أحدٌ من الإخوة يقص عليه رؤيا من العيار الثقيل كهذه يقول له: "**بالأمر لا تحكي هذه الرؤيا لأحد**". وكان -رحمه الله- يقول: "**كادت الرؤى أن تفضح العمل**".

وبعد أن تمّ اختيار المجموعة التي ستشارك في العملية -وكان أغلبهم من خيرة شباب بلاد الحرمين- تمّ توجيههم للسفر إلى بلادهم لأخذ تأشيرة دخول للولايات المتّحدة. وكان على هؤلاء الإخوة أن يقوموا بتغيير جوازاتهم السابقة -لأن بها تأشيرة دخول باكستان- واستبدالها بجوازات جديدة. ولمزيدٍ من التمويه كان عليهم أن يأخذوا بجانب تأشيرة أمريكا تأشيرة دخول لبلدٍ آخر، وبفضل الله نجح أغلبهم في ذلك، ولم يكتب الله عزّ وجلّ هذا الفضل لآخرين، وعند عودتهم إلى أفغانستان، أمر الشيخُ أسامة -قبل أشهرٍ قليلة من سفرهم إلى أمريكا- بعزَلَهم في أحد البيوت، وبدأوا تدريباً على أعمال القتال القريب،

واستخدام الأسلحة البيضاء، وأشرف على تدريبهم الأخ أبو تراب الأردني[١] رحمه الله، كما أخذوا -استعداداً للعملية- دورات في التنفيذ، ومراجعة للمسدسات، ودورات في محاكاة قيادة الطائرة (سمليتور)، وكيفية عمل الأجهزة فيها، تحسباً لأي ظرف.

وقبل السفر بقليل كان كلّ هؤلاء الإخوة قد سجلوا وصاياهم تحت إشراف مسؤول اللجنة الإعلامية خالد الشيخ محمد، أمّا الإخوة الطيارون فقد سجلوا وصاياهم بإشراف إخوة من اللجنة الأمنية. وبعد اكتمال كل الترتيبات التي كان يشرف عليها خالد الشيخ محمد ورمزي بن الشيبة أصبح الإخوة جاهزين للسفر، وبالرغم من أنهم كانوا يعلمون أنهم ذاهبون إلى عملية استشهادية كبيرة داخل أمريكا، إلّا أنه حفاظاً على سرِّية العملية لم يكن لديهم أدنى علمٍ بتفاصيلها.

وكانت قيادة التنظيم قد اختارت الأهداف الأربعة مراعيةً بأن تسمح النواحي الفنية للطيران بضربها والوصول لها بدقة. وكانت الأهداف المختارة قد حُددت تحت رمزيات محددة -السلطة التشريعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية- تحمل في طياتها الهوية اليهودية. فمركز التجارة، أكبر المؤسسات المالية التي يسيطر بها اليهود على العالم، حيث يحتوي على أرقى الكوادر المالية التي تدير من خلاله سياسات العالم المالية، وهو رمز الاقتصاد الأمريكي بل والعالمي. أما البنتاجون رمز القوة والحصن الحصين، فهو المؤسسة العسكرية العملاقة التي تدعم اليهود ليل نهار، مسجلة لهم تفوقاً عسكرياً على كل الجيوش العربية مجتمعة. أما الكونجرس فهو يمثل الرمز السياسي في العملية، ولا يخفى على أحد الدور الذي لعبه في دعم اليهود، بدءاً بقراره المشئوم بالموافقة على وعد بلفور عام ١٩٢٢م، كذلك كل القرارات التي تخرج منه تصب في صالح اليهود، فهو المؤسسة التشريعية التي تمنح وتمنع وتؤيد وترفض وتُصدِّر القرارات والسياسات التي تُستعبد بها شعوبنا الإسلامية[٢].

وكان محمد عطا قد أُختير ليكون قائد العملية، وكان قد تُرك له تحديد الوقت المناسب للتنفيذ. وكانت الخطة أن يضرب محمد عطا ومروان الشّحّي برجي مركز التجارة العالمي، وزياد جراح مهمته ضرب مبنى الكونجرس، أما هاني حنجور فقد اختير لمهارته وبراعته في الطيران لدك أركان البنتاجون. ومما يجدر ذكره أنّ حنجور -رحمه الله- كان قد ناور بطائرته مناورة خطيرة شبيهة بمناورة الطائرة الحربية، وكان خبراء الطيران قد ذكروا أن الطائرة تمت قيادتها بمهارة لا نظير لها. وكان الرئيس المصري السابق حسني مبارك قد علّق في الدقائق الأولى للحدث تعليقاً طريفاً على طائرة البنتاجون فقال: **"ده أنا طيّار، ده ولد حِرّيف"**.

وكان الإخوة الطيارون قد جابوا أمريكا من شرقها إلى غربها على ظهر عدد من خطوط الطيران العالمية، وكان الهدف من هذه الرحلات هو التعرف من خلالها على نقاط الضعف الأمني في المطارات، وفي داخل الطائرات نفسها. وبالفعل اكتشف الإخوة أن أنظمة الأمن في الطيران الأمريكي لا تمنع حمل المُدى (سكّين) الأقل من أربع بوصات داخل الطائرات. وكان الإخوة قد تدربوا على استخدام ذلك النوع من المدى، وعلى ذبح الخراف ونحر الجمال بها على يد الأخ أبي تراب الأردني رحمه الله.

---

١) صهر الشيخ الدكتور أيمن الظواهري، حفظه الله.

٢) الله أكبر خربت أمريكا. فارس الزهراني. رحمه الله. بتصرّف.



كذلك من خلال هذه الرحلات الاستكشافية أجمع الإخوة الطيارون أن أفضل وقت لاقتحام قمرة القيادة يكون ما بين ١٠ إلى ١٥ دقيقة من إقلاع الطائرة، وهو الوقت الذي تصل فيها كلّ الطائرات إلى مرحلة الطيران المستقر، وحينها تُفتح أبواب قمرة القيادة لأول مرة، وبناءً على ذلك كان الإخوة قد حجزوا مقاعدهم في الدرجة الأولى حتى يكونوا قريبين من قمرة القيادة.

أيضاً اختار الإخوة الطيّارون طائرات البوينج ٧٦٧ العابرة لقارة أمريكا من شرقها إلى غربها لأنها تحمل مخزوناً أكبر من الوقود، ولم يختاروا طائرات الأير بص لأن بها طياراً آلياً يمنعها من الارتطام بالأرض.

وكذلك كان من تخطيط هؤلاء الإخوة اختيار طائرات تقلع في أوقات متقاربة حتى لا تُحذَّر بقية الطائرات إذا نجح اختطاف طائرة أو أكثر، وبالفعل كانت طائرة المجموعة الرابعة قد حُذّرت الساعة ٩,٢٤ صباحاً من أي تدخل في قمرة القيادة، لأن هناك طائرتين ارتطمتا بمركز التجارة العالمية في نيويورك، ولكن سبق السيف العذل حيث كان الأخ زياد جراح هو من يتولى قيادة الطائرة حينها.[١]

وشيئا فشيئاً كمل الأمر، وأصبح الإخوة الطيارون جاهزين لساعة الصفر، وتم ترتيب سفر الإخوة الاستشهاديين على دفعات مثنى وفرادى وكانوا أربعة عشر، وبفضل الله دخل منهم ثلاثة عشر إلى أمريكا ورفضت إدارة الجوازات أن تُدخل أحدهم فأرجعته بنفس الطائرة التي جاء بها. وفي أمريكا استقبل الطيارون إخوانهم وأسكنوهم في أماكن متفرقة، فبعضهم كان في الأحياء العربية في باترسون في نيو جيرسي، بينما انتشرت بقية المجموعة بحذاء الساحل الشرقي لفلوريدا شمال ميامي في ديلراي وهوليود.

وكان كل الإخوة بعد وصولهم إلى ساحة المعركة؛ أمريكا، في فرحة بالغة لأنهم كانوا على يقين بأنهم قريباً سيغادرون هذه الدنيا إلى جنّة عرضها السموات والأرض، وكانت الرؤى الصالحة قد تواترت وكثرت بينهم، فكان أحدهم يرى نفسه يطير في السماء، وكانوا يرون في اليقظة طيوراً خضر تدخل عليهم الشقق، وكانوا مستبشرين جداً بهذه المبشرات التي كانت عامل تثبيت لهم بأن الله سيوفقهم، وسيتم لهم ما جاءوا من أجله. وقضى هؤلاء الإخوة ما تبقّى لهم من أيام في العبادة، والصيام، وقيام الليل، والذكر وقراءة القرآن، والضراعة إلى الله بأن يثبتهم، ويسدد رميهم، ويتقبلهم في الشهداء.

وقبل يومين فقط من تنفيذ الضربات تمّ إخطار هؤلاء الإخوة بتفاصيل العمليات، وتم تقسيمهم إلى مجموعات حسب رحلة كل مجموعة، ليبدأ بذلك العد التنازلي للعملية التي غيّرت وجه التاريخ. وبهذه المناسبة قال الشيخ أسامة في لقائه بالمجاهدين في معسكر الفاروق قُبيل الغزوتين بأيام قلائل:

"بشرناكم بفضل الله سبحانه وتعالى منذ أسابيع، بأن إخواناً لكم قد خرجوا يحملون رؤوسهم على أكفهم، يبتغون الموت مظانّه من أجل رضوان الله سبحانه وتعالى، فأرجو الله سبحانه وتعالى أن يفتح عليهم، وأن يسدد رميهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه".

ومع نهاية شهر أغسطس، بدأ المجاهدون في أفغانستان ترتيباتهم الأمنية استعداداً لسماع خبر الهجوم الذي بات وشيكاً؛ فقد تتابع وصول الإخوة المنسقين المتابعين لمجريات سير العملية، وهذا معناه قرب وقوع الهجوم.

---

١) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري. بتصرّف طفيف.

وكان تقسيم مجموعات الإخوة حسب الرحلات كالتالي:

الرحلة الأولى: أقلعت من مطار لوغان الدولي في مدينة بوسطن، وكانت وجهتها لوس أنجلس، ومهمتها ضرب البرج الشمالي لمركز التجارة العالمي، وكانت تضم الطيار محمد عطا (من مصر)، وكان فريقه يتكون من عبد العزيز العمري، سطام السقامي، وائل الشهري، وشقيقه وليد الشهري.


محمد عطا


عبد العزيز العمري


سطّام السقامي


وائل الشهري


وليد الشهري

الرحلة الثانية: أقلعت من مطار لوغان الدولي في مدينة بوسطن، وكانت وجهتها لوس أنجلس، ومهمتها ضرب البرج الجنوبي لمركز التجارة. وكان الطيار هو مروان الشّحّي (من الإمارات)، وكان فريقه يتكون من حمزة الغامدي، ومهند الشهري، وأحمد الغامدي، وفايز راشد أحمد الإماراتي.


مروان الشّحّي


حمزة الغامدي


مهنّد الشهري


أحمد الغامدي


فايز الإماراتي

الرحلة الثالثة: أقلعت من بوسطن وكانت وجهتها لوس أنجلس، ومهمتها ضرب مبنى وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون). وكان الطيار هو هاني حنجور (من بلاد الحرمين)، وكان فريقه يتكون من خالد المحضار (سنان)، ونوّاف الحازمي (ربيعة) وأخيه سالم الحازمي، وماجد مشعان منقذ الحربي.


هاني حنجور


خالد المحضار


نواف الحازمي


سالم الحازمي


ماجد موقد الحربي

الرحلة الرابعة: أقلعت من نيوجرسي وكانت وجهتها سان فرانسيسكو، ومهمتها ضرب مبنى البرلمان (الكونجرس). وكان الطيار هو زياد جراح (لبناني)، وفريقه يتكون من أحمد الحزنوي الغامدي، وسعيد الغامدي، وأحمد عبد الله النّعمي.


زياد جراح


أحمد الحزنوي


سعيد الغامدي


أحمد عبد الله النّعمي

أفلحت الوجوه؛ أبطال عمليات الحادي عشر من سبتمبر

كَــأَنَّ الْمَنَايَــا إِذْ تَغِــيرُ وَتَنتَقِــي ... لَــدَيْهَا دَلِيــلٌ بَيْنَنَــا وَلَهَــا وَتْــرُ
فَسُبْحَانَ مَــن أَغْـرَى الْمَنَايَـا بِأَهْلِهَـا ... كَــأَنَّ لَهَــا ثَــأْراً وَلَــيْسَ لَهَــا ثَــأْرُ
لِيَخْتَارَ مَـن يَخْتَـارُ مِـنْهُمْ وَيَصْـطَفِي ... لَهُ الْحِكْمَـةُ الْعُلْيَـا لَـهُ النَّهْـيُ وَالأَمْـرُ
تَوَخَّى الرَّدَى فَاخْتَارَ فِي النَّاسِ وَانتَقَـى ... خِيَاراً كِرَامـاً مِثْلَمَـا يُنتَقَــى التِّبْــرُ
عَصَـائِبُ نُــزَّاعٌ مِــنَ الأَرْضِ كُلِّهَــا ... يُوَحِّدُهُـمْ دِيـنٌ وَيَجْمَعُـهُـمْ فِـكْــرُ
تُوَحِّدُهُـمْ فِــي اللهِ أَقْــوَى عَقِـيــدَةٍ ... وَلاَ نَسَبٌ غَيْــرُ الْعَقِيــدَةِ أَو صِهْــرُ
فَمَا جَمَعَتْهُـمْ فِــي الأُصُــولِ قَبِيلَــةٌ ... وَمَا ضَمَّهُمْ حَيٌّ وَلَمْ يَحْوِهِــمْ قُطْــرُ
دَعَتْهُمْ ثُغُورُ العِزِّ مِــن كُــلِّ مَوْطِــنٍ ... فَطَارُوا سِرَاعاً مَا لَهُم دُونَهَــا صَبْــرُ
ثُبَـاتٍ ووحْــدَاناً مِــنَ الأَرضِ كُلهَــا ... يُوَحِّدُهُـمْ هَــمٌّ وَأَوْطَانُـهُــمْ كُــثْــرُ
نَفَـى عَنْهُـمُ هَـمّ التَّنَعُّـمِ هَمُّـهُـم ... فَأَبدَانهُـم شُعْـثٌ وَأَثْوَابُهُــمْ غُـبْــرُ
نِحَافــاً وَسُـــمْراً كَالرِّمَــاحِ تَــرَاهُمُ ... وَتُحمَدُ عِندَ الطَّعْنِ شُعْثُ القَنَى السُّمْرُ
وَيُحْمَدُ فِي الْعَضْـبِ الـبِلَى وَهـوَ قَـاطِعٌ ... وَيَحْسُــنُ فِي الخَيـلِ المُسَـومَةِ الضُّـمْرُ
مَضَـوْا يَشْرَـبُونَ المَـوْتَ كَأْسـاً شَـهِيَّةً ... ولَــو أَنَّ طَعْــمَ المَــوتِ مُسْــتَثقَلٌ مُــرُّ
وَلكِــــن فِي ذَاتِ الإِلَــــهِ وَدِينِــــهِ ... لِمَن أُشْرِبَ الإِيمَـانَ يُسْـتَعْذَبُ الصّـبْرُ
أَبَــوْا أَن يَعِيشُــوا كَالعَبِيــدِ بِعَــالَمٍ ... تَحَكَّمَ فِيـهِ الظُّلْـمُ وَاسْـتَحْكَمَ الكُفْـرُ
فليسَــت تُطيــقُ الضَّــيْمَ نَفــسٌ أبيــة ... ولا يَقبَــلُ الإذلالَ فِي دِينِــهِ حُــرٌّ
ففي الأرضِ منـأى للكَـريمِ عـنِ الأذَى ... وفي الموتِ منـأى عَنْـهُ إن لَـزِمَ الأمـرُ[١]

١) الأبيات من قصيدة بعنوان "دموعٌ في مآقي الزمن" للشيخ أبي حفصٍ الموريتاني نسأل الله الكريم أن يردّنا وإيّاه إلى الحقّ ردّاً جميلاً.

عصايتين وشَرطة، كحكاية منها عصاية مِدّلاية، يعني أيه؟:

كان هذا هو اللغز الذي غير مجرى التاريخ، وهو الشفرة التي أبلغها محمد عطا في مكالمة هاتفية لرمزي بن الشيبة في ألمانيا، محدداً فيها ساعة الصفر للغزوات المباركات. فالعصايتين هما ١١، والشَّرطة هي الفاصلة، والكحكة بعصاية مِدّلاية هي رقم ٩، فتكتمل الصورة ١١/٩. ولم يكن الشيخ أسامة نفسه يعلم بالتحديد ذلك التاريخ حتى طار بن الشيبة راجعاً إلى باكستان يوم الخميس ٦/٩، أي قبل خمسة أيامٍ فقط من العمليات، وسرعان ما التقى في كراتشي بخالد الشيخ محمد وأخبره بموعد الهجوم، وبعد التشاور فضّل الاثنان البقاء في كراتشي لمقابلة أي أمرٍ طارئ قد يحدث، وقاما بتكليف الأخ زكريا الصبّار وآخر (أعتقد أنه سعيد با حاجي) بالسفر فوراً إلى أفغانستان لإبلاغ الشيخ أسامة بموعد الهجوم[١].

وكان الشيخ أسامة في ذلك اليوم -الجمعة ٧/٩- متواجداً في معسكر الفاروق بهلمند، عندما جاء خلاد بن عتش، وزكريا الصبّار، وسعيد با حاجي واستفردوا بالشيخ ليبلغوه ويبشروه بأن ساعة الصفر هي يوم الثلاثاء القادم ١١/٩. بعدها قرر الشيخ أسامة الرجوع سريعاً إلى قندهار، وبات فيها ليلة، ثم غادر في اليوم التالي إلى كابل، وكان بصحبته الشيخ أبو حفص الكمندان، والشيخ الدكتور أيمن الظواهري والشيخ سليمان أبو الغيث -فك الله أسره- والشيخ يوسف الحمدان[٢] رحمه الله. وفي كابل مكث الشيخ أسامة يوماً واحداً، ثم تحرك بعدها إلى شِعب تورغر القريب من جلال أباد.

وقبل الخوض في تفاصيل أحداث ذلك اليوم المجيد، جديرٌ بنا أن نعود عاماً إلى الوراء، إلى تلك الجلسة الإيمانية الرائعة في نفس الشعب، عندما لجأ إليه الشيخ أسامة بعد عملية ضرب المدمّرة كُول. فذات يوم بعد العصر كنّا جلوساً مع الشيخ أسامة على رمال ذلك الشِّعب، نتناول الشاي، ونستمع إلى أحاديثه الإيمانية الشيّقة، التي يأسر منطقها العقول، وحلاوتها وحسنها القلوب. وبعد انتهاء الشيخ من حديثه التفت إلينا قائلاً: "**الضربات القادمة، ستكون بإذن الله أكبر من كول بألف مرة**".

كان ذلك الخبر مفاجأة صاعقة نزلت على مسامعنا، وعلى إثرها خيّم الصمت والوجوم والدهشة علينا جميعاً، إذ لم يكن أحدنا يتوقع أو يتخيل أن القاعدة لها المقدرة على أن تضرب ضربات بهذا الحجم. ولا شك أن كلّ واحد منا كان قد أفلت لخياله العنان محاولاً رسم صورة ما لهذه الضربات، وسأل نفسه هذا السؤال: إذا كانت المدمرة كُول قد استُهدفت بطنّين من المتفجرات، فهل من المعقول أن تكون القوة التدميرية لهذه الضربات القادمة ٢٠٠٠ طن من المتفجّرات؟ أما أنا فقلت في نفسي مستحيل!! اللهم إلّا أن تكون الضربات غير تقليدية، أي بنوعٍ من أسلحة الدمار شامل. كيف؟ الله أعلم.

وبالفعل كانت الضربات -بفضل الله- بنوعٍ جديدٍ من أسلحة الدمار الشامل لم تخطر في خيال أحدٍ من كتاب أفلام الخيال الهوليوديّة، ناهيك أن يتخيلها أحدٌ من عوام الناس. ففي ذلك اليوم المبارك، كان الشيخ أسامة -رحمه الله- ممسكاً بجهاز الراديو يكاد لا يفارق أذنه. وكان أمين سرّه الشيخ بصير رحمه الله، قد أخبر أفراد الحراسة -نقلاً عن الشيخ أسامة- بأن يتابعوا الأخبار ذلك اليوم، وأن هناك جائزة ألف دولار لمن يبشّر الشيخ بخبرٍ سار. وبالطبع كانت الجائزة مغرية، فأسرع بعض الإخوة يتابعون نشرات الأخبار على أجهزة الراديو، عسى أن يبشروا الشيخ أسامة بما يسرّه ويفوزوا بالجائزة.

---

١) تم تصحيح هذه الفقرة لتتوافق مع ما جاء في كتاب الشيخ أبي محمد المصري "عمليات ١١ سبتمبر بين الحقيقة والتشكيك" بتصرّف.

٢) كان أيام الجهاد الأول في أفغانستان مديراً لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية في بيشاور، وكان له نشاط فاعل في خدمة الجهاد والمجاهدين، ونفر قبيل الأحداث إلى أفغانستان، وبايع الشيخ أسامة، وكان الشيخ أسامة قد عينه متحدّثاً رسمياً لتنظيم القاعدة، توفي -رحمه الله- في سجون آل سعود بعد صراعٍ مع المرض.



ساعة الصفر:

كان الوقت عصراً في ذلك اليوم التاريخي المبارك؛ الثلاثاء ١١/٩/٢٠٠١م. كنت مشغولاً بغسل أواني الغداء تلك اللحظة التي سمعت فيها إطلاق نار قريب، فالتفتُّ إلى حيث يجلس المشايخ الكرام، ورأيت الشيخ أسامة ممسكاً بسلاحه يطلق النار. تركت ما بيدي وركضت مسرعاً إلى مكانهم، وتجمع بقية الإخوة حيث علمنا الخبر؛ طائرة ركاب تخترق البرج الشمالي لمركز التجارة العالمي. ارتج الشّعب بأصوات التكبير، وأطلق كل الإخوة زخّات من رصاص أسلحتهم فرحاً وابتهاجاً، وسجدوا لله شكراً أن وفّق إخوانهم لهذا العمل العظيم، سائلين الله لهم القبول.

طلب الشيخ أسامة من الجميع الصمت ليستمع إلى الأخبار، وأن يكثروا من الدعاء بأن يوفق الله إخواننا، لأنه ما زالت هناك ثلاثة طائرات أخرى من المفترض أن تكون في الجو، ولا يفصل بينها وبين الوصول إلى أهدفها إلا دقائق معدودات. الله أكبر! ما زالت هناك ثلاثة طائرات أخرى من المفترض أن تكون في الجو!! تمتم أكثرنا غير مصدّقٍ لَمَا سمع، فهل من المعقول أن يكون الإخوة قد نجحوا في اختطاف أربعة طائرات في وقت متزامن من داخل المطارات الأمريكية؟ كان ذلك الكلام مفاجأة صاعقة لنا جميعاً، لكنه لم يكن كذلك مع الشيخ أسامة.

وكان الشيخ أسامة والشيخ أبو حفص على علم بتاريخ تنفيذ العمليات في ذلك اليوم المبارك -حسب ما أخبرهم بذلك زكريا الصبار بعد قدومه في ٩/٧ كما سبق ذكره- لكن كيف سارت الأمور بعد ذلك مع الإخوة المنفذين في ذلك اليوم، هل جرت على أكمل وجه أم صادفتهم عقبات أثّرت على سير العمليات؟ هل حدث في المطار أمرٌ مكروه لأيٍ أحدٍ من الإخوة أثناء الإجراءات الأمنية للرحلة؟ هل استطاعت كل مجموعات الخاطفين الصعود إلى الطائرات بسلام؟ هل أقلعت الطائرات في الوقت المحدد لها لتتزامن عمليات الاختطاف جميعاً في وقتٍ واحد؟ هل نجحت كل المجموعات في تنفيذ عملية الاختطاف داخل الطائرات كما خُطط لها؟ وإذا كان ذلك قد تمّ لهم بالفعل؛ فهل سينجح الطيارون في قيادة طائراتهم والوصول بها نحو الأهداف المحددة؟ هل وهل وهل؟ أسئلة كثيرة لا شك أنها كانت تدور في أذهان الشيخين لم يكن لها إجابات محددة نسبة لانقطاع حلقة الوصل في الأيام الأخيرة بين المنفذين والمنسقين بعد رجوعهم إلى أفغانستان، لكن هذا ما كانت ستجيب عليه الدقائق القادمة لمجريات الأحداث.

وبالرغم من أن كل تلك التساؤلات كانت تدور في ذهن الشيخ أسامة إلّا أنه لم يكن قلقاً على سير العمليات، فقد كان -رحمه الله- يحسن الظن بالله على نجاحها، لكنه كان متحرّقاً ومتشوّقاً لمعرفة مصير باقي الطائرات.

وكان الزمن يبدو وكأنه قد توقف، فقد كانت الدقائق تمر ثقيلةً كأنها دهر، وكان الجميع ملتفّين حول الشيخ أسامة يستمعون إلى ذلك المذيع من إذاعة صوت أميركا الذي كان ينقل الحدث بنبرة خوف متقطعة بين حين وآخر من هول المشهد الذي يراه، حيث النيران والدخان، والخوف والرعب الذي خيّم على وجوه الناس، ومشاهد أولئك المتعلّقين بنوافذ البرج، يلوّحون بأيديهم وقمصانهم، والذين اتخذوا أسوأ قرارٍ في حياتهم، حيث كانوا يلقون بأنفسهم إلى الأرض، مفضّلين تلك الصناعة من الموت على أن يموتوا حرقاً. وفجأة قطع حبال الصمت صوت ذلك المذيع صارخاً: "**يا إلهي، طائرة أخرى اصطدمت بالبرج الجنوبي لمركز التجارة**".

ومرة أخرى ارتجّ الشِّعب بالتكبيرات ونغمات الرصاص، ثم خيّم الصمت على المكان إلا من صوت المذيع المرتعش، وتمتمات الإخوة بألسنتهم التي كانت تلهج بالدعاء والضراعة إلى الله بأن يسدد رمية بقيّة إخوانهم. ومرة أخرى صاح المذيع، لكن هذه المرة جاء صياحه وكأنه غير مصدّق لما قرأ من خبرٍ عاجلٍ جاءه للبث؛ فقد دكّت طائرة ثالثة مباني البنتاجون في العاصمة واشنطن، وبعدها بأقل من نصف ساعة نقل المذيع بأن طائرة رابعة أُسقطت[1] في بنسلفانيا، قبل أن تصل لتدك هدفها في مبنى الكونجرس.

تنفس الشيخ أسامة الصعداء، وحمد الله كثيراً وأثنى عليه فقد أُنجزت المهمة بعد توفيقه سبحانه وتعالى لإخواننا على أكمل وجه. ثم ما لبث المذيع أن صاح قائلا: **"يا إلهي، لا أُصدق ما أرى؛ البرج الجنوبي ينهار إلى ركام"**، ثم بعده بنصف ساعة ينهار البرج الشمالي كتوأمه إلى تراب، ليتسبب حطامهما في انهيار أربع مباني أخرى تابعة لمركز التجارة العالمي، منها فندق ماريوت ذو الاثنين وعشرين طابقاً، والمبنى ٧ ذو السبع وأربعين طابقاً، كما تضررت أضراراً بليغة عشرة مبان أخرى محيطة بمجمع مركز التجارة. وكانت التقديرات الأولية لأرقام القتلى التي تناقلتها وكالات الأنباء ذلك اليوم تقدّر بعشرات الآلاف.

كان جميع الإخوة في فرحة غامرة لا توصف فسجدوا لله شكراً، وهنّؤوا بعضهم بعضاً، وعانقوا الشيخ أسامة وبقية المشايخ وقبلوا رؤوسهم. فلأول مرة في تاريخها تتعرض أمريكا لهذه الصفعة التي مرّغت كبرياءها وعزّتها بالتراب. ضربة بهذا الحجم، وصفها المراقبون بأنها فاقت هجوم اليابان لميناء بل هاربر. تسعة عشر رجلاً من أبطال الإسلام يختطفون أربع طائرات في وقت متزامن من داخل الأراضي الأمريكية، ليدكّوا بها رمز عزتها وكبرياءها وقوتها الاقتصادية والعسكرية. تسعة عشر شاباً يافعاً -طُلّاب ثانويات كما كان يحلو للشيخ أسامة أن يسمّيهم- يصنعون حدثاً يغيّر مجرى التاريخ، ويحيلون الحلم الأمريكي الذي طالما تغنّى به قادتها إلى مزبلة التاريخ. تسعة عشر رجلاً يقولون لأمريكا:

ها هي رسالتنا إليك، نخطُّها بدمائنا وأشلائنا ثأراً لمقدّساتنا التي انتهكتِ، ودماء إخواننا التي سفكتِ، وثروات أمتنا التي سلبتِ. ها هو حصاد سياستك الظالمة تجاه قضايا أمتنا المسلمة، تارةً باسم الحرية وإعادة الأمل، وتارّة باسم مكافحة الإرهاب. ها هو ثمن دعمك عسكرياً واقتصادياً لليهود أعدى أعداء أمتنا، المحتلين لمقدساتنا وأُولى قبلتنا، تدفعينه اليوم دموعاً ودماً ورعباً ودماراً.



اللحظات الأولى التي تلقّى فيها الرئيس بوش خبر الضربات

[1] جدير بالذكر أن الرئيس الأمريكي السابق بوش الابن كان قد اعترف في كتابه Decision Points أنه أمر بإسقاط الطائرة الرابعة، وليس صحيحاً ما تناولته الوثائقيات بأن الركاب هم الذين اشتبكوا مع الإخوة الخاطفين في محاولة للسيطرة على الطائرة.

وفي مساء ذلك اليوم جاء خالد الشيخ محمد، ورمزي ابن الشيبة، وخلّاد بن عتش إلى الشِّعب فاستقبلهم الإخوة بالأعناق والأحضان مهنّئين ومباركين لهم نجاح العمليات، وسائلين الله لهم أن تكون في موازين حسناتهم. وكان هؤلاء الإخوة قد أحضروا معهم جهاز تلفاز ومولّد كهربائي صغير، وتسجيلاً كاملاً لمجريات الأحداث من الفضائيات. وكم كانت الدقائق -حتى يتم تجهيز وتشغيل جهاز التلفاز لعرض مقاطع الأحداث- تمرّ ثقيلة كأنها دهر من الزمان، فقد كان الإخوة في شوق ولهفة بالغة لرؤية تلك المشاهد والأحداث التي تُشفي الصدور، وتُذهب غيظ القلوب، والتي عبّر عنها الكثيرون بقولهم أنها غيّرت مجرى التاريخ.

ولعله في تلك اللحظات أيضاً قد طافت بمخيّلة الشيخ أسامة تلك المشاهد المأساوية لمآسي المسلمين -التي أثّرت كما قال رحمه الله بشكل مباشر في نفسه وكانت الدافع الرئيسي لهذه الأحداث- في فلسطين ولبنان، والتي عبّر عنها بقوله:

"دماءٌ وأشلاء، وأطفالٌ ونساءٌ صرعى في كل مكان، منازلٌ تدمر بمن فيها، وأبراجٌ تدك على ساكنيها، قذائفٌ كالمطر تصب على ديارنا بلا رحمة، وكان الحال كتمساح التقم طفلاً لا حول له ولا قوة إلا الصراخ، فهل يفهم التمساح حواراً بغير سلاح". وكأنه رحمه الله يقول لأمريكا: **"إنّ ما تذوقينه اليوم هو ثمن يسيرٌ لسياساتك الظالمة التي تجرّعتها أمّتنا منذ عشرات السّنين، فمن يزرع الشوك لا يجني به العنب، ومن العدل المعاملة بالمثل، والبادئ أظلم".**

وفي صباح اليوم التالي للعمليات، وقبل أن يغادر الجميع المكان، أرسل الشيخ أسامة لأمريكا أقوى رسائله، وهي قسمه المشهور بقوله:

"وأما أمريكا فأقول لها ولشعبها كلمات معدودة: أقسم بالله العظيم الذي رفع السماء بلا عمد، لن تحلم أمريكا ولا من يعيش في أمريكا بالأمن قبل أن نعيشه واقعاً في فلسطين، وقبل أن تخرج جميع الجيوش الكافرة من أرض محمد صلي الله عليه وسلم، والله أكبر والعزة للإسلام".

وفي ذات الخطاب، وجه الشيخ أسامة رسالة مهمة للأمة المسلمة، يحرضها على نصرة الدين، مستبقاً بذلك ما ذكره الرئيس الأمريكي بوش في خطابه الذي قال فيه: **"على كل دولة أن تتخذ قراراً، فإما أن تكون معنا (في حربه الصليبية)، أو تكون مع الإرهابيين".** فقال الشيخ أسامة رحمه الله:

"إن هذه الأحداث، قد قسّمت العالم بأسره إلى فسطاطين، فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط كفر أعاذنا الله منه، وينبغي على كل مسلم أن يهب لنصرة دينه، وقد هبّت رياح الإيمان ورياح التغيير، لإزالة الباطل من جزيرة محمد صلي الله عليه وسلم" ا.هـ

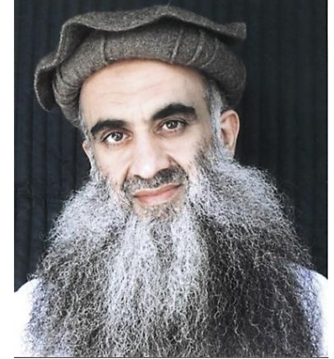
نعم سيظل صدى هذه الكلمات دوماً يتردد في أذهان وأفكار الرجال، وكل من في قلبه مثقال ذرة من عزة وكرامة وغيرة، بأن الجواب أيها الأمريكان ما ترون لا ما تسمعون. سيظل هذا القسم بمثابة الدافع والمحفّز للأجيال القادمة، بأن لا يقر لها قرار، ولا يهدأ لها بال، حتى تجبر عملياتها الجهادية أمريكا على تغيير سياساتها الظالمة نحو أمتنا، وحتى يخرج آخر جندي لها من بلاد المسلمين.

وبعد أن فرغ الشيخ أسامة من ذلك الخطاب التاريخي توجّه الجميع إلى كابل، وهناك في المضافة استقبلته جموع الشباب استقبال الفاتحين، مهنئةً ومباركةً لهذه العمليات التي فاقت بفضل الله وحده كل تصوّر، فجاء الكثير من الأخوة الذين لم تكن في أعناقهم بيعة ليبايعوا الشيخ أسامة، فقد أيقنوا أنهم

الآن أمام مرحلة جديدة من الصراع، لا بد أن تتكاتف فيها كل الجهود لمواجهة التحدّيات القادمة. فالجميع الآن على مركب واحد، وسيواجهون معركة مصيرية واحدة -مع هبل العصر أمريكا- ولابد أن تتولى قيادتها قيادة رشيدة، خبيرة بمفاصل الصراع.

في كتابه دعوة المقاومة الإسلامية العالمية يقول الشيخ أبو مصعب السوري فك الله أسره:

"... يمكن القول بأن توجه الشيخ أسامة بن لادن -حفظه الله- قد وضع المعركة بهذا الشكل في مسارها الصحيح. وذلك بفرض المواجهة بيننا وبين عدونا الحقيقي -الداعم من وراء الستار لكافة أعدائنا- في كل ساحات المواجهة التي نخوضها، بدءاً من صراعنا مع اليهود في فلسطين، ومروراً بكل مواجهاتنا مع حكامنا المرتدين المدعومين من قبل أمريكا وحلفائها. فجزاه الله خيراً. ... لقد أحسن الشيخ أسامة اختيار طبيعة المعركة وتحديد العدو، فقد وُفق -بحسب رأيي- لاختيار مفتاح الصراع والمواجهة، كما أحسن القائمون على تنفيذ هجمات سبتمبر صناعة صاعق الانفجار، وابتدأوا المعركة بهجوم ظافر كبد العدو خسائر فادحة، وجعل المسلمين يبتدئون المبادرة المذهلة" ا.هـ



خالد الشيخ محمد

فكّ الله أسره



رمزي بن الشيبة

فكّ الله أسره



وليد بن عتش (خلّاد)

فكّ الله أسره



مصطفى هوساوي

فكّ الله أسره



عمار البلوشي (علي عبد العزيز علي)

فكّ الله أسره



زكريا الصبّار

تقبله الله



سعيد با حاجي

تقبله الله

الرجال الذين أشرفوا على غزوات الحادي عشر من سبتمبر



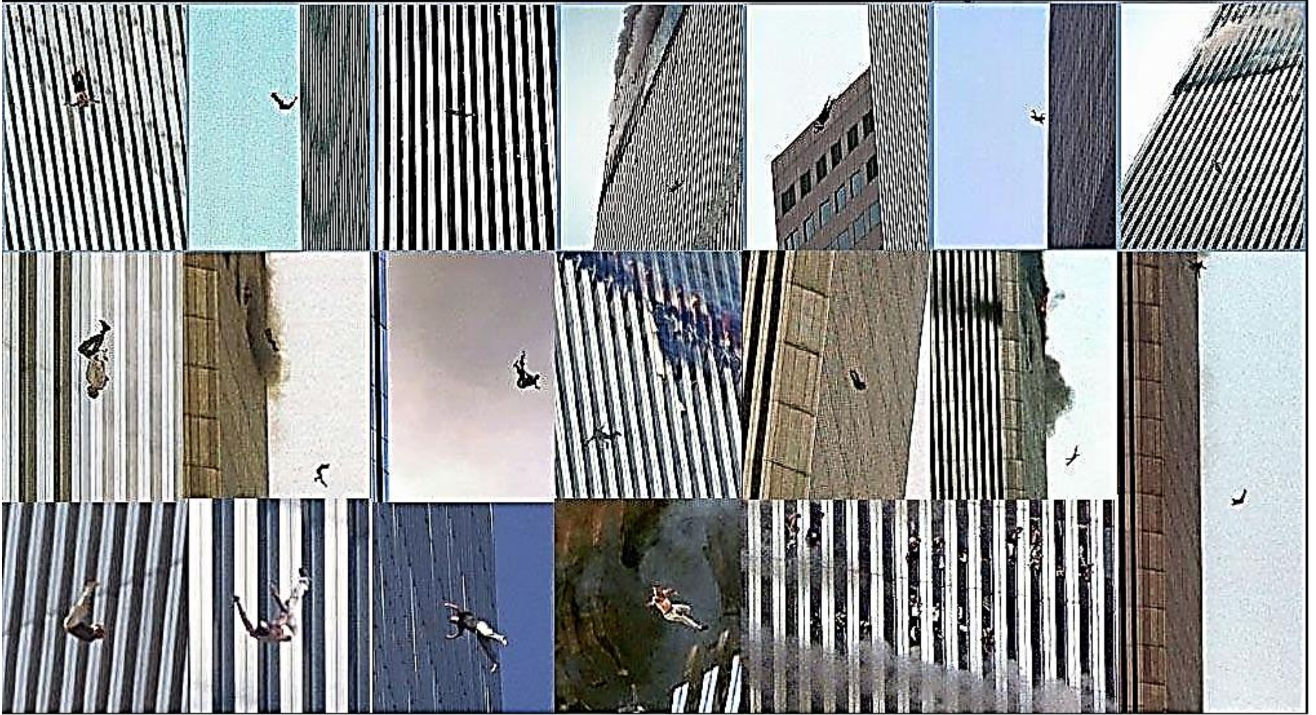


هل يفهم التمساح حواراً بغير سلاح؟



لو أنّ رسائلنا إليكم تحملها الكلمات لما حملناها إليكم بالطائرات





صناعة الموت؛ هؤلاء أخذوا أسوأ قرارٍ في حياتهم

من العدل المعاملة بالمثل

من يزرع الشوك لا يجني به العنب



إن طريق الأمان يبدأ برفع العدوان، وإن من العدل المعاملة بالمثل

المبنى ٧ التابع لبرج التجارة العالمي – ٤٧ طابق



فندق ماريوت – ٢٢ طابق



لماذا تتكتّم الحكومات الأمريكية المتعاقبة عن الأرقام الحقيقية للهلكى في هذه المكاتب؟



لقطة أخرى من الخلف – يا ترى كم من علجٍ تفحّم في هذه المكاتب؟؟



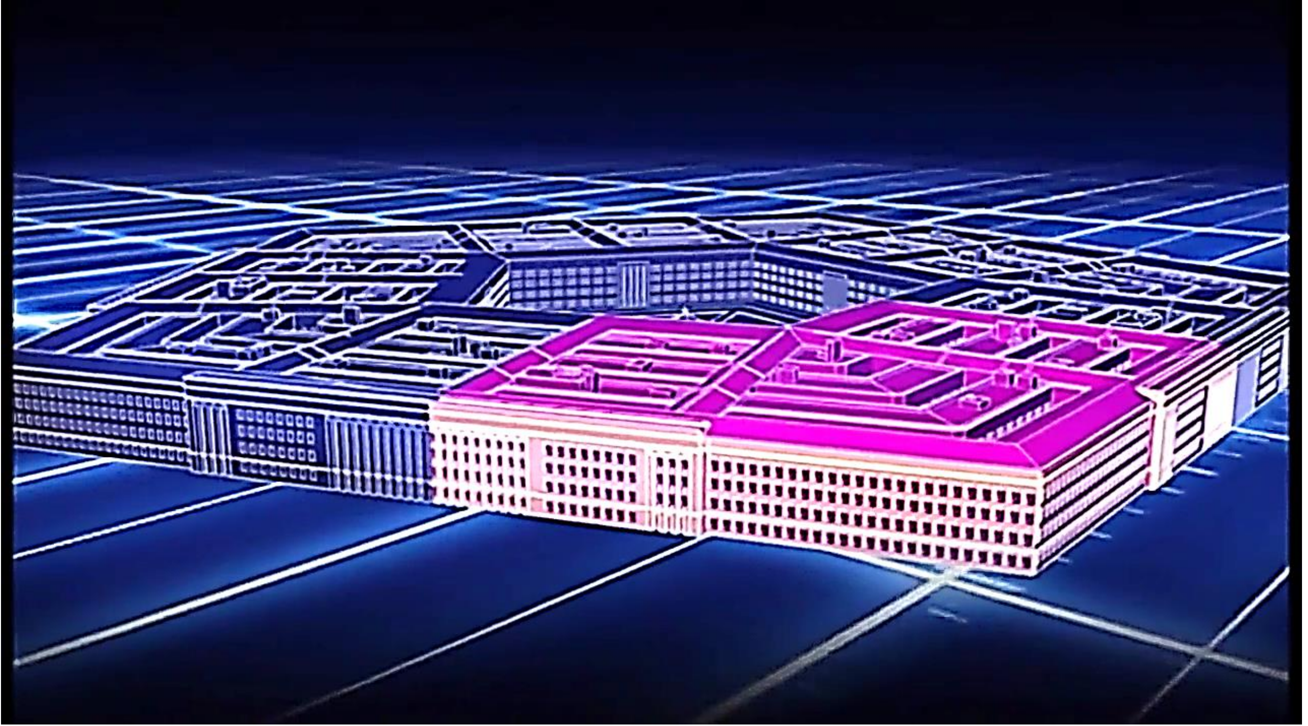


حطام الطائرة الرابعة، أصبحت أثراً بعد عينٍ بعد أن أمر الرئيس الأمريكي بوش بقصفها



متحف صور الهلكى في غزوات الحادي عشر





لقطة توضح حجم الدمار الذي لحق بمباني البنتاجون مأخوذة من الفلم الوثائقي

"The Pentagon and the U.S. Department of Defense"



[الرمادي؛ مدمر / والأحمر؛ مهدد بالانهيار / والأزرق؛ ضرر رئيس / والأصفر؛ متضرر ولكن في حالة مستقرة / والبيج؛ بحاجة تنظيف].

وكما أسلفنا من قبل، كان بعض الإخوة قبل أحداث الحادي عشر قد اختلف مع الشيخ أسامة على خلفية إصراره على تصعيد المواجهة مع أمريكا، ومن هؤلاء كان المسؤول عن اللجنة الشرعية في الجماعة الشيخ أبا حفص الموريتاني حفظه الله. وبالرغم من أن الشيخ أبا حفص كان قد قدّم استقالته من جماعة القاعدة إلّا أنه لما علم بحجم الضربات امتدحها بقصيدة رائعة وهذه بعض أبياتها:

فَفَــتْكَكُمْ فِي الْكُفْــرِ لَــمْ يُــرَ مِثْلُــهَ ... وَمَا فَاقَ حَتَّى الآنَ مِنْ هَوْلِهَا الْكُفْــرُ
وَلاَ زَالَ مَصْــعُوقاً بِهَـــا مُتَرَنِّحـــاً ... كَأَنَّ بِهِ سُكْراً وَلَـيْسَ بِـهِ سُـكْرُ
مِنَ السُّكْرِ مَا تَأتِي بِهِ الخَمْـرُ غَالِبـاً ... وَمِنْهُ الَّذِي يَأْتِي بِهِ الـذُّعْرُ لاَ الْخَمْـرُ
فلِلَّـهِ عَـزْمٌ مِـنْ أُولِى الْعَـزْمِ صَـادِقٌ ... وَللهِ صَـبْرٌ مَـا رَأَى مِثْلَـهُ الصَّـبْرُ
وَللهِ ضَرْبٌ لَـمْ تَـرَ الْبِـيضُ مِثْلَـهُ ... وَلاَ سَـمِعَتْ عَنْـهُ الرُّدَيْنِيَـةُ السُّـمْرُ
وَلاَ فَعْلَــةٌ فِي الْكُفْــرِ كَانَــتْ كَفِعْلِــهِ ... وِلاَ فَتْكَــةٌ فِيــهِ عَــوَانٌ وَلاَ بِكْــرُ
نَطَحْتُم بِعَزْمٍ هَامَـةَ الْكُفْـرِ نَطْحَـةً ... تَهَشَّمَ مِنْهَا الرَّأْسُ وَانقَصَـمَ الظَّهْـرُ
فَخَرَّتْ قِـلاَعُ الْكُفْـرِ لِـلأَرْضِ بَعْـدَمَا ... تَبَخَّرَ مِنْهُ الشَّطْرُ وَاشْـتَعَلَ الشَّـطْرُ
فقَامَتْ مِنَ الْهَـوْلِ الرَّهِيـبِ قِيَامَـةٌ ... تَحَـيَّرَ فِي أَوْصَـافِهَا الْفِكْـرُ وَالشِّـعْرُ
وَأَضْحَى حِمَى الأَعْـدَاءِ لِلنَّـارِ مَرْتَعـاً ... وَكَانَ حِمىً حَظْراً وَمَا نَفَـعَ الْحَظْـرُ
فَفَــرُّوا فِــرَاراً يُجْمِحُــونَ كَــأَنَّهُم ... مِــنَ الــذُّعْرِ فِئْرَانــاً تَمَلَّكَهَــا الــذُّعْرُ
فَــأَدْرَكْتُمْ ثَــأْراً مِــنَ الْكُفْــرِ ضَــائِعاً ... بِثَــأْرٍ كَهَــذَا الثَّــأْرِ فَلْيُــدْرَكِ الثَّــأْرُ
فَــأَنْهَلْتُمُ مِنْــهُ الــرَّدَى ثُــمَّ فَــارْتَوَى ... وَعــلَّ وَلَــمْ يُعْجِلْــهُ عَــنْ عَلِّــهِ صَــدْرُ
شَفَيْتُمْ صُدُوراً مِلْؤُهَا الْغَيْظُ قَـبْلَكُمْ ... أَلاَ بَعْدَ طُولِ الْغَيْظِ قَدْ شُفِيَ الصَّـدرُ
وَأَيْقَظْتُمُ التَّارِيخَ بَعْـدَ سُـبَاتِهِ ... فَقَدْ نَهَضَتْ حِطِّينُ وَاسْتَيْقَظَتْ بَدْرُ
كَتَبْتُمْ نَشِيداً خَالِـداً بِصَـنِيعِكُمْ ... تُغَنِّي بِهِ الدُّنْيَا وَيُنْشِدُهُ الدَّهْرُ
سَنَبْقَى كَمَا كُنَّـا عَـلَى الْعَهْـدِ بَيْنَنَـا ... غُزَاةً بِنَا يَشْقَى وَقَـدْ شَـقِيَ الْكُفْـرُ
نُذَلِّلُ سُـبْلَ الْمَجْـدِ بِالبَـذْلِ وَالْعَطَـا ... وَبِالصَّـبْرِ لِلأَعْـدَاء إِذَا جَـزَعَ الصَّـبْرُ
عَنِ الدَّرْبِ مَا حِدْنَا عَلَى الْعَهْدَ لَمْ نَزَلْ ... إِلَى أَن يَحِينَ الْحَيْنُ أَوْ يُسْعف النَّصْرُ
إِذَا مَا نَزَلْنَا سَاحَةَ الْكُفْـرِ فِي الْـوَغَى ... تَفَشَّى هُنَاكَ الْمَوْتُ وَانتَشَرَ الـذُّعْرُ
فَـإِن نَحْـنُ نِلْنَـا مَـا نُرِيـدُ وَنَبْتَغِـي ... فَــذَاكَ وَإِلاَّ كَــانَ فِي مَوْتِنَــا عُــذْرُ
يُــذَكِّرنِيكُمْ كُــلُّ حُــزْنٍ يُصِــيبُنِي ... وَكُــلُّ سُرُورٍ لِي بِكُــمْ عِنــدَه ذِكْــرُ
وَلاَ عَجَبٌ إِنَّ الشَّجَى يَبْعَثُ الشَّـجَى ... وَكُــلُّ سُرُورٍ مِنْــهُ فِي جِنسِــهِ ذِكْــرُ
إِذَا طَلَعَـتْ شَـمْسُ النَّهَـارِ ذَكَـرْتُكُمْ ... وَأَذْكُــرُكُمْ ذِكْــراً إِذَا طَلَــعَ الْبَــدْرُ
وَإِن جَنَّ جُـنْحُ اللَّيْـلِ جَـدَّدَ ذِكْـرَكُمْ ... وَجَـدَّدَهُ فَجْـرِي إِذَا طَلَــعَ الْفَجْــرُ
فَفِيكُمْ وَلَـوْ سَـطَّرْتُ كُـلَّ قَصَـائِدِي ... لَمَا بَلَغَتْ فِي الْقَدْرِ مَـا أَوْجَـبَ الْقَـدْرُ

نتائج التحقيقات الأمريكية حول العمليات:

كانت السلطات الاميركية قد قامت بتحقيقات موسعة كان العالم كله مسرحاً لها، شملت كل الاشياء التي يمكن فحصها، ابتداءً من الكهوف في أفغانستان، الى بطاقات الائتمان التي استخدمها التسعة عشر، أملاً منها في أن تحصل على تفسير للكيفية التي قام بها الخاطفون التسعة عشر بتنفيذ مشروعهم في هجمات ١١ سبتمبر. وبعد سبعة أشهر من الأحداث لم تسفر تلك التحقيقات عن اية نتائج ملموسة وأدلة دامغة حول كيفية تنفيذ الهجمات. وصرح المسؤولون الأمريكيون أنهم ربما لن يعرفوا مطلقاً بعضاً من أهم التفاصيل التي انطوى عليها الهجوم.

وقال آنذاك مدير مكتب المباحث الفدرالي الأمريكي [FBI] روبرت مولر في خطاب له:

"لم يترك الخاطفون أي دليل مكتوب، وفي كل تحقيقاتنا لم نعثر على ورقة واحدة سواء هنا في الولايات المتحدة أو في افغانستان تتحدث عن أية جزئية من مخطط ١١ سبتمبر". وقال مولر: **"إن هجمات ١١ سبتمبر ربما كانت الاستعدادات جارية لتنفيذها لمدة خمس سنوات، وأن الخاطفين اعتمدوا على التخطيط التفصيلي الدقيق، والسرّية المطلقة، والإلمام الواسع بالكيفية التي يعمل بها النظام الأميركي في إخفاء مخططهم بعد أن دخلوا الى الولايات المتحدة عن طريق تأشيرات دخول صحيحة وقانونية من الشرق الأوسط. ولم يعثر المحققون على كومبيوترات، أو كومبيوترات منقولة، أو اقراص مدمجة استخدمها الخاطفون في التحضير لهجومهم. بل اعتمد هؤلاء الخاطفون في تأمين اتصالاتهم على استخدام مئات الهواتف العامة والجوالات والبطاقات المسبقة الدفع التي تصعب تماماً متابعتها. وكانوا في تحويلاتهم البرقية من أجل تمويل الهجمات يحوّلون مبالغ ضئيلة، متفادين المعاملات المالية الضخمة التي تسجَّل في التقارير المالية الحكومية"**، وأضاف مولر: **"فعل الخاطفون كل ما يستطيعون ليبقوا بعيداً عن شاشات راداراتنا" ا.هـ**

وكانت هذه الملاحظات التي أدلى بها مولر، هي أشمل تقييم صدر عن التحقيقات، كما يعتبر اعترافه هذا خير شاهد على البراعة التي نفذت بها القاعدة -بفضل الله وحده- عملياتها، كما يشير إلى مقدرتها على المحافظة التامة على سرية هذه العمليات. ويقول المسؤولون، إن هناك صعوبات مماثلة في اكتشاف ما إذا كان هناك هجوم جديد، ومدى استعدادهم لصد مثل هذا الهجوم[١].

جديرٌ بالذكر أن الحكومة الأمريكية -بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر- كانت قد رفعت قيمة المكافأة المالية إلى خمسة وعشرين مليون دولار لكل من يدلي بمعلومات تؤدّي لأسر أو قتل الشيخ أسامة بن لادن، والشيخ الدكتور أيمن الظواهري. وكانت الطائرات الأمريكية في أفغانستان تلقي بين حينٍ وآخر ملايين الأوراق عليها صورة الشيخ أسامة، والشيخ الدكتور أيمن الظواهري، وقيمة المكافأة. وكان مجلس الشيوخ قد صوّت في ٢٠٠٧/٧/١٣م بمضاعفة مبلغ مكافأة الشيخ -أسامة رحمه الله- إلى خمسين مليون دولار، وتعتبر هذه المكافأة الأضخم في تاريخ أمريكا على الاطلاق[٢].

---

١) مقال بعنوان: كفاءة منفذي هجمات ١١ سبتمبر في إخفاء تحضيراتهم تثير القلق. أرشيف البتار.

٢) نقلاً من خبرٍ نقلته هيئة الإذاعة البريطانية BBC في ٢٠٠٧/٧/١٣م.



والله لن تسوى الدنيا بأسرها ظفراً من أظفاركم

رسائل أحداث الحادي عشر من سبتمبر:

وعن رسائل أحداث الحادي عشر من سبتمبر، يقول الكاتب سيف الدين الأنصاري في مقال له بعنوان "غزوة نيويورك وواشنطن قراءة تأصيلية":

"أجمع الجميع وبلا استثناء، أن غزوات الحادي عشر من سبتمبر كانت نوعية إلى حدٍ لا مثيل لــه في التاريخ الحديث، ويرى المفكرون أنها بهذه الطريقة في التنفيذ تكون قد حملت رسائل كثيرة فضّل أصحابها أن تسطر بالمداد الأحمر، ليكون من الصعب جداً محوها من ورقة التاريخ. ومن هذه الرسائل:

أولاً: إن الغزوة -بما تمتعت به من النوعية في الأداء- تقول للعالم أجمع، إن حركة الجهاد قادرة على الفعل، وباستطاعتها صناعة الحدث الذي يصل في فعاليته إلى التأثير على مجريات الحياة، ويفرض على العالم إعادة تشكيل الخريطة من جديد، في إشارة واضحة إلى أن المجاهدين -بما يملكونه من الكفاءة والأمانة- هم الرقم الصعب في معادلة الصراع القائم بين الأمة وأعدائها في الداخل والخارج.

ثانياً: إن الغزوة -بما تمتعت به من النوعية في الأداء- تدعو الجميع إلى محو تلك الصورة المشوهة التي حرص الأعداء على رسمها للمجاهدين، وأنهم مجموعة من البسطاء. فقد ظهر للعالم أجمع أنها صورة مكذوبة روجتها الأداة الإعلامية المعادية لتحقيق أغراض خبيثة وأهداف قذرة كان أهمها خلق حاجز نفسي بين الأمة الإسلامية وطلائعها المجاهدة للإبقاء على حالة الاستسلام والتبعية. وإذا كانت الحركة الجهادية قد أبانت عن قدراتها المتميزة عندما هدمت ما كان يعرف بـ "الاتحاد السوفيتي"، فإنها بغزوة الثلاثاء، تكون قد رسّخت هذه

الحقيقة بما لا يترك مجالاً للتحفظ، ودللت على أنها تملك ما يجعلها أهلاً لأن تنال ثقة الأمة في قدرتها على القيادة.

ثالثاً: إن الغزوة -بما تمتعت به من النوعية في الأداء- تكون قد بشرت بجيلٍ جديدٍ من المجاهدين، لعل أخص ما يميزه هو أنه رغم الثبات على المبادئ التي سار عليها الأولون فإنه لا يألوا جهداً في الإفادة من الأدوات التي يُتيحها الواقع، ولا يتوانى عن تفعيل كل ما هو شرعي من الأساليب والوسائل التي تتعدد وتتنوع بتجدد حركة التطور، مستنداً في ذلك إلى رصيدٍ كبيرٍ من الخبرات المتراكمة عبر التجارب السابقة، وهذا بالضبط ما يتيح لـه مجالاً أكبر للمناورة، ويفتح أمامه آفاقاً جديدة في صراعه مع العدو. نجزم أن غزوة ثلاثاء الفتح ما هي إلاّ الفصل الأول من المعركة، وأن الدرس لازال مستمراً.

رابعاً: إن الغزوة -بما تمتعت به من النوعية في الأداء- رسالة إلى العدو بأن المجاهدين قادرون على رد الصاع صاعين، وفي عقر داره، وبالطريقة التي يعجز أن يدركها خياله، وما غزوة ثلاثاء الفتح إلاّ نموذج للجيل الجديد من الضربات التي تنتظره، ولعل العالم قد اكتشف -خاصة بعد الحرب الصليبية العالمية- أن الحركة الجهادية كائن حي ومرن، ويتمتع بقدرة عالية على التأقلم مع الظروف مهما كانت استثنائية، وأنه لن يثني عزمها تلك التهديدات الجبانة التي تطلق من وراء الجدر" ا.هـ

آثار وتداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر على أمريكا:

وعن آثار وتداعيات غزوات نيويورك وواشنطن على أمريكا، تحدث الشيخ أسامة بن لادن في خطبة عيد الأضحى عام ١٤٢٣هـ فقال رحمه الله:

"وفي يوم الثلاثاء المبارك، في الثالث والعشرين من جماد الثاني لعام ١٤٢٢ للهجرة، الموافق للحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م للميلاد، كان التحالف الصهيوأميركي يحصد أبناءنا وأهلنا في أرض الأقصى المبارك بطائرات ودبابات أميركية، وأيدٍ يهودية، وأبناؤنا في العراق يقضون نحبهم نتيجة الحصار الظالم من أمريكا وعملائها. وفي المقابل كان العالم الإسلامي يعيش في حالة من البعد الشديد عن إقامة الدين حقاً. وبينما الأمور على تلك الحال من الإحباط واليأس والتسويف عند المسلمين إلا من رحم الله، فقد كانت بلاد العم سام في غيها سادرة، بطغيانها هادرة، مصعّرة خدها للناس، تمشي في الأرض مرحاً لا تبالي بأحد، وتظن ألا سبيل إليها إذ رموا بثالثة الأثافي، وما أدراك ما ثالثة الأثافي عندما وثب شعث الرؤوس، مغبرو الأقدام، المطاردون في كل مكان، فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى، وربط على عقيدتهم، وكتب الإيمان في قلوبهم، فلم يخشوا في الله لومة لائم، يبتغون ما عند الله تعالى، تأبى نفوسهم أن تنام على الضيم، يريقون ماء الحياة ولا يريقون ماء المحيا، فأغاروا بطائرات العدو في عملية جريئة جميلة ما عرفت البشرية لها مثيلاً، فحطموا أصنام أميركا، فأصابوا وزارة الدفاع في صميم فؤادها، وأصابوا الاقتصاد الأميركي في سويداء قلبه، فأرغموا أنف أمريكا في التراب، ومرغوا كبرياءها في الطين، فانهار برجا نيويورك، وبذلك الانهيار انهار ما هو أعظم وأضخم، فانهارت أسطورة أمريكا العظمى، وانهارت أسطورة الديمقراطية، وظهر للناس أن قيم أمريكا في

السافلين، وتحطمت أسطورة أرض الحرية، وتحطمت أسطورة الأمن القومي الأميركي، وانهارت أسطورة الـ CIA، فلله الحمد والمنة.

وكان من أهم الآثار الإيجابية لغزوتي نيويورك وواشنطن أنها كشفت حقيقة الصراع بين الصليبيين والمسلمين، وأظهرت ضخامة العداء الذي يُكنُّه لنا الصليبيون عندما نزعت الغزوتان جلد الشاة عن الذئب الأميركي، وظهر على حقيقته البشعة. واستيقظ العالم أجمع من الرقاد، وانتبه المسلمون إلى أهمية عقيدة الموالاة في الله والمعاداة في الله، وقويت روح الأخوَّة الإيمانية بين المسلمين، مما يعتبر خطوة عظيمة نحو توحيد المسلمين تحت كلمة التوحيد لقيام الخلافة الراشدة بإذن الله. وبدا ظاهراً للناس أن أمريكا هذه القوة الظالمة يمكن أن تُضرب، ويمكن أن تُذل وتُهان وتُقهر. ولأول مرة يعي غالبية الشعب الأميركي حقيقة القضية الفلسطينية، وأن ما أصابهم في منهاتن كان بسبب سياسة حكومتهم الظالمة.

وخلاصة الأمر، إن أمريكا دولة عظمى ذات قوة عسكرية ضخمة، وذات اقتصاد عريض، ولكن كل ذلك على قاعدة هشة، لذا فإنه بالإمكان استهداف تلك القاعدة الهشة، والتركيز على أبرز نقاط الضعف فيها. وإذا ما ضُربت في عُشر معشار تلك النقاط، فإنها بإذن الله ستترنح وتنكمش وتتخلى عن قيادة العالم وظلمه. ولقد استطاع عدد يسير من فتية الإسلام، رغم وقوف التحالف الدولي ضدهم، أن يقيموا الحجة على الناس بوجود القدرة على مقاومة ومقاتلة ما يسمى بالقوى العظمى، واستطاعوا أن يدافعوا عن دينهم، وأن ينفعوا قضايا أمتهم أكثر مما فعلته حكومات وشعوب بضع وخمسين دولة في العالم الإسلامي، لأنهم اتخذوا الجهاد سبيلاً لنصرة الدين، وكما قال أبو هلالة:

وللنصرِ أسبابٌ وللخُسرِ مثلُها ... وكلُّ فريقٍ يورثُ الخلدَ رابحُ
دروبُ العُلا شتّى وأقصرُها التي ... تُريقُ الدِّما في جانِبيها الزحازحُ

تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر على الأمّة الإسلامية:

بدون شك، إن تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر على الأمة كانت كبيرة وعظيمة جداً، ولسنا هنا بصدد الخوض في تفاصيلها المعلومة للجميع، غير أن هناك من كان تناوله لتلك التداعيات فيه تشبّه ببني إسرائيل عندما كانوا يتسخطون على نبي الله موسى عليه السلام، ويقولون له لائمين متبرمين: ﴿أُوذِينا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنا وَمِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنا﴾ كأنهم -كما يقول الشيخ الشهيد سيّد قطب رحمه الله- **لا يرون في رسالته خيراً، أو كأنما يحمّلونه تبعة هذا الأذى الأخير**. وكانت حجّة هذا الفريق كما لخصها الشيخ أبو مصعب السوري في كتابه دعوة المقاومة الإسلامية هي:

١- أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر قد جلبت البلاء على المسلمين، ووضعتهم في معركة غير متكافئة سيكونون فيها الخاسر الأكيد.

٢- وأنها بررت الهجمة الأمريكية، وأعطتها المسوغ لإعادة احتلال العالم الإسلامي، وإنزال أفدح الخسائر بالمسلمين.

٣- وانها ألغت عملياً معظم البرامج الذاتية لكثير من مشاريع الجهاد القطرية والإقليمية بالتبعية تلقائياً.

٤- وأنها سببت إزالة الإمارة الإسلامية الوليدة في أفغانستان، ملغيةً القاعدة الوحيدة التي فاءت إليها معظم مشاريع الجهاد وجماعاته وقياداته ... إلى أخره. ا.هـ

وهناك من يُقرّ بأن الثمن كان باهظاً لكنه يستحق ذلك نسبة لأن الهدف غالٍ. وحتى نكون على بيّنة من أمرنا، أحببت أن أضيف هنا تناول أهل العلم الربّانيين لهذا الأمر، مجيبين ومفنّدين لكل تلك التساؤلات والشبهات التي أثيرت حول الحدث، إلى جانب دروس التوحيد الإيمانية من أقوال ومواقف أكثر المتضررين من تلك التداعيات وهم الطالبان، وعلى رأسهم أمير المؤمنين الملا عمر -رحمه الله- وقادته الميامين.

شبهات حول أحداث الحادي عشر من سبتمبر:

في كتابه تساؤلات حول الحرب الصليبية الجديدة، يقول الشيخ يوسف العُييري رحمه الله:

"حين تتابعت الانسحابات في أفغانستان من قبل الإمارة الإسلامية، وبدأت تفقد بعض المكتسبات ومنها المدن والآليات، دب اليأس إلى كثير من المسلمين، وانتابهم شعور بالهزيمة ودنو نهاية المجاهدين هناك. ومن خلال هذا الشعور بدأ همس هنا وهناك بأن المجاهدين قد أخطئوا حساباتهم، وأنهم فوجئوا بما لم يتوقعوه، وأنهم كانوا قد تعجلوا وجرّوا إلى أنفسهم معركة لم تكن متكافئة.

نعم قد وقعت بعض الأخطاء لا حاجة للإفصاح عنها الآن، كما أنها قد وقعت بعض الخيانات مما لا يسلم منه جيش مهما بلغت نزاهته، فقد كان في جيش محمد صلى الله عليه وسلم منافقون، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرابِ مُنافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ، لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلى عَذابٍ عَظِيمٍ﴾.

ولما خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى أحد رجع عبد الله بن أبي المنافق بثلث الجيش فماذا يقال في قيادة ذلك الجيش أتراها أخطأت الحسابات؟ حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرد في حقه ذلك لكنه بشر من البشر قد يقع له ما لم يعلم أن سيقع.

فإذاً لا يعد ما وقع من خياناتٍ وأخطاءٍ في حسابات المجاهدين، ولا ما قد يقع من ذمم قد تشترى كذلك، حسبهم أن يحاذروا ذلك ما استطاعوا وهم إن شاء الله فاعلون.

وقد قال الله في الصحابة رضي الله عنهم ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾، فما لنا نتطلب في هذا الزمان جهاداً ومجاهدين أنقى وأتقى مما كان في ذلك الجيل المثالي؟! ...

ولما كانت مثل هذه الخطرات لم يسلم منها الأكثرون -حتى من بعض أهل العلم- فقد كان لزاماً أن نقف معها بعض وقفات، هي بمثابة محطات للمتأمل في هذه القضية وفي غيرها.

تساؤلات[١]:

١) كل هذه التساؤلات والردود عليها من كتاب مجموع الدراسات الشرعية تأليف الشيخ يوسف بن صالح العييري.

هل جرَّ المجاهدون الأمة إلى معركة غير متكافئة؟

للإجابة على هذا السؤال، نطرح الأسئلة التالية ونجيب عليها:

هل كانت عمليات المجاهدين سبباً ومبرراً في حرب الغرب للأمة؟

هل كان الغرب يخطط لغزو أفغانستان والعراق وغيرها من بلاد الإسلام من قبل عمليات ١١ سبتمبر؟

ما الذي دفع المجاهدين للتحرش بأقوى قوة عسكرية بشرية في العالم؟

هل يشترط التكافؤ بين المسلمين وأعدائهم لكي يجاهدوهم؟

هل من الحكمة إدخال الأمة الإسلامية الضعيفة في معركة مع الغرب القوي؟

هل نعطل الجهاد لاحتمال وقوع رد قوي من العدو؟

هل يمكن لعمليات تفجير صغيرة هنا وهناك أن تهزم الغرب القوي؟

هل يمكن لحرب العصابات بالأسلحة الخفيفة أن تهزم الجيوش الجرارة؟

مجيباً على هذه التساؤلات يقول الشيخ يوسف العييري رحمه الله تعالى وتقبله في الشهداء في كتابه (تساؤلات حول الحرب الصليبية الجديدة) بتصرف طفيف:

"إن دعوى أن المجاهدين جرّوا إلى أنفسهم، أو جرّوا أنفسهم إلى معركة غير متكافئة، أو استدرجوا إليها يستلزم الوقوف مع ما يلي:

١) هل كان ما نسب إلى المجاهدين من هذا العمل حقاً هو الدافع لأمريكا أن تأتي إلى أفغانستان؟

إن أمريكا كانت منذ زمن تريد وأد طالبان والجهاد، وقد صرح وزير الخارجية الباكستاني الأسبق نياز زينك أن مسؤولين كباراً في الحكومة الأمريكية أبلغوه في منتصف شهر يوليو من عام ٢٠٠١م بأن الولايات المتحدة ستتخذ إجراءات عسكرية ضد أفغانستان بحلول منتصف شهر أكتوبر ٢٠٠١م. وقال نياز: "إن المسؤولين الأمريكيين أبلغوه أنه إذا لم يتم تسليم بن لادن على الفور فإن الولايات المتحدة ستقوم بعمل عسكري لاعتقاله أو قتله هو والملا عمر زعيم حركة طالبان". ويشير المسؤول الباكستاني إلى أن الهدف الأوسع من تلك العملية سيكون إسقاط حكومة طالبان، وتنصيب حكومة انتقالية من الأفغان المعتدلين من الممكن أن يتزعمها ملك أفغانستان السابق ظاهر شاه. وشكك المسؤول الباكستاني السابق في إمكانية تراجع الولايات المتحدة عن خططها، حتى إذا تم تسليم بن لادن على الفور من قبل الإمارة الإسلامية.

نعم ربما لم تكن أمريكا تستطيع جمع كل هذا التحالف والتأييد وبهذه السرعة لولا أحداث الحادي عشر من سبتمبر، لكن هذا لا يعني أن تكون تلك الأحداث سبباً لجر أمريكا ومن ثم إلى معركة غير متكافئة، لاسيما إذا أُخذ بالاعتبار ما لأمريكا من أطماع في المنطقة. فليس ما حدث إذاً سوى تعجيل لمجيئ العدو إن صدق أنه تعجيل. فهل عمليات الحادي عشر من سبتمبر عمل متعجّل جر على المجاهدين معركة غير متكافئة؟ هل يشترط التكافؤ بين المسلمين وأعدائهم لكي يجاهدوهم؟ هل من الحكمة إدخال الأمة الإسلامية الضعيفة في معركة مع الغرب القوي؟



أولاً: ما معنى التكافؤ؟ هل التكافؤ هو المساواة في العدة والعتاد والرجال أيضاً؟

إن انتظار المعركة المتكافئة حتى ولو نسبياً كما قد يقال، هو في الحقيقة يؤدي في النهاية إلى ألّا تكون معركة أصلاً، بل العدو يزداد قوة وما يزيدنا الوقت إلا ضعفاً من حيث المنظور العسكري. إن التاريخ يشهد أنه ما من معركة انتصر فيها المسلمون على عدوهم وكانوا أكثر منه عدداً وعدة، بل العكس، لاسيما في المعارك المشهورة، كمعارك النبي ﷺ بلا استثناء، ومعارك أصحابه رضي الله عنهم كالقادسية واليرموك وغيرها في التاريخ كثير. بل لما أُعجب المسلمون بكثرتهم في حنين، هُزموا أول الأمر كما قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾.

ثانياً: أين التكافؤ في غزوة مؤتة، والمسلمون ثلاثة آلاف والعدو مائتا ألف؟ نسبة لا تخطر على بال (١.٥:١٠٠)، وإن شئت قلت كل مجاهد من المسلمين يقابل أكثر من ستة وستين مقاتلاً من العدو، ومع ذلك قاتل المسلمون وأبلوا بلاءً حسناً حتى قُتل قادة المعركة كلهم؛ زيد وجعفر وابن رواحة رضي الله عنهم أجمعين. ولقد كانوا ترددوا لما علموا بكثرة عدد العدو، لكن ابن رواحة رضي الله عنه شجعهم على المضي. ولما رجعوا لم يعاتبهم النبي ﷺ على دخولهم المعركة غير المتكافئة، بل العكس، فإن المسلمين استقبلوهم يحثون في وجوههم التراب، ويقولون يا فرار أفررتم في سبيل الله؟ فيقول رسول الله ﷺ ليسوا بفرار ولكنهم كُرار إن شاء الله.

ومن فوائد هذه الغزوة، أن من مقاصد الجهاد إظهار عزة الإسلام وهيبته وقوته، وأن أهله لا يهابون الموت، وإن لم يتحقق بذلك نصر حاسم، كما هو الشأن في هذه الغزوة. إن عدم التكافؤ هو حين يقصر المسلمون في إعداد أنفسهم، ولا يبذلون الوسع والطاقة في ذلك. أما حين يأخذون بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ فإن ما فوق ذلك ليس مما كلفوا به.

ثانياً: إذا ترتب على الجهاد رد من العدو. وهاهنا سؤال: هل نعطل الجهاد إذا ترتب عليه رد من العدو؟ وللإجابة على ذلك نقول:

أولاً: لقد خرج النبي ﷺ يوم بدر يريد عير قريش، إذاً لقد كان هدفه ضربة للعدو عسكرية واقتصادية ولنتأمل هذه الغزوة:

فلقد كان من المحتمل بل من شبه المؤكد أن النبي ﷺ حين يغير على قافلة قريش التجارية، أنه سيكون ردّها عنيفاً قاسياً لأنها لا تحتمل المساس بتجارتها واقتصادها. ويؤيد ذلك الواقع حيث استنفرت قريش قوتها ورجالها للذود عن تلك القافلة، وخرجت بخيلها وخيلائها لتؤدب من هموا بذلك. مع هذا كله، ومع أن النبي ﷺ يدرك ذلك، فهل اعتبره مانعاً من تنفيذ تلك العملية؟

بل إن غزوة أُحد، ما هي في الحقيقة إلا رد فعلٍ من قريش على غزوة بدر، وقد كانوا ينوون اجتياح المدينة، وحصلت المصيبة في هذه الغزوة على المسلمين، فهل نزل العتاب من السماء على تعجّل المسلمين في بدر وجرهم العدو إليهم؟ أم أن العتاب كان على معصية القائد والتعجل إلى الدنيا؟ وإذا كان المسلمون انتصروا في بدر فإنهم لم يكونوا يقطعون بهذه النتيجة، فلو كانوا



أصيبوا فهل كان ذلك ليغير الحكم في أصل خروجهم للعير؟ بمعنى أن يقال: إنهم إذاً جرّوا قريشاً لمعركة لا يكافئونهم فيها، وأثاروها عليهم وتعجلوا في ذلك. والشيء نفسه يقال في غزوة حنين وتبوك وكذلك مؤتة.

ثانياً: إن هذا المنطق، وهو خشية أن يجر عمل من أعمال الجهاد ردة فعل عنيفة من العدو قد يؤدي في نهاية المطاف إلى تعطيل كثير من مظاهر الجهاد، بل حتى الجهاد بالكلمة والقلم والنصح والبيان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فما من عملٍ من تلك الأعمال التي لا يحبها الكافرون أو الجاهلون والمعرضون إلا ويقابلها ردة فعل منهم تتفاوت شدةً وضعفاً. وإذا علم العدو الكافر أو المخالف الجاهل أن هذا الحس -وهو خشية ردة الفعل- يسيطر على أهل الحق، فإنه سيشيع الإرهاب الفكري وبث الرعب، ويشجع على ترسيخ هذا الإحساس حتى يبني له سياجاً دفاعياً لا يكلفه سوى حملات إعلامية، إضافة إلى بعض التأديبات التي تؤكد أن ردة فعله قوية.

ومن أخذ بهذا المنطق المشار إليه يلزمه ألا يؤيد أي عمل في فلسطين، لأن ردة الفعل اليهودية عنيفة، والأمثلة كثيرة تقع كل يوم. فما من عملية للمجاهدين في الأرض المقدسة يقتل فيها يهودي واحد أو يجرح إلا ويقابلها قصف عنيف ربما يسقط به عشرات، وتضييق على العمّال الفلسطينيين وغير ذلك.

وهكذا كل عمل من هذا القبيل، ولئن كان هذا المثال (فلسطين) يُناقش به الإسلاميون، فإنه حجة أيضاً على القوميين. فما من عمل من أعمال المقاومة (المشروعة) كما يسمونها، إلا وهي من جنس أعمال الحادي عشر، بل ولا ترقى أن تكون مثلها من حيث المكاسب.

وكذلك الحال في الجهاد القائم في أفغانستان من الثلة المؤمنة ضد قوى الكفر ومن تحالف معهم، فإنها مقاومة مشروعة على وفق جميع القوانين. وبمثال فلسطين، يُناقش كل من يؤيد قضية فلسطين من الحكومات التي تزايد عليها، فما يجوز في حق اليهود ويُشرع ويُؤيد ويُدعم، فأولى به من وراء يهود وهو رأس الأفعى اليهودية الغاشمة.

ثالثاً: لِمَ نقيس الأمور بنتائجها الآنية الظاهرة؟ وإنما الميزان القسط، هو تقييم أصل العمل إن كان مستوفياً للشروط، وليس يضيره بعد ذلك ألا يحقق الهدف منه.

إن القياس بالنتائج فحسب ليس من شأن المؤمنين الذين يعلمون أن النتائج بيد الله تعالى، وما على العبد إلا أن يجتهد ويتحرى، ومن ذلك الاستفادة والاعتبار من التجارب السابقة، والمشاورة بين أهل الخبرة في ذلك، ثم يعزم ويتوكل على الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾. فإذا أخذ المؤمن بذلك فإنه قد اجتهد، فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد. وأما أن يقال بعد ذلك إن عملك حين لم يؤد النتيجة المطلوبة، أو ترتب عليه مفسدة معينة فهو خطأ في أصله وتعجل، فإن هذا خلل في التقييم والميزان، والله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾، ويقول: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾، ويقول: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾، والله تعالى قال لنبيه الذي يتنزل عليه الوحي ﷺ: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾، وقال: ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾، وقال: ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي

نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾. قال الطبري رحمه الله ١٣/١٧٢: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: "وإما نرينّك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين بالله من العقاب على كفرهم، أو نتوفينك قبل أن نريك ذلك، فإنما عليك أن تنتهي إلى طاعة ربك فيما أمرك به من تبليغهم رسالته" ا.هـ وقال سبحانه: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَّ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، والآيات في أن العبد ليس عليه إلا ما أُمر به، وليس عليه النتيجة كثيرة.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: ﴿فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطَ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلَ، وَالرَّجُلَيْنِ وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ﴾ فهل يا ترى مثل هؤلاء الأنبياء عليهم السلام، يمكن أن يخطر على بال مسلم أنهم قصروا في الأخذ بالأسباب في دعوتهم؟ حاشاهم وربي من ذلك.

وإذا هُزم المسلم وانكسر وابتلي بقتل أو كلم أو أسر، فهذا هو شأن الجهاد، ولا ينبغي أن يُعدَّ ذلك من خطأ الأصل، ما دام مبنياً على أسس صحيحة. والله تعالى يقول: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُّ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُّ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، فذلك كله من حِكم الجهاد، ومن مراد الله تعالى فيه، فما لنا نختزل كل ذلك في النصر الأرضي العاجل؟

وهذه الآيات من سورة آل عمران، لنا معها وقفات إن شاء الله، لعظم ما فيها من المعاني التي قد نغفل عنها. وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: ﴿مَا مِنْ غَازِيَةٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، تَغْزُو فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ، إِلَّا كَانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أُجُورِهِمْ، وَمَا مِنْ غَازِيَةٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، تُخْفِقُ وَتُصَابُ، إِلَّا تَمَّ أُجُورُهُمْ﴾.

ولعل البعض حين سمع ببعض الأخبار من قتل بعض المجاهدين أو أسرهم، أو حتى تعرض بعض العوائل للأذى والقصف والتشريد، أصابه من الأسف والحزن ما قد أنساه بعض تلك المعاني المشار إليها، وربما أوقعه ذلك في الوقيعة فيمن لا سبيل له عليه. نعم إن القلب ليتقطع أسىً وألماً حين يبلغ المسلم خبر إصابة لأخيه أو أخته وإن دقت، لكن لا ينبغي بحال أن ننسى ما في هذه الآيات والأحاديث من البيان الجلي للمعاني العالية التي علينا أن نتعلق بها، وأن ما يصيب هؤلاء هو بإذن الله من الاصطفاء واتخاذ الشهداء، أو الابتلاء الذي تُمحَّص به الذنوب، وتُرفع به الدرجات، ويَعتز به الإسلام. وقد كان النساء يجاهدن مع رسول الله ﷺ مع احتمال أسرهن وقتلهن. وفي صحيح مسلم عن عمران بن حصين رضي الله عنه، قصة أسر امرأة من المسلمين.

وهكذا كل من ينفر للجهاد عليه أن يربي نفسه ويوطّنها على احتمال المتغيرات، وأن يجعل في حسابه جميع التوقعات، وأن يكون لديه من مدد الإيمان والتوكل وشيء من العلم ما يثبّته في الملمات. ومن النماذج التي تُذكر في هذا الصدد: إحدى الأخوات العربيات في قندهار تعزم على زوجها وتستحلفه بالله أن إذا دخل في عملية استشهادية أن يصحبها معه، لتعينه على الجهاد وتنال الشهادة معه في سبيل الله، فيكتب الله أن تقع قذيفة من قذائف راعية السلام وحامية حقوق الإنسان فتقتلهما جميعاً، جمعهما الله في منازل الشهداء آمين.



وإذا كان هذا شأن المؤمنين، فإن من صفات غيرهم أنهم تستخفهم النتائج ليلقوا باللائمة على الأعمال التي أنتجتها والعاملين فيها، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، وقوله جل ذكره: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

من كسَب المعركة؟

على ضوء ما تقدم بيانه، فإن ذلك الهجوم الذي نُفذ في أمريكا بالمنظور العسكري كسب للمبادرة في المعركة، وهذا مهم لدى العسكريين وربما كان سبباً للانتصار في نظرهم، وهي حقاً مبادرة أربكت أمريكا بجميع أجهزتها، وهدّت من معنويات شعبها، وأورثتهم رعباً وهلعاً، وألجأتهم لاستعجال الخطط العسكرية، والرد قبل استكمال التخطيط والتجهيز، وقبل التهيئة الشعبية والسياسية الكافية، وقبل رصد التوقعات المحتملة وغير ذلك، هذه واحدة.

الثانية: أن ذاك الهجوم هو كسب للمعركة قبل خوضها، بمعنى أن أمريكا غاية ما ستفعله هو القضاء على من كان في أفغانستان من طالبان والعرب، وذلك لا يوازي بحال ما حصل لها من كوارث وهزائم سياسية واقتصادية وأمنية جراء هجوم الحادي عشر، مع أن القضاء على من كان في أفغانستان لن يقضي على عداوة أمريكا في نفوس المسلمين ومنهم من يبيع نفسه لله من أجل حربها، بل كلما أوغلت في تنفيذ حملتها العسكرية وما يتبعها من حملات مخابراتية، وملاحقات مالية، ضاعف ذلك من أعدائها وعِدائها، وأجّج من عداوتها في النفوس، علماً أن المجاهدين يرون أن تأجيج عداوة أمريكا في نفوس المسلمين، والدعوة إلى جهادها وبغضها والسعي إلى الإضرار بها، يعد مربحاً يستحق التضحية من أجله، لأنه سيكون سبباً ولو بعد حين لجهاد أمريكا جهاداً شاملاً.

الثالثة: أن هجوم الحادي عشر من سبتمبر، نجح في جر أمريكا إلى الأرض المطلوبة للمعركة، حيث يحسنها المجاهدون، ويجهلها الأمريكيون، وكل الخيارات المطروحة لأرض المعركة لا يمكن أن تكون أنسب من أفغانستان. ونجح الهجوم أيضاً في تحديد زمن المعركة، ونجح في إخراج أمريكا من الحرب المستترة والمتوارية، ودعم هذا وذاك إلى خوضها المعركة بنفسها، وظهورها للناس مسلمهم وكافرهم، وهذا له آثاره من حيث إثارة عداوتها في نفوس المسلمين، وكراهيتها وإذكاء روح الجهاد في قلوبهم، مما قد لا يظهر في حروبها على المسلمين في أنواع أخرى. وظهورها أيضاً أمام العالم كله بغطرستها وكبريائها وهي تلاحق مجموعة من الناس في الجبال، ثم لا تستطيع الآن لو هُزمت -نسأل الله ذلك- أن تُخفي هزيمتها، وهي التي تقود المعركة بنفسها.



وإنا لنطمع أن ينطبق على أمريكا هذه الآيات البينات الشافيات من سورة براءة، والتي ختمت بالوعد بالنصر عليهم يقول الله جل ذكره:

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ * اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ * فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ * أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

قد يسلّم البعض بكل ما تقدم ولكنه يقول: "تلك قضية خاسرة، فماذا عسى أن يفعل مجموعة من المتفرقين في الجبال، والملاحقين من الأمريكيين ومن عملائهم، في مقابل القوة الأمريكية وترسانتها الحربية؟"

والجواب كما يلي:

١) ليس من خيار أمام المجاهدين غير الدفاع عن أنفسهم، وإلا فإنهم سيكونون بين الإبادة والأسر، وهل يمكن لمسلم أن يأمرهم بالاستسلام لذلك؟

وليس صحيحاً أن يقف المجاهدون لانتظار العدو كي يصل إليهم ليدافعوا عن أنفسهم وهم يعلمون يقيناً أنه أحرص عليهم من حرصه على الحياة، وهم أحرص الناس على حياة. وخير وسيلة للدفاع هي الهجوم، وعليهم أن يبذلوا ما بوسعهم لقطع الطريق على العدو بشتى السبل والوسائل، وعلى المسلمين أن يعينوهم على إنقاذ أنفسهم فضلاً عن محاربة هذا العدو اللدود.

وإذا كان الفقهاء قالوا: لو أن مسلماً أُسر لدى الكفار، لوجب على جميع المسلمين فكاكه، ولو تركوه أثموا جميعاً، فكيف بمن يلاحقه الكفار في أرضه؟

٢) إن إطلاق قاعدة القضية الخاسرة على كل عمل لم تظهر بوادر نجاحه عاجلاً، يمكن أن ينهدم بها قضايا ومشاريع واجتهادات مما يقتنع به القائل بهذه القاعدة فمنها:

أ - قضية فلسطين: فلا داعي للجهاد فيها وبذل الأنفس والأموال لأنها قضية خاسرة وفق هذا المنظور، فإذا كانت القضية في أفغانستان خاسرة، فمن باب أولى أن تكون القضية في فلسطين خاسرة، لأن المجاهدين في فلسطين أقل من المجاهدين في أفغانستان من حيث المقومات الجغرافية والقوة والعدد والعدة.



ب - بعض قضايا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أحياناً قد يقال فيها أنه لا فائدة من الأمر أو النهي في هذه القضية أو تلك، ولكن الله أجاب عن ذلك بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُون﴾، أفيبخل المسلمون على المجاهدين بما عساه أن يكون معذرة لهم عند الله ولعلهم يُنصرون؟ وهل يبخل المجاهدون أيضاً على أنفسهم بعمل يكون لهم معذرة ولعلهم يُنصرون؟

ج - بعض قضايا الدعوة أيضاً: فقد لا تظهر النتيجة في بادئ الأمر، فهل يتراجع الداعية ويقطع الدعم لأن المؤشرات تقول لا نتيجة؟

٣) لا خلاف بين الناس فضلاً عن أهل العلم، أن المريض الميؤوس منه لا يجوز تركه يموت مع إمكان بذل شيء له. وما زلنا نرى الملايين تنفق في معالجة مرضى السرطان، مع أن نسبة الشفاء منه قد لا تتجاوز ١٠٪، وما رأينا أحداً أنكر ذلك. فهلا اعتبرنا المجاهدين من مرضى السرطان فبذلنا لهم بعض ما نبذل لأولئك بدلاً من اعتبار القضية خاسرة؟

٤) ذكر الفقهاء وجوب فكاك الأسير، وبذل الأموال الطائلة في سبيل مسلم واحد، فكيف بمن هم أعظم من ذلك؟

٥) هذه القضية ليست خاسرة بالمنظور الإسلامي، فقد أخذ المجاهدون استعدادهم المتاح، وبذلوا ما يرونه واجباً عليهم، ولم يقصّروا إن شاء الله في شيء من ذلك وهذا جهدهم، وبهذا لم يدخلوا في قضية خاسرة، وإلا فما عسى أن تقارن قوة واستعداد النبي ﷺ ومن معه من المسلمين يوم بدر باستعداد قريش؟

وماذا يمكن أن يقال في غزوة مؤتة: ثلاثة آلاف في مقابل مائتي ألف بأحدث الأسلحة والمؤن والتجهيز؟ لم يتراجع المسلمون في مؤتة ويقولوا إنها قضية خاسرة، ولم يعاتبهم النبي ﷺ على دخولهم في قضية خاسرة، بل لما أراد المسلمون انتظار المدد شجعهم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه على المضي، وما بلغنا أن النبي ﷺ خطّأ ما صنع ابن رواحة، بل ولا تلميحاً، ولو كان فيه من خطأ لما ترك البيان لهم رسول الله ﷺ وهو الحريص على البيان لأمته، بالمؤمنين رؤوف رحيم، بآبائنا هو وأمهاتنا. وماذا عن خروج سلمة بن الأكوع رضي الله عنه وحده خلف الغزاة من فزارة الذين أغاروا على سرح النبي ﷺ، وهي المسماة غزوة ذي قرد التي أخرجها مسلم مطولة والبخاري مختصرة، أفكان مضياً في قضية خاسرة؟

وماذا عن الذين كانوا بماء الرجيع رضي الله عنهم بقيادة عاصم بن ثابت حيث لم يستسلموا للعدو وكانوا عشرة نفر، ولأهمية القصة وفوائدها إليكموها من البخاري ٣٠٧/٧، ٣٧٨ رقم (٣٩٨٩، ٤٠٨٦):

﴿عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشَرَةً عَيْنًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ» حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالهَدَةِ بَيْنَ عَسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لِحْيَانَ، فَنَفَرُوا لَهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ رَامٍ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَأْكَلَهُمُ التَّمْرَ فِي مَنْزِلٍ نَزَلُوهُ، فَقَالُوا: تَمْرُ يَثْرِبَ، فَاتَّبَعُوا آثَارَهُمْ، فَلَمَّا حَسَّ بِهِمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَى مَوْضِعٍ فَأَحَاطَ بِهِمُ القَوْمُ، فَقَالُوا

لَهُمْ: انْزِلُوا فَأَعْطُوا بِأَيْدِيكُمْ وَلَكُمُ العَهْدُ وَالمِيثَاقُ: أَنْ لاَ نَقْتُلَ مِنْكُمْ أَحَدًا، فَقَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ: أَيُّهَا القَوْمُ: أَمَّا أَنَا فَلاَ أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ فَقَتَلُوا عَاصِمًا، وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ عَلَى العَهْدِ وَالمِيثَاقِ، مِنْهُمْ خُبَيْبٌ، وَزَيْدُ بْنُ الدَّثِنَةِ، وَرَجُلٌ آخَرُ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ، فَرَبَطُوهُمْ بِهَا، قَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ: هَذَا أَوَّلُ الغَدْرِ، وَاللَّهِ لاَ أَصْحَبُكُمْ، إِنَّ لِي بِهَؤُلاَءِ أُسْوَةً، يُرِيدُ القَتْلَى، فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ، فَانْطُلِقَ بِخُبَيْبٍ، وَزَيْدِ بْنِ الدَّثِنَةِ...﴾ الحديث.

ففي هذه القصة، لجوء هؤلاء العشرة، وهم عشرة فقط إلى الجبال ليتحصنوا بها، ولم يقبلوا الاستسلام، ولذا بوب عليه البخاري في موضع آخر (هل يستأسر الرجل؟ ومن لم يستأسر).

وفي القصة جواز المقاتلة وجواز الاستسلام، وكلاهما فعله بعض الصحابة هنا، وإن كان القائد عاصم وأكثر من معه لم يقبلوا الاستسلام، ومن قبل الاستسلام فقد قتل بعد الأسر، وناله شيء من الإيذاء، ولذا فإننا نختار ألا نستسلم للعدو بأي حال من الأحوال، وهذا أخذ بالعزيمة، وإنما الاستسلام رخصة، كما ذكر ذلك ابن حجر -رحمه الله- في الفتح ٧/ ٣٧٤، ونقل عن سفيان الثوري كراهة الاستسلام. ا.هـ قلت: ولا يبعد حرمته للقادة وأهل الشأن خاصة.

ولأن استسلام المجاهد مع ما فيه من الانهزام وشيء من الذل، وما فيه من كسر قلوب المسلمين، وثلمةٍ في موقف المجاهدين، وما فيه من سرور العدو وغبطته، وشماتته بالمجاهدين والمسلمين عامة، ورفع معنوياته. مع ما في الاستسلام من جميع تلك المفاسد إلا أنه أيضاً لا يحقق للمستسلم ما خاف على نفسه منه وهو الموت، فإنه سيصير إلى قِتلة أشنع وأذل مما سيقتل عليها لو لم يستسلم، هذا إن لم يمر قبل ذلك على التعذيب والتنكيل، وانتزاع المعلومات التي قد تضر غيره.

نعود إلى الشاهد من هذه القصة، وهو أن هؤلاء الصحابة العشرة رضي الله عنهم لم يعتبروا قضيتهم خاسرة فيستكينوا. ولو علم بهم النبي ﷺ وكان يمكنه مساعدتهم بما يستطيع ما تردد في ذلك، وحاشاه حتى وإن أدرك أنهم لن ينجوا مما هم فيه. ولو استقرأنا السُنّة والسيرة والتاريخ، لوقفنا على أمثلة كثيرة من هذا القبيل. ولم يُنقل أن النبي ﷺ توقف في إمداد سرية، أو إنقاذ معصوم تذرعاً بالإياس من إنقاذه.

٦) أخيراً، من الذي أوقفنا على حقيقة الأمر وجلّى لنا الغيب لنحكم بأنها قضية خاسرة، ومن الحكمة عدم إضاعة الوقت والمال والأنفس بالرهان عليها وهي خاسرة؟

٧) على من اعتبر أن القضية خاسرة ألّا يُخذّل غيره وأن يكتفي بكف يده ورفعها، وترك من يرى غير ذلك أن يقدم معذرته إلى ربه، ويبرئ ذمته وليس عليه منهم من سبيل، وما هو عليهم بحفيظ.

والقضية بإذن الله ليست خاسرة لأنها بين النصر أو الشهادة، وتلك الأمور لا يمكن أبداً أن يعدّها المسلم خسارة بأي حال، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾، فسماهما الله حسنيين وبين تلك الحسنيين بقوله: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً

بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

فنيل الشهادة لذاتها والبحث عنها في كل موطن يعد غاية ومقصوداً للمسلم. وهذا الأمر يدل عليه أكثر من ثلاثين دليلاً من الكتاب والسنة، سوى أقوال أهل العلم في ذلك، ولا مجال للإطالة في ذكرها، ولعلنا نقف معها في مواطن أخرى. والحسنى الثانية التي بينها الله في كتابه هي: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

والذي أنزل الفرقان، ونصر الإسلام بيوم الفرقان، لنرجو أن نكون تحت راية أمير المؤمنين، ممن تنطبق عليهم هذه الآيات من سورة الحج حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ* أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾. ا.هـ

هل يمكن لحرب العصابات بالأسلحة الخفيفة أن تهزم الجيوش الجرارة؟

هل يمكن لعمليات تفجير صغيرة هنا وهناك أن تهزم الغرب القوي؟

الإجابة من حلقات (الحرب الصليبية على العراق) للشيخ يوسف العييري رحمه الله تعالى وتقبله في الشهداء، وكتاب (المدخل للثقافة العسكرية) لهانئ أحمد الدرديري، وكتاب (هكذا نرى الجهاد وهكذا نريده) لحازم المدني -نفع الله به- بتصرف وزيادة.

"بثبات ويقين أقول نعم، بمقدور عصابة مؤمنة متسلحة بأسلحة خفيفة أن تهزم جيوشاً جرارة.

أولاً: يجب أن نوقن تماماً أن الله عز وجل عندما أمرنا بقتال عدونا أمرنا بإعداد العدة قدر الاستطاعة، ولم يكلّفنا ما لم نستطع فقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ الآية، ووعدنا إن نحن أعددنا ما نستطيع أن ينصرنا نصراً من عنده، لا بسبب العدة والعتاد والعدد. والناظر في المعارك التي دارت منذ البعثة المحمدية وحتى وقتنا الحاضر، يعلم تمام العلم أن المسلمين كانوا في الغالبية العظمى من تلك الوقائع أقل عدداً وعدة، ومع ذلك نصرهم الله على عدوهم. فالعدة والعتاد والعدد ماهي إلا أسباب للنصر الذي ينزله الله على عباده متى استوفوا شروط النصر. والأمة اليوم هي أضعف ما تكون بسبب بعدها عن دينها، وتسلط الأعداء عليها، فلا يفسحون لها المجال للتسلح وبناء قوتها العسكرية، وغاية ما تملكه الأمة اليوم من السلاح الفعال ضد العدو: الإيمان في قلوب أبنائه وحرب العصابات، فهي حرب لا تحتاج إلى قاذفات قنابل عملاقة، ولا إلى حاملات طائرات نووية، ولا إلى صواريخ عابرة للقارات، ولا إلى قنابل ذكية، بل غاية ما تحتاجه هو رجل عصابات ذا عقيدة صحيحة، وإيمان راسخ، ماهر في استخدام الأسلحة المختلفة، وسلاح خفيف ينكي بالعدو بدءاً من البنادق وحتى المتفجرات والقنابل.



ثانياً: إن ضرب العدو في عمليات صغيرة ومتفرقة على مناطق شاسعة من الأرض وبشكل مستمر، أو ما يسمى بحرب العصابات، يعتبر من أشد الأسلحة التي يمتلكها الضعفاء ممن ليس لديهم جيوش جرارة، ولا سلاح جوي ولا بحري. وللتدليل على أهمية هذا النوع من الحروب نذكّر بالنتائج التي حققتها العصابات الصينية ضد الغزاة اليابانيين، والسوفيتية ضد الألمانيين، والجزائرية ضد الفرنسيين، والفيتنامية ضد الفرنسيين ثم الأمريكيين، وقوات حركة موختي باهيتي في بنجلاديش ضد القوات الباكستانية، وليس ببعيد سقوط الاتحاد السوفييتي أكبر قوة عسكرية بشرية عرفها التاريخ على أيدي مجاهدين قلائل يقاتلونها بأسلحة خفيفة، وكذلك دحر القوات الروسية من الشيشان في الحرب الأولى، كان بسبب حرب العصابات كذلك.

بل إنه ليس أدل على أهمية هذا النوع من الحروب من أن دولاً كالولايات المتحدة الأمريكية، وألمانيا الاتحادية، وفرنسا، قد استفادت من فكرتها بإنشاء قوات تنهج أسلوب رجال العصابات، بالرغم مما تملكه هذه الدول من إمكانات التعبئة النظامية.

فحرب العصابات في أفغانستان والعراق مثلاً مع القوات الصليبية، منعهم من استخدام السلاح الجوي والسلاح الصاروخي الذي يتفوق فيه العدو الصليبي. ففي هذا النوع من الحروب تُشل قدرات العدو من استخدام جميع تلك الأسلحة، بل إننا لم نسمع في حال حصول حرب مدن أو حرب عصابات عن قصف القاذفات الاستراتيجية، ولم نسمع عن قصف صواريخ (توما هوك)، ولا حتى القنابل التقليدية من مختلف الأوزان، وربما لن نسمع عن قصف مدفعية الميدان إلا ما ندر، لأن حرب المدن خاصة وحرب العصابات عامة تعطل كل تلك الخيارات التي أمام العدو الصليبي، لأن جنوده متواجدون داخل المدن، ولن يستخدم أي سلاح يمكن أن يضر بجنوده. إضافة إلى ذلك، أنه لن يستخدم هذه الأسلحة لعدم تمكنه من تحديد القوات التي تتخذ من حرب العصابات أسلوباً لها، كما هو الحال الآن في العراق وأفغانستان. فبعد تورا بورا، لم يسمع أحدٌ عن استخدام القاذفات الاستراتيجية، أو الصواريخ الموجهة بالأقمار أو القصف الكثيف، لعدم تمكن العدو من تحديد مواقع المجاهدين الذين يضربونه في الوقت وبالأسلوب الذي يروق لهم، ثم يختفون لينهك العدو بالبحث عنهم دون مواجهتهم، فهذه أحد الإيجابيات التي تتميز بها حروب العصابات عامة.

وقد هَزم الفيتناميون[1] على مر ١٢ عاماً، هزموا الجيش الأمريكي بعد أن كبدوه ما يقرب من ٦٧ ألف قتيل، قبل أن يعلن هزيمته رسمياً. وكان القادة الفيتناميون يفتخرون ويرددون الطرفة القائلة بأنهم خاضوا الحرب ولم يستطع الجيش الأمريكي أن يدمر لهم دبابة واحدة، في إشارة إلى أن الجيش الأمريكي أعلن هزيمته، وخرج من الحرب في المرحلة الأولى من مراحل حرب العصابات قبل أن يمتلك الفيتناميون الأسلحة الثقيلة. وبالفعل لم تدمر دبابة واحدة

---

١) إن كان الثوار الفيتناميون قد هزموا أمريكا من قبل إلا أنهم كانوا مدعومين بكافة أشكال الدعم من دولتين عظميين هما الاتحاد السوفيتي والصين، بجانب الدعم الكبير الذي كانت تقدمه دولة فيتنام الشمالية للثوار اليساريين. أما حركة طالبان –بناءً على خطاب الرئيس الأمريكي بوش الابن عقب أحداث الحادي عشر الذي قال فيه: "**على كل دولة أن تحدد موقفها فإما أن تكون معنا، أو تكون مع الإرهابيين**"– فقد فقدت الناصر والمعين إلّا من عدّة مئات من أنصارها المجاهدين العرب والباكستانيين وغيرهم. لقد كانت حركة طالبان تواجه العالم أجمع، وتخلّى عن نصرتها –ولو بالكلمة والتحريض بالقتال في صفّها كما حدث أيام الجهاد الأفغاني الأول– كافّة الدول الإسلامية التي ناصرت التحالف الصهيوصليبي، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

للفيتناميين، لأنهم لم يصلوا إلى مرحلة امتلاك السلاح الثقيل، فإذا كانت المرحلة الأولى في فيتنام كبدت الجيش الأمريكي هذه الخسائر، فكيف لو أن الجيش الأمريكي أصر ولم ينسحب حتى دخل في المرحلة الثانية والثالثة؟

وبنفس الأسلوب تعامل الأفغان مع الاتحاد السوفييتي، وخاضوا حرب عصابات ضده على مر عشرة سنوات، وتكبد أكبر جيش في العالم آنذاك خسائر فادحة في المرحلة الأولى من الحرب، وأعلن الجيش الأحمر انسحابه وهزيمته في أفغانستان، قبل أن تنتقل الحرب إلى مرحلتها الثانية على جميع قطاعات أفغانستان، حيث كانت هناك قطاعات مثل جلال آباد وخوست وقندهار وغيرها، تحولت أثناء وجود السوفييت إلى المرحلة الثانية، إلا أن التحول بشكل كامل لم يحصل إلا بعد انسحاب السوفييت، لتنتقل الحرب إلى المرحلة الثانية ضد حكومة نجيب الشيوعية لمدة سنتين ونصف تقريباً، ثم حصل الانهيار في الحكومة الشيوعية ليكون الحسم خلال شهرين فقط.

وها هم الأمريكان اليوم يصرخون ويستجدون العالم أجمع مشاركتهم في العراق، ويستجلبون المرتزقة من كل بقاع الأرض ليقاتلوا معهم، وما ذلك إلا توفيق من الله عز وجل، ونصر من عنده، ثم بسبب النزيف المتواصل الذي تسببت لهم فيه حروب العصابات، والضربات التي يظن البعض أنها لا تؤثر جهلاً منه بالثقافة العسكرية، وتاريخ الحروب. ونحن موقنون بإذن الله، أن نصر الله قريب، وفرجه آتٍ، ويومئذ يفرح المؤمنون". ا.هـ

إضافة إلى ما سبق ذكره من إجاباتٍ وافية للشيخ يوسف العييري -رحمه الله- لكل تلك الشبهات، قد يتساءل متسائل فيقول: **ألا ترى أن الثمن كان باهظاً؟**

يقول الشيخ الدكتور أيمن الظواهري مجيباً على مثل هذا التساؤل في كتابه تبرئة أمة القلم والسيف من منقصة تهمة الخور والضعف:

"وجوابي نعم، ثمنٌ باهظ لهدف غال يستحق ذلك الثمن. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾.

ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر... ثم إن هذا هو الطريق. يكفي أن أضرب مثالاً بالفتوحات الإسلامية التي أنشأت في قرن واحد دولة علّمت الدنيا التوحيد ومكارم الأخلاق من الأندلس لأطراف الصين. كم كان ثمن هذا التحول التاريخي في مسيرة البشرية؟ عشرات الآلاف من شهداء الصحابة والتابعين وتابعيهم رضي الله عنهم، الذين قدموا أرواحهم في سبيل الله" ا.هـ

وعن نفس الموضوع يقول الشيخ أبو قتادة الفلسطيني:

"هب أن أهلنا وإخواننا في أفغانستان قد بادوا جميعاً، فهل من بقي يرتع في هذه الحياة ويتنعم بها يستحق أن يقال عنه سعيد وهو يعيش مهيناً حقيراً مستعبداً؟

أمّا إذا وقع الوعد الإلهي بالنصر -وهو أمل كل المؤمنين- فضريبة هذا النصر تستحق كل هذا العناء بل وأكثر منه والله، لكنها رحمة الله تعالى.

إن من رحمة الله تعالى بهذه الأمة والله، وجود أمثال أمير المؤمنين ملّا محمد عمر الذي أحيا صوت السلف، وجهاد الآباء والأجداد، ومواقف الإيمان، وستبقى هذه الصورة للأجيال القادمة أملاً يصبو إليها كل من عرف قيمة الإيمان، وأهمية مواقف الرجال.

والله إنها منحة من الله تعالى، وما كان للمنح الإلهية أن تنزل إلا بالمحن، ووالله إنها طريق التمكين، وما كان للتمكين أن يكون إلا بابتلاء، فهل نسي أهل الإسلام هذا الذي سمعوه من الخطباء والمدرسين وقرؤه من كلمات السلف؟!

وأنا أريد أن أسأل بعض أصحاب القلوب الضعيفة سؤالاً: كيف تتصورون الجهاد؟ وكيف تتوقعون بناء دولة الخلافة؟ وكيف يحق لأحد أن يحلم بأن يكون عزيزاً مهيب الجانب من غير طريق الابتلاء والمحن والجهاد؟"[١] ا.هـ

ورحم الله أمير المؤمنين الملّا عمر فقد وضع النقاط على الحروف وهو يقول في أحد خطاباته:

"ومن كان يظن أن الدولة الإسلامية ستنعم بالسيادة من غير ابتلاء وتمحيص فهو جاهل لا يعرف سيرة النبي ﷺ" ا.هـ

لا يختلف اثنان في أن الصراع بين الحق والباطل، وبين أولياء الرحمن وفراعنة الشيطان صراع قديم يدور رحاه حول تحرير الإنسان، وأرقى منازل ذلك التحرير هي أن يتحرر الإنسان من عبودية العباد إلى عبودية ربّ العباد، وطاعته دون سواه من العباد.

فإذا كانت كل معارك الاستقلال والتحرر من العبودية للاستعمار التي خاضتها الشعوب المسلمة، قد خلّفت على سبيل المثال في الجزائر مليون شهيد، ومئات الآلاف من اليتامى، ومثلهم من الأرامل، وأضعافهم من الجرحى والمعوقين، فإذا كانت الشعوب تسترخص كل ذلك الثمن الفادح ليتمخّض عنه بعد ذلك دولة اشتراكية شعبية، أو ديمقراطية حرّة تستمد أحكامها وقوانينها وشريعتها من زبالات عقول البشر، فإذا كان ذلك كذلك لماذا يستكثر الناس على المجاهدين ذلك الثمن الفادح في سبيل التحرر من عبودية النظام الدولي الذي تهيمن عليه أمريكا، والذي يقف حجر عثرةٍ في سبيل تعبيد الناس لرب العالمين؟

دروسٌ عملية من دروس التوحيد الإيمانية:

مما لا شكّ فيه أن أكثر من تضرر من تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر هم الطالبان، وبالرغم من ذلك لم يُعرب الطالبان عن موصوف ولا صفة، ولم ينطقوا ببنت شفة بشجبٍ أو إدانةٍ أو استنكارٍ لهذه العمليات، بل ولم يُلقِ الطالبان ولو همساً باللائمة على الشيخ أسامة بن لادن –رحمه الله– ناهيك عن مساءلته، أو إحالته للقضاء لأنّه تسبب في كل تلك التداعيات المأساوية التي تعرّضوا لها، بل على العكس من ذلك، أصبح الشيخ أسامة بن لادن رمزاً لعزّتهم، وموضع فخرهم، وتضحيتهم من أجله بأغلى ما يملكون. وأصبحت تلك المواقف الرجولية المشرّفة –التي لم يشهد التاريخ لها مثيلاً التي وقفها أمير المؤمنين الملا عمر –رحمه الله– ورفاق دربه الميامين تجاه الشيخ أسامة بن لادن– مضرباً للمثل،

---

١) مقالٍ للشيخ أبي قتادة الفلسطيني بعنوان "الرؤية الشرعية لأحداث أمريكا".

ودروساً عملية من دروس التوحيد والإيمان وعزة الإسلام في كيفيّة التعامل مع الأحداث، وفي كيفية الصمود والثبات على المبادئ، يتوجّب علينا أن نتأملها ونتعلمها ونقف على مدلولاتها.

فبعد أيامٍ معدودة من الأحداث وجّه أمير المؤمنين الملّا عمر -رحمه الله- أول خطابٍ له إلى الشعب الأفغاني، يحثُّهم فيه على التوكّل على الله، والصبر والثبات، والتصدّي للعدوان، فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم أما بعد:

فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

إلى أمة الإسلام، وإلى الشعب الأفغاني الغيور:

هذه هي الإمبراطورية الثالثة تهجم علينا، كلكم على علم أن الإنجليز هجموا على أفغانستان، فبأي حق هجموا على أفغانستان؟ هل كان هناك أسامة؟ وكذلك هجم الروس على أفغانستان، هل كان هناك أسامة؟ وهذه هي الإمبراطورية الثالثة تهجم علينا، وكلكم على علم أن المسألة ليست قضية أسامة، وإنما هي قضية الإسلام، فهم يعادون الإسلام والمسلمين.

اعلموا أن المخرج من هذه الأزمة هو الاعتماد والتوكل على الله والصبر والثبات، فهذا هو الطريق الوحيد، فإذا هاجمتنا أمريكا بـ كروز أو غيره وهجمت على البلاد، فلا بد من مواجهتها والتصدي لها.

وإذا كان الله أراد هذا فلا بد أن يُقضى، والمخرج هو التوكل على الله والتصدي للعدوان، فعلى المسلمين أن يفكروا وينظروا إلى الإسلام وإلى حميّتهم الإسلامية، وأن لا يخافوا ولا يحزنوا، فلا بد من هذه المشاكل، والذي يموت من أجل دينه ومن أجل الإسلام فهذه لذة وسعادة تفوق كل لذة وسعادة في الدنيا، لأنه لا مفر من الموت، فإذا كان الموت من أجل الإسلام فذلك هو الفوز العظيم، فليثبت المسلمون، وليصبروا وليتوكلوا على الله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. فهل نعتمد على قول الله تبارك وتعالى، أم على قول أمريكا؟

وإذا كانت المشاكل لا بد منها أن تقع فلتقع، ومن الذي لا تأتي عليه المشاكل؟ الإنجليز والروس قتلوا الملايين من شعبنا ولكن الله أهلكهم بسبب تضحياتنا، وإن لم تضحوا وتغاروا على دينكم فانظروا إلى الدول في العالم، سُلب منهم إيمانهم وغيرتهم، وسُلب منهم كل شيء. لماذا نخاف ونحن الذين هُزمت إمبراطوريتا الإنجليز والروس بأيدي شعبنا ومُزِّقوا كل ممزق؟

أفغانستان هي أفغانستان السابقة، وغيرتها هي غيرتها السابقة، ودينها هو دينها السابق، وإيمانها هو إيمانها السابق، فما هو المشكل إذاً؟

إنه لا أكثر من أن يموت الناس فليموتوا لكن مع الإيمان والإسلام، فليس في هذا غضاضة، وإنما المصيبة الكبرى أن يُسلب منهم الإسلام والإيمان، ويموتوا بغير الإسلام والإيمان، فلا يخف أحد، وليكن كل واحد على استعداد للجهاد، وليُبْدِ كل منا استعداداً للقيام بأي عمل يكلّف به عند الحاجة، وأي تضحية دون إيمانه، ودون دينه، ودون كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله). فلينوِ كل أحد هذا وليعزم عليه، فالله ينصركم ويقضي على جميع الفتن والبلايا.



إنكم إن جبنتم، ولم تغاروا على دينكم، فعليكم أن تنظروا إلى تاريخ أجدادكم الأماجد، وانظروا إلى هؤلاء المعوقين الذين قُطعت أطرافهم في الجهاد ضد الروس، كيف غاروا على دينهم وكيف سووا الإمبراطورية الروسية بالأرض، وأنتم ترون المجاهدين وهم أحياء.

إن ما يحصل هو تدبير وإرادة من الله تبارك وتعالى، فلا تخافوا ولا تحزنوا ولا تلوموا الطالبان ولا أسامة، فأقسم بوحدانية الله أننا لو سلمنا إليهم أسامة لا تنتهي المشكلة، وسيقولون بعده لماذا فعلتم هذا أو ذاك؟ افعلوا هذا وافعلوا هذا كما نقول ونأمركم، فأين يكون إيماننا وديننا في تلك الحالة؟

هذه فقط وفقط هي الإمبراطورية الثالثة تفرض نفسها على العالم، يغريها بذلك ويزينه لها العلمانيون وضعاف الإيمان الذين يقفون بجانبها، بل وقف إلى جانبها من يُفترض أنهم أعداؤها، لقد وقف الجميع ضدكم.

فعلى كل مسلم أن يتذكر إيمانه ودينه ويثبت في جميع الأحوال، وإلا كان في قلق واضطراب ولا ينجيه ذلك من الموت لأن الموت لا بد منه. إنه يجب أولاً على المسلمين في جميع أنحاء العالم أن يغاروا على دينهم، ويذودوا عنه وعن أفغانستان، وأن يستعدوا لكل تضحية من أجل الإسلام، وإن لم يفعلوا فعلى شعب أفغانستان أن يثبتوا على إيمانهم وغيرتهم وشجاعتهم ويجددوا تاريخهم الجليل.

عندما هجم الإنجليز على أفغانستان، وعندما هجم الروس لم أكن أنا ولا أسامة بن لادن، وقد تصدى لهم الشعب الأفغاني بكل شجاعة، ودون أن آمرهم أنا أو أسامة بذلك، ولكن الشعب الأفغاني ضحّى وغاروا على دينهم وإيمانهم، وهذه الآن أيضاً حلقة من سلسلة هذه المواجهات، فيجب على كل مسلم أن يثبت، ولو كلفه ذلك حياته فهذا هو طريق الفوز، ولا شك في هذا وليعتمد كل مسلم على ربه، وليثق بقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

إن الإيمان ليس دعوى باللسان فقط (أن يقول أنا مسلم) دون أن يُخلص في هذا ويصدق، فلا بد من الإيمان الواقعي، وبعد الإيمان الواقعي يكون الفوز حليفك، وهذا وعد من الله تبارك وتعالى ولا يخلف الله الميعاد.

إنني لا أخاف ولا أداهن أعداء الإسلام والمسلمين، وسلطتي وحكمي ورئاستي حتى حياتي في خطر، وأنا مستعد لكل تضحية إن شاء الله. ولو أنني أداهن الكفار وأسالمهم مخالفاً للإسلام فسيؤمنون لي الإمارة والسلطة، ويمدونني بالمال، وأكون في سعة ورخاء كما يعاملون رؤساء سائر البلاد، ولكني أضحي حتى بنفسي، وأغار على ديني الإسلام، وعلى هذا الوطن المبارك، فما بال فرد من الأفراد العاديين الذين ليس عندهم ما يخافون عليه لا يغار على دينه ووطنه، ويخاف ولا يحضر الجهاد ويفر خارج البلاد؟ فما بالهم وليس عندهم ما يخافون عليه عجباً؟!

إن حكمي وسلطتي وحياتي كلها في خطر، ومع هذا أغار على ديني وأدافع عنه، فما بالك أنت لا تغار على دينك وتخاف؟ إن هناك ضعفاً وهواناً في إيمانك، فإن كنت مؤمناً حقاً يكون الإيمان عزيزاً عظيماً عندك، فعليك أن تضحي في سبيله.



إنني مستعد لكل هذه التضحيات إن شاء الله، فأعجب منك كيف لا تستعد ؟ فإن كان عندك إيمان أو غيرة فلتثبت وإلا فلا أبالي بك، ولا أستمع لك، ولماذا أستمع لك وليس عندك غيرة ولا إيمان؟ أنت تشير عليّ أن أفعل هذا وأدع هذا، فإن كان معك إيمان فلا تتنازل عن دينك وإيمانك، ولا تقبل بما فيه خطر على الإيمان والإسلام واستقلال الوطن، فإذا كنت تتنازل عن كل شيء وتقبل كل شيء فظاهر أن فيك ضعف إيمان، فيجب عليك أن تقوِّي إيمانك وتعيد النظر في منهجك، لأن الذي معه إيمان قوي ويريد أن يحافظ على إيمانه فلا يقبل أمراً يكون فيه خطر على الإيمان والإسلام.

فيجب على كل مسلم أن يفكر بعمق، ويغار على الإسلام والقرآن، فالله رؤوف رحيم وسوف يكرمنا بالفوز، والفوز الأكبر هو الموت على الإيمان بدون شك، وهذا هو طريق رفع راية الإسلام، وليس رفع راية الإسلام ولا رفع كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله في غير هذا الطريق. في غير هذا الطريق هدم الإسلام، لأن هدم الإسلام أن تقبل ما يقوله الكفار ويأمرونك به، فهذا هو طريق هدم الإسلام، وأنت بفعلك هذا سوّيت اسم الإسلام وقدره بالأرض. لا تسقط راية الإسلام بالموت والتضحية، وإنما تسقط بأن تقبل ما يخالف الإسلام ويكون فيه خطر على الإسلام.

عندما يكون هناك استنفار للجهاد فيجب على كل أحد أن يستعد. وأنا لا أقول لكم هذا من أجل الاحتفاظ بالسلطة والسيطرة، ففكروا جيداً. فلو كنت أريد مجرد البقاء في السلطة فيمكنني ذلك بالمداهنة في الدين والتنازل عن الإسلام لا قدر الله، فلو فعلت ذلك فسوف يحمونني ويمدونني بالأموال، حتى بالقوات العسكرية، وليس طريق البقاء في الحكم أن يستعد الإنسان للتضحية، وأنتم تعلمون أنني لا أقاتل من أجل الحكم والسيطرة، ولا أحرضكم لأجل ذلك، وإنما هذا أمر القرآن الكريم، فانظروا في القرآن الكريم بماذا يأمركم، وإلى أي طريق يهديكم؟

وصيتي لكم هو ما وصّاكم الله به في القرآن الكريم، فعلى كل مسلم أن يكون على يقظة في الأمور وألا يخاف، ولا تخدعكم وسائل الإعلام فتُضعف إيمانكم، والله يوفق جميع المسلمين إلى أن يثبتوا على الإيمان والإسلام، ومن الله التوفيق. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خادم الإسلام أمير المؤمنين / ملا محمد عمر مجاهد.

وفي خطابه التاريخي الذي استنصر به المسلمين والعلماء في كل مكان بعد أقل من شهر من الأحداث بتاريخ ١٦/٧/١٤٢٢هـ، الموافق ٣/١٠/٢٠٠١م، تحدّث أمير المؤمنين، الملّا عمر رحمه الله، فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل في محكم كتابه: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، والقائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ. إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

والصلاة والسلام على إمام المجاهدين، وقائد الغر المحجّلين نبينا محمد القائل: ﴿بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ﴾ رواه أحمد وأبو داوود.

أما بعد: فيا أمة الإسلام العظيمة، يا خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله.

أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، يا من آمنتم بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، أيها المسلمون جميعاً:

لا شك أنكم تتابعون بكل عناية واهتمام الحملة الصليبية السافرة التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية، بدعم دولي من بريطانيا ودول أوروبا النصرانية، وحلف شمال الأطلسي وروسيا والدول الشيوعية السابقة، ومن انضم إليهم من ملل الكفر والمرتدين وخبالة المسلمين، يجيشون الجيوش، ويحزبون الأحزاب ضد الإمارة الإسلامية في أفغانستان، لتحقيق أهدافٍ أعلنوا عنها في مقدمتها الإطاحة بالحكومة الإسلامية في أفغانستان، والقضاء على ما يسمونه قواعد الإرهاب.

ولا شك أنكم تدركون أن الأسباب التي يدعي هؤلاء أنها وراء حملتهم الصليبية هذه، ليست إلا مجرد ذريعة لتحقيق أهداف مبيته عندهم أخبرنا الله سبحانه وتعالى عنها في كتابه العزيز حيث قال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

إنهم يريدون أن يقضوا على هذه الدولة الإسلامية لأنها إسلامية، وإلا ففي أي شرع أو قانون تجوز معاقبة شخص لمجرد شبهة اتهام لم تثبت، فضلاً عن معاقبة أمة بسبب ذلك الشخص؟

إن مما اتفقت عليه الشرائع السماوية والقوانين الوضعية، أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته، ولكنهم يقاتلوننا لأننا أقمنا نظام حكم إسلامي مستقل، وهذا في الحقيقة أشد عليهم من الهجمات التي تعرضت لها نيويورك وواشنطن.

أيها المسلمون في العالم:

إنّ السؤال الآن لم يعد حول ما إذا كانت العمليات التي تمت ضد أمريكا صواباً أم خطأ، فالذي حصل حصل، أيده من أيده وعارضه من عارضه. إن السؤال المطروح الآن هو: ما هو واجب الأمة الإسلامية تجاه هذه الحملة الصليبية الجديدة على أفغانستان؟ وما هو حكم من يتولى هؤلاء الصليبيين، ويقف إلى جانبهم بأي نوع من أنواع الدعم والمساندة؟

إن مما أجمعت عليه الأمة الإسلامية، واتفق عليه الأئمة، أنه في مثل هذه الحال التي نحن فيها اليوم يُصبح الجهاد ضد هؤلاء الغزاة فرض عين على كل مسلم، لا إذن لوالدٍ على ولده، ولا لسيدٍ على عبد، ولا لزوجٍ على زوجه، ولا لدائنٍ على مدينه، لا خلاف في هذا بين العلماء. هذا عن حكم الجهاد ضد هؤلاء الغزاة، وواجب المسلمين في ذلك.

أما حكم من تعاون مع هؤلاء فقد بينه سبحانه أكمل بيان، يقول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَّ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُّ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾.

لقد بين الله سبحانه في هذه الآيات عدة أمور، منها:

١. النهي عن موالاة اليهود والنصارى ودعمهم ومظاهرتهم.
٢. أن من يتولاهم ويعينهم ويظاهرهم حكمه حكمهم.
٣. أن موالاتهم من خصال المنافقين وأخلاقهم.

وقد بين سبحانه أن موالاة المشركين تنافي الإيمان بالله ورسوله، فقال تعالى: ﴿تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُّ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهَّ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾. ومن هذه الآيات وغيرها أخذ العلماء أن مظاهرة المشركين على المسلمين ناقض من نواقض الإسلام، يحكم على صاحبه بالردة والخروج من الملة.

يا علماء الإسلام الكرام، ويا أيها الدعاة إلى الله في كل مكان:

إن واجبكم الأول هو الصدع بهذه الحقائق، لا تخافون في الله لومة لائم، فذلك مقتضى الميثاق الذي أخذه الله تعالى على أهل العلم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُّ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾، فبينوا للناس دينهم، وحرضوهم على الجهاد في سبيله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾.

ويا أيها التجار وأصحاب الأموال:

إن واجبكم الأول هو الإنفاق في سبيل الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَّ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾، وقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهَّ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُّ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُّ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

ويا شباب الإسلام:

إن واجبكم الأول هو الجهاد والاستعداد والضغط على الزناد، فقد قال تعالى:﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

ويا أيها المسلمون في كل مكان:

إن رسول الله ﷺ يقول: ﴿لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ، وفي لفظ: ﴿يُقَاتِلون عَلَى الحَقّ﴾ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ إلى قِيامِ السَّاعَةِ﴾. رواه مسلم. فهذا الحديث قسم الناس إلى ثلاث طوائف:

١. الطائفة المنصورة: وهم أهل الإسلام القائمون به المقاتلون عليه.

٢. الطائفة المخالفة: وهم اليهود والنصارى وأهل الكفر والردة وخبالة المسلمين.
٣. الطائفة المخذّلة: وهم من قعد عن نصرة الطائفة المسلمة وزين ذلك للناس.

وليس هنالك طائفة أخرى، فلينظر كل مسلم من أي هذه الطوائف هو. وفي هذا الحديث أيضاً أن هذه الطائفة المنصورة لا يضرها من خالفها من المشركين، ولا من خذلها ممن ينتسبون للإسلام، فهي منصورة لا محالة، ونحن على يقين من هذا النصر الذي وعدنا الله به في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، ولكن هذا النصر الموعود، مشروط بنصرتنا لدين الله، والإخلاص في ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، وقال: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، وعندما ينصرنا الله تعالى، فلا تستطيع أمريكا وحلفاؤها وأنصارها الوقوف أمامنا، قال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ﴾.

إن أمريكا وحزبها مهما أوتوا من قوة فإن قوتهم لا تساوي شيئاً بالنسبة لقوة القوي الجبار، فالله تعالى يقول: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، وقال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾.

إن جنود أمريكا لا تخيفنا أعدادها ولا عددها؛ لأننا من جند الله القائل: ﴿وَللهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾.

والقوة الاقتصادية الأمريكية لا ترهبنا، فالله تعالى يقول: ﴿وَللهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ﴾.

وميزانياتها الدفاعية لا تفزعنا، فالله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾.

وأنظمة الدفاع الأمريكية المتطورة لا تفت في عضدنا، فالله سبحانه يقول: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾، وقال: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَأُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾.

فيا أيها المسلمون:

ثقوا بنصر الله تعالى الذي وعدكم به، إن الله لا يخلف الميعاد، ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خادم الإسلام أمير المؤمنين /

ملا محمد عمر مجاهد.

رحمك الله يا أمير المؤمنين، فقد جعل الله في كل كلمة من كلماتك كنزاً وبحراً من الدروس والعبر. كلمات صدّقتها بمواقفك التي ناطحت الجبال، وحارت في عظمتها وجلالها عقول الرجال؛ مواقف العزّة والتضحية والصمود والثبات على ثوابت الدين، في زمانٍ عزّ فيه من عرف الحق فضلاً عمن يجهر به. مواقف ستظل مكتوبة بمداد من نور في ذاكرة التاريخ يستضيئ بها السائرون على ذات الطريق. مواقف ستظل حجّة على أئمة الضلال والتراجعات، ودعاة التنازلات وأنصاف الحلول، فقد كان من السهل عليك يا أمير المؤمنين أن تحتفظ بسلطتك وحكمك بالتمحّك في قاعدة المصالح والمفاسد فتطلب -على أقل تقدير- من الشيخ أسامة أن يغادر، لأن شعبك يُقتل ويُشرّد، وبلادك تُدمّر، والمساجد تُهدم، والأموال تُنهب، والأعراض تُنتهك، لكنك لم تفعل وآثرت رغم كل تلك المآسي أن تضحّي بملكك ودولتك، ضارباً بذلك أروع مثال في الولاء للمؤمنين، والبراءة من الكافرين، فعلّمت الأمّة درساً غالياً من دروس التوحيد الإيمانية، هو **أن الفوز الأكبر هو الموت على الإيمان، فالقضية هي قضية إسلام وكفر، ونحن بين خيارين اثنين لا ثالث لهما، كما قال عزّ وجلّ:**

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وهذا درس آخر من دروس التوحيد الإيمانية نتعلّمه من الملّا محمد حسن رحماني الذي كان والياً لقندهار، ونائباً لأمير المؤمنين الملّا عمر رحمهما الله جميعاً. وكان مراسل قناة الجزيرة أحمد زيدان، في لقائه مع الملّا محمد حسن، قد وجّه له السؤال الآتي:

"بالنسبة لقراركم بعدم إبعاد أسامة بن لادن، أو بتسليمه للأمريكيين، لكنتم جنّبتم الشعب الأفغاني كل هذه المآسي التي يعاني منها الآن، فهل أنتم نادمون على قرار عدم تسليم أسامة بن لادن؟ "

انظروا ماذا كان ردّ الملّا محمد حسن رحمه الله. قال:

" تعلمون جيداً بأن الطالبان مجاهدون يؤمنون بعقيدةٍ قوية وإيمانٍ راسخ، ويجاهدون من أجل ذلك. لذا كيف يُعقل بأن يندم المجاهدون على عدم تسليم أسامة بن لادن. إن من أساسيات عقيدتنا وإيماننا هو أن نحفظ كل مسلم من الكفر، وأن ننقذه من الكفر وأهله، إذ لا يعقل أبداً، ولا يمكن أن يساورنا أي تفكير بالندم على عدم تسليمه للعدو، فهو محل فخرنا واعتزازنا، ونحن نعتز بوقوفه في وجه الكفر وأهله، ومواجهة أعداء الإسلام. والشيخ أسامة وهكذا غيره من المسلمين، لا نقبل بتسليمهم إلى الكفر وأهله، ولا يمكن أن نسلم أي مسلم بأي حال من الأحوال، وهذا ما لن يحدث أبداً " [١] **ا.هـ**

وعن طبيعة العلاقة مع الشيخ أسامة وجّه مراسل قناة الجزيرة للملّا محمد حسن هذا السؤال:
"كيف علاقتكم مع أسامة بن لادن الآن؟ أين هو الآن؟ هل لكم علاقة معه؟ كيف علاقتكم مع تنظيم القاعدة؟ هل يشاركون في المعارك التي تخوضونها ضد القوات الغربية في أفغانستان؟".

فكان جواب الملا محمد حسن رحماني رحمه الله:

١) تفريغ لمقابلة الملّا محمد حسن رحماني -رحمه الله- مع مراسل قناة الجزيرة أحمد زيدان بتاريخ ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٨م.

"الشيخ أسامة من كبار المجاهدين، ولا يمكن أن نفشي سر مكانه، ولا أين يقيم بأي حال من الأحوال، ومن المعلوم بأن المسلم أخو المسلم، وكل المسلمين عوناً لبعضهم ويداً واحدة، مصدر قوتنا بوقوف المسلمين معنا، وكل المسلمين متعاونون معنا ونحن محتاجون إليهم، فالمسلمون يشاركوننا جهادنا بأموالهم وأبدانهم ودعائهم، ونحن محتاجون إلى وقوف كل مسلم. والشيخ أسامة في صحة وعافية، وراجون الله بأن يحفظه، وندعو الله أن يكلأه بحفظه، ويخيب أعداء الأمة في الوصول إليه وإلى مكانه" ا.هـ



الملّا محمد حسن رحماني – تقبّله الله



الملّا محمد حسن رحماني -رحمه الله- أثناء لقائه مع مراسل قناة الجزيرة أحمد زيدان

وهذا الملّا داد الله -رحمه الله- مثالٌ آخر لواحدٍ من أولئك الأشاوس الذين سطّروا بدمائهم عزّ ومجد هذه الأمة، لا تملك إلا أن تقف مشدوهاً أمام قوة موقفه مجيباً على أسئلة وجّهها له الصحفي أحمد زيدان مراسل الجزيرة، وهي:

ما هي طبيعة علاقتكم مع تنظيم القاعدة؟ وهل لديكم صلات بهم الآن؟

فأجاب الملّا داد الله رحمه الله:

"العالم كله يعرف أننا ضحينا بحكومتنا من أجل مجاهدي (القاعدة)، وهذه كانت فريضة إسلامية علينا، فكيف نفقد الصلة بهم؟ والآن نحن وإياهم في جبهة واحدة، وساحة واحدة ضد العدو المشترك، وسنبقى في هذه المعركة حتى النصر أو الشهادة بإذن الله. فهدفنا مواصلة الجهاد، فديننا واحد، وهدفنا واحد، وعدونا واحد أيضاً، وإن شاء الله سنبقى مع الإخوة في (القاعدة)، شيئاً واحداً حتى نُلحق الهزيمة بعدونا الصليبي المشترك" ا.هـ

ويسأله الأستاذ أحمد زيدان:

هل أنتم نادمون على مساندتكم لتنظيم (القاعدة) بعد أن خسرتم حكومتكم؟

فيجيب الملا داد الله رحمه الله:

"كلامنا هو كلام الشهيد حين يوضع في القبر فيقول: تمنيت أن أُحيا ثم أقتل مرة ثانية، وذلك للمشاركة في الجهاد ليستشهد مرة ثانية لما يرى من المكانة السامية التي يراها بسبب جهاده واستشهاده. ونحن نقول: ليتنا نستولي على الحكومة مائة مرة ثم نفقدها، ونضحي بأنفسنا من أجل هؤلاء المجاهدين من تنظيم القاعدة"[1] ا.هـ



الملّا داد الله -رحمه الله- أثناء لقائه مع مراسل قناة الجزيرة أحمد زيدان

١) التبرئة للشيخ الدكتور أيمن الظواهري

كذلك سُئل سفير طالبان السابق الملّا عبد السلام ضعيف وقيل له:

هل تشعرون بالندم بسبب موقفكم؟

فقال بكل ثبات وطمأنينة: **"لا لقد فعلنا مقتضى ما جاء في ديننا، وفعلنا كل ما بوسعنا، ولو قُدّر لنا أن تُعاد الأحداث ثانية لما تغير موقفنا أبداً" ا.هـ**

وهذا سؤال تم توجيهه من مركز الدراسات والبحوث الإسلامية للأخ محمد الطيب آغا مدير مكتب أمير المؤمنين الملا محمد عمر -رحمه الله- فانظروا ماذا كان ردّه.

س: *تردد في أوساط بعض الأفغان أن وقوف حكومة طالبان مع الشيخ أسامة بن لادن هو السبب في الحرب الأمريكية ضدها، وأنه كان يمكن تجنب هذه الحرب في حالة التّخلّي عن حمايته، فما رأي حركة طالبان في هذه المسألة؟*

ج: "نحن نعتقد اعتقاداً جازماً بأننا مستهدفون من قبل الكفر العالمي بقيادة أمريكا لسبب أساسي هو إعلاننا تحكيم شرع الله، ورفضنا التبعية لأية قوة كفرية، وكل الأسباب الأخرى التي يرددها الكفر نابعة من هذا السبب الأساسي، ولو كنا قبِلنا -لا سمح الله- بالتخلّي عن حماية الشيخ أسامة لما اكتفوا بذلك منا، فكانوا سوف يفتحون لنا موضوع حقوق الأنسان، وموضوع المرأة، وموضوع المخدرات التي قضينا عليها باعتراف الأُمم المتحدة،...الخ.

هذه حقيقة أكد عليها أمير المؤمنين مراراً، فرفض فتح باب التنازل أصلاً، لأن حقيقة هؤلاء قد أخبرنا الله عنها بقوله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾" ا.هـ

وبمثل هؤلاء -كما قال الشيخ عبد الله عزام رحمه الله- تقام الأُمم، وتحيا المبادئ، وتنتصر العقائد.

نجومُ سماءٍ كلما غابَ كوكبٌ ... بَدا كوكبٌ تأوِي إليهِ كواكبُه

وما زالَ منهُم حيثُ كان مسودٌ ... تسيرُ المنايا حيثُ سارت كتائبُه

أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ ... إِذَا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ المَجَامِعُ

مستخلصاً بعض الدروس من أحداث الحادي عشر من سبتمبر يقول الشيخ أبو قتادة الفلسطيني -حفظه الله- في مقالٍ له بعنوان "الرؤية الشرعية لأحداث أمريكا":

"لقد تعلمنا الكثير من هذه الأحداث، فقد تعلمنا:

١) أن الإيمان موقف، وأن الإسلام حالة، وأن الموقف والحالة تحتاج للضريبة والثمن، وما كان لشيء يستحق القيمة إلا بعد أن تبذل في سبيله الأرواح والمهج والتضحيات.

٢) تعلمنا أن الانتساب للسلف ليس تصوُّراً عقدياً بحتاً، بل الانتساب هو عمل وقول، فقد سقط الكثير من أولئك الذين قد ثروا بهذه النسبة كذباً وزوراً، وبان من كان يعبد الله على حرف، ومن هو مستعد أن يموت في سبيل الله وفي سبيل دينه.



٣) تعلمنا أن الزهد ليست حالة فردية شخصية، فلم نكن نعلم أبداً، ولم نقرأ في كتاب أن الزهد هو موقف دولة كذلك. كانوا يقولون إن الزهد في الدنيا يعين على طاعة الله، وأن الرغبة في الدار الآخرة تهوِّن عليك مصائب الدنيا، لكننا تعلمنا في هذه الأحداث أن زهد الدولة كذلك يجعلها تقف هذا الموقف، فلو كانت أفغانستان من تلك الدول التي رُفعت فيها البنايات المليئة بالزجاج والبلور، وفيها الناس في رغد وهناء، وكان حكامها لهم الأرصدة المتخمة في بنوك الغرب أكانت هذه الحركة تقف هذا الموقف الإيماني؟ لا والله، فحالة الزهد القدري الذي قدره الرب في أفغانستان هو الذي أعان حركة طالبان وزعيمها أمير المؤمنين ملا محمد عمر -رحمه الله- أن تقف هذا الموقف الإيماني. فلا نامت أعين من خاف ذهاب دنياه فضحى بدينه من أجلها.

٤) تعلمنا كيف يكشف الله ستر من كاد لدين الله تعالى، وأنّ المحن طريق كشفه، فمثل هؤلاء الشيوخ الذين أكثروا الفساد في الأرض، ومثل هؤلاء الحكام الذي غيّروا الدين وبدلوا الملّة ما عاد أحد يثق بهم، وما عاد أحد يستطيع أن يدافع عنهم، لأن رائحتهم قد فاحت، وقذارة أقوالهم ومواقفهم غطّت على محاولات الترقيع.

٥) علَّمنا الحدث أن قدر الله اقوى من قدرة البشر وأنّه مهما بلغت قدرة الطاغوت ومهما تبجح وتكبر فإن الله إذا قدّر أمراً أمضاه، لا يرده سلطان ولا إرادة فهو صاحب الأمر كله، فالله هو القوي المتين، وأن سحر الشيطان لا ينفذ إلا على عباده ممن يخشونه ويهابونه، وأما أولئك الذين يخشون الله تعالى فهم الذين لا يأبهون لسلطان ولا لعاتٍ مهما بلغ أمره وشأنه.

٦) علّمنا الحدث أن هذه الأمة أقوى من كل عوامل التعرية والإفناء، وأن في الزوايا خبايا، وأن ما يقرأه الناس عن الأوائل ليس ضرباً من الخيال، ولا أسطورة من الوهم، وأن عالم القيم والإيمان ما زال يُحدث أثره في الوجود، بل هو المؤثر الأول والقوي في حياة البشر وصناعة التاريخ، فإذا كان الناس يهربون من أمام النار والحريق، فإن لهذا الدين أبناء لا يحلو لهم إلا الطيران الى مظان الموت والشهادة، وأن النار لا ترهبهم بل هم يشتهون أن يكونوا وقودها ومسعريها.

٧) علّمنا الحدث أن هذه الأمة لا يستنفرها شيء سوى التحدي، وكلما كان الخصم أقوى وأوضح كلما كان تفاعل الأمة أقوى وأعظم" ا.هـ



الشيخ أبو قتادة الفلسطيني – حفظه الله

ملحمة تـورا بـورا:

كان الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله -بعد الغزوات المباركات على نيويورك وواشنطن، وحتى سقوط كابل في ١٣ نوفمبر ٢٠٠١م- يتحرك بين جبال تورا بورا، وأماكن وبيوت آمنة في مدينة جلال أباد، وفي العاصمة كابل وولاية لوجر، ومدينة خوست، وأحياناً كان الشيخ أسامة ومرافقوه وهم الشيخ الدكتور أيمن الظواهري -حفظه الله- والشيخ سليمان أبو الغيث -فكّ الله أسره- يفترشون الأرض، ويلتحفون السماء في السهول والوديان والشعاب. كذلك كان الأخ محمد رحيم الأفغاني -فك الله أسره[١]- من الإخوة الأفغان الثقات الذين كان الشيخ أسامة يعتمد عليهم في قضاء الكثير من الأمور، فكان من المرافقين الأساسيين في مثل هذه التحرّكات لما لوجوده من أهمية كبيرة في الحركة، وفي التواصل والاتصالات فهو من أهل البلد، وفي ذات الوقت من ولاية ننجرهار.

وكان الشيخ أسامة -رحمه الله- يتوقّع أن الطالبان سيصمدون فترة من الزمن، وأن منطقة تورا بورا بسلسلة جبالها المرتفعة الوعرة، وأشجارها العالية، ستكون بإذن الله مصيدة ومقبرة للغزاة الأمريكيين، غير أن إرادة الحكيم الخبير كانت غير ذلك، فسرعان ما بدأت مدن الشمال في التساقط في أيدي الصليبيين، حتى تبعها سقوط كابل في ١٣ نوفمبر ٢٠٠١م. وعلى إثر ذلك، انسحب أغلب الإخوة العرب وغيرهم من الأنصار جنوباً متوجهين نحو ولايات لوجر وخوست وجرديز في ولاية بكتيا. كذلك انسحب عدّة مئات من الإخوة واتّجهوا شرقاً نحو مدينة جلال أباد.

وقبل سقوط كابل بليلة واحدة كان الشيخ أسامة على موعدٍ مع الشيخ أبي سليمان المكي[٢] حفظه الله، وكان الأمريكان قد عثروا في إحدى السيّارات التابعة للشيخ أسامة -والتي كانت قد تُركت في أسفل تورا بورا- على شريط فيديو لهذا اللقاء، وفيه كان الشيخ أسامة يروي للشيخ أبي سليمان شيئاً من تفاصيل العمليات، وتوقعاته لما سيحدث للأبراج بعد الضربات. كذلك تناول الحديث قصّة الرؤيا التي كان قد رآها الأخ أبو الحسن الصعيدي في جلال أباد عام ١٩٩٦م. وكان الأمريكان قد دندنوا كثيراً على هذا الشريط، واعتبروه دليلاً دامغاً على مسؤولية الشيخ أسامة للعمليات.

وبعد انتهاء اللقاء مع الشيخ أبي سليمان المكي توجّه الشيخ أسامة ومرافقوه إلى جلال أباد، وباتوا ليلتهم تلك في أحد البيوت الآمنة. وفي صباح اليوم التالي نقلت وكالات الأنباء خبر سقوط كابل في أيدي قوات تحالف الشمال، فأمر الشيخ أسامة بالخروج من البيت والتوجه إلى مزارع الزيتون المحيطة بمدينة جلال أباد، وهناك انتظر الجمع حتى حلول الظلام، ثمّ أعطى الشيخ أسامة أوامره بالتوجّه إلى تورا بورا، وعند الوصول تُركت السيّارات في معسكر التركستانيين أسفل الجبل، وحمل كلٌ متاعه على ظهره ليكمل المشوار الذي يستغرق حوالي ثمانية ساعات سيراً على الأقدام صعوداً إلى أعالي تورا بورا، وكانت تلك هي المرة الثانية التي يصعد فيها الشيخ أسامة إلى هناك.

---

١) أسيراً في جوانتانامو مع مجموعة الكبار، الذين يعتبرهم الأمريكان أسرى ذو قيمة عالية، نسأل الله الكريم أن يعجّل بفكاك أسرهم جميعاً.

٢) من طلبة العلم الذين نفروا للجهاد الأول في أفغانستان، وكان له دورٌ بارز في الدروس والمواعظ التي كان يلقيها في الجبهات، وقد أصيب في جبهة جلال أباد إصابة سببت له شللاً نصفي فأقعدته. وبعد الأحداث، ومع أن الله قد عذره وحاول معه أقاربه كثيراً أن يبقى إلّا أنه رفض القعود، وأبى إلّا أن ينفر مرّة أخرى إلى أفغانستان، فلا نامت أعين الجبناء.



لقاء الشيخ أسامة مع الشيخ أبي سليمان المكي

وكان الشيخ أسامة قد وجّه كل الإخوة المتواجدين في جلال أباد والمنسحبين من كابل بالصعود سريعاً إلى جبال تورا بورا، حيث توزعوا في مجموعات على قمم الجبال، وبدأت كل مجموعة في اتخاذ الأسباب والتدابير القتالية اللازمة، من حفر الخنادق وتمويهها و...و...الخ.

وكان موقع الشيخ أسامة يكمن في قمّة عالية يوجد بها غرفة -كانت مأوى للمجاهدين الأوائل أيام الروس- مموهة بصورة جيدة تحت أشجار الصنوبر الكثيفة. وكانت مهمة التموين قد تولَى بها رجلٌ من خيرة الرجال من أهل المنطقة، اسمه معراج الدين. فكان رجاله يمدوننا بالماء والتموين بالغذاء، وينقلون الذخائر على ظهور البغال، وكانوا قد تولوا أيضاً مهمة حفر المزيد من الخنادق في أماكن متفرقة ومتباعدة في تلك السلسلة الجبلية. أيضاً كان رجال القبائل من نفس المنطقة يتوافدون علينا، فجاء بعضهم طالباً العمل كحفر الخنادق، وبعضهم جاء يريد رؤية المجاهدين والشيخ أسامة، ومنهم من جاء يريد تقديم المساعدة وواجب الضيافة.

وكانت أنظار الأمريكيين -بعد سقوط مدينة جلال أباد في ١٤ نوفمبر ٢٠٠١م- قد تحولت نحو سلسلة جبال تورا بورا، فقد كانوا يعلمون علم اليقين عبر منافقيهم أن الشيخ أسامة متواجدٌ فيها. وكانت طائراتهم التجسّسية يُسمع صوتها ليلاً ونهاراً حيث لم تترك موضع شبرٍ في تلك الجبال إلّا أشبعته مسحاً وتصويراً بأبعاده الثلاثة، ورغم ذلك فقد عزف قائد القوات الأمريكية، وجبُن عن اتخاذ قرارٍ باقتحام الجبل خوفاً من الخسائر الكبيرة التي كان من المتوقّع أن تتكبّدها قواته، وكان خياره المفضّل تقديم قوات عميلة من الأفغان بقيادة حجّي دين محمد وحضرة علي وحجّي محمد زمان، بعد التمهيد لها بقصف مجنون بطائرات ال بي ٥٢، وال أف ١٦، والأباتشي وغيرها، والصواريخ المخصصة لاختراق الكهوف، والقنابل زنة سبعة طن، وغيرها مما خفي علينا من أنواع الأسلحة.

وأكثر من مرّة حاولت قوات المنافقين اقتحام الجبل، وكان الإخوة بقيادة الشيخ الشهيد ابن الشيخ الليبي[١] رحمه الله -بما لديهم من إمكاناتٍ بسيطة وأسلحة خفيفة- يتصدون لهم بكل بسالة، فيرجعون خائبين خاسئين محمّلين بقتلاهم وجرحاهم.

وكانت طائرات ال "بي اثنين وخمسين" ترسم فوق سماء تورا بورا دائرة من دخانها المتكثف، كأنهم يقولون لنا أنتم محاصرون، سلموا أنفسكم. ولأكثر من ثلاثة أسابيع تواصلت تلك القصوفات ليلاً ونهاراً وكانت كلها في معسكر التركستانيين في سفح الجبل، وهو نفس المكان الذي حلّ فيه الشيخ أسامة أول مرة عندما قدم من السودان. وفي هذا الفترة من القصف المتواصل لم يقتل -بفضل الله وحده- سوى عدد يسير من الإخوة لا يتعدّى أصابع اليد الواحدة.



طائرة "بي اثنين وخمسين" ترسم دائرة من دخانها المتكثف فوق جبال تورا بورا

جديرٌ بالذكر أنّه في ظل هذه الأجواء المشحونة بالتوتر والترقّب والخوف تلقّينا جميعاً خبر مقتل زوجة الشيخ أيمن الظواهري وبنته الصغرى وابنه الوحيد محمد، إضافة إلى كوكبة من خيار الإخوة قتلوا مع عائلاتهم على رأسهم الشيخ نصر فهمي نصر المكنّى بمحمد صلاح. وعندما جئنا نواسي الشيخ الدكتور أيمن ونعزّيه في أهله وأحبّائه كان بعضنا يبكي، وكان هو يصبّرنا ويقول لنا هذا هو الطريق،

---

١) كان رحمه الله من الذين ساهموا مساهمة فاعلة في عملية التدريب في أفغانستان، فقد كان أميراً لمعسكر خلدن الذي كان يشرف عليه ويموّله أبو زبيدة الفلسطيني -فكّ الله أسره. وكان ابن الشيخ الليبي محبوباً لكل من عرفه، فقد كان ذو خلق دمث، وتواضع رفيع، وهمّة عالية. وكان الشيخ أسامة قد سلّمه قيادة العمل العسكري في تورا بورا، وكان له دورٌ كبير في صدّ هجمات المنافقين المتكررة على الجبل، وكان كذلك مشرفاً على عملية الانسحاب من تورا بورا، ولما وقع رحمه الله في الأسر كان معه مبلغاً كبيراً من المال، وساومه ضباط المخابرات الباكستانية على فكّ أسره مقابل المال، فاشترط ابن الشيخ أن يطلقوا معه كل الإخوة الذين معه فرفض الباكستانيون. وكان قد التقى في السجن مع الشيخ أبي يحيى الليبي -رحمه الله- وحكى له أن المحققين الأمريكيين سألوه: **هل أنت من القاعدة؟ قال: نعم أنا من القاعدة. فقال له الشيخ أبو يحيى فعلت هذا لتورط نفسك؟ فقال ابن الشيخ: "لا أنا لا أتبرأ من القاعدة أمامهم، القاعدة شرف، أنا لا أتبرأ منها، ولا أظهر بمظهر الخائف أمامهم، وأنا أفتخر بالقاعدة حتى ولو لم أكن في القاعدة**". وكان ابن الشيخ الليبي قد تنقّل بين عدّة سجون في أفغانستان عذّب فيها عذاباً شديداً، ثمّ حوّله الأمريكان إلى زبانية مصر، ومن بعدها إلى زبانية القذّافي الذين حاولوا أن يُجبروه على الدخول في برنامج التراجعات، لكنه رحمه الله رفض، فما كان من زبانية القذّافي إلا أن شنقوه في زنزانته، وادّعوا بعد ذلك أنه انتحر. فرحم الله الشيخ ابن الشيخ الليبي وأسكنه الفردوس الأعلى مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين.



وكان الشيخ محتسباً للأمر ويقول الحمد لله الذي اصطفاهم وأكرمهم بالخروج من هذه الدنيا بأسمى وسامٍ، وأعلى شرف ألا وهو الشهادة في سبيل الله. كذلك تلقينا نبأ مقتل الشيخ أبي حفص الكمندان مع نفر من خيرة إخواننا المجاهدين، نسأل الله أن يتقبّلهم جميعاً في أعلى عليين.

وبعد منتصف رمضان كان قصف الطائرات قد بدأ يقترب شيئاً فشيئاً نحو الأعلى، وكان مما لا شك فيه أن المنافقين المدسوسين أكدوا للأمريكان تواجد الشيخ أسامة على القمة، لذلك كان لا بدّ من تحرّكٍ سريعٍ لتأمين الشيخ أسامة ومرافقيه، وعلى إثر ذلك تحوّلوا جميعاً إلى الجبل الذي تعتبر قمّته أعلى قمّة في سلسلة تورا بورا، وكان يبعد عدّة ساعات مشياً على الأقدام من غرفة القيادة التي كان يتولاها الأخ البحريني عبد القدّوس[١].

وفي ذلك الجبل الذي انتقل إليه الشيخ أسامة، وليس بعيداً من قمّته كان الأفغان قد حفروا عدّة خنادق في أكثر من مكان، وسقفوها بجذوع الأشجار، وخُصصت هذه الخنادق لتكون مكان الشيخ أسامة ومرافقيه. وكان بعض الإخوة اليمنيين متواجدين أيضاً في نفس المكان. وكالعادة كان الأفغان يأتون إلى الموقع بالماء وكل الاحتياجات على ظهور البغال، وبطبيعة الحال لم نكن نعرفهم، ورغم ذلك لم يساورنا أي شك على أي أحد منهم، لكن كان لا بدّ من أخذ كل إجراءات الحيطة والحذر.

لم يمكث الشيخ أسامة في المكان الجديد سوى عدّة أيام حيث كان قد رأى رؤيا توجّس منها، فكان قد رأى عقرباً في خندقه. وفي صبيحة اليوم التالي طلب الشيخ أسامة من فريق الحراسة أن يشدّوا رحالهم قليلاً إلى الأعلى. وبالطبع لم تكن هناك خنادق محفورة في المكان، لكن كان هناك مكان جيِّد مغطّى بالأشجار من ثلاثة جوانب هيأناه ليكون مأوىً للشيخ أسامة ومرافقيه من المشايخ. ورغم أن الطقس كان بارداً جداً في تلك الأيام، والثلوج تغطّي المكان، إلا أن أكياس النوم العسكرية التي كانت معنا كانت من النوع المحشو بالريش، فكانت كافية لتقي أحدنا من البرد القارس.

وفي ساعة متأخرة من أول ليلة أو ثاني ليلة بعد الانتقال للأعلى -كانت ليلة الرابع والعشرين من رمضان- وأثناء نوبة حراسة كاتب هذه الصفحات، قصفت إحدى الطائرات أسفل منا -في نفس اتجاه خندق الشيخ أسامة الذي كان فيه- وكان صوت الانفجار هائلاً ومدوياً.

وفي صباح اليوم التالي تبين الخبر، فقد أصبح خندق الشيخ أسامة -رحمه الله- أثراً بعد عين. فحمدنا الله كثيراً على سلامة الشيخ أسامة، والشيخ الدكتور أيمن، والشيخ سليمان أبي الغيث، لكن كان هناك خبرٌ آخر، فقد استشهد أخٌ واحد كان نائماً في الخندق تلك الليلة، اسمه أسامة العدني (الزمبياكو). وسبحان الله كان هذا الأخ هو اليمني الوحيد مع إخوة جزائريين، وكان موقعهم يبعد بالتقريب خمسة إلى ستة ساعات مشياً على الأقدام من موقع خندق الشيخ أسامة المقصوف، ويشاء الله في ذلك اليوم أن تحرك الأخ من موقعه الأول ليكون في صحبة الإخوة اليمنيين، غير أن الله سبحانه وتعالى كان قد اصطفاه واختاره ليكون في جوارٍ خير من جوارهم، فهنيئاً له الشهادة. ومن فضل الله لم يُصب أحدٌ من الإخوة الأخرين بسوء، فقد كانت خنادقهم بعيدة عن الخندق المقصوف.

١) كان مدرباً في معسكر الفاروق في منطقة جهاد وال في ولاية خوست، وكان من الإخوة الذين شاركوا في عملية التدريب في الصومال. وبعد الانسحاب من تورا بورا لم نسمع له خبراً، وغلّب كثيرٌ من الإخوة الذين تعرضوا للقصف أثناء انسحابهم الظنّ بأنه قُتل. نسأل الله أن يتقبله في الشهداء إن كان ذلك صحيحاً، وأن يُحيطه بحفظه وعنايته إن كان غير ذلك.



الشيخ أسامة بن لادن والشيخ الدكتور أيمن الظواهري يتنقلون في أحراش وجبال تورا بورا



الشيخ أسامة يتحدث أمام مجموعة من الإخوة في تورا بورا عن فضل الشهادة في سبيل الله



وفي أواخر رمضان، كان الشيخ أسامة بالتشاور مع الإخوة قد اتخذ قرار الانسحاب من تورا بورا، ولعل السبب الرئيسي في ذلك القرار هو الحفاظ على الإخوة بسبب كثافة القصف، ولقلّة التموين والذخائر التي أوشكت على النفاد بسبب الحصار الذي فرضه المنافقون والعملاء على مداخل ومخارج تورا بورا. وبالفعل تم الاتفاق مع بعض أهل المنطقة لتهريب الشباب على مجموعات عبر الجبال إلى باكستان، وكان الشيخ أسامة قد كلّف ابن الشيخ الليبي -رحمه الله- لمتابعة عملية الإنسحاب. وكانت مجموعة حراسة الشيخ أسامة مع إخوة آخرين، هي أول المجموعات التي غادرت تورا بورا، وكان عددهم واحداً وثلاثين فرداً. وللأسف الشديد كانت هناك خيانات من بعض الذين تولوا عملية التهريب، فبدلاً من تهريب الإخوة إلى القرى السُّنية في منطقة وزيرستان بباكستان حسب المتفق عليه، تمّ تهريبهم إلى مناطق الشيعة -القريبة من مدينة بريشنار- الذين تظاهروا بضيافة الإخوة وحسن استقبالهم، وفي النهاية قاموا بتسليمهم وبيعهم للشرطة الباكستانية.

أما الشيخ أسامة والشيخ الدكتور أيمن الظواهري، والشيخ سليمان أبا الغيث، والشيخ بصير (ناصر الوحيشي)، والأخ الحبيب حمزة الغامدي، وأبناء الشيخ أسامة عثمان ومحمد، فقد انقسموا إلى مجموعتين، وبفضل الله خرجوا بسلام وأمان من دائرة الخطر.

وكان الذي تولّى عملية إخراج الشيخ أسامة من دائرة الحصار رجل اسمه نور محمد[١]. وكان هذا الرجل من أهل المنطقة، وكان مسئولاً مع رجاله عن جزء من دائرة الحصار المضروبة على الإخوة في تورا بورا، غير أن حبه للمجاهدين وكرهه للكافرين دفعه بأن يصعد الجبل ليقابل الشيخ أسامة، وهناك أخبره بأنه رهن إشارته، وتعهّد له بأنه لن يصل إليه أي ضرر من جانبه. وبالفعل وفّى نور محمد -رحمه الله- بعهده مع الشيخ أسامة، فكان هو الذي أنزله وأخرجه من دائرة الحصار في تورا بورا، وأسلمه لأيدي أخرى أمينة تولّت هي الأخرى خروجه من جلال أباد، وكان بطل تلك المخاطرة الكبيرة هو معلم أول جل رحمه الله.

جدير بالذكر أن الشيخ أسامة ومرافقيه -قبل سقوط مدينة جلال أباد- كانوا يأوون أحياناً لأيامٍ في بيت معلّم أول جل، وكان رحمه الله -عقب سقوط المدينة- قد تواصل مع الشيخ أسامة في الجبل، وذكر له بأن تحالف الشمال قد استبقاه في منصبه الذي كان يشغله -وهو قيادة لواء الدبّابات في جلال أباد- فهل يبقى في منصبه ويكون عيناً له يمدّه بالأخبار، أم يترك المنصب ويهاجر إلى باكستان؟ فأشار عليه الشيخ أسامة بأن يبقى في منصبه، ويخذّل عنهم ما استطاع. وبالفعل كان معلم أول جل -رحمه الله- يرسل للشيخ أسامة بالأخبار وآخر المستجدّات أوّلاً بأوّل.

وكان الشيخ بصير قد أخبرني أن معلّم أول جل هو الذي نقل بسيارته الشيخ أسامة بعد نزوله من تورا بورا، وعبر به بكامل هيئته ما يقارب الثلاثين نقطة دون تفتيش. وكان الشيخ أسامة أثناء الطريق يردد قول الله عزّ جل ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. وكان الأفغان المرافقون للشيخ أسامة غير مصدّقين لما رأوه بأم أعينهم، واعتبروا ذلك كرامةً من الله لولي من أوليائه.

١) اغتيل -رحمه الله- في بيشاور لمساعدته للشيخ أسامة بالخروج من تورا بورا.

وعندما استتب الأمر للأمريكان تبيّن لهم ما قام به معلم أول جل -رحمه الله- في عملية تهريب الشيخ أسامة، وبناءً عليه تم أسره وترحيله لمعتقل جوانتانامو.

وكان لنجاة الشيخ أسامة من دائرة الحصار في تورا بورا وقع سيئ في نفوس الأمريكيين، فقد كان الرجل في متناول أيديهم، وما هي إلا ساعات حتى ينالوا منه كما كانوا يظنّون، ولكن خيّب الله ظنونهم، وجعلهم يتحسّرون على تفويتهم لتلك الفرصة، ويلقون باللائمة على قائد العمليات الذي جبن على اقتحام تورا بورا، وأوكل هذه المهمة إلى قوات النفاق والردّة التي كان يقودها حجّي دين محمد وحجّي زمان وحضرة علي أخزاهم الله.

وجدير بالذكر أن الشيخ أسامة رحمه الله -أثناء حصار تورا بورا- كان قد أرسل برسالة نصيحة وإشفاق لحجّي دين محمد، يذّكره فيها بالله -عسى أن تنفعه الذكرى- بأنه كان يوماً من الأيام من الذين يجاهدون أعداء الله الروس الملاحدة، فكيف يقاتل اليوم في صفّ الصليبيين إخوانه المسلمين. وكان ممّا قال له في تلك الرسالة: "**إنّ أباك قد سمّاك دين محمّد، ولم يسمّك دين بوش**".

وجزى الله الشيخ أسامة خير الجزاء بهذه النصيحة الغالية، فقد أدّى ما عليه، وقام بواجب النصح، وأسمع لو نادى حيّاً ولكن لا حياة لمن ينادي.

وفي رسالته لأهل العراق بعنوان "بشائر وتذكير وتحريض ومؤآزرة" بتاريخ ١١ فبراير ٢٠٠٣م، يروي الشيخ أسامة جزءاً من تفاصيل معركة تورا بورا، فقال رحمه الله:

"تلك المعركة العظيمة التي انتصر فيها الإيمان على جميع القوى المادية لأهل الشر، بالثبات على المبدأ بفضل الله سبحانه وتعالى، وسأذكر لكم طرفاً من تلك المعركة العظيمة، للتدليل على مدى جبنهم من جهة، ومدى فعالية الخنادق في استنزافهم من جهة أخرى.

فقد كان عددنا يصل إلى ثلاثمائة مجاهد، وكنا قد حفرنا مائة خندق منتشرة في مساحة لا تزيد عن ميل مربع، بمعدل خندق لكل ثلاثة اخوة، حتى نتلافى الإصابات البشرية الكبيرة من القصف، وقد تعرضت مراكزنا منذ الساعة الأولى للحملة الأمريكية -في العشرين من رجب لعام ألف وأربعمائة واثنين وعشرين للهجرة الموافق السابع من أكتوبر لسنة ألفين وواحد ميلادية- لقصف مركز، ثم استمر ذلك القصف بشكل متقطع إلى منتصف رمضان، وبعدها في صبيحة السابع عشر من رمضان بدأ قصف شديد جداً، وخاصة بعد ما تأكدت القيادة الأمريكية بوجود بعض قيادات القاعدة في تورا بورا، بما فيهم العبد الفقير والأخ المجاهد الدكتور أيمن الظواهري، وأصبح القصف على مدار الساعة، فلم تكن تمر علينا ثانية بدون طائرات حربية فوقنا ليلاً أو نهاراً، حيث تفرغت غرفة قيادة وزارة الدفاع الأمريكية، مع جميع القوى المتحالفة معها لنسف وتدمير هذه البقعة الصغيرة وإزالتها من الوجود. فكانت الطائرات تصب حممها فوقنا، وخصوصاً بعد أن أنهت مهماتها الأساسية في أفغانستان، وكانت القوات الأمريكية تقصفنا بالقنابل الذكية، والقنابل ذات آلاف الأرطال، والقنابل العنقودية، وكذلك كانت القنابل الخارقة للكهوف، وقد كانت قاذفات القنابل كطائرات "بي اثنين وخمسين" تحوم الواحدة منها لأكثر من ساعتين فوق رؤوسنا، وترمي في كل دفعة من عشرين إلى ثلاثين

قنبلة، وكانت طائرات السي مائه وثلاثين المعدلة، ترمينا ليلاً بالأبسطة المتفجرة، وغيرها من القنابل الحديثة.

ورغم ذلك القصف الهائل، مع الإعلام الدعائي الرهيب الذين لم يسبق لهما مثيل على مثل هذه البقعة الصغيرة المحاصرة من جميع الجهات، بالإضافة لقوات المنافقين التي دفعوها لقتالنا لمدة نصف شهر متصل، والتي صددنا موجاتهم اليومية كلها بفضل الله سبحانه وتعالى، وأرجعناهم في كل مرة مهزومين يحملون قتلاهم وجرحاهم، رغم ذلك كله ما تجرأت القوات الأمريكية على اقتحام مواقعنا، فأي دلالة أظهر من ذلك على جبنهم وخوفهم، وكذبهم في أساطيرهم المدعاة لقواهم المزعومة.

خلاصة المعركة: الفشل الهائل الذريع لتحالف الشر العالمي بجميع قواه على مجموعة صغيرة من المجاهدين، على ثلاثمائة مجاهد في خنادقهم داخل ميل مربع، في درجة حرارة بلغت عشر درجات تحت الصفر، وكانت نتيجة المعركة إصاباتنا في الأفراد بست في المائة تقريباً، نرجو الله أن يتقبلهم في الشهداء، وأما إصاباتنا في الخنادق فكانت بنسبة اثنين في المائة والحمد لله.

فإذا كانت جميع قوى الشر العالمي لم تستطع أن تحقق مرادها على ميل مربع بعدد بسيط من المجاهدين بإمكانيات متواضعة جداً، فكيف يمكن لهذه القوى الشريرة أن تنتصر على العالم الإسلامي، فهذا محال بإذن الله إذا ثبت الناس على الدين، وأصروا على الجهاد في سبيله". ا.هـ



القصف الجوي على تورا بورا

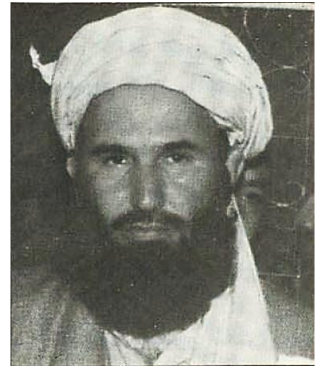
معادن الرجال:

لقد كشفت لنا ملحمة تورا بورا معادن الرجال، فقد عاشرنا رجالاً لم تربطنا بهم من قبل أي معرفة أو علاقة سوى أخوة الإسلام، ونِعِمّ بها من أخوة، فقد حللنا في بلادهم وفي ديارهم، وهم يعلمون أن طائرات أمريكا وقنابلها وصواريخها تتعقب آثارنا حيثما حللنا، ورغم ذلك فتحوا لنا بيوتهم، ورحبّوا بنا في بلادهم، وعرّضوا نساءهم وأبناءهم وأنفسهم بسببنا إلى خطرٍ عظيم. فهذا معراج الدين الذي قام على خدمتنا، وقدّم لنا كل ما يستطيع، تواصل معه التحالف الصليبي عبر المنافقين، وساوموه على التعاون معهم لكنه رفض، ولم يبع دينه بعرَضٍ من الدنيا، فقصفوا بيته وقتلوا على إثر ذلك سبعة عشر فرداً من أفراد عائلته، ولم تنجوا من القصف إلا أمّه العجوز، وعندما جئنا نعزيه كان بعضنا يبكي، وكان هو يقول: "**ماشي مشكلة أهم شيء أن الشيخ أسامة بخير**".

وعندما نزل الشيخ أسامة لينسحب من الجبل، قابله معراج الدين في أسفل الوادي، فبكى عندما علم أن الشيخ أسامة سيخرج من تورا بورا، وظل يردد: "**عارٌ على الأفغان خروج العرب من أفغانستان، عارٌ على الأفغان خروج العرب من أفغانستان**". أسأل الله العظيم أن يتولاه بحفظه إن كان حياً، وأن يتغمّده بواسع رحمته إن كان غير ذلك.

كذلك أذكر أن رجلاً مسنّاً، كان يأتي إلينا بين حينٍ وآخر بكمية كبيرة من ثمر الجوز (نوع من أنواع المكسرات)، فجزاه الله عنا خير الجزاء. وذات مرّة في أواخر شهر رمضان، أوى الشيخ أسامة في قرية صغيرة من قرى المنطقة في بيت أحد الأفغان، وعندما أراد الشيخ أسامة مغادرة المكان طلب منه صاحب الدار أن يكتب له ورقة لكي يحتفظ بها مفتخراً لأبنائه وأحفاده أن الشيخ أسامة بن لادن قد آوى إلى بيته يوماً من الأيام. وبالطبع لم يخيب الشيخ أسامة طلب الرجل، فكتب له شاكراً ومقدراً ضيافته وكرمه.

وفي المقابل رأينا مسخاً باعوا دينهم وإخوانهم بعرض من الدنيا قليل، فوقعوا في الكفرٌ البواح والردّة الصراح، كانوا بالأمس -كحجّي دين محمد، وحضرة علي، وحجّي زمان- محسوبين على المجاهدين، يقاتلون الروس الملاحدة تحت راية الإسلام، لكنهم اليوم يقاتلون المجاهدين تحت راية الصليب. جاء في صحيح مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ﴿بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا﴾. فأي فتنة سقط فيها هؤلاء، نسأل الله العافية والثبات.


حجي دين محمد - أخزاه الله


حجّي زمان - أخزاه الله


حضرة علي - أخزاه الله

ملحمـــــــــة قلعـــــــة جنكــــــــي[1]:

كانت جميع الفصائل المناوئة لطالبان بعد سقوط كابل في أيديهم في ٢٧ سبتمبر عام ١٩٩٦م قد توحدت تحت مسمى تحالف الشمال، وكان الطالبان قد دخلوا مع هذا التحالف في صراع مرير، ومعارك كرٍ وفرٍ أسفرت بعد تضحياتٍ كبيرة على سيطرة طالبان على معظم ولايات الشمال. ومع بداية الحرب الصليبية بقيادة أمريكا في ٧ أكتوبر ٢٠٠١م، لم يبق مع التحالف الشمالي إلا ولاية بدخشان ووادي (بنشير).

وكان أمير المؤمنين الملا محمد عمر -رحمه الله- في أواسط عام ٢٠٠١م، قد أمر بتشكيل لواء من جميع المجاهدين غير الأفغان -من العرب والباكستانيين ومجاهدي وسط آسيا- ليباشر مهام قتالية في شمال أفغانستان في ولاية قندوز وتخار، ووقع اختيار أمير المؤمنين على المسؤول العسكري للأوزبك؛ القائد الكبير جمعة باي -تقبّله الله- لرئاسة وإدارة ذلك اللواء الذي أُطلق عليه أسم اللواء (٢١)، ورُبط بالقيادة العسكرية لجيش الطالبان (كولو أوردو).

وكان أمير المؤمنين الملّا عمر -رحمه الله- قد علق آمالاً كبيرة على ذلك المشروع، ودعمه بكل ما أوتي من إمكانيات. وكان عدد المشاركين في ذلك اللواء يزيد على ألف ومأتي مجاهد من غير الأفغان. وبطبيعة الحال استعان جمعه باي في إدارته العسكرية لذلك اللواء بنخبة من الإخوة القادة من العرب والباكستانيين والتركستانيين.

ومع بدايات الهجوم الأمريكي على أفغانستان، قدر الله أن تسقط قذيفة طيران في منطقة قرب مزار شريف -قبل سقوطها- على نقطة تجمّع للمجاهدين من ذلك اللواء ليستشهد جمعة باي مع ١٢ من أبرز قادة اللواء من العرب والأوزبك، رحمهم الله جميعاً[2].

وهنا نترك الشيخ عبدالهادي العراقي[3] (نشوان عبد الرزاق عبد الباقي) -فكّ الله أسره- ليروي لنا تفاصيل تلك الملحمة التي وقف فيها العالم مشدوهاً على شجاعة وصلابة أولئك الرجال، الذين سطّروا بدمائهم وأشلائهم مواقف أشبه بالخيال، يعجز القلم أن يجد لها ما يناسبها من القول سوى قول الله عزّ وجلّ: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.

---

١) القصّة كلها من رواية الشيخ عبد الهادي العراقي، فكّ الله أسره. بتصرّف.

٢) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرف.

٣) الشيخ عبد الهادي العراقي، كان واحداً من القادة العسكريين الميدانيين البارزين في تنظيم القاعدة، وكان الشيخ أسامة قد عيّنه أميراً لكابل، كذلك كان هو المسؤول العسكري عن الإخوة العرب في خط كابل. وبعد احتلال الأمريكيين للعراق طلب الشيخ عبد الهادي مبكّراً من القيادة الإذن بالذهاب إلى العراق لقتال الأمريكيين في مسقط رأسه، وصبر حتى جاءه الإذن بالسفر. وقبل أن يدخل العراق تمّ أسره عام ٢٠٠٧م في تركيا، ثمّ ما لبث أن سلمته تركيا إلى القوات الأمريكية المحتلة في العراق، ومنها إلى جوانتانامو في كوبا. نسأل الله أن يعجّل فكاك أسره وجميع أسرى المسلمين.



يقول الشيخ عبد الهادي، فكّ الله أسره:

"ملحمة قلعة جنك.. الملحمة المنسية.. ملحمة الشهداء.. ملحمة الشهداء المنسيين.. شهداء قلعة جنك المجهولين.. أبطال رفضوا الهوان..

حقيقة احترت في اختيار عنوان لهم يعبّر عما قاموا به من بطولة ورفض للهوان والذل الذي يمكن أن يتعرضوا له لو بقوا أحياء. فهم ليسوا كباقي القطعان الحية يسوقهم أعداء الله بالعصا وهم راضخين أذلاء، مقابل البقاء أحياء متمتعين بزيف الدنيا.

كنت أميرهم، ولكن أقدار الله شاءت أن أبتعد عنهم في اللحظات الحاسمة الصعبة، وهي ليست المرة الأولى التي أراها بعيني، فالشهادة اختيار واصطفاء من الله.

عدة شهور مضت على اتخاذ قرار المشاركة في جبهات شمال أفغانستان، فاخترت المجموعة الأولى من المجاهدين الذين أمضوا فترات طويلة في جبهة شمال كابل، فشكلت منهم مجموعة طيبة صابرة لا توصف بعطائها وبذلها.

أسود جميعهم، لا تكاد تفاضل أحدهم على الأخر، وحسبنا أنهم ذهبوا إلى جوار رحمن رحيم كريم في أشرف ساحات الوغى وميادين الرجال، ضد أعداء الله من الأمريكيين والمنافقين.

كانت الحملة الصليبية الأمريكية قد بدأت على أفغانستان بعد عمليات مركز التجارة والبنتاغون البطولية، التي رد فيها المجاهدون بقوة على الاستعلاء الأمريكي، واحتلالهم للمقدسات الإسلامية، وإعانتهم لليهود ضد إخواننا الفلسطينيين. وكان القصف قد اشتد على مزار شريف خصوصاً لفسح المجال أمام قوات دُوستم وحلفائه الهزارة (الشيعة) وغيرهم للسيطرة على المدينة والمطار، لعمل موطئ قدم ينزل فيه الأمريكان لتوسيع عملياتهم لاكتساح مواقع الطلبة الصامدة إلى تلك الأيام أمام القصف العنيف والهجمات الشرسة، حتى أنهم -الأمريكان- تحيّروا وكادت خططهم أن تفشل، وأصيبوا بالإحباط لولا التطورات اللاحقة التي حصلت وحيرت المراقبين، بل وغالبية الطلبة أنفسهم ومن كانوا يشاركونهم الدفاع عن دولة الشريعة والقرآن.

وكانت أوامر أمير المؤمنين لازالت واضحة قوية: (اصمدوا واجتهدوا في الدفاع عن مواقعكم إلى أخر رجل. وأن الحياة ليست ملكاً لبوش، الذي يهدد بسلبها ممن سيبقى ويصمد).

بدأ القصف يزداد عنفاً لحظة بعد لحظة، وبدأت المعنويات تنهار شيئاً فشيئاً، فالقصف العنيف أخذ يتضاعف، وبدأ ينتشر على كل جبهات مزار شريف، ويمتد إلى خارج مركز قندهار، إلى القرى المحيطة بعاصمة أمير المؤمنين ومخزن قواته، بحجة أن هناك مواقع مشبوهة ممكن أن يتواجد فيها أمير المؤمنين والشيخ أسامة بن لادن. وبدأت أعداد الضحايا المدنيين في ازدياد، على عكس الضحايا في الجبهات فقد كانت نسبتهم قليلة جداً إذا قورنت مع شدة القصف. ودخلت أخيراً قنابل زنة ٧ طن و٨ طن التي تأتي على سقف الأسلحة التقليدية قبل مرحلة القنبلة النووية، وأصيبت نفسيات الطلبة بالضعف الشديد وهم يرون الأهوال من تلك القنابل، وتم الانسحاب من مزار شريف بدون ترتيب وبلا سابق إنذار، وبعدها صدرت الأوامر بالانسحاب من جبهات تخار التي كان الإخوة العرب موجودين فيها، وهم محور قصتنا هذه.



كانت مواقع لواء المجاهدين[1] (وهم يزيدون عن ١٢٠٠ مجاهد، شكّلهم أمير المؤمنين من المجاهدين غير الأفغان قبل عدة شهور) تمتد من ضفاف نهر جيحون على مركز مديرية خوجة غار (وخط الجبهة يمتد من هناك إلى تخار وفيه الإخوة الطلبة). وكان القائد العسكري لشمال أفغانستان الملّا فضل -حفظه الله- قد أصدر أمراً بالانسحاب من مقدمة جبهة تخار والعودة إلى قندوز (التي تبعد حوالي ٧٠ كم عن طالقان مركز ولاية تخار) لتقليل الخسائر وتنظيم الصفوف، خصوصاً أن الشمال -بعد سقوط مدن مزار شريف وسمنجان وبول خمري وبعدها باميان بأيدي قوات التحالف الشمالي الموالي للأمريكيين والصليبيين- كان قد انفصل عن القيادة المركزية للطالبان في جنوب أفغانستان، وحدثت فوضى واضطراب شديدين في صفوف الطالبان، على الرغم من نداءات أمير المؤمنين المتكررة بالصمود والدفاع، وكلمته المشهورة التي رددها: [إما الحياة بعزة وغيرة على دين ومحارم الله، أو الموت والشهادة (زندي به غيرت يا مرگ به شهادت)].

في البداية -في ضوء المعنويات المرتفعة- رفض الإخوة في اللواء الانسحاب، فهم وعلى مدى يومين سابقين كانوا قد صدوا عدة هجمات للعدو، أخرها استمر لمدّة ١٢ ساعة متواصلة لم يستطع العدو التقدم شبراً واحداً على الرغم من القصف المدفعي الثقيل الشديد، والدعم الجوي الكبير للطيران الأمريكي الصليبي. وإلى أن أقنع قادة الطلبة الإخوة بالانسحاب، كان قد مر على انسحاب بقية قطعات الطلبة أكثر من نهار كامل، ومع هذا تأخرت مجموعة يتراوح عددها بـ ٢٥ أخاً عربياً رفضت الانسحاب إلى ما بعد يومين من استكمال انسحاب الجميع، طبعاً حاصرهم العدو، ولكن لم يستطع اقتحام مواقعهم.

وكان خط الانسحاب من خوجة غار إلى دشت آرجي وإلى قندوز مكشوفاً، يمر بمنطقة تلال صعبة قاحلة من أي أشجار، وطوال الطريق كان الطيران يقصف الآليات، ولكن لم تحدث أية خسارة على الإطلاق بتوفيق الله وحفظه.

وحين استقرت هذه القوات كلها حول مدينة قندوز كانت قوات التحالف الشمالي قد أطبقت الحصار على المدينة، فمن ناحية كانت قوات جلام جم -دُوستم والهزارة- قد وصلت من مزار شريف، وقوات شورى نظار -والتي كان قائدها المشهور مسعود قد اغتيل قبل أسابيع- تحاصر المدينة من ناحية أخرى، وكانت المنافسة شديدة بينهم، فمن يدخل المدينة أولاً سينال الحظوة والأموال والمكافأة. وكانت قوات دُوستم محسوبة على الأمريكان، وقوات شورى نظار تتلقى دعمها الكامل من روسيا وإيران، وكان الطرفان يتمتعان بدعم جوي أمريكي مباشر.

رمى دوستم -الجنرال الشيوعي السابق- ثقله كاملاً لإجراء مفاوضات لدخول قندز سلماً، وعرض على الطالبان الاستسلام مقابل العفو وإيصال المقاتلين إلى أماكن سكناهم. وكانت هناك ضغوط شديدة من أهالي المنطقة لخروج الطالبان أو استسلامهم لتجنب مناطقهم الدمار من جراء القصف الجوي الذي لا يميز بين قطعة عسكرية وبين قرية أو تجمع سكاني مدني. كذلك كان دُوستم قد زاد في الحاحه على الطالبان بالتسليم مقابل ضمانات كثيرة ليسبق

---

[1] نفس اللواء الذي شكّله أمير المؤمنين.

خصمه محمد فهيم قائد شورى نظار، ويدخل قندوز ويضيفها إلى مناطق نفوذه، ليُقوّي بها موقعه ومكانته عند أسياده الأمريكان.

لا ندري ما جرى حقيقة في المفاوضات، فقد حصل الاتفاق فجأة على خروج غير الأفغان من هناك والتوجه إلى مزار شريف للحفاظ عليهم ابتداءً، وعند وصولهم إلى هناك يُستكمل تسليم بقية قوات الطالبان لقوات دُوستم. وانطلقت السيارات الشاحنة تقل ٣٥٠ مجاهد، منهم ١٥٤ أخ من العرب، مع ١٠٠ أخ من الأوزبك والطاجيك، والبقية من المجاهدين الباكستانيين، وقليل من الطالبان. وكان في صحبة الشاحنات ٤ سيارات صغيرة من قوات دُوستم، ومن أفراد الكمندان ناصر خروي البشتوني بالتحديد كأمان لهم ودليل.

وخلال الطريق لم يعترض الشاحنات أحد، وحين اقتربوا من مدينة مزار شريف كان الليل قد اقترب من نهايته، وبدأ الدليل يخفّض من سرعة السيارة، إلى أن توقف قائلاً: "إنّ وجهتنا إلى بلخ الواقعة خلف مدينة مزار شريف، وهناك طريقان أحدهما طويل يلتف حول مزار، والأخر قصير يخترق المدينة ولكنه خطر لأن هناك قوات من الهزارة، وهم لا يطيعون لنا ونخاف أن يتعرضوا لكم وتكون هناك مشاكل، ولكن الطريق الطويل خطر أيضاً لأننا نريد أن نوصلكم إلى بلخ بدون علم دُوستم، وإذا طلع النهار ممكن استخبارات دُوستم تكشف الموضوع ويعرقل الأمر، فلهذا سنرسل سيارة لتأمين طريق المدينة، ثم تعود لتسير بالقافلة.

المهم تحركت السيارة باتجاه المدينة بسرعة، وبعد ساعة تحركت السيارة الثانية بحجة أن الأولى تأخرت، وعند بزوغ ضوء النهار تحركت الثالثة، وبعدها بقليل الرابعة لاستكشاف الأمر. بدأ الشك يزداد عند الإخوة، نظروا حولهم فإذا هم في منطقة سهلة ليست فيها أي تضاريس أو وادي أو مرتفع، وفجأة سمعوا صوت مدرعات تتجه صوبهم، أمعن الذين في المقدمة فإذا هي فعلاً مدرعات ولكنها لا تسير باتجاههم مباشرة، بل قسم منها ينحرف بعيداً إلى اليمين، والأخر بعيداً إلى اليسار.

تشاور المسؤولون بسرعة، وقرروا تشكيل خط دفاعي دائري، يكون العرب في المقدمة، والأوزبك على الجناحين، والباكستانيون يحمون المؤخرة. وفعلاً وبسرعة تنم عن خبرة قتالية توزعت الأعداد، وأخذ المجاهدون أماكنهم، وكانت الأسلحة لحد الآن لم تسحب منهم، عندها كانت قوات العدو قد استكملت حصار المنطقة كاملاً، تخندق الإخوة، وسحبوا أقسام[1] الأسلحة استعداداً لأي طارئ.

بدأت إحدى السيارات التي كانت قد غادرت لترتيب أمر عبور المدينة تتجه بسرعة إلى مركز تواجد الإخوة، تركها الإخوة تقترب، نزل مسؤولها وهرول إلى مسؤول المجموعات وكان الخوف يملأه.

المهم أن الأفغاني بدأ مهتماً بتهدئة الإخوة قائلاً إن الأمور بخير، ولكن هناك مشكلة بسيطة وهي أن الجنرال دُوستم قد عرف الأمر، وهو يصر على أن يذهب الجميع لمراكزه

---

١) سحب أقسام السلاح يعني وضع الطلقة في بيت النار استعداداً للاشتباك.

ليحافظ عليهم، فقط عليهم الآن تسليم أسلحتهم. طبعاً انتفض الإخوة، فكيف يكون ذلك؟ حتى هذه اللحظة لم يستطع المنافقون الاقتراب منهم وقد صد الإخوة العديد من هجماتهم المدعمة بالقصف الأمريكي الصليبي العنيف، وعندما رأي الدليل الأفغاني إصرار الإخوة على عدم تسليم الأسلحة اقترح عليهم أن يتصلوا بالملّا فاضل في قندوز ليأخذوا منه التعليمات، وكان الإخوة قد نصبوا المخابرة في الميدان.



الملّا محمد فاضل – حفظه الله[١]

المهم بعد انتهاء اتصالهم بنا تكلموا مع ملا فاضل وطلب منهم الرضوخ لمطالبهم، وتسليم الأسلحة للحفاظ على بقية الطلبة الموجودين في قندوز، قائلاً: "إننا لحد الآن لم نسلم أسلحتنا، ولكن إذا عملتم مشاكل فربما يبدؤون بقصفنا والتعرض علينا، خصوصاً أن قواتهم بدأت تدخل المدينة. وقال لهم عليكم السمع والطاعة، وأن عملي هذا الغرض منه إنقاذ حياة أكبر عدد ممكن من الطالبان بأمر أمير المؤمنين". تردد الإخوة بتسليم الأسلحة، فنادى ملّا فضل الملّا ذاكر عبد القيوم ليكلمهم على المخابرة، وكان ملّا ذاكر هو أمير قطاع عملياتنا في خوجة غار ودشت أرجي.

بعدها رضخ الإخوة للطلب، وتشاوروا على تسليم الأسلحة الكبيرة الظاهرة، وإخفاء القنابل اليدوية والمسدسات والسكاكين للطوارئ، وبدأ وضع السلاح على الأرض والأغلبية غير مقتنعة تماماً، ومندهشة لما يحصل. وبعد استكمال تسليم الأسلحة طلب الدليل من قسم من قوات العدو الاقتراب واستلام الأسلحة، وطالب الإخوة بتسليم كل ما لديهم من سلاح، فأجابوه بأنه لم يبق شيء آخر، وإزاء هذا العناد طلب منهم التوجه إلى السيارات للتحرك إلى مزار شريف.

انطلقت أمام القافلة سيارة الجرحى مع دليلٍ واحد، وكان هناك أربعة من الجرحى، منهم أبو ناصر الأبيني[٢] وأسامة الحضرمي، وكانوا قد جرحوا في القصف سابقاً. أسرعت السيارة

---

١) كان يشغل منصب رئيس أركان الحرب في الإمارة الإسلامية، وكان من المقربين جداً لأمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله، وكان من أوائل الأسرى في معتقل جوانتانامو، أطلق سراحه معززاً مكرماً في يونيو ٢٠١٤م، مع أربعة آخرين من كبار قادة طالبان، في عملية تبادل الأسير الأمريكي بوي بريجدال، وشارك في مفاوضات الدوحة، وبعد تحرير أفغانستان من دنس الصليبيين، وعودة إمارة أفغانستان الإسلامية عُين وكيلاً لوزارة الدفاع.

٢) أبو ناصر الأبيني واسمه وضّاح عبد الله صالح الحنشي، من منطقة الوضيع في ولاية أبين. كان معنا في معتقل غوانتنامو، وتوفي هناك رحمه الله.

وسبقت القافلة، وعند وصولها إلى داخل المدينة أوقفها حاجز لحزب وحدت الشيعي، وحينما عرفوا أن فيها عرباً أنزلوا منها الدليل، ورغم توسله لهم قائلاً إنه منهم ومن أفراد كومندان ناصر وهؤلاء مستسلمون وسآخذهم إلى السجن، ولكن بدون فائدة، فبدأوا بضربه وبسبه بشتى الألفاظ القبيحة، وانهالوا بالضرب على الجرحى غير آبهين لحالتهم، واقتادوا الجميع للسجن عندهم وبدأوا بالتحقيق معهم.

وهنا ندع أخاً أفغانياً من الطلبة -كان مجروحاً ركب معهم السيارة- يحكي القصة، حيث يقول: "بدأوا بضرب الجميع ضرباً شديداً، ثم أوقفوا السيارة في الخارج، واستدعوني للتحقيق، فقلت لهم إنني لست معهم، بل أنا جريح وأتيت معهم فقط بالسيارة. فقالوا لي لا نعرف ذلك وإذا أردت الخروج فكم ستعطينا؟ حينها تذكرت بأن الإخوة أخفوا مسدساً وبعض الأموال التي جمعوها من بعضهم خوفاً من السرقة، وأخفوها في محرك السيارة، ففكرت أنهم سيأخذون السيارة كلها فلأفدي نفسي بالمسدس، ففاوضتهم على إعطائهم له مقابل خروجي، فوافقوا فأرشدتهم إلى مكانه فذهبوا وأخرجوه، ولكن عندما عادوا قالوا هذا لا يكفي نريد ورق أخضر -يقصدون الدولار- فأرشدتهم على مكان الأموال، وعندما رأوها قالوا لي اخرج واترك لنا هؤلاء العرب نبيعهم بالدولار. فخرجت من عندهم وأنا أسمع صيحات وتأوهات الإخوة الجرحى، حيث بدأ المنافقون بضربهم، ثم نقلوهم إلى المستشفى، ثم سلموهم للأمريكان".

ثم نعود للقافلة الكبيرة حيث أخذوا الإخوة إلى قلعة جنكي وهي قلعة كبيرة على أطراف مزار شريف، ترتفع عن الأرض كثيراً، يحيطها سور عريض يمكن للدبابة أن تسير عليه، وخلفه قناة ماء. وكانت القلعة كبيرة جداً، ومكونة من عدة طبقات، وفي الأسفل سراديب وغرف، وهي قلعة عسكرية مجهزة للقتال والصمود أمام الحصار، وفيها مخزن أسلحة وذخائر كثيرة.



قلعة جنكي

وعند الوصول للقلعة دخلت السيارات، وكان قد سبقهم إليها أكابر كمندانات حزب وحدت الشيعي، وأكابر كمندانات دُوستم ورئيس استخباراته، وكذلك قوات كبيرة تقدر بعدة مئات، كذلك مندوبين من القوات الأجنبية الأمريكية وال CIA، وتم تقسيم الإخوة وتوزيعهم على الغرف، ثم بعد ذلك بدأت قوات العدو بفتح الغرف غرفة غرفة وإخراج الإخوة لتفتيشهم وتسجيل الأسماء وأخذ المعلومات.

وكان يشرف على التسجيل ضبّاط أمريكان وكبار ضباط دُوستم والهزارة. وكان أفراد العدو والمحققين يتعمدون إساءة المعاملة، والتلفظ بكلمات قذرة على الإخوة والجهاد والدين، ويستهزؤون بالجميع، وحين رأى الإخوة ذلك -وقبل أن يستكملوا الغرفة الأولى- تبادل عدد من الشباب الإشارات، وتقدم الأول للتفتيش واضعاً يده في جيبه، وانتبه لذلك المحقق فصاح عليه أن أخرج يدك يا ابن .. فشد الأخ قبضة يده من جيبه، وفجأة دوى انفجار كبير أعقبه أخر، وقُتل الأخ[1] مباشرة، وقُتل على إثر انفجار القنبلتين اليدويتين أيضاً المحقق الأمريكي ورئيس استخبارات مزار شريف، وأكبر كمندانات حزب وحدت، وعدد من كبار قادة دُوستم.

وساد الهلع قوات العدو وبدأوا يتناثرون كذر غبار اشتدت به الريح، وسارع عدد من الإخوة إلى أسلحة المقتولين ليأخذوها، وسارع آخرون إلى بوابات القلعة ليغلقوها لمنع العدو وبقية الأمريكيين من الفرار، وذهب البقية لفتح أبواب الغرف لإخراج إخوانهم، وسادت فترة قصيرة من الصمت ولكنها كانت رهيبة، وانفتح بعدها باب جهنم على الأمريكيين والأعداء الذين فوجئوا بما حدث، فهم لم يروا ذلك من قبل، ناس في الأسر لا يصبرون على إهانات هي عندهم في أعرافهم أمور عادية يتبادلونها بينهم بفرح ولكن أنى يكون ذلك لحرٍ عزيز ذاق طعم الجهاد ولم ينزل السلاح من على كتفه إلا قبل لحظات سمعاً وطاعة لأميره ولكن على غير اقتناع، وثقة في الطرف المقابل الذي وضع يده بأيدي الكفرة والصليبيين لهدم صرح دولة الشريعة.

ودارت معركة رهيبة كان العدو فيها كالجرذان المرعوبة لا تدري أين الفرار؟ وبدأ قسم منهم يقفز من الجدران العالية، لا أحد منهم يجرؤ على المواجهة، فهم لم يأتوا للموت بل لجمع الأموال والتمتع بشهوة التسلط وما سينعم به الأمريكان عليهم. وما هو إلا وقت قصير قتل فيها الإخوة أغلب الذين كانوا موجودين من العدو والأمريكان.

وبدأ الجد مرة أخرى فالساعة ساعة حزم وأمر، تقسمت المجموعات، وتوزعت المهام بدقة، فالناس أصحاب خبرة قتالية سابقة. توجهت مجموعة لكسر المخازن واستخراج الأسلحة، وأخرى لجلب الذخيرة وتوزيعها، وأخرى لاستخراج ونصب الرشاشات الثقيلة والهاونات وهكذا. وبعد فترة عادت المجموعة المكلفة بإحصاء وجرد إصابات العدو وإصابات الإخوة، والنتيجة كانت مذهلة [١٥ قتيل أمريكي تقريباً، ٢٠٠ قتيل من المنافقين]. لم يبق منهم أحد حي، لا خسائر ولا إصابات بين المجاهدين، عدا الأخ الذي ألقى القنبلتين اليدويتين في البداية.

ثم تشاور الإخوة وقرروا الصمود داخل القلعة لأن العدو بدأ يتجمع في الخارج، والمدرعات والدبابات بدأت تحاصر القلعة، وصوت الطيران يستكشف المنطقة. بدأ الشباب المجاهد توزيع

---

١) كان معروفاً بين الإخوة باسم أبو أحمد السوداني، وهو مصري من مدينة أسوان.



المهام الدفاعية على الجميع، متوقعين أن العدو سيبدأ عملية اقتحام القلعة، بعدما رأوا كثافة نيران الرشاشات والمدفعية الموجهة عليهم ونداءات طلب الاستسلام.

وإلى صباح اليوم التالي لم يحاول العدو الاقتراب من عرين الأسود، ولكن مع إشراقة الصباح بدأ قصف جوي شديد، وكذلك قصف مدفعي من الأرض، واستمر الأمر إلى المغرب، ولم يستطع الإخوة عمل شيء أكثر من إخلاء الجرحى للطابق السفلي، وكذلك تقليل الأعداد الموجودة في محيط القلعة للدفاع ضد أي معتدي، واستمر ذلك طوال الليل، ولم يكن هناك من الطعام إلا القليل جداً مع الماء، هدأ القصف ليلاً ليعود مرة أخرى في الصباح بشدة أكبر مع محاولات لاقتراب دبابات إلا أن الإخوة ردوها على أعقابها، ومع اشتداد القصف بدأ الدخان يتصاعد، والذخائر تنفجر، والدمار يتجاوز الطابق العلوي إلى الطوابق السفلية، ومع نهاية اليوم الثالث من القصف العنيف المستمر كان أغلب الموجودين قد دفن تحت الأنقاض، أو جرح جروحاً بليغة، ولم ينج من الجرحى إلا من لجأ إلى الخنادق العميقة تحت الأرض.

دخل عدد من أفراد العدو القلعة خفية ليتأكدوا من مقتل الجميع، وأعطوا إشارة للبقية بانتهاء المقاومة ومقتل الجميع، وعند اكتشافهم وجود عدد من الجرحى في الأنفاق، دخل اثنان من العدو لإخراجهم فأخرج أخ مسدسه وقتل الاثنين، ورفض الجميع نداءات العدو للخروج من الأنفاق، ففُتحت عليهم الماء لإجبارهم على الخروج فلم يفلحوا، فبدأوا بإغراق هذه الأنفاق والملاجئ بالديزل والبنزين وأشعلوا فيها النار، عندها اضطر من بقي على قيد الحياة إلى الخروج لينجو من الحرق والاختناق.

وكان عدد من تبقى من هذه المذبحة ٨٠ أخاً أغلبهم من الباكستانيين، وكان من بين الجرحى الأخ الأمريكي جون ووكر الذي أحرج وجوده بوش، فقد كان غير مصدق لوجود أمريكي في صفوف الطالبان.

وهكذا انتهت هذه الملحمة التي سطرها الشباب المجاهد[1]، الرافض لهذا الهوان الذي تعيشه الأمة، وفضَّل لقاء ربه الكريم على حياة ملؤها الذل والخنوع، وما خاب وما خسر في اختياره، بل هو خروج من هذا السجن الكبير إلى جنات الرضوان مع الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام- وصحبه الكرام في أعلى عليين.

وبعد:

فهذه أحداث عايشناها ورأيناها، حفرت أخاديد عميقة في عقولنا وقلوبنا، أبطالها إخوة أفاضل سبقونا إلى ما كنا قد وضعنا أعيننا وتعاهدنا عليه؛ رضا الرحمن وجنات الرضوان، فنحن على طريقهم لن نكّل ولن نمّل، وقسماً نبره؛ فقد بعنا، وقد اشترى الرحمن. صفقة لن نندم عليها أبداً، نرويها لمن كان له قلب وما زال به ذرة من إيمان أو رجولة أو نخوة لعل الله ينفعه بها. نسأل الله القبول ولأمتنا الاستيقاظ والنهوض، ولشبابنا العودة إلى الطريق التي ارتضاها الله لنا" ا.هـ

---

١) لمن أراد الوقوف على المزيد من تفاصيل مذبحة قلعة جنكي، عليه بالرجوع إلى شهادة الأخ المجاهد وليد الحاج حفظه الله -أحد الناجين القلائل من المذبحة- التي وثّقها مع قناة الجزيرة في عدّة حلقات في برنامج شاهد على العصر، وكذلك في كتابه "مذبحة القلعة وغياهب غوانتنامو".

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد الهادي العراقي

أخر ذي الحجة ١٤٢٢هـ، الموافق ١٤ مارس ٢٠٠٢م



الشيخ عبد الهادي العراقي (نشوان عبد الرزاق عبد الباقي)
فكّ الله أسره

جديرٌ بالذكر أن أول قتيل أمريكي سقط في أفغانستان كان في قلعة جنكي؛ وهو عميل المخابرات الأمريكية (CIA) جوني ميشيل سبان، والذي قتله هو المجاهد اليمني مهنّد التعزّي (أكرم رجا) تقبّله الله. وحسب رواية شاهد العيان الأخ وليد الحاج -حفظه الله- كان هذا الأمريكي في عراكٍ مع أحد الإخوة على الأرض، فما كان من مهنّد -الذي لم يتعدّ عمره آنذاك العشرون عاماً، ولا يتجاوز وزنه خمسون كيلو جراماً- إلا أن نهض وهو مقيّد اليدين، ودار حول نفسه ونزع مسدس الأمريكي المعلق في رجله وأفرغه في جسده ليرديه قتيلاً.



جوني ميشيل سبان

عمليات ما بعد الحادي عشر من سبتمبر:

إنّـي لأشـهَدُ أنّهـم مـن كـلِّ بَتـارٍ أحَـدّ
يا طَالَما خاضُوا الصـعابَ وطَالما صـالوا وشـدُّوا
شتانَ، شـتانَ بـين الـذين لـربّهم بـاعُوا النُّفوسَـا
الباسـمينَ إلى الـردى والسـيفُ يـرمُقُهم عبوسَـا
الناصـبين صـدورَهُم مـن دونِ دعـوتِهم تُروسـا

إن أطبقـتْ سُـدفُ الظـلامِ وعضَّـنا نـابٌ أكـولْ
وديارُنا طفحـتْ دمَـاً ومضى بـه البـاغِي يصـولُ
ومـن الميـادينِ اختفـتْ لُمـعُ الأسـنّةِ والخيـولِ
وعلـتْ عـلى الأنّـاتِ أنغـامُ المعـازفِ والطبـولِ
هبّتْ عواصِـفُهم تـدكُ صُروحَـه ولـهُ تقـولُ
لـن نُوقـفَ الغـاراتِ حتـى عـنْ مرابعِنـا تـزول[١]

بعد بدء القصوفات الهستيرية على أفغانستان، وسقوط الكثير من القتلى في أوساط المدنيين، كان الناطق الرسمي لتنظيم القاعدة الشيخ سليمان أبو الغيث -فكّ الله أسره- قد أدلى ببيانٍ حول الأحداث بثّته قناة الجزيرة، ومما صرّح به الشيخ سليمان تهديد[٢] قوي اللهجة موجّه إلى الأمريكان جاء فيه:

"إنّ عاصفة الطائرات لن تتوقف بإذن الله عز وجل، وباول وغيره من الإدارة الامريكية يعلمون أنّ تنظيم القاعدة إذا وعد أو توعّد أوفى بإذن الله عز وجل، لذلك نقول له إنّ غداً لناظره قريب، والخبر ما ترى لا ما تسمع، والعواصف لن تهدأ وخاصة عاصفة الطائرات، لن تهدأ هذه العواصف حتى تجرّوا أذيال الهزيمة في أفغانستان، وحتى ترفعوا أيديكم عن دعم اليهود في فلسطين، وتفكوا الحصار عن شعب العراق، وحتى تخرجوا من أرض الجزيرة العربية، وحتى توقفوا دعمكم للهندوس ضد المسلمين في كشمير".

وكان لتلك التصريحات الإعلامية، والكلمات القلائل التي كان أحياناً يدلي بها الشيخ أسامة ردود أفعالٍ هائلةٍ في وسائل الإعلام الأمريكية، حيث كان يكثر الحديث عنها، ويتناولها الإعلاميون، والمحللون، والخبراء العسكريون بالدراسة والتحليل، ويحملونها على محمل الجد. وكان أحد المحللين لتصريحات الشيخ أسامة قد قال في لقاءٍ معه في قناة الجزيرة **"أن الشيخ أسامة قد كسب نصف المعركة، وباقي عليه أن يكسب النصف الآخر".**

وبالفعل كان الإخوة قد رتّبوا لموجةٍ أخرى من العمليات تُستخدم فيها الطائرات، لكن هذه المرة بتكتيك مختلف، وكان من المفترض أن تُنفّذ هذه العمليات مباشرة بعد غزوتي نيويورك وواشنطن.

١) من كلمات الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله.

٢) كنت قد ذكرت في الطبعة الأولى للكتاب أن الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- هو الذي صرّح بالتهديد، والصحيح هو الشيخ سليمان أبو الغيث فك الله أسره.

وكان أبطال هذه العمليات هم عبد الجبّار الجامايكي (ريتشارد ريد) بريطاني الجنسية، وساجد محمد بادات من أصول هندية ويحمل الجنسية البريطانية، وزكريا موسوي المكنّى بـ (صحراوي) ويحمل الجنسية الفرنسية. واستعداداً لهذه العمليات أخذ هؤلاء الإخوة عدّة دورات في المتفجرات على يد خبير المتفجرات الأخ أبي عبد الرحمن المهاجر رحمه الله.



عبد الجبّار الجامايكي(ريتشارد ريد)
فكّ الله أسره



ساجد محمد بادات



صحراوي (زكريا موسوي)
فكّ الله أسره

عمليات الأحذية المفخخة في الطائرات الأمريكية:

وكانت خطة هذه العمليات أن يستقل كلٌ من الأخ عبد الجبّار الجامايكي والأخ ساجد طائرتان مختلفتان متجهتان إلى الولايات المتّحدة، وعندما تكون الطائرتان في المحيط يقوما بتفجير حذائيهما المفخخين بمواد متفجرة غير قابلة للكشف. وكان الشيخ فتحي (طارق أنور) المصري رحمه الله هو من جهز الأحذية المفخخة.

وفي يوم ٢٢ ديسمبر ٢٠٠١م ركب الأخ عبد الجبار من مطار باريس طائرة أمريكية كانت متوجهة إلى ميامي في أمريكا، وعلى متنها ١٩٧ راكباً. ولم يشأ الله لهذه العملية أن تتم كما خُطط لها، فقد حاول بطلنا أن يشعل فتيل التفجير غير أنه لم ينجح في ذلك بسبب الرطوبة، واشتمّ الركاب رائحة الاشتعال. ولّما كانت الأجواء مشحونة بالرعب والخوف من جرّاء أحداث الحادي عشر التي لم يمضِ على وقوعها سوى ثلاثة أشهر لم يُسعف الركاب الأخ عبد الجبّار فاشتبكوا معه وشلّوا حركته.

وأثناء محاكمة الأخ عبد الجبّار قال له القاضي: "**أترى هذا العلم يا سيد ريد؟ هذا العلم يمثّل الحرية، وسيبقى يرفرف عالياً بعد ذهابك أنت وأعوانك، أخرجوه**". فردّ عليه عبد الجبّار قائلاً: "**هذا العلم سيسقط قبل يوم القيامة، ثمّ سيحكم الله بيني وبينك**". وقال أيضاً: "**لن أعتذر لكم، فأنتم قد قتلتم أكثر من مليونين من أطفالنا، واغتصبتم نسائنا، انا لستُ إرهابياً، نحن في حرب معكم، وانا جندي ولائي للإسلام ولأسامة بن لادن**[١]." نسأل الله العظيم أن يعجّل بفكاك أسره.

أما بالنسبة للأخ ساجد، فعندما سمع بفشل عملية الأخ عبد الجبار تملكه الخوف، وأحجم عن خوض العملية، وقطع كل علاقة له بالإخوة المنسّقين معه في باكستان. وفي نوفمبر ٢٠٠٣م تمّ إلقاء القبض على ساجد وحُكم عليه في فبراير ٢٠٠٥م بالسجن ثلاثة عشر عاماً. ونظراً لأنه انسحب من تنفيذ العملية، ووافق على التعاون مع المخابرات البريطانية والأمريكية، أُطلق سراحه في مارس ٢٠١٠م.

١) الذئب الفردي عدو أمريكا. يحيى المهاجر

أمّا بالنسبة للأخ صحراوي، فقد كان من المفترض أن يقوم بتنفيذ عملية داخل الأراضي الأمريكية، لا ندري شيئاً عن تفاصيلها، غير أنه كان يتدرب على قيادة الطائرات في إحدى مدارس التدريب في مدينة نورمان بأوكلاهوما، لكنه من المؤكد -كما تبين للأمريكان من التحقيقات- لم تكن له أي علاقة بأحداث الحادي عشر من سبتمبر، وغير صحيح ما هو شائع عنه بأنه رقم عشرون الذي كان من المفترض أن يكون ضمن المجموعة. ولم يشأ الله لصحراوي أن ينفّذ ما كان ينوي عليه فقد أعتقل قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر في ٢٠٠١/٨/١٦م. نسأل الله العظيم أن يعجّل بفكاك أسره.

عملية إسقاط طائرة أواكس أمريكية أواخر ٢٠٠١م:

وكان الشيخ أسامة قد خطط لعملية إسقاط إحدى طائرات نظام الإنذار المبكّر الأمريكية (أواكس) في أجواء بلاد الحرمين بناءً على معلوماتٍ عن سير حركتها كان قد سربها للإخوة أحد الضبّاط العاملين في برج مطار قاعدة الخرج الجوية. وكان الشيخ أسامة قد اختار لهذه المهمة ثلةٌ من الأبطال، كان من بينهم الشيخ أبو حذيفة السوداني حفظه الله.

وكان الشيخ أسامة قد حدد مجموعتين من الإخوة لتنفيذ هذه العملية؛ مجموعة التجهيز، وكانت تعمل قبل وقتٍ مبكر من أحداث الحادي عشر، وكانت مهمتها تجهيز عدد من صواريخ سام ٧، وذلك بتهريبها من اليمن وتأمينها في بيت من البيوت في الرياض، ثم يسافر أمير هذه الخلية إلى أفغانستان ليسلّم الشيخ أسامة مفتاح البيت وعنوانه مع خارطةٍ توضّح موقعه بالضبط، ثمّ بعد ذلك يقوم الشيخ أسامة بتسليم هذه الخارطة إلى مجموعة التنفيذ. وكان الشيخ أسامة يرمي من وراء ذلك إلى قطع كلّ الخيوط بين المجموعتين، بحيث لو أُسر فرد من أحد المجموعتين ودل على مجموعته لا يستطيع أن يدل على المجموعة الثانية. لكن كما يقولون لا يُغني حذرٌ من قدر، فبدلاً من أن تسير الأمور كما خَطط لها الشيخ أسامة، حدث اجتهاد ما من أحد الإخوة وتعرّفت المجموعتان على بعضهما البعض، ووقع ما كان يخشاه الشيخ.

وفي كتابه "الأمير المنسي" يروي الشيخ أبو حذيفة السوداني هامشاً من هذه العملية فقال:

"ابتعثني الشيخ أسامة رحمه الله تعالى أنا ومعي ثلة من الرجال الصناديد من أجل إسقاط طائرة الأواكس الأمريكية بواسطة صواريخ (SAM-B7) في قاعدة الخرج (٤٢ كلم) جنوب مدينة الرياض في الجزيرة العربية، كان مُخطَّطاً للعملية أن تكون رداً قاسياً وسريعاً بعد أسبوع واحد فقط من بداية الغزو الأمريكي لأفغانستان. نَجَتْ الطائرة، انفجر الصاروخ في الجو قبل أن يصل إلى الهدف، انسحبنا بفضل الله وعدنا آمنين إلى قاعدتنا داخل مدينة الرياض".



عملية جربة في تونس ١١ أبريل ٢٠٠٢م:

كانت عملية جزيرة جربة هي أول عملية على اليهود بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، قام بتنفيذها الأخ سيف التونسي -رحمه الله- في ١١ أبريل ٢٠٠٢م. وكان الأخ سيف نموذجاً للعزيمة والهمة العالية، والإصرار على بلوغ الهدف مهما طال الزمن، فقد كان يعمل لوحده في تونس لما يقارب الثلاثة سنوات. فبعد أن أخذ دورات خاصة في تصنيع المتفجرات البدائية، والالكترونيات، والأمنيّات، وعمل الوثائق جُهّز جوازه باسم نزار، وغادر أفغانستان سنة ١٩٩٩م إلى أوروبا، ودخل بعدها تونس كأنه مغترب عائد إلى بلده، فجمع المعلومات والمتفجرات، وجهز السيارة وقام بالتنفيذ على كنيس لليهود في جزيرة جربا، ليحصد لوحده -رحمه الله- ستة عشر روحاً من اليهود، منهم أربعة عشر ألمانياً وفرنسيان وثلاثين جريحاً.



كنيس اليهود في جزيرة جربا



جزيرة جربا بتونس

ضرب ناقلة النفط الفرنسية العملاقة (لمبورج) في المكلا باليمن في ٦/١٠/٢٠٠٢م:

وكانت إحدى استراتيجيات الشيخ أسامة لاستنزاف الاقتصاد الأمريكي هي تهديد أحد أهم خطوط الملاحة البحرية، وذلك باستهداف السفن وناقلات النفط الأمريكية والغربية في بحر العرب لإدخال أمريكا في أزمات اقتصادية تمسّ حياة المواطن الأمريكي مما يضطره لممارسة ضغط على حكومته لتغيير سياساتها الجائرة الرامية نحو **إخضاع الأمة للإرادة اليهودية الصليبية بزعامة أمريكا.**

وتنفيذاً لهذه الاستراتيجية، وتزامناً مع الذكرى الأولى لغزوات الحادي عشر من سبتمبر، وفي عملية ناجحة خطط لها كل من الشيخ أبي علي الحارثي، والشيخ قاسم الريمي، وفوّاز الربيعي رحمهم الله جميعاً، وآخرون، تمكن بفضل الله وحده مجاهدو القاعدة في جزيرة العرب في ٦/١٠/٢٠٠٢م، من ضرب ناقلة النفط الفرنسية الضخمة ليمبورج. وقام بتنفيذ هذه العملية الأخَوان ناصر عوض ناصر فرج الكِندي، المكنى (أبو خيثمة الحضرمي)، وحسين البدوي، المكنى (أبو الحارث البدوي) تقبلهم الله جميعاً.

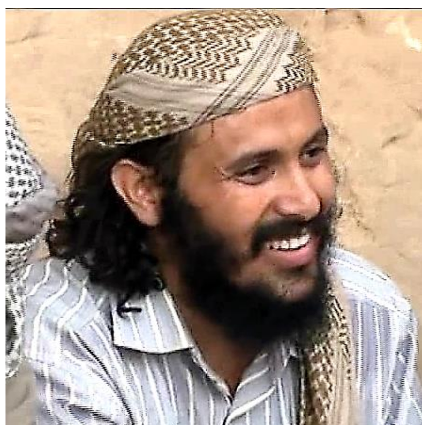




الشيخ أبو علي الحارثي
تقبله الله



الأخ فرقان (فوّاز الربيعي)
تقبله الله



الشيخ قاسم الريمي
تقبله الله



أبو خيثمة الحضرمي - تقبله الله



ناقلة النفط الفرنسيّة لمبورج

وكان الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- بمناسبة مرور سنة على بدء الحرب الصليبية الأمريكية الجديدة قد أشاد في بيانٍ له بالعملية فقال:

"نهنئ أمتنا الإسلامية بالعمليات البطولية الجهادية الجريئة التي نفذها أبناؤها من المجاهدين البررة في اليمن ضد ناقلة البترول الصليبية، وفي الكويت ضد قوات الغزو والاحتلال الأمريكية. فقد ضرب المجاهدون بتفجيرهم لحاملة البترول في اليمن الحبل السري، وخط التموين والتغذية لشريان حياة الأمة الصليبية، مذكرين الأعداء بثقل فاتورة الدم، وفداحة الخسائر التي سيدفعونها ثمناً لاستمرار عدوانهم على أمتنا، ونهبهم لخيراتنا وثرواتنا.

إن تزامن ضرب هدف عسكريٍ بأهمية قوات المارينز في الكويت، وتفجير هدف اقتصاديٍ بحجم ناقلة بترول في اليمن، وإصدار بيانات مسموعة ومقروءة من قيادات طالبان والقاعدة الذين راهنت أمريكا على القضاء عليهم، وتزامن كل ذلك مع مرور سنة على بدأ الحرب الصليبية، ليس من الصدفة في شيء، وإنما هو رسالة واضحة وقوية لكل الأعداء والأصدقاء على حد سواء بأن المجاهدين بفضل الله ما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وما ضعفوا وما استكانوا، وأن الله رد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً" ا.هـ

أيضاً كان تنظيم القاعدة قد أصدر بمناسبة هذه العملية البيان التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان من تنظيم القاعدة حول تفجير ناقلة البترول الصليبية في اليمن:

قال الله عز وجل:﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ التوبة.

بعد أن ظنت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها الصليبيون أنهم قد قضوا على خطر المجاهدين، وأمّنوا مصالحهم الاستراتيجية العسكرية والاقتصادية في المنطقة، وأوهموا أنفسهم وشعوبهم في الداخل وحلفاءهم والعالم في الخارج بذلك.

وبعد أن بذل نظام حكم الخيانة والعمالة في اليمن كل ما يستطيع وما لا يستطيع في ملاحقة ومطاردة واعتقال الشباب المسلم المجاهد في اليمن.

وتزامناً مع مرور عام كامل على الحرب العالمية الصليبية على الجهاد والمجاهدين في العالم، ومرور حولين كاملين على تدمير المدمرة الأمريكية (يو أس أس كول) في ميناء عدن اليمني.

في هذا الوقت بالذات، وفي اليمن بالتحديد، وبمقربة من المكان الذي دُمرت فيه المدمرة في عدن، وعلى مسافة ليست بعيدة من باب المندب ذي الأهمية الاستراتيجية، ضرب المجاهدون من جديد هدف استراتيجي صليبي هو ناقلة بترول تحمل علماً فرنسياً في الشواطئ اليمنية. وضرب هدف اقتصادي بهذا الحجم، وفي هذا الوقت، وفي مثل هذه الظروف، وبهذه الطريقة، له أكثر من دلالة ومعنى؛ فهو يعني فيما يعني:

أولاً: أن كل الجهود العسكرية والأمنية والسياسية وغيرها مما بذلته أمريكا وحلفاؤها لتأمين مصالحهم الاستراتيجية في المنطقة ذهبت كلها أدراج الرياح.

ثانياً: أن المجاهدين –بفضل الله– لازالوا يملكون زمام المبادرة والقدرة على مباغتة العدو، وضرب مفاصله ومقاتله الاستراتيجية، وفي الزمان والمكان المناسبين اللذين يحددانهما.

وسواء كانت القاعدة هي التي قامت بهذه الضربة، او كان غيرها من (قواعد المجاهدين) الذين ينتمون لنفس العقيدة والفكرة والمنهج، فكلتا الفرضيتين سيئة بالنسبة للأمريكيين وحلفائهم من الصليبيين، لأن فرضية أن القاعدة هي التي قامت بالهجوم تعني أول ما تعني أن القاعدة مازالت قوية، وقادرة على الضرب في نفس المكان الذي ضربت فيه من قبل، وأن كل الهالة الإعلامية التي أحاط بها الامريكان ما يسمونه (الحرب على الإرهاب)، ونجاحاتهم الخارقة في (استئصال الإرهاب والقضاء على رؤوسه وقواعده وجذوره) مجرد دجل إعلامي، وتضليل كلامي تبخر مع أول سحب الدخان المتصاعدة من السفينة.

وإذا كان غير القاعدة من المجاهدين الذين على منهجها هم من قام بالهجوم فالأمر أخطر، لأنه يعني ببساطة أن القاعدة التي يتزعمها الشيخ أسامة بن لادن ليس إلا قاعدة من (قواعد) عديدة منتشرة في هذه الأمة، وعلى امريكا وحلفائها الصليبيين أن يحسبوا لها ألف حساب.

وحتى لا نقدم استشارة أمنية مجانية للعدو، فلن نحدد له أي الفرضيتين هي الصواب، ونتركه يغرق في كل الفرضيات والاحتمالات التي تحاصره منذ سنتين، دون أن يصل إلى شيء في قضية تدمير المدمرة (يو أس أس كول).

ثالثاً: كما كشفت العملية عن جانب من الخطر الحقيقي الذي يمثله المجاهدون للمصالح الاستراتيجية الاقتصادية والعسكرية للعدو الصليبي، فإذا كان زورق بحري لا يساوي ألف دولار قد استطاع من قبل أن يدمر مدمرة قيمتها المادية فوق المليار دولار، وقيمتها المعنوية لا تقدر بمقدار، وكان زورق مماثل قد استطاع الفتك بناقلة بترول بهذا الحجم، فلنا أن نتصور حجم المخاطر التي تهدد عصب الحياة الاقتصادية الغربية، وهو البترول الذي ترقد المنطقة على أكبر احتياطاته، وتنتج أكبر كمياته، وتضم أهم معابره وممراته.

إن عملية ضرب ناقلة البترول الفرنسية ليست ضربة عابرة لناقلة عابرة، بل هي ضربة لخط نقل البترول الدولي بكل ما تحمل الكلمة من معنى.

رابعاً: وفوق الدلالات الأمنية والعسكرية والاقتصادية حملت العملية رسالة سياسية قوية لحلفاء واشنطن في حربها وعدوانها ضد الأمة الإسلامية، بأنهم لن يبقوا إلى الأبد بمنأى عن يد انتقام الله ثم المجاهدين، وأن عليهم إذا تمادوا في هذا التحالف أن يستعدوا لدفع ثمن ذلك فاتورة ثقيلة من دمائهم ومصالحهم.

وهذه رسالة حملتها عملية ناقلة البترول هذه للفرنسيين، كما حملتها للألمان عملية ضرب المعبد اليهودي في تونس التي قُتل فيها بضعة عشر المانياً يهودياً. فعلى الذين لم يفهموا رسالة تجنب المجاهدين للبدء باستهدافهم أن يفهموا الرسالة المقابلة، ولازال خط الرجعة مفتوحاً لمن أراد إعادة النظر في موقفه قبل فوات الأوان.

وفي الختام:

فإننا نبارك للشعب اليمني البطل هذه العملية البطولية الرجولية التي يضيفها لرصيده المليء بالأمجاد والجهاد والاستشهاد الزاخر بالبذل والعطاء، والتضحية والفداء؛ فقد كان أهل اليمن عبر تاريخ الإسلام أخف الناس إلى الثغور، وأسرعهم لميادين الجهاد. وقبور شهداء اليمن المتناثرة في جبال أفغانستان، ووديان الشيشان، وقرى البوسنة، وغيرها من بلاد الإسلام شاهد بهذه الحقيقة.

ونحن إذ نبارك هذه العملية، ونهنئ بها الأمة، فإننا ندعو الشباب المسلم في كل مكان للسير على هذا الطريق، والمضي في هذا الدرب، درب العزة والكرامة والشهامة، والبطولة والرجولة، والجهاد والاستشهاد ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾. الأنفال

والله أكبر، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، ولكن المنافقين لا يعلمون.

(المكتب السياسي لتنظيم قاعدة الجهاد)

الأحد ٦شعبان ١٤٢٣هـ،

الموافق ١٣ أكتوبر ٢٠٠٢م

عملية على الجنود المارينز في جزيرة فيلكا بالكويت ٨ أكتوبر ٢٠٠٢:

استجابة لأمر رسولنا ﷺ بإخراج المشركين من جزيرة العرب، ففي ٨ أكتوبر ٢٠٠٢م قام بطلان من أبطال الكويت هما أنس أحمد الكندري وجاسم محمد الهاجري -بالتزامن مع ضرب ناقلة البترول الفرنسية في (المكلّا) باليمن- بالهجوم على جنود مارينز أمريكان كانوا يتدربون على أرض جزيرة فيلكا الكويتية.

وبعد استطلاع الهدف، وتأكيد المعلومة المستطلعة قبل الهجوم، وتحديد الوقت المناسب للهجوم بناءً على دقة المعلومة للبرنامج اليومي للجنود، الذين كانوا في حالة راحة واسترخاء يمارسون بعض الأنشطة الترويحية، مجردين من أسلحتهم، قام البطلان باختراق جميع الأطواق الأمنية، والاحتياطات العسكرية، وأجهزة المراقبة الدقيقة، وفتحوا نيران أسلحتهم الرشاشة على الجنود، وأوقعوا في صفوفهم خسائر فادحة من القتلى والجرحى[١].



أنس الكندري- تقبّله الله



جاسم محمد الهاجري- تقبله الله



جزير فيلكا – بالأحمر

أبطال عملية جزيرة فيلكا

١) من بيان تنظيم القاعدة حول عملية جزيرة فيلكا الكويتية. بتصرّف.

دلالات عملية فيلكا[1]:

١- أكدت هذه العملية القدرة العسكرية الفائقة للمجاهد المسلم الذي أحسن التدريب وحمل السلاح، وأنه لا توجد قوة على الأرض تقف حائلاً أمامه عندما ينطلق لتأدية أمر الله تعالى في قتال أعداءه.

٢- دكت العملية الرائعة النظرية الأمنية الأمريكية للمرة الثانية بعدما غادروا البر العربي للإقامة في الجزر العربية بالمياه الإسلامية، وبهذه العملية تكتمل حلقة الرعب على التواجد الأمريكي في المنطقة، فقد ضُربوا في البر، وسُحقوا في الجو، وحُصدت أرواحهم في جزر البحر، وفي بارجاتهم العائمة، فأين يذهبون؟

٣- كما أكدت على رداءة الجندي الأمريكي، وضعف مستواه التدريبي من خلال رد فعلهم الضعيف إزاء عملية الإغارة المباغتة في المكان والزمان، ومن رجلين اثنين فقط من أبطال الأمة، أسالوا نهراً من دماء عدوهم.

٤- انتصار الإرادة الإسلامية للشعب الكويتي على محاولة تغريبه وإفقاده هويته الإسلامية من قبل الولايات المتحدة، مؤكدين بنموذج مثالي في التضحية والفداء. أنّ صد الهجوم الأمريكي الصليبي على العراق يبدأ من الكويت في تجسيد رائع لوحدة الأمة.

٥- بينت واقع الاحتلال الأليم، وقاع الذل المهين الذي ترزح فيه الأنظمة الحاكمة المتجبرة على شعوبها المذللة لخدمة أعداء الله في صورة مخزية حينما انبطحت وحدات الأمن الحكومية الكويتية على بطونها، وجُردت من أسلحتها على أرضها، ومُنع دخول وزيري الدفاع والداخلية للنظام الحاكم، ولا عزاء للسيدات.

٦- أنّ الولايات المتحدة تسير من فشل لفشل، ومن حفرة لمنحدر، وأن العداء لهم استشرى في جسد الأمة مما يؤكد أن أمتنا بخير، وشعوبنا واعية ومستعدة أن تبذل مهجها خلف نخبها الصادقة، وقادتها المخلصين. فإلى قادة الجماعات والتنظيمات الإسلامية: خذوا بيد أمتكم لعز الدنيا والأخرة.

تدمير الملهى الليلي في بالي بإندونيسيا في ١٢/١٠/٢٠٠٢م.

كان الشيخ أسامة رحمه الله –في مقابلته مع مراسل قناة الجزيرة تيسير علّوني بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بتاريخ ٧/١٠/٢٠٠١م– قد أرسل تهديداً قوي اللهجة لكل الدول التي تشارك الرئيس الأمريكي بوش في حملته الصليبية على أفغانستان بأن تراجع حساباتها. وكان من بين هذه الدول التي خصّها الشيخ أسامة بالذكر أستراليا، فقال:

"والحرب كما وُعدنا بها وما هي قائمة بالأساس اليوم بيننا وبين اليهود، فأي دولة تدخل في خندق اليهود فلا تلومن إلا نفسها. وإن كان الشيخ سليمان أبو غيث صرح في بعض تصريحاته السابقة وخصّ أمريكا وبريطانية فهذا ليس للحصر، وإنما إعطاء فرصة للدول الأخرى تراجع حساباتها. فما شأن اليابان وشأننا؟ من الذي يدخل اليابان في هذه الحرب الصعبة، القوية، الشرسة، في اعتداء سافر على أبنائنا في فلسطين؟ ولن تحتمل اليابان أن تدخل

---

١) من مقال بعنوان: شفاء صدور المؤمنين [بين يدي العمليات في المكلا وفيلكا وبالي] بقلم: سالم المكي.

معنا في حرب، فلها أن تراجع نفسها. ما شأن أستراليا في أقصى الجنوب وحال هؤلاء المستضعفين في أفغانستان، وحال المستضعفين في فلسطين؟"[1] ا.هـ

ولما لم ترعوي استراليا، كان لا بد من معاقبتها بتطبيق المعادلة الصحيحة التي أقرها الشيخ أسامة في كثير من رسائله: **كما تَقتلون تُقتلون، وكما تقصفون تُقصفون، وكما تهدرون أمننا نهدر أمنكم، والجواب ما ترون لا ما تسمعون.** فكانت عمليات جنوب شرق آسيا التي خطط لها مسؤول العمل الخارجي، البطل خالد الشيخ محمد -فكّ الله أسره- بالتعاون مع أبطال إندونيسيا. وكان الهدف هو منتجع بالي -في منطقة كوتا السياحية- الذي يرتاده كثير من السياح الأستراليين، وغيرهم من رعايا الدول الأوربية المشاركة في الحملة الصليبية.

ففي يوم ١٢ أكتوبر ٢٠٠٢م وقع أكبر هجوم في تاريخ إندونيسيا، حيث قام الأخ الاستشهادي بتفجير عبوّته المحمولة في حقيبة ظهره داخل ملهى بادي الليلي (أيضاً يسمّى حانة بادي الآيرلندية)، مما تسبب في العديد من القتلى والإصابات. وعندما سارع المتواجدون داخل الملهى إلى الفرار إلى الشارع كان بانتظارهم سيارة ميتسوبيشي مفخخة انفجرت خارج ملهى ساري المقابل للملهى بادي بعد عشرين ثانية من الانفجار الأول. أسفر الهجومان عن مقتل ٢٠٢ شخصاً (بينهم ٨٨ أسترالي، ٢٧ بريطاني، ٧ أمريكان، ٦ سويديين)، وبلغ عدد الجرحى ٢٠٩ شخصاً، وشفى الله صدور المؤمنين.

وبعد شهر من عمليات بالي، أرسل الشيخ أسامة -رحمه الله- بتاريخ ٧ رمضان ١٤٢٣هـ، الموافق ١٢ نوفمبر ٢٠٠٢م، رسالة إلى شعوب الدول المتحالفة مع الحكومة الأمريكية، جاء فيها:

من عبد الله أسامة بن لادن، إلى شعوب الدول المتحالفة مع الحكومة الأمريكية الظالمة.

السلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

"فإن طريق الأمان يبدأ برفع العدوان، وإن من العدل المعاملة بالمثل، وإن ما حدث منذ غزوتي واشنطن ونيويورك إلى يومنا الحالي:

- **كقتل الألمان في تونس،**
- **والفرنسيين في كراتشي،**
- **وتفجير الناقلة العملاقة الفرنسية في اليمن،**
- **والبريطانيين والأستراليين في جزيرة بالي،**
- **وعملية موسكو الأخيرة،**
- **وقتل المارينز في فيلكا،**
- **مع بعض العمليات المتفرقة هنا وهناك،**

ما هو إلا رد فعل، وتعامل بالمثل قام بها أبناء الإسلام الغيورون ذوداً عن دينهم، واستجابةً لأمر ربهم ونبيهم عليه الصلاة والسلام.

---

١) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

إن ما يقوم به بوش فرعون العصر من قتل لأبنائنا في العراق، وما تقوم به إسرائيل حليفة أمريكا بقصف المنازل بمن فيها من شيوخ وأطفال ونساء بالطائرات الأمريكية في فلسطين، كان كافياً للعقلاء من حكامكم للابتعاد عن عصابة الإجرام هذه، فأهلنا في فلسطين يُقتلون ويُسامون سوء العذاب منذ قرن من الزمان تقريباً.

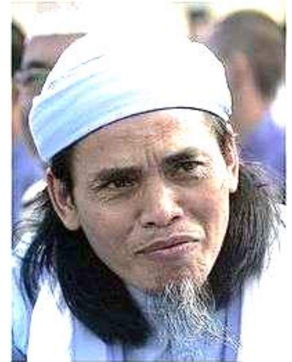
فإذا دافعنا عن أهلينا في فلسطين قام العالم واضطرب، وتحالف ضد المسلمين تحت مسمى مكافحة الإرهاب بغياً وزوراً. فما شأن حكوماتكم للتحالف مع عصابة الإجرام في البيت الأبيض ضد المسلمين، أما تعلم حكوماتكم أن عصابة البيت الأبيض هم أكبر سفاحي العصر!

فهذا رامسفيلد جزار فيتنام، قتل مليونين من البشر فضلاً عن الجرحى، وها هما تشيني وباول فعلا من القتل والدمار في بغداد أكثر مما فعله هولاكو. فما شأن حكوماتكم بالتحالف مع أمريكا في الهجوم علينا في أفغانستان، وأخص بالذكر بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وكندا وألمانيا واستراليا.

واستراليا هي تلك التي حذرناها من قبل عن مشاركتها في أفغانستان، فضلاً عن سعيها المذموم في فصل تيمور الشرقية، فتجاهلت التحذير إلى أن استيقظت على أصوات الانفجارات في بالي، ثم زعمت حكومتها بهتاناً وزوراً أنهم غير مستهدفين.

فإن ساءكم النظر إلى قتلاكم وقتلى حلفائكم من الرجال في تونس وفيلكا وبالي وكراتشي وعمان، فتذكروا قتلانا من الأطفال في فلسطين والعراق يومياً، وتذكروا قتلانا عن عمد في الأفراح والأعراف في أفغانستان"[1] ا.هـ

وشاءت إرادة الحكيم الخبير أن يقع بعض القائمين على عملية بالي في الأسر، كان منهم علي أمروزي، وهدى بن عبد الحق، وإمام سامُدرا، وفيما بعد حكمت عليهم محكمة الطاغوت بالإعدام رمياً بالرصاص. أمّا نور الدين محمد توب، فقد قتل مع ثلاثة آخرين بعد مقاومة شرسة لمداهمة تمت عليهم في ١٩ سبتمبر ٢٠٠٩م، نسأل الله أن يتقبلهم جميعاً في أعالي الجنان.



علي أمروزي
تقبّله الله



هدى بن عبد الحق هدى
تقبّله الله



نور الدين محمد توب
تقبّله الله



إمام سامُدرا
تقبّله الله

أبطال عملية بالي تقبّلهم الله

[1] الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

ضربات اليهود في شرق افريقيا؛ إطلاق صاروخين على طائرة إسرائيلية وتدمير فندق إسرائيلي في ٢٣ رمضان ١٤٢٢هـ الموافق ٢٨/١١/٢٠٠٢م:

بعد نجاح عملية تفجير المدمرة الأمريكية كول، وافقت هذه المرحلة أحداث عالمية بالغة الأهمية والأثر على العالم الإسلامي كان في طليعتها اشتعال الانتفاضة الفلسطينية، وانتقالها من مرحلة ثورة الحجارة إلى مرحلة العمل المسلح والعمليات الاستشهادية. وبناء على ذلك قرر الشيخ أسامة -رحمه الله- مواصلة الضربات في شرق افريقيا، وتوجيهها هذه المرة على اليهود. فكلف الشيخ أسامة الأخ هارون فضل القمري للقيام بهذه المهمة، فاختار الأخ هارون -رحمه الله- بعض الإخوة ليكونوا ضمن خليته التي بلغ عددها ١١ أخاَ، كان منهم الأخ أبو يوسف التنزاني المعروف بـ (صالح نبهان)، وأبو سعيد الكيني، وطلحة السوداني، الذي كُلف فيما بعد بتولي قيادة العمل في شرق افريقيا، رحمهم الله جميعاً.



طلحة السوداني تقبله الله



هارون فضل - تقبله الله



صالح نبهان - تقبله الله



الطفل الفلسطيني محمد الدّرة يحتمي بظهر والده قبل لحظات من مقتله

وكانت المهمة تقضي بأن يقوم الشباب بضرب مراكز ومصالح اليهود المنتشرة في منطقة شرق افريقيا، رداً على مقتل الطفل الشهيد محمد الدّرة في حضن والده أمام عدسات القنوات الفضائية. والجدير بالذكر أن الإخوة منفذي عملية نيروبي في كينيا عام ١٩٩٨م، كانوا يريدون استهداف السفارة اليهودية بجانب السفارة الأمريكية، وما منعهم من القيام بذلك رغم سهولة الوصول إليها إلا وجود مدرسة أطفال كينيّين بجوار مبنى السفارة.

وكانت الأهداف بعد رصدها ودراستها عبارة عن استهداف طائرة العال اليهودية بصاروخين سام ٧ بالتزامن مع استهداف فندق بارادايس الذي كان ينزل فيه اليهود. وكانت طائرة العال تقوم برحلتين في الأسبوع في موسم السياحة في كينيا، حيث كانت تأتي بسياح يهود وتأخذ آخرين، وكلهم كانوا ينزلون في نفس الفندق.

وكانت هناك عدة خيارات نوقشت لتنفيذ العملية وهي كالتالي:

١) تفجير سيارة مفخخة في اليهود القادمين في المطار، ثم ضرب الطائرة بعد ذلك لأنها ستطير على كل حال ولو بعد أسبوع.
٢) تفجير سيارتين مفخختين في المطار، الأولى في اليهود القادمين، والثانية في الصالة التي يتواجد فيها اليهود المغادرون.
٣) تفجير سيارة مفخخة في اليهود القادمين أثناء سير الباصات إلى الفندق، ثم ضرب طائرة اليهود المغادرين بعد إقلاعها.
٤) ضرب طائرة اليهود القادمين قبل هبوطها، ثم تفجير سيارة مفخخة في اليهود المغادرين أثناء عودتهم إلى الفندق.
٥) ضرب طائرة اليهود المغادرين بعد إقلاعها، ثم تفجير اليهود القادمين بسيارة مفخخة في الفندق.

وفي يوم الخميس ٢٣ رمضان ١٤٢٢هـ، الموافق ٢٨/١١/٢٠٠٢م سجد الإخوة لله شكراً، فقد أذاعت البي بي سي سواحيلي خبراً مفاده أن سيارة مفخخة اقتحمت منطقة الاستقبال في فندق بارادايس، وانفجرت أثناء وجود ١٥٠ إسرائيلياً في الاستقبال. وكان منفذ عملية الفندق هو الأخ أبو سعيد الكيني رحمه الله.

أمّا الطائرة الإسرائيلية العال، فقد تمّ استهدافها بعد إقلاعها من مطار ممباسّا بالصاروخين، لكن الصواريخ أخطأت الهدف.

وحسب رواية الأخ هارون فضل في كتابه الحرب على الإسلام، كان من الممكن أن تحصد هذه العملية عدداً كبيراً من اليهود القادمين والمغادرين لو تمت العملية حسب ما جاء في الخيارين الأولين أعلاه، نسبةً لأن اليهود سيكونون أمام الإخوة وفي متناول أيديهم، لكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه، فقد عارض الشباب القائمين على أمر العملية رأيه لأن جلّ تفكيرهم كان منصباً على الطائرة وليس العملية الاستشهادية. وكان الشباب جازمين مائة بالمائة من أنهم سيصيبون الطائرة بالصاروخين، ولم يكن في حساباتهم عدم إصابتها لأي سبب من الأسباب. واستقر الرأي أخيراً على الخيار الخامس الذي أقرّه الأمير أبو طلحة السوداني، وهو ضرب الطائرة أولا ثم العملية الاستشهادية في الفندق.

وكان تنظيم القاعدة قد أصدر بياناً حول العملية، ومما جاء فيه:

... فمن نفس المكان الذي ضُرب فيه (التحالف الصليبي اليهودي) قبل أربع سنوات، وبالتحديد في نيروبي ودار السلام ضد سفارتي أمريكا، ها هم المجاهدون من (تنظيم القاعدة) يعودون مرة أخرى ليوجّهوا ضربة موجعة لهذا التحالف الغادر، ولكن هذه المرة ضد اليهود، موصلين لهم بذلك رسالة مفادها: **أن ما تمارسونه من إفساد في الأرض، واحتلال لمقدساتنا، وأعمال إجرامية ضد أهلنا في فلسطين من قتل للأطفال، والنساء، والشيوخ، وهدم للمنازل، وقلع للأشجار، وحصارٍ جائر، لن يمر دون عمل يماثله في النوع، ويفوقه في التأثير بإذن الله. فمقابل أطفالنا أطفالكم، ومقابل نسائنا نساؤكم، ومقابل شيوخنا شيوخكم، ومقابل بيوتنا صروحكم ومعالمكم، ومقابل حصار اللقمة والعيش، حصار الرعب والخوف، نلاحقكم به بإذن الله أينما كنتم براً وبحراً وجوا ...**

إن عمليتي مومباسّا -في كينيا ضد أهداف إسرائيلية- تأتي في هذا الوقت بالذات، لتؤكد عدداً من الحقائق المهمة والدلالات الخاصة فمن ذلك:

١) أن المجاهدين نجحوا في الوصول إلى هدفهم المختار -بعناية فائقة ولله الحمد- في وقت يقف العالم بأسره شرقه وغربه ضدهم، بل ويطاردهم في كل بقعة من الأرض، مما يدل على هشاشة هذه الحملة وتفككها ووقوفها عاجزة أمام تحركات وهجمات المجاهدين الموفقة بفضل الله.

٢) كما تأتي هاتين العمليتين لتقضي على كل أحلام (التحالف اليهودي الصليبي) في تأمين مصالحهم الاستراتيجية في هذه المنطقة، وتؤكد على فشل أمريكا وحلفائها الذين حشدوا أساطيلهم البحرية الضخمة لتطويق ومحاصرة القرن الأفريقي بهدف مطاردة المجاهدين في هذه المنطقة، ومنعهم من التسلل إليها، أو إيصال الإمدادات لهم، وضمان عدم تكرار مثل هذه الهجمات التي طالتهم قبل أربع سنوات.

٣) كما تأتي هاتين العمليتين -بفضل الله- لتصفع الموساد الإسرائيلي صفعة أخرى -كما صفعته في ضرب المعبد اليهودي في جربا، وكما صُفعت جميع أجهزة الأمن الأمريكية من قبل- لتقضي على أسطورته وصورته التي أرهب بها العالم من قدرته على الاختراق والوصول لمن يريد، ولتقطع الذراع التي أعلن شارون أنها ستطال كل من يحاول العبث بأمن إسرائيل داخلياً وخارجياً.

٤) كما تأتي هاتين العمليتين لتضع ألف علامة استفهام وتعجب أمام دول هذا التحالف، والذي أنفق المليارات على برامج حماية الطائرات من الداخل، وإذا به يواجه عاصفة المجاهدين من الخارج فأنى له بهذه؟

٥) كما تأتي هاتين العمليتين لتؤكد على أن الشعوب التي تدفع بالسفاحين والقتلة ومجرمي الحروب إلى سدة الحكم -كما يفعل الأمريكان واليهود وغيرهم- ستتحمل تبعات أفعالها ورغباتها، ولن تفلت من الانتقام الإلهي على أيدي عباده المجاهدين، وجديد أدلتنا الملموسة على ما نقول ما حدث في بالي وما تبعه من تداعيات أقضّت مضاجع أعداء الأمة في كل مكان.

٦) كما تأتي هاتين العمليتين لتبشر المسلمين في كل مكان بأن المجاهدين مع أهلهم في فلسطين متضامنين، وعلى الطريق ماضين، ولِما يُصيبهم في سبيل الله محتسبين، وعلى رفع الذل عن أمتهم

عازمين، وأنهم وبفضل الله وحده مازالوا يملكون زمام المبادرة والقدرة على مفاجأة العدو، وضرب مفاصله الحيوية في الزمان والمكان المناسبين اللذين يحددانهما.

٧) وتأتي هاتين العمليتين أخيراً لتعلن أن الأمة -عربها وعجمها، سودها وبيضها- قد وقفوا وقفة رجل واحد في وجه هذا العدو، وأمام هذه الهجمة المعلنة ضد المسلمين.

ونحن هنا ندعوا كل إخواننا أصحاب السواعد السمراء في هذه القارة -وهم أكثر الشعوب معاناة من الاستعمار الذي اغتصب أراضيهم، وسلب خيراتهم، وجعلهم سخرة له، وحرمهم من أبسط حقوق البشر- أن يحذوا حذو أبطال عمليتي مومباسّا، فيجعلوا الأرض جحيماً تحت أقدام المحتلين من اليهود والصليبيين.

وختاماً:

فإننا ندعوا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلى الوحدة والائتلاف، ونبذ الفرقة والاختلاف، كما ندعوهم لتحمل مسئولياتهم كاملة أمام هذه الهجمة -الصليبية اليهودية- والتي تهدف أول ما تهدف إلى استئصال المسلمين، وطمس عقيدتهم، واحتلال ديارهم، وسلب خيراتهم وثرواتهم، وأن يعلموا حقيقةً أنهم قادرون على فعل شيء ضد هذا العدو، فعقدة (الضحية) والتي صاحبتنا أكثر من قرن قد ولّت بلا رجعة، وسنوات التيه والهزيمة التي أراد عدونا أن نعيشها قد تحولت بإذن الله إلى أيام نصر وعز وتمكين. ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ المائدة.

وما قدمه لكم إخوانكم من براهين من خلال عملياتهم، وما دفعوه من دمائهم، وما بذلوه من أموالهم وأوقاتهم لدليل كاف على قدرة هذه الأمة على العطاء والمواجهة والصمود والانتصار بإذن الله. ولا يفوتنا في هذه المناسبة المباركة أن نذكّر المسلمين من خطورة الوقوع في خطيئة الرضا بما تُعدّه أمريكا وحلفاؤها ضد الشعب العراقي المسلم، وعليهم أن يهبوا لنصرة إخوانهم بما يملكون، وأن لا يسمحوا بموطئ قدم لمحتل أمريكي على أراضيهم، وأن يقاوموه بشتى الوسائل والطرق حتى يشعر أنه على أرضٍ لا تسعه، وتحت سماءٍ لا تظله، وبين شعوبٍ تعاديه وتمقته.

والله أكبر، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، ولكن المنافقين لا يعلمون[١]. ا.هـ

ما تقدّم ذكره من عمليات، تؤكد ما ذكره الشيخ أسامة في قسمه الشهير بأنكم أيها الأمريكان لن تحلموا بالأمن قبل أن نعيشه واقعاً في فلسطين، وقبل أن تخرج جميع جيوشكم الكافرة من أرض محمد صلي الله عليه وسلم. وما أشبه هذا القسم بمقولة الصحابي الجليل خالد بن الوليد لأهل مدينةٍ أغلقوا حصونهم في وجهه، فقال لهم: **"أين تذهبون منا؟ والله لو صَعدتم إلى السُحب لأصعَدَنا الله إليكم أو أمْطَرَكم علينا"**.

١) أرشيف البتّار.



ومن خلال النقاط التالية نسمر في نشوة النصر على ما تحقق من نتائج تلك العمليات[١]:

١- نجاح دعوة الشيخ أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة في اشعال خط التماس في أرجاء المعمورة بين الحلف الإسلامي من رجال الأمة وطليعتها المباركة (القاعدة)، وبين التحالف اليهودي الصليبي المتسلط على مقدسات المسلمين وثرواتهم.

٢- أكدت على مستوى الوعي الرائع لشباب الأمة في انطلاقتهم للفتك بعدوهم، وعدم استنزافهم في معارك جانبية مع الأذناب والمرتدين. فتوحيد الهدف، وحشد الجهود، وصرف الطاقات للعمل عليه من أهم المبادئ العسكرية لمن درس علم الحرب، وأتقن فنها.

٣- أن شجرة التدريب التي غرس فسيلتها تنظيم القاعدة في معسكراته بأفغانستان قد نمت في قلوب الشباب المسلم، وآتت ثمارها في أرجاء العالم. فهذه القوافل التي تمحق الباطل، تَخرّج أغلبها من معسكر الفاروق.

٤- بينت القاعدة بمحاولة ضرب طائرة أمريكية في بلاد الحرمين، وتفجير المعبد اليهودي في تونس، والفتك بسفينتين في اليمن، والهجوم على قاعدة فيلكا في الكويت، ونسف دور اللهو والفجور في إندونيسيا، أن لا حرج لدى القاعدة في الضرب داخل الأراضي الإسلامية والعربية على حد سواء، طالما أن الهدف لم يخرج عن التحالف اليهودي الصليبي.

٥- أن الآلة الأمنية الأمريكية ومخابراتها بكافة أنواعها وأقسامها القديم منها وما استحدثوه بعد غزوة سبتمبر المباركة، ما هي إلا تهويل إعلامي، وأكذوبة كبرى لا تنطلي على الصادقين من أبناء الأمة المقبلين على الله بقلوبهم.

٦- أن الحملة الأمريكية على القاعدة في أفغانستان قد نقلت القاعدة نقلة نوعية خطيرة، حيث اختفى جسمها البارز في أفغانستان، وتحولت من التمركز في مكان معروف إلى برنامج سري معقد، ومشاريع شهادة منتشرة في كل أرجاء المعمورة، وأن القضاء على القاعدة بات أمراً مستحيلاً، ولتحصد الإدارة الأمريكية حماقاتها. قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ النور.

٧- أن القاعدة نجحت في تصدير فكرها الأصيل النابع من عقيدتها الإسلامية ليكون البضاعة الرائجة لدي الأمة التي قبلتها وحملت الراية بعقل واع وقلب مطمئن، وانطلقت بها في أصقاع الأرض تدك الباطل وتحصده.

٨- أن القاعدة نجحت في إسقاط الهيبة الأمريكية من قلوب أبناء الأمة، كما أنها بصّرت الأمة بنقاط ضعف عدوها، واساليب ضربه وإنهاكه، وسبل القضاء عليه. ا.هـ

١) مقال بعنوان: شفاء صدور المؤمنين [بين يدي العمليات في المكلا وفيلكا وبالي] بقلم: سالم المكي.

الحرب الفكريــة:

وبجانب تلك الحرب الشرسة التي يخوضها المجاهدون مع أمريكا ونظامها الدولي، كذلك يخوضون نوعاً آخر من الحروب الفكرية تحاول فيها أمريكا -عن طريق شبهات علماء السلاطين، وشبهات المتراجعين عن الجهاد باسم المراجعات- تفريغ الإسلام من كل المبادئ التي تهدد وجودها ومصالحها تحت شعارات براقة مثل الدعوة إلى الاعتدال والوسطية ورفض التطرف والإرهاب.

يقول الشيخ عبد العزيز بْن رشيد الطويلعي -رحمه الله- في كتابه هشيم التراجعات:

"بعث الله عز وجلّ رسله بالهدى ودين الحقّ ليُظهره على الدِّينِ كلِّه ولو كره الكافرون، وجعل دون ظهور الدين ونصر المؤمنين ابتلاءاتٍ وتمحيصاً لحكمةٍ بالغةٍ منه، وما خلق الله الموت والحياة إلاّ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، ولئن تاقت نفوس المُؤمنين إلى النصر واستعجلوه فإنّ لله في تأخيره حكماً عظيمةً، ولطفاً منه بعباده المُؤمنين، ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾، فلو توالت الانتصارات فلم تتوقف وكان اليوم خيراً من أمس، والغد خيراً من اليوم، لدخل الصف الموحّد من ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾، و﴿مَّا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾.

والله أمر بالطاعة والعبادة في الأحوال المختلفة من المنشط والمكره والعسر واليسر، وهو عزّ وجلّ يُحبُّ أعمالاً في مواطنَ من مواطنِ اليسر، وأخرى في مواطن من مواطن العُسر، فشاءت حكمته أن يتقلّب عبادُهُ بين حالي العسر واليسر، والرخاء والضُّرّ، ليعلم سبحانه الشاكرين الصابرين ...

وإذا كان هذا في العبادة عموماً، فإنَّ ذروةَ السَّنامِ وسياج الإسلام؛ الجهاد في سبيل الله الذي مُيِّزَ بما فيه من القرح والبأس والشدّة والألم والجراحة والقتلِ والأسرِ، مع نقص الأموال والثمراتِ، وتلف الأنفسِ، وفقدانِ كثيرٍ مما تألفه النفس وترى أن لا غنى عنه. إنَّ هذه الشعيرة العظيمة النفيسة لأبينُ موطنٍ تظهرُ فيهِ هذه العبوديَّةُ، ويُخاطب المكلَّف فيها بالصبر على الحالين، فقد أُمر الناس ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾.

وفي حالٍ كهذه الحال، وعبادةٍ كهذه العبادةِ، لا يُستغرب تراجع من يتراجع، ونكوصُ من ينكُصُ، ولولا ذلك لما كان للابتلاء والفتنة معنىً، ولما كان للصابرين الصادقين في الفتن والابتلاءات ميزةٌ عن غيرهم". ا.هـ

يقول الشيخ الدكتور أيمن الظواهري -حفظه الله- في كتابه فرسان تحت راية النبي:

"هدفت حملة البطش منذ اغتيال أنور السادات إلى كسر إرادة الحركة الإسلامية، وخاصة نواتها الصلبة المتمثلة في الجماعات الجهادية. وقد اتخذت هذه السياسة منحىً تصاعدياً خطيراً منذ تسلم زكي بدر لوزارة الداخلية، حيث بدأ يتبجح علناً بأن علاج الجماعات الإسلامية هو الضربُ في سويداء القلب.

وكان هدف حملة البطش واضحاً ألا وهو زرع اليأس في قلوب الشباب المسلم، وإيهامهم بأن أية مقاومة لا جدوى منها، ولن تؤدي بأصحابها إلا إلى الكوارث والنكبات، وأن السبيل الوحيد

هو الاستسلام لسياسة النظام الداعية إلى التنازل أمام أمريكا وإسرائيل... وكان هذا التيئيس من جدوى أية مقاومة هو حجر الزاوية في سياسة التوسع اليهودي في المنطقة... فقد أدرك اليهود أن قمع المقاومة المضادة لهم، لن ينجح ألا إذا زرعوا روح اليأس في نفوس المسلمين، وأن هذا اليأس لا يمكن أن يثمر ثماره إلا عبر حملة من البطش والقمع والتعذيب والقتل، تجعل من الحركات الإسلامية عبرة لمن يعتبر، وتحيل كل من يتصدى لسياسة النظام إلى كتلة مهمشة، تبث الرعب والقنوط في نفس كل من ينظر إليها". ا.هـ

لقد فقه اليهود من أين تؤكل الكتف، ونجحوا مع وكلائهم في المنطقة عبر سياسة البطش والضرب في سويداء القلب في زرع روح اليأس في نفوس بعض الجماعات الجهادية، وبعض رموزها من جدوى أي مقاومة أو تغيير. ونتيجة لذلك، أعلنت تلك الجماعات وأولئك الرموز استسلامهم باسم المراجعات، فخرجت إلى العلن ما عرف بتراجعات الجماعة الإسلامية. كذلك خرجت وثيقة " ترشيد العمل الجهادي" للدكتور فضل (سيد إمام) حفظه الله. كذلك تراجع بعض المشايخ الذين كانوا يوماً ما سنداً قوياً للجهاد والمجاهدين، نسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن يلهمنا جميعاً الرُشد والسداد، وأن يردّنا وإياهم إلى الحقّ ردّاً جميلاً.



الدكتور فضل (سيّد إمام) حفظه الله

وخلاصة هذه التراجعات، كما يقول الشيخ أيمن الظواهري -حفظه الله- في كتابه "تبرئة أمة القلم والسيف من منقصة تهمة الخور والضعف" بتصرّف، هي:

"التبرؤ من إخوانهم المجاهدين، وتشكيكهم في منهجهم، وإخراجهم من ميدان المواجهة بحجة العجز والضعف، وبحجة عدم توفر مقومات الجهاد، وبحجة اليأس من إمكان الحركات الجهادية من أن تُحدث أي تغيير" ا.هـ

ولك أن تتخيل معي أيها القارئ العزيز مقدار اليأس والقنوط والاضطراب الذي سيتسلل إلى قلوب بعض ضعاف النفوس والعقول من المجاهدين -ناهيك عن عوام الناس- عندما يشنّ المتراجعون من بعض رموز وقيادات العمل الجهادي -الذين كانوا في يوم من الأيام رموزاً يُقتدى بها في هذا الطريق- حملةً شعواء بالتشكيك والشبهات على منهج المجاهدين، متناسين أو غافلين بأن حملتهم تلك هي عين ما يُريده وأشار إليه العديد من كتاب الحملة الفكرية الصليبية في كتبهم ومقالاتهم.

جديرٌ بالذكر أنّ إعلان الرئيس الأمريكي السابق بوش الابن -بعد ضربات الحادي عشر- حربه العالمية الصليبية على كلّ ما هو إسلامي باسم مكافحة الإرهاب كان قد نقل القاعدة نقلة نوعية خطيرة، حيث اقتنعت كثيرٌ من الجماعات الجهادية أن توجه الشيخ أسامة بن لادن قد وضع المعركة في مسارها الصحيح، وعليه تمدد مشروع القاعدة منتشراً في كل العالم. وحينها أدركت الإدارة الأمريكية أن القضاء على القاعدة بات أمراً مستحيلاً، لأنها ارتكبت خطأً فادحاً بوضع الجميع في سلّةٍ واحدة. وبناءً عليه أدركت الإدارة الأمريكية أن الانتصار النهائي في هذه الحرب هو في حرب الأفكار التي دعا إليها وزير الدفاع الأمريكي السابق رامسفيلد، والتي تهدف إلى كسب العقول والقلوب، وتغييب وعي[1] الشعوب.

وكان البنتاغون قد أكّد في تقرير أصدره في ٦ فبراير ٢٠٠٦م، بعد دراسة أربع سنوات من حرب الإرهاب، قال فيه: **"إن انتصارنا النهائي هو في حرب الأفكار، ونزع الشرعية عن الإرهابيين كي يفقدوا مصداقياتهم بين الجماهير".**

وعن هذا الأمر يقول الباحث "جارفينكل" في كتابه (مرشد تطبيقي لكسب الحرب على الإرهاب): **"كل سلطة غير مسلمة اختارت أن تضع يدها على الشرق الأوسط واجهت مشكلة كسب القلوب والعقول المسلمة"** وهو يقصد هنا الاحتلال القديم الذي كان اعتماده على القوة العسكرية فقط، ثم ينصح "جارفينكل" الاحتلال الحديث **بأن يُراعي البعد الفكري في المعركة، فينصح بوجوب تدشين حملة متواصلة من إظهار الاحترام والتقدير للإسلام، مع تعبئة بعض المسلمين ليكونوا حماة وواجهة لتلك الحملة، ليتم إقناع الشعوب أن أمريكا غير معادية للإسلام أبداً، ولا تريد الاعتداء على الشعوب، وإنما هي تواجه المتطرفين والإرهابيين فقط لأنهم يعتدون عليها .. وهذا النوع من الحملات التي تُصدّر للشعوب كي تخدعهم وتُزيّف وعيهم هو عين ما نقصده بسلاح "الدبلوماسية الشعبية!"**[2] ا.هـ

ولتحقيق تلك **"الدبلوماسية الشعبية"** المزعومة عكف العشرات من مراكز البحوث والدراسات الصليبية سنوات عديدة على دراسة تنظيم القاعدة والجماعات والحركات الجهادية[3] حتى تصل إلى توصيات وسياسات -تقدمها للحكومة الأمريكية- تعتقد أنها أنجع الطرق لمكافحة هذه الجماعات والقضاء عليها. وكان أعداء الله يعملون على عدّة محاور؛ من أهمها دقّ إسفين بين الجماعات الجهادية وحواضنها الشعبية من جهة، بغرض إظهارهم على أنهم مجرد قتلة متعطشون للدماء، ومتشددون إلى آخر التهم. ومن جهةٍ أُخرى دقّ إسفينٍ آخر بين دعاة الجهاد العالمي (القاعدة) وبين الحركات الجهادية المحليّة، وذلك بالعمل على زرع الخلافات بينهما تأسيساً على أن عقيدة القاعدة لا تتبناها جميع الحركات الإرهابية أو المتمردة في العالم، وما حدث في العراق والشام أصدق دليلٍ على ذلك.

وتنفيذاً لتوصيات مراكز البحوث الصليبية شن ألوفٌ من علماء السلاطين، وفقهاء البنتاجون، والكثير من الجهاديين المتراجعين حملات مكثّفة من التشكيك والتلبيس والشبهات في مشروعية منهج

---

١) هناك تفاصيل رائعة عن هذا الموضوع في كتاب معركة الأحرار الذي ننصح بقوةٍ قراءته.

٢) معركة الأحرار. للكاتب م. أحمد سمير

٣) حتى نعلم مقدار الهمّة والمثابرة لمراكز البحوث والدراسات الصليبية في حربها للإسلام باسم مكافحة الإرهاب، جديرٌ بالذكر أنّ نعلم أنّ دراسة واحدة فقط من هذه الدراسات استغرقت أربعة سنوات صدرت عن مؤسسة راند في سبتمبر ٢٠٠٨م، بعنوان "القضاء على المجموعات الإرهابية"، قامت بدراسة ٦٤٨ مجموعة إرهابية ما بين عامي ١٩٦٨ و٢٠٠٦م.

المجاهدين. وليس أدلّ على صدق ما نقول من أن الأمريكيين كانوا يوزعون علينا في معتقل غوانتنامو كتب تراجعات الجماعة الإسلامية الأربعة، على أمل أن تغيّر ما جاء فيها من تراجعات مفاهيم الشباب.

يذكر ويليام ماكنتس وزملاؤه من مركز مقاومة الإرهاب في أكاديمية الولايات المتحدة العسكرية التابعة للجيش الأمريكي أن **استنكار أعمال الجهاديين يكون ضاراً إذا جاء بالذات من ثلاث طوائف: الزعماء الدينيين المؤثرين، والجهاديين السابقين، والجهاديين الحاليين البارزين**[1].

وقال جيمس فيليبس في محاضرته التي ألقاها في مؤسسة التراث:

"أنه لكي تردع شخصاً ما عن اللحاق بالقاعدة، فمن المفيد أن تقنعه مسبقاً بأن القاعدة تخوض حرباً خاسرة، وأنها تؤذي المجتمع الإسلامي بأساليبها الفظّة، وأن أهدافها البعيدة غير واقعية، وكثيراً ما تسبب الضرر للمسلمين، وأن على الولايات المتحدة أن تعتمد على الزعماء السياسيين والدينيين المسلمين لتحقيق ذلك...

وقال أيضاً إن حرب الأفكار بنفس أهمية حرب ميادين القتال إذا أريد هزيمة القاعدة هزيمة حاسمة. والهدف المحوري على المدى البعيد هو انتقاص ونزع الشرعية عن العقيدة التي ينشرها الإرهابيون بين مؤيديهم ليبرروا القتل بالجملة. ولكي تحط من عقيدة بن لادن، فعلى المسلمين أن يقتنعوا بأن برنامجه الثوري غير واقعي، ويُعرّض المسلمين لتكاليف باهظة، وأن هناك طريقاً أفضل لينظموا حياتهم، ويعولوا أسرهم، ويمارسوا الإسلام الأصلي.

وهذه الحجج لا بد أن يسوقها الزعماء السياسيون والدينيون والتربويون والفكريون المسلمون، وعلى غير المسلمين أن يهتموا بمساعدتهم على نشر وإشاعة وحشد التأييد لتلك الأفكار، وعلى الحكومات أن تعمل مع الزعماء الدينيين والسياسيين المسلمين لكشف عقيدة القاعدة الدموية التي تنتهك التعاليم الإسلامية، وعلى العلماء المسلمين أخذ المبادرة في تحصين الشباب المسلم ضد فيروس الإرهابيين العقائدي السام وعلى صناع الأفلام الوثائقية المسلمين أن يبينوا للعالم الإسلامي البؤس الذي كان يعيش فيه الأفغان تحت حكم الطالبان القمعي الذي كانت تؤيده القاعدة. وبالإضافة لانتقاد عقيدة القاعدة، فلا بد من بذل الجهد في انتقاد تكتيكها المفضل؛ العمليات الانتحارية كما زعم... ولا بد للولايات المتحدة أن تُظهر بن لادن على أنه يهدد العالم الإسلامي كما يهدد الغرب. ولا بد من أن نبذل أقصى الجهد لإثبات أن بن لادن قد قتل من المسلمين أكثر مما قتل من غير المسلمين، ومن الأفغان أكثر مما قتل من الأمريكيين"[2] ا.هـ

يقول روهان جواناراتنا[3]:

"لا بد من توجيه رسالة؛ أن القاعدة ومنظماتها المشاركة لها ليست منظمات قرآنية، وأنها تمثل نسخة فاسدة من الإسلام عن طريق إساءة تفسير وإساءة تمثيل القرآن والنصوص

١) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري. بتصرّف طفيف.

٢) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

٣) روهان جواناراتنا هو رئيس المركز الدولي لبحث العنف السياسي والإرهاب في معهد الدفاع والدراسات الاستراتيجية في سنغافورة، وزميل أكبر في مركز مكافحة الإرهاب التابع للجيش الأمريكي.

الأخرى. ولا يمكن أن يقل التهديد الإرهابي الحالي والناشئ، إلا بمجابهة اعتقاد أن المسلم الصالح يجب أن يجاهد"[1] ا.هـ

معلّقاً على الكلام السابق، يقول الشيخ أيمن الظواهري في كتابه فرسان تحت راية النبي:

"أي أنه يطالب بإسقاط ومحاربة فرضية الجهاد العينية في هذا الزمان ضد الغزاة الكفار المحتلين لديار الإسلام حتى تنعم هذه القوات الغازية بالأمن والسلامة، وتستمر في سرقة ثروات المسلمين، وتقسيم أراضيهم، وتوسيع رقعة إسرائيل. ومن هنا يتبين المقصد الخبيث وراء تلك البحوث وأولئك الباحثين. ورغم أن كل أمم الأرض تعتبِر أن مقاومة الغازي المعتدي حق طبيعي إلا إن هذا الحق محرّم على المسلمين، لأن البحث المسمى بالعلمي والإعلام والدعاية، كلهم يعملون ضمن منظومة الحملة الصليبية ضد الإسلام والمسلمين. ثم يزيد الأمر وضوحاً بذكره أن التهديد الإرهابي الحالي والقادم لن يقل إلا بمحاربة هذه الفرضية العينية، أي باستسلام الأمة المسلمة للغزو الصليبي اليهودي، وحينئذ يصبح المسلمون معتدلين بريئين من تهمة الإرهاب، أما إذا قاوموا فهم إرهابيون" ا.هـ

ومع أن أعداء الله يمكرون الليل وصلاً بالنهار، وأن مكرهم لتزول منه الجبال، ليت هؤلاء المتراجعين يوقنون بأن دين الله حتماً منصور، وأن العاقبة للمتقين، وأن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله، وأنه لا تزال طائفة من هذه الأمة ظاهرين على الحق لا يضرها من خذلها ولا من خالفها، كما اخبرنا بذلك رسول الله ﷺ حيث قال: ﴿لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ﴾ رواه مسلم.

ليت هؤلاء المتراجعين من إخواننا ومن ألجئ إلى مثل حالهم إذ انسحبوا من القافلة، أن يمسكوا ألسنتهم، ولتسعهم بيوتهم، وليبكوا على خطيئاتهم، وليسألوا الله للثابتين الثبات، ولأنفسهم فرصة ثانية تعوض ما فات[2].

ليت هؤلاء المتراجعين -بسبب اليأس والعجز الذي أصابهم من جرّاء سياسة الضرب في سويداء القلب- أخذوا الحكمة من صنديدٍ من صناديد الكفر؛ عتبة بن ربيعة، وذلك عندما قدّم نصيحة غالية لقريش قائلاً لها:

"يَا معشر قُرَيْش أَطِيعُونِي واجعلوها لِي، خلوا بَين هَذَا الرجل وَبَين مَا هُوَ فِيهِ واعتزلوه، فوَاللهَّ لَيَكُونن لقَوْله الَّذِي سَمِعت نبأ عَظِيماً، فَإِن تصبه الْعَرَب فقد كُفيتموه بغيركم، وَإِن يظْهر على الْعَرَب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد النَّاس بِهِ".

لكن يأبى الله إلّا أن تمضي حكمته وهي: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾. نسأل الله الكريم، ربّ العرش العظيم، أن يربط على قلوبنا ويثبتنا على دينه حتى نلقاه وهو راضٍ عنا، آمين.

ولعل مما يعبّر عن هذه التراجعات قصيدة للشيخ حسين بن محمود يقول فيها[1]:

---

١) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

٢) دعوة المقاومة الإسلامية. للشيخ أبي مصعب السوري.

قتل حربيٍ صائلٍ جريمة لا تُغْتَفَر ... وهتكُ عرضِ المسلمات مسألة فيها نظر
ضع السلاح ودسّ رأساً كالنعامة ... وانسَ الجهاد ليس في القتل سلامة
اركن كتاباً مُنْزلاً وسنّة صحيحة ... فليس أحق أن تستفتي منك القريحة
شيخ تولّى حاكماً خيرٌ من ملَكْ ... هو المعصوم فحط رحلاً، لا أمّ لَك
أنا أُخيّ ناصحٌ فخذها مني قاعدة ... إن أردت العيش عيشَ حياة واعدة
بشَّ للنصارى والثم جبهة اليهودِ ... واسأل الله وطئ حاكمٍ مِنكَ الخدود
كن مسلماً معتدلاً بمقياس راندِ ... وإن يُجهل عليك فاقتدي
ليس لخالدٍ وسعدٍ والمثنى حقيقة ... بغاندي أضغاث أحلام الأزمان السحيقة
لا يهمّك غير جمع قوت أهلك ... دينٌ جهادٌ ليس هذا من شُغلك
لا تكلَّف نفسٌ إلا نفسها ... وإن هتك العلوج عرض أختها
فارق الخوارج والفئات الضالة ... وإن هي في الوغى لجيش الكفر فالّة
هم العدو وليس بوشٌ أو أوباما ... إنما الصديق من لهتك العرض رامَ
وإن حرّض ابن لادن يوماً لحربِ ... وصاح في الرجال من كل صوب
تزيّنت حوراء تبتغي الوصالا ... فالعُذر منك أن قد دعي الرجالا

يقول الإمام الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- في بيانٍ له بعنوان، "أبو رغال العصر وخيانة الأمة" بتاريخ ٢٨ مارس ٢٠٠٢م:

"إن هذه الأحداث العظيمة، هي الجهاد المبارك الذي واصل مسيره نحو الهدف المنشود والخبر الموعود، وجاء ليفضح تلك المقولة الهزيلة، والحجة المدحوضة. فهذه المقولة (ماذا عسانا أن نفعل، ليس بأيدينا شيء، الأمرُ ليس لنا) لم يعد لها مكان، ولا يتسع لها قلب، ولا يرضاها ضمير حي في ظل الأحداث الدامية التي تتعرض لها أُمتنا، فالكل مطالب اليوم بالجهاد والعمل الجاد، وعلى القيادات الشعبية بجميع شرائحها أن تتحرك لوقف هذا النزيف الهادر، وفضح تلك الخيانات المكشوفة، ومن لم يستطع الحركة من هذه القيادات بسبب ما وقع عليه من ضغط وإرهابٍ في ظل هذه الأنظمة، فلا أقل من أن يفسح المجال لغيره من الطاقات الجريئة -والقادرة على التغيير، ووضع الأمور في نصابها الصحيح- وليحذر من القعود والتخذيل، وليتجنب عملية التربص المذموم والاحتكار المحرم، فالجهاد الذي أخرج أولئك الفتية الذين استجابوا لقوله تعالى:﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ {التوبة:٥}. إن هذا الجهاد قادِرٌ على إخراج وتحريك

---

١) في مقالٍ له بعنوان "هذه هي القاعدة" يقول الشيخ حسين بن محمود عن هذه الأبيات: **"هذا نظم بسيط -ربما كان سقيم المبنى ولكنه صحيح المعنى- يبيّن حال الأمة اليوم، وحقيقة ما يدعوا إليه الحكام، وحقيقة ما يراد لأبناء الأمة أن يصيروا إليه".**

غيرهم من أبناء الأمة، فالجهادُ ماضٍ إلى يوم القيامة، أما نحن كأفراد فأيامُنا معدودة، وسنقف بعدها بين يدي الله عز وجل: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ {الزلزلة:٧-٨}. ا.هـ[١]

ولعل أكبر دليل على صدق كلام الشيخ أسامة -رحمه الله- هو أن حركة طالبان بصمودها وثباتها على ثوابت هذا الدين أحيت في هذه الأمة عزّتها وكرامتها من جديد، وأصبحت حجة على أولئك المتراجعين، وقلبت بفضل الله وحده كل الموازين. لقد أفشلت حركة طالبان كل مخططات اليهود والصليبيين وعملائهم من قطف ثمار هذه السياسة الخبيثة. فرغم أن أمريكا وحلفاءها على مدى عقدين من الزمان -بما يملكونه من قوّة تدميرية هائلة- قد نفّذوا بكل ما تحمله الكلمة من معنى سياسة الضرب في سويداء القلب -لإخضاع وتركيع حركة طالبان- بدءاً من المداهمات الليلية، وتفتيش البيوت وترويع ساكنيها بحجّة البحث عن المطلوبين، وانتهاءً بسياسة الأرض المحروقة، وتدمير البيوت، وتحريق المزارع، وتعذيب الأسرى بشتى ألوان التعذيب في السجون و..و..و الخ، رغم كل ذلك لم تؤدّ هذه السياسة -كما خُطّط لها- إلى زرع اليأس في حركة طالبان، أو إيهامها بأن المقاومة لا جدوى منها ولن تؤد بها إلا إلى الكوارث والنكبات، وأن السبيل الوحيد هو الاستسلام. فالذي حدث عكس ذلك تماماً، مصداقاً لقوله سبحانه جلّ في علاه ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾، فقد شهد العالم كيف أدّت عمليات حركة طالبان الجهادية المباركة إلى زرع روح اليأس في قلوب الأمريكيين وحلفائهم بأن هذه الحرب التي يخوضونها ما هي إلّا حربٌ خاسرة لا جدوى منها، وأنهم لن يستطيعوا بما أُوتوا من قوّة تحقيق أي نصرٍ على حركة طالبان، وأن السبيل الوحيد للحفاظ على حياتهم، وماء وجههم هو الجلوس معها على طاولة التفاوض، فكانت مفاوضات الدوحة التي بموجبها توّجت حركة طالبان بفضل الله وحده ثم بصبرها وثباتها ذلك الانتصار الأسطوري الذي أذهل العالم أجمع، حيث خرجت أمريكا وحلفاؤها من أفغانستان ذلك الخروج الذي حمل كل معاني الهزيمة والذلة والصغار.

كذلك -بفضل الله وحده- لم تستطع أمريكا وكل حلفائها -بما يملكونه من عقول، ومراكز دراسات وبحوث، وسياسات المكر التي يُجيدون لعبتها من دقِ إسفين بين طالبان وبين أنصارها -وعلى وجه الخصوص القاعدة- أو بينها وبين شعبها بغرض بث الفرقة والاختلاف والنزاع بينهم لشقّ صفّهم.

ليس هذا فحسب، بل أصبح اليأس من جدوى تحقيق أي نصر على حركة طالبان هو حجر الزاوية في سياسة التقوقع الأمريكي في المنطقة، وبناءً على ذلك اتخذ الرئيس الأمريكي بايدن قراره التاريخي بقوله:

"قرار الانسحاب لا يرتبط بأفغانستان فقط، بل هو نهاية حقبة الحملات العسكرية الكبرى التي كنا نخوضها لإعادة تشكيل بلدان أخرى" ا.هـ

ورحم الله الشيخ عبد الله عزام، فقد وضع النقاط على الحروف عندما قال في كتابه خط التحول التاريخي:

"ولن تهزم أمة تلتف على عقيدة صحيحة، تعيش من أجلها، وتجاهد لإحيائها مهما كان أعداؤها، ومهما تألبت عليها القوى، وأُحكمت خطط أعدائها" ا.هـ

---

١) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

عندما تُذبح الحقيقة، ويُزوّر التاريخ:

وهناك نوع آخر من الشبهات -المسموعة والمقروءة- الهدف منها ذبح الحقيقة، وتزوير الأحداث والوقائع تصدر أحياناً من بعض رموز العمل الجهادي الذين غيّبت عقولهم أفكار نظرية المؤامرة، وبعضهم طغت عليهم تصوّرات مثاليّة للعمل الجهادي، وعندما يكون العمل مخالفاً لما يتصورون لا يسلم إخوانهم من ألسنتهم بالتجريح والطعن والغمز واللمز، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وَظُلْمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً ... عَلَى الْحُرِّ مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنَّدِ

سألني بعض الإخوة عن حقيقة ما تناوله الشيخ أبو الوليد (مصطفى حامد) -حفظه الله- في بعض كتبه ومقالاته من غمزٍ ولمزٍ وتجريحٍ للقاعدة وللشيخ أسامة رحمه الله، فقلت لهم إن أردتم الوقوف على حقيقة ادعاءات الشيخ أبي الوليد فعليكم بالرجوع إلى رسالة الشيخ أحمد حسن أبي الخير رحمه الله -في وثائق أبوت أباد الدفعة السادسة- ففيها جواباً شافياً وافياً لما تناوله الشيخ أبو الوليد.

وحتّى تعمّ الفائدة، وتتضح الحقيقة لما أثاره الشيخ أبو الوليد في بعض كتبه، آثرت أن أُلحق في هذا الفصل رسالة الشيخ أحمد حسن أبي الخير كاملة، ليطّلع عليها من لم يتيسر له الحصول عليها، سائلين الله عزّ وجل أن يرينا الحقّ حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، آمين.

رسالة الشيخ أحمد حسن أبي الخير المصري -رحمه الله- للشيخ أبي الوليد المصري (مصطفى حامد) حفظه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الكريم الأستاذ الفاضل مصطفى حامد حفظه الله ورعاه:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نسأل الله تعالى أن تكونوا على خير حال في الدين والدنيا. نحن بخير ولله الحمد والمنّة، ونسأل الله أن يجمعنا وإياكم على خير حالٍ في الدنيا والآخرة.

أخي الكريم:

لقد اطلعت ومجموعة من الإخوة [1] -الذين تعرفهم ويعرفونك وتثق بهم وعايشتهم سنوات طويلة في ساحات القتال، ومعامع المعارك، وغبار السير في سبيل الله- على بعض ما نشر باسمكم من كتب ومقالات عن الجهاد والمجاهدين في أفغانستان، وبالذات ما جاء في كتابَي (صليب في سماء قندهار، وحرب المطاريد).

وقد لفت انتباهنا بعض ما تضمنته تلك المنشورات، وبالأخص ما احتواه كتاب (صليب في سماء قندهار) من أمورٍ تستحق التوقف عندها، فالكتاب إلى جانب بعض ما ذكر من الحقائق الصحيحة، فقد ضخّم أموراً أخرى لا صلة لها بالواقع، وليست لها أية علاقة بالحقيقة.

[1] كُتبت هذه الرسالة بتاريخ ٢٢ أغسطس ٢٠٠٩م، وحينها كان الشيخ أبو الخير المصري أسيراً في سجون إيران، وكان هؤلاء الإخوة الذين يتحدث عنهم الشيخ أبو الخير متواجدين معه في الأسر، وهم الشيخ سيف العدل، والشيخ أبو محمد المصري، والشيخ محمد الإسلامبولي، والشيخ سليمان أبو الغيث، والشيخ أبو حفص الموريتاني، وغيرهم.



وأنا ومن باب النصح الأخوي العام الذي هو حق للمؤمن على أخيه المؤمن، وبحكم علاقة الأُخوة الخاصة التي ربطتني بك سنوات في أرض الجهاد، ومن باب بيان الحقيقة للجميع وتوثيقها، رأيت من الواجب عليَّ أن أنقل لك تعليقاتي وتعليقات الأخوة على بعض تلك الأمور التي تضمنها الكتاب، والتي تخالف الحقائق التي كنت وإياك وهم شاهدون عليها أكثر مع غيرنا من الأخوة الذين لا زالوا على قيد الحياة.

وأرجو أن يتسع لي صدرك، فأنت من مزاياك المعروفة جرأتك في النقد، وحدّتك فيه أحياناً، ومن منح نفسه هذا الحق، فلن يبخل به على إخوانه. وسوف أحاول أن يكون تعليقي على بعض ما تضمّنه الكتاب متمثلاً في نماذج من الحقائق والوقائع التي عشتها أو أكثرها معك، وعاشها معنا إخوة كثيرون هم محل ثقتي وثقتك، ولا زالوا على قيد الحياة ولله الحمد.

وقبل الشروع في صلب الموضوع، أريد أن أؤكد على حقيقتين مهمتين:

١) وهي أنني كنت إلى غاية قراءتي للكتاب قبل شهرين أعتقد أن الأستاذ مصطفى حامد لا يقول ولا يكتب إلا ما يعتقد هو على الأقل أنه الحقيقة، وكانت مشكلته مع بعض أصدقائه هي طريقة نشره للحقيقة، وليست عدم صدقه في نقله لها.

ولعلك تتذكر أنني قد أرسلت لك من قبل، واقترحت عليك تأجيل نشر بعض الحقائق أيام (هاشم المكي)[١] لأنّي أرى أن الوقت ليس مناسباً لنشرها في تلك الظروف، والمستفيد من نشرها يومئذ هم الخصوم والأعداء في رأيي، ولم أختلف معك يومها أن كثيراً منها حقائق، ولكني بعد قراءة الكتب الأخيرة وخاصة (صليب في سماء قندهار) اهتزت قناعتي السابقة، واكتشفت أن حجم تشويه الحقائق الموجود في الكتاب يصعب تفسيره أو تبريره، أو إيجاد مخرج لائق له، وكان من الصعب عليّ أن أقف وبقية الإخوة صامتين بينما تُذبح الحقيقة ويُزوّر التاريخ، من أجل أهدافٍ أعرف أنك أول من يكفر بها .

وهذا الأمر جعلني أشك في نسبة الكتاب إليك حقيقة، فأنا أستبعد صدور مثل هذه الأمور عن شخصك الكريم. ولذلك فأنا في هذا التعليق أنسب الأقوال للكتاب وليس لك شخصياً، (مع أنني سأذكر كلامي بصيغة المشار إليه وهو أنت لكونه صدر باسمك الكريم)، لأنني أستبعد أن تكون أنت الذي كتبت هذه الأمور المنكرة.

ومهما يكن، فسوف تبقى لك شيخنا الكريم مكانتك ومنزلتك وسابقتك في الجهاد محفوظة عندي وعند الله وعند الناس إن شاء الله.

٢) لا أشك أن الكتاب هو كتابٌ نقدي ينقد مرحلةً من المراحل بما فيها من إيجابيات وسلبيات، ولكن من المعلوم عند النّقاد المنصفين أن النقد لا يكون بصيغة الهدم المطلق، والتحقير والتسفيه والاتهام المباشر للبعض إلى حدٍ وصل أحياناً إلى التخوين، وكل ذلك بلا دليلٍ ولا برهان، مما يوحي للقارئ أن هناك معركة لا زالت نارها تشتعل بين جنبي الكاتب مع بعض من عاصروه وعايشوه، وقد وجد الفرصة المناسبة من خلال قلمه لتصفية الحساب بينه وبينهم دون النظر إلى ما يؤديه ذلك من نتائج سلبية قاتلة، هذا فيما لو كانت الاتهامات صحيحة فكيف وهي مشكوك بها ولا دليل عليها.

١) في فترة من الفترات كان الشيخ أبو الوليد يكتب مقالاته باسم هاشم المكّي.

٣) واضح أن الكاتب آذاه ما وصل إليه الحال بعد الأحداث، وكأنه يريد النجاح حليفه وحليف من معه دائماً، وكأنه لا يعلم أن هناك أخطاء وابتلاءات وتمحيص وتنقية واختيار، ليميز الله الخبيث من الطيب، ولولا أنني والإخوة نعرفك جيداً ونعرف صدقك لقلنا أن أبا الوليد ينتقم بكلامه ممن أدخله بهذه الورطة، مع أنه (أبا الوليد) كان من أكبر وأكثر المدافعين والمؤيدين له، ينتقده اليوم ويهاجمه ويتهمه، بل كان مستشاره السياسي بجدارة[١] .

أخي الكريم:

وقبل الدخول في تفاصيل التعليق وذكر الأمثلة، أريد أن أذكر بعض الملاحظات العامة على الكتاب.

الملاحظة الأولى:

هي أن القارئ للكتاب من أوله إلى آخره يدرك بسهولة أن الكتاب في جوهره هو هجوم كاسح -بسبب وبدون سبب- على أهم شرائح المجاهدين، وفي مقدمتهم المجاهدين الذين تصفهم (بالسلفية)، وتمثلهم من وجهة نظرك (القاعدة وأميرها الشيخ أسامة)، ومن على شاكلتهم من المجاهدين في الشيشان أو البوسنة.....الخ.

كما نالت حركة طالبان نصيباً مقدراً من هذا الهجوم. ولم يسلم من هذا الهجوم الكاسح إلاّ قلة من الإخوة الأوزبك والطاجيك، الذين شفعت لهم علاقتهم بك وبالجمهورية الإسلامية على ما يبدو، فسلِموا من هذا الهجوم الكاسح، بل نالوا نصيباً وافراً من الإطراء والمديح.

وما تضمنه الكتاب من أمور أخرى هي في الحقيقة سيقت لخدمة هذا الهدف. وفي الوقت الذي أُقرّ لك بحق النقد البنّاء، إلّا أنني أرى أنّ نقدك للمجاهدين وقياداتهم لم يكن موضوعياً ولا متوازناً، بل كان ظالماً متحيزاً، فقد ظلمتهم حين اتّهمتهم تهماً باطلة لم تكلّف نفسك عناء محاولة إثباتها، وظلمتهم مرة أخرى حين لم تذكر لهم حسناتهم وتضحياتهم بما يتناسب مع حجمها، مع أنك مطّلع عليها بدقة. وسوف تأتي معنا أمثلة تفصيلية لهذا الكلام.

وفي المقابل، ففي الوقت الذي حمّلت تيار أصحاب (العقيدة الصحيحة) على حد تعبيرك مسؤولية التآمر على الجهاد والمجاهدين، والكوارث التي حلت به، لم تحمّل أصحاب (العقيدة الفاسدة) مسؤولية ما قاموا به من دور مكشوف كانوا ولا زالوا يفاخرون به في التآمر على الجهاد وخيانة المجاهدين، وأنت مطلع عليها بالكامل. فهل هذا من الإنصاف والعدل أخي الكريم؟

الملاحظة الثانية:

أن الكتاب في سبيل خدمة فكرته المتمثلة في هدم هذا التيار الجهادي -الذي سبق الحديث عنه- وفكره، وتحميله مسؤولية ما قام به وما لم يقم به، حشد كماً هائلاً من التهم التي ما أنزل الله بها من سلطان. وهذا ما سنراه من خلال النماذج والأمثلة التي سنذكرها فيما يلي:

المثال الأول: حول عمليات ١١ سبتمبر:

تكلم الكِتاب على عمليات سبتمبر من عدة نواح، وقد جاء كلامه في معظمه مخالفاً للحقيقة، مليئاً بالمغالطات. فمن حيث الجهة التي قامت بالعمليات تبنّى الكتاب وجهة نظر غريبة عجيبة، فهو تارة

---

١) المشار إليه هنا هو الشيخ أسامة رحمه الله.



يشكك في كون تنظيم القاعدة هو الذي قام بها، فيقول مثلاً: **"ولو صحّت الادعاءات الأمريكية أن بن لادن نجم جلال أباد يقف وراء تدمير مباني مركز التجارة الدولي...."** (الصليب ص ٤٦). وتارة يعترف بحقيقة أن القاعدة هي التي قامت بالعمليات، ولكنه يحرص على أن يسلبها أي شرف في ذلك، فيدعي أن المخابرات الأمريكية هي التي استدرجتها للعمليات، وسهلت مهمتها للقيام بها. يقول الكتاب بالحرف:

"ولكن النظرية التي يتبناها الكاتب هي أنّ أمريكا كانت تجهز لعملية "عاصفة الطائرات" منذ عام ١٩٩٧م، وتستدرج إليها تنظيم القاعدة عبر اختراق أمنى للتنظيم بعناصر تعيش في أوروبا وباكستان".

وتارة يتنقّل فيضيف دوراً آخر في العمليات للموساد الإسرائيلي (انظر ص ٣١١ من كتاب صليب في سماء قندهار). وتارة أخرى يرى أن الدور الأمريكي في العمليات كان مقتصراً على عدم إيقافها مع العلم بها. اقرأ معي كل ذلك في النص التالي: يقول الكتاب:

"... وفي عاصفة الطائرات العربية (٢٠٠١م) دلائل كثيرة تشير إلى معرفة جهات أمنية أمريكية بعملية "عاصفة الطائرات" قبل تنفيذها. وأن تحذيرات عديدة وصلت إلى المسؤولين الأمريكيين على أعلى مستوى، وقد تم تجاهلها جميعاً".

لاحظ أنه في هذا النص يثبت مجرد علم الأمريكيين بالعمليات، وفي النص الذي قبله يثبت أنهم هم الذين كانوا يجهزون للعمليات. وتارة أخرى يرى أن الدور الأمريكي تجاوز مرحلة تجاهل التحذيرات إلى مرحلة تسهيل المهمة.

تابع معي قول الكتاب:

"بل الأدهى من ذلك دلائل على أن هذه العملية قد تم إفساح الطريق لمنفذيها وتسهيل إنجازهم لها. الإجراء الوحيد الذي تم اتخاذه أمريكياً هو عدم ذهاب الموظفين اليهود يومها -وعددهم أربعة آلاف- إلى عملهم في أبراج التجارة، كما لم يذهب زملاؤهم اليهود إلى أعمالهم في البنتاجون الذي صدمته طائرة أخرى حسب ادعاء السلطات الأمريكية ...

إذن ما حدث في ١١ سبتمبر ٢٠٠١م كان ببساطة مؤامرة حاكتها الإدارة الأمريكية على شعبها لأجل استدراجه لتأييد مشروعها الإمبريالي، "وتهويلاتها العسكرية" التي تغير بها الحقائق السياسية في العالم. والأعجب أنها استدرجت وسهّلت العمل لمنظمة "إرهابية دوليّة" كي تدمر منشآت وتقتل مواطنين مفروض على تلك الحكومة أن تحميهم. هذا ما حدث لتبرير "الحرب العالمية على الإرهاب "الإسلام" والتي بدأت بالحرب على أفغانستان...

وكما كانت "تهمة" حيازة أسلحة دمار شامل تهمة جامعة بين أفغانستان ثم العراق لتبرير الحرب، نذكر بأن تهمة "الإرهاب" كانت أيضاً تهمة مشتركة، فالقاعدة ضُبطت متلبسة بالجريمة التي أعدتها لها الحكومة الأمريكية وسهلت لها القيام بها بأيسر وأتم صورة... وإذا كان صدّام حسين قد مارس إرهاب الدولة بعيون مفتوحة، واتفاق واضح مع الولايات المتحدة، فإن القاعدة مارست "إرهاب التنظيم الدولي" بعيون مغلقة، وباستدراج أمريكي كامل". (النصوص السابقة منقولة من كتاب صليب في سماء قندهار ص ٢٨٠ وما بعدها).

إنه لعجب أن يتبنى كتاب -يتحدث عن موضوع بهذه الدرجة من الأهمية- هذه النظرية الغريبة التي تخالف رواية من قاموا بالعمليات، ومن كانوا هدفاً لها، ومن كانوا شهوداً عليها. والكتاب يبني على نظريته هذه أموراً واستنتاجات مهمة، فهو يرى أن الأمريكيين لم يردّوا على تدمير مدمرتهم كول في عدن، لأن ذلك لو تم قبل عاصفة الطائرات التي يخططون لها مع القاعدة سيلغي المخطط الأمريكي في حربه على الإرهاب حسب زعم الكتاب.

جاء في الكتاب ما نصه:

"وكان توجيه ضربة قوية للقاعدة قبل تنفيذ "عاصفة الطائرات" -انتقاماً لضرب المدمرة كول- كان سيلغى المخطط الأمريكي في شن حرب عالمية على الإسلام بدعوى "مكافحة الإرهاب الإسلامي" لذا مرت عملية كول بلا عقاب". (الصليب ص ١٨١).

وأنا لن أعقّب طبعاً على هذا الكلام، الذي لا شك أنك تعرف جيداً أنه غير صحيح، ولكني أسأل سؤال وهو: إذا كانت أمريكا قد استدرجت القاعدة منذ سنة ١٩٩٧م لعاصفة الطائرات حسب زعم الكتاب، ولم تضرب القاعدة بعد ضرب المدمرة كول حتى لا تُفوِّت فرصة شن حرب شاملة على الإرهاب كما يزعم الكتاب، فلماذا شنت عاصفة صواريخ كروز سنة ١٩٩٨م على أفغانستان والسودان، وهو تاريخ بعد سنة من بدء تحضيرها المفترض لعاصفة الطائرات واستدراج القاعدة إليها؟

لماذا لم تسكت على ضرب سفارتيها في شرق إفريقيا حتى لا تُفوِّت الفرصة الثمينة التي كانت بدأت تستدرج القاعدة لتهيئتها؟

لقد تبنى الكتاب وجهة نظر المخابرات الإيرانية تماماً، وهي نظرية يعرف الكاتب قبل غيره أنها نظرية أقل مساوئها تعمّدها اختلاق الأكاذيب وترويجها، مدفوعة بالحقد الطائفي والسياسي.

وإذا انتقلنا قليلاً إلى كتاب (حرب المطاريد) وفي جانب آخر يتعلق بأحداث سبتمبر، نجد الكاتب يناقض نفسه في أكثر من موضع، فالكتاب عند حديثه عن معاملة العدو في الحرب يروّج لمبدأ وجوب معاملة العدو بالمثل، واستخدام أسلحة تدميرية تفوق قدرته على التحمل. ومما جاء في الكتاب بنصه: **"العين بالعين والسن بالسن والبادئ أظلم. لقد أخطأ المسلمون كثيراً عندما أهملوا ذلك القانون البسيط رغم كونه بديهياً ..."** (المطاريد ص ٦٠).

"لن يتوقف برنامج الدمار هذا ما لم نواجه العدو بضربات تدميرية تفوق قدرته على التحمل..." (المطاريد ص ٨٤).

"إن امتلاك قوات المطاريد لقدرات رادعة من أسلحة متطورة أشد فتكاً أضحى ضرورة ومسألة حياة أو موت..." (المطاريد ص ٨٤).

هذا كلام الكتاب على أهمية امتلاك المطاريد لأسلحة فتاكة ذات قدرة تدميرية تفوق تحمل العدو. ونحن نؤيده في الجملة، ولكن الكتاب عندما علق على أحداث سبتمبر ناقض نفسه عندما قال:

"وليس من الرحمة أيضاً قتل النساء والأطفال وغير المحاربين عموماً". (المطاريد ص ٥٩).

وعند تعليقه على أحداث سبتمبر أشار إلى نقطة ضعف خطيرة في المسار الأخلاقي والشرعي في الأحداث (أنظر المطاريد ص ٧٧).

ونحن نتساءل هل يمكن أن نستخدم الأسلحة الفتّاكة التي تكلم عنها الكتاب أعلاه آخذين بمبدأ "العين بالعين والسن بالسن والبادئ أظلم" دون أن تكون هنالك ضحايا من جنس ضحايا البنتاجون وأبراج التجارة في ١١ سبتمبر؟

وهل إذا أخذنا بمنطق (العين بالعين والسن بالسن والبادئ أظلم) الذي أكد الكاتب على ضرورة الأخذ به نبقى مع ذلك في هذا (الحرج الأخلاقي والشرعي)؟! وإذا كان الكتاب يرى أن قتل غير المقاتلين فيه حرج شرعي وأخلاقي، **فهل شعر بهذا الحرج عند قصف حزب الله لبنان المدن اليهودية في فلسطين؟**

طبعاً لم يشعر به بل أشاد بذلك العمل، كحال كل منصف ينظر بموضوعية وعدل للأمور. وليته نظر بعين الإنصاف والعدل ذاتها إلى عمليات سبتمبر، فالعدالة لا تتجزأ، والخلاف مع جهة ما لا يجوز أن يكون مسوّغاً للجور في تقييم أعمالها.

المثال الثاني:

كيل الاتهامات جزافاً للقاعدة والشيخ أسامة:

لقد شُحن الكتاب من أوله إلى آخره بالتهم الموجهة دون حساب لتنظيم القاعدة وللشيخ أسامة دون أن يكلف نفسه البحث عن الدليل على صحة تلك التهم التي لا يصدق أكثرها الأعداء فضلاً عن غيرهم.

ومن هذه التهم على سبيل المثال:

١) أن الشيخ أسامة بن لادن يعمل بتوجيه من المخابرات الأمريكية، وأن أمريكا هي التي اختارته للعب الدور الذي حددته له حتى تحقق من وراء ذلك ما تريد من أهداف!!

فعند كلام الكتاب عن اختيار الأمريكيين لعدوهم قال:

"لم يكن من وجهة نظرهم أفضل من بن لادن، فقد خبروا إمكاناته العملية والفكرية، وقدراته التنظيمية. لقد اختاروه عن وعي كي يلعب أمامهم دور العدو الإسلامي الإرهابي الشرس.

فالعدو المعلوم إمكاناته خير من عدو مجهول المنشأ والقدرات والفكر، وذلك أمر محتم ظهوره بحكم أن أمة كأمة الإسلام لا يمكن أن تستسلم لمثل هذا المخطط بدون إبداء مقاومة شرسة. والفضل إذن بحكم المنطق والعقل أن يختار المرء عدوه، أو من يلعب أمامه ذلك الدور". (الصليب ص٥٠).

وأنا أسألك أخي الكريم هل كنت على علم بهذه الحقيقة الخطيرة عندما كنت تعمل مع الشيخ أسامة بن لادن مستشاراً مقرباً، وتلعب معه هذا الدور المحدد لكم من قبل أمريكا؟ أم اكتشفت هذه الحقيقة بعد أن أنهيت المهمة التي أنيطت بك من قبل الأمريكان؟

إنّ اتهاماً بهذا الحجم كان يتطلب من صاحبه أن يقدم عليه ما يثبته من الأدلة وإلا فإنه شريكٌ فيه. ونحن في الحقيقة لا ندري إذا طُلب من أعدى أعداء الأمة أن يطعن في مجاهد كالشيخ أسامة، ماذا يستطيع أن يقول أسوأ من هذا؟ كان لديك العديد من الأمور التي يمكن أن تنتقد بها (صديقك الشخصي) الشيخ أسامة، غير هذا الادعاء الباطل.

٢) ومما هو على هذه الشاكلة ما جاء في الكتاب حول سعي أمريكا لمنع مغادرة الشيخ أسامة لأفغانستان، فقد جاء في الكتاب ما نصه:

"ذكرنا أن ضعيف كان مطلعاً على ضغوط أمريكا على طالبان لمنع بن لادن من مغادرة أفغانستان، وقد أوشك بن لادن أن يغادر ولم تكن الإمارة لتعارض، لكن ذلك كان سيعرقل خطة الغزو لذا عارضته أمريكا، ثم اعتقلت ضعيف حتى لا يفشى السر الذي يُظهر أن قرار الغزو كان سابقاً على أحداث سبتمبر". (الصليب ص ١٩٤).

إذا كانت أمريكا قد ضغطت على طالبان لمنع خروج بن لادن من أفغانستان، فلماذا لم تعلن طالبان هذه الحقيقة أمام العالم لترفع عن نفسها الضغوط التي وقعت عليها بسبب إيوائها للشيخ؟ فلماذا لم تقل طالبان إن الشيخ اسامة يريد مغادرة أفغانستان باختياره، وإن أمريكا هي التي طلبت منا منعه من ذلك؟ أم أن طالبان متورطة هي الأخرى في هذا المخطط الخبيث الذي تحيك خيوطه المخابرات الأمريكية واليهودية مع قيادات المجاهدين؟

وهل كان هذا الموضوع سراً بين الأمريكيين والملّا ضعيف، وليس لقيادات طالبان علم به؟ أليس الملّا ضعيف سفيراً للإمارة الإسلامية يطلعها على اتصالات الأمريكيين المزعومة به؟ وكيف كان الأمريكيون يتوقعون تلبية طلبهم من الإمارة في الوقت الذي كان هذا الطلب سراً بينهم وبين الملّا ضعيف في إسلام أباد؟ أم أن السفير كان يستطيع القيام بالمهمة من مقر السفارة ودون علم الملّا عمر؟ شيء عجيب!!

نحن كنا وإياك خلال هذه المدة في أفغانستان، فهل يمكن أن تتفضل فتتذكر لنا البلد التي كانت على وشك استقبال الشيخ أسامة عند مغادرته لأفغانستان؟

نحن وإياك نعلم أنه لو كان هنالك مكان يمكن أن يخرج إليه الشيخ لخرج، ليرفع الحرج عن الطالبان من جهة، ويرفع القيود التي كانت على عمله من جهة ثانية.

٣) ومن التهم الأشد غرابة مما هو على هذه الشاكلة، زعم الكتاب أن أمريكا كانت على وشك قتل الملّا عمر في الليلة الأولى من ليالي الحرب على أفغانستان، وأنها ألغت المهمة في آخر لحظة حرصاً على سلامة الشيخ بن لادن الذي كان موجوداً في المكان!!

لقد جاء في الكتاب:

"والسؤال الهام هنا: لماذا ضيعت أمريكا الفرصة النادرة لإنهاء الحرب.. وقتل الملّا عمر داخل المسجد، في الضربة الجوية الأولى؟ وهل كان لوجود بن لادن قريباً من مجمّع الإمارة، واحتمال أن يصادف تواجده هناك تهاطل الصواريخ على المسجد والمجمّع؟ هل كان لذلك أثر في إلغاء قرار قصف مقر الملّا عمر وقتله؟ إذا كان ذلك صحيحاً؛ ألا يتناقض مع الادّعاء الأمريكي بأن بن لادن هو الخطر الأكبر الذي يواجه أمريكا في العالم، وأنه سبب الحرب على أفغانستان؟

ألم تكن الفرصة مواتية لأن تنتهي أمريكا من أكبر خطرين يواجهانها في أفغانستان بواسطة صاروخ واحد، بينما الطائرات الأمريكية في السماء تحمل في باطنها عشرات الصواريخ الموجهة، وأجهزة التجسس الأرضي الحديثة والمتطورة تمدها بالمعلومات عبر الأقمار الصناعية؟ ألا يشير هذا الحادث بوضوح إلى وجود جواسيس للأمريكان -ضمن الدائرة القريبة

من بن لادن والملّا عمر- على اتصال بالأقمار الصناعية الأمريكية بواسطة أجهزة متقدمة لرصد تحرك الرجلين؟

[من المحتمل أن تكون أمريكا قد ضحت برجلها الذي يراقب ويرافق الملّا عمر، والذى قُتل غالباً في السيارة المنتظرة أمام المسجد، لأنه منذ ذلك الوقت لم تسجل ضده محاولات متشابهة وحتى خروجه من قندهار].

وطبقاً لنفس التحليل، على افتراض صحته، فإن رجل أمريكا المرافق لبن لادن كانت مهمته دوماً تحديد موقعه حتى يتجنب الطيران قصفه، حفاظاً على سلامته.

ولماذا هذا الإصرار العجيب والاستعجال في قتل الملّا عمر في ثلاث محاولات متتابعة للاغتيال الجوي، بينما لم تسجل ولا محاولة واحدة ضد بن لادن طوال مدة الحرب؟ وهل بن لادن يمثل حالة استعصاء أمني، أم أنه يمثل لأمريكا ضرورة سياسية توفر لها ذرائع لسياسات يصعب قبولها دولياً؟" (الصليب ص ٢٢٥).

وظُهور بطُلان هذا الادعاء يُغني عن الرد عليه. ولكن مع ذلك سوف أتركك أنت ترد عليه في موضع آخر من كتابك، حيث تقول في معرض حديثك عن جنون التكنولوجيا الأمريكية، واستخدامها غير المسبوق في ملاحقة بن لادن ومحاولة قتله: **"فكانت تقوم قاذفات (بي/٢) الشبح التي لا يرصدها الرادار بمطاردة مجموعة من المقاتلين الأفغان لا تزيد عن خمسة أفراد!! ثم تدعمها في تلك المهمة "المعقدة" طائرة (أف ١٦)، أو أن تقوم طائرات التجسس بضرب مجموعة من الأفغان لا تزيد عن خمسة عشر شخصاً بالصواريخ الموجهة لأنها -أي الطائرة- لاحظت أن المجموعة تُعامل أحد أفرادها باحترام زائد!! فافترضت الطائرة الذكية، وصواريخها الموجهة بالليزر أن ذلك الشخص [قد] يكون بن لادن، فقتلت الجميع".** (الصليب ص ٣٠٤).

فهل نفهم من هذا الكلام حرص الأمريكان على سلامة بن لادن أم حرصهم على قتله واستخدام أحدث التكنولوجيا في ذلك؟

٤) ومن الاتهامات الغريبة للشيخ أسامة أنه كان يعرقل مساعي الحصول على الأسلحة غير التقليدية التي كان يبذلها بعض مساعديه؟؟

جاء في الكتاب أن الشيخ أسامة: **"عرقل كل محاولات وزير دفاعه من أجل تصنيع وامتلاك أحد تلك الوسائل ... حتى قُتل وزير دفاعه في قصف أمريكي على مقر عمله في قندهار، كما غرق سلفه قبل خمس سنوات في بحيرة أفريقية، وفي ظروفٍ غامضة، وكان في مهمة خلف تلك الأسلحة للحصول على أحدها من سماسرة يجوبون الساحل الأفريقي".** (الصليب ص ١٨٦).

وغرابة هذا الاتهام لا تكمن في عدم وجود أي دليل على صحته، بل في أن كل الأدلّة والوقائع تشهد بخلافه تماماً، فالعديد من الإخوة الحاضرين يعلمون أن الشيخ كان أكثر الناس حرصاً على الحصول على مثل هذه الأسلحة، وقد بعث عدّة إخوة إلى جهات مختلفة سعياً في هذه المهمة، وقد اعتقل بعضهم ولا زال رهن الاعتقال.

ولم يكن البحث عن تلك الأسلحة في إفريقيا، فإفريقيا ليست مظنة لتلك الأسلحة كما يعلم الجميع، وأبو عبيدة البنشيري -رحمه الله- لم يكن في مهمة من هذا القبيل عندما توفي -رحمه الله- كما يعلم الإخوة المطلعون على الأمر، وعلى افتراض أنه كان في مهمة من هذا القبيل فما كان ليقوم بذلك دون علم وموافقة وتمويل الشيخ أسامة.

ولنفترض أنك لا علم لك بكل جهود الشيخ في هذا المجال، أليست شخصية الشيخ المتخصص في (التراجيديا الجهادية) -على حسب تعبيرك- شخصية يناسبها السعي في الحصول على سلاح من هذه القبيل يمكن أن يشكل استخدامه على طريقة القاعدة فصل من فصول التراجيديا الجهادية غير التقليدية يكمّل فصول المأساة المستمرة من ربع قرن؟

ولنفترض أن الشيخ كان حصل على سلاح من هذا القبيل، فكيف كان سيستخدمه دون أن تشعر (بحرج أخلاقي أو شرعي) عندما يُقتل (بعض الأبرياء)؟!!!

٥) وقل مثل ذلك عن الاتهام الوارد في الكتاب للشيخ أسامة بأنه عُرضت عليه صفقة أسلحة متقدمة من الروس وبثمن رخيص فأعرض عنها مفضلاً عليها الأسلحة القديمة غير الفعالة الموجودة في السوق!!

وهذا نص ما في الكتاب:

"لقد أهدر بن لادن فرصة نادرة عرضها عليه جنرالات روس في طاجيكستان لتزويده بصواريخ حديثة مضادة للطيران محمولة على الكتف عن طريق قيادات عسكرية من تحالف الشمال. عرضاً مماثلاً وصل إلى الإمارة الإسلامية، مع استعداد روسي بتزويدها بطائرات هليكوبتر عسكرية، أو أي نوع من الأسلحة ترغب فيه بشرط أن تدفع الإمارة نصف الثمن نقداً بالدولارات، والنصف الآخر بمسحوق الهروين".

فهل يعقل أن يرفض مثل هذا العرض عاقل أو مجنون؟

ونحن لا نملك أمام هذا الكيل من التهم والافتراءات لرجلٍ كنت أنت أول من شجعه، وأول من وقف معه وزوده بتنظيراته السياسية والعسكرية، وبارك جهوده وجعله عباءة الأمة، إلا أن نقول إنها نظرية المؤامرة التي سيطرت على الكتاب، بل الكتب، ومن ثم روح تصفية الحساب التي انتهجها الكتاب بسبب الورطة التي وقع فيها كاتبه بعد الأحداث.

ومن التهم الموجهة للقاعدة في الكتاب قوله:

"فالقاعدة" لم تكن لتطيق ظهور جهاد إسلامي ذي مرجعية غير سعودية .. ولم يكن بن لادن ليطيق ظهور قيادة شابة منظمة جيداً .. لتسيطر على جزء من العالم قد يخرج عن هيمنته الدولية التي لم تكن قائمة سوى في خياله الذي سيطر عليه الإعلام الدولي...

وبالفعل كانت الحركة الإسلامية واقعه تحت ضغوط لا تطاق من جانب بعض التنظيمات الجهادية العربية في أفغانستان خاصة من القاعدة، من أجل خلق انشقاق سلفي يخرج من تحت القبضة الفولاذية (الطاغوتية!!) لمحمد طاهر .. وأن يلتحق ذلك الجناح بالقاعدة تحت إغراءات المال .. والشهرة، ومن هنا نشأت الأزمة التي أودت بروح الأخوة الجهادية بين الأوزبك والعرب.

فقيادة الأوزبك ألقت القبض على اثنين من الجواسيس الروس واحتجزتهم في السجن الخاص بها للتحقيق. ولكن هؤلاء فرّوا والتحقوا بمضافه القاعدة في كابل طالبين الحماية من طغيان تنظيمهم الأوزبكي الذي يضطهدهم لكونهم سلفيون"!! (الصليب ص ١٤٦).

هذه اتهامات باطلة لا أساس لها من الصحة، وأنت تعرف جيداً أن القاعدة هي التنظيم الجهادي العالمي الوحيد الذي أخذ على عاتقه مهمة دعم الحركات الجهادية في مختلف أنحاء العالم وبغض النظر عن مذهبها الفقهي.

وأنت تعلم أن المجاهدين من طاجيكستان وأوزبكستان الذين تثنى عليهم فكرياً وعسكرياً وتنظيمياً تدربوا في معسكرات القاعدة، وكنت أنت شخصياً تعطيهم دورات سياسية في هذه المعسكرات. وقد استمر دعم القاعدة المالي في حدود إمكاناتها المحدودة للأخوة الأوزبك وأميرهم محمد طاهر بعد ذلك، ويفترض أنك بحكم علاقاتك بالجانبين تكون مضطّلعاً على ذلك.

وفي المقابل، فإن المخابرات الإيرانية كما تعلم هي التي كانت وراء المأساة التي انتهى إليها حزب النهضة وجهاده من خلال الدور الخبيث الذي قامت به سواء بواسطة رباني ومسعود، أو من خلال الوساطة بين الحزب والحكومة الطاجيكية التي انتهت بما عليه الوضع الآن.

فمن الأولى باللوم، القاعدة التي تدربت عناصر الحزب في معسكراتها، أم الإيرانيون الذين قادوه إلى نهايته المأساوية؟

ثم من العجيب اتهامك للقاعدة بأنها تسعى لفرض سعودة الجهاد في العالم، مع أنك تعلم علم اليقين أن الخلاف مع النظام السعودي وعلمائه هو من أبرز ما يميز تنظيم القاعدة في خطاباته السياسية والفكرية.

أما ما ذكرته من أن القاعدة كانت تسعى لشق صف الإخوة الأوزبك، وإغرائهم بالمال من أجل تحقيق هذا الهدف، فهذا كلام لم نسمعه إلا منك، وقد عشنا سنوات ونحن في قلب الأحداث، فلم نسمع حتى من محمد طاهر جان شكوى بهذا الخصوص.

والحادث الذي سقته للدلالة على هذه الدعوى، سقته بشكل محرّف جانبت فيه الحقيقة عن عمد، وللأسف الشديد. فالأخوة الأوزبك الذين لجأوا لمضافة القاعدة لم يكونوا جواسيس كما ذكرت بدليل أن محمد طاهر أرجعهم لعملهم بعد المشكلة مباشرة، وكل المشكلة أنهم اختاروا ان يذهبوا إلى الجبهة مع شباب القاعدة وأنت تعلم ذلك. وتعلم أن القاعدة لم تكن تروج لمذهب فقهي معين، بل كانت تدعوا أتباعها وغيرهم لمراعاة المذهب الحنفي السائد في البلد، وعدم إثارة الخلافات المذهبية. والمعهد الشرعي في قندهار الذي كان يتردد عليه بل ويدرس فيه كثير من طالبان شاهد على ذلك، وكانت القاعدة ترى ترك بعض السنن والمندوبات في الصلاة وغيرها إذا كان فعل ذلك يثير شقاقات وتنافراً بين المسلمين.

والطريقة التي أخذ بها محمد طاهر الأخَوين من مضافة القاعدة كانت طريقة حمقاء كادت أن تؤدي إلى قتال بالأسلحة النارية لولا الله ثم تدخل بعض العقلاء الذين كانوا موجودين في المكان (أبو بلال النوبي) رحمه الله، وتهدئتهم للأمور. وقد أدرك محمد طاهر ذلك فاعتذر عن خطئه.



ومع الإهانة التي ألحقها هذا التصرف بالقاعدة فإن الشيخ أسامة لم يطالب بأكثر من حكم قضائي شرعي في المسألة من قضاء الإمارة الإسلامية، فمن الأحق باللوم في هذا الموضوع؟

٦) ومن الكلام السيئ الذي حفل به الكتاب ضد الشيخ أسامة ما ذكره من أن معظم العرب **"دخل تحت سطوته اقتناعاً أو إذعاناً"** (الصليب ص ١٢٨).

وأنا أسألك سؤال هل تعرف رجلاً واحداً من العرب أو العجم دخل في تنظيم القاعدة أو بقي فيه إذعاناً؟

لو كان هنالك من هذا القبيل لكنت أنت على علم به، وأنت الرجل الذي عشت مع التنظيم قرابة عشرين سنة، وتربطك بقياداته وأفراده أقوى الروابط.

٧) ومن الكلام الجارح المشين ضد تنظيم القاعدة بصورة عامة ما تفضلت به من كرم حاتمي في وصفهم بمختلف الأوصاف المعيبة وغير اللائقة عندما قلت إنهم **"ضربهم الغرور والتعالي والثقة الزائدة بالنفس، واستصغار شأن الآخرين، أو احتقارهم أحياناً، وكانوا عن ثقة يعتقدون بأن الحركة الإسلامية أجمع يجب أن تنضوى تحت لوائهم"**. (الصليب ص ١١٥).

٨) ومن جميل كرم الكاتب وصف المجاهدين الأبرار **"ببغال التحميل"**، وغيرها من عبارات النقد الجارح الهدّام.

سامحك الله، ورزقك من العدل والإنصاف ما يرد بعض هذا الإجحاف!!

هذه أمثلة على بعض التهم التي كالها الكتاب جزافاً ضد القاعدة والشيخ أسامة بن لادن دون أن يكلف نفسه عناء الاستدلال على صحتها.

وهنالك تهم أخرى غيرها كثير ضاق المجال عن سردها. وإذا كانت القاعدة قد نالت نصيب الأسد من هجوم الكتاب، فإن حركة طالبان قد نالت هي الأخرى نصيباً لا بأس به من ذلك. ومن الأمثلة:

١) ما جاء في الكتاب من أنهم كانوا قد أعطوا (التزامات سرية) لبعض الدول بعدم دخول (ممر سالانج من الجنوب). يقول الكتاب:

"وضعت أمريكا خطّاً أحمر على عبور (طالبان) ممر سالانج .. وبالأحرى سلسلة جبال الهندوكوش، ويتوافق ذلك مع الرؤية الروسية التي عبر عنها "إلكساندر ليبد" كما سبق ذكره: "الالتزام السرّي من جانب حركة طالبان بعدم اقتحام ممر سالانج من طرف المدخل الجنوبي في جبل السراج أدى إلى وجود شرخ عميق في موقفهم الاستراتيجي على المستويين (السياسي والعسكري". (الصليب ص ١٠٩).

ونحن نقول: أين الدليل على وجود مثل هذا الالتزام؟ وإذا كان سرياً فكيف اطّلع عليه الكاتب؟ ولمصلحة من أعطت طالبان هذا الالتزام السري؟ أم أن طالبان هي جزء من المؤامرة حتى على نفسها؟ وهل يُعقل أن يعطي الملّا عمر مثل هذا الالتزام فيترك الدخول للشمال عبر ممر سالانج وهو قادر عليه، ليتكلف عناء ومشقة فتح الشمال عبر الطرق الأخرى ذات التكلفة العالية في الأرواح والمعدات والوقت والجهد؟

٢) ومن التهم الموجهة لطالبان ايضاً ما جاء في الكتاب من أنهم بعد احتلال موقع القنصلية الإيرانية في مزار شريف تلقت المجموعة التي احتلتها أوامر من باكستان بقتل الدبلوماسيين الإيرانيين.

جاء في الكتاب ما نصه:

"فعندما اقتحم (المنقمون) مبنى القنصلية الإيرانية في المدينة قتلوا بعد فترة انتظار قصيرة أحد عشر دبلوماسياً". شهود قالوا إن فترة الانتظار القصيرة دارت أثناءها اتصالات تلفونية جاءت فيها أوامر بقتل الدبلوماسيين، وأنّ هذه الأوامر كانت من إسلام أباد!!". (ص ١٠٠).

يا للعجب، قوات طالبان تتلقى أوامرها في أدق تفاصيلها من إسلام أباد وليس من قيادتها في كابل أو قندهار!! إنها الرواية الإيرانية للحدث، والتي يعلم الكاتب أنها مجرد اختلاق مخابراتي لتبرير السياسة العدوانية للجمهورية الإسلامية تجاه الإمارة الإسلامية.

والعجيب أن إيران لم تؤاخذ الحكومة الباكستانية التي أعطت الأمر بقتل دبلوماسييها، بل أقامت معها علاقات حميمة في الحرب على الإرهاب وغيرها، وإنما عاقبت الإمارة الإسلامية التي لم تعط الأمر بقتل الدبلوماسيين!!

٣) وقد طعن الكتاب حركة طالبان في الصميم مرة أخرى عندما زعم أن خط كابل سقط بالدولار، وليس بالقصف الأمريكي، حيث جاء في الكتاب:

"معلوم أن كسر الخط الدفاعي لطالبان على جبهة شمال كابل تم بالدولار الأمريكي وليس بقاذفات (بي ٥٢) أو حتى قنابل (الأطنان السبعة)". (ص ١٣٨).

والحقيقة غير ذلك أخي الكريم، فالحقيقة هي ما صرح به الرئيس الإيراني الأسبق خاتمي عندما صرح مع مساعده محمد أبطحي وأكد الأمريكيون تصريحاتهم تلك.

وملخص تلك التصريحات أن الحكومة الإيرانية بعد شهر من القصف المتواصل على معاقل طالبان دون جدوى قدمت للأمريكيين خريطة عسكرية للمواقع التي يتعين عليهم التركيز عليها لكسر الخط، وبالفعل لما أخذ الأمريكيون بالنصيحة الإيرانية انكسر الخط، كما صرحت بذلك ممثلة الولايات المتحدة في اللجنة المشتركة.

وهذه الاعترافات التي يتفاخر بها المسؤولون الإيرانيون والأمريكيون جاءت مفصلة في أكثر من مصدر منها برنامج (إيران والغرب) الذي أذاعته قناة الجزيرة، وهو لدي مسجل.

ومن العجيب أخي الكريم أنك تطلع على الأسباب السرية الخفية للكوارث وتجزم بها، في حين تتجاهل الأسباب المعلنة التي يتفاخر بها أصحابها !!

٤) ومن هذا القبيل أيضاً مما جاء في الكتاب قوله:

"إهمال الإمارة الإسلامية قضية تأمين العاصمة السياسية للبلاد، يرقى إلى مرتبة الجريمة المتعمدة". (الصليب (ص ١٩١).

نكتفي بهذا القدر عن طالبان من الأمثلة الكثيرة التي حفل بها الكتاب. وننتقل إلى أمثلة أخرى مما ورد في الكتاب من الأمور المجافية للحقيقة، باختصار، فمن ذلك:

١- ما ورد في الكتاب في أكثر من موضع من تهم للأخ المرحوم الشهيد خطاب -نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً- وهي من جنس التهم ذاتها الموجهة للشيخ اسامة. وكان الواجب على الكاتب أن يذكر الأدلة التي تثبت ما يقول.

٢- ما جاء في الحديث عن شيخ المسجد الجامع في مشهد الذي قامت السلطات بتهديده عدة مرات، وألجأته إلى الهروب إلى أفغانستان، وهدمت مسجده، ومكتبته الضخمة بالبلدوزرات، وحولت المكان إلى حديقة عامة، ثم واصلت ملاحقة الشيخ في أفغانستان حتى قتلته في الجامع الكبير في هرات مع عدد من المصلين بعد صلاة الجمعة، بعد عدة محاولات اغتيال قبل ذلك أصيب في بعضها.

هذا الشيخ الإمام، لم تزد عند ذكرك له على وصفه بأنه "**معارض إيراني سني**"، وبرأت المخابرات الإيرانية من قتله، وألصقتها بجهة أخرى، رغم أن القرائن والشواهد تقول خلاف ذلك!! إنها الرواية الإيرانية مرة أخرى كما عرفناها منهم.

٣- ومن الأمور العجيبة التي وردت في الكتاب أمور يتعجب منها القارئ، لمصلحة من تم اختلاقها وتلفيقها. ومن هذه الأمور:

- ما جاء في الكتاب من **ذبح بعض العرب أمام نسائهم وأطفالهم.** (ص ٢١٢).

- ما جاء عن انتحار بعض الأسر العربية حتى لا تقع في الأسر. "**كما شاعت أخبار (ثم تأكدت) عن انتحار جماعي لأسر عربية لتحاشى الأسر**". (ص ٢٥٤).

- وجاء في (ص ١٤٣) أن بعض المجاهدين: "**فضّل قتل عائلته وقتل نفسه حتى لا يعتقل أو يعود مرة أخرى إلى حضارة الغرب..**".

- ما جاء عن فقد بعض الأمهات لأطفالهن في حافلات النقل الباكستانية من شدة الهول !!: "**حتى أن الباكستانيين وجدوا أطفال عرب حديثي الولادة، وقد أُسقطوا من أمهاتهم العربيات في وسائل النقل العامة!! ومن شدة الهول لم تشعر الأمهات أنهن فقدن أطفالهم .. وأنهن يحملن بين أحضانهن مجرد لفافات خالية!!**". (ص ٢٥٤).

وهذه أمور لم يقع منها أي شيء، وإنما هي اختلاق محض للتهويل والتشنيع، فمن هم الذين فضلوا قتل عوائلهم؟! ومن هم الأطفال الذين فُقدوا؟! ومن الذين سقطوا في عربات النقل؟! فنحن كنا في قلب الأحداث قبل وبعد خروج كل الأُسر، وكانت أُسرنا مع الأُسر التي ذهبت لباكستان، ونعلم علم اليقين أن شيئاً من هذا لم يقع. ونحن نتمنى عليك ان تذكر ولو اسم أَسرة واحدة كما تعودنا منك في سرد كثير من الأحداث.

إنّ التراجيديا الجهادية التي تقول إن بن لادن قد تخصص فيها لا يضاهيها في مأساويتها إلّا التراجيديا العلمية التي ظهرت بها هذه الكتب.

أخي الكريم: بقيت هنالك ملاحظتان سوف أختم بهما هذا الموضوع:

الملاحظة الأولى:

هي أنك في كتابتك عن بعض الأمور التي كنت شاهداً عليها، لا تذكر أنك كنت شاهداً إلّا عندما يكون ذكر ذلك يدعم وجهة نظرك الحالية في الموضوع، وليس بالضرورة وجهة نظرك فيه عندما كنت شاهداً عند وقوعه، مع العلم أن عندنا من الأخوة من أشركته بجلسة من الجلسات التي حاولت فيها دعم وجهة نظرك، وهي جلسة ساخنة وفيها أخذ ورد كبيرين، وعندما سألناه عن فحوى الجلسة أخبرنا بأنه لم يجلسها ولم يكن فيها ولم يرك إلا مرةً واحدة في جلسة عابرة لم يتخللها حديث بهذا الحجم والأهمية

(وهو من وصفته بالداعم المالي من الإخوان المسلمين لبن لادن)، وليتك تجلس معه يوماً لتعرف منه كم أنّ ظنونك ونظرية المؤامرة التي سيطرت على الكتاب، قد نحت بك بعيداً عن الواقع والحقيقة.

أما عند حديثك عن الأمور التي كنت شاهداً عليها -ولكن ذكرك لشهودك عليها لا يخدم ما تريد- لا تذكر أنك كنت شاهداً عليها، فضلاً عن أن تذكر الدور الذي قمت به فيها، والكتاب حافل بالأمثلة على ذلك.

والملاحظة الثانية:

هي حرصك عند التعريف بنفسك في كتبك على أن تصف نفسك بأنك صديق شخصي للشيخ اسامة، فهل حرصك على هذا الأمر نابع من صداقة فعلية يشهد بها ما تضمنه هذه الكتب، أم أنّ المراد منه إعطاء نوع من المصداقية لما تكتبه ضد الرجل بحق وبغير حق؟!

الخاتمة:

لقد تناقشت مع الإخوة الموجودين معي، وأنت تعرف أن أغلبهم في مجلس شورى القاعدة، وجميعهم عاش الأحداث التي ذكرتها لحظة بلحظة، والعجب كل العجب أنك عشتها معنا!! فقد هالهم حجم التزوير، وقلب الحقائق، وتبني النظرية الإيرانية في تفسير الأحداث.

وهذه السطور التي بين يديك هي جزء يسير من نقاش طويل مع الإخوة رأيت أن أنقل من خلالها بعض تعليقاتهم وعلى عجالة. وأما البعض الآخر منهم فقد ألجأه حجم التزوير إلى الذهول ثم الصمت. وخلاصة رأيهم فيما نشر باسمك أن من الأهداف التي دفعت إلى نشر هذه الكتب:

١- ضرب الحركة الجهادية السنية في كل مكان.

٢- هدم وتدمير أي قيادة لأهل السُنّة (اتهام الشيخ أسامة والملّا عمر بالخيانة) وهذا ما لم تتجرّأ أمريكا ولا الغرب على قوله أو فعله.

٣- إبراز وتمجيد الأحزاب التي تخرج من العباءة الإيرانية وقادتهم (حزب الله -الأوزبك - الطاجيك).

من أجل هذه الأهداف تم التزوير على نطاق واسع للأحداث مما أدى إلى ظهور كثير من التناقضات في الكتب، وكأن المُخرج أعدها على عجل!!.

يبقى تساؤل يفرض نفسه وهو: أن القوم يدعمون حماس بكل قوة؟

والجواب لا يخرج الأمر عن الدعاية والإعلام، وإلّا فأين هم من قضايا المستضعفين من المسلمين التي لا تكاد تخلو منها دولة مثل (الشيشان -كشمير- دارفور- الصومال - البوسنة)، بل أنهم تأمروا على بعضها مثل الأفغان، وهذا لا يخفى على عوام الناس فضلاً عن المختصين، بل إن القوم شهدوا على أنفسهم صراحة في برنامج حوار مفتوح على الجزيرة مع محمد شريعتي مستشار خاتمي، حيث قال: **دعم حماس هو من أجل الدعاية والإعلام**، وذلك في معرض اتهاماته وانتقاداته لأحمدي نجاد.

ثم هل ما يفعلونه بنا الآن من خطفٍ وتغييبٍ وإيذاءٍ وحرمانٍ لأبنائنا وبناتنا من أبسط حقوقهم في التعليم والعمل والحرية هو في مصلحة المسلمين والحركة الجهادية وأبنائها؟؟ أم هو السّر الذي حاول الكتاب إغفاله وتجاهله؟!

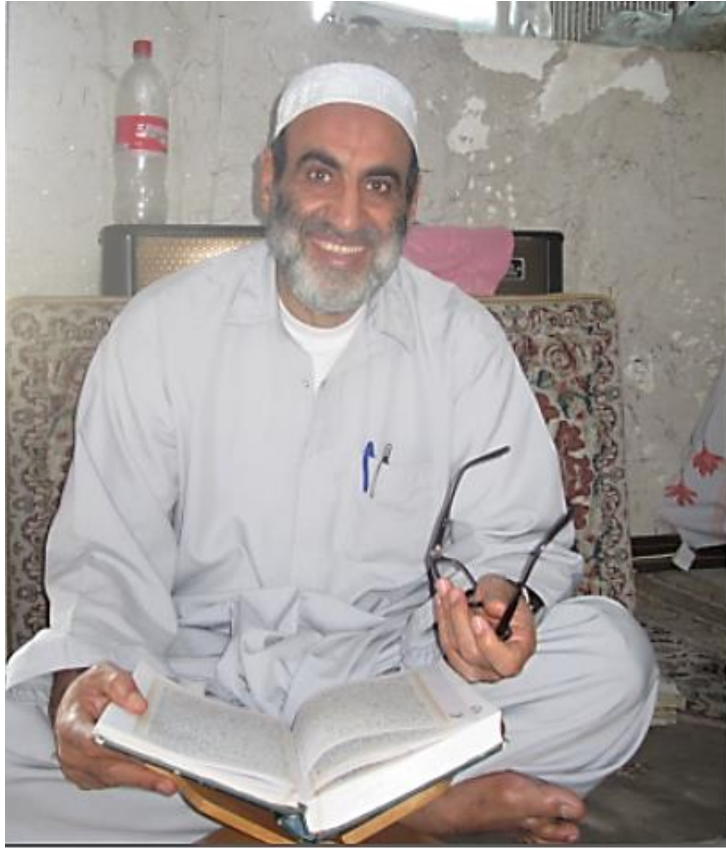
بقي الكثير والكثير ولعل فيما يأتي من الأيام متسع له.

شيخنا الحبيب أرجو أن تعذرني وبقية الأخوة إذا كنّا قد أثقلنا عليك في العتاب، فرصيد الثّقة بيننا يسمح لي ولهم بذلك دون أن تتأثر أخوتنا القديمة، وأدعو الله أن يُنجينا وإياك من أيديهم، وأن يجمعنا مرة أخرى مجاهدين في سبيله، رافعين لرايته، مصححين ما قد انحرف في هذه المسيرة المباركة، وإلى أن نراك في ظروف أفضل إن شاء الله أستودعك الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أحمد حسن أبو الخير

١ رمضان ١٤٣٠هـ،

الموافق ٢٢ أغسطس ٢٠٠٩م



الشيخ أحمد حسن أبي الخير (عبد الله رجب) - تقبّله الله

رسالة القــاعدة:

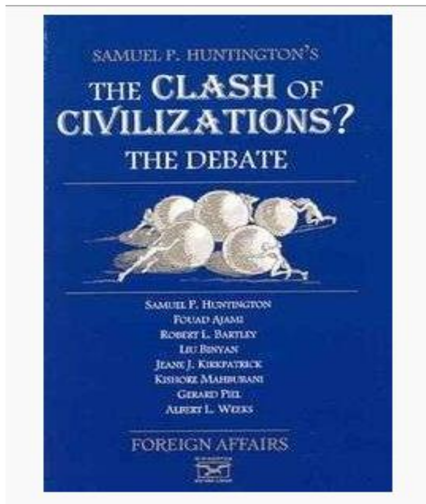
يقول الدكتور عبد الله النفيسي في دراسةٍ له بعنوان "العالم بعد غزوة مانهاتن":

"بعد ذوبان الاتحاد السوفياتي عام ١٩٩٢م، وتشرذمه إلى خمس عشرة جمهورية تعالت الأصوات في الولايات المتحدة: إذن من العدو القادم؟ فالأمريكان دائماً بحاجة إلى عدو خارجي لتفريغ ترسانتهم العسكرية فيه وتشغيلها معه. وظهر علينا ريتشارد نيكسون (الرئيس الأمريكي الأسبق) بكتابه الخطير الموسوم: «انتهزوا الفرصة Seize the Moment» ليقول للأمريكان إن الفرصة مواتية لهم -وقد سقط الاتحاد السوفيتي- أن يفرضوا على العالم وبالقوة ما أسماه بـ «الريادة الروحية الأمريكية American Spiritual Leadership»، قبل أن يستيقظ (المارد الأخضر) قاصداً الإسلام والأمة الإسلامية!"[١] ا.هـ

وكان الغرب بأسره -بعد غزوات نيويورك وواشنطن- قد أدرك أنه أمام بداية جديدة لنوعٍ جديدٍ من أنواع الصراع العالمي كان قد تنبأ به صمويل هنتنجتون في كتابه نظرية صدام الحضارات. وملخص نظريته أن العالم لا يتسع لحضارتين أو ثلاثة، وأنه يجب أن تسود حضارة واحدة تفرض نظامها السياسي والاجتماعي والاقتصادي حتى يسود السلام العالم كله"[٢] ا.هـ



العلج صمويل هنتنجتون



كتاب صدام الحضارات

لقد صدق هنتنجتن وهو كذوب، فنحن كمسلمين نوافقه فيما ذهب إليه، ونرى أن العالم فعلاً لا يتسع لحضارتين في آنٍ واحد، ونقول له، قد جئت بنظريتك هذه متأخراً ألفاً وأربعمئة سنة، فقد أخبرنا الله بها في كتابه العزيز فقال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾. كذلك بشّرنا نبيّنا عليه أفضل الصلاة والسلام بأن ديننا سيدخل كل بيت على ظهر هذه الأرض[٣]، فعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، قَالَ:

---

١) لماذا يضع أعداؤنا الإسلام نصب أعينهم في حربهم معنا، ولماذا سيستمر هجومهم الشرس عليه وستستمر محاولات تشويهه وتحريفه حتى وإن كانت حربهم حرب مصالح وسلطة، باختصار: **الإسلام كان ولا يزال وسيظل يحمل مقومات إزاحتهم واستبدال حضارتهم، كما أنهم يعلمون أنه أقوى محرك فكري وعقدي لمقاومة هيمنتهم وهدم أطماعهم.** (النص في الحاشية مقتبس من كتاب "معركة الأحرار" للكاتب: م. أحمد سمير).

٢) أرشيف مجموع مقالات الاستاذ عبد الله بن محمد.

٣) المصدر السابق. بتصرّف.

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ﴿لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ﴾. رواه الإمام أحمد.

وباختصار شديد، لم تأتِ قاعدة الجهاد -كما يتصوّر البعض- برسالةٍ جديدة، ولا بفكرٍ بِدعي جديد يخالف أو يشذّ عن الشريعة، فكل ما فعلته أنها نذرت نفسها لتؤدّي واجباً شرعياً، وفرضاً عينياً تكاسل وتقاعس عن أدائه غيرهم، وهو القتال وتحريض الأمّة على القتال في سبيل الله حتّى تتحقق الرسالة والغاية التي من أجلها فرض الله القتال وهي: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾.

ولّما كان موضوع هذا الكتاب يتناول شيئاً من تاريخ القاعدة، كان لا بد لنا أن نذكر الأسباب والدوافع التي من أجلها حملت القاعدة السلاح لتحقيق رسالتها التي ينبغي على كلّ مسلمٍ أن يحملها وهي: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾.

لماذا نقاتل أمريكا؟

ذكرنا من قبل، أن أحداث اجتياح اليهود للبنان عام ١٩٨٢م بمباركة أمريكا كانت قد انتجت في نفس الشيخ أسامة شعوراً عارماً يرفض الظلم، وولدت فيه تصميماً قوياً على معاقبة الظالمين. ومرت الأيام والسنون، وظل هذا الإحساس حبيساً تتأجج ناره في دواخل الشيخ أسامة.

وعندما تقاطر الشباب لنصرة إخوانهم في أفغانستان كانت تلك فرصة ذهبية كبيرة أراد الشيخ أسامة والشيخ عبد الله عزام -كما ذكرنا سابقاً- استغلالها بأفضل ما يمكن أن تستغل به. لقد كان الشيخان يطمعان ويتطلعان إلى أن يأتي إلى ساحة أفغانستان أكبر عدد ممكن من أبناء المسلمين، ليتشبّعوا بفكر الجهاد ثم يحملوه بعد ذلك إلى بلادهم. وكان الشيخ عبد الله عزام رحمه الله يقول:

"أريد أن يأتي من كل بلدٍ عربي ولو أربعين مجاهداً، فيستشهد نصفهم، ويعود نصفهم إلى بلاده ليحمل دعوة الجهاد".

أمّا الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- فلم يرد أن يكون الجهاد ردة فعل مجردة، خالٍ من أي فكرٍ يقوده وينظمه، ولم يرد أن يكون الجهاد محدوداً في حدود سايكس بيكو، فقد كان يريد أن تكون للمجاهدين قوات تدخل سريع ضاربة منظمة، كلما سمعوا هيعة أو فزعة طاروا لنجدة المسلمين ولو كانوا في الصين. وحسب تصور القاعدة، فإن مشروع الجهاد الإسلامي لا يتوقف عند حدود بلد أو دولة، إنما يتعداها ليشمل الأرض كل الأرض لتتحرر من عبادة العباد الى عبادة الله وحده[١]. وقد أعلن الشيخ أسامة ذلك الهدف -كما سبق ذكره- فقال:

"ونحن بهذا الجهاد لا نبتغي تحرير أفغانستان فقط، فأفغانستان جزء من العالم الإسلامي، وإنما أملنا وهدفنا أن تكون هنا النواة لتجميع طاقات الشباب المسلم والعربي لتدريبهم، حتى يكونوا بإذن الله نواة الجيش الإسلامي مع إخوانهم المجاهدين في أفغانستان لتحرير باقي أراضي المسلمين" ا.هـ

١) أرشيف مجموع مقالات الأستاذ عبد الله بن محمد.

وبالفعل -كما مرّ علينا من قبل- كانت أفغانستان نقطة تحول كبيرة حققت فيها الجماعات الجهادية مكاسب كثيرة كان من أخطرها عولمة التيار الجهادي فكرياً وحركياً، حيث أحيا المجاهدون فريضةً غائبة -حُرمت منها الأمة ردحاً من الزمن- بالقتال في أفغانستان وكشمير والبوسنة والشيشان. كذلك حطمت معارك الجهاد في أفغانستان في أذهان الشباب المسلم المجاهد وهم القوة العظمى فما عادوا يهابونها، ولا يهابون بطبيعة الحال ما دون ذلك من القوى الذنبية المتسلّطة في بلاد المسلمين، فكان ذلك الجهاد دورة تدريبية في غاية الخطورة لإعداد الشباب المسلم المجاهد لخوض معركته المنتظرة مع القوة العظمى التي تفردت بزعامة العالم الآن؛ أمريكا[١].

وكانت دعوة النظام السعودي للقوات الصليبية الأمريكية إلى المجيء إلى بلاد الحرمين في ٧ أغسطس ١٩٩٠م بحجة تحرير الكويت[٢] -كما يزعمون- مصيبة عظيمة لكل المسلمين اعتبرها المجاهدون احتلالاً لبلاد الحرمين الشريفين بتواطؤ مع حكّامها. وعن هذ الأمر يقول الشيخ أسامة: **"وكان آخر هذه الاعتداءات أن أُصيبَ المسلمون بمصيبة من أعظم المصائب التي أُصيبوا بها منذ وفاة النبي، ألا وهي احتلال بلاد الحرمين -عقر دار الإسلام، ومهبط الوحي، ومنبع الرسالة، وبها الكعبة المشرفة قبلة المسلمين أجمعين- وذلك من قبل جيوش النصارى من الأمريكيين وحلفائهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله"[٣] ا.هـ**

وكان الشيخ أسامة – كما مر علينا من قبل- قد تيقّن بحتمية المواجهة المباشرة مع أمريكا، وآنذاك لم تكن بيده حيلة فقد كان رهن الإقامة الجبرية في بلاد الحرمين. وشاء الله أن تسنح أول فرصة لتلك المواجهة بعد اجتياح أمريكا الصومال في ديسمبر عام ١٩٩٢م -وحينها كان الشيخ أسامة في السودان- واستغلت القاعدة تلك الفرصة الذهبية لمواجهة أمريكا، ومحاولة استنزافها اقتصادياً وبشرياً ومعنوياً في الصومال، غير أن أمريكا سريعاً ما أدركت أنها قد دخلت مستنقعاً مشابهاً لدخول الروس في أفغانستان، فهي تواجه شعباً بأكمله وليس جنرالات حروب كما كانت تدّعي، لذلك ما أن بلغت خسائرها الثمانون قتيلاً حتى اتخذت أمريكا في مارس ١٩٩٤م قرار انسحابها من الصومال.

وأذن الله لرياح التغيير أن تهب، ففي ليلة رأس السنة الهجرية للعام ١٤١٧هـ الموافق ١٨ مايو عام ١٩٩٦م أُبعد الشيخ أسامة من السودان، وما أن لامست عجلات الطائرة الخاصة المقلة للشيخ أسامة ورفاقه مطار جلال أباد حتّى بدأت حينها مرحلة جديدة تهيأت فيها بفضل الله وحده أسباب المواجهة المباشرة وجهاً لوجه مع هبل العصر أمريكا. وحينها كان لا بدّ مما ليس منه بدّ وهو استنهاض الأمة المسلمة وحثها وتحريضها لتقوم بواجبها الشرعي في نصرة الدين، والدفاع عن أقدس مقدسات المسلمين، فأرسل الشيخ أسامة -رحمه الله- في ٢٣ أغسطس من عام ١٩٩٦م أُولى رسائله إلى إخوانه المسلمين في العالم كافة، وجزيرة العرب خاصة، وهي بيان **"أخرجوا المشركين من جزيرة العرب"**، معلناً فيه الحرب والجهاد على الأمريكيين المحتلين لبلاد الحرمين.

---

١) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. للشيخ أبي مصعب السوري. بتصرّف.

٢) راجع فقرة التواجد الأمريكي في الجزيرة العربية حقيقته وأهدافه صفحة ١٠٤.

٣) بيان أخرجوا المشركين من جزيرة العرب.

وفي ذلك البيان يقول الشيخ أسامة:

"في ظلال هذا الواقع الذي نعيشه، وفي ظل الصحوة المباركة العارمة التي شملت بقاع العالم والعالم الإسلامي خاصة، ألتقي اليوم معكم بعد طول غياب فرضته الحملة الصليبية الظالمة التي تتزعمها أمريكا على علماء الإسلام ودعاته، خشية أن يحرضوا الأمة الإسلامية ضد أعدائها تأسّياً بعلماء السلف رحمهم الله كابن تيمية والعز بن عبد السلام. وهكذا قام هذا التحالف الصليبي اليهودي بقتل واعتقال رموز العلماء الصادقين والدعاة العاملين -ولا نزكي على الله أحداً- فقام بقتل الشيخ المجاهد عبد الله عزام، واعتقال الشيخ المجاهد أحمد ياسين في مسرى النبي عليه الصلاة والسلام، والشيخ المجاهد عمر عبد الرحمن في أمريكا. كما اعتُقِل بإيعازٍ من أمريكا عددٌ كبيرٌ جداً من العلماء والدعاة والشباب في بلاد الحرمين، من أبرزهم الشيخ سلمان العودة، والشيخ سفر الحوالي وإخوانهم ولا حول ولا قوة إلا بالله. وقد أصابنا بعض ذلك الظلم بمنعنا من الحديث مع المسلمين، ومطاردتنا في باكستان والسودان وأفغانستان؛ مما أدى إلى هذا الغياب الطويل، ولكن بفضل الله تيسر وجود قاعدة آمنة في خُراسان فوق ذرى الهندوكوش، تلك الذرى التي تحطمت عليها -بفضل الله- أكبر قوة عسكرية ملحدة في الأرض، وتلاشت عليها أسطورة القوى الكبرى أمام صيحات المجاهدين الله أكبر. واليوم من فوق نفس الذرى من أفغانستان نعمل على رفع الظلم الذي وقع على الأمة من التحالف اليهودي الصليبي وخاصة بعد احتلاله مسرى النبي عليه الصلاة والسلام، واستباحته بلاد الحرمين، ونرجو الله أن يمن علينا بالنصر، إنه ولي ذلك والقادر عليه" ا.هـ

وفي ذات البيان خاطب الشيخ أسامة أمريكا باللغة التي تفهمها، فقال لهم:

ليس بيني وبينكم من عتابِ ... سوى طعن الكلى وضرب الرقابِ

وفي كتابه "عمليات ١١ سبتمبر بين الحقيقة والتشكيك" يقول الشيخ أبو محمد المصري رحمه الله:

"منذ أن وطئت أقدام التنظيم الأراضي الأفغانية في العام ١٩٩٦م من القرن الماضي وهو يهيئ نفسه لضربة نوعية للمصالح الأمريكية يستطيع من خلالها جر الولايات المتحدة الأمريكية لحرب استنزاف طويلة المدى لتحقيق الهدف الاستراتيجي للتنظيم بإيقاظ الأمة الإسلامية ضد هذا العدو الصليبي الذي لا يختلف على عداوته أحد من العقلاء ... والدور الرئيسي في هذه الحرب منوط بسواعد أبناء هذه الأمة العظيمة لاسترداد عزّها ومجدها السليب في حرب استنزاف طويلة المدى تهدف إلى إنهاك العدو عسكرياً واقتصادياً حتى ينكمش على نفسه خلف المحيطات تاركاً الشعوب الإسلامية للقيام في وجه الديكتاتوريات الحاكمة لنيل حريتها وكرامتها وتحكيم شريعة ربها، وحينها ستكون القضية الفلسطينية واستعادة المقدّسات بأيدي أبناء الأمة الإسلامية وليس بقرارات الأمم المتحدة التي تمثل أحد أفرع وزارة الخارجية الأمريكية...) ا.هـ

ولمّا لم تستجب أمريكا لما جاء في البيان ترجم الشيخ أسامة رسائله القولية إلى رسائل عملية، فكانت الغزوات النوعية المباركة في نيروبي، ودار السلام، وعدن، ونيويورك وواشنطن، وبذلك تكون القاعدة قد نجحت بجدارة فيما خططت له حيث وقعت أمريكا في الفخّ الذي نُصب لها.

وتتابعت رسائل الشيخ أسامة لأمريكا في بياناتٍ عديدة وضّح فيها بكل شفافية ماذا يريد. ففي رسالته الثانية إلى الشعب الأمريكي، بتاريخ ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٤م، بعنوان: الحرب؛ أسبابها ونتائجها يقول الشيخ أسامة رحمه الله:

"فهذه هي الرسالة التي حرصنا على إبلاغها لكم -قولياً وعملياً- مراراً منذ سنين قبل أحداث الـ الحادي عشر، وطالعوها إن شئتم في لقائي مع "سكوت" في مجلة "التايم" عام ٩٦م، وكذلك مع "بيتر أرنيت" في السي أن أن عام ٩٧م، ثم لقائي مع "جون مِلر" عام ٩٨م، وطالعوها عملياً إن شئتم في نيروبي وتنزانيا وفي عدن، وطالعوها في لقائي مع عبد الباري عطوان، وكذلك لقاءاتي مع "روبرت فيسك"[1] ا.هـ


تيسير علّوني
مراسل قناة الجزيرة


سكوت ماكليود
مراسل مجلّة التايمز الأمريكية


روبرت فيسك
مراسل صحيفة الإندبندنت البريطانية

وفي إجابته لمراسل قناة الجزيرة جمال إسماعيل عن: *ماذا يريد الشيخ أسامة؟* قال رحمه الله:

"الذي نريده ونطالب به هو حق لأي كائن حي، نحن نطالب بأن تحرر[2] أرضنا من الأعداء، وأن تحرر أرضنا من الأمريكان، فهذه الكائنات الحية قد زودها الله سبحانه وتعالى بغيرة فطرية ترفض أن يدخل عليها داخل. فهذه أعزكم الله الدواجن، لو أن الدجاج دخل عليها مسلح عسكري يريد أن يعتدي على بيتها فهي تقاتله وهي دجاجة. فنحن نطالب بحق لجميع الكائنات الحية، فضلاً عن الكائنات الإنسانية البشرية، فضلاً عن المسلمين. الذي حصل على بلاد المسلمين من اعتداء خاصة على المقدسات؛ المسجد الأقصى حيث قبلة النبي ﷺ الأولى، ثم استمر العدوان من التحالف اليهودي الصليبي الذي تتزعمه أمريكا وإسرائيل حتى أخذوا بلاد الحرمين ولا حول ولا قوة إلا بالله. فنحن نسعى لتحريض الأمة كي تقوم بتحرير أرضها، والجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى، لتحكّم الشرع وتكون كلمة الله هي العليا" ا.هـ

وفي نفس رسالته إلى الشعب الأمريكي، يقول الشيخ أسامة:

"إنّ مرادنا ما لُخّص في القسم بعد الحادي عشر من سبتمبر؛ أن تكف أمريكا عن شرّها كدعم اليهود، وتترك المسلمين وشأنهم ليتيسّر لنا إقامة دولة الإسلام التي يكون فيها الدين لله".

١) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

٢) لمن يريد الوقوف على المزيد من العلم والمعرفة حول حقيقة معركة التحرير اليوم عليه بالرجوع إلى الكتاب القيّم "معركة الأحرار"، للكاتب: م. أحمد سمير.



واختتم الشيخ أسامة تلك الرسالة بقوله:

"أقول لكم -وأصدقكم القول- إن أمنكم ليس بيد كيري أو بوش أو القاعدة، إن أمنكم هو في أيديكم أنتم، وأن كل ولاية لا تعبث بأمننا فهي تلقائياً قد أمّنت أمنها"[١] ا.هـ

كذلك سأل مراسل قناة الجزيرة جمال إسماعيل الشيخ الدكتور أيمن الظواهري قائلاً له: *ما الذي تريد أن توصله من رسالة إلى مصر والعالم الإسلامي من خلال عملكم وإمرتكم جماعة الجهاد المصرية*[٢] ؟

فأجابه الشيخ الدكتور أيمن بقوله:

"أنا أريد أن أوصل رسالة إلى إخواني المسلمين في كل مكان كرجل مسلم، ودعك من هذه الألقاب والمسميات. نحن نريد أن نوصل رسالة إلى إخواننا المسلمين في كل مكان؛ إذا أردنا أن نعيش أعزة، وأناس لهم كرامة ولهم عزة يجب أن نخوض الحرب الصليبية الجديدة ضد أمريكا وإسرائيل. ونحن هذه رسالتنا إلى إخواننا في العالم العربي والإسلامي وفي مصر، أن يكونوا معنا ضد عدونا إسرائيل وأمريكا، كل بما يستطيع ... العالم المسلم يجب أن يحافظ على استقلال الأزهر، الذي كان قلعة الصمود في مصر في وجه الطغيان والاحتلال، والذي نتيجةً لسيطرة الحكومة عليه واستيلائها عليه أصبح يدعو الحاخام الإسرائيلي لزيارة الأزهر.

الطالب المسلم عليه أن يخوض انتخابات اتحاد الطلاب من أجل أن ينشر روح المقاومة ضد أمريكا وإسرائيل، الأب والأم المسلمين يجب أن يعلّموا أبناءهم القرآن والحديث، ويحرصوا على تعليمهم أن فلسطين أرض مسلمة اغتصبها اليهود، وأن كل هذه الاتفاقيات والعهود والمعاهدات باطلة، ويجب أن يشرحوا لهم أن أمريكا تحتل الآن مصر، وأن الحرم محتل، والمدينة المنورة محتلة، والبترول مسروق، وأن ينشئوهم على هذا. فهذا واجب على كل شاب ومهني ونقابي في مصر، أن يقوم في وجه أمريكا وإسرائيل"[٣] ا.هـ

وفي لقائه الأول مع مؤسسة السحاب بعد عام من الحملة الأمريكية على أفغانستان، قال الشيخ الدكتور أيمن الظواهري:

"فعلى أمريكا وحلفائها أن يعلموا أن جرائمهم لن تمر دون عقاب بإذن الله، وننصحهم أن يُسارعوا بالرحيل من فلسطين وجزيرة العرب وأفغانستان وسائر بلاد الإسلام، قبل أن يفقدوا كل شيء. وقد وجهنا بعض الرسائل لحلفاء أمريكا لكي يكفوا عن تورطهم في حملتها الصليبية، فقد وجه الشباب المجاهد رسالة لألمانيا، وأخرى لفرنسا، فإذا كانت الجرعات غير كافية فنحن مستعدون بعون الله لزيادتها"[٤] ا.هـ

وفي خطاب آخر صدر في سبتمبر ٢٠٠٥م بعنوان وصايا فرسان غزوة لندن، وضّح الشيخ الدكتور أيمن الظواهري رسالة القاعدة فقال:

---

١) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

٢) تم هذا اللقاء الصحفي في ديسمبر ١٩٩٨م قبل انضمام جماعة الجهاد للقاعدة.

٣) بن لادن والجزيرة وأنا. للصحفي جمال إسماعيل.

٤) الكتاب الجامع لكلمات ورسائل الشيخ أيمن المفرّغة.



"فيا شعوب التحالف الصليبي، قد عرضنا عليكم من قبل الدخول في الإسلام؛ الدين الذي يؤمن بأنبياء الله جميعاً صلوات الله وسلامه عليهم، ويؤمن بكتبه المنزلة، والدين الذي بقي كتابه المُعجِز محفوظاً لم يُحرف ولم يُبدل، بل ويتحدى أن يؤتى بمثله. ثم عرضنا عليكم على الأقل أن تكفوا عدوانكم على المسلمين، وعرض عليكم أسد الإسلام المجاهد الشيخ أسامة بن لادن -حفظه الله- هدنة حتى تخرجوا من ديار الإسلام. ألم يخبركم الشيخ أسامة بن لادن، أنكم لن تحلموا بالأمن قبل أن نعيشه واقعاً في فلسطين، وقبل أن تخرج كل الجيوش الكافرة من أرض محمد ﷺ؟ ولكنكم أجريتم أنهراً من الدماء في ديارنا، ففجّرنا براكيناً من الغضب في دياركم. إن رسالتنا لكم واضحة جلية قاطعة: لا نجاة لكم إلا بالانسحاب من أرضنا، وإلا بالتوقف عن سرقة بترولنا وثرواتنا، وإلا بكف الدعم عن الحكام الفاسدين المُفسدين"[1] ا.هـ

وفي مقالٍ له بعنوان "تحت ظلال الرماح" يجيب الناطق الرسمي باسم تنظيم القاعدة الشيخ سليمان أبو الغيث -فكّ الله أسره- على هذا السؤال، **لماذا نقاتل أمريكا؟** فيقول:

"أما المبررات التي ننطلق منها نحن كتنظيم، ونبني عليها تحركاتنا، ونرسم من خلالها منهجنا وأسلوبنا في التعامل، فهي مبررات عملية واقعية تشهد بها الوقائع وقراءات الأحداث، وهي أيضاً مبررات علمية شرعية تضفي علينا شعوراً من الاطمئنان واليقين بما نقوم به نصرة لديننا وأمتنا. وليس قصدي من تسطير وتحبير هذه المبررات هو تبرير ما حدث، وإنما أضعها بين أيديكم تأكيداً لاستمرارنا في العمل على ضرب الأمريكيين واليهود، واستهدافهم بشراً كانوا أو منشآت، وأن ما سيأتي للأمريكان لن يكون بإذن الله تعالى بأقل مما جاءها، فلتتربص أمريكا ولتستعد، ولتأخذ أهبة الاستعداد، ولتربط أحزمة الأمان فسنأتيهم بإذن الله وحوله من حيث لا يحتسبون ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾.

أما عن مبرراتنا العملية الواقعية فهي كثيرةٌ تفوق الحصر، وأكتفي هنا بالإشارة إلى بعضٍ منها تاركاً للقارئ الكريم حرية التفكير في غيرها من الأمور التي لن يتعب كثيراً في اصطيادها.

فأمريكا هي رأس الكفر في عالمنا المعاصر، وهي زعيمة النظام الديمقراطي الكافر الذي يقوم على أساس فصل الدين عن الدولة، وأن يحكم الشعب بالشعب من خلال تقنين القوانين المصادمة لمنهج الله عز وجل، والتي تبيح ما حرم الله عز وجل، وهي بذلك ترغم الدول الأخرى على التّحاكم إلى هذه القوانين وتلك المناهج، وتعتبر أي دولة تتمرد على هذه القوانين خارجة عن نظام المجتمع الدولي وقانونه، فتتخذ بذلك ذريعة لمعاقبتها ومحاصرتها ومن ثمّ مقاطعتها، وهي بذلك تريد أن يكون الدين لغير الله في هذه الأرض، والله يأبى إلا أن يكون الدين كله له .

وأمريكا بشراكة اليهود هي رأس الفساد والانحلال، سواءً كان ذلك الفساد أخلاقياً أم فكرياً أم سياسياً أم اقتصادياً، وهي تتعمد نشر الرذيلة بين الناس، وتشيع الفاحشة بينهم من خلال الإعلام الرخيص والمناهج التعليمية الساقطة.

---

[1] الكتاب الجامع لكلمات ورسائل الشيخ أيمن المفرّغة.



وأمريكا هي سبب كل ظلم وحيف أو بطشٍ يقع على المسلمين، وهي وراء كل النكبات التي حلت وتحل بالمسلمين، فهي غارقة بدماء المسلمين لا تستطيع أن تخفي ذلك أو تتستر عليه.

ففي فلسطين، ومنذ خمسين سنة يمارس اليهود بمباركة الأمريكيين، ومعاونتهم ومساندتهم، والوقوف ورائهم في المحافل الدولية -يمارسون- أبشع صور القتل والبطش والتنكيل والتشريد [وأحداث جنين الأخيرة وما قبلها وما سيتبعها من الشواهد التاريخية التي لا تنسى أكبر شاهد على ذلك] فقد شرد اليهود ما يقارب (٥.٠٠٠.٠٠٠) فلسطيني، وقتلوا ما يقارب (٢٦٠.٠٠٠) وجرحوا ما يقارب (١٨٠.٠٠٠) وعوقوا ما يقارب (١٦٠.٠٠٠).

وفي العراق وبسبب القصف والحصار الأمريكي يُقتل أكثر من (١.٢٠٠.٠٠٠) مليون ومائتي ألف مسلم، وخلال العشر سنوات الأخيرة يقتل وبسبب الحصار أكثر من مليون طفل، أي ما يعادل (٨٣.٣٣٣) طفل في الشهر، أي ما يعادل (٢.٧٧٧) طفل يومياً، وفي ملجأ العامرية وفي يومٍ واحد يقتل (٥٠٠٠) عراقي، فهل هذه الأرقام لمنشئات عسكرية ؟؟؟!!!

... وفي الصومال قتلت أمريكا أكثر من (١٣٠٠٠) صومالي، وفعلوا أشكال الفاحشة بالصبيان والنساء.

أما موقف أمريكا من نصارى العالم ضد المسلمين فأمطِ اللثام وحدث ولا حرج، ففي السودان والفلبّين وإندونيسيا وكشمير ومقدونيا والبوسنة وغيرها من المآسي ما يندى له الجبين.

أما ما تفرضه أمريكا من حصار على الدول الإسلامية عقاباً لها على تمردها على قوانينها فقد طفح الكيل بها، وتحمّل المسلمون بسببها الخسائر الاقتصادية ما يفوق الخيال.

فبعد هذا كله، ألا يحق للفريسةِ وهي تُربط وتُجر إلى منحرها أن تتفلت؟!! ألا يحق لها وهي تُذبح أن ترفس برجلها؟!! ألا يحق لها بعد ذبحها أن تصيب ناحرها بدمها؟!!

أبعد هذا كله يذرف البعض دموع التماسيح لما حل بدولة الكفر، ويحاولون تبرئة الإسلام (كالبُله) مما يجري لها، ويطلبون عطفها ولطفها في التعامل مع المسلمين، ويرسلون الرسل والمراسيل للمجاهدين برجاء الكف عن مناطحة [هبل] وهل يظنون منا ذلك؟!

فلا والله فإننا قد نبذنا إلى الأمريكيين وهم نبذوا إلينا، فلا نجونا إن نجوا، ولا خير فينا إن تراءت نيراننا، ولا عزة ولا كرامة إن لم نثأر لإخواننا في فلسطين والعراق وأفغانستان وفي كل مكان. بل نحن نحمد الله عز وجل أن جعل رأس هذا التحالف هم الأمريكان، حتى يميز الله الخبيث من الطيب ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ آل عمران. ونحمد الله ثانياً، أن أعلنوها صريحةً أنها حرب صليبية، فقد اتضحت الراية، فما ثمَّ إلا خندق الإيمان أو خندق الكفر. ونحمد الله ثالثاً، أن جعل العالم الكافر ومن معه من المرتدين يتميزون حتى تتجلى للأمة الحقيقة وتتضح الصورة ويرتفع الملام"[١] ا.هـ

١) مقالٍ بعنوان "تحت ظلال الرماح" للشيخ سليمان أبي الغيث.



الشيخ سليمان أبو الغيث – فكّ الله أسره

ما هو السبيل إذن؟:

وحتى تتحقق تلك الرسالة، كان لا بد من استنهاض الأمة التي طال رقادها وقعودها، ودبّ الوهن في أوصالها، وحتى تتحمّل الأمّة تبعات ذلك الأمر العظيم كان لا بد من حثّها وتحريضها على القتال، فتحرير بلاد المسلمين من المحتلين الغاصبين، وإقامة دين الله عز وجل لا يمكن أن يتحقق إلا بالجهاد في سبيل الله.

ففي رسالته إلى الأمة الإسلامية بتاريخ ١٢ ذي القعدة ١٤٢٤هـ، الموافق ٤ يناير ٢٠٠٤م يقول الشيخ أسامة رحمه الله:

"أما الحديث عن كيفية دفعِ هذه القوى المعادية من الخارج، فذلك يستلزم منا أن ننظر في الحروب الصليبية السابقة على بلادنا لنأخذَ منها الدروس والعبر بما يعيننا لصد هذه الهجمة، وأخذ التصور عن أهم أسباب تلك الهجمات، وكيف تم دفعها ومقاومتها. فأقول: إن احتلال الغرب لبلادنا قديم جديد، والتدافع بيننا وبينهم، والمناطحة وكسر القرون قد بدأ منذ قرون، وسيستمر، لأن سنة التدافع بين الحق والباطل ماضيةٌ إلى قيام الساعة، وصلاح البلاد والعباد بإقامتها، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ {البقرة:٢٥١}، قال أهل التفسير: "أي لولا مدافعة المؤمنين بالقتال للكافرين، لغلب عليها الكافرون ولفسدت الأرض بإفسادهم"، فانتبهوا إلى سنة التدافع هذه، ولا حوار مع المحتلين إلا بالسلاح.

وبنظرةٍ لطبيعة الصراع بيننا وبين الغرب نجد أنهم قد غزوا بلادنا قبل أكثر من ألفين وخمسمائة عام، فلم يكن لهم دينٌ قويم ولا خلق سليم، وإنما كانت دوافعهم السلب والنهب، فبقي أجدادنا في الشام تحت احتلالهم لأكثر من عشرة قرون. ولم نستطع أن نهزمهم إلا بعد بعثة نبينا محمد ﷺ، والتزامنا بالإسلام حقاً، الذي أعاد تشكيل وصياغة الشخصية العربية فحررها من الجاهلية، ونوّرَ قلبها وعقلها، وفجّرَ طاقاتها، وعند ذلك لم يقف في وجه كتائب



الإيمان أحد، لا العرب ولا العجم، وتهاوى أمام صيحات "الله أكبر" الفرس والتتر، والترك والروم والبربر، وكانت ريادة العالم بأيدينا، ننقذهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد سبحانه.

ثم لما ضَعُفَ تمسكنا بديننا وفسد حكامنا؛ أصابنا الوهن، فأعاد الروم علينا الكرة بعد قرونٍ بحروبهم الصليبية المشهورة، إلى أن أخذوا منا المسجد الأقصى، ولكن بعد تسعين سنة استعدنا قوتنا بعودتنا لديننا، فاسترجعنا المسجد الأقصى -بفضل الله- على يد قائد حكيم، ومنهج قويم. فالقائد؛ صلاح الدين -رحمه الله- والمنهج؛ الإسلام وذروة سنامه؛ الجهاد في سبيل الله، وهذا ما يلزمنا اليوم وهو ما يجب أن نسعى إليه.

وكذلك الحال؛ لم يتم تحرير بلاد العالم الإسلامي في القرن الماضي من احتلال الصليبيين العسكري إلا برفع راية الجهاد في سبيل الله، والذي يستميت الغرب اليوم لتشويهه، وقتل من يحمل رايته تحت اسم "مكافحة الإرهاب"، ويناصرهم في ذلك المنافقون لأنهم يعلمون جميعاً أن الجهاد هو القوة الفعّالة لإحباط جميع مؤامراتهم.

فهذا هو السبيل فاتبعوه، لأننا إذا ابتغينا دفعهم بغير الإسلام فسنكون كالذي يدور في حلقة مفرغة، وسيكون حالنا كحال أجدادنا الغساسنة، كان همّ الواحد من كبرائهم أن يكون ضابطاً للأمن عند الروم، وإن أُطلق عليه لقب (ملك) ليقوم بحماية مصالحهم، وذلك بقتل إخوانه من عرب الجزيرة، وهذا هو حال (الغساسنة الجدد)؛ حكام العرب اليوم.

فيا أهل الإسلام:

إن لم تأخذوهم بجريرتهم في القدس وأرض الرافدين، أخذوكم بخذلانكم وسلبوكم أرض الحرمين، فاليوم بغداد وغداً الرياض، وهلّم جراً -إلا أن يشاء الله- وحسبنا الله ونعم الوكيل".

وفي نفس الخطاب يقول الشيخ أسامة:

"فينبغي على دعاة الإصلاح أن يعلموا أن الطريق لإصلاح الأمة وتوحيدها تحت كلمة التوحيد؛ ليس بالمحاضرات النظرية وتأليف الكتب فقط، ولكن لابد أيضاً من مشروع عملي تنخرط فيه الأمة كلها -كلٌ بحسبه- ابتداءً بالدعاء والابتهال إلى الله، وانتهاءً بالقتال في سبيل الله".

وفي رسالة تحريضية أخرى موجهة لأهل العراق خاصة والمسلمون عامة يقول الشيخ أسامة:

"فالموفّق من وفقه الله لنصرة دينه، وأما من قعد مع الخوالف دون ظلال السيوف مع تعين الجهاد فقد ارتكب إحدى الكبائر العظام، فاعتبروا بقصص الصادقين ممن قعد قبلكم، فبكوا وندموا ندماً شديداً.

ففي قصة كعب بن مالك رضي الله عنه يوم تبوك عبرة لكم فقد كان يقول: [تجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، وطفقت أغدو لكي أتجهز معه فأرجع ولم أقض شيئاً، وأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل يتمادى بي حتى شمّر بالناس الجد، فأصبح رسول الله ﷺ غادياً والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئاً، فلم يزل يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، فهممت أن أرتحل فأدركهم، فيا ليتني فعلت].

وعلم الله أنه استمر بالناس الجد اليوم، وتسابق الصادقون إلى ساحات الجهاد، فاغتنم الفرصة يا عبد الله، وارتحل وأدركهم، ولا يأتين عليك يوم تقول فيه يا ليتني فعلت. فالبدار البدار. وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسولنا عليه الصلاة والسلام أنه قال: ﴿بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا﴾ صحيح مسلم.

فما يقعدكم عن الجهاد بأموالكم وأنتم تعلمون أنه واجب عليكم؟ وما يقعدكم عن الجهاد بأنفسكم وأنتم تؤمنون بأن الأرزاق معدودة والآجال محدودة، وأن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم لا محالة في موعده ولو كنتم في بروج مشيدة؟

فاتق الله يا عبد الله، فأين ذهب عقلك حتى تضن بنفسك ومالك عن المالك؟ وهل يَضن بالمملوك عن مالكه عز وجل إلا من خان أمانته، وضعف يقينه، ورق دينه؟ وتدبروا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾. {النساء:٧٧}

فهذا هو الجواب لمن خاف يوم الحساب، فمن قعد له شيطان من الإنس أو الجن في طريق الجهاد وقال له: تجاهد فتُقتل، ويُقسم مالك، وتُنكح زوجتك، ويُيتم أطفالك، فليتل عليه قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾. {النساء:٧٧}

فيا عباد الله:

استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم، واحذروا كل الحذر من المثبطين والمرجفين والمعوقين، القائلين لإخوانهم هلم إلينا.

واحذروا الذين يحبون قول الحق ولا يستطيعونه إلا أن يختموه بقول الباطل، كمدح وتزكية الطواغيت، فهؤلاء قد ضلوا ضلالاً مبيناً، ولا تصح الصلاة خلفهم، فليتقوا الله في أنفسهم وأمتهم، وليتوبوا عن باطلهم. واحذروا الذين يريدون قول الباطل فيلبسون الحق بباطلهم ليمرروه على الناس. فتعيُّن الجهاد اليوم في فلسطين والعراق حق على أهل القطرين، فإن عجزوا أو قصروا أو تكاسلوا فعلى من يليهم، وثمَ وثمَ إلى أن تعم الدائرة جميع بلاد المسلمين، حيث إن بلاد المسلمين كلها بمنزلة البلد الواحدة.

هذه هي فتاوى العلماء رحمهم الله الذين لم يأخذوا في اعتبارهم أهواء الحكام العملاء في العواصم المحيطة كالرياض وعمّان، وحيث إن العجز واضح في فلسطين والعراق فإن الجهاد متعين على من يليهم، كأهل بلاد الحرمين وسوريا والأردن وتركيا وإيران والكويت، فإن عجز أو قصر هؤلاء فعلى من يليهم، فالجهاد في العراق وفلسطين حق، والتخذيل عنه باطل.

واحذروا الذين يتسللون لواذاً، الذين يزاحمون الربوبية والنبوة بآرائهم واهوائهم، ثم يزعمون إن هذه مصلحة الدعوة فهذا محال، وفي آرائهم الدمار والبوار، قال الله تعالى:

﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. {النور:٦٣}

فيا عباد الله:

إن الطريق واضح بين، فقد تركنا رسولنا عليه الصلاة والسلام على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك. واقرؤوا القرآن والسنة تبصُروا الصراط المستقيم، وكلٌ يؤخذ من قوله ويُرد إلا نبينا عليه الصلاة والسلام. واضربوا بعرض الحائط آراء وأهواء الرجال مهما عظموا وعلموا وفقهوا إذا عارض قولهم قول الله تعالى، أو قول رسوله عليه الصلاة والسلام، حتى وإن كانوا مخلصين صادقين فهي زلة منهم لا تهدر مكانتهم وفضلهم، ولكن لا يُتابعوا في زلتهم.

وأما القعود عن الجهاد المتعين فهو من أبرز صفات المنافقين، فقد ذمهم الله تعالى، وقال لهم شر ما قال لأحد ليحذرنا منهم ومن القعود، وتوعدهم الله بعدم الهداية والعذاب الأليم، وطبع على قلوبهم، ونفى عنهم العلم والفقه وإن تعلّموا لأن ثمرة العلم خشية الله، واقرؤوا إن شئتم سورة التوبة.

فتدبر هذه الآيات التالية، فهي توضح طريقين لا ثالث لهما عند تعيّن الجهاد، طريق إمام المجاهدين، وخاتم النبيين عليه الصلاة والسلام، وطريق القاعدين. فاختر لنفسك. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُواْ بِاللهِّ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ * رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ * لَـكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. {التوبة:٨٦-٨٨}.

فيا عبد الله:

هذا سيد الورى الذي لا ينطق عن الهوى عليه الصلاة والسلام، قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو صاحب الشفاعة العظمى، ومع هذا كله حرص أن يجاهد والذين آمنوا معه بأنفسهم وأموالهم لنصرة لا إله إلا الله، فخرج يوم تبوك لقتال الروم في الضح والحرور وتقعد أنت مع ذوات الخدور، ثم تزعم أنك متبع لنبينا عليه الصلاة والسلام، وأنك على هديه، قاتل الله الجبن والجبناء.

يرى الجبناء أن العجز حزم ... وتلك خديعة الطبع اللئيم

فالكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت"[1] **ا.هـ**

وكان الشيخ أسامة في رسائله التحريضية كثيراً ما يُهوّن على الناس مسألة قتال أمريكا، وإمكانية هزيمتها بإذن الله تعالى إن صدقت النوايا. وكان رحمه الله قد أجاب مراسل قناة الجزيرة تيسير علّوني عندما سأله قائلاً:

---

١) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

شيخ أسامة بن لادن، تنظيم القاعدة يواجه الآن دولة تتسيّد العالم عسكرياً وسياسياً وتكنولوجياً، بأي منطق يمكن لتنظيم القاعدة، التي لم تصل بالتأكيد إمكاناته المادية إلى الإمكانات التي تملكها الولايات المتحدة، بأي منطق يمكن لتنظيم مثل القاعدة هزيمة أمريكا عسكرياً؟

فأجاب الشيخ أسامة بقوله:

"الحمد لله، أقول إن المعركة ليست بين تنظيم القاعدة والصليبية العالمية، المعركة بين أهل الإسلام والصليبية العالمية. وهذا التنظيم، بفضل الله سبحانه وتعالى كان مع إخواننا المجاهدين الأفغان، وكان الناس يقولون مثل هذا الكلام وأشد منه، كيف لكم أن تهزموا الاتحاد السوفيتي؟ والاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت كان قوة عظيمة جداً ترعب العالم بأسره، وحلف الناتو (حلف شمال الأطلسي) يرتعد خوفاً من الاتحاد السوفيتي. فأين تلك القوة التي مُنَّ بها علينا وعلى إخواننا المجاهدين، وأصبح الاتحاد السوفيتي بفضل الله أثراً بعد عين. لم يعد هناك الاتحاد السوفيتي، تقسم إلى دويلات كثيرة وبقيت روسيا. فالذي مدنا بمدد من عنده سبحانه وتعالى، وثبتنا سبحانه وتعالى إلى أن انهزم الاتحاد السوفيتي، هو قادر سبحانه وتعالى أن يمدنا مرة أخرى بمدد من عنده لهزيمة أمريكا على نفس الأرض بفضل الله سبحانه وتعالى، ومع نفس الأقوام، فذلك فضل الله سبحانه وتعالى. فنحن نعتقد أن هزيمة أمريكا هو أمر ممكن بإذن الله سبحانه وتعالى، وهو أيسر علينا بإذنه سبحانه وتعالى من هزيمة الاتحاد السوفيتي سابقاً" ا.هـ

تيسير علوني: *كيف تفسرون ذلك؟ لماذا هو أيسر؟*

الشيخ أسامة بن لادن:

"جربنا من إخواننا الذين خاضوا قتالاً مع الأمريكيين على سبيل المثال في الصومال، لم نجد هناك قوة تذكر، هناك هالة ضخمة جداً على أمريكا والولايات المتحدة بها ترعب الناس قبل أن يخوضوا قتالاً، فجرب إخواننا الذين كانوا هنا في أفغانستان، وفتح الله عليهم مع بعض المجاهدين في الصومال، فخرجت أمريكا تجر أذيال الخيبة والهزيمة والخسران لا تلوي على شيء، خرجت بأسرع مما كان يُتصور، ونسيت كل ذلك الضجيج الإعلامي الضخم عن النظام العالمي الجديد، وعن أنها هي سيدة ذلك النظام، وأنها تفعل ما تريد. نفت كل هذه الترهات ولمّت جيشها، انسحبت مهزومة بفضله سبحانه وتعالى. وجربنا القتال ضد الروس من ٧٩ إلى ٨٩، عشر سنوات بفضل الله سبحانه وتعالى، ثم واصلنا ضد الشيوعيين في أفغانستان. واليوم نحن في نهاية الأسبوع الثاني، شتان شتان بين المعركتين، وبين هذه الفئة وتلك، فنرجو الله سبحانه وتعالى أن يمدنا بمدد من عنده، وأن يكسر أنف أمريكا راغمة، إنه ولي ذلك والقادر عليه"[١] ا.هـ

كذلك يقول الشيخ الدكتور أيمن الظواهري في معرض ردوده على مراسل قناة الجزيرة جمال إسماعيل:

---

١) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

"وأمريكا هزيمتها ليست صعبة. أمريكا هُزمت في فيتنام، وطُردت من لبنان، ومن الصومال، فلو وقفنا أمامها وقفة صادقة فقد تنتهي كما انتهى الاتحاد السوفيتي، كل شيء يعتمد على أن نخلص النية في المقاومة" ا.هـ

وفي إحدى رسائله يقول الشيخ أسامة رحمه الله:

"فالقتال في سبيل الله؛ جزءٌ لا يتجزأ من ديننا، بل هو ذروة سنام الدين، وكيف يبقى الدين بدون ذروته؟ وهو ضرورةٌ مُلِحّةٌ لحياة أمتنا وعزها وبقائها، وقد صدق عدونا وهو كذوب، إذ قال معلّماً لأبنائه: (أنت تقاتل؛ إذن فأنت موجود)، هذه هي الحقيقة التي يعلّمونها أبناءهم ويرسلون إلينا بعكسها"[1] ا.هـ

إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر الحق فيم أقامك؟[2]:

ولعل خير ما يناسب المقام هنا بعد كل هذا الاسترسال، رسالة تحريض للشباب على القتال بعنوان: "**نداء عاجل إلى شباب المسلمين**" للشيخ سليمان أبي الغيث -فكّ الله أسره- جاء فيها:

"الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، نبي المرحمة والملحمة، والمبعوث بالسيف بين يدي الساعة القائل: ﴿إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْتَزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ﴾ رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم.

أما بعد: أيها الشباب:

صفات أربع لا تكون إلا بكم، ولا تتحرك إلا من خلالكم، ولا تثمر إلا بسعيكم هي: الإيمان، والإخلاص، والحماسة، والعمل. ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

إيمانٌ ملأ قلبه، وإخلاصٌ نقى سريرته، وحماسةٌ جدت من سعيه، ونصحٌ صادق كان لب عمله. فمسؤولية ذلك الرجل هي مسؤوليتكم، وسعيه هو واجبكم، وعمله هو دوركم في هذه المرحلة الخطيرة التي تمر بها أمتكم. ومن هنا تضاعفت حقوق أمتكم عليكم، وثقلت الأمانة في أعناقكم.

أيها الشباب:

إن الصخب المدوي، والحوادث المريعة، والنكبات المتتالية التي تلدها أرحام الليالي الحبالى في هذا الزمان، والجراحات القاتلة التي أُثخنت بها أمتنا، ما كانت لتكون لولا أننا تركنا الجهاد في سبيل الله تعالى؛ فأُشربت قلوبنا حب الدنيا، وكرهت الموت، فماذا كانت النتيجة؟؟ خوفاً ملأ قلوبنا، وذلاً نكّس رؤوسنا، وهواناً أرغم أنوفنا، وانكساراً حطم شموخنا.

---

1) رسالة إلى الأمة الإسلامية بعنوان التحريض والحث على الجهاد، بتاريخ ٤ يناير ٢٠٠٤ م.

2) العنوان مقتبس من خطبة بعنوان "إلحق بالقافلة " للشيخ أبي مصعب الزرقاوي.

وهذه الحالة المثقلة بكل معاني الضعف والانهزام، والذل والانكسار، لا ولن تتبدل إلا بسعيكم المخلص، وبذلكم وتضحيتكم وجهادكم، ووقوفكم أمام الزوابع العاصفة والسيول الجارفة، مرددين قول الحق: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

أيها الشباب:

تلفتوا حولكم، وأمعنوا النظر في حال أمتكم، وشعوبكم، ومجتمعاتكم، هل تروننا إلا مستذلون لغيرنا؟ محكومون بغير شريعة ربنا؟ منساقون وراء شهواتنا؟ ديست أراضينا، وانتهكت أعراضنا، وسُلبت أموالنا، وعُطلت شريعة ديننا في ديارنا؟؟.

هل ترون أحداً قد سلم من مناورات الغصب، ودسائس الاستعمار، ومؤامرات الخيانة في جميع أوضاعنا؟؟ فماذا بقي لنا؟ وأي كرامة نخادع بها عقولنا؟ وأي عزة نمنّي بها أنفسنا؟ وأي سلام نبتغيه من عدونا؟ وأي مصلحة نرتجي تحصيلها؟! ثم لماذا الخوف؟ وممَ الخوف؟ وعلام الخوف؟ وإلى متى الخوف؟؟ فهل يضر الشاة سلخها بعد ذبحها؟!

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

أيها الشباب:

إن حرباً مدمرةً على أبوابنا لن تخطف أرواحنا وتمزق أجسادنا فحسب، بل هي حرب خُطط لها لابتلاع الأرض، وتدنيس العرض، وسلب الخيرات، ونهب الثروات، وتغيير وجه الأرض في عالمنا الإسلامي بما يناسب مصلحة اليهود والصليبيين. وهي قريبةٌ جداً بحيث لن تدع لنا فرصة للتفكير، ولن تتيح لنا مجالاً للاختيار، ولن تمهلنا حتى نحزم أمرنا، أو نستشير كبراءنا فما هو المطلوب منا؟؟

أيها الشباب:

إن الواجب اليوم يتطلب منا عملاً واحداً لا ثاني له، ولا بديل عنه، ولا نجاة بغيره ألا وهو القتال. ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾. النساء

والعدو الذي نواجهه اليوم هو عدو مشترك (من الصليبيين واليهود)، الذين لا يشك أحد في كفرهم، وعداوتهم للمسلمين، وحرصهم على استئصال شأفتهم ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾، ويضاف إلى هذا أن أهدافه معلنه، ونواياه مكشوفة، يحرص هو على إظهارها والتبجح بها، ويعلن حربه على كل من يقف في طريق تحقيقها. فمن كانت هذه حالته، وهذا هو مراده وهدفه، فقتاله من أوجب الواجبات ومن أفضل القربات، ومن حالفه أو ناصره أو ظاهره ولو بالكلام، فقد ارتكب مكفّراً مخرجاً عن ملة الإسلام...

فأقدموا لما فيه شرفكم وعزكم ونصركم في الدنيا والآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين" ا.هـ

فيا إخواننا المسلمين في كل مكان، يا أحفاد خالد ومصعب والمثنّى، هذه هي رسالة القاعدة كما وضّحها مشايخنا الكرام، جلية بينة كالشمس في رابعة النهار، فبلاد المسلمين تُحكم بغير ما أنزل الله، ومقدّساتهم مُحتلة، وثرواتهم منهوبة، ولا سبيل لتغيير هذا الواقع إلّا -كما يقول الشيخ أسامة- **بمواصلة الاستنزاف المباشر للعدو الأمريكي، حتى ينكسر ويضعف عن التدخل في شؤون العالم الإسلامي.**

الخيار الصحيح في أسلوب المواجهة:

يقول الكاتب حسام الأموي في دراسةٍ له بعنوان "القاعدة التي غيّرت مجرى التاريخ":

"تكمن فعالية الدواء بقوة تشخيص الداء، قاعدة لا يمكن أن يغفل عنها من يريد لمريضه الشفاء، وإذا أردنا لأمة مريضة أن تتعافى من سقمها الذي أنهك جسدها، فبذهاب أسباب المرض والتشخيص السليم نحن نتقدّم في عملية العلاج. والحقيقة أن هذه الأمة تمرض ولكنها لا تموت، وهذا وحده يعطي دفعة معنوية في عملية العلاج.

هناك من حاول مكافحة الفيروسات، وهناك من فكر باستهداف المصنع المنتج لهذه الفيروسات، الأول سيستفرغ جهده في عملية المكافحة وإنتاج برامج وقائية، والثاني سيختصر الوقت بتدمير المصنع ذاته، وهكذا فكرت القاعدة، وعلى هذا بنت استراتيجيّتها" ا.هـ

قد لا يختلف اثنان مع الشيخ أسامة -رحمه الله- بوجوب القتال، لكن ما هو الخيار الصحيح في أسلوب المواجهة؟ هل هو قتال الحكام المرتدين؛ عملاء الأمريكان العدو الأقرب والأغلظ كفراً؟ أم قتال الأمريكان؛ العدو الأبعد الأوضح كفراً؟

كانت استراتيجية التيار الجهادي بمختلف تنظيماته ومكوناته منذ الستينات وحتى أحداث الحادي عشر هو الخيار الأول **ذي التوجّه القطري**، فقد كانت كلها بلا استثناء تقريباً منصرفةً لأهدافها الخاصة في مواجهة حكومات بلادها. غير أنها بسبب سياسة الضرب في سويداء القلب -التي اتبعتها حكومات الردّة والعمالة في مواجهة الحركات الجهادية- وصل قيادات هذه الحركات إلى قناعة بأن السير والاستمرار بذلك الأسلوب ومعطياته يبدو مستحيلاً.

وكان احتلال الصليبيين بقيادة أمريكا لبلاد الحرمين بحجة تحرير الكويت، نقطة تحول فارقة في تاريخ الصراع، وضع فيها الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- النقاط على الحروف، وحدد سياسة واستراتيجية القاعدة وهي: حتمية المواجهة المباشرة مع العدو الأبعد الأوضح كفراً؛ أمريكا.

وكما أسلفنا من قبل، أن الشيخ أسامة كان قد توصل بتوفيق الله إلى المعادلة السياسية الصحيحة بالنسبة لمواجهة أمريكا في بلاد الحرمين، وهي[١]:

(١) العلماء يضفون الشرعية على حكومة آل سعود.

(٢) وآل سعود يضفون الشرعية على وجود أمريكا في جزيرة العرب.

وهناك إحدى طريقين للمواجهة مع آل سعود وهذه الأوضاع وهي:

---

١) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

أ- إما مواجهة آل سعود، وبالتالي ضرورة مواجهة العلماء لكشف نفاقهم لإسقاط شرعية آل سعود وهي معركة خاسرة أمام الناس، لحجم وثقل المؤسسة الدينية وما زرعته من الشرعية، والهيبة في عقول الناس عبر أكثر من سبعين سنة.

ب- وإما الطريق الأسلم وهو ضرب الوجود الأمريكي، فيضطر آل سعود للدفاع عنه فتسقط شرعيتهم في أعين المسلمين في بلاد الحرمين، فتُدافع المؤسسة الدينية عنهم فتسقط شرعيتها معهم، فتدور المعركة على بينة أكثر وضوحاً أمام الناس.

وكان الشيخ أسامة -رحمه الله- يعتبر أن المجاهدين عملةً صعبة، فهم كما يقول عنهم الشيخ عبد الله عزام رحمه الله: **"قليلٌ من قليلٍ من قليل"**. لذلك كان الشيخ أسامة يريد أن تتوحد كافة جهود المجاهدين في كل مكان، وتركز نشاطها وهدفها على عدو واحد لا ينتطح فيه عنزان، ولا يختلف فيه عقلان، هو رأس الأفعى؛ هبل العصر أمريكا. فقد كان -رحمه الله- يرى بالتجربة على مر السنين أن المجاهدين وحدهم يقاتلون ويناطحون أنظمة تعمل بالوكالة لدول الِاستكبار الكبرى، كلما هلك نظام جاء آخر أشد كفراً وبأساً من سابقه، مسّخراً في يده كل أسباب بقائه -إلّا أن يشاء الله- من أجهزة الدولة السياسية والمالية والعسكرية والإعلامية والدعوية التي تمجد وتسبّح بحمده صباح مساء، فتضفي على وجوده الصبغة الشرعية، وتستعدي على المجاهدين حاضنتهم الشعبية، حتى إذا طال زمان الصدام، وخارت القوى وفترت العزائم والهمم مع توالي الضربات الموجعة عليهم أدركوا ووصلوا إلى مرحلة ألّا جدوى، والتسليم بالأمر الواقع، لتبدأ بعدها سلسلة من التراجعات والتنازلات والفشل باسم المراجعات ولا حول ولا قوّة اِلا بالله. والشواهد على ذلك كثيرة، كما حدث لقطاع كبير من شباب الحركات الجهادية في مصر وليبيا والجزائر وغيرهم.

لذلك حرص الشيخ أسامة في دعوته كل الحرص، **أن يكون ضرب رأس الأفعى أمريكا -وخاصّة في عقر دارها- هو الهدف الأولى، لأنه إذا أدبرت أمريكا منهزمة من بلاد الإسلام بعون الله وقوته فإن المعارك مع أعوانها ستكون أسهل وأيسر بعون الله وقوته. فأمريكا هي رأس الكفر فإذا قطعه الله لم يعص الجناحان كما قال عمر ﷺ للهرمزان عندما استشاره وقال له انصح لي فإنك أعلم بأهل فارس، قال نعم إنّ فارس اليوم رأسٌ وجناحان فقال له : فأين الرأس؟ قال نهاوند، ثم ذكر موضع الجناحين، وقال الرأي عندي يا أمير المؤمنين أنك إن تقطع الجناحين يهن الرأس، فقال عمر كذبت يا عدو الله، بل أعمد إلى الرأس فأقطعه فإذا قطعه الله لم يعص الجناحان.**

وكان الشيخ أسامة كثيراً ما يشبّه سياسة القاعدة في مواجهة أعداء الأمّة بشجرة خبيثة ساقها أمريكي قطره ٥٠ سم، وفروعها كثيرة متفاوتة الأحجام، منها دول حلف الناتو، وغيرها من الأنظمة العميلة في المنطقة، ونحن نريد أن نسقط هذه الشجرة بنشرها غير أن طاقتنا محدودة، فالطريق الأسلم لإسقاطها هو بالتركيز على نشرها في أصلها الأمريكي، فلو ركّزنا في عمق الساق الأمريكي حتى وصلنا إلى عمق ٣٠ سم تقريباً ثمّ سنحت لنا فرصة تمكننا من النشر في الفرع البريطاني فلا نفعل مع إمكانية النشر في الأصل الأمريكي؛ لأنّ في ذلك تشتيت للجهود، وتبديد للطاقة، ولو استمر النشر في عمق الساق الأمريكي حتّى يسقط سوف تتداعى له بقية الأطراف بالانهيار. وخير مثال على ذلك التداعيات التي



ترتبت على قطع المجاهدين لساق شجرة الاتحاد السوفيتي في أفغانستان، وسقوط فروعه تبعاً لذلك واحداً تلو الآخر من اليمن الجنوبي حتى أوروبا الشرقية دون بذل أي جهد على إسقاط تلك الفروع.

وكان بعض الإخوة يحاج الشيخ أسامة، ويرى أولوية قتال الحكام المرتدين، ويقول للشيخ، نحن ما نستطيع للأمريكان، أنت ستدخلنا في ورطة...الخ. وكان رد الشيخ أسامة لهم في غاية البساطة والوضوح، فكان يقول لهم: "**أنتم تريدوننا أن نقاتل عميلاً خلف عميلٍ خلف عميلٍ حتى نصل إلى أبي العملاء. دعونا من أول مرّة نذهب ونقاتل أبا العملاء مباشرة وتكون خاتمة حسنة**"[1].

وكان رحمه الله يقول: "**إنّ التركيز على المرتدين وكثرة الحديث عنهم أمر لا تفقهه جماهير الأمة وبالتالي لا تتفاعل معه، بل كثير منهم ينفرون منه ويجعلنا نسير في بيئة غير محتضنة للحركة الجهادية، وبالتالي لا تمدنا بالدعم لمواصلة الجهاد واستمراره**"[2] **ا.هـ**

فالشيخ أسامة كان يهدف من هذه السياسة إلى كسب تعاطف الشعوب التي لا يختلف فيها اثنان على قتال الأمريكيين الواضح للعيان كفرهم وظلمهم وجرائمهم، ودعمهم اللامحدود لليهود العدو التقليدي للمسلمين.

وبالرغم من كل ذلك يستثنى من تلك السياسة العامة –حسب ما جاء في وثيقة توجيهات عامة للعمل الجهادي للشيخ الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله– ما يلي:

١- "والتركيز على رأس الكفر العالمي لا يتعارض مع حقّ الشعوب المسلمة في جهاد ظالميها بالقول واليد والسلاح. فمن حق إخواننا في الفلبين وبورما، وفي كلّ أرضٍ يعتدى فيها على المسلمين أن يجاهدوا من اعتدى عليهم.

٢- عدم الاشتباك القتالي مع الأنظمة إلا إذا اضطررنا إلى ذلك، كأن يكون النظام المحلّي يشكّل جزءاً من قوّة الأمريكيين كما في أفغانستان، أو يقاتل المجاهدين نيابة عن الأمريكان كما في الصومال وجزيرة العرب، أو لا يقبل بوجود المجاهدين كما في المغرب الإسلامي والشام والعراق" ا.هـ

وكان أخوف ما يخاف منه الشيخ أسامة في خضم التفاعل مع الأفعال ورُدودها بيننا وبين الخصوم أن تنحرف استراتيجية القاعدة عن خطها ومسارها الصحيح، لذلك كان دائماً في رسائله إلى القادة يذكّرهم ويؤكد على ضرورة أن يكون الهدف الأساس في الحرب مع أمريكا واضحاً نصب الأعين.

وفي دراسة له بعنوان "القاعدة التي غيّرت مجرى التاريخ" يقول الكاتب حسام الأموي:

"ولهذا أعظم ما تخشاه أمريكا هو استهدافها في عقر دارها، أو استهداف مصالحها في كل الدول، لذلك تسعى أمريكا بكل الوسائل عبر لعبة الخداع التي تجيد ممارستها أن تقنع بعض المنتسبين للجهاد بفشل هذه الاستراتيجية؛ التي تجعل أمريكا ومصالحها هي الهدف الأول للمجاهدين، وتحويلهم إلى استراتيجية الصراع الداخلي بمفهوم قتال الكافر المرتد أولى من قتال الكافر الأصلي...

---

١) القصة غير المروية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر، رواية الشيخ بصير رحمه الله.

٢) وثائق أبوت أباد. الدفعة الأولى.



وإذا كان البعض يقول أين ضربات أمريكا في عقر دارها بعد حادثة بوسطن، وعمر الفاروق، وعملية الطرود وغيرها من العمليات ليروّج لفشل استراتيجية الشيخ أسامة؟ فإن كان المجاهدون خلال السنوات الماضية وبعد فوضى الثورات العربية قد أُستدرجوا للصراع الداخلي، فإن تأخر عمليات ضرب أمريكا لا يعني فشل الاستراتيجية، ولا يعني أيضاً الاستجابة للرغبات الأمريكية؛ بتحويل الصراع إلى الداخل، وتجاهل أمريكا. بل إن لم يستطع المجاهدون ضرب أمريكا في الوقت الراهن -بسبب ظروف معينة- فإن النجاح هو في أن يحافظ المجاهدون على قوتهم، وعدم استنزافها في حرب داخلية، حتى تحين الفرصة لتنشيط القسم الخاص بالعمليات الخارجية؛ وهذا ما يخشاه ساسة البيت الأبيض" ا.هـ

جديرٌ بالذكر أن الشيخ أسامة -رحمه الله- في رسالته الثالثة إلى الشعب الأمريكي الصادرة في ٢٠ يناير ٢٠٠٦م بعنوان "السبيل لإنهاء الحرب"، قال:

"وأما تأخر وقوع عمليات مشابهة في أمريكا لم يكن بسبب تعذر اختراق إجراءاتكم الأمنية، فالعمليات تحت الإعداد، وسترونها في عقر داركم حال الانتهاء منها بإذن الله" ا.هـ

وللأسف الشديد، رغم رمزية الشيخ أسامة رحمه الله، إلّا أنه لم ينجح في استمالة كثير من الجماعات الجهادية إلى توجهاته بتوحيد محور المواجهة تجاه أمريكا، سواء بالاندماج معه في جماعة واحدة، أو بالدخول في حلف الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد الصليبيين. وكانت المفاجأة في أن (الفكرة القطرية) -وهي الإطاحة بالأنظمة المرتدة بنفس الأساليب التقليدية في عمل التنظيمات لإقامة أنظمة تحكم بالشريعة الإسلامية- برزت لتسيطر على المرحلة الجديدة -مرحلة طالبان- مرة ثانية، حيث جعلت معظم التنظيمات هدفها هو نفس الهدف، الذي أثبتت الأيام فشله في ظل النظام العالمي الجديد. وعندما جاءت هجمة أمريكا على الإمارة وتداعيات أحداث سبتمبر، أقنعت أمريكا الكل بترك أهدافهم والتفرغ لحربها[١].

يقول الشيخ أبو مصعب السوري -فكّ الله أسره- في كتابه دعوة المقاومة الإسلامية العالمية:

"لقد كان الهجوم المظفر للشهداء الأبرار التسعة عشر على عقر دار الكفر والطغيان أمريكا، وذلك بضربها في صميم منشآتها الاقتصادية والعسكرية، عملاً جباراً وتاريخياً بكل المقاييس... وبصرف النظر عن تداعيات الحدث وطبيعة المواجهة التي حصلت من بعده، وطريقة إدارتها، لاسيما في أفغانستان... بصرف النظر عن كل ذلك، يمكن القول بأن توجه الشيخ أسامة بن لادن -حفظه الله- قد وضع المعركة بهذا الشكل في مسارها الصحيح. وذلك بفرض المواجهة بيننا وبين عدونا الحقيقي الداعم من وراء الستار لكافة أعدائنا في كل ساحات المواجهة التي نخوضها، بدءاً من صراعنا مع اليهود في فلسطين، ومروراً بكل مواجهاتنا مع حكامنا المرتدين المدعومين من قبل أمريكا وحلفائها. فجزاه الله خيراً.

... وإذا سلمنا بهذه المقدمة عن حرب واقعة ومفروضة من العدو علينا، فسنسلّم إذاً وفق مقتضيات ديننا الحنيف بأن علينا المواجهة. وأن جهاد الدفع قد صار فرض عين على المسلمين، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

١) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، للشيخ أبي مصعب السوري. بتصرّف.



وقال تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾. فإذا كنا سنواجه فلا بدّ من خسائر في هذه الحرب العالمية، ويجب أن يكون واضحاً أمام من يريد الجهاد أن من أهم ذلك مسألة (اختيار أسلوب المواجهة)، فإمّا أن ندخل المعركة وفق تصورات العدو باستنزافنا جزئياً هنا وهناك، وتحطيم طاقاتنا بالصراع مع الحكام المرتدين، ومن تبعهم من المنافقين والمكرهين والجاهلين من جيوشهم ورجال أمنهم -وهذا ما فعلناه عبر أكثر من ثلاثين سنة، وعبر عشرات التجارب الفاشلة الباهظة التكاليف- وإمّا أن نوجّه المعركة نحو العدو الأساسي، والمحرك لكل أعدائنا المحليين وأعني الثالوث الخبيث (إسرائيل - أمريكا - أوروبا الناتو)"[١] ا.هـ

وفي مقالٍ له عام ٢٠٠٦م بعنوان "هل تنتهي مشكلتنا مع الغرب بتأمين مصالحه في منطقتنا" يقول الدكتور عبد الله النفيسي حفظه الله:

"ولأن الولايات المتحدة الأمريكية تمثل (مركز الثقل) بالنسبة للغرب، وهي الوريث لمشروع الهيمنة الأوروبي وبالذات البريطاني، فهو الذي يمد المشروع الصهيوني بأسباب البقاء والتفوّق العسكري، فلا يمكن تحقيق النقلة النوعية للأمة الإسلامية من هذه المرحلة الغثائية -كما وصفها رسول الله ﷺ- إلا من خلال التركيز على مقاومة (مركز ثقل)؛ الغرب الذي تمثّله الولايات المتحدة. وينبغي التوضيح دائماً أننا لا نقاوم إلا لحماية أنفسنا من عدوان الإدارات الأمريكية...هدف استراتيجية المقاومة: -كما يرسمها العقل الاستراتيجي المسلم د. حامد عبد الماجد قويسي- هو إحداث خلخلة في النظام الدولي الآسر للأمة الإسلامية بالتصدي والمقاومة لمركز الثقل الغربي الذي تمثّله الولايات المتحدة ... نقولها بكل صراحة، بأنه على الحركات الإسلامية -بشتى راياتها ومسمياتها- أن تعي بأن الغرب يستهدفها جميعاً؛ تلك التي تركب مراكب (العنف) والقوة المادية، وتلك التي تلوِّح ليلاً ونهاراً بأغصان الزيتون، إذ أن المستهدَف هو الإسلام؛ كتابه، ورسله، وشريعته، ولغته، وحركته، وتجمّعه البشري، ومقدراته المادّية والأدبيّة"[٢] ا.هـ

دعوات فك الارتباط:

بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وتفككه إلى دويلات -إثر هزيمته في أفغانستان- برزت الولايات المتحدة الأمريكية كقوةٍ عظمى وحيدة، وفرضت على العالم مشروع نظامٍ عالمي جديد صِيغ ليعيد تشكيل المنطقة كلّها وفق متطلبات الهيمنة الأمريكية، والذي -حسب تعبير الشيخ أبو مصعب السوري- يعني باختصار: **إخضاع الأمة للإرادة اليهودية الصليبية بزعامة أمريكا**. وبناءَ على ذلك النظام الجديد لن تسمح أمريكا لأي حكومة في العالم بالخروج عن نظامها. وما يهمّنا نحن المسلمون؛ أن أمريكا لن تسمح بإقامة أي نظام إسلامي يحكم بالشريعة. فأمريكا هي زعيمة النظام الدولي الكافر الذي يقوم على أساس فصل الدين عن الدولة، وتعتبر أي دولة تُخالف هذا الأمر خارجة عن نظامها الدولي، وبذلك تكون عرضة لمعاقبتها ومحاصرتها، وستعمل أمريكا بكل قوّتها لإسقاطها، والشواهد على ذلك ماثلةً في أكثر من بلد.

---

١) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، للشيخ أبي مصعب السوري. بتصرف.

٢) نقلاً من دراسة بعنوان "القاعدة التي غيّرت مجرى التاريخ" للكاتب حسام الأموي.

بناءً على ما تقدّم كان الشيخ أسامة يعتقد أنه لن تقوم لهذا الدين قائمة، ولن ينعم المسلمون بدولة تحكم بالشريعة إلّا بزوال هذا النظام الصهيوصليبي الذي تقوده أمريكا هُبل العصر. وعن هذا الأمر يقول الشيخ أسامة بن لادن:

"فالبلاء الواقع على بلاد المسلمين له سببان رئيسيان، الأول: وجود هيمنة أمريكية عليها، والثاني: وجود حكام تخلَّوا عن الشريعة متماهين مع هذه الهيمنة، يحققون مصالحها مقابل تحقيق بعضاً من مصالحهم. والسبيل أمامنا لإقامة الدين، ورفع ما وقع بالمسلمين من بلاء هو بإزالة الهيمنة الواقعة على البلاد والعباد التي تحول دون بقاء أي نظام يحكم فيها بشرع الله. والسبيل لإزالة هذه الهيمنة هو بمواصلة الاستنزاف المباشر للعدو الأمريكي حتى ينكسر ويضعف عن التدخل في شؤون العالم الإسلامي"[١] ا.هـ

وحتى يتحقق هذا الهدف كان الشيخ أسامة -كما ذكرنا من قبل- يريد أن تتوحد كافة جهود المجاهدين، وتركز نشاطها وهدفها الجهادي على عدو واحد لا يختلف فيه اثنان، ولا ينتطح فيه عنزان، هو رأس الأفعى هبل العصر أمريكا.

وكانت أمريكا مدركة تمام الإدراك إلى خطورة ما كان يدعو إليه الشيخ أسامة على وجودها وعلى مصالحها المنتشرة في شتّى أرجاء العالم. فإذا كان تنظيم القاعدة لوحده، وبعدد قليل من أفراده قد مرغوا أنف أمريكا في التراب، وأثخنوا فيها جراحاً نازفة حتى هذه اللحظة، وغيّروا -بفضل الله وحده- مجرى التاريخ بعدد قليلٍ من الضربات النوعية، فكيف يكون الحال إذا اقتنعت الجماعات الجهادية بدعوة الشيخ أسامة ووحدت كافة جهودها، وركزت نشاطها وهدفها على عدو واحد هو هبل العصر أمريكا.

وللأسف الشديد -كما مرّ علينا من قبل- لم تلتفت كثيرٌ من الحركات الجهادية إلى ما كان يدعو إليه الشيخ أسامة حتى جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وأعلن حينها الرئيس الأمريكي السابق بوش الابن حربه العالمية الصليبية على كلّ ما هو إسلامي باسم مكافحة الإرهاب. وحينها فقط سقط القناع، وانكشف حقد أمريكا الدفين على الإسلام، وأدركت كثيرٌ من الجماعات الجهادية أن توجه الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- قد وضع المعركة في مسارها الصحيح، وذلك بفرض المواجهة بيننا وبين عدونا الحقيقي هبل العصر أمريكا. وبناءً على ذلك تمددت القاعدة شرقاً وغرباً، وانضم كمٌ مهم من الحركات الجهادية للقاعدة في العراق والشام والصومال ومغرب الإسلام، مروراً بمالي وشبه القارة الهندية.

وأدركت أمريكا فيما بعد أنها ارتكبت خطأً فادحاً بوضع الجميع في سلّةٍ واحدة، وأدركت كذلك أن الانتصار النهائي في هذه الحرب هو في حرب الأفكار التي دعا إليها وزير الدفاع الأمريكي السابق رامسفيلد، وذلك بمواكبة الحرب العسكرية بجهد سياسي ثقافي لكسب القلوب والعقول في العالم الإسلامي، والقصد هو نزع الشرعية عن الإرهابيين كي يفقدوا مصداقياتهم بين الجماهير.

وكما ذكرنا سابقاً كان من جنود هذه الحرب الفكرية آلافاً من علماء السلاطين، وفقهاء البنتاجون، والكثير من الجهاديين المتراجعين، بجانب العشرات من مراكز البحوث والدراسات الصليبية التي عكفت

---

١) وثائق أبوت أباد (رسالة وجّهها الشيخ أسامة لأمير تنظيم القاعدة في جزيرة العرب الشيخ بصير (ناصر عبد الكريم الوحيشي) رحمهما الله جميعاً.



سنوات عديدة على دراسة الجماعات والحركات الجهادية بصفة عامة، ودراسة تنظيم القاعدة بصفةٍ أخص حتى تصل في نهاية المطاف إلى توصيات وسياسات -تقدمها للحكومة الأمريكية- تعتقد أنها أنجع الطرق لمكافحة هذه الجماعات والقضاء عليها. والملاحظ أن كل هذه السياسات والتوصيات تخرج بأسماء ومسمّيات عديدة غير أنها في خاتمة المطاف تصبّ كلها في بث الفرقة والنزاع والشقاق بين صفوف هذه الأمّة وطليعتها المجاهدة. وبمعنى آخر محاولات فصل القاعدة وفك ارتباطها بحواضنها الشعبية من جهة، ومن جهة أخرى محاولات فك ارتباط القاعدة عن الجماعات الجهادية الأخرى.

وكانت وسائل الإعلام بتاريخ ١٨/١١/٢٠٠٦م قد تناقلت دراسة حديثة عن تنظيم القاعدة، قامت بها مؤسسة راند الأمريكية، وأشرفت عليها الباحثة أنجيل راباسا، توصي فيها المسؤولين وأصحاب القرار الأمريكي بضرورة توجيه الحرب ضد القاعدة انطلاقاً من عقيدتها، وليس مواجهتها عسكرياً فحسب. وتقضي التوصية التي رفعتها المؤسسة بهذا الخصوص بالعمل على زرع الخلافات بين تنظيم القاعدة والحركات الجهادية المحلية في مواطنها مشيرة أن عقيدة القاعدة تعاني من نقاط ضعف قابلة للاستغلال، تأسيساً على أن عقيدة القاعدة لا تتبناها جميع الحركات الإرهابية أو المتمردة في العالم، وبالتالي دعوة الولايات المتحدة إلى محاولة ضرب العلاقة بين المجموعات الجهادية المحلية والمجموعات العالمية عبر التركيز على الخلافات بينها[١].

وبالرغم من أن هذه التوصيات التي يوصي بها باحثو مؤسسة راند وغيرها من مراكز البحوث الصليبية مكشوفة في دراساتهم وتوصياتهم في إطار حملتهم المسعورة على الإسلام باسم مكافحة الإرهاب، إلّا أننا وللأسف الشديد نشاهد بعض الجماعات الجهادية -بعد أن وحّدت محور مواجهتها تجاه أمريكا- لم تفطن إلى مكر هؤلاء الصليبيين، وسارعت في تنفيذ سياساتهم وتوصياتهم، وذلك بعودتها مرة أخرى إلى المربّع الأول؛ مربّع الفكرة القطرية ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

وأصدق دليل على ما نقول هو ما حدث في العراق وبلاد الشام من مكرٍ تزول منه الجبال، كانت نتيجته في خاتمة المطاف فشل التجربة الجهادية في بلاد الرافدين بعد أن بلغت ما بلغت من علو شأنها، ونكايتها العظيمة في أمريكا. وذات الأمر تكرر في بلاد الشام. فخشيةً من أن تصنّف الجماعات الجهادية الشامية القطرية في سلّة واحدة مع تنظيم القاعدة مارست هذه الجماعات ضغوطاً شديدة على جبهة النصرة، وحمَلتها على ترك توجهها العالمي ونقض بيعتها للقاعدة بحجّة فك الارتباط، ليس هذا فحسب بل أصبح توجّه الجبهة الجديد -بعد تغيير اسمها لهيئة تحرير الشام، ومشاركتها بفعالية في مكافحة التمرّد (الإرهاب)- مثالياً على حد تعبير ما جاء في دراسة عن هيئة تحرير الشام قام بها الباحثان الصليبيان جيرون دريفون وباتريك هاني من معهد الجامعة الأوربية "**European University Institute**"، وراهنت الدراسة كذلك على أن نجاح توجّه هيئة تحرير الشام الجديد سيكون نموذجاً تقتدي به أفرع القاعدة الأخرى. وجاء في تلك الدراسة ما يلي:

"من الواضح أن سيطرة هيئة تحرير الشام لا تعمل كحاضنة للجهاد العالمي، بل على العكس من ذلك وبطريقة أكثر كفاءة وشمولية من الطائرات الأمريكية بدون طيار تشارك الجماعة في

---

١) مقال بعنوان "القاعدة بين خطاب الفتنة وخطاب السياسة" للباحث أكرم حجازي.



استراتيجية فعّالة لمكافحة التمرّد. إنّ مشروع الهيمنة الذي تدعمه قد حرم القاعدة لأول مرّة منذ تسع سنوات من الصراع من أي وجود مرئي على الأراضي السورية ...

للوهلة الأولى، فإنّ السيناريو مثالي: تتبنّى منظمة راديكالية إطاراً مرجعياً ثورياً سائداً إلى حدٍّ ما، وتحيّد آخر بقايا القاعدة و...، وتهمّش العناصر الأكثر تشدداً داخل صفوفها، وتسعى إلى التوافق مع الغرب مع إبداء الاهتمام في حوارٍ ومفاوضاتٍ حول التطبيع مع الآخرين. الرهانات تفوق كثيراً قضيّة إدلب: إنّ قرار أي فرع من فروع القاعدة بالانفصال عن القاعدة سيتحدد بشكل حاسم من خلال نجاح أو فشل التجربة السورية"[1] ا.هـ

ومن المفارقات العجيبة أننا نشاهد أمريكا -رغم قدراتها وإمكانياتها العسكرية والاقتصادية والاستخباراتية المهولة- لا تدخل حرباً إلا إذا حزّبت معها كل حلفائها. وفي المقابل -مع أن الله سبحانه وتعالى يدعونا لمقاتلة المشركين كافّة كما يقاتلونا كافّة، ويدعونا سبحانه إلى الوحدة والاعتصام، ويُحذرنا من الفرقة والانقسام- لم تجد دعوة الشيخ أسامة رحمه الله -رغم قوة منطقها وحجّيتها بتوحيد الجهود لمواجهة أمريكا- آذاناً صاغية ولا قلوباً واعية، بل والأدهى والأمر من ذلك أن صار بعض المحسوبين على الجهاد يدعون أفرع القاعدة إلى فك ارتباطها بالقاعدة، وشرّ البليّة ما يُضحك.

وكأن دعاة فك الارتباط لا يعلمون حقيقة الصراع الدائر بين حلف الكفر بقيادة أمريكا، وحلف الإسلام وطليعته المجاهدة ومن ضمنها بل على رأسها قاعدة الجهاد. كأنهم لا يعلمون أن القضية هي قضية عقيدة ودين -جلّاها الله سبحانه وتعالى لنا في كثير من الآيات- لا كما يصورها بوش ومراكز الدراسات بأنها حرب على الإرهاب. وكأنهم لم يروا النماذج التي نكثت عهودها مع القاعدة، وخرجت عن مشروع إسقاط هيمنة هبل العصر أمريكا، وراحت تحاول جاهدة تحييدها من الصراع، لكنَّ هذه المحاولات باءت بالفشل، بل تسببت أمريكا في إضعافهم ودعم كل مناوئ لهم حتى أسقطت مشروعهم، وأبرز هؤلاء جماعة الدولة وجبهة النصرة.

أو ما فقه دعاة فك الارتباط أن **دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه.**

جاء في كتب السيرة أن رسول الله ﷺ -بعد وفاة عمّه أبي طالب- عرض نفسه على قبيلة آل شيبان بن ثعلبة، وكان فيهم مفروق بن عمرو، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك. وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالاً ولساناً، وكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر، فقال له أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ قال له مفروق: إنا لنزيد على ألف ولن تُغلب ألفٌ من قلة. فقال أبو بكر: فكيف المنعة فيكم؟ قال: علينا الجهد ولكل قوم جد. قال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق: إنّا لأشد ما نكون غضباً حين نلقى، وإنّا لأشد ما نكون لقاءً حين نغضب، وإنّا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله، يديلنا مرة ويديل علينا، لعلك أخو قريش. فقال أبو بكر: أوقد بلغكم أنه رسول الله؟ فها هو ذا. فقال مفروق: قد بلغنا أنه يذكر ذلك، فإلام تدعو يا أخا قريش؟ فتقدم رسول الله ﷺ فقال: "أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني رسول الله، وإلى أن تؤوني، وتنصروني، فإن قريشاً قد ظاهرت على أمر الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو

[1] ولمن يريد الوقوف على المزيد من مكر أعداء الله في هذا الباب، عليه بالرجوع إلى ترجمة الدراسة وهي بعنوان "كيف أضحى الجهاد العالمي محلياً مرةً أخرى؟ وإلى أين يقود ذلك؟" للباحثين الصليبيين جيرون دريفون وباتريك هاني من المعهد الأوروبّي للدراسات (European University Institute).



الغني الحميد". فقال مفروق وإلام تدعو أيضا يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. فقال مفروق: وإلام تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

فقال مفروق: "دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك". وكأنه أراد أن يشركه في الكلام هانيء بن قبيصة، فقال: "وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا".

فقال هانئ: "قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وإني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر زلة في الرأي، وقلة نظر في العاقبة، وإنما تكون الزلة مع العجلة، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقداً، ولكن ترجع ونرجع، وتنظر وننظر". وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى بن حارثة، فقال: وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا. فقال المثنى: "قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب هو جواب هانئ ابن قبيصة في ترك ديننا واتباعنا إياك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر، وإنما منزلنا بين صريي اليمامة والسماوة"، فقال رسول الله ﷺ ما هذان الصريان؟ فقال: "أنهار كسرى ومياه العرب. فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول. وأما ما كان من مياه العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول. وإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثاً ولا نؤوي محدثاً. وإني أرى أن هذا الأمر الذي تدعونا إليه هو مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا". فقال رسول الله ﷺ: "ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن **دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه**".

ورحم الله الشيخ الشهيد سيّد قطب فقد وضع النقاط على الحروف في تفسير الآية ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ فقال رحمه الله:

"قاتلوهم جميعاً بلا استثناء أحد منهم ولا جماعة، فهم يقاتلونكم جميعاً لا يستثنون منكم أحداً، ولا يبقون منكم على جماعة. والمعركة في حقيقتها إنما هي معركة بين الشرك والتوحيد، وبين الكفر والإيمان، وبين الهدى والضلال. معركة بين معسكرين متميزين لا يمكن أن يقوم بينهما سلام دائم، ولا أن يتم بينهما اتفاق كامل، لأن الخلاف بينهما ليس عرضياً ولا جزئياً، ليس خلافاً على مصالح يمكن التوفيق بينها، ولا على حدود يمكن أن يعاد تخطيطها. وإن الأمة المسلمة لتُخدع عن حقيقة المعركة بينها وبين المشركين -وثنيين وأهل كتاب- إذا هي فهمت أو أُفهمت أنها معركة اقتصادية أو معركة قومية، أو معركة وطنية، أو معركة استراتيجية. كلا، إنها قبل كل شيء معركة العقيدة، والمنهج الذي ينبثق من هذه العقيدة، أي الدين" ا.هـ

فما يضير دعاة فك الارتباط -بعد كلّ ذلك- أن يأخذوا بنصيحة عتبة بن ربيعة لقريش قائلاً لهم:

"يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها لي، خلّوا بين الرجل وما هو فيه فاعتزلوه، فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب كُفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به".

حجر الأساس لبداية نهاية الإمبراطورية الأمريكية:

كانت التداعيات التي حققتها غزوات الحادي عشر من سبتمبر في أمريكا كارثية من كل النواحي وبكل المقاييس. فهذه الضربات قد أصابت أمريكا في مقتلٍ في عقر دارها، وفي رمز عزتها وقوتها، وكانت -بفضل الله وحده- مؤشّراً بتغيير موازين القوى العالمية، وهذا هو عين ما تشهده خارطة العالم السياسية اليوم من تحالفات دولية في طور التكوين، هدفها تحقيق مبدأ توازن القوى مع أمريكا لتشكيل عالم متعدد الأقطاب.

ولسنا هنا بصدد ذكر هذه التداعيات العظيمة التي تناولها الكتاب والباحثون والمحللون، وأُشبعت بحثاً من كل جوانبها وزواياها العسكرية والاقتصادية والأمنية والسياسية والمعنوية، لكننا بصدد الوقوف والتأمّل في جزئية واحدة فقط من هذه التداعيات، وهي مسودّة اتفاق الدوحة الذي وقعته أمريكا مع إمارة أفغانستان الإسلامية في ٢٨ فبراير ٢٠٢٠م، والذي يُثبت بجدارة حقيقة ما ذكره الكاتب سيف الدين الأنصاري في مقالٍ له بعنوان: "غزوة نيويورك وواشنطن قراءة تأصيلية" حيث يقول: "**غزوة نيويورك قد دشنت بداية العد العكسي لأكبر دولة إجرامية عرفها التاريخ الحديث، ووضعت الحجر الأساس لبداية النهاية للإمبراطورية الأمريكية**" ا.هـ

ذكرنا من قبل أن الشيخ أسامة عندما خطط لضربات الحادي عشر من سبتمبر كان يعتقد أن أمريكا حتماً سيكون لها ردّة فعل تجاه هذه الضربات، وستعلن الحرب التي ربّما تستمر إلى عقدٍ أو عقدين من خلالها سيتمّ استنزاف أمريكا اقتصادياً وعسكرياً، وبعدها ستخرج بفضل الله وحده من كونها امبراطورية ودولة عظمى، ثمّ تبدأ تنحسر وتنكفئ على نفسها.

وبالفعل صدّقت الأحداث ما كان يتوقعه الشيخ أسامة، فقد شهد العالم كله بداية نهاية الإمبراطورية الأمريكية في الحرب التي خاضتها في أفغانستان على خلفية أحداث الحادي عشر. فأمريكا التي أنفقت التريليونات من دولاراتها في بناء ترسانتها العسكرية لتكون القطب المهيمن الأوحد في العالم، لم تستطع على مدى تسعة عشر عاماً -مع أكثر من أربعين دولة من حلفائها- أن تحقق نصراً عسكرياً حاسماً على مجاهدي الإمارة الإسلامية وأنصارها، وأيقنت أمريكا في خاتمة المطاف أنّ خيارها الوحيد للحفاظ على ماء وجهها، والخروج من هذا المأزق هو الجلوس على طاولة التفاوض مع حركة طالبان.

جدير بالذكر أن استطلاعات الرأي الأمريكية مع اشتداد وطأة الخسائر المادية والبشرية للجيش الأمريكي في أفغانستان والعراق كانت قد أفادت بأن الغالبية العظمى من الشعب الأمريكي تؤيّد سحب القوات الأمريكية من أفغانستان والعراق، ولكن يأبى الله إلا أن يعز دينه، وينصر عباده، ويهزم الأحزاب وحده، فما كان من مشاعر الصلف والكبر التي تجري في دماء الساسة الأمريكيين إلّا أن جعلت الرئيس الأمريكي السابق بوش يعترض على رغبة شعبه محتجّاً بقوله: "**إن سحب القوات يعطي رسالة خاطئة للخصوم، وإنه من الأفضل أن نقاتلهم على أرضهم خيرٌ من أن يقاتلونا على أرضنا**".

وما أشبه تصرّف الرئيس الأمريكي هذا برأي أبي جهل الذي قاد جيش المشركين ليقاتل المسلمين في المدينة، والذي لم يستمع لنصيحة أبي سفيان برجوع الجيش قائلاً لهم: "**إنّما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم، وقد نجّاها الله، فارجعوا**". فقال أبو جهل: "**والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم ثلاثاً، ننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقى الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا**

العرب وبسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدا"، فكان ما كان من هزيمة جيش المشركين وهلاك صناديدهم.

ولطالما تشدقت أمريكا ردحاً من الزمن، بأن لا تفاوض[1]، ولا حوار، ولا سلام مع مجاهدي الإمارة الإسلامية، وصنّفتهم على أنهم جماعة إرهابية وقتلة، ها هي ميادين النزال قد أرغمتها أن تنحني وترضخ صاغرة لحركة طالبان، وتجلس معهم على طاولة التفاوض وجهاً لوجه، ونداً لند، لتوقّع معهم مسودّة اتفاق الدوحة، الذي دلّ بطريقة دبلوماسية على حقيقة أجمع عليها الكُتّاب والمحللون وأرباب السياسة، وهي هزيمة واستسلام الولايات المتحدة الأمريكية.



توقيع اتفاق خروج القوات الأمريكية وحلفائها من أفغانستان

وكانت الإمارة الإسلامية قد اشترطت بادئ ذي بدء شروطاً محددة على أساسها يتم التفاوض، واستجابت أمريكا صاغرة لتلك الشروط التي كان من أبرزها:

١- اشترطت الإمارة الإسلامية أن تكون قطر هي الدولة المضيفة لجولات التفاوض، ورفضت حضور أي جلسات أو لقاءات تفاوضية على أراضي دول شاركت في احتلال أفغانستان.

٢- اشترطت الإمارة الإسلامية أن يكون البند الرئيسي للتفاوض هو خروج القوات الأمريكية وقوات حلفائها الأخرى من أفغانستان وفق جدول زمني محدد أقصاه أربعة عشر شهراً.

٣- لم تقبل الإمارة الإسلامية إدراج مسألة إقامة الشريعة كنظام للحكم على طاولة المفاوضات.

٤- اشترطت الإمارة الإسلامية إطلاق سراح الآلاف من مجاهدي الإمارة الإسلامية تحتجزهم الحكومة الأفغانية العميلة، إلى جانب بعض قيادات الحركة المأسورين في معتقلات باكستان، ورفع أسمائهم من القائمة السوداء حتى يتمكنوا من المشاركة في عملية التفاوض.

٥- اشترطت الإمارة الإسلامية رفع جميع العقوبات الأمريكية والدولية الجائرة المفروضة على الحركة بما في ذلك وصفها بالإرهاب.

---

١) جديرٌ بالذكر أن الأمريكيين كانوا يريدون التفاوض مع حركة طالبان منذ عام ٢٠١٠م، وأصرّت حينها الإمارة الإسلامية أن يكون مبدأ التفاوض على أساس خروج أمريكا وحلفائها من أفغانستان، وحينها رفضت أمريكا وواصلت القتال، وفي عدة جولات أخرى للتفاوض حاولت أمريكا أن تفرض شروطها فباءت كل محاولاتها بالفشل، ثم ما لبثت أن رضخت عام ٢٠١٨م لمبدأ التفاوض على نفس الأساس السابق الذي رفضته أوّل مرة، فلله الحمد والمنّة.

٦- لم تقبل الإمارة الإسلامية الدخول في أي عملية تفاوضية مع حكومة كابل قبل توقيع اتفاق خروج القوات الأمريكية والقوات الحليفة لها.

٧- اشترطت الإمارة الإسلامية بألّا تتدخل أمريكا في شؤون أفغانستان، ولا تتعدى على استقلالها، ولا تمس سيادتها، ولا تستعمل القوة ضدها، ولا تعتدي على أراضيها.

٨- ومع أن الإمارة الإسلامية تعهّدت من جانبها بعدم السماح للجماعات الجهادية بتهديد أمن أمريكا وحلفائها انطلاقا من أفغانستان، إلا أنها في المقابل رفضت الدخول في أي صراع أو مواجهة مع تلك الجماعات، وأنها هي من يحدد الطريقة التي ستتعامل بها معهم، كذلك احتفظت الإمارة الإسلامية بحقّها في منح حق اللجوء لكل من أراد من المستضعفين من المؤمنين أن يستجير بها ويأمن في حماها.

مفارقاتٌ عجيبة:

مفارقات عجيبة جداً صاحبت اتفاق الدوحة، بل وليس غريباً أن نضيفها إلى عجائب الدنيا إن كانت بالفعل كما يقولون سبع، ومن هذه المفارقات ما يلي:

١- يتحدّث الناس ويتساءلون كيف حققت حركة طالبان من الّلا شيء -بعد أن فقدت دولتها- هذا النصر العظيم على دولةٍ تمتلك من أسباب القوّة المادية ما جعلها (أقوى وأعظم دولة) في العالم؟ هل من المعقول أن أمريكا وأكثر من أربعين دولة من حلفائها -على مدى عشرين سنة- لم يستطيعوا أن يحققوا نصراً عسكرياً حاسماً على حركة طالبان وأنصارها في هذه الحرب؟ ثمّ بعد كل ذلك ينتهي الأمر بموجب اتفاق قضي بانسحابها هذا الانسحاب المذل، الذي أجمع المراقبون وأرباب السياسة في كل العالم بأنه هزيمة ساحقة لأمريكا، بينما تصوّره أمريكا -من باب ذر الرماد في العيون- على لسان رئيسها المعتوه جو بايدن بأنه انتصار لها، وأنه لا جدوى من وجود قواتها في أفغانستان بعد أن حققت أهدافها التي دفعتها إلى هذه الحرب، وهي مقتل الشيخ أسامة بن لادن، وضمان أن لا تسمح الإمارة الإسلامية للجماعات الجهادية بتهديد أمن أمريكا وحلفائها انطلاقاً من أفغانستان.

يا سبحان الله، أكثر من تريليونين من الدولارات أنفقتها أمريكا في هذه الحرب، وأكثر من ستة آلاف من الجنود والمتعاقدين الأمريكيين قتلوا، وعشرات آلاف من الجرحى والمعاقين إعاقة دائمة، ومثلهم من الذين عادوا إلى بلادهم سالمين لم يسلموا من أمراض نفسيةٍ مزمنة، وغيرها وغيرها من التداعيات، فهل هذا الثمن الفادح يستحق أن تدفعه أمريكا لتحقيق هذين الهدفين؟ ألم يكن باستطاعة أمريكا التي تمتلك أكبر وزارة خارجية، وأكبر جهاز استخبارات في العالم تحقيق هذين الهدفين عن طريقهما؟ لا يسعنا هنا سوى أن نقول صدق سبحانه وتعالى القائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾.

٢- كانت الشروط الاستباقية لقيام عملية التفاوض نصراً في حد ذاتها دلّ على مدى الإذلال والصّغار الذي ألحقته الإمارة الإسلامية بالولايات المتحدة الأمريكية. ولم تستطع (سيدة العالم الأولى أمريكا) أن تملي شروطها الاستعلائية المذلة التي طالما أملتها لكثير من الأنظمة الحاكمة، وهي استبعاد أحكام الإسلام بالكلية من نظام الحكم. لقد كان هذا الشرط الذي من أجله شنّ المحتلّون الأمريكان حربهم على إمارة أفغانستان الإسلامية خطّاً سياديّاً أحمر لم يجرؤا على الاقتراب منه، لأن مفاوضي الإمارة الإسلامية لم يقبلوا ابتداءً إدراجه للمناقشة على طاولة التفاوض.

٣- كذلك من المفارقات العجيبة في هذه المفاوضات التي نجحت فيها إمارة أفغانستان الإسلامية في تحقيق وفرض ما تريد، أن مفاوضي الإمارة لم يكونوا من السياسيين المخضرمين الذين عركتهم وحنّكتهم ميادين السياسة، ولم يكونوا من علماء النفس الماهرين في عمليات التفاوض، ولا من القانونيين الخبراء في دراسة العلاقات الدولية وكيفية هندسة المفاوضات، بل ولم يتخرّج أيّ منهم من أيّ جامعة من جامعات العالم التي يُزعم بأنها مرموقة، كهارفرد وأكسفورد والسوربون. **لقد تخرّج مفاوضو الإمارة الإسلامية من مدرسة واحدة، ومن جامعة واحدة، تستقي مناهجها وتعاليمها من كتاب ربّها وسنّة نبيّها، علّمتهم كيفيّة صناعة الرجال، وكيفية صناعة المواقف، وكيفية هندسة الثبات والصمود. لقد تخرّج مفاوضو الإمارة الإسلامية من جامعة الجهاد الأفغاني المتخصصة في هزيمة الإمبراطوريات العظمى، وفي كيفية إلحاق الذل والهوان والصغار بها، لقد تخرّجوا جميعاً من ساحات المعارك والنزال التي ربّتهم فيها صيحات الله أكبر على أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.**

٤- ومن المفارقات العجيبة جداً التي دلّت على أن الإمارة الإسلامية مرّغت أنف أمريكا في وحل الهزيمة والعجز والذلة، هي أن الكثير من مفاوضي الإمارة الإسلامية الذين شاركوا في عملية التفاوض وجهاً لوجه مع المفاوض الأمريكي كانوا أسرى في معتقلات أمريكا، وعلى رأس هؤلاء المفاوضين الملّا عبد الغني برادر الذي كان مسجوناً لتسع سنوات تحت عين ونظر المخابرات الأمريكية في سجون عملائهم في باكستان، ثم أُخلي سبيله نزولاً على شروط الإمارة الإسلامية، وعُيّن رئيساً لمكتبها السياسي في قطر ليباشر ما يقارب السنتين عملية التفاوض مع المحتلّين الأمريكيين، وليوقّع معهم -نيابة عن الإمارة الإسلامية- مسودّة اتفاق الدوحة.

كذلك شارك في هذه المفاوضات مفاوضون قضوا عدة سنوات أسرى في معتقل جوانتانامو، كان من بينهم الملّا عبد السلام ضعيف الذي كان سفيراً لحكومة طالبان في باكستان. وكان أمير الإمارة الإسلامية الشيخ "هبة الله أخند زاده" حفظه الله -مزيداً في إذلال أمريكا- قد أصدر مرسوماً بتعيين قادة طالبان الخمسة في المكتب السياسي للإمارة الإسلامية في قطر، ليمارسوا عملية التفاوض مع الأمريكان. وكان هؤلاء القادة -بموجب صفقة مبادلتهم بالجندي الأمريكي الأسير بوي بريجدال- قد أُطلق سراحهم معزّزين مكرّمين في يونيو ٢٠١٤م، بعد ثلاثة عشر عاماً من الأسر قضوها في معتقل "جوانتانامو" وهم:

١) الملّا محمد فاضل (رئيس أركان الحرب إبان حكم الإمارة الإسلامية سابقاً)، حالياً وكيل وزارة الدفاع.
٢) الملّا نور الله نوري (الرئيس التنسيقي للإقليم الشمالي وحاكم ولاية بلخ سابقاً)، حالياً وزير الحدود والقبائل بالوكالة.
٣) الملّا خير الله خير خوا (وزير الداخلية ووالي هرات سابقاً)، حالياً وزير الثقافة الإعلام بالوكالة.
٤) الملّا عبد الحق وثيق (مساعد الرئيس العام للاستخبارات سابقاً)، حالياً وزير ورئيس دائرة الاستخبارات بالوكالة.
٥) الملّا محمد نبي عمري (قائد لواء الحدود سابقاً)، حالياً وزير التأهيل والتنمية الريفية بالوكالة.





الملا عبد الغني برادر
حفظه الله



الملا خير الله خير خواه
حفظه الله



الملا عبد السلام ضعيف
حفظه الله



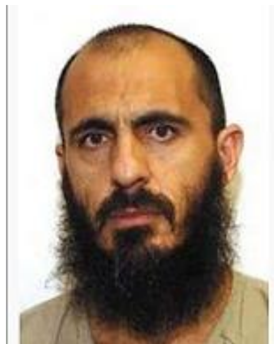
الملّا محمد فاضل
حفظه الله



الملّا نور الله نوري
حفظه الله



الملّا عبد الحق وثيق
حفظه الله



الملّا محمد نبي عمري
حفظه الله

قادة طالبان[١] الذين كانوا أسرى في جوانتانامو وشاركوا في مفاوضات الدوحة





الجندي الأمريكي بوي بريجدال المحرر مقابل قادة طالبان الخمسة الكبار

١) هذه الصور عندما كانوا أسرى في جوانتانامو.

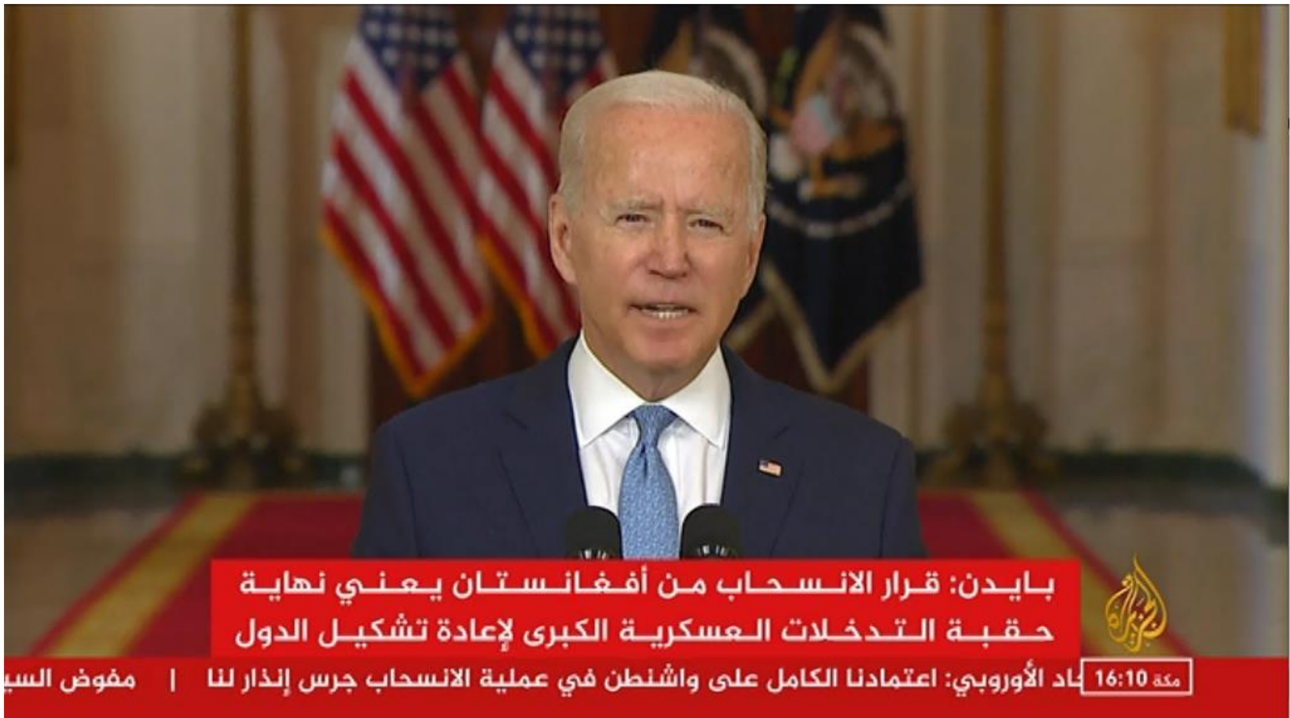
٥- ومن المفارقات العجيبة كذلك أن إرادة الله شاءت أن يتمّ هذا الاتفاق، وتُوقِّع أمريكا على هزيمتها بانسحابها قبل ظهور جائحة كورونا. فلو كان هذا الاتفاق قد تم بعد ظهور الجائحة لقال الناس إن كورونا وليست عمليات الطالبان هي السبب الذي أجبر أمريكا على الانسحاب، لكن شاءت إرادة الحكيم الخبير، أن تذوق أمريكا الذلّ والعذاب والويلات أولاً على هذه الأيدي المتوضّئة، ليشهد العالم أجمع هزيمة الامبراطورية الثالثة على أيدي المجاهدين في أفغانستان، ثمّ بعد ذلك لتذوق بيد جنديٍ واحدٍ من جنود الله لا يُرى بالعين المجرّدة لوناً آخر من العذاب أشدّ وأنكى عليها من العذاب والويلات الذي لاقته على أيدي الطالبان وأنصارهم، وصدق القويُ العزيز في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾.

وبموجب اتفاق الدوحة أعلن الرئيس الأمريكي بايدن في خطابه بتاريخ ٣١ أغسطس ٢٠٢١م انسحاب آخر جندي أمريكي من أفغانستان، وبعدها بأيام قلائل اتخذ قراراً تاريخياً آخر بقوله: **"قرار الانسحاب لا يرتبط بأفغانستان فقط، بل هو نهاية حقبة الحملات العسكرية الكبرى التي كنا نخوضها لإعادة تشكيل بلدان أخرى" ا.ه**

أي أن التدخل الأميركي في دول العالم لإعادة تغيير الأنظمة قد انتهى وبشكل نهائي.

فهذا التصريح من الرئيس الأمريكي يدلّ على أن الإمبراطورية الأمريكية بدأت شيئاً فشيئاً تنكفئ وتنحسر على نفسها، وهذا هو عين ما كان يتوقّعه الشيخ أسامة بن لادن، وما نراه اليوم من تغييرٍ في خارطة التحالفات السياسية العالمية، ومحاولات بعض الدول التفلّت من دائرة التحكّم والسيطرة الأمريكية يدلّ على صحّة ذلك التوقع.

فهل بعد ذلك من شك، في أن غزوات نيويورك وواشنطن بالفعل قد دشنت ووضعت حجر الأساس، لبداية النهاية للإمبراطورية الأمريكية.



من أقوالهم عن مفاوضات الدوحة؛ هذا هو الدرس يا عرب!:

يقول الدكتور مصطفى يوسف اللدّاوي من رابطة أدباء الشام في مقالٍ له بمجلّة الصمود العدد ١٦٩، معلّقاً على نتائج مفاوضات الدوحة:

"فحركة طالبان التي قاتلت الأمريكيين طوال عقدين من الزمن، فاوضتهم سنتين فقط، حصلت خلالهما على ما تريد، وحققت كل ما كانت تتطلع بالبندقية إليه، إذ استعادت أرضها كلها، ولم تتنازل لأمريكا عن بعضها، ولم تقبل بتصنيفها وتجزيئها، ولم ترض ببقاء جنديٍ أمريكيٍ على أرضها، ولم تمنحه صفةً أخرى أو تقايضه على وضعٍ آخر، ورفضت أن تكون وصيةً على الأفغان في حواراتهم الوطنية وخلافاتهم الداخلية، وأصرت على أن يكون من حقها العودة إلى القتال في حال أَخَلَّت أمريكا بشروط الاتفاق، أو بدّلت فيها وغيرت. تجربة طالبان تؤكد لنا أن العدو لا يحترم غير الأقوياء، ولا يخضع لغير الذين يوجعونه ويؤلمونه، ويجبرونه على البكاء والندم، وهو لا يحترم الضعفاء، ولا يتنازل لمن تخلوا عن السلاح، وقبلوا أن يكونوا له عيوناً ولأمنه حراساً، وارتضوا أن يعملوا عنده وأن يطمئنوا إليه ويصدقوه، وأن يثقوا به ويعتمدوا عليه، فمن أراد أن يفاوض فلا يفاوض عن ضعفٍ، ولا يخضع لشروطٍ، ولا يتخلّى عن سلاحٍ، ولا يعجّل بخلع الثياب ونزع البزة، بل يبقى يده على الزناد ويفاوض إن أراد، ويقبض على البندقية ويحاور إن شاء" ا.هـ

كذلك في نفس العدد علّق على الحدث مراسل قناة الجزيرة تيسير علّوني بقوله:

"لا شك في أن مجريات عملية التفاوض الطويلة تمثل هزيمة مدوية للأمريكيين سياسياً وعسكرياً، فبعد تصنيفهم الحركة بأنها (إرهابية)، ووعيد القادة الأمريكيين بسحقها، وتصريحات رامسفيلد وديك تشيني وجورج بوش عام ٢٠٠١م، ها هم يُوفدون مبعوثاً خاصاً إلى مقر المكتب السياسي لطالبان في الدوحة، ليجلس مع هؤلاء (الإرهابيين)، ويتفاوض معهم بمستوى الند للند ... ولا شك أيضاً، في أن خليل زاده مكلّفٌ بالخروج بصيغةٍ تحفظ ماء وجه أمريكا بعد عجزها عن تحقيق نصرٍ عسكري على (طالبان)، بحيث تتمكن واشنطن من القول لمواطنيها إننا خرجنا من هذا البلد بعد تأسيس نظامٍ سياسيٍ جديد، أو أننا ببساطة تركنا شيئاً ذا قيمة بعد خروجنا، لذلك يصر خليل زاده على فرض صيغة الحكم في أفغانستان بعد الانسحاب ومستوى مشاركة (طالبان) في هذه الصيغة، لكنه يدرك أنه إذا انسحبت القوات الأجنبية من أفغانستان فسيصبح نظام الحكم شأناً داخلياً يتحكم فيه الأقوى، وهو حركة طالبان" ا.هـ

وفي تغريدة للمدوّن طارق المطيري يقول في نفس العدد السابق:

"ما الذي حوّل حركة طالبان من حركة (إرهابية) في عين أمريكا وبحسب وصفها إلى حركة توقع معها اتفاقية سلام؟! ليست الديمقراطية ولا حقوق الإنسان، ولا تراجع عن الفكرة والأيديولوجيا، ولا الخيار السلمي بل الجهاد والسلاح في يد أصحاب الحق، هذا هو الدرس يا عرب ... أين أسراب الطائرات؟ أين سلاحها النوعي؟ أين بارجاتها وغواصاتها؟ أين صواريخها الباليستية؟ أين دفاعها الجوي؟ أين استخباراتها؟ أين حلفاءها الدوليين؟ أين ميزانياتها

المليارية؟ أين توازن القوى؟ هذه اشتراطات القعود والتعجيز التي لم تتوقف عندها طالبان وتوقف عندها الكثيرون!" ا.هـ

وفي تغريدة أخرى للمدون الدكتور مهمت كانبيكلي نقلتها مجلّة الصمود العدد ١٧٦ يقول فيها:

"ساقوه -يعني الملا محمد نبي العمري- معتقلاً إلى غوانتنامو مكبلاً، وربما وهم يصرخون بوجهه ويشتمونه ويلقبونه بأخطر إرهابي في العالم، ثم يأتي زمان يقف فيه هذا المعتقل السابق ليحاور وزير الخارجية الأمريكي على شروط انسحاب أمريكا من بلده. الانتصار لا يعانق من ينتحب، بل يعانق من تكبد وعثاء السفر في سبيل تحقيقه" ا.هـ

كذلك نقل نفس عدد المجلة السابق تغريدة للصحفي عبد الباري عطوان يقول فيها:

"أن يقف بومبيو صاغراً وذليلاً إلى جانب وفد طالبان المفاوض طالباً الصفح والغفران، ومستجدياً انسحاباً آمناً لقواته من أفغانستان، فهذا درس للعرب وللفلسطينيين خاصة. أعرف الطالبان جيداً، لا تملك قيادتهم طائرات خاصة، ولا يلبسون الحرير، ولا يعرفون الكذب، ولهذا انتصروا وفرضوا شروطهم" ا.هـ

هل هي ضرب من الجنون؟:

عندما خاض المجاهدون في أفغانستان حربهم الأولى على أقوى دولة في العالم آنذاك؛ الاتحاد السوفيتي، كان الناس يرمون المجاهدين بالجنون. وعندما سعّر الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- هذه الحرب على أمريكا واصفاً إياها بأنها نمرٌ من ورق، نسي الناس أنه بفضل الله وحده انتصر المجاهدون على الاتحاد السوفيتي، ومرّة أخرى صاروا يرددون: ﴿غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾، أنتم مجانين، أنتم تحلمون، أنتم تزرعون في الهواء، كيف تقاتلون أمريكا؟ ليس لكم أمل في البقاء أحياء، وسوف تُمحيكم أمريكا من الوجود ...الخ، وكان الرئيس الأمريكي السابق بوش الابن قد توعّد الطالبان في بداية هذه الحرب، وراهن على القضاء عليهم بصريح العبارة، فقال (we will smoke them) أي سوف نبخّرهم.

كانت هذه هي أحاسيس ومشاعر وتوقعات كثير من الناس تجاه هذه الحرب، لكنها لم تكن كذلك لمن خالط الإيمان بشاشة قلوبهم، وعرفوا طبيعة هذا الدين، وطبيعة هذا الصراع، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله.

جاء في السيرة أن رسول الله ﷺ بعد وفاة عمّه أبي طالب -وكان حينها في أضعف حالاته- أتى قبيلة بكر بن وائل يطلب منهم المنعة والنصرة، فرفضوا ذلك وقالوا له: **"لا مَنَعة، جاورنا فارس فنحن لا نمتنع منهم ولا نُجير عليهم". فقال لهم رسول الله ﷺ: "فتجعلون لله عليكم إنْ هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم، وتستنكحوا نساءهم، وتستعبدوا أبناءهَم أنْ تسبِّحوا الله ثلاثاً وثلاثين، وتحمدوه ثلاثاً وثلاثين، وتكبِّروه أربعاً وثلاثين". قالوا: ومن أنت؟ قال: أنا رسول الله. ثم انطلق.**

وكان عمّه أبو لهب يتبعه فيقول للناس: "لا تقبلوا قوله"، ثم مرَّ أبو لهب فقالوا: "هل تعرف هذا الرجل؟" قال: "نعم هذا في الذروة منا، فعن أيِّ شأنه تسألون؟" فأخبروه بما دعاهم إليه وقالوا: "زعم أنه رسول الله"، قال: "ألا لا ترفعوا برأسه قولاً، فإنَّه مجنون يهذي من أُمِّ رأسه". قالوا: "قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ما ذكر" ا.هـ

نعم، لقد اعتبرت بكر بن وائل دعوة رسول الله ﷺ لها، وكلامه في شأن فارس ضرباً من الجنون، لأن فارس كانت في ذلك الوقت دولة عظمى، وأحد قطبي العالم، ولا أحد من العرب يجرؤُ على أن يخرج على نظامها الإقليمي.

ومرّة أخرى يعلمنا رسول الله ﷺ معاني الثقة في موعود الله في أضعف حالات الجهد والبلاء التي تميز المؤمنين من المنافقين. ففي غزوة الأحزاب، عندما كان المسلمون يحفرون الخندق بشّرهم رسول الله ﷺ بأنه قد أُوتي مفاتيح الشام، ومفاتيح فارس، ومفاتيح اليمن. ومع أن المسلمين كانوا في أضعف أحوالهم من الجوع والخوف إلّا أنهم تقبّلوا هذه البشارات تقبل المؤمن الموقن المصدق بوعد الله، لأنها وعود على لسان من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، بينما كان تقبُّل أهل النفاق لها بقولهم: **"ألا تعجبون من محمد، يعدنا أن نطوف بالبيت العتيق، وأن نغنم كنوز فارس والروم، ونحن هنا لا يأمن أحدنا أن يذهب إلى الغائط، والله لم يعدنا إلا غروراً"**.

لذلك حريٌّ بنا جميعاً أن نقف طويلاً أمام موقف أمير المؤمنين الملّا عمر -رحمه الله- عندما قال في أحلك ظروفه تلك الكلمات المعدودات التي تقشعر لها الجلود، وتخشع أمام جلالها القلوب؛ "**لقد وعدنا الله بالنصر، ووعدتنا أمريكا بالهزيمة، وسوف نرى أي الوعدين أصدق**".

لقد كان أمير المؤمنين يرى أن هناك وميض نار يوشك أن يشبّ لها ضرام، ومع ذلك لم يلن، ولم يستسلم، ورفض أن يعطِ الدنية في دينه، وعندما هددوه بوعيد الرئيس الأمريكي بوش قال تلك الكلمات وكله ثقة ويقين واطمئنان بموعود الله عز وجلّ القائل ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وأن العاقبة للمتقين ولو كره الكافرون.

نعم يا أمير المؤمنين، نم قرير العين، فقد صدق الله وعده، ونصر جنده، وهزم الأحزاب وحده، وتحققت كلماتك أخيراً، فها هو العالم أجمع يرى بأم عينه (الامبراطورية العظمى) الولايات المتحدة الأمريكية، صاحبة أكبر ترسانة عسكرية على وجه الأرض، تخرج كما خرج أسلافها من قبل صاغرة ذليلة من أفغانستان. ها هي ذي الولايات المتحدة الأمريكية وصويحباتها سارعن في تفكيك قواعدهن، ولملمة ترساناتهن العسكرية التي لم تغنِ عنهن شيئاً. ها هو الرئيس الأمريكي جو بايدن يعترف متحسّراً بعظمة لسانه أنهم لم يتعلموا الدرس إلّا بعد عشرين عاماً، ويقول بكل صراحة:

"الأحداث التي نراها الآن هي إثبات بأنه ما من قوّة عسكرية من شأنها أن تبني الاستقرار في أفغانستان، فهي معروفة بأنها مقبرة الامبراطوريّات".

ها هي يا أمير المؤمنين ولايات أفغانستان ومدنها قد تطهّرت من رجس أمريكا، وعادت مرّة أخرى في سرعة ماراثونية واحدة تلو الأخرى إلى حضن الإمارة الإسلامية. ها هي يا أمير المؤمنين مراكز الدراسات والبحوث وخلايا الأزمات تخسر رهانها بأن أفغانستان ستغرق في مستنقع الفوضى، وسيجري الدم في طرقاتها أنهاراً انتقاماً من كلّ متعاونٍ مع الصليبيين، وكانت المفاجأة أن حركة طالبان -مقتديةً بهدي رسول الله ﷺ يوم فتح مكّة- ظهرت بصورة مثاليةٍ رائعة بأنّ اليوم يوم المرحمة، فأعلنت العفو الشامل لكل من تعاون مع الصليبيين قائلةً لهم: "**اذهبوا فأنتم الطلقاء**". غير أن أفغانستان أبت إلّا أن تلفظ خبثها من هؤلاء المنافقين؛ عبّاد الصليب الذين يأنفون العيش في ظل الإمارة الإسلامية، فعجّت المنافذ الحدودية ومطار كابل بعشرات الآلاف منهم، أبوا إلّا اللحاق بفسطاط الكافرين والعياذ بالله.

ها هم يا أمير المؤمنين جنودك الأشاوس الأبطال بلباسهم الأفغاني البسيط، وبعمائمهم ولحاهم الطويلة، وبتكبيراتهم المتعالية على كل من طغى وتجبّر، قد حققوا وقطفوا بفضل الله وحده أعظم ثمرة للنصر في هذه الحرب، ألا وهي الثبات والصمود على الثوابت والمبادئ، وعدم الانكسار لأئمّة الكفر من الطغاة والجبابرة.



لقد وعدنا الله بالنصر، ووعدتنا أمريكا بالهزيمة، وسوف نرى أي الوعدين أصدق



الرئيس الأمريكي جو بايدن يعترف بأن أفغانستان مقبرة الغزاة









أفغانستان تلفظ خبثها من عشرات الآلاف من الأفغان المتعاونين مع الصليبيين

معركة الأحرار:

استوقفني كثيراً كتاب قيّم اسمه "معركة الأحرار"، وضع كاتبه م. أحمد سمير النقاط على الحروف بتوصيفه الدقيق لحال أمتنا المسلمة، خلاصته أن بلادنا مازالت محتلة، وأن إرادتها مسلوبة، وأن ثرواتها منهوبة، وأننا عبارة عن مجتمعات تسير في فلك العدو وفق مخططاته التي وضع هو قواعد لعبتها، والتي عبّر عنها الرئيس الأمريكي السابق نيكسون بقوله: "**يجب أن نلعب اللعبة كما صنعناها، ويجب أن يلعبوها كما وضعناها**".

ولتغيير هذا الواقع المتردّي أمامنا أحد طريقين لا ثالث لهما، فإما أن نخوض باختيارنا معركة تحريرٍ كبرى -لا يسع أحدنا أن يتخاذل عنها، أو يدير وجهه لغيرها- لإسقاط الهيمنة الخارجية على بلادنا، ونتحمل بناءً على ذلك كل تبعات هذه المعركة وتكاليفها، أما إن أبينا فعلينا ألّا نشتكي بعد ذلك من تردّي الأحوال الدينية والدنيوية التي نعيشها.

وهذه بعض مقتطفات من كتاب "معركة الأحرار":

"هل تأملت في هذا الواقع من قبل؟ هل سألت نفسك بوضوح ما الذي يحدث في هذا العالم؟ ومن الذي وضع قواعد اللعبة فيه وعلى أي أساس وضعها؟ هل راودك شك ولو لمرة واحدة في أننا نعيش في أكذوبة كبرى وأن هناك من يريد لنا أن نصدقها؟ هل تمنيت في يوم أن يتغير هذا العالم لعالمٍ آخر يستحق أن نعيش فيه؟ إذا كنت ممن يشعرون بأن هناك شيئا ليس صحيحاً في هذا الواقع الذي نعيشه فإن هذا الفصل سيضع لك نقاطاً كثيرة على الحروف، أما إذا كنت لا تشعر بهذا الخلل الموجود في واقعنا المنحط فبإمكانك أن تعطي لنفسك الفرصة لإعادة التفكير بقراءتك لهذا الفصل!.

ودعني أحكي لك القصة من بدايتها :

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة في غضون عام ١٩٤٥م بدأت الدول المنتصرة في الحرب وعلى رأسها أمريكا في تقسيم تَرِكة العالم الجديد فيما بينها، وبدأوا في رسم خريطة مختلفة لنظام عالمي يحقق أطماعهم في السيطرة والتوسع، ويلبي رغباتهم التي ولدتها نشوة الانتصار الثمين في تلك الحرب العالمية المدمرة، وبالفعل وضعت هذه الدول نظاماً عالمياً متوازن القوّة تقريباً بين شرقه (المتمثل في الاتحاد السوفيتي والصين)، وغربه (المتمثل بالأساس في أمريكا وفرنسا وبريطانيا)، إلا أن صراع المصالح بين القطبين لم يتوقف داخل هذا النظام العالمي، وبلغ التنافس الأمريكي السوفيتي مراحله القصوى حتى انتهى بسقوط سور برلين عام ١٩٨٩م والذي أعقبه انهيار الاتحاد السوفيتي.

وهنا بدأ العالم حقبة مختلفة وأصبح عندنا نظام عالمي جديد، حيث انفردت أمريكا بقيادة العالم انفراداً شبه كامل ليكون أول رد فعل لها هو أن ترسي قواعدها العسكرية العملاقة في قلب منطقتنا في أحداث ما يُعرف بـ "حرب الخليج الثانية" مستغلة اجتياح العراق للكويت عام ١٩٩٠م، في رسالة إلى العالم كله أنه من اليوم قد صارت منطقة ما يسمى "الشرق الأوسط" بثرواتها وخيراتها تحت الطوع الكامل للسيد الأمريكي. إنّها علامة كبرى على سيطرته العالمية، فهي منطقة محورية وكنز استراتيجي منقطع النظير، منطقة ظلت تثير



لعاب الجميع منذ زمن بعيد، إلا أن الأمريكان لم يجدوا الفرصة السانحة للانقضاض العسكري عليها إلا بعدما سقط عدوهم الأكبر في النظام العالمي السابق (الاتحاد السوفيتي)، ثم هيئوا لأنفسهم ذريعة يتدخلون بها باتفاق مع الحكام العملاء وبدون أي رد فعل مؤثّر من الشعوب النائمة!!.

وهكذا أصبح النظام العالمي الجديد بقيادة أمريكا لا ينظر إلى بلادنا إلا باعتبارها منهباً للثروات، وسوقاً لتصريف المنتجات، وأداةً من أدوات سيطرته على العالم، وأصبح يحارب ويمنع كل ما يمكن أن يساعد في تحرير إرادة الشعوب في المنطقة، فلا اكتفاء ذاتي من القمح في بلادنا، ولا تصنيع حقيقي للدواء والسلاح، ولا امتلاك لترسانة ردع كالسلاح النووي، كل ذلك أنت ممنوع منه تحت ذرائع مختلفة، وما ذاك إلا لتظل أسيراً لمنظومتهم الفاسدة، وتابعاً مطيعاً لسياساتهم وتوجهاتهم المريضة، وترساً منعدم الإرادة في ماكينة حكمهم للعالم ...

إنّ الحقيقة المرة التي يجب ألا تخفى على الناس اليوم هي أن بلادنا مازالت محتلة، وأنّ إرادتها مسلوبة، وأنّ ثرواتها منهوبة، وأننا عبارة عن مجتمعات تسير في فلك العدو، وأن الاستقلال الذي تم خداع الشعوب به بعد جلاء الاحتلال العسكري القديم هو استقلال صوري ووهمي، نحن محتلون من كل الجهات، احتلالاً ثقافياً وفكرياً وسياساً واقتصادياً، بل وعسكرياً أيضاً. إنه الاحتلال الذي مازال يحكم على شعوبنا بأن تكون أفقر الشعوب بينما هي تعيش على أغنى أرض!.

إننا صرنا نعيش على أنقاض دول يمتص الغرب ما تبقى من خيراتها يوماً بعد يوم، ولا يوجد من يوقف هذه المهزلة، بل لا يوجد من يفكر أصلاً في كونها مهزلة إلا من رحم الله.

إنها نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: ﴿يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا﴾ ...

كيف اقتنعت شعوبنا بأن وضعها اليوم هو الوضع الطبيعي؟! كيف يكون منطقياً جوع الناس رغم ثراء بلادهم؟! .. إن بلادنا لا يخفى على أحد كونها المصدر الأكبر للثروات في العالم، إنها الخزان الأول للنفط الموجود في الكرة الأرضية كلها، ومصدر ضخم للمعادن بصورها المختلفة، هذا غير ما فيها من ثروات مائية وحيوانية وزراعية، ناهيك عن موقعها الاستراتيجي الرابط للعالم كله، فهي تمتلك أهم أربعة مضائق ومعابر مائية عالمية (مضيق هرمز، وباب المندب، وقناة السويس، ومضيق جبل طارق). كل ذلك يجعل لها وضعاً استراتيجياً واقتصادياً مميزاً ومع ذلك فهي في ذيل الأمم! .. إن ميزة واحدة من المميزات المذكورة كانت كفيلة بأن تجعلنا في مقدمة الأمم ولكن هناك من يمنع! ...

إن التغيير ليس بالسطحية التي تطرحه بها الأحزاب والحركات السياسية في بلادنا، إنما هو معركة تحررٍ على كل المستويات؛ بداية من الفكر وحتى السلطة، تحرر من احتلال حقيقي نعيش بين جدرانه! ليس تغيير الوجوه ولا الأسماء، بل هو التغيير الممنوع! التغيير الذي يكون أثره الاكتفاء الذاتي من القمح وسائر السلع الاستراتيجية. التغيير الذي يجعلنا قادرين على امتلاك سلاح نووي كما امتلكه عدونا. التغيير الذي يجعل سائر أسلحتنا من صنعنا واختيارنا



وليس سلاحاً يُفرض علينا فرضاً عبر ما تسمى المعونة الأمريكية. التغيير الذي يجعل الثروات ملكاً للشعوب تعود عليهم وحدهم بالنفع، ويشعرون فعلاً بوجودها وخيرها. تغيير يجعل سلوك مجتمعاتنا وحكامنا نابعاً من ديننا وليس سلوكاً يحقق للخارج ما يريد. إنه باختصار التغيير الذي يحاولون إقناع الشعوب كذباً بأنه مستحيل. التغيير الذي يسقط هيمنة الخارج على بلادنا وشعوبنا، وكل تغيير لا يضع في حساباته إسقاط الهيمنة الخارجية علينا هو تغيير صوري، وكلام منمق لخداع الناس، وما أكثر المخادعين في هذا الزمان!

إن التحرر من الهيمنة الخارجية ليس مستحيلاً ولكنها معركة كبرى، إذا حَيّدت الشعوب نفسها عنها فليس لها أن تشتكي بعد ذلك من تردي الأحوال على كل المستويات، الدينية والدنيوية. إذا لم تدرك الشعوب حقيقة "معركة التحرر"، ولم تعزم على خوضها بكل تكاليفها فسيظل التغيير وهماً يوهم به الناس، ويضاف إلى قائمة الأوهام التي طالما عاشوا فيها! ...

إننا سنظل نحلم بأمة مجتمعة متحررة، محرَّر كل شبر تسكن عليه، وإن المعنى الوحيد لأمة متحررة هو أن يكون قرارها نابعاً من داخلها .. متسقاً مع قيمها .. لا يحكمها أحد من خارجها .. ولا يتحكم عدوها في اقتصادها ولا يضع القيود على تحركاتها .. إذا قالت أسمعت .. وإذا سكتت أرهبت .. وإذا قررت أنفذت! وهذا لا سبيل إليه إلا بإسقاط الشرعية الدولية التي شكلت هذا الواقع، ولا سبيل لإسقاط هذه الشرعية الدولية على الأرض إلا بإسقاطها من القلوب. يجب أن يسقط النظام الدولي داخل قلب كل واحد منا حتى نتمكن من إسقاطه على الأرض، وهذا يحتاج لفهم معنى كلمة الشرعية الدولية وحقيقتها، هذا الفهم وحده كفيل بإسقاطها من القلوب للأبد!!

إن النظام العالمي اليوم يقوم ببساطة على الوهم، الوهم بكل صوره، إنك لا تحتاج أكثر من بضع دقائق تتأمل فيها حقيقة هذا النظام وستكتشف أننا نعيش في أكذوبة كبرى!

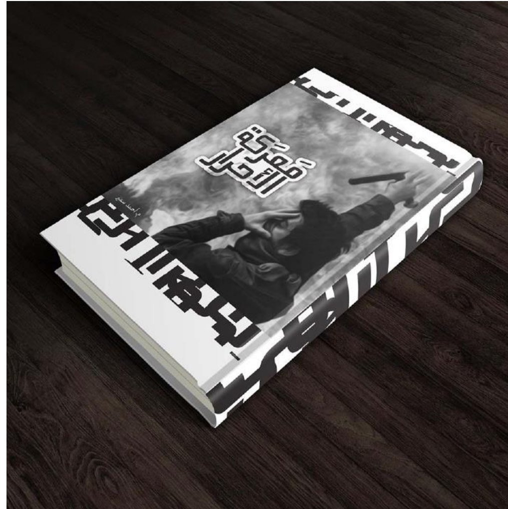
إن الجميع منا صغيراً وكبيراً، عالماً وجاهلاً، يعلم أن كل ما نشاهده في التلفاز ونسمعه من خطابات سياسية وأخبار محلية وعالمية ليست إلا الصورة الأخيرة التي أرادوها أن تصل إلينا. الجميع يفهم أن اللعبة لها قواعد مختلفة، وأن العالم -في النهاية- تتحكم فيه مراكز القوى، وأن ما يظهر فوق الطاولة يناقض ما يدور تحتها. لقد فهمت الشعوب هذا إلى حدٍ جعلها لا تهتم بالسياسة أصلاً ولا تشغل بالها بما يتم. لقد يئست من التغيير في ظل استمرار النظام العالمي كما هو.

إن النظام العالمي هو عبارة عن فيلم هوليودي، مخرج الفيلم هو الذي يقسِّم الأدوار، فليس كل ما تراه عيناك هو الحقيقة؛ "الحقيقة" هي ما يجعله المخرج "حقيقة"، فهذا بطل لأن المخرج أراد له أن يكون البطل! وهذا سيموت في اللحظة التي يريدك المخرج أن تراه فيها ميتاً! والحقيقة أن هذا ليس بطلاً ولا ذاك ميتاً! ما دمت أنت (المشاهد) وتتابع أحداث الفيلم من خلف الشاشة فلن ترى عشرات الكاميرات، ولا مئات الكومبارس، ولا أركان الديكورات، ولن ترى قهقهات الممثلين تتخلل مشاهد البكاء، ولن ترى "السيناريست" يلقن، ولا المخرج يصرخ ويوجه، ولن ترى اللقطات تعاد مراراً كي تظهر في صورتها الأخيرة!

شعوب علاقتها بالأحداث فقط (الشاشات) ستظل أسيرة منظومة الوهم، منظومة صار للورق فيها قيمة تفوق الذهب فقط لأن الوهم سماه (عملة صعبة)! صارت الكرة معركة وصراعاً، والمقاومة إرهاباً، والإرهاب الدولي الحقيقي حرباً مقدسة من أجل تحرير الشعوب، والفواحش حرية، والانحلال تقدماً، ما يقوله الوهم هو الحقيقة، الحقيقة ليست ما يقع على الأرض، الحقيقة ما يريدك الوهم أن تراه قد وقع على الأرض!!

هذا الوهم صار حقيقة لأنه امتلك الشرعية الدولية، هؤلاء ثوار ومناضلون لأن معهم الشرعية الدولية، وهؤلاء متمردون أو إرهابيون لأن الشرعية الدولية تريد أن يكونوا كذلك، إذا اختارك الناس "حاكماً" فستظل بحاجة إلى الشرعية الدولية حتى تصبح بالفعل "حاكماً"، حقائق لا تخفى على الشعوب ولكنها سريعاً ما تتناساها وتذهل عنها، ولذلك مازلنا نكرر أن معركتنا الأولى هي صناعة الوعي، وأولى خطوات هذا الوعي هي أن تدرك الشعوب أنها أسيرة منظومة وهم عالمية إدراكاً يوجّه مواقفها وحركتها، وأن تعلم أنه لا تغيير حتى تخرج من تلك المنظومة ...

إنها ليست معركة سياسية تخص السياسيين وحدهم، وليست حرباً على السلطة بين طلاب الدنيا لتعلن اعتزالك لها، وليست فتنة اختلط فيها الحق بالباطل كما يزعم الزاعمون، إنها معركة فاصلة واضحة، بين الحق والباطل، وبين الحرية والعبودية، وبين الإسلام والجاهلية، معركة الأحرار التي لا يسع أحداً أن يتخاذل عنها، وأن يدير وجهه لغيرها، إنها معركة يدفعك إليها دينك قبل كل شيء، معركة سيسألك الله عما قدمته فيها، وعما بذلته في أحداثها، فلا تتأخر عنها، فإنما ذلت هذه الأمة عندما تخاذل أفرادها عما أوجبه الله عليهم، وعلى رأس ذلك الجهاد، والجهاد كلمة أشمل من مجرد القتال، فهي تشمل القتال، وتشمل دفع العدو في كل الساحات التي هجم علينا فيها ومنها بلا شك ساحة الفكر والوعي، وبصورة أوسع تشمل حتى مجاهدتك لنفسك، فإننا بحاجة إلى إصلاح قلوبنا ونفوسنا، كما أننا بحاجة إلى مخاطبة الشعوب بما يعقلون ويفهمون، ودعوتهم إلى الحق الكامل، ودفع الشبهات والزيف الذي يُلقى إليهم، كل هذا مع حاجتنا لمواجهة العدو على الأرض بكل ما نملك، فالمعركة تشمل كل ذلك وكل جوانبها مرتبطة ببعضها" ا.هـ



إنّ في حركة طالبان لعبرةً لأُولي الأفهام:

يقول الشيخ أبو مصعب السوري -فكّ الله أسره- في الجزء الثاني من كتابه "الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا" الذي انتهى من تأليفه قبل ثلاثين سنة في مايو ١٩٩١م:

"أكثر من خمسين عاماً مرت على بداية الحركة الإسلامية المعاصرة... أشكالٌ متعددة من الإنجازات ومظاهر النجاح برزت وأصبحت ملء السمع والبصر. إلا أنه على مستوى الهدف المنشود، وهو إقامة الحكم الإسلامي في بلاد المسلمين، فإن الفشل هو الذي حصل وتكرر إلى الآن في أكثر من بلد، وقد ولّد هذا الفشل الشاذ اتجاهات شاذة، وطروحات منحرفة في الحركة الإسلامية، وأفرز انشقاقات كثيرة في الحركات الإسلامية، وأنتج ظواهر غريبة، وأوضاعاً طاغوتية مريرة، إنه وضع يقتضي من القائمين على العمل الإسلامي وقفة تأمل ومحاسبة وتقييم للممارسات والمناهج والأساليب المتبعة ...

إن المحنة الحقيقية لهؤلاء الباحثين أنهم يتصورون أن هذا الواقع الجاهلي هو الأصل الذي يجب على دين الله أن يطابق نفسه عليه، ولكن الأمر غير ذلك تماماً. إن دين الله هو الأصل الذي يجب على البشرية أن تطابق نفسها عليه، وأن تحور من واقعها الجاهلي وتغير حتى تتم هذه المطابقة، ولكن هذا التحور وهذا التغيير لا يتمّان عادة إلا عن طريق واحد، وهو التحرك في وجه الجاهلية لتحقيق ألوهية الله في الأرض وربوبيته وحده للعباد، وتحرير الناس من العبودية للطاغوت بتحكيم شريعة الله وحدها في حياتهم. وهذه الحركة يجب أن تواجه الفتنة والأذى والابتلاء، فيفتن من يفتن، ويرتد من يرتد، ويصدق الله من يصدقه فيقضي نحبه ويستشهد، ويصبر من يصبر ويمضي في حركته حتى يحكم الله بينه وبين قومه بالحق، وحتى يمكّن الله له في الأرض، وعندئذ فقط يقوم النظام الإسلامي" ا.هـ

قبل أن استرسل، أود أن أنبه إلى أن هذا الخطاب ليس موجّهاً لمن بذل جهده وأستفرغ وسعه، وكان عمله لنصرة دين الله موافقاً لما جاء في كتاب الله وسنّة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، ومع كلّ ذلك لم يحقق أي نتائج تذكر. جاء في الصحيحين: عن ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الأُمَّةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفَرُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ العَشَرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ،...﴾ فكم من السنين مكث هؤلاء الأنبياء عليهم السلام في تبليغ دعوتهم، علماً بأنهم مستقيمين على أمر الله، وأوتوا من أسباب البلاغ كالصبر، والحكمة، وحلاوة المنطق، وحسن الحديث ما لم يؤت غيرهم من الناس، ومع ذلك لم يحققوا أي نتائج، وكانت المحصلة مع بعضهم؛ يأت النبي وليس معه أحد، فهل يُعدّ ذلك فشلاً؟ وهل يشك أحدٌ أن هؤلاء الأنبياء قد قصّروا في مصلحة دعوتهم إلى الله؟ حاشاهم وربّي وكلّا، لكن الحقيقة هي: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾.

فهذا الخطاب موجّهٌ في المقام الأول للحركة الإسلامية، ولكلّ من حاد عن الشرع واتبع هواه، واعطى الدنيّة في دينه، وتنازل عن ثوابت هذا الدين بحجّة الاستضعاف والرضوخ للأمر الواقع، وغيرها من الحجج الواهية، حتى أصبحوا في خاتمة المطاف جنوداً أوفياء للنظام الدولي يستخدمهم في حربه على المجاهدين، فوقعوا في الكفرُ البواح والردّة الصراح، نسأل الله العافية والثبات.

بناءً على ما تقدّم من كلام الشيخ أبي مصعب، حريٌ بكل أطياف الصحوة الإسلامية من جهاديين، وسلفيين، وسروريين، وتبليغيين؛ العاملين لنصرة الدين، ولإقامة حكم الله في أرضه. حريٌ بالحركة الإسلامية التي ناهز عمرها اليوم على المائة عامٍ ولم تحقق شيئاً من تلك الشعارات الرنّانة التي بحّت بها أصواتنا عندما كنا نخرج في تلك التظاهرات المليونية نهتف بأن الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا. حريٌ بنا جميعاً أن نقف طويلاً وقفة تأمل ومحاسبة، وتقييم للممارسات والمناهج والأساليب المتبعة، نأخذ منها العظات والعبر، ونسأل أنفسنا بكل تجرّد: **لماذا نجحت حركة طالبان في إقامة حكم الله في أرضه بينما فشل الآخرون؟** كيف استطاعت حركة طالبان بعد فترة وجيزة من نشأتها أن تقيم إمارةً إسلاميةً -دامت خمس سنوات- عجز عن قيامها أحزاب الشقاق والنفاق المنتمين للحركة الإسلامية بعد سيطرتهم على كابل عام ١٩٩٢م، وعجزت عن قيامها حكومة البشير في السودان التي مكّن الله لها حكم البلاد ثلاثين عاماً كاملة؟ كيف استطاعت حركة طالبان -رغم البون الشاسع في موازين القوّة- الثبات والصمود في تلك الحروب الضارية التي خاضتها على مدى ما يقارب الثلاثة عقود، مع المناوئين لها من الأحزاب في بداية نشأتها، ثم مع أمريكا وحلفائها الخمسين، علماً بأن بوش في مؤتمره الصحفي في ثاني يوم من أحداث الحادي عشر من سبتمبر سُئل عن كيفية الرد على الفاعلين فقال: "**لا أستطيع إلا أن أقول أن الدولة التي حمت الإرهابيين سوف نمسحها من على خارطة العالم**" وقال بصريح العبارة: **(we will smoke them) أي سوف نبخّرهم**؟ كيف استطاعت حركة طالبان رغم كل ذلك الوعيد الرهيب أن تنتصر على هذه الجموع البربرية في ميادين النزال، وتحقق نصراً آخر في دهاليز مفاوضات الدوحة، وتجبر أمريكا أن توقّع صاغرةً ذليلةً على هزيمتها بالخروج وخمسين دولة من حلفائها من أفغانستان؟ وإذا كانت أمريكا وحلفائها قد خاضوا هذه الحرب طوال تلك السنين من أجل أن يفرضوا نظامهم الديمقراطي بعد تبخير طالبان ونظام حكمهم الإسلامي كما زعموا، فكيف استطاعت حركة طالبان أن تفرض إرادتها أمام المفاوض الأمريكي بأن نظام حكمها بعد انسحاب الأمريكيين سيكون نظاماً إسلامياً على أُسس الشريعة الإسلامية في أفغانستان؟ كيف حققت طالبان كل تلك المكاسب في أقل من عقدين من الزمان، بينما لم تستطع جموع الصحوة الإسلامية أن تحقق عشر معشار ما حققوه في بضع عقود؟ كيف وكيف وكيف، أسئلة لا نهاية لها سوى أن نقول ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

بداية قد يسوق لك قائلٌ سيلاً من الأسباب التي كانت سبباً في نجاح حركة طالبان، وبالمثل قد يسوق لك آخر سيلاً من الأعذار التي أعاقت وتسببت في فشل الحركة الإسلامية وغيرها من الجماعات التي تعمل لإقامة حكم الله في أرضه. لكننا لو وقفنا جميعاً بصدقٍ وتجرّدٍ لله، لوجدنا أن الإجابة الشافية الكافية الوافية لكل تلك التساؤلات تكمن في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وقوله سبحانه ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾.

أيها السادة، إن السبب الرئيسي الذي أدّى لنجاح حركة طالبان بينما فشلت فيه الحركة الإسلامية ومن على شاكلتها، هو أنها فقهت تماماً قول الله عزّ وجل ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾، فالله سبحانه وتعالى لم يتعبّدنا بطاعته إلّا بما وافق كتابه وسنة نبيّه، وكلٌ يؤخذ من قوله ويردّ إلّا صاحب

هذا القبر عليه أفضل الصلاة وأتمّ السلام، وعلى هذا الأساس أفلحت حركة طالبان، بينما كان الفشل والتخبط والضلال حليف كل من خالف هذه القاعدة.

فمنذ اليوم الأول لنشأتهم فقه قادة طالبان -وعلى رأسهم أمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله- ماذا تعني لا إله إلا الله؟ وماذا تعني نصرة دين الله؟ فقهوا قول الإمام مالك رضي الله عنه بأنّ آخر هذه الأمة، لا يصلح إلا بما صلح به أولها. فقهوا معاني بيعة العقبة، ومعاني بيعة الرضوان. فقهوا معاني قصة أصحاب الأخدود، وقصة أصحاب الكهف، وقصة موسى عليه السلام، وسيرة خير البرية عليه أفضل الصلاة وأتم السلام. فقهوا حديث ورقة بن نوفل -رحمه الله- لرسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام في أول يوم نزل عليه فيه الوحي. فقبل أن تتنزل آيات الجهاد، وآيات الولاء والبراء، وآيات الأحكام، وغيرها وغيرها من آيات الكتاب، قال ورقة بن نوفل رضي الله عنه لرسول الله ﷺ بعد أن سمع منه ما حدث له في الغار: **"ليتني كنت فيها جذعاً -يعني شاباً قوياً يبالغ في نصرته- إذ يخرجك قومك"**. فاستغرب رسول الله ﷺ من قوله فقال: **"أو مخرجيَّ هم"**. فقال له ورقة: **"ما جاء أحدٌ بمثل ما جئت به إلا عودي. ولتكذبنّ ولتؤذينّ ولتخرجنّ ولتقاتلنّ"**. منذ اليوم الأول فقه الطالبان أن إقامة دولة الإسلام، ونصرة دين الله والمستضعفين من المؤمنين ليس بالأمر السهل، فهو أمر بخلت وضنّت به جميع قبائل العرب -باستثناء الأنصار- عندما طاف عليهم رسول الله ﷺ بعد وفاة عمه أبي طالب قبيلة قبيلة، يطلب منهم شيئاً واحداً فقط هو: أن يأووه، وينصروه، ويمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، حتى يبلّغ دين الله ولهم الجنّة. ورغم أن قبائل العرب في ذلك الزمان، كانت قبائل مشهود لها بالنجدة، والنخوة، والنصرة، وحبها للقتال، إلا أنها ضنّت بنفسها عن قبول عرض رسول الله ﷺ لها ذلك الأمر، لماذا؟ لأنها كانت تعرف جيداً ثمن هذه البيعة. كانت قبائل العرب -وهي آنذاك على الشرك- تعرف جيداً ماذا تعني نصرة دين الله؛ فثمنها غالٍ جداً، وتكاليفها باهظة، وتبعاتها جسيمة. كانت قبائل العرب تعرف أن ذلك الأمر أمر تكرهه الملوك، دونه بحارٌ من الدماء، وجبالٌ من الأشلاء. دونه هلكة الأموال وقتل الأشراف. دونه مناوأة العرب والعجم كافة، وأن تعضّهم السيوف.

وباختصار شديد، فهم قادة طالبان -منذ اليوم الأول لنشأتهم- حقيقة الصراع بين الحق والباطل، لقد فهم قادة طالبان جيّداً قول الله عزّ وجل ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، وقوله سبحانه ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. لقد فهم الطالبان أن القضية في المقام الأوّل هي قضية دين وليست قضية أسامة كما تتحجج أمريكا، ومن أجل ذلك قال أمير المؤمنين في أحد خطاباته: **"والذي يموت من أجل دينه ومن أجل الإسلام فهذه لذة وسعادة تفوق كل لذة وسعادة في الدنيا، لأنه لا مفر من الموت، فإذا كان الموت من أجل الإسلام فذلك هو الفوز العظيم ... إن الفوز الأكبر هو الموت على الإيمان بدون شك"** ا.هـ

وبناءً على هذه الشفافية والوضوح في الفهم خاضت حركة طالبان المعركة، وقبلت أن تدفع الثمن، وأن تسترخص كلّ غالٍ ونفيسٍ لنصرة الدين، فكانت النتيجة ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ فصاحبها التوفيق والسّداد ومعيّة الله لها في كل خطوة من خطواتها، ولا عجب بعد ذلك أن يشهد العالم أجمع تلك المواقف البطولية المشرفّة التي تتصدّع أمامها الجبال؛ مواقف العزّة، والاستعلاء، والثبات على الدين التي وقفها بفضل الله وحده أمير المؤمنين الملّا عمر وقادته الميامين. فرغم الضغوط التي تعرضت

لها حركة طالبان إلّا أنها استعلت بإيمانها على الباطل، ولم تثنها آلامها وجراحاتها ومآسيها التي مرّت بها طوال تلك السنين أن تعطي الدّنيّة في دينها قيد أنملة، ولم تتنازل بتسليم رجل واحد للكافرين، حتى وإن كان ذلك على حساب التضحية بملكها ودولتها، وبناءً على كلِّ ذلك استحقّت حركة طالبان نصر الله ومعيّته لها، وشهد العالم أجمع تلك الانتصارات الأسطورية التي حققها الطالبان، وفاقت في ميادين السياسة والنزال كلّ خيال، وذكّرتنا ببطولات الأجداد في بدرٍ وخيبر وحطين وعين جالوت.

لقد جعل الله الطالبان حجّة على أولئك الذين يعطون الدنيّة في دينهم بحجّة الاستضعاف. فما هي قوة طالبان مقابل قوة أمريكا وحلفائها الخمسين؟ لقد خاض الطالبان هذه المعركة **متوكّلين على الله حقّ التوكّل، فهم موقنون بأن النصر من عند الله، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الأمر لله من قبل ومن بعد، وأن الله لا يضيع من لجأ إليه، وأن الدين أسمى وأعز وأغلى من كل شيء، وأن الملك لله يؤتيه من يشاء وينزعه عمّن يشاء.**

لكن في المقابل، لما أصبح التنازل عن ثوابت هذا الدين بحجّة الاستضعاف، والتسليم لسياسة الأمر الواقع -المفروض من قبل سلطة قائمة أو قوى خارجية- عند كثيرٍ من رموز ومفكّري وفلاسفة الحركة الإسلامية هو الأصل الذي يجب على دين الله أن يطابق نفسه عليه، خالفت الحركة الإسلامية مبادئها وثوابتها، ونتج عن ذلك -كما يقول الشيخ أبو مصعب- فشلاً ولّد اتجاهات شاذة، وطروحات منحرفة، وظواهر غريبة، وأوضاعاً طاغوتية مريرة، وانشقاقات كثيرة.

وبطبيعة الحال كانت النتيجة الحتمية لهذا الفشل هي التراجعات، والتنازلات تلو التنازلات، وتقديم الرأي على النص، والغاية تبرر الوسيلة حتى أضاعت الحركة الإسلامية الدين والدنيا، ولم تحقق شيئاً من شعارها الجامع، فما أقامت للإسلام دولة، ولم تحقق نصراً على أعداء الله ورسوله، ولم تُعِد ما تستطيع من قوة وعدّة ترهب بها عدو الله وعدوّها، وعوضاً عن ذلك أفتى مشايخهم في بعض النوازل التي ألّمت بالأمّة بفتاوى تكاد السماوات يتفطرن منها مثل فتوى الشيخ القرضاوي[1] رحمه الله، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي أجاز فيها قتال المسلم الأمريكي تحت راية دولته الصليبية ضد المسلمين المجاهدين في أفغانستان! وحث المسلمين أن يتبرعوا بالدم للأبرياء الذين سقطوا ضحية هجمات الحادي عشر.

بعد كل ذلك، حري بالحركة الإسلامية أن تتساءل، كيف أقحمت نفسها في هذا النفق المظلم وهي تتلو كل يوم قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾، وتتلو قول رسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ،...﴾.

---

1) كانت الخارجية الأمريكية قد أشادت بالفتوى في بيانها الصادر بتاريخ ١٩/ ١٠/ ٢٠٠١م بعنوان "علماء مسلمون يرفضون دعوة بن لادن إلى الجهاد ضد الأميركيين"، وكانت الفتوى التي شارك فيها الشيخ يوسف القرضاوي -غفر الله له- قد نشرت كاملة في جريدة "الشرق الأوسط" بتاريخ ٨/ ١٠/ ٢٠٠١م، ومما جاء فيها: (... فإننا نرى ضرورة البحث عن الفاعلين الحقيقيين لهذه الجرائم، وعن المشاركين فيها بالتحريض والتمويل والمساعدة، وتقديمهم لمحاكمة منصفة تنزل بهم العقاب المناسب الرادع لهم ولأمثالهم من المستهينين بحياة الابرياء، وأموالهم، والمروعين لأمنهم ... وهذا كله من واجب المسلمين المشاركة فيه بكل سبل ممكنة ... والخلاصة انه لا بأس ان شاء الله على العسكريين المسلمين من المشاركة في القتال في المعارك المتوقعة ضد من يُظَنُّ انهم يمارسون الإرهاب، أو يؤوون الممارسين له، ويتيحون لهم فرص التدريب والانطلاق من بلادهم، مع استصحاب النية الصحيحة!! على النحو الذي أوضحناه، دفعاً لأي شبهة قد تلحق بهم في ولائهم لأوطانهم ...) ا.هـ

ولعل خير ما يعبّر عن هذا الواقع الأليم الذي وصلت إليه الحركة الإسلامية أبيات من قصيدة[١] -نشرتها مجلة المجتمع الكويتية في عددها ٨٨٣ الصادر بتاريخ ٢٠ سبتمبر ١٩٨٨م- كتبتها أمينة قطب، في ذكرى استشهاد شقيقها الشيخ الشهيد سيّد قطب، رحمهما الله جميعاً:

أخـــي إنـــّه لحديـــثٌ يطـــولُ ... وفـيه الأسَـى وعميق الشـجـونِ
رأيـــتُ تبـدُّلَ خـــطِّ الحــــداةِ ... بما نـالهـم من عنـاءِ السنـيـن
فمـالوا إلى هدنـــةِ المســـتكيـنِ ... ومـدّوا الجـسـورَ مـع المجرمـينَ

رأوا أن ذلـــكَ عـــينَ الصـــوابِ ... وما دونَـه عقبـاتُ الطريـــقِ
بتـلك المشـورةِ مـالَ السفيـــنُ ... تأرجـحَ في سـيرِه كالغريـــقِ
وفي لُجـَّةِ اليــمِّ تيــهٌ يطـــولُ ... وظلـمةُ ليـلٍ طويـلٍ عميـــقِ

حزنتُ لمـا قـــد أصــابَ المسيــر ... وما يملـكُ القـلبُ غـــيرَ الدعـــاءِ
بـأنْ يُنقـذَ اللـهُ تلـكَ الســفينَ ... ويحـمـــي رُبـَّانَهـا مـــن بــلاءِ
وأنْ يـحذَروا مـن ضـلالِ المسـيرِ ... وممَّا يُـدبُّر طـيّ الخفـــــاءِ

ترى هـل يعـودون أم أنَّهــــم ... يظنـونَ ذلـك خـطَّ النجــــاحِ
وفي وهمـِهِمْ أن مدّ الجســـورِ ... سيمضي بآمـالِهم للفــــلاحِ
وينسَون أن طريقَ الكفـــاحِ ... به الصـــدقُ والفوزُ رَغْمَ الجـِراحِ

ولكنـني رَغمَ هـذي الهمـــومِ ... ورَغمَ التأرجحِ وسط العُبــــابِ
ورَغمَ الطغـــــاةِ وما يمكـرون ... وما عندهم من صُنوفِ العـــذابِ
فإنَّ المـعالمَ تُبــدي الطريـــقَ ... وتكشفُ ما حولَه من ضـــبابِ

وألمحُ أضـواءَ فجـرٍ جديــــدٍ ... يزلزلُ أركـانَ جَمــــعِ الضَّـلالِ
وتُوقظ أضـــواؤُه النائميـــنَ ... وتُنقـذُ أرواحَهــم مــن كـــلالِ
وتـُورق أغصانَ نبـتٍ جديـــدٍ ... يعـم البـــطاحِ نـــدي الظـــلالِ

فنـمْ هانـئاً يا شقيـقي الحبيـبِ ... فلنْ يملكُ الظلمَ وقفَ المسيـــرِ
فـرَغمَ العـناءِ سيمض الجـمـيعُ ... بدربِ الكفاحِ الطويلِ العســـيرِ
فعزمُ الاباةِ يُـزيحُ الطغـــــاةَ ... بعونِ الإلـهِ العـــليِّ القـــديـرِ

---

١) من كتاب الحصاد المر للشيخ أيمن الظواهري،

ومع كل ذلك نقول: نحن لا ننكر فضل الحركة الإسلامية وجهودها في أنه كان لها الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في رجوع مئات الآلاف، بل الملايين من أبناء المسلمين إلى الله عزّ وجل، ولا ننكر أنه قد خرج من رحمها رجالٌ -كسيّد قطب وأخيه محمد وغيرهم -رحمهم الله- ممن صدقوا وثبتوا على مبادئها الأولى التي قامت على أُسسها، لكننا ننكر عليها تنكرها وانسلاخها وانحرافها بعد ذلك لمنهجها ومبادئها التي اختصرها شعارها الجامع لمقومات العقيدة الجهادية، وثوابت هذا الدين **(الله غايتنا. الرسول قدوتنا. القرآن دستورنا. الجهاد سبيلنا. الموت في سبيل الله أسمى أمانينا)**. ننكر عليها عدم الصبر على الجهاد، والتقائها مع الطواغيت في منتصف الطريق، والاعتراف بولايتهم، ومبايعتهم، ومسايرتهم، والرضى بالعيش في ظلّهم، بل والتشريع لهم، والدعاء لهم بالبقاء حرصاً على بعض المكاسب الدعويّة والاجتماعية. ولعل في كتاب الشيخ أيمن الظواهري -حفظه الله- "الحصاد المر الإخوان المسلمين في ستين عاماً"، وغيره من المقالات والكتب ما يغني عن الخوض في تفاصيل هذا الانحراف.

يقول الشيخ الشهيد سيِّد قطب في تفسير الآية ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۞ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾:

"فهي المساومة إذن، والالتقاء في منتصف الطريق، كما يفعلون في التجارة. وفرق بين الاعتقاد والتجارة كبير! فصاحب العقيدة لا يتخلى عن شيء منها لأن الصغير منها كالكبير، بل ليس في العقيدة صغير وكبير. إنها حقيقة واحدة متكاملة الأجزاء، لا يُطيع فيها صاحبها أحداً، ولا يتخلى عن شيء منها أبداً.

وما كان يمكن أن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق، ولا أن يلتقيا في أي طريق، وذلك حال الإسلام مع الجاهلية في كل زمان ومكان. جاهلية الأمس وجاهلية اليوم، وجاهلية الغد كلها سواء. إن الهُوّة بينها وبين الإسلام لا تُعبر، ولا تُقام عليها قنطرة، ولا تقبل قسمة ولا صلة، وإنما هو النضال الكامل الذي يستحيل فيه التوفيق! ولقد وردت روايات شتى فيما كان يدهن به المشركون للنبي ﷺ ليدهن لهم ويلين ويترك سب آلهتهم وتسفيه عبادتهم أو يتابعهم في شيء مما هم عليه ليتابعوه في دينه وهم حافظون ماء وجوههم أمام جماهير العرب! على عادة المساومين الباحثين عن أنصاف الحلول! ولكن الرسول ﷺ كان حاسماً في موقفه من دينه، لا يدهن فيه ولا يلين. وهو فيما عدا الدين ألين الخلق جانباً، وأحسنهم معاملةً، وأبَرّهم بعشيرةٍ، وأحرصهم على اليسر والتيسير. فأما الدين فهو الدين! وهو فيه عند توجيه ربه: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾، ولم يساوم ﷺ في دينه وهو في أحرج المواقف العصيبة في مكة، وهو محاصر بدعوته، وأصحابه القلائل يتخطفون ويعذبون ويؤذون في الله أشد الإيذاء وهم صابرون. ولم يسكت عن كلمة واحدة ينبغي أن تقال في وجوه الأقوياء المتجبرين تأليفاً لقلوبهم، أو دفعاً لأذاهم. ولم يسكت كذلك عن إيضاح حقيقة تمس العقيدة من قريب أو من بعيد" ا.هـ

كذلك يقول الشيخ الشهيد سيد قطب -رحمه الله- عند قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾:

"هذه المحاولات التي عصم الله منها رسوله هي محاولات أصحاب السلطان مع أصحاب الدعوات دائماً. محاولة إغرائهم لينحرفوا -ولو قليلاً- عن استقامة الدعوة وصلابتها، ويرضوا بالحلول الوسط التي يغرونهم بها مقابل مغانم كثيرة. ومن حَملة الدعوات من يفتن بهذا عن دعوته لأنه يرى الأمر هيناً، فأصحاب السلطان لا يطلبون منه أن يترك دعوته كلية، إنما هم

يطلبون تعديلات طفيفة ليلتقي الطرفان في منتصف الطريق. وقد يدخل الشيطان على حامل الدعوة من هذه الثغرة، فيتصور أن خير الدعوة في كسب أصحاب السلطان إليها ولو بالتنازل عن جانب منها! ولكن الانحراف الطفيف في أول الطريق ينتهي إلى الانحراف الكامل في نهاية الطريق. وصاحب الدعوة الذي يقبل التسليم في جزء منها ولو يسير، وفي إغفال طرف منها ولو ضئيل، لا يملك أن يقف عند ما سلّم به أول مرة، لأن استعداده للتسليم يتزايد كلما رجع خطوة إلى الوراء! ... وأصحاب السلطان يستدرجون أصحاب الدعوات، فإذا سلّموا في الجزء فقدوا هيبتهم وحصانتهم، وعرف المتسلطون أن استمرار المساومة وارتفاع السعر ينتهيان إلى تسليم الصفقة كلها!" ا.هـ

وفي موضع آخر من كتابه الظلال يقول الشيخ الشهيد سيد قطب -رحمه الله- محذّراً أصحاب الدعوات من الانحراف عن المبادئ والثوابت:

"ولقد تدفع الحماسة والحرارة أصحاب الدعوات -بعد الرسل- والرغبة الملحة في انتشار الدعوات وانتصارها، تدفعهم إلى استمالة بعض الأشخاص أو بعض العناصر بالإغضاء في أول الأمر عن شيء من مقتضيات الدعوة يحسبونه ليس أصيلاً فيها، ومجاراتهم في بعض أمرهم كي لا ينفروا من الدعوة ويخاصموها! ولقد تدفعهم كذلك إلى اتخاذ وسائل وأساليب لا تستقيم مع موازين الدعوة الدقيقة، ولا مع منهج الدعوة المستقيم، وذلك حرصاً على سرعة انتصار الدعوة وانتشارها، واجتهاداً في تحقيق «مصلحة الدعوة»، ومصلحة الدعوة الحقيقية في استقامتها على النهج دون انحراف قليل أو كثير. أما النتائج فهي غيب لا يعلمه إلا الله.

فلا يجوز أن يحسب حملة الدعوة حساب هذه النتائج، إنما يجب أن يمضوا على نهج الدعوة الواضح الصريح الدقيق، وأن يدَعوا نتائج هذه الاستقامة لله، ولن تكون إلا خيراً في نهاية المطاف ... إن على أصحاب الدعوة أن يستقيموا على نهجها، ويتحروا هذا النهج دون التفات إلى ما يعقبه هذا التحري من نتائج قد يلوح لهم أن فيها خطراً على الدعوة وأصحابها! فالخطر الوحيد الذي يجب أن يتقوه هو خطر الانحراف عن النهج لسبب من الأسباب، سواء كان هذا الانحراف كثيراً أو قليلاً. والله أعرف منهم بالمصلحة وهم ليسوا بها مكلفين. إنما هم مكلفون بأمر واحد، ألا ينحرفوا عن المنهج، وألا يحيدوا عن الطريق..." ا.هـ

نعم هناك فقه قائم على المصالح والمفاسد والموازنات بل والتنازلات أحياناً لكن ليس على حساب أصل من أصول الدين مهما كانت النتائج. فهذه قصّة أصحاب الأخدود، أنزل الله في شأنهم سورةً كاملةً تتلى إلى يوم الدين، لم يتنازلوا عن دينهم قيد شعرة، فقُتلوا جميعاً عن بكرة أبيهم بأشد أنواع القتل ألماً، ووصف الله تعالى فعلهم وثباتهم على دينهم بأنه الفوز الكبير.

وفي المقابل فإن في سيرة رسول الله ﷺ مواقف فيها تنازل حسب ما تقتضيه الضرورة ولكن ليس على حساب الدين بأي حالٍ من الأحوال. فهذا رسول الله ﷺ لمّا خاف على المسلمين في غزوة الأحزاب عرض على عيينة بن حصن الفزاري والحارث بن عوف المري رئيس غطفان الصلح على ثلث ثمار المدينة، وأن ينصرفا بقومهما ويدعا قريشاً وحدها. وكانت هذه المقالة من رسول الله ﷺ لهما مراوضة ولم تكن عقداً. فلما رأى رسول الله ﷺ منهما أنهما قد رضيا استشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فقالا:
"يا رسول الله: هذا أمرٌ تحبه فنصنعه لك أو شيء أمرك الله به فنسمع له ونطيع؟ أو أمرٌ تصنعه

لنا؟ فقال: **بل أمرٌ أصنعه لكم، فإن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة.** فقال له سعد بن معاذ: **"يا رسول الله، والله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة الأوثان، ولا نعبد الله ولا نعرفه، وما طمعوا قط أن ينالوا منا ثمرة إلا شراء أو قِرىً. فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له، وأعزنا بك نعطيهم أموالنا! والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فسُرّ بذلك رسول الله ﷺ وقال أنتم وذاك، وقال لعيينة والحارث انصرفا، فليس لكما عندنا إلا السيف".**

لقد مكّن الله للحركة الإسلامية في السودان حكم البلاد ثلاثين عاماً كاملة، ولا يُنكر أحدٌ فضلها وإنجازاتها في بداية عهدها ومن بينها إيوائها للمجاهدين، لكنها شيئاً فشيئاً بحجّة الضغوط، والمصلحة، والأمر الواقع أضاعت الدين والدنيا، وتنكّرت لكل مبادئها وثوابتها التي ملأت بها الدنيا ضجيجاً ونعيقاً. وها هي أحزاب الحركة الإسلامية في أفغانستان بعد أن مكّن الله لهم بدخول كابل عام ١٩٩٢م، استبشر المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بقيام دولة تحكم بالشريعة، لكنهم لم يقدموا للشعب الأفغاني سوى الفساد والخراب والدمار بسبب الاحتراب فيما بينهم صراعاً على السلطة، وها هو العالم اليوم يشهد قتالهم لمجاهدي حركة طالبان تحت راية الصليب، بعد أن كانوا بالأمس يقاتلون الروس الملاحدة تحت راية الإسلام، نسأل الله العافية والثبات. وها هو أردوغان الذي أصبح نموذجاً تحتذى به الحركة الإسلامية، وقدوةً على النجاحِ والتفوقِ في تركيا، يتحدّث عن علمانية حكومته بكل وقاحة، ويقيم علاقات دبلوماسية مع الصهاينة اليهود، ويسمح بحرية المثليين، ويقاتل عدّة ألوف من جنوده بجانب قوات التحالف الصليبية في أفغانستان، وتنطلق من قاعدة انجرليك التركية طائرات أمريكا لتقصف المسلمين في العراق وأفغانستان، وشرّ البلية ما يضحك.

يقول الشيخ عمر بن مسعود الحدوشي في كتابه القول السديد في معالم التوحيد:

"يقول راشد الغنّوشي أحد رموز الحركة الإسلامية متحدّثاً لمجلة المجتمع في عددها ٥٣١ الصادر في ١١/ ٨/ ١٩٨١م: "إن هناك خطأً سياسياً شنيعاً ارتكبته حركة البنّا ولا يزال متواصلاً، وهو أن الحركة الإسلامية تقدم نفسها وصياً على المجتمع، وليس طرفاً سياسياً أو فكرياً يستمد مشروعيته من قوة إقناع الجماهير ببرامجه. إن الحركة الإسلامية ما زالت تستنكف بشدة أن تعتبر نفسها كغيرها من بقية الأطراف السياسية شيوعية كانت أو ديموقراطية أو اشتراكية. يجب أن نحترم إرادة الجماهير، إذا اختار مجتمعنا في يوم من الأيام أن يكون ملحداً أو شيوعياً فماذا نملك له؟" ا.ه

فالقضية إذن ليست قضيّة استضعاف بقدر ما هي قضية منهجٍ ورجال. منهجٌ قويمٍ، ومحجّةٌ بيضاء واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، تركنا عليها رسول الله ﷺ ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلّا هالك، ولا يتنكّبها إلا ضال، لا كما يقول رمز الحركة الإسلامية في تونس راشد الغنّوشي في كلمةٍ له في عزاء الرئيس التونسي السابق الهالك السبسي: **"ولا يُعزّينا في فقد هذا الرجل الوطني الغيور الحكيم إلّا أنه ترك البلاد على المحجّة البيضاء، تركها على السراط المستقيم !!!"**. القضيّة هي قضية رجال يعرفون طبيعة هذا الدين. رجالٌ لا تهزها المحن، ولا تزعزعها الزعازع. رجالٌ لا تبيع دينها بعرضٍ من الدنيا قليل، رجالٌ قدوتهم رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، يقولون كما قال سعد بن معاذ -رضي الله عنه- لرسولنا عليه أفضل الصلاة والسلام: **"إنا قد آمنا بك، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق،**



فأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة. فامض يا نبي الله لما أردت. فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما بقي منا رجل. وصل من شئت، واقطع من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وما أخذت من أموالنا أحب إلينا مما تركت" ا.هـ

فيا إخواننا في الحركة الإسلامية، تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم، بأن يكون بحق الله هو غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا.

يقول الشيخ أسامة في توجيهاته المنهجية موجهاً رسالةً إلى شباب الصحوة فقال لهم:

"وهنا ينبغي أن نؤكد على شباب الصحوة أن فيهم من الطاقات ما يكفي وزيادة لإقامة الحق، ولإقامة دولة الإسلام ودولة الخلافة، ولكن ينبغي أن يتحرروا ويحرروا عقولهم من التقليد الأعمى، فقد صح عن نبينا عليه السلام أنه قال: ﴿لاَ تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلاَ تَظْلِمُوا﴾ رواه الترمذي وحسنه.

وسأذكر لكم قصة ذات مغزى كبير، أن أُولي الألباب والنهى إذا قلدوا مَن أمامهم دون أن يتدبروا، فقد يضيع منهم خير عظيم، بل قد تضيع عليهم الآخرة ولا حول ولا قوة إلا بالله. فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه وعمر بن العاص، وعمرو بن العاص من دهاة العرب المعدودين، وخالد بن الوليد عبقري في الحروب، ومع ذلك تأخر إسلامهما لأكثر من عشرين سنه تقريباً والنور بين يديهم، ورسول الله ﷺ ثلاثة عشرة سنة بين أظهرهم في مكة ولا يرون هذا النور مع شدة ذكائهم ونباهتهم، فما هو السبب؟!

السبب؛ التقليد الأعمى، كانوا ينظرون إلى أولئك الرجال العظام في قريش -أهل الندوة- ويقتدون بهم، وعطّلوا عقولهم، فلما أسلم خالد وعمرو بن العاص قبل الفتح بشيء يسير -أي قريباً من عشرين سنة منذ بِعثت محمد ﷺ- فقال له بعض أصدقائه: "أين كان عقلك يا خالد ولم تر هذا النور لعشرين سنة؟"، فقال كلمة ينبغي التوقف عندها كثيراً للمقلدين، قال: "<u>كنا نرى أمامنا رجالاً كنّا نرى أحلامهم كالجبال</u>" -الوليد بن المغيرة، وعمرو بن هشام، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، والعاص بن وائل السهمي، وأمية بن خلف- <u>قوم عبّأوا على الناس عقولهم أنهم هم الذين يعرفون الصواب، وكانوا يقودونهم إلى المهلكة في الدنيا والآخرة</u>.

فلما حرر خالد عقله نفع الله به وتفجرت طاقاته، فكان سيفاً من سيوف الله فتح الله به أرضاً عظيمة في بلاد فارس وفي بلاد الروم.

فأقول: كثيرٌ من الناس عندهم من الطاقات الهائلة ولكن يعطلها باتباع قاعد، باتباع من رضي بأن يكون مع الخوالف، فلا نجاة لهذه الأمة إلا بإتباع المنهج كاملاً، فكما ذكرت الخطر ملازم بصفة دائمة لهذه الدعوة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها" ا.هـ

فهل فهمت الحركة الإسلامية ومن على شاكلتها الدرس، أم أن حالهم كحال بني قريظة حينما كانوا يُساقون أرسالاً إلى رسول الله ﷺ للقتل، فسألوا سيدهم كعب بن أسد: **"يا كعب ما تراه يصنع بنا؟"**. فردّ عليهم كعب بقوله: **"<u>أفي كل موطنٍ لا تعقلون</u>! ألا ترون أن الدّاعى لا ينزع، وأن من ذُهِب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل".**



مســك الختـــام:

وختاماً لهذه السيرة العطرة من تاريخ جماعة القاعدة كان لزاماً علينا أن نذكر بجانبها نبذة يسيرة في رثاء قائدها وإمامها الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، وفي رثاء جبلين وعلمين من أعلامها كان لهما الفضل -بعد الله تعالى- بجانب الشيخ الإمام أسامة في نصرة هذا الدين، ونصرة الجهاد بقيام هذا الصرح العظيم -القاعدة- وهما الشيخان الجليلان المصريان أبو عبيدة البنشيري، وأبو حفص الكمندان، رحمهما الله جميعاً.

رثاء أمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله:

وقبل أن نسترسل في رثاء أولئك الكرام، آثرت أن أقدّم عليهم رثاء رجل أعزّ الله به هذا الدّين، وأذل به الشرك والمشركين. رجلٌ لولا فضل الله ثم مواقفه لما قامت تلك الأحداث التي غيرت مجرى التاريخ. رجلٌ ضرب أروع الأمثلة في فنّ التضحية بأغلى ما يملك لأجل رجلٍ واحد من أجله قامت في وجهه الدنيا ولم تقعد. وعندما هددوه بأن أمريكا ستتدخل عسكرياً للإطاحة بحكمه وإمارته إذا لم يقم بتسليم الشيخ أسامة، قال أمير المؤمنين رحمه الله قولته المشهورة: **"والله لو تشتعل أفغانستان حجراً حجراً لما أسلمت أسامة للكفار".**

فأي طراز من الرجال كنت يا أمير المؤمنين. لقد كان بإمكانك مواجهة إصرار الشيخ أسامة على مواصلة برنامجه في مواجهة أمريكا بمنعه بالقوة أو المواجهة. كان بإمكانك على أسوأ الفروض أن تطلب منه مغادرة البلاد لكنك لم تفعل، ولم تصل ردة فعلك إلى ذلك الحد، بل رفعت القضية برمتها أمام العلماء لما كنت تحمله بين جوانحك من مشاعر الوفاء والاحترام لما قدمه الشيخ أسامة الذي ترك الدنيا وهي تحت قدميه، وجاء إلى جبال وصحاري أفغانستان مجاهداً بنفسه وماله.

ربح البيع يا أمير المؤمنين، فقد فقهت منذ اليوم الأول -الذي قمت فيه لتنصر دين الله- حقيقة الصراع بين الحق والباطل، فقلت في إحدى خطبك: **"لذا لا معنى من الاستجابة لمطالبهم بإخراج أسامه بن لادن. إن إخراج المجاهدين العرب من أفغانستان استجابة لمطالب مجلس الأمن الذي يحاصرنا لأجلهم، لن ينهي صراعنا معهم، هم لا يستهدفون أشخاصاً كما يزعمون، بل إنهم يستهدفون النظام الإسلامي لدى الإمارة الإسلامية، فلو أننا استجبنا لمطالبهم وأخرجنا من يريدون، فإن مطالبهم لن تقف عند هذا الحد، بل إنهم سيطالبوننا بتغيير أنظمتنا الشرعية تجاه المرأة وتجاه المخالفين، وأن نشكّل حكومة موسعة، ولا نحكم بالشريعة. وهذه هي السودان عندما استجابت لمطالبهم وأخرجت المجاهدين، لم تنته معاناتها حتى الآن" ا.هـ**

ربح البيع يا أمير المؤمنين، فقد فقهت أن أسباب الصمود، وأسباب الثبات، وأسباب النصر والتمكين تكمن في بذل التضحية والفداء، وإرخاص النفس والنفيس لنصرة هذا الدين، ونصرة المستضعفين من المؤمنين. لقد فقهت يا أمير المؤمنين منذ اليوم الأول أن إقامة دولة الإسلام، ونصرة دين الله والمستضعفين من المؤمنين ليس بالأمر السهل، فهو أمرٌ بخلت وضنّت به جميع قبائل العرب -باستثناء الأنصار- عندما طاف عليهم رسول الله ﷺ بعد وفاة عمه أبي طالب قبيلة قبيلة يطلب منهم شيئاً واحداً فقط هو: أن يؤوه وينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم حتى يبلغ دين الله ولهم الجنّة. ورغم أن

قبائل العرب في ذلك الزمان، كانت قبائل مشهود لها بالنخوة والنصرة وحبها للقتال، إلا أنها ضنّت بنفسها عن قبول عرض رسول الله ﷺ لها ذلك الأمر، لماذا؟ لأنها كانت تعرف جيداً ثمن هذه البيعة. كانت قبائل العرب -وهي آنذاك على الشرك- تعرف جيداً ماذا تعني نصرة دين الله. فثمنها غال جداً، وتكاليفها باهظة، وتبعاتها جسيمة. كانت قبائل العرب تعرف أن ذلك الأمر أمر تكرهه الملوك، دونه بحارٌ من الدماء، وجبالٌ من الأشلاء، دونه هلكة الأموال، وقتل الأشراف، دونه مناوأة العرب والعجم كافة، وأن تعضّهم السيوف.

ربح البيع يا أمير المؤمنين، فقد استعصيت أن تلين أو تنكسر أمام أقوى وأعتى طغاة العصر الجبابرة من الأكاسرة والقياصرة، فسطّرت للبشرية -وخاصّة لفقهاء الانبطاح، وأئمة الضلال والتراجعات، ودعاة التنازلات وأنصاف الحلول والسلمية والانهزامية- دروساً غالية في فن العزّة والصمود والاستعلاء والثبات على الثوابت والمبادئ.

ربح البيع يا أمير المؤمنين وأنت تقول في أحد خطاباتك: **"لأن يكتب التاريخ ويشهد لنا المسلمون بأننا قتلنا في سبيل الله على مبادئنا الإسلامية، وعقيدتنا الخالدة، خيرٌ لنا عند الله من أن يكتب التاريخ ويشهد علينا المسلمون بأننا عشنا في صحة ونعمة بعد أن غيرنا مبادئنا وتنازلنا عن راية الجهاد، ومن كان يظن أن الدولة الإسلامية ستنعم بالسيادة من غير ابتلاء وتمحيص فهو جاهل لا يعرف سيرة النبي ﷺ" ا.هـ**

ربح البيع يا أمير المؤمنين، فقد تصدّعت أمام مواقفك وثباتك وصمودك الجبال، لأنك فقهت منذ اليوم الأول معاني بيعة العقبة، ومعاني قصة أصحاب الأخدود، وقصة أصحاب الكهف، وقصة موسى عليه السلام، وسيرة خير البرية عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، فرحمك الله يا أمير المؤمنين، وأسكنك الفردوس الأعلى مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.



ربح البيع يا أمير المؤمنين

ولعله من المفيد هنا أن نضيف إلى رثاء أمير المؤمنين -رحمه الله- رسالة النصرة والتأييد لمواقفه المشرّفة التي كان قد بعثها إليه -مع بداية الغزو الصليبي على أفغانستان- نفر من العلماء الربانيين الأجّلاء وهم المشايخ؛ حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه الله، وعلي الخضير وسليمان العلوان فكّ الله أسرهما.

بسم الله الرحمن الرحيم

خطاب من المشايخ الفضلاء حمود بن عقلاء الشعيبي وعلي الخضير، وسليمان العلوان، لأمير المؤمنين الملا محمد عمر والمجاهدين معه نصرهم الله:

أمير المؤمنين المجاهد الملا / محمد عمر حفظه الله ورعاه وسدد على الحق خطاه:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نسأل الله تعالى أن تصلكم رسالتنا هذه وأنتم في أتم الصحة والعافية.

أمير المؤمنين: نحن معشر العلماء نتشرف أن ينسب إلى أمتنا أمثالكم، فلقد أثبتم حقاً عزة المؤمن، لم تكتفوا بالقول بأنكم أنتم الأعلون حتى أكدتم هذا المعنى العظيم بأفعالكم المشرفة، فالعلو في الأرض ليس العلو المادي فحسب، بل أهمها وأعظمها هو علو الدين والمبدأ، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فهذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يوم أن هُزموا في أحد، فالعلو الحقيقي هو علو المبدأ والدين، قال ابن عباس رضي الله عنهما (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه) علقه البخاري في صحيحه ورواه الطحاوي بسند صحيح. فالإسلام وأهل الإسلام في علو حتى ولو هُزموا في المعركة، والله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فالعزة ملازمة لله ولرسوله ولكل مؤمن متمسك بدينه حقاً، فهو عزيز بعزة الله وبإيمانه، فمن تمسك بالمبدأ الحق فهو عزيز بنص الكتاب والسنة.

أمير المؤمنين: إن جهل كثير المسلمين بحقكم لا ينقص من قدركم شيئاً، فلقد أصبحتم علماً من أعلام هذه الأمة، وسوف نكتب نحن تاريخ المرحلة بأيدينا، ونثبت للأجيال القادمة أنكم أنتم سادة الدنيا، ولو قُتلتم دون ذلك فسوف تسطر سيركم بماء الذهب، وسنشهد جميعاً لكم أمام الله تعالى بأنكم أنصح وأصدق العباد للأمة، نحسبكم كذلك ولا نزكي على الله أحداً، وسنشهد أنكم أنتم وحدكم الذين رفعتم رؤوسكم في زمن طأطأ الكثير من المسلمين رؤوسهم لدولة الكفر والصليب أمريكا، فلم يتشرف المسلمون برجل قال (لا ثم لا) لما تطلبه أمريكا في هذا العصر إلا بكم، فيا سعادة المسلمين بأمثالكم.

أمير المؤمنين: لقد تجلت في أفعالكم معاني العدل والمساواة والعزة والكرامة، والنصرة والحماية والولاء والبراء، لقد أعطيتم للأمة درساً عملياً في هذه المعاني عندما كللتم قدومكم المبارك لأفغانستان، وقطفتم للأمة ثمرة الجهاد ضد السوفييت والتي كادت أن تضيع بأيدي العلمانيين والشيوعيين والرافضة، فبعد أن كاد أملنا ينقطع بثمرة الجهاد أحييتم أمل الأمة بأفغانستان، وأصبحت اليوم هي محط أنظار المسلمين جميعاً، والكل يرقب العزة والنصر من أرضكم، فلقد وُلِّيتم أمر أفغانستان وطبقتم الشريعة فقلنا الحمد لله. لقد نصر الله الجهاد بكم يوم أن أقمتم على أنقاض بلد مدمر ممزق ومتناحر دولة إسلامية قولاً وعملاً، فساد العدل والدين الحق، وحاربتم الشرك والأضرحة، وقسمتم بالسوية، وعدلتم في القضية، حتى لو قال



قائل إنّ الذئب في إمارتكم يرعى مع الغنم لما كان ذلك مستبعداً، ثم تحديتم العالم أجمع وهدمتم الأصنام عملاً بشريعة محمد ﷺ التي بعث من أجلها، فقلنا لقد رزق الله الأمة من يجدد فيها ميراث إبراهيم عليه السلام هادم الأصنام ومتحدي الوثنية، وفرحنا بفعلكم حينما جددتم معاني التوحيد التي كانت غائبة عن الأمة منذ قرون، فالأصنام بأشكالها وأنواعها وأحجامها تملأ بلاد المسلمين، ولكن أمير المؤمنين لم يرض أن يعيش في أرض تجاوره فيها آلهة تعبد من دون الله تعالى، حتى هدمتم تلك المعبودات وأذللتم من عبدها فكادت قلوبنا تطير من الفرح بتجديد التوحيد في هذا الباب، ثم ألزمتم أهل الذمة الصغار والذلة عملاً بكتاب الله سبحانه وتعالى وبسنة رسوله ﷺ، كما كانوا في صدر الإسلام أذلاء يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، فقلنا عمر عصره في أفغانستان يلزم الكفار الذل والصغار في أرضه.

وجاء المحك الحقيقي الذي أثبت معدنكم الخالص الأصيل عندما تكالبت دول العالم للنيل من المهاجرين إلى أرضكم من غير ذنب اقترفوه إلا أن يقولوا ربنا الله، فتنادى الشرق والغرب من كل ملل الكفر منهم النصراني واليهودي والوثني والشيوعي والقومي والمرتد والمنافق، ليشكّلوا حلفاً من دول العالم أجمع ضد عزتكم وعلوكم، فصمدتم صمود الجبال، لم تخفكم تلك الحشود، ولم ترعبكم أسلحة الدمار الشامل، فصبرتم وقررتم المضي في العزة يوم أن تخاذل الجميع، وتبدلت العقائد، وظهرت نواقض الإسلام في كثير ممن ينتسبون إليه، إلا أنكم بقيتم أعلاماً بشموخ الجبال، يعتز كل مسلم بأن في أمته أمثالكم، تكالبت عليكم الدول وجاءتكم الأحلاف من كل حدب وصوب بعدتها وعتادها بشكل لم يشهد التاريخ أبداً حلفاً مثله ضد طائفة مؤمنة صادقة قليلة، فضحيتم بالملك وبالأنفس والأموال، فكان بفضل الله تعالى إيمانكم وصدقكم نحسبكم كذلك ولا نزكي على الله أحداً، كان إيمانكم وتوكلكم على الله القوي العزيز أعظم من ذلك الحلف وما جمع.

أمير المؤمنين: إن الحرب اليوم لم تضع أوزارها ولكننا نهنئكم بالنصر الحسي مقدماً بإذن الله تعالى فقد ظهرت بوادره، ونهنئكم أيضاً بالنصر الحقيقي الذي حققتموه، فلقد انتصر مبدأكم وقولكم على مبادئ أعدائكم، إن أعداءكم يكذبون في كل محفل بأنهم أهل العدل وحقوق الإنسان، وأهل الحرية والمساواة، وفي هذه المعركة سقطت تلك الأقنعة عن وجوههم ليظهر للخاص والعام حقيقة الوجه الصليبي اليهودي الحاقد، فظهر حقاً من الذي يقتل الأبرياء، وعرفنا من الذي لا يراعي لأي كائن حي أي حقوق، وشاهدنا كيف تكون الحرية وسيادة القانون الذي شرعوه لأنفسهم، وعرفنا ما معنى تعايش الحضارات، ووحدة الأديان التي يدعون إليها، إنهم يريدون حضارة الغاب الأمريكية، ويريدون وحدة معتقدهم الصليبي فقط، فهنيئاً لكم هذا النصر، لقد ميّزتم العالم إلى خندقين، وجلّيتم الحقائق لكل مغفّل يوم أن أسقطتم بصمودكم وإيمانكم وتوكلكم على الله كل معاني الزيف والخداع الصليبي.

أمير المؤمنين: وكما فضح صمودكم كذب الكفار في دعواهم، فقد وضّح للمسلمين أيضاً معاني كانت غائبة أو كادت تندرس. صمودكم علمنا ما هو ميزان القوة لدى المسلمين، صمودكم جدد الولاء والبراء، صمودكم جدد مفهوم الجهاد، ومفهوم النصر والهزيمة،



صمودكم علمنا معنى التضحية والبذل لله تعالى، لقد بلغنا أنكم أغريتم بملك عظيم مقابل التنازل عن حماية المؤمنين، وأجلب عليكم المنافقون بالترغيب تارة والترهيب أخرى لتُبدوا شيئاً من التنازل عن مبادئكم، وتأكدنا حقاً لو أنكم أردتم الدنيا من الآخرة لأمكنكم بالتنازل عن بعض مبادئكم، وحينها تكونون أغنى أهل الأرض، ولكن القلوب التي خالطها الإيمان تأبى ذلك أشد الإباء، ويوم أن افتخرت العرب بالسموءل ابن عاديا اليهودي الذي حفظ الأمانة وأصابه البلاء، وقُتل ابنه أمام عينيه على أيدي الحارث بن جبلة الغسّانى ملك الشام الذي جاء يطلب المال منه فأبى أن يدفع المال إلا لأولياء امرؤ القيس الذي أودع الأمانة عنده فأصبح صموده مثلاً للعرب، فلأن نفتخر نحن بصمودكم الذي فاق صمود السموءل بآلاف المرات من باب أولى، وحق لكل مسلم اليوم إذا أراد أن يضرب المثل بالصمود أن يذكر صمودكم.

أمير المؤمنين: إن إعجابنا بأفعالكم ومناصرتنا لها لا ينقطع ولن ينقطع أبداً بإذن الله تعالى ما لم تبدلوا وتهِنوا أو تتراجعوا نسأل الله لنا ولكم الثبات حتى الممات، وإننا نطمئنكم بأننا وشريحة عظيمة من العلماء والدعاة وطلبة العلم معكم ونؤيدكم، ونقول لكم لا يسوؤكم ولا يفت من قوتكم وإصراركم قول بعض المتخاذلين والمرجفين الذين ذموا صمودكم ولاموا أفعالكم، وزعموا بأنكم قتلتم أنفسكم وشعبكم ومزقتم دولتكم بفعلكم، إن فعلكم هذا هو عين الصواب، وهو ما دلت عليه الأدلة الشرعية وأمر الله تعالى به ورسوله ﷺ، وكل ما أصابكم أو أصاب شعبكم هو بقدر من الله تعالى، وهو الذي أمركم بالتوكل عليه، واتباع أمره، وموالاة المؤمنين، والبراءة من الكافرين وجهادهم بكل السبل، ووعدكم بعد ذلك بالنصر والتمكين، وإن حصلت لكم الأخرى فهو الفوز الكبير الذي وصف الله به أصحاب الأخدود بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾، وبأي شيء نال أصحاب الأخدود وسام الفوز الكبير؟ لقد نالوه بتوكلهم على الله، وصمودهم على دينهم، وعدم تراجعهم عن مبدئهم، فنالوا هذا الوسام الذي لم يعط في القرآن لأحد غيرهم، رغم أنهم قتلوا عن أخرهم.

أمير المؤمنين: إننا نناشدكم ونناشد قادة الإمارة الإسلامية من أمثال نائبكم الملا محمد حسن، وأمثال المولوي جلال الدين حقاني، والمولوي عبد الحنان، والملا برادر، والملا داد الله، والملا ريس عبد الله، والملا خسكار قائد لواء الدبابات، وغيرهم كثير من قيادات الإمارة الإسلامية، كما نناشد المجاهدين الأنصار وقادتهم أن تواصلوا جهادكم وصمودكم، فقد قرت بكم عيون الموحدين، ورضيت بكم عساكر الرحمن، فنحن من ورائكم نناصركم بكل ما نستطيع، ونحرض المؤمنين على القتال في صفوفكم، فلا تبدلوا ولا تخافوا ولا تلينوا { وأنتم الأعلون } واثبتوا على مبادئكم وأفعالكم المشرفة، ارفعوا رأس الأمة بجهادكم، وبإذن الله تعالى فإن فرحتنا ستكون قريبة بعودة الإمارة الإسلامية غالبة ممكّنة منتصرة بأمر من الله الذي أمركم بالعمل وتكفل بالنصر.

وختاماً فإننا نوصي جميع المسلمين في كل مكان بمناصرة الإمارة الإسلامية في جهادها هذا ضد ملل الكفر جميعاً، كما نوصي الأفغان خاصة بأن يبذلوا أنفسهم لله تعالى، ويناصروا



الإمارة الإسلامية، ويقفوا تحت لواء أمير المؤمنين، ونوصي المجاهدين وعلى رأسهم أمير المؤمنين بأن يحققوا شروط النصر والتمكين التي ذكرها الله تعالى في كتابه وذكرها رسوله ﷺ في سنته.

وإليكم بعضاً مما ورد في كتاب الله من شروط التمكين كقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ فالإيمان والعمل الصالح والبراءة من الشرك من شروط النصر والتمكين، وقوله ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ فالاستعانة بالله والصبر على أقداره وأحكامه وتقواه في السر والعلن من شروط النصر والتمكين، وقوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ فالتوكل على الله حق التوكل من شروط النصر والتمكين، وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ فالصلاح في الظاهر والباطن، وتحقيق معنى العبودية من شروط النصر والتمكين، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ فالإقرار بربوبية الله وإلهيته، مع الاستقامة على شريعته من شروط النصر والتمكين، والآيات التي ذكر الله فيها شروط النصر والتمكين أكثر من ذلك بكثير.

ومن الوصايا الجامعة للنبي ﷺ وقد جاء فيها شروط النصر والتمكين ما رواه الترمذي وأحمد واللفظ له، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "يَا غُلامُ، أَوْ يَا غُلَيِّمُ، أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ؟" فَقُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ: "احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ وفي لفظ الترمذي: ﴿احْفَظِ اللهَ تجِدْه تُجَاهَكَ﴾.

واعلموا أنكم إذا بذلتم وسعكم بتحقيق شروط النصر والتمكين فإن الله ناصركم ومخزٍ عدوكم، وعد منه لا يتخلف أبداً قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ وقال واصفاً حال المسلمين يوم بدر: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

وقد بشر النبي ﷺ بالنصر وانتصار الدين وغلبته فقال ﷺ : ﴿لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْر﴾ رواه أحمد من حديث تميم الداري بسند صحيح.



وقد أحسن الشاعر حيث قال:

كن كالسموءلِ إذ سارَ الهمامُ لـهُ ... بجحفــلٍ كســوادِ الليــلِ جــرارِ
جارُ ابــن حيــا لمــن نالتــهُ ذمتُــه ... أوفَى وأمنعُ من جــارِ ابــنِ عمــارِ
بالأبلقِ الفردِ مــن تيمــاءَ منـــزلُهُ ... حصنٌ حصينٌ وجــارٌ غــيرُ غــدارِ
إذْ سامَهُ خطّتَيْ خسفٍ فقــال لــهُ ... مهمــا تقلــهُ فــإنّي ســامعٌ جــارِ
فقــالَ غــدرٌ وثُكْــلٌ أنــتَ بينهُمَــا ... فاخترْ ومَــا فيهِمَــا حــظٌ لمختــارِ
فشــكَّ غــيرَ قليــلٍ ثــمَّ قــالَ لــهُ ... اذبحْ هــديكَ إنّــي مــانعٌ جَــاري

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين.

إخوانكم:

حمود بن عقلاء الشعيبي

علي بن خضير الخضير

سليمان بن ناصر العلوان

١٦/ ١٠ / ١٤٢٢هـ

يقول الشيخ هاني السباعي -حفظه الله- في كتابه "التجلية في الردّ على التعرية" متحدّثاً عن وفاء أمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله:

"أكاد أجزم أن الملا عمر رجل المسلمين الأول في القرن الهجري الحالي! فالملا عمر جامعة من الزهد والورع والصبر والبلاء والشجاعة والمروءة، وعلى رأس ذلك ذروة سنام الإسلام في الجهاد! إن سيرة هذا الحاكم البطل المجاهد الوفي، ينبغي أن تدرّس للشبيبة في المدارس والجامعات رمزاً للجهاد والصمود والوفاء!

قديماً كنا ندرس في كتب الأدب خصلة واحدة من الوفاء للسموأل الذي ذُبح ابنه أمام عينيه، وهو محاصر في قلعته على أن يسلم الأمانة التي لديه لخصوم امرئ القيس بن حجر الكندي! فرفض وضحّى بابنه وأعطى الدروع لورثة امرؤ القيس وأنشد مفتخراً يقول:

وفيتُ بأدرعِ الكندي إني ... إذا ما خانَ أقوامٌ وفيتُ

أقول: هذا الذي فعله السموأل في الجاهلية! فما بالك بوفاء الإسلام! لا أكون مبالغاً إذا قلتُ لو كنا منصفين لكان وفاء الملا محمد عمر مع الشيخ أسامة بن لادن والدكتور أيمن الظواهري وقادة الجهاد من أعظم دروس الوفاء في تاريخ الإسلام والبشرية جمعاء![١]" ا.هـ

---

١) "التجلية في الردّ على التعرية" للشيخ هاني السباعي.



ومن روائع المرثيات التي قيلت في رثاء أمير المؤمنين الملّا عمر -رحمه الله- هذه المرثية من شعر الشيخ حامد بن عبد الله العلي:

كففتُ الدمعَ عن عيني فراحتْ ... تكفّ الكفّ عـن عينـي بكفّـي

وقالت: دعْ دموعَ العـينِ سـحّاً ... فلــو ســحّتْ بحــارٌ لا تــوفّي

وزادت: كيفَ لا أبكـي عظيمــاً ... بــه الأمجــادُ نيشــانٌ بكِتْــفِ

بــه كــلّ المكــارم مثــل تــاجٍ ... عــلى قِــرْمٍ كــريمٍ مســتعِفِّ

جســورٌ بالمعــارك لا يُجــارى ... كليــثٍ بــالفوارس مسْــتخِفِّ

عــلى الأعــداءِ بالهيجـا شــديدٌ ... وبالأفغــانِ معــروفٌ بعطْــفِ

به الأفغانُ قــد عــزّت فصــارت ... تــدكُّ معاقــلَ الأعــداءِ بخسْــف

تجلّــت عــزّةُ الإســلامِ فيــهِ ... كعــزِّ الأولــينَ بكــلِّ حــرْفِ

ولمــا خــطّ بالأفغــانِ دربــاً ... إلى العليــاء مقرونــاً بســيْفِ

ترجّــلَ شــامخاً فــالموتُ حــقٌّ ... وآجــالُ البريّــةِ مثــل قطْــفِ

يحينُ كمــا يحــينُ حصــادُ زرعٍ ... بــإذنِ اللهِ لا يــأتي بحيــفِ

وألقــى بــالخلودِ زمــامَ رحْــلٍ ... وبالتاريخِ خُــطّ بخــيرِ وصــفِ

وكان مجاهــداً فــيهم حكيمــاً ... وينهــي عــن مقاتلــةٍ بعسْــفِ

وعن طيشِ الجهولِ وعن غُلــوٍّ ... تــدثّرَ بالجهــادِ بلــبْسِ زيْــفِ

عــدمتُ الشــعرَ لا يختــارُ مــاّ ... يكيــلُ لــه المــديحُ بكــلّ صــنفِ

أغــيظُ عــدوّنا وأنــالُ أجــراً ... وأرمي الكافرين بمثــلِ قصــفِ

استشهاد الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله:

وبعد ما رأيت ما رأيت ... وبعد ما عرفت ما عرفت ... الموت حينما دنت مخالبه ... والليل حينما اعتدى على الصباح ضارياً يغالبه ... الموت كان أُمنية ... والموت كان للجراح أُغنية ... واختار من صفوفنا أحبَ من رأت عيوننا ... واختار من صفوفنا الكبار ... واختار من صفوفنا الرجال صانعي النهار ... واختار للذرى أحبَة كرام ... تحية لهم سلام ... تحية لهم سلام... تحية لهم سلام[1].



لعل من أروع ما كُتب في استشهاد الشيخ أسامة رحمه الله، مقال بعنوان "**على خطى الشيخ أسامة**" كتبه الشيخ أبو المنذر الشنقيطي -حفظه الله- يوم الجمعة ٣ جمادى الثاني ١٤٣٢هـ، بعد أربعة أيام من استشهاد الشيخ أسامة، قال فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبيه الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كان الشيخ أسامة هو صوت الأمة المعبر عن آلامها. كنا نسمع في نبرته الحزينة أنين كل جريح، وبكاء كل ثكلى، وصرخة كل رضيع. ونلمح في مآقيه دموع أمة مقهورة أذلها الضيم، وحطمها الطغيان. كانت مواقفه وأفعاله مرآة لنبض الأمة وإحساسها، وأصدق ترجمة لمرادها. وكانت كلماته تعبيراً عما يجيش في صدور الملايين من أبناء المسلمين.

منذ ثلاثين عاماً والشيخ أسامة حامل لواء الجهاد، يذود عن دينه وأمته. وقد وضع الله له القبول في الأرض، وألقى عليه محبة في قلوب المسلمين، وهيبة في عيون الكافرين. فكان لكلماته الهادئة صدىً يتردد في الآفاق، ويسكن في النفوس والأعماق، فيحرض الأولياء، ويلقي الرعب في قلوب الأعداء. وكان جهاده تجسيداً لقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

---

١) مطلع أُنشودة بعنوان ملحمة الدعوة للمنشد أبي مازن السوري، رحمه الله.

فكم من قلوبٍ مؤمنةٍ باتت قريرة بعد سماع توجيهاته ونداءاته. وكم من جموعٍ كافرةٍ باتت على شر حالٍ بعد سماع وعيده وتهديداته.

فبأسٌ يذوبُ الصّخرُ من حرِّ نارِه ... ولُطفٌ له بالماءِ ينبجسُ الصَّخرُ

لقد أعطى كل ما يملك، وفارق كل ما يحب في سبيل نصرة دينه وأمته. أعطي النفس والمال، وفارق الأهل والولد والوطن. لقد أعطى ولم يطلب، وضحّى ولم يأخذ، كما هو شأن الصادقين المحتسبين. ومع أنه أعطى كل هذا العطاء، وضحّى كل هذه التضحيات إلا أن أصحاب النفوس المريضة ما فتئوا يحطون من قدره. فوا عجباً، كيف يتجاسر القاعدون الآثمون على كبار المجاهدين؟

لقد جمعوا بين خطيئة القعود عن الجهاد، وخطيئة الوقوع في أعراض المجاهدين.

هو البطلُ الشهمُ الأغرُ السميدعُ ال ... همامُ السريُّ الأكرمُ المتكرِّمُ
وقد جحدتْ قومٌ عظيم مقامه ... وقالوا بما قالوا ضَلالاً وأبهموا
وما أنكرتْ أعداؤه عن جهالةٍ ... مناقبَهُ العُظمى ولكنَّهمْ عَمُوا

وقف شيخنا أسامة بعزة وكبرياء، وتصدى لأعداء الأمة في زمن الانحناء، وضرب لنا مثلاً في الشجاعة والإباء. تحدى جيوش الكفر المجتمعين، وجبابرته المتغطرسين، فأجلبوا عليه بكيدهم المتسارع، ومكرهم المتتابع، فما طرق الجبن له باباً، ولا رضي بالهوان دون الموت حجاباً:

قالت فَلا كذبَتْ شَجاعَتُه ... أقْدِمْ فنَفْسُكَ مَا لهَا أجَلُ
فَهُوَ النّهَايَةُ إنْ جَرَى مَثَلٌ ... أوْ قيلَ يَوْمَ وَغىً مِنِ البَطَلُ

أشهد الله يا أبا عبد الله:

لقد أحييت فينا بطولات الأجداد، وذكرتنا بزمن العزة والانتصارات والأمجاد. فرفعنا رؤوسنا، وحملنا سلاحنا، وامتطينا صهوات الجياد. واقتفينا آثار أبطالنا كخالد وسعد والمثنى والمقداد.

أشهد الله يا أبا عبد الله:

أن الله نصر بك الدين، ونشر بك الجهاد بين المسلمين، وأذل بك الكافرين، فنكّستَ رؤوس الأمريكيين المتغطرسين، وغزوتهم في عقر دارهم بعد أن كانوا من الغزو في حصن مكين، ودونت في التاريخ خزيهم وعارهم إلى أبد الآبدين.

أشهد الله يا أبا عبد الله:

لئن كان أجرٌ في الصدع بالدين وقول الحق .. لقد فعلت.

ولئن كان أجرٌ في مراغمة الأعداء .. لقد راغمت.

ولئن كان أجرٌ في إغاظة الكفر .. لقد أغظت.

ولئن كان أجرُ في الهجرة لقد .. هاجرت.

ولئن كان أجرٌ في الجهاد لقد .. جاهدت.

ولئن كان أجرٌ في الإنفاق .. لقد أنفقت.



ألست الذي ما زال كهلاً ويافعاً ... له المكرمات الغر والنائل الغمر

أشهد الله يا أبا عبد الله:

أنك قمت فينا مقام ابن المبارك بين طلبة العلم والمجاهدين، ومقام ابن حنبل أمام الحكام الجبارين، ومقام ابن تيمية أمام التتار المحاربين، ومقام صلاح الدين أمام جحافل الصليبيين.

أشهد الله يا أبا عبد الله:

أن المادحين لن يعطوك قدرك مهما نظموا من قصائد ونثروا من بديع وبيان. وأن الآخذين بثأرك لن يشفوا غليلهم من الأمريكان مهما قتلوا من العلوج وعبيد الصلبان. وان الباكين لن يوفوك حقك مهما طال البكاء وعمت الأحزان.

فلا لوم على أهل رباطة الجأش إن سحت دموعهم، حزناً على فراقك ورحيلك:

فيا قلبي وشيمتك التأسّي ... نهيتك عن نهاك فكن جزوعا

عذرتك أن تراع فبعد هذا ... يشق على الحوادث أن تروعا

أشهد الله يا أبا عبد الله:

أنك أبليت فأحسنت البلاء، وأن الدنيا ليست لك عند الله بجزاء. فتقبلك الله في المنازل العالية، مع النبيين والصديقين والشهداء.

لست أدري هل أبكي لرحيلك يا شيخنا، أم أبكي لحال الأمة التي ضحيت بنفسك وكل ما تملك من أجلها.

لست أدري هل أبكي لرحيلك، أم أبكي لحال نخبة الأمة وقياداتها وكبارها.

نخبة لا هم لها إلا الشهادات والمناصب والوظائف والألقاب، والسمر على شرب الأنخاب.

نخبة تركتك تعيش مطارداً لمدة عشر سنين، فخذلتك وأسلمتك للعدو بمناهجها التخذيلية، وهروبها من مواجهة العدو، وتبنيها لأطروحات سلمية أمام هذه الهجمة الصليبية.

خذلوك وأنت الذي نصرت الدين، ورفعت لواءه بين المسلمين.

وأنَّ لَهُ فِي حَوطَةِ الدِّينِ هِمَّةً ... بِها يستحِقُّ النَّصْرَ مِنْ كلِّ ناصِرِ

لكنهم يا شيخنا لم يخذلوك وحدك، بل خذلوا كل ملهوف من الأمة.

خذلوا كل أم ثكلى.

وخذلوا كل أرملة كلمى.

وخذلوا كل يتيم مشرد.

وخذلوا كل جريح يئن.

وخذلوا كل شهيد مضرج بدمائه.

وخذلوا شرعة الله التي تهان وتداس في كل بقعة من بقاعهم.

بل إن بعض النخب والشيوخ والمنظمات والهيئات تباكت وترحمت على زعيم الكفر بابا الفاتيكان، ولم تنبس ببنت شفة عندما بلغها نبأ استشهادك.

لست أدري هل أبكي لرحيلك أم أبكي لحال العلماء الذين اختاروا التصدي لجهادك، والوقوف إلى جانب أعدائك من الأمريكيين وأتباعهم من الحكام العملاء.

لست أدري هل أبكي لرحيلك أم ابكي لحال أمة لا تميز في معظمها بين صديقها وعدوها، فنراها تُعلي من شأن المارق الزنديق، وتحط من رتبة الناصح الشفيق، ونراها ترفع منزلة من يوالي عدوها، وتحط منزلة من يقاتل عنها ويحمي بيضتها، حتى تحقق فيها قول النبي ﷺ: ﴿سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ﴾. رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة.

ونحن وإن كنا حزنّا لفراق شيخنا، إلا أنا فرحنا لانتصاراته. ومقاييس النصر عندنا ليست هي مقاييس النصر عند أعدائنا. لقد انتصر شيخنا عندما عزفت نفسه عن الدنيا واختار طريق الهجرة والجهاد. وانتصر عندما وفقه الله لإشعال جذوة الجهاد ضد الصليبيين وأعوانهم، وتركها مشتعلة وستبقى كذلك بإذن الله.

قد قدحت العزّ زنداً غير كأب ... وَلَبِسْتَ المَجدَ بُرْداً غَيرَ بَالي

وانتصر عندما اصطفاه الله إليه ومات شهيداً كما كان يتمنى. وانتصر لأنه مات ميتة الأبطال من الرجال، عزيزاً غير ذليل مقبلاً غير مدبر:

وأمَّا القائِلونَ قَتيلُ طَعْنٍ ... فذلك مصرعُ البطلِ الجليدِ

وانتصر لأنه صار قدوة في مماته، كما كان قدوة في حياته. ومن تمام انتصاره، أن الله تعالى مد له في العمر حتى قرت عينه بانتصارات المجاهدين، وهزائم الصليبيين، وسقوط الطواغيت، وانتشار الجماعات الجهادية، فكأن هذه الانتصارات كانت نعياً له، لأن المهمة أنجزت، فانتهى وقت العمل والمشقة والعناء، وحان وقت الراحة والمثوبة والجزاء.

يظن أعداء الأمة أنهم بقتلهم لقادة الجهاد ورموزه سوف يقضون على الجهاد. هيهات وكلا.

إنهم يغفلون عن حقيقة هامة، وهي أن موت الرجال في سبيل معتقداتهم سبب من أسباب انتشارها واقتناع الناس بها. نعم ستكون دماء قادتنا وقوداً يشعل النار من تحت أقدام العدو.

أيها الصليبيون لقد ظفرتم منا بظفر عظيم:

يا عصبة الشرك ما أعلى جدودكُمُ ... لقد ظفرتم برب النصر والظفر

لقد ظفرتم بمن ما هزّ مُنصلَهُ ... إلا تَحكَّم في الهامات والقَصَر

لكن ذلك لن يفت في عضدنا، ولن يضعف جهادنا بإذن الله. ألا فاعلموا أنكم إن قتلتم اليوم أسامة، جاءكم غدا مليون أسامة. ألا فاعلموا أن أسامة هو الأمة، وان الأمة هي أسامة. ألا فاعلموا أنكم لا تقاتلون رجلاً واحداً، وإنما تقاتلون أمة من الرجال:

إذا مات منا سيدٌ قام بعدهُ ... نظيرٌ له يغني غناه ويخلفُ

ألا فاعلموا أن المجاهدين يقاتلون في سبيل الله لا في سبيل الشيخ أسامة، وأن جهادهم ماض إلى يوم القيامة، فاستعدوا للنزال وملاقاة الرجال ومكابدة الأهوال.

أيها المسلمون:

نحن أمة جريحة يتخطّفها الأعداء، فلا وقت لدينا للبكاء، ولا مكان للعزاء. عزاؤنا الوحيد في قتال الأعداء، فعاهدوا الله تعالى ألا ترفع بعد اليوم للأمريكان راية في بلاد الإسلام، وسيروا على خطى شيخنا الهمام، واثأروا له بحمل راية الجهاد، ونبذ الخنوع والاستسلام، واحملوا على الأعداء حملة بأس وشدة تنسيهم الأفراح، وتجلب لهم الهموم والأتراح، وضاعفوا الجهود يضاعف الله لكم الأجور.

من كان خارجاً للغزو فليخرج اليوم ولا يؤخره لحين. ومن كان مجهزاً عشرة فليجهز عشرين. ومن كان قاتلاً مائة من العلوج فليقتل مئتين. واعلموا أن الحرب سجال، والأيام دول كما قال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾. {آل عمران: ١٤٠}.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾. {النساء: ١٠٤}.

والمنتصر هو أشد الفريقين صبراً، وأمضاهم عزيمةً كما قال الشاعر:

سَقَيْنَاهُمُ كَأساً سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا ... وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ اصْبَرَا

ومعاذ الله أن يكون أعداء الدين أشد منا صبراً، وأمضى عزيمة وأقوى شكيمة. فاصبروا على جهادكم، وصابروا لقتال أعدائكم، ورابطوا في ساحات الثغور. واعلموا أن الأعداء إنما يريدون من استهداف القادة تفريق الكلمة، وبث الاختلاف، فاحرصوا على الاجتماع والسمع والطاعة للأمراء، وأبشروا بنصر الله الذي وعدكم به.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾. {الصافات: ١٧٣}.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾. {المائدة: ٥٦}.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾. {غافر: ٥١}.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾. {محمد: ٧}.

فهو وعد من الله أكيد، فاستبشروا وأيقنوا به، وسيروا على درب الجهاد.

اللهم تقبل شهيد الأمة، واخلفه في أهله وأمته بخير، واجعل استشهاده ناراً على أعداء الله، ونوراً ينير الطريق للمجاهدين في سبيل الله. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" ا.هـ

ومن القصائد الرائعة التي قِيلت في رثاء الشيخ أسامة، قصيدة بعنوان الرجولة[١]، يقول ناظمها:

١) قصيدة بعنوان الرجولة من أرشيف الجبهة الإسلامية العالمية ١.



ماذا فعلتَ بنا يا أسامة ... فالكلُّ يرمي علينا سهامَه
وصرنا نُلامُ ومهما فعلنا ... فبأي عذرٍ نردُّ الملامَه
فأنتَ تُقاتلُ جيشَ الصليبِ ... ونحنُ نُهرولُ خلف الحمامَة
ولمّا ارتضينا بسلمٍ مذلٍ ... بغُوا واستباحوا لديني حرامَه
وأنت تقودُ أسودَ الوغى ... ونحنُ نقلِدُ فعلَ النّعامَة
قعدنا لنبكيَ مثلَ النساءِ ... على ما يدورُ بأرضِ الشَّهامَة
وبالأمسِ كنا نُعَدّ رجالاً ... وكِدنا نصدقُ تلك العلامَة
فنزهو بطولِ الشواربِ منّا ... وصوتٌ غليظٌ وعَرضٌ وقامَة
حتى أتيتَ فصُغتَ المعاني ... فبدّلَ كلُ دعيٍ كلامَه
لأن الرجولةَ قولٌ وفعلٌ ... وأنَّ الرجولةَ تعني الكرامَة
وأنَّ الرجولةَ توحيدُ ربٍ ... بكلِّ العبادةِ ثم استقامَة
وأنَّ الرجولةَ حبٌ لدينٍ ... يكونُ الجهادُ بأعلى سنامَه
وأنَّ الرجولةَ زُهدٌ وتركٌ ... لدُنيا وجاهٍ رفيعٍ مقامَه
وأنَّ الرجولةَ عزمٌ وصبرٌ ... على النازلاتِ وعسرِ الإقامَة
وأنَّ الرجولةَ كرٌ وفرٌ ... ونصرٌ منَ اللهِ يُرجَى تمامَه
وأن الرجولةَ ثوبٌ ولحيةٌ ... ونورٌ يفوقُ بياض العمامَة
فهل بعد تلك الفعالِ فعالٌ ... ومن ذا يطالك قدراً وهامَة
أعيدوا كتابةَ كلِّ المعاجمِ ... فإنَّ الرجولةَ تعني أسامَة

جوانب من زهد الشيخ أسامة رحمه الله:

رغم أنه كان من فضل الله عليّ مرافقة وملازمة الشيخ أسامة -رحمه الله- عن قرب لتسع سنوات كاملة، إلا أني أجد نفسي عاجزاً عن الكتابة عن مناقب ومكارم أخلاق ذلك الشيخ الجليل، وحسبي في ذلك أن الكثيرين من محبّي الشيخ أسامة قد طرقوا هذا الباب، وأشبعوه بما فيه الكفاية عن إعادته. فقط أريد أن أذكر هنا بعض المواقف العظيمة للشيخ أسامة التي شهدتها بنفسي، والتي تبين وتدلل على مدى عظمة ونُبل هذا الرجل، ومدى زهده في هذه الدنيا.

فكما هو معلوم للجميع، أنّ الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- كان من عائلة ثرية، تُقدّر ثروتها بمئات الملايين من الدولارات. وبعضهم كان يقدّر ثروة الشيخ أسامة فقط بثلاثمائة مليون دولار، ومع ذلك، كل هذه الملايين كانت بالنسبة للشيخ أسامة صفراً على الشمال، ولم تعن له شيئاً غير تسخيرها كلها للجهاد والإنفاق في سبيل الله.

فذات يوم، كنت والأخ طلحة السوداني -رحمه الله- جلوساً مع الشيخ أسامة في بيته في السودان. وكان الحديث يدور حول الترف والزهد في الدنيا. فحكى لنا الشيخ أسامة أنه في ثمانينات القرن الماضي كان يسكن مع أبنائه وزوجاته الأربعة في بيت شعبي -سقفه من خشب- في حيّ شعبي من أحياء جدّة. وكأن أخوه الأكبر عميد العائلة -الشيخ بكُر بن لادن حفظه الله- لم تطب نفسه أن يرى أخاه يعيش في ذلك البيت الشعبي، وكأنه أحب أن يراه ساكناً في مكانٍ يليق بوضعهم ومكانتهم الاجتماعية، فبنى قصراً فخماً على نفقته الخاصة وأراد أن يقدّمه هديةً للشيخ أسامة ليسكن فيه. فسألنا الشيخ أسامة قائلاً: كم تقدّرون قيمة القصر؟ فابتدرت مجيباً حسب تصوّري المتواضع لما أرى من بيوت الأغنياء الكبار في السودان، فقلت: مليون ريال. فتبسم الشيخ أسامة وكاد أن يضحك وقال زد. قلت مليونين، قال زد. قلت خمس ملايين، قال زد. قلت عشرة ملايين، قال زد. قلت عشرون مليون، قال زد. قلت أمعقول هذا يا شيخ؟ فقال: ثمانون مليون ريال. وأضاف أن هذا القصر بهذه القيمة، يعتبر قصراً متواضعاً مقارنة مع قصور كبار التجّار في بلاد الحرمين.



الشيخ بكر بن لادن (الأخ الأكبر للشيخ أسامة) حفظه الله



أصاب كلانا هذا الكلام بصدمةٍ بالغةٍ جعلت كلٌ منّا فاغراً فاه من الدهشة. وظللت أتمتم بيني وبين نفسي وأقول، أمعقول هذا؟ ثمانون مليون ريال، تعني أكثر من عشرين مليون دولار. لا أظن أنه حتى البيت الأبيض من الممكن أن يكلّف بناؤه وتأسيسه هذا المبلغ اليوم. ولك أن تتخيل معي أيها القارئ العزيز، كم تعادل قيمة هذه الثمانون مليون ريال اليوم بعد أكثر من ثلاثين سنة؟ ولك أن تتخيل قصراً بقيمة ثمانين مليون ريال سعودي في ثمانينات القرن الماضي ماذا يمكن أن يكون فيه من نعيم الدنيا وزينتها وزخرفها؟ أترك ذلك لخيالك الواسع، ولكن إياك أن تتخيل أيها القارئ العزيز أن الشيخ أسامة -رحمه الله- قد تسلل إلى فكره لحظة ولو قيد أنملة السكن في ذلك القصر. فما كان منه إلا الاعتذار لأخيه بصورة لطيفة عن عدم رغبته وأبنائه السكن في ذلك القصر.

وعندما جاء الشيخ أسامة إلى السودان قادماً من باكستان في منتصف عام ١٩٩١م، كان الإخوة المتواجدين في السودان قد استأجروا له بيتاً في حي الرياض بالخرطوم، عبارة عن عمارة صغيرة متواضعة من ثلاثة طوابق، وكانوا قد أسسوا البيت تأسيساً فاخراً -يليق بمكانة الشيخ أسامة- كالأسرّة والكنب وكراسي الجلوس الفخمة وإلى غير ذلك. وعندما جاء الشيخ أسامة إلى السودان أمر بأن يُؤخذ كل ذلك الأثاث الفاخر إلى المستودع، ولم يُبق في البيت إلا أثاثاً في غاية التواضع.

وكان الشيخ أسامة قد اشترى قطعة أرض في حي سوبا -حي شعبي جنوب شرق الخرطوم- بنى فيها أربعة بيوت من الطين ليسكن فيها. وكان كل بيت عبارة عن غرفتين، كل غرفة ٤ متر x ٤ متر، بينهما ردهة صغيرة بطول الغرفة وعرض ثلاثة أمتار، ومطبخ وحمّام وحوش صغير في الخارج. وكانت هذه البيوت مسقوفة بألواحٍ الزنك، سُمّرت تحتها ألواحاً رقيقة من خشب الموسنايط لتفادي الحرارة. وكان الشيخ أسامة على وشك الانتقال للسكن في هذه البيوت، غير أن الله عزّ وجل أراد له أمراً آخر، فساقه سوقاً إلى أفغانستان كما تقدّم ذكره.

يقول شيخ المجاهدين الإمام عبد الله عزام -رحمه الله- متحدّثاً عن زهد الشيخ أسامة بن لادن وترفّعه عن كل أسباب الترف:

"وفي هذه المناسبة نرجو الله عز وجل أن يحفظ أخانا أبا عبد الله أسامة بن لادن، فهذا الرجل ما تفتّحت عيناي على رجلٍ مثله في الأرض أبداً، يعيش في بيته عيش الفقراء. كنت أنزل في جدة في بيته عندما أذهب للحج أو للعمرة، ليس في بيته كرسي ولا طاولة أبداً. كل بيت، متزوج من أربعة وليس في أي بيت من البيوت كرسي ولا طاولة، أي عامل من الأردن أو مصر بيته أحسن من بيت أسامة، فيه أثاث أو مثله، ومع ذلك في لحظات تطلب منه مليون ريال يكتب لك شيكاً بمليون ريال للمجاهدين"[١] ا.هـ

وكانت الدفعة الرابعة من وثائق أبوت أباد قد كشفت عن وثيقةٍ عبارة عن وصيةٍ للشيخ أسامة، يطلب فيها -رحمه الله- من إخوته وأخواته وخالاته وذريّته أن يجيزوا وصيّته تلك، وذلك بأن تُصرف جميع أمواله التي في السودان على الجهاد في سبيل الله. وجدير بالذكر أن الشيخ أسامة -رحمه الله- كان قد أوقف قبل ذلك كل ثروته على الجهاد في سبيل الله، وكان مما سمعته من بعض المقربين منه أنه أنفق

١) أسامة بن لادن، مجدد الزمان وقاهر الأمريكان. لفارس آل شويل.

على الجهاد في سوريا مطلع الثمانينات أضعاف ما أنفق على الجهاد في أفغانستان، وعندما قام الجهاد في أفغانستان كان الشيخ أسامة هو رائد هذا الباب بلا منازع، وأشهد الله أني قد عملت مع الشيخ سعيد المحاسب (مصطفى أبو اليزيد) رحمه الله في مكتب المحاسبة في بيشاور لمدة ثلاث أو أربعة أشهر كنا نصرف فيها من أموال الشيخ أسامة على مصارف الجهاد أكثر من مأتي ألف دولار شهرياً. وكانت هناك مصارف أخرى أضعاف أضعاف هذا المبلغ على الذخيرة والسلاح وغيرها كان غيرنا يتولّى صرفها. كذلك أنفق الشيخ أسامة أموالاً طائلة على جهاد الشيوعيين في اليمن، وعلى الجهاد في مصر والصومال والجزائر وأماكن أخرى.

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين
اما بعد
أنا الموقع أدناه اسامة بن محمد بن عوض بن عبود بن لادن
بالنسبة للأموال التى في السودان تصل تقريبا إلى تسعة وعشرين
مليون دولار استلمت منها مليون ومئة ألف في السودان
ثم ثمانمئة الف في جلال أباد ثم مليون وربع المليون في قندهار
تقريباً والقول قول الوسيط
منها اثنا عشر مليون دولار من طرف أخي بكر بن محمد بن لادن
نيابة عن شركة بن لادن لاستثمارها في السودان
واني أرجو اخوتي واخواتي وخالاتي وذريتي أن يجيزوا وصيتي
وهي أن تصرف جميع الأموال النقدية في السودان على القتال في سبيل
الله تعالى

مقطع من وصيةٍ للشيخ أسامة بأن تصرف كل أمواله التي في السودان على القتال في سبيل الله[1]

ومن مفارقات أقدار الله العجيبة بعد كل ذلك أن الأحوال والظروف المادية للجماعة كانت قد ضاقت كثيراً بعد عمليات نيروبي ودار السلام، وذلك بعد أن أوقفت حكومة البشير النزر اليسير من مستحقّات الشيخ أسامة[2] التي كانت تأتي من السودان بعد جهدٍ جهيدٍ. وعلى إثر ذلك أعلنت الجماعة حالة التقشّف، وربط الأحزمة على البطون، فقُلّصت ميزانيات اللجان إلى الحد الأدنى الذي يسمح فقط بقيام الأعمال الضرورية. كذلك خُفّضت كفالات الإخوة المتزوجين إلى النصف تقريباً، حتى أن بعضهم كان عندما يستبدل كفالته بالعملة المحلية يستبدلها بالعملات ذات الفئة الورقية الصغيرة طمعاً في كسب شيء يسير من الروبيات زيادة على الاستبدال بالفئات الورقية الكبيرة.

١) وثائق أبوت أباد، الدفعة الرابعة.

٢) بعد عمليتي نيروبي ودار السلام جمّدت حكومة البشير كل أعمال الشيخ أسامة، وحصرت كل أصول شركاته وتمّ تقييمها بما يقارب الثلاثين مليون دولار.



وذات يوم بعد أن أدينا صلاة الظهر في مسجد القرية الصغير بمجمع المطار في قندهار وقف الشيخ أسامة -رحمه الله- ليتكلم، وبعد أن حمد الله كثيراً وأثنى عليه قال:"**لم أكن أتوقع أنه سيأتي عليّ يومٌ في حياتي أفرح فيه بخمس آلاف دولار. فبالأمس القريب جاءتنا خمس آلاف دولار من أحد المحسنين في إحدى الدول، ويعلم الله كم كان فرحي بها عظيماً جدّاً" ا.هـ**

كانت كلمات قلائل، دقائق معدودات على أصابع اليد الواحدة، لكنها كانت كافية لتترك أثراً عميقاً في نفوسنا جميعاً، فتمتمت الشفاه بالحمد والشكر والثناء لله عزّ وجل، وفاضت العيون بالدموع غير أنها لم تكن دموع فرحٍ بسبب قدوم المال -قلّ أو كثر- طمعاً في تحسين ظروفنا وأحوالنا. كلّا وألف كلّا، لم يدُر ذلك بخلد أحدنا قط. فقد كنّا ولله الحمد مع هذه الضائقة العابرة نأكل وجبتين في اليوم بدل ثلاثة، بينما كان رسول الله ﷺ ومن معه في شِعب أبي طالب يُسمع صراخ أطفالهم من الجوع خارج الشِعب. لكنها كانت دموع إجلال وإكبار لذلك الجبل الأشم. ذلك الشيخ الجليل الذي كما يقولون ولد وفي فمه ملعقة من ذهب، يملك من متاع الدنيا المئات من الملايين من الدولارات التي تمكنه إن أراد أن يخوض في متاعها أن يكون من أكثر أهل الأرض ترفاً ومتعةً ورفاهيةً، لكنه آثر ما عند الله فهو خير وأبقى. فها هو ذا بيننا يعيش كما نعيش في مجمّع المطار قرب قندهار، ذلك المجمّع الذي كان ملاذاً آمناً لأغنام البدو. لقد كان مجمّعاً كما يقولون خارج التغطية، فليس فيه شيء من عالم الشبكات، حيث لا شبكة مياه جارية، ولا شبكة كهرباء سارية، ولا شبكة مجاري وصرف صحّي سوى حفرة بعمق متر في الأرض ابتدعها الإخوة خلف الحمّام، مغطاة بسقف من حصير القش عليه طبقة من الطين. لقد كان ذلك المجمّع زاخراً وعامراً بجميع أنواع الشِّباك العنكبوتية على السقوف والحيطان، إضافة إلى جحور الحيات والفئران.

أما إذا تجوّلت أيها القارئ العزيز في فناء قصر الشيخ في ذلك المجمّع، فلن تجد في قاموسك كلمات مناسبة، تعبّر بها عن وصف ما ترى سوى دموعاً تكحّل بها عيناك، وكلمات إجلال وإكبار لهذا الشيخ الجليل تتمتم بها شفتاك فتقول: "أتعبت من بعدك يا شيخ". لقد كان قصر الشيخ أسامة -رحمه الله- مكوناً من أربعة بيوت، أحدها كان شبه مدمّر، جعلوه مربطاً للخيل، وثلاثة منها كانت لزوجاته وبناته، وأمام مدخل كل بيت كانت هناك عريشة من حصير القش للمقيل تحتها من حرّ الظهيرة. وكان الشيخ أسامة قد جعل من فناء بيته مركزاً للبحوث الزراعية، يجرب فيه زراعة بعض المحاصيل والخضروات بطرق مثاليّة محسّنة، حتى أن بعضها بلغت أحجاماً قياسية، أظن أنها فاقت الأحجام المذكورة في موسوعة (جينيس) العالمية. فعلى سبيل المثال كان الشيخ أسامة -رحمه الله- قد أجرى بنفسه في السودان عدّة تجارب على زراعة زهرة الشمس بطرق مثاليّة محسّنة بلغ فيها قطر الزهرة الواحدة ٤٢ سم (اثنين وأربعين سنتيميتر). وبالطبع لن تجد تفسيراً لذلك سوى أن تقول: "بُوركت يداك يا شيخ".

ولما كان كل بيت من بيوت الشيخ أسامة عبارة عن غرفتين ومطبخ وحمام، فسوف يلفت انتباهك أيها القارئ العزيز وجود خيمة منصوبة في فناء أحد البيوت، فحسبك أن تعلم أنها كانت لفلذات أكباده الذكور يسكنون فيها، لأنه لم يكن هناك متّسع لهم من غرف البيت، فإحدى الغرف كانت للشيخ وأهله، وكانت الغرفة الأخرى لبناته.

والغريب، رغم أنّنا جاورنا الشيخ أسامة سنوات في ذلك المجمّع، إلّا أن أي منّا لم يكن يعلم أو يتصوّر أن فلذات أكباده كانوا يعيشون في خيمة، فلم نسمع بذلك أبداً لا من الشيخ أسامة، ولا من أي أحد من

أبنائه. وكان بإمكان الشيخ أسامة أن يبني لهم غرفة في فناء البيت، لكنه لم يفعل، وبدون شكّ كان يهدف من ذلك إلى تربية أبنائه وتنشئتهم على معاني الصبر والخشونة والرجولة والقوة، والزهد وذم الترف والتنعّم، لأن ذلك مما يعين على الجهاد في سبيل الله.

فرحمك الله رحمة واسعة يا إمام المجاهدين، وقرة عيون الموحّدين، وجمعنا بك في الفردوس الأعلى مع النبيين والصدّيقين، والشهداء والصالحين. وإن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، وإنّا على فراقك يا أسامة لمحزونون، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، فنم هنيئاً بعد طول عناء، وطب نفساً وقد حكم القضاء، ونعاهد الله أننا سنكمل الطريق، ونبذل ما في الوسع لنصرة هذا الدّين مادام فينا عرق ينبض وعين تطرف، ونسأله سبحانه أن يثبّتنا حتى يتم النصر، أو نذوق ما ذقت وذاق حمزة بن عبد المطلب. آمين.



الشيخ أسامة في فناء بيته، ويبدو في الصورة بيت الخيل، كما تبدو أحواض الزراعة

وهذه قصيدة من إلقاء حمزة بن الشيخ أسامة -رحمهما الله جميعاً- يعبّر فيها عن ذلك الحال الذي كانوا يعيشون فيه:

أبتاه أين هو المفر ومتى يكون لنا مقر؟
آه أبي كيف ما أبصرت دائرة الخطر؟
أكثرت ترحالي أبي بين البوادي والحضر
أكثرت من سفري أبي بين وادٍ ومنحدر
حتى نسيت عشيرتي وبنى العمومة والبشر
ما بال منزلنا اختفى عنى فليس له اثر؟
ما بال أمي لم تعد عجباً هل طاب لها السفر؟

وأخي الحبيب فديته مر الزمان وما حضر
لـم لا نـرى في دربنـا إلا الحـواجز والحفـر
ألا إن أمريكـا أتـت في الخـرج تعبـث والخـبر
فهـاجرت مغترباً إلى أرضٍ بهـا النيـل انحـدر
خرطوم بعد أن فتحت أبوابهـا أبـت لي أن أقـر
ثم ارتحلت مشرقاً حيث الرجـال أولي الغـرر
كابول ترفع رأسها رغـم الخصاصـة والخطـر
كابول يبسُم ثغرها تؤوي وتنصر من حضر
الشيخ يونس خالص قد بدا ليـث يُهـاب إذا زأر
وأخـو الرجولـة والإبـاء أميرنـا الملا عمـر
أبي لماذا أرسلوا وابـلاً مـن القـذائف كـالمطر
لم يرحموا طفلاً ولا شيخاً يحطمـه الكـبر
أبتاه ماذا قد جرى حتـى يلاحقنـا الخطـر
أفداؤك البيـت العتيـق جريمـة لا تغتفـر
أثبت أبي لا تبتغى عرض الحياة من البشر
الخلد موعـدنا إذا شـاء الإلـه لنـا الظفـر
قل لي أبي فيما أرى قول مفيد مختصر

فكان ردّ الشيخ أسامة عليه كما يلي:

أبني يكفي أني شبعاً بالآهـات والحسر
عقـد اللسـان فمقلتـي نبـع ووجـداني سـقر
ماذا أقـول ونحـن في دنيـا التكاسـل والبطـر
ماذا أقول لعالمٍ أعمـى البصـيرة والبصر
أمم تبـاع وتشـترى بيـع السـنابك بـالغرر
عفواً بنـي فـلا أرى بالـدرب غـير شـديد منحـدر

عقدٌ مرت سنواته بين التشرد والسفر

عما تسائلني؟ عن قوم أصابهم الخدر

ها نحن في مأساتنا ذهب الأمان وبقى الخطر

دنيا الجرائم بني الطفل يذبح فيها كالبقر

صهيون تقتل أخوتي والعرب تعقد مؤتمر

أذناب أمريكا غدوا عمياً فليس لهم نظر

حبر على ورق فلا صدقوا ولا ظهر الأثر

لم لم يسوقوا قوة تحمى الصغير من الضرر

هذه وربك وصمة كبرى يساق لها الخبر

غدرٌ يُجمّع أمره أيذود عنا أم غدر

خانوا الرسول وربنا وخانوا الرعية في سحر

إلى متى نقص الرجال والخوالف في غرر

يجب التحرك كيفما أتى لدفع الضرر

أقسمت بالله العظيم بأن أقاتل من كفر



حمزة بن الشيخ أسامة -رحمهما الله- متسائلاً في قصيدته: صهيون تقتل أخوتي والعربُ تعقد مؤتمر

سيرة القائدين أبي عبيدة البنشيري وأبي حفص الكمندان رحمهما الله[1]:

أبو عبيدة البنشيري:

سيذكُرُني قَومي إذا جدَّ جِدُّهمْ ... وفي الليلةِ الظلماءِ يُفتقدُ البدرُ

أبو عبيدة البنشيري رحمه الله، اسمه علي الرشيدي، رجل بأمة وأمة في رجل، رجل يشبه الرعيل الأول. فارسٌ من فرسان النهار، وراهبٌ من رهبان الليل، ورمزٌ بارز من قيادات العمل الإسلامي في أمتنا، وأحد أعمدة العمل الجهادي الذين يشار لهم بالبنان.

سيرته حافلة بالأعمال الجهادية الخيِّرة، حيث كان يتميز برجولة فريدة، وبشكل فريد من الأخلاق العالية من التواضع والبشاشة والتسامح والهدوء واحترام الناس وبالصبر والحلم. وكان يتميز بقوة الشخصية، وبالرأي السديد وحسن الإدارة، وكان الرجل الخفي في زمام الأمور التنظيمية والعسكرية إلى حد كبير. وكان يتميز بشخصية محبوبة بدرجة رائعة، ويتميز باللين والبساطة وحلاوة المعشر، لم يتصرف بغلظة أو يناقش بوقاحة أي إنسان، وكان وقافاً عند الحق.

رحلتَ عن الحياةِ فما جزِعنا ... برغمِ الحزنِ والدمعِ الصبيبِ
رضِينا بالقضاءِ رضىً يقيناً ... وتسليماً لغفَّارِ الذنوبِ

كان من أبناء الحركة الإسلامية الجهادية الأوائل في مصر، واعتقل بعد أحداث السادات في عام ١٩٨١م، حيث أن أحد قاتلي السادات وهو عبد الحميد عبد السلام كان عديله، فقد كانا متزوجان من أختين. وكان الشهيد أبا عبيدة -رحمه الله- قد عمل في جهاز الشرطة فترة من الزمن، ثم بعد أن خرج من المعتقل قرر المغادرة إلى أرض الجهاد في أفغانستان. كان يعتبر من أوائل الإخوة العرب الذين توافدوا إلى أرض الجهاد، وذلك في عام ١٩٨٣م. أسكن أهله في بشاور، وكان يتواصى بهم أثناء غيابه أخ عربي يعمل في مؤسسة إغاثية وكان جاره وشريكه في المسكن. ثم انتقل إلى أرض أفغانستان، والتحق بقافلة إلى الشمال، وكان معه صديقه أبو سهل المصري (أبو سهل الكبير)، ومجموعة من الإخوة العرب والأفغان. وكانت الرحلة إلى شمال أفغانستان وقتها تقدر بمسيرة شهر، حيث بعد المسافة ووعورة الطريق والثلج، وغيرُ ذلك من تربُّص العدو بهم وتجنُّبُ الكمائن.

حفظ رحمه الله القرآن في الطريق إلى الشمال، واستوطن وادي بنشير (الوادي المعروف بصعوبة تضاريسه وكثرة العمليات فيه لرغبة الروس تأمين طرق الإمدادات من وإلى أفغانستان). شارك في عمليات كثيرة، وأبلى بلاء حسناً، وتمرس في الجهاد، فأصبح مرجعاً عسكرياً في التخطيط للعمليات الجهادية لدى الإخوة العرب، وشهد له الجميع بذلك. ثم عاد مرة أخرى من بنشير، وأصبح يلقب (بأبي عبيدة البنشيري). ثم شارك مع الشيخ جلال الدين حقاني -رحمه الله- في معارك في قرديز وخوست.

---

١) نشرة معسكر البتار العدد ١٢ مقال بعنوان: أبطال الإسلام في هذا الزمان. بتصرف.

تعرف على الشيخ أسامة في بيشاور عام ١٩٨٦م، وشارك في معارك مأسدة الأنصار في منطقة جاجي الاستراتيجية، حيث أنها كانت طريق الإمداد الرئيسي للجبهات المهمة في كابل ولوقر وغيرها. ولما جاءت عملية شعبان ورمضان الشهيرة ١٤٠٧هـ كان الشيخ أبو عبيدة البنشيري -رحمه الله- نائباً للشيخ أسامة في قيادة المعركة. وفي هذه المعركة أثبت الشيخ أبو عبيدة حنكته العسكرية، وأسلوبه البارز في القيادة، فكان ينوب عن الشيخ أسامة في جميع أمور الجبهات والتدريب، ويُعتبر الرجل الثاني. وكان الجميع يرغب في مجالسته والنهل من علومه، فقد كان له إطلاع في المسائل الشرعية، وإن عرجت على العلوم العسكرية وجدته علماً، وإن أتيته لطلب المشورة والنصيحة لن تجد صدوقاً مثله ومثل صواب رأيه.

شارك في تأسيس القاعدة منذ أيامها الأولى، وأصبح اليد اليمنى للشيخ أسامة -رحمه الله- وأشرف على معسكرات التدريب والإعداد. ولم يكتف بساحة أفغانستان، فبعد انتهاء الجهاد هناك وسّع من نشاطه لقارات أخرى فزار بلاداً عديدة بآسيا وأفريقيا. وكان رحمه الله يشغله توفير الدعم للجهاد في سبيل الله، وكان أكثر وقته مرتحلاً لهذا الأمر، حتى وافته المنية. ولعل من أهم أنشطته مشاركاته في إنعاش الجهاد في شرق أفريقيا عامة والصومال خاصة.

علاقته بالشيخ أسامة بن لادن:

كان الشيخ أسامة -رحمه الله- لا يجلس مجلساً إلا وطلب الشيخ أبا عبيدة، وإن غاب ذكر الشيخ أبا عبيدة بالخير، وإن أراد مشورة اهتم برأي الشيخ أبي عبيدة. وكان الشيخ أسامة بن لادن في بيشاور يقول: **"من نعم الله علي أن أتيت للجهاد الأفغاني حتى أتعرف على الشيخ أبي عبيدة"**. وفي معركة جلال آباد في عملية الانحياز عام ١٤٠٩/٩/٢هـ، تقدم العدو بأكثر من ٣٦ دبابة، وقذف أكثر من ١١ صاروخ سكود على موقع سراقة، وكان هناك قصف بالطائرات لقنابل الغازات السامة صرفها الله.

وبعد مقتل شفيق المدني وما شاهده الشيخ أسامة من تدفق العدو ومحاصرة المجاهدين، رأى الانحياز إلى مركز الزهراني خلف جبل ثمر خيل، وكان ذلك فتحاً عسكرياً من الشيخ أسامة. وكان آخر المنحازين هو الشيخ أبو عبيدة حتى يخرج الشباب من المنطقة حتى لا يقعوا في الأسر. ورجع الشيخ أسامة إلى طورخم[١] وكان مشغولاً بسلامة الشيخ أبي عبيدة، وكان يسأل كل من يأتي هل انحاز الشيخ أبو عبيدة؟ هل رجع إلى مركز الزهراني؟ ومن فضل الله نجح الشيخ أبو عبيدة في الانحياز، حيث تأخر رحمه الله مع أحد المصابين من الإخوة الليبيين، فكان من آخر المنحازين. وتم إبلاغ الشيخ أسامة بالخبر، فما كان منه إلا أن سجد لله شكراً.

زهد الشيخ أبي عبيدة وأهله:

وعندما كان الشيخ أبو عبيدة في السودان، كان متاعه متاع عابر سبيل. ويُروى أن زوجته احتاجت في وقت حملها بابنها أحمد إلى خادمة، فأتى بخادمة تساعدها بضع ساعات في اليوم. فأتت الخادمة لكي تعمل فلم تجد في الشقة إلا سرير أبي عبيدة، وسريرين لأولاده مع أنهم أربعة، وفرشة حصير في الصالة، والثلاجة والبوتوغاز فقط لا أكثر، وإذا بها تسأل أين العفش؟ أين التلفزيون؟

---

١) نقطة حدودية مع باكستان كان بها موقع خلفي للمجاهدين.

غرقه في بحيرة فكتوريا:

وفي شهر ذي القعدة من عام ١٤١٦هـ كان الشيخ أبو عبيدة في تنزانيا مسافراً بالباخرة على بحيرة فكتوريا، وقدر الله ركوب أعداد كبيرة في نفس القارب يفوق العدد المسموح به، وكان هذا الأمر بعد صلاة الفجر، وفي وسط البحيرة ومع شدة التيارات المائية وكثرة أعداد الراكبين، مالت السفينة وغرق من في داخلها ولم ينج إلا القليل. وكان من الناجين أحد أصهار الشيخ أبي عبيدة. واستمرت جهود انتشال جثث المغرقين، ولكن قدر الله ألّا يكون للشيخ أبي عبيدة قبر.

وكان الشيخ سيف العدل هو الذي أخبر الشيخين أسامة وأبي حفص -رحمهما الله- عن وفاة الشيخ أبي عبيدة رحمه الله، فدخل الشيخ أبو حفص في حالة بكاء شديدة جداً. واغتم الشيخ أسامة وقال للشيخ سيف: "لن تجد الجماعات الجهادية شخصاً مثل أبي عبيدة رحمه الله".

ترك الشيخ أبو عبيدة عدّة أبناء منهم (مريم - وعلاء - وعبد الرحمن - وأحمد) نسأل الله أن يرعاهم بعنايته. وكانت الحكومة المصرية إلى وقت طويل تشكك في وفاته، بل من المضحك أنها حكمت عليه بالسجن المؤبد مع أنه ميت ولديها معلومات أنه قد مات، وخاصة بعد رجوع زوجته إلى مصر بأبنائها، نسأل الله أن يحفظهم بحفظه. كان من آماله توحيد جماعة الجهاد والقاعدة وقد سعى في ذلك حثيثاً، ولذلك ذكره الشيخ الدكتور أيمن الظواهري في كلمته يوم الوحدة بين جماعة القاعدة والجهاد، فقال ما معناه:

"وفي هذا الحفل، فإني لأذكر إخوة كراماً، كان يسرهم أن يكونوا بيننا اليوم ليشهدوا هذا الحدث الكبير، وأحسب منهم أخانا الكبير الشهيد -ولا نزكيه على الله- الشيخ أبا عبيدة البنشيري. فنم قرير العين يا أبا عبيدة، فقد تحققت الوحدة التي كنت تأملها".

رحل الجندي المجهول بصمت، عرفه من عرفه وجهله من جهله، ووالله إن كثيراً من فضل نصرة الجهاد في هذا الزمن بعد الله سبحانه وتعالى، ليصب في ميزان هذا الرجل، وبعض القلة من الأخيار، منهم الشيخ عبد الله عزام رحمه الله، والشيخ أسامة بن لادن، والشيخ أبو حفص (الكمندان) صبحي عبد العزيز أبو ستة رحمهم الله جميعاً.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، قَالَ: «إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ»، قَالُوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ»، وفي رواية ـ وصَاحِبُ الهَدمِ شَهِيدٌ﴾.

نسأل الله أن يجعلنا من جلساء القوم الذين لا يشقى بهم جليس.

يا طائراً ما يستكينُ ولا يلــينُ .... ويرى الجهادَ عقيدةً وتفــانِ

قد نلتَ ما ترجوهُ شهماً ماجداً ... ما كنتَ يومــاً في الــدُّنا بجبــانِ

الشيخ أبو حفص المصري[1] (الكمندان) رحمه الله:



أبو حفص الكمندان، كما كان الإخوة ينادونه، اسمه: صبحي عبد العزيز أبو ستة الجوهري، من قبيلة أبو ستة، وهي قبيلة عدنانية هاجرت من فلسطين لمصر. ولد وترعرع في أرض الكنانة في ١٧ يناير عام ١٩٥٨م، عمل مهندس زراعي في مدينة كفر الدوار بمحافظة البحيرة. عمل كضابط احتياط بالجيش المصري برتبة ملازم أول.

كان من فضل الله عليه أنه كان من السابقين الأوائل الذين نفروا لنصرة الجهاد في أفغانستان، وكان ذلك عام ١٤٠٢هـ، الموافق لعام ١٩٨١م، ولما كان الشيخ أبو حفص يريد من هجرته وجهاده أن يعيد لهذه الأمة مجدها وعزّها ويرفع رأسها عالياً ادّخر الله له من الفضل بأن رفع ذكره، وجعله من الذين يزرعون الرعب في قلوب أعداء الإسلام فتطير قلوبهم خوفاً من مجرد ذكر اسمه، فقد كان رحمه الله -بحكم خبرته في الجيش المصري- شعلةً من شعل المجال العسكري الذي كان متخصصاً فيه، وبجانب التدريب الذي عكف عليه، حيث كانت بصماته لا تخفى في كثيرٍ من العمليات العسكرية التي شارك فيها بالتخطيط والتنفيذ.

كان رحمه الله أحد المؤسسين البارزين لتنظيم القاعدة. وبعد استشهاد الشيخ أبي عبيدة البنشيري تولى الشيخ أبو حفص نيابة الشيخ أسامة، وكان مثالاً للخلق والأدب الرفيع، والسماحة والكرم والزهد، وكان نافراً من الخلافات والمشاحنات، مقبلاً على العمل والعطاء والحرص على مشاعر إخوانه، فعكف على تدريب الشباب وتعليمهم ما ينفعهم في الدنيا والآخرة.

١) نشرة معسكر البتار العدد ١٣ مقال بعنوان: أبطال الإسلام في هذا الزمان. بتصرف كبير.

وفي جاجي شارك الشيخ أبو حفص -رحمه الله- في معارك مأسدة الأنصار التي نصر الله فيها المجاهدين نصراً عزيزاً مؤزراً على أعتى وأقوى قوة على وجه الأرض في ذلك الزمان. ولقد أبلى بطلنا في المعركة بلاءً حسناً كما يخبر عنه من عاشروه في تلك المعركة. ثم شارك في معارك جلال أباد القوية، وأصيب فيها بجرح نافذ في الصدر مماس للحجاب الحاجز -لكن لم يخترق البطن- من قذيفة كسرت ذراعه وضلوعه، فلله دره من مجاهد صنديد، بطل شجاع غير هيّاب للعدو.

وبعد أن انتهى الجهاد في أفغانستان، وانقلابه إلى قتال بين الأحزاب على الكرسي لم يشارك الشيخ أبو حفص في هذه الفتنة، بل ذهب مع رفيق دربه وحبيبه الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- إلى السودان، ليعدّ العدة لتحرير الأمة الإسلامية من الذل والهوان الذي تعيشه، وليجهز لقهر العدو الذي جثا على صدر أرض النبوة والرسالات أرض محمد ﷺ، واستباح بيضتها وقدسيتها. وفي أول خطوة لهذه المعركة الحاسمة قاد الشباب إلى أرض الصومال وأوجادين التي نزل بها الأمريكان ليستبيحوها كما استباحوا جزيرة العرب من قبلها. وفي أول مواجهة مع الأمريكان لم تدم المعركة طويلاً حيث قتل فيها عدد قليل من الجنود الأمريكان، فروا بعدها في ليل أظلم لا يلوون على شيء، وخرجوا من أرض الصومال يجرون أذيال الهزيمة ليثبتوا للعالم كما وصفهم الشيخ أسامة -رحمه الله- أنهم ما هم إلا نمرٌ من ورق.

وبعد ذلك تأكد لقادة تنظيم القاعدة المبارك أنه بإمكانهم قهر وهزيمة أمريكا وبإمكانيات بسيطة، فهي ضعيفة وأضعف مما كانوا يتوقعونه؛ إذاً لابد من إعداد الشباب للمعركة الفاصلة مع أمريكا، وإنشاء معسكرات تدريب لهم. وهيأ الله لهذا الأمر أسبابه، فمالت الحكومة السودانية بقيادة البشير مع عواصف الضغوط الأمريكية، واستجابت -بعد كل الذي قدمه لهم من خدمات راقية وإصلاحات واسعة- بإبعاد الشيخ أسامة ومن معه من السودان إلى أرض الهجرة والجهاد؛ أرض أفغانستان الأبية، لتبدأ بعد ذلك المرحلة التي طالما انتظرها الشيخ أسامة ورفاقه الميامين.

ولما علم الشباب المؤمن الصادق برجوع الشيخ أسامة ومن معه مرّة أخرى إلى أفغانستان، بدءوا يتوافدون زرافاتٍ ووحداناً من كل حدب وصوب، فاستعادت المعسكرات نشاطها، ودبّت فيها الحياة من جديد.

وكان الشيخ أبو حفص -رحمه الله- كالنحلة التي لا تهدأ ولا تكل ولا تمل من العمل، فهو المسؤول عن كل النشاط العسكري لتنظيم القاعدة، بدءاً بالمعسكرات، مروراً بجبهات القتال مع الطالبان، وانتهاءً بكل العمليات الخارجية المباركة، حيث شارك في كل خطوة من خطوات التخطيط والمتابعة لها. وكان رحمه الله يعد لإنشاء جيش إسلامي نظامي لتحرير بلاد المسلمين، وكان ينصح الشباب المدرّبين أن يتخصص كل منهم في تخصص عسكري، سواء في المدفعية والإسناد، أو في الهندسة العسكرية والألغام، أو في الاقتحام والتقدم، أوفي الأسلحة المضادة للطائرات؛ ليكونوا نواة لهذا الجيش المبارك ولكنه -رحمه الله- استشهد قبل أن يرى ذلك الجيش.

ولما اكتملت خطوات العمل الخارجي وجهت القاعدة أولى ضرباتها المباركة لهبل العصر في عملية هزت العالم أجمع، أطارت عقل أمريكا وجعلتها توقن بأنها أمام عدوٍ يصدّق قوله بفعله، خبط كل أوراقها وموازينها وحساباتها، حيث جاءتها الضربات في مكان خاب كل توقعاتها، حيث ضُرب مركز استخباراتها في أفريقيا، ولا عجب بعد ذلك إذا علمنا أن مخطط العملية هو الأسد الهصور الشيخ أبو

حفص الكومندان -رحمه الله- ولا عجب بعد ذلك أيضاً أن يكون ترتيبه الثاني في قائمة أكثر المطلوبين لأمريكا، وأن تضع أمريكا أكبر مكافأة في تاريخها، وهي خمسة وعشرون مليون دولار، لمن يدلي بمعلومات تؤدي للنيل من شخصه.

وبفضل الله تواصلت الضربات بتفجير المدمرة كول في عدن، ومن بعدها الغزوات المباركات في نيويورك وواشنطن، وكان للشيخ أبي حفص -رحمه الله- نصيب كبير في التخطيط والترتيب لهذه العمليات، وكان شديد الإعجاب بالإخوة المنفذين لها، وخاصة القائد البطل الشهيد -كما نحسبه- محمد عطا عندما سأله: "وماذا يمكن أن نعمل من أجل فلسطين؟". ظل أبو حفص رحمه الله متذكراً لذلك السؤال، ومتأثراً به.

لقد فعلت الكثير يا محمد عطا، وحسبكم من الشرف والفضل أنكم قد نكّستم رأس أمريكا، فَعَلا بفعلكم التكبيرَ في أفغانستان وجميع الدول الإسلامية على هذا النصر التاريخي المشهود، وعمّت الفرحة، وابتهجت النفوس، ووزعت الحلوى، وبكى الفلسطينيون فرحاً على أن هيأ الله لهم من ينصرهم، ويأخذ بثأرهم، ويدافع عن حقوقهم المسلوبة، ويغضب لبكاء عجائزهم وأطفالهم وشيوخهم. فالحمد لله على النصر المؤزر، والشكر لله أولاً ثم للرجال المخلصين الأخفياء الأنقياء الأطهار، العاملين بكل جدٍ خلف الأستار، ومنهم شهيدنا البطل الشيخ أبو حفص الكومندان رحمه الله.

وعندما بدأت الحملة الصليبية على أرض أفغانستان تركز البحث على أمير المؤمنين الملا عمر، وعلى الشيخ أسامة والشيخ أبي حفص، وعلى قيادات الإمارة الإسلامية الذين آووا ونصروا، وكان الأمريكان يريدون القضاء عليهم بأي شكل من الأشكال، فاستعانوا بالجواسيس والعيون لترصد حركتهم، وألقوا المنشورات التي تعِدُ بالملايين لمن يدل بمعلومات تدل على مكانهم.

ولم تهن عزيمة الشيخ أبي حفص -رحمه الله- بعد أن اشتد عليه الطلب، بل ظل يخطط ويُعد الشباب ويجهزهم لعمليات موجعة على الأمريكان، رغم ما كان يعانيه في أواخر أيامه من آلام مبرحة في فقرات عموده الفقري. وكان ينصح الشباب بعدم التعرض للبرد الشديد فقد أصيب بآلام في عظامه أيام معارك جاجي، حيث كان شاباً ولا يبالي بالبرد، فأثر عليه ذلك في الكبر رحمه الله، وأكثر من الدعاء لله عز وجل بأن يرزقه الشهادة في سبيله التي طالما حلم بها وتمناها؛ فقد رق عظمه، وضعفت نفسه، وكبرت سنه، وقد رأى جزءاً من النصر الذي عمل له دهوراً بأم عينيه، واستجاب الله دعاءه بعد أن أعذر أمام الله عز وجل (نحسبه كذلك والله حسيبه).

وكان عدد المقيمين معه في مأواه الأخير عدداً كبيراً يصل إلى العشرين أحياناً، وكان رحمه الله إذا اعترض عليه أحد الإخوة بأن ذلك العدد قد يكشف المكان للطائرات المغيرة أو للجواسيس، كان يجيب مبتسماً "الموت مع الجماعة رحمة". وبالفعل، في ليلة من ليالي رمضان المباركة في بداية الغزو الصليبي أغارت الطائرات على مأوى الشيخ أبي حفص الكمندان، واستشهد معه في موكب محبة مهيب ستة عشر من الإخوة دفعة واحدة، عليهم رحمة الله جميعاً. ونجا أخوان بمعجزة حقيقية، أحدهما كان أسد ابن الشيخ عمر عبد الرحمن رحمه الله.

وفي اليوم الثاني بحث الشباب تحت الأنقاض عن جسد الشيخ أبي حفص، فوجدوه كأنه نائم وعلى وجهه نور وابتسامة، ولم يخدش بخدشة واحدة، وقد خرجت منه رائحة المسك، وشمّها جميع من حضر.

وقد دفنه الشباب وهم يبكون ألماً ولوعةً على فراق أستاذهم وشيخهم، وفي نفس الوقت سعيدون لنيله الشهادة في سبيل الله التي طالما تمناها بعد عمر طويل في الجهاد في سبيل الله؛ أكثر من ٢٥ سنة قضاها في نصرة دين الله، وإقامة دولته، وقهر أعداء الله من الصليبيين واليهود وأذنابهم، واستطاع أن يوجعهم مراراً وتكراراً، فرحمه الله ورضي عنه وبلغه منازل الشهداء.

وفرح أعداء الله بمقتله ولم يتأكدوا من ذلك إلا بعد فترة، وكان قد دلّهم على قبره أحد الإخوة الذين دفنوه، وكان هذا الأخ قد وقع أسيراً في أيدي القوات الأمريكية، وعندما سألوه عن الشيخ أبي حفص أكّد لهم مقتله، وأنه قد دفنه بيده رحمه الله، ولم يصدّق الأمريكان وطلبوا من الأخ أن يدلّهم على قبره فدلّهم، فنبشوا القبر وأخرجوا الشيخ أبا حفص، وأخذوا بصمات أصابعه، وعينات من شعره ليتأكدوا عن طريق الحمض النووي من شخصيته.

أمّا الإخوة فقد حزنوا عليه حزناً شديداً، وبكوا لفراق شيخهم وأبيهم وعمهم وأخيهم الكبير، فلقد كان رحمه الله يحب الشباب المجاهدين حباً شديداً، وكان أيضاً يحب العمال الأفغان المساكين وكانوا يحبونه، الكل يحبه بل إنك تحبه من جلسة واحدة تجلسها معه، يوجه هذا وينصح هذا، ويربت على كتف هذا، ويبتسم في وجه ذاك، يقتدي بالنبي ﷺ في كل شؤونه حتى في تبسمه. ومن حبه للشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- أن زوّج ابنته لمحمد بن الشيخ أسامة، رحمهما الله رحمةً واسعه، وجعل منزلتهم الفردوس الأعلى مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

الشيخ أبو محمّد المصري (عبد الله أحمد عبد الله الألفي) تقبّله الله:



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. أما بعد.

ما أعظمه مفقوداً، وأكرمه ملحوداً، إني لأنوح عليه بنوح المناقب، وأرثيه مع النجوم الثواقب، وأبكيه مع البكاء المعالي والمحاسن، قد رزئنا في أبي محمد عالماً في شخص، وأمّة في نفس، مضى والمعالي تبكيه، والمحاسن تعزّي فيه. فقدناه في وقت نحن والأمة بأمسِّ الحاجة له، في زمن قلَّ فيه النصير، واشرأبت فيه أعناق كل حقير، لقد كان بدراً ينير لنا ظلمة الليل البهيم، ونجماً يدلنا على درب الحق القويم، هميم لا يعرف التراخي، شجاع لا يأبه بالأعادي، يصدق فيه قول القائل:

همام له شيمة كالشمول ... تميت الهموم وتحيي الهمم

تنسّمت نعمته بالثناء ... ونشر الثناء نسيم النعم

يد تقع الهمام تحت الحسام ... بها والأقاليم تحت القلم

الشيخ أبو محمد المصري عبد الله بن أحمد بن عبد الله الألفي تقبله الله، ولد في مصر سنة ١٩٦٣م، نشأ فيها وترعرع، خرج للأردن لدراسة العلم الشرعي على يد العلامة الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، وفي سنة ١٩٨٨م نفر للجهاد في أفغانستان بعد تأثره بالأحداث التي كان يمر بها الشعب الأفغاني المسلم على يد الروس الملاحدة، ومكث حتى خرج الروس من أفغانستان مهزومون مدحورون، واستمر -رحمه الله- في طريق الجهاد مع رفقاء دربه وعلى رأسهم الشيخ الإمام أسامة بن لادن رحمه الله، وكان من أعوان الشيخ أسامة في السودان، وممن كان لهم دور كبير في ترتيب صفوف المجاهدين في الصومال، وتدريبهم إبان دخول القوات الأمريكية سنة ١٩٩٣م، وعندما عاد الشيخ أسامة -رحمه الله- لأفغانستان مرة أخرى، كان الشيخ أبو محمد من طلائع العائدين معه، وهناك كان رحمه



الله من العاملين المقدمين لنصرة الدين، وكان يعتبر الرجل الثالث في قاعدة الجهاد قبل بيعة الشيخ أيمن الظواهري -حفظه الله- للشيخ أسامة، وانضمام جماعة الجهاد لتنظيم القاعدة، وفي العام ١٩٩٨م كان الشيخ أبو محمد المصري تقبله الله، هو القائم على عمليتي تفجير سفارتي أمريكا في كل من نيروبي العاصمة الكينية، ودار السلام العاصمة التنزانية، وبعد عودته إلى أفغانستان كان مسؤولاً على تدريب شباب المسلمين في معسكر الفاروق، وكان رحمه الله مع ما له من مكانة بين إخوانه، وعند قيادة المجاهدين، إلا أنه متواضع لا تفرق بينه وبين أي مجاهد نفر حديثاً، وكان رحمه الله حيياً، كريماً، صاحب خلق رفيع، وأنا عن نفسي أقول: لقد غير عندي أموراً خاطئة بخلقه الجم، وتعامله الراقي.

وبعد أحداث عمليات نيويورك وواشنطن المباركة -المعروفة بأحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م- خرج من أفغانستان منحازاً، وحط رحاله في إيران، ليؤسر فيها هو وجمع من إخوانه من قيادات وأفراد تنظيم القاعدة، ليمكث دهراً من الزمن أسيراً في سجون الرافضة في إيران، حتى منَّ الله عليه وعلى جمع من الإخوة بالخروج من السجن على إثر صفقة تبادل بينهم وبين دبلوماسي إيراني أسره المجاهدون في جزيرة العرب، ليعيش بعد ذلك في إيران في إقامة جبرية، حتى أتاه أمر ربه شهيداً كريماً بأيد الغدر والحقد، لتمتد إليه فتقتله غيلة، ليترجل عن جواده بعد أن شد لجامه ردحاً من الزمان مهاجراً، مجاهداً، صابراً على شدة الطريق، ولأوائه، لم نسمع منه أنيناً مع كل ما مر به، ولم نره متوجعاً مع كثرة الآلام، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً.

رحلت أبا محمد عن دنيانا الدنيّة، وتركتنا بعدك في مشاقها المضنية، ولكنَّ عزاؤنا فيك أيها الحبيب أنك رحلت عنا شهيداً كريماً ماجداً، ثابتاً على دينك، متمسكاً بمنهجك، ما غيرت ولا بدلت، فرحمك الله رحمة الأبرار، وتقبلك في زمرة الشهداء، ورفع درجتك في الفردوس الأعلى، وألحقنا بك شهداءً في سبيله، غير خزايا ولا ندامى ولا مفتونين[١] ا.هـ

وكما يقول الشيخ أبو يحيى الليبي رحمه الله:

"فديننا العظيم قائمٌ على عقائد راسخة، وقيمٍ سامية، ومبادئ شامخةٍ باقية، لا تزيدها دماء الشهداء إلا علوّاً وسموّاً، وستبقى سيرهم نوراً يستضيئ به السائرون على دربهم، ومناراتٍ يهتدون بها على طول طريقهم، ولو كان الإسلام يذهب بموت أحدٍ لتلاشى يوم أن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونكص من نكص على عقبيه، وضجّت الأرض وارتجّت بالردّة والمرتدين؛ فأقام الله لهم الصِّدِّيق بحزمه وعزمه وقوته وإصراره فقطع دابرهم، وبدّد شملهم، وفلّ حدّهم حتى رجعوا إلى الدين طوعاً أو كرهاً، قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾، فهذا هو السبيل وإنّا به إن شاء الله مستمسكون، وعليه سائرون، ولأعداء الله مناجزون حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين، ونسأل الله ثباتاً دائماً على الدين، وشهادةً نُرافق بها النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين".

---

١) كتبه أمير قاعدة الجهاد في جزيرة العرب الشيخ خالد با طرفي حفظه الله.

وخير ما نختم به هذه الصفحات المختصرة من تاريخ القاعدة، كلمات مباركات للشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، خصّ بها إخوانه المجاهدين قائلا لهم:

"وقفتم لنصرة الدين يوم قَلَّ الواقفون، وجاهدتم يوم قعد الخطباء والمُحَدِّثون، وصدعتم بالحق يوم سكت الخائفون والطامعون، غيركم قال كما قال السحرة قبل أن يؤمنوا قالوا: ﴿أإنَّ لَنَا لَأَجْراً إنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ فقال لهم الطاغية: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

وأما أنتم فالأجر والقرب من الرحمن ترجون، ذقتم حلاوة الإيمان فلم تغركم حلاوة الدنيا -أحسبكم كذلك والله حسيبكم ولا أزكي على الله أحداً- وجزاكم الله خير الجزاء.

وقفتم وما في المـوتِ شـكٌ لواقـفِ

وحطمتمُ الأوهامَ والـوهمُ يُكسرُ

تخوضــونَ بحــرَ المـوتِ لا ترهبونَــه

ومن لا يهـابُ المـوتَ لا شيءَ يَحـذرُ

حطَّمتم الهالات الملقاة على الطغاة منذ عقود كذباً وزوراً، فهنيئاً لكم أن أَنَرْتُمُ السبيل بدمائكم للملايين من الأجيال الناشئة لتستقيم على الصراط المستقيم، ولتجتنب سبيل الطغاة المجرمين، ففي الحديث: ﴿فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ﴾ رواه البخاري.

فواصلوا المسير، ولا تهابوا العسير، وطَهِّروا جزيرة العرب من المشركين والزنادقة والملحدين، ولا تهنوا. قال الله تعالى: ﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ ما لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾.

ولا يغرَّنكم كثرة المخذّلين والمخالفين، فقد قال رسولنا عليه الصلاة والسلام، كما في صحيح مسلم: ﴿لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ﴾. فنقول للطاغية كما قال المؤمنون من قبل: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى ما جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ ما أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

فيا أيها المجاهدون:

اصبروا وصابروا واحتسبوا، فهذا طريق الأنبياء، هجرةٌ ودماءٌ، وقتالٌ وأشلاءٌ، تخيفون العدو ويخيفكم، ولا يخفى عليكم أن أكثر قضايا الأمة اليوم سخونة؛ الجهاد في فلسطين والعراق فاحرصوا كل الحرص على نصرتهم "[١] ا.هـ

وخير الكلام ما قل ودل:

١) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.



ففي رسالته الثالثة إلى الشعب الأمريكي، أوضح الشيخ أسامة السبيل لإنهاء الحرب فقال:

"إن الحرب إمّا لنا وإما لكم، فإن كانت الأولى فهي خسارتكم وخزيكم أبد الدهر، وفي هذا الاتجاه بفضل الله تجري الريح، وإن كانت الأخرى فأقرأوا التاريخ، فإننا قوم لا ننام على الضيم، ونطلب الثأر مدى العمر، ولن تذهب الأيام والليالي حتى نثأر كيوم الحادي عشر من سبتمبر بإذن الله، وبذا يظل ذهنكم مكدوداً، وعيشكم منكوداً، ويصير الأمر إلى ما تكرهون، وأما نحن فليس عندنا ما نخسره، والسابح في البحر لا يخشى المطر، فقد احتللتم أرضنا، واعتديتم على أعراضنا وكرامتنا، وسفكتم دماءنا، ونهبتم أموالنا، وهدمتم دورنا وشرّدتمونا، وعبثتم بأمننا، وسنعاملكم بالمثل.

لقد حاولتم أن تمنعونا الحياة الكريمة ولكن لن تستطيعوا أن تمنعونا من الموت الكريم، فالقعود عن الجهاد المتعين في ديننا إثم مخوف، وخير القتل عندنا ما كان تحت ظلال السيوف، ولا تغرنّكم قوتكم وأسلحتكم الحديثة، فهي تكسب بعض المعارك ولكنها تخسر الحرب، والصبر والثبات خير منها، والعبرة بالخواتيم.

ولقد صبرنا في قتال الاتحاد السوفياتي بأسلحة بسيطة عشر سنين، فاستنزفنا اقتصادهم فصاروا بفضل الله أثراً بعد عين، ولكم في ذلك عبرة، ولنصبرن في قتالكم بإذن الله حتى يموت الأعجل منا ولن نفرّ من الكفاح حتى يفرّ السلاح.

أقسمت لا أموت إلا حرّا ...

وإن وجدت الموت طعماً مرّا ...

أخاف أن أُذلّ أو أُغرّا ...

والسلام على من اتبع الهدى".



ولن تذهب الأيام والليالي حتى نثأر كيوم الحادي عشر من سبتمبر بإذن الله



محتويات الكتاب:







مما قيل في هذا الكتاب

شكر لكتاب شذرات من تاريخ القاعدة للشيخ خبيب السوداني.

لا يجهل أحد قيمة التوثيق والتاريخ، فهي عملية صناعة حياة ماضية على وجه الورق، وفيها صناعة حياة جديدة في ذهن الأجيال والباحثين، وتدمير التراث والتاريخ قضية من قضايا الأمم ضد خصومها، وتثبيت التاريخ حين يكون عقيدة وبلاء ومحنة جيل وجهاد تحضر وقومة أمة يكون واجباً، لأن إلغاء الزمن بمعنى الحدث الدال على شخوص وعقيدة وإيمان هذه الشخوص هو إلغاء سيرة الحق في الوجود، وسيرة الحق حق، ورجال الحق حق، إذ يقول مؤمن آل فرعون: (اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد) إذ صار هو بشخصه موقف إيمان ونموذج حق. تاريخنا المعاصر تاريخ عظيم، يعيش المؤمنون بالله تعالى والشاهدون لمحمد بالرسالة وللقرآن بالهداية، ولذلك يجب أن يعيش، ويجب أن يجاهد لتثبيته حتى ترويه الأجيال كجزء من معركة الإيمان ضد الجاهلية ورجالها. كل من استطاع أن يروي حديث إيمان لموقف رجل جاهد بالكلمة أو بالموقف أو بالسلاح، وكل من استطاع أن يثبت موقف وحادثة إيمان فالواجب عليهم رواية هذا الموقف وهذه الكلمة وهذا الرجل، لأنها حق الشباب القادم في معرفة سير رجالهم وآبائهم وأئمتهم. لتاريخنا نكهة الحق، ومعنى الحق، ونحن نروي كما نفهم المواقف، فموت رجالنا ليس خسارة ولا زوال منفعة، بل موت الرجال في المعارك شهادة، ووقوف رجالنا وحبسهم في السجون خلوة، ومطاردتهم هجرة في سبيل الله، ذلك لأننا نقرأ الحدث بهدي القرآن ونوره ومعينه، لا بعيون الجاهلية. نروي تاريخنا ليعلم الشباب أن في الزوايا خبايا، وتحت العمائم عقول، وفي القلوب التي مضت وميض حق لم تستطع الجاهلية أن تزيل منه حرف كلمة حق، ولا أن تطفئ شعاع نور من إيمان. نروي تاريخنا ليعلم أبناؤنا أن الجدود لم يخونوا الأمانة بل أدوا ثمن حملها بأرواحهم وعرقهم وأموالهم، وما وصلت هذه الأمانة إليهم إلا على جماجم الأجداد وجهادهم. نروي تاريخنا لنفتخر به بين الأمم، حامدين ربنا أن اختار هذه الأمة، وهي تصنع عظائم الفضائل تحت النار وفي غمرات الغبار والعرق والدم. نروي تاريخنا لأنه جزء من تاريخ عصابة الحق التي لا يضرها من خذلها ولا من خالفها. نروي تاريخنا ليرى الأبناء نصرة الله وتوفيقه للضعفاء والمهاجرين ونزاع القبائل. وهكذا تتجدد بدر وأحد والخندق، وهي مقدمات الفتح في كل منعطف. هذا هو كتاب خبيب السوداني الذي بين أيديكم، فهو خيط نور في تاريخ هذه الأمة، في زمن البلاء والصبر والصهد. شيخ خبيب السوداني: جزاكم الله خيرا

الشيخ: أبو قتادة الفلسطيني -حفظه الله-

ولن تذهب الأيام والليالي
حتى نثأر كيوم الحادي عشر من
سبتمبر بإذن الله

الشيخ أسامة بن لادن -تقبّله الله-